

المَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ

فِي هَذَا الْإِحْيَاءِ
تأليف

لمحقق العظمى والمحدث الكبير الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو

بِأَهْلِ الْمَحَسَنِ الْكَاشَانِي

المسوق ١٠٩١ هـ

صنحو وعلق عليه على أكبر نقارى

طبع على نفقة

دفتر انتشارات اسلامى

وابسته به جامعة مدرسين

حوزة علمية قم

الجزء الخامس

2269

.38

.666

1980z

Juz' 5-6

حمداً لك يا من جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، وطريقاً
من طرق الاعتراف بواحدانيته ، وسبباً لمزيد فضله و نعمه ،
ومحجة بيضاء لطالبي فضله وإحسانه .
وصلاة على رسولك الأعظم ، والهادي إلى صراطك
الأقوم وعلى آله أئمة الهدى ، و مصابيح الدجى .

كتاب شرح عجائب القلب

وهو الكتاب الأول من ربيع المهلكات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تتحيردون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش في مبادي إشراق أنواره الأحقاق والنواظر ، المطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر ، مقلب القلوب ، وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، ومفرج الكرب ، والصلاة على محمد سيد المرسلين ، وجامع شمل الدّين ، وقاطع دابر الملحدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أما بعد فشرف الإنسان وفضيلته التي بها فاق جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي في الدّنيا بحاله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره ، وإنّما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحه من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله ، وهو السّاعي إلى الله ، وهو المتقرّب إليه ، وهو المكشّف بما عند الله ولديه ، وإنّما الجوارح أتباع له وخدم وآلات يستخدمها القلب ، ويستعملها استعمال المالك للعبيد ، واستخدام الرّاعي للرعيّة ، والصانع للآلة ، والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله وهو المطالب والمخاطب ، وهو المثاب والمعاقب ، وهو الذي يستعدّ بالقرب من الله تعالى فيفليح إذا ذكره ، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنته ودسا^(١) وهو المطيع لله بالحقيقة وإنّما الذي ينتشر على الجوارح

(١) دنس - يكرس النون - مرضه أو نوبه أو خلقه : تلطخ بأكروه أو قبيح فهو

دنس ، و دنسه من باب التّخيل صيره دنساً ، ودس الرجل : افسه و اغواه ، ودسا نفسه : أخيلها و أخس حظها .

من العبادات أنواره ، وهو العاصي المتمرد على الله و إنما الساري على الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر بحسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء يترشح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه ، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه ، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ، ومن جهل بقلبه فهو بغيره أجهل ، وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه ، وحيلولته بأن لا يوفق له مشاهدته ومراقبته ، ومعرفة صفاته ، وكيفيّة تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وإنه كيف يهوي مرّة إلى أسفل سافلين وينخفض إلى فوق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلا عاتين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو بمن قال الله تعالى فيه : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون » (١) .

فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين .

وإذ قد فرغنا في الشطر الأول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعبادات وهو العلم الظاهر وعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بدّ وأن تقدّم عليه كتابين كتاباً في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه ، وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ، ثمّ تندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من ذكر شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإنّ التصريح بعجائبه وأخلاقه وأسراره الدّاخلية في جملة عالم الملكوت بما يكلّ عن ذكره أكثر الأفهام - وبالله التوفيق - .

❦ بيان معنى النفس والروح والعقل والقلب وما هو المراد بهذه الأسماء ❦

اعلم أن هذه أربعة أسماء تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الأسماء واختلاف معانيها وحدود مسمياتها وأكثر الأغاليط

منشاؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء وباشتراكها بين مسميات مختلفات ، ونحن نشرح من معاني هذه الأسماء ما يتعلق بغيرنا .

اللفظ الأول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل ، المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحمٌ مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو متبع الروح ومعدنه ولسانه قصد أن شرح شكله وكيفية فلا يتعلق به الأغراض الدنيوية وإنما يتعلق بذلك غرض الأطباء ، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ، ونحن إذا أطلقنا اسم القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك ، فإنه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين ، والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاني والمطالب ، ولها علاقة مع القلب الجسماني ، وقد تحجرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته ، فإن تعلقها به يضاهي تعلق الأغراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتمكن بالمكان ، وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب إلا علوم المعاملة ، والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله ﷺ^(١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والمقصود أننا إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها ، وعلم المعاملة يقتدر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يقتدر إلى ذكر حقيقتها .

اللفظ الثاني الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين

(١) حديث أنه صلى الله عليه وآله لم يتكلم في الروح أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن السند وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن حبان وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن أبي مسعود - رضي الله عنه - راجع الدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ١٩٩ .

أحدهما جسم لطيف متبعة تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن ، وجربانها في البدن و فيضان أنوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زويا الدار فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به ، فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان ، والروح مثالها السراج و سريان الروح وحركتها في الباطن مثاله مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محرّكه ، والأطباء إذا أطلقوا اسم الروح أرادوا به هذا المعنى و هو بخار لطيف أنصجته حرارة القلب ، و ليس غرضنا شرحه إذ المتعلق به غرض أطباء الذين يعالجون مرض الأبدان ، فأما غرض أطباء الذين المعالجين للقلوب حتى تلساق إلى جوارب رب العالمين ، فليس يتعلق بشرح هذا الروح أصلاً ، والمعنى الثاني هو اللطيفة الربانية العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراد الله تعالى بقوله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ^(١) » وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والأفهام عن درك كنهه حقيقته .

اللفظ الثالث النفس وهذا أيضاً مشترك بين معان ، و يتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ماسبأتي بيانه ، وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون : لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ^(٢) » المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان في الحقيقة ، و هي نفس الإنسان و ذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت

(١) الاسراء : ٨٥ .

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد كما في كنوز العقائق للمتاوى ، و رواه قاضي نعمان

في دعائم الاسلام من طريق أهل البيت عليهم السلام بلفظ آخر كما في مستدرک الوسائل

تحت الأمر ورايلها الاضطراب سبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ،
 قال الله تعالى « يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِذْخِصِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً »^(١)
 والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله ، فإنها معدة عن الله تعالى ،
 وهي من حزب الشيطان ، إذا لم يتم سكوتها ولكنها صارت مدافعة للنفس
 الشهوانية ومعرضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره
 في عبادة مولاه ، قال الله تعالى « وَلَا تُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ »^(٢) ومن ترك الاعتراض
 وأدعب وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس اللامارة بالسوء ،
 قال الله تعالى إحصاراً عن يوسف عليه السلام « وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِلْإِمَارَةِ
 بِالسُّوءِ »^(٣) وقد يحور أن يقال المراد باللامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول ،
 فإن النفس بالمعنى الأول مضمومة غاية الدُّم ، وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس
 الإنسان أي داته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات

اللفظ الرابع العقل وهو أيضاً مشترك لمعنيين مختلفين ذكرناهما في كتاب
 العلم والمعلق بعرضنا من جعلنا معياني ، أحدهما أنه قد صار يطلق ويراد به العلم
 بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي يحلله القلب ، والثاني أنه قد يطلق
 ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل
 عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه ، والعلم صفة حادثة فيه ، والصفة غير
 الموصوف ، والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم ، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك
 أعني المدرك وهو المراد بقوله عليه السلام « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ »^(٤) ، فإن العلم
 عرص لا يتصور أن يكون أوّل مخلوق بل لا بد أن يكون المحل مخلوقاً قبله أو معه
 ولأنه لا يمكن الحطاب معه . وفي الحصر أنه « قال له أقبل فأقبل ، وقال له أدير

(١) القيامة : ٣ .

(٢) الفجر : ٢٧ و ٢٨ .

(٣) يوسف : ٥٣ .

(٤) أخرجه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة بإسنادين صحيحين كما في المعنى
 وما عثر عليه من طريق الخاصة .

قادر - الحديث . (١)

فأذن قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهو القلب الجسماني ، والروح الجسماني ، والنفس الشهوانية ، والفعل العلمي وهذه أربعة معاني يطلق عليها الألفاظ الأربعة ، ومعنى جسم و هي اللطيفة العالمة الخدكة من الإسن والألفاظ الأربعة بحملتها تتوارد عليها ، فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة ، وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد اتفق عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها ، فتراهم يتكلمون في الحواهر ويقولون هذا خاطر العقل ، وهذا خاطر الروح ، وهذا خاطر النفس ، وهذا خاطر القلب ، وليس يدري السائر اختلاف معاني هذه الأسماء . فلا حل كشف الغطاء عن ذلك قدّمنا شرح هذه الأسماء ، وحيث ورد في لقرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الأسماء ويعرف حقيقة الأشياء ، وقد يكتفى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة ، وبها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعمله له ولكتها يتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب فكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ، ولذلك شبه سهل التنزي القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال : القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يطن به أنه يريد عرش الله سبحانه وكرسيه فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكته والمخرى الأول لتديره ونصره ، فهما بالسنة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ، فلا يستقيم هذا التشبيه أبداً إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك لا يليق بغرضنا فلنتجاوز .

❦ بيان جنود القلب ❦

قال الله تعالى : وما يعلم جنود ربك إلا هو (١) فلله سبحانه في القلوب ولا رواح وعبرها من العوالم جنود محصنة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ، وبعض الآن يشير إلى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا ، وله جنودان

(١) رواه الترمذي في المعجم ص ١٩٢ ، والكلبي في الكافي ج ١ ص ٢٦ .

(٢) المقدور : ٣٤ .

حنديري بالأبصار و حند لا يرى إلا بالصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم
الخدم والأعوان ، وهذا هو معنى الحند فاما حنده المشاهد بالعين فهي البدو التي حل
والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة ، فإن جميعها حادمة للقلب
ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها ، وقد خلقت محمولة على طاعة القلب ،
لا تستطيع له خلاف ولا عليه تمرّداً ، فإذا أمر العين بالاعتناح انفتحت ، وإذا أمر
الرجل بالحرّكه تحرّكت ، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم ، و
كذا سائر الأعضاء ، وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه مرّوحه تسخير الملائكة
لله تعالى ، فإنهم خُلقوا على الطاعة ، لا يستطيعون له خلاف بل لا يعصون الله ما
أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ، وإنما يفرقان في شيء ، وهو أن الملائكة عالمة بتدبير
ومثالها لربّها والأحسان طيع القلب في الاعتناح والانطباع على سبيل استسخير
ولا حير لها من نفسها ولا من طاعتها للقلب ، وإنما فتر القلب إلى هذه الجنود
من حيث افتقاره إلى المركب والرّاد لسفّره الذي لأجله خلق ، وهو السّفر إلى
الله تعالى وقطع المسار إلى لقاءه ، فلأجله خلقت الثواب قل لله تعالى « وما خلقت
الجنّ والإِنسَ إلا ليعبدون » (١) وإنما مركبه البدن وإتماده العلم وإنما الأسباب
التي توصله إلى الرّاد وتمكّنه من التروّد منه العمل الصالح ، وليس يمكن أن
يصل القلب إلى الله تعالى ما لم يسكن البدن بموت ولم يخاور لدنيا في المنزل
الأدبي لا بدّ من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى ، والدنيا مردّة الآخرة وهي
ممر من منازل الهدى ، وإنما سميت الدنيا لأنّها أدنى المنزلين فاضطرّ الإنسان
إلى أن يتروّد من هذا العالم ، والبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم ، وفتر
إلى تعبد البدن وحفظه ، وإنما ينحط البدن بأن يحلب إليه ما يوفقه من العدا
وغيره ، وأن يدفع عنه ما ينفيه ويهلكه أو يمكّنه من أساء الهلاك ، وفتر لأجل
حلب العدا إلى حندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو البهيم والأعضاء الجاذبة للعدا
فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه ، وخلق له الأعضاء التي هي آلات

الشهوة . وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى حندين باطن وهو العصب الذي به يدفع المهلكات و ينتقم من الأعداء ، و طاهر وهو البدن والروح الذي به يعمل بمقتضى العصب ، و كل ذلك بأمر حارحة عن البدن كالأسلحة وغيرها ، ثم المحتاج إلى العداء إذا لم يعرف لعداء لا يسمع شهوة العداء ، ولأنه فافتقر للمعرفة إلى حدين باطن وهو إدراك البصر والدُّوق والشم والسمع واللمس . وطاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها و تفصيل وحه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا يحويه مجلدات كثيرة ، وقد أشربنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليسمع به

محملة جنود القلب يحصرها ثلاثة أصناف ، صفة سعة وتستحث إما إلى جلب الموفق النافع كالشهوة ، وإما إلى دفع الضرر المانع كالعصب ، وقد يعبر عن هذا الصفة بالإرادة ، و لذلك هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ، ويعبر عن هذا الثاني بالقعدة وهي جنود مشوثة في سائر الأعضاء لاسيما العضلات منها والأوتار ، والثالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالحواسن وهي قوة البصر والسمع والشم والدُّوق وغيرها وهي مشوثة في أعضاء معينة ، ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك ، و مع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود ، فإن قوة البطش إنما تبطش بالأصابع ، وقوة البصر إنما تدرك الشيء بالعين ، وكذا سائر القوى .

ولما نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما آتت به من جنود لم نروها ، وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الحملة ينقسم إلى ما قد أسكن الممار الظاهرة وهي الحواسن الخمس أعني السمع والبصر والشم والدُّوق واللمس وإلى ما أسكن الممار الباطنة وهي تحاويف الدماغ وهي أيضاً خمسة ، فإن الإنسان بعد رؤية الشيء يعمض عينيه فتدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم يبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظة ثم يتفكر فيما حفظه ويركب بعض ذلك إلى بعض ثم يتدبر ما نسبته و يعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالجنس المشترك بين المحسوسات ، فهي

الباطن حسٌ مشترك و تحيّل و تفكّر و تدبّر و حفظ و تولّد حلق الله قوّه الحفظ والعكر والدّكر والتّحيّل لكلّ يحلّو الدّماغ عنه كما يحلّو عنه اليد والرّجل ، فتلك القوى أيضاً حنود باطنة وأما كبّ أبعاً بطنه فهذه هي أقسام حنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الصّمعاء يطول ، ومقصود مثل هذا الكتاب أن يمنع به الأقوياء والمحوّل من الغماز ، ولكبّ يحثّد في تعهيد الصّمعاء بضرر من الأمثلة ليقرّب ذلك من أوهامهم إن شاء الله

٥ (بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة) ٥

اعلم أنّ حندي لعصب و شهوة قد يقادان للقلب انقياداً تامّاً فيعينه على طريقته ، الذي يسلكه ، و يحسب مرافقه في السّفر الذي هو بسنده و قد يستعصيان عليه ، يستعصم ، معي و تمرّد حتّى يملكاه و يستعدها و في ذلك هلاكه و انقطاعه عن سره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد ، ولتقلب حدّ آخر وهو العلم و لحكمة والتّفكّر كما سيأتي شرحه و حقه أن يسعى بهذا الحسد ، فإنّه حرب الله على الحديين ، الآخرين في تهما قد يلتحقن بحرب الشيطان فإن ترك الاستعانة و سلّط على نفسه حنود الغضب والشهوة هلك نفساً وحسراً مريباً و دأب حال أكثر الخلق فإنّ عفوهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لفضاء الشهوة وكلّ يدعي أن يكون للشهوة مسخرة لفعولهم فما يعبر الفعل إليه و نحن بقرب هذا إلى فهمك ثلاثه أمثلة المثل الأول أن يقول مثل نفس الإنسان في يديه - و أعني بالنفس الطّبيعية المدكورة - كمثل ولد في مدينته ومملكته في رّأس المدن مملكة النفس وعاطيا ومستقرها ومدينتها وقوا وحوارجه بمنزلة الصّناع ، ولعملة ، والقوّة العمليّة ، لمكّرة له كالشّير الناصح والورير العاقل ، والشهوة له كعبد سوء يحلب الطّعام والميرة إلى المدينة ، والعصب ، والحميّة له كصاحب الشرّطة والعبد الجالب للميرة كذّاب مكّار محادع حيث يتمثل بصورة الناصح و تحت بصفحة الشرّ الهائل والسّمّ العاقل ، و يديه و عادته منارعة لورير الناصح في كلّ تدبير يدبّره حتّى لا يحلّو عن ممارعته ومعارضته في آرائه ساعة واحدة ، فكما أنّ الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بورير معرّصاً

عن إشارة هذا العبد الحبيب بن مسدلاً بإساره على أن الصواب في بغيض رأيه وأذن صاحب شرطته وأسلمه لوريه ، جعله مؤمراً له ومسلطاً على جهته على هذا العبد الحبيب وأساعه - أصابه - حتى يكون العبد مريباً لاسائتاً ، ومأموراً مدبراً لا أمراً مدبراً استقام أمر بلده وانتظم العدل بسبب ذلك . فكذلك النفس متى شغلت بالعقل وأشبها الحمية العصبية وسلطتها على الشهوة واستعانت بإحديهما على الأخرى تارة بأن يغفل مرية العصب وعلوائه بحالة الشهوة واستدراجها و تارة بقمع الشهوة وهربها بتسلط العصب والحمية عليها وبفتح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسبت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأصله الله على علم» ^(١) قال تعالى «وأتبع هواه وكان أمره فرطاً» ^(٢) و قال تعالى «وأتبع هواه فمثل الكلب» ^(٣) و قال تعالى فمن بهى النفس عن ليلوى «وبالجنة هي المأوى» ^(٤) وسببها كيفية مجاهدته هذه الحدود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله

المكان الثاني أن أسس كالمدينية والعقل أعنى المدرك من الإنسان كملك مدبر لها ، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كحدوده وأعوانه ، وأعصاؤه كروعيته ، والنفس الأتارة بالسوء التي هي الشهوة والعصب كعدو يدارعه في ملكته وسعى في هلاك رعيته ، فصار يده كرباط و ثمر ، ونفسه كدقيق فيه مراكب ، فإن جاهد عدوّه وهزمه وهزم ، على ما يجب عند أثره بإعادة إبنى الحضرة كما قال الله تعالى «فصل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدتين درجته» ^(٥) وإن صيغ ثمره وأهم دعته دم أثره وانعم منه عبدالله الله فعمل له يوم القيامة يار عبي السوء، أكلت اللحم ، وشرب الخمر ، ولم يرد الضالة ، ولم تحجر الكبير ، اليوم أنتم لها ميت . كما ورد في الخبر ^(٦) وإلى هذا المجاهدة الإشارة بقوله

(١) الجانية : ٢٢ .

(٢) الكهف : ٢٨ .

(٣) الامراف : ١٧٥ .

(٤) التازعات : ٤٠ .

(٥) النساء : ٩٤ .

(٦) قال المراقبي : لم يجد له أصلاً .

والمشهور دحسبا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر^(١) ،
 أمثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصدد ، وشهوته كفرسه ، وعصه ككلبه ،
 ومضى كل الفارس حادقاً وفرسه مرة صاً وكله مؤدباً معلماً كان حدير بالصح ،
 وعنى كان هو في نفسه أحرق وكان العرس جوحاً^(٢) والكلاب شعوراً فلا فرسه يبعث
 تحته مفعداً ، ولا كلبه يسرسل بإشارته مطيعاً ، فهو خليق بأن يعطى فصلاً أن يسأل
 ما طلب ، وإنما حرق الفارس مثال لجعل الإنسان وقلّة حكمته وكمال بصيرته ، و
 حجاج الفرس مثال لقلبه الشهوة عليه خصوصاً شهوة النفس والفرح ، وعقر الكلب
 مثال لقلبية الغضب واستيلائه .

❖ (بيان خاصية القلب للسان) ❖

اعلم أن حمله ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى لأدقها
 الحيوانات الشهوة والعصب والحواس لطاهرة والماطية أيضاً حتى أن الشاة ترى
 الدئب بعينها تعلم عداوته بعلمها فتهرب منه فداء إدراك الباطن فلذلك لم يختص
 به قلب الإنسان ولا حمله عديم شرفه وفدوه وسناهر القرب من الله سبحانه وهو
 راجع إلى علم وإرادة ، أما العلم فهو العلم بالأشياء لذاتية والآخرية وحقائق
 العفائية فإن هذه الأمور والمحسوسات ولا يشارك فيها الحيوان ، بل العلوم
 الكلية لضرورة من حواس العقل إذ يحكم الإنسان العرس الواحد لا يتصور
 أن يكون في مكانين في حالة واحدة ، وهذا حكم منه على كل فرس ، ومعلوم أنه
 لم يدرك بالجنس إلا بعض الأفراس فحكمه على جميع الأفراس رائد على ما أدركه
 الجنس ، فإذا فهمت هذا في العلم الطاهر الضروري فهو في سائر الطريقتين
 أظهر ، وأما الإرادة فهو أنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه
 اسعث من داته شوق إلى وجه المصاحبة وإلى تعاطي أسائها والإرادة لها وذلك غير

(١) أخرجه السيوطي في الشعب من حديث جابر بن عبد الله عن صفوان بن يحيى عن طريق العامة

رواه الكليني في الكافي ج ٥ ص ١٢ تحت رقم ٣ .

(٢) الجبوح مغرب جوش .

إرادته الشهوة وإرادة لحيوانات ، بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن
الفصد والحمامة والعاقل يريد نعمه ويطلبها ويدل المال عليهما والشهوة تميل إلى
لدئد لأطعمه في المرض والعاقل يجد في معسر آخر أعياها فليس ذلك راحر الشهوة ولو
خلق الله العمل المعروف لعواقب الأمور و ثم يخلق هذا البعث المحرك للأعضاء
على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل صائغاً على التحقيق .

فإذا خُصَّ قلب الإنسان بعدم وإرادات يبعث عنها سائر الحيوانات بل
بعث عنها العبي في أول العطرة و إنما يحدث ذلك فيه عند البلوغ وأما الشهوة
والغضب والحواس لظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حال النسي

ثم للنسي في حصول هذه العلوم فيه درجتان إحداهما أن يشتمل قلبه على
جمله من العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وحوار الجائزات
الظاهرة فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان
والحصول ، ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من
لكتابة إلا لدواء والعلم والحروف المفردة دون المركبة ، فإنه قد قارب الكتابة
ولم يبلغها بعد .

الثانية أن يحصل له العلوم المكتسبة بالتدريب والعكر ويكون كالمحروية
عنده فإذا شاء رجع إليها ، وحاله حال الحادق بالكتابة إذ يقال له كاتب ، وإن لم يكن
مداشر للكتابة لعدته عليها وهذه هي غاية درجه الإنسانية ، ولكن في هذه الدرجه
مراتب لا تحصى ، يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات
وحسنتها وبطريق تحصيلها ، فيحصل لبعض القلوب بالهام إلهي على سبيل المادة
والمكاشفه ، وبعضها يتعلم واكتساب ، ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون
بطيئ الحصول ، وفي هذا المعام يتباين منازل العلماء والحكماء والأولياء والأنبياء
ودرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها وأقصى الرتب
رنة المهي وَاللَّهُ يَتَعَلَّمُ الذي يتكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب
وتكلف بل يكشف إلهي في أسرع وقت وهذه السعادة يقرب العبد من الله قريباً

بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمساحة ، و مراقبي هذه البدرجات هي منازل الصائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما حلقه من المنازل ، فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً لكن قد يصدق به إيماناً بالغيب ، كما أننا نؤمن بالسوءة والنبي وصدق بوجود ذلك ولكن لا يعرف حقيقته السوءة إلا النبي ، وكما لا يعرف الجبين حال الطفل ، ولا الطفل حال المميز ، وما انفتح له من العلوم الضرورية ، ولا المميز حال العاقل ، وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على أولياء الله وأنبيائه من مرآيا لطعه ورحمته وما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسك لها ^(١) وهذه الرحمة مدولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه غير موصون بها على أحد ولكن إنما يظهر للقلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله كما قال ﷺ : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فترضوا لها » ^(٢) والتعرض لها بتطهير القلوب وترتيبها عن الحدث والكدوره الحاصلة من الأخلاق المدمومة كما سيأتي بيانه ، وإلى هذا الجود لإشارة بعوله ﷺ : « يرسل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » ^(٣) ويقول ﷺ : « حكاية عن ربه عز وجل » : « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأما إلى لقائهم أشد شوقاً » ^(٤) وبعوله عز وجل : « من عرفني عرفني شراً تقررت إليه ذراعه » ^(٥) وكل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لجل ومنع من حجة العمى - تعالى عن الحجب والمنع علواً كبيراً - ولكن حجب الحجب وكدوره وشغل من حجة القلوب فإن القلوب كالأواني

(١) العاطر : ٢ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم . وأخرجه الطبراني عن محمد بن مسلم بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٣) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٧٥ من صحيحه . وقسم الكلام فيه في المجلد الثاني

(٤) قال العراقي لم أجده أصلاً إلا أن صاحب الردوس أخرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مستند الردوس استداً .

(٥) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٦٦ .

فصاغت منثثة بالما، لا يدخلها الهواء، فكذلك العلوب المشعولة بعير الله لا تدخلها المعرفة بحلال الله، وإليه الإشارة بقوله بِهِ يَسْتَوِي «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات» ^{١١} ومن هذه الحملة ينشأ أن خاصية الإنسان العلم والحكمة فإن أشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله، فذلك كمال الإنسان وفي كماله سعده وصلاحه لحوار حصرة الكمال والحلال، فالبدن مركب للفس، والفس محل للعلم، والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التي لأجلها خلق، وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويحتص الفرس عنه بخاصية الكركرة، ولعل وحسن البيئة فيكون الفرس محدوقاً لأجل تلك الخاصية فإن بطلت منه برل إلى حضيض رتبة الحمار، فكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس في مورد ويعاقلهما في مورد هي خاصيته، وملك الخاصية هي من صفات الملائكة المقرئين من الله تعالى والإنسان على رتبة من الملائكة والبهائم، فإن الإنسان من حيث يتعدى ويسل فسات ومن حيث يحس ويتحرك بالاحتمار وحيوان، ومن حيث صورته وقامته فكأن صورة المنقوشة على الحائط، وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء، فمن اسعمل جميع أعصابه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بأن يلحق بهم وحديث بأن يسمى ملكاً ربانياً كما قال الله تعالى «إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» ^{١٢} ومن صرف همهته إلى تناسع اللذات الدنيوية بأكل كل ما وكل الأتعام فقد انحط إلى حضيض أفق لهما فيصير إماماً عمرأ كنود أو شرها كحزير و إماماً صرياً ككلب أو سنور، أو حموذاً كحمل، أو متكبراً كعمر، أو داروعان كغلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد ومن عض من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر إن شاء الله، فمن استعمله فيه فقد فاز، ومن عدل عنه فقد خسروا، وحيلة السعادة في ذلك أن يجعل لها، الله مقصده، والدأر الآخرة مستقره، وأند ساطر بقه، والبدن مركبه، والأعضاء خدمه فيستقر هو - أعني

(١) تقدم في المجلد الثامن ١٢٥ . (٢) يوسف : ٣١ .

المدرَك من الإنسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويحري لقوة الخيال
 المودعة في مقدّم الدماغ محرى صاحب ريد ، ويخضع أحوال المحسوسات عنده
 وتحري القوة العاطفة التي مسكنها مؤخر الدماغ محرى خاربه ، ويحري
 اللسان محرى ترجمانه ، ونحري الأعضاء المنخركة محرى كتابه ، ويحري
 الجواس ، لحمس محرى حواسيد ، فيوكل كل واحد بأحد صقع من الأصفاق ،
 فيوكل لعن بعالم الألو ، والسمع بعالم الأصواب ، والشم بعالم الأرابيح ، وكذلك
 سائرها في أنها أصحاب أحوال يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى لقوة الخيال
 التي هي كصاحب الريد ، ويسلمها صاحب الريد إلى الخارن وهي القوة العاطفة ،
 ويعرضها الخارن على الملك فيمتس الملك منها ما يحتاج إليه في تدبير مملكته ،
 وإتمام سفره الذي هو بصدده ، وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع
 طريق عليه ، فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكراً بعمه الله وإذا عطل هذه
 الحملة أو ستمهلها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الخطوط
 العاجلة ، أو في عمار طريقه دون مرله إدا الدنيا طريقه التي عليها عبوره ، ووطه
 ومستقره الآخرة كان محدوداً شقيماً كافراً لأنعم الله مصتعباً بخنود الله ، ناصر
 لأعداء الله ، محدوداً لحرب الله تعالى فستحق العطب والإبعاد في المقلب والمعاد ،
 نعوذ بالله من ذلك .

وإلى المثال الذي صرياه أشار كعب الأحرار قال « دخلت على عائشة فقلت
 لا يسأل عيابه طائر وأديا فصع ، ولسانه ترجمان ويداه حياحان ، ورجلاه بريدان
 والقلب ملك ، فإذا طاب الملك طابت حدوده ، فقال ، هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول »^(١)

وقال علي عليه السلام في تمثيل العلوب « إن الله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب

(١) قال العراقي أخرج أبو حنيفة في طب النبي صلى الله عليه وآله ، والطبراني

في مسند الشاميين ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولا حديث من حديث
 أبي ذر « وأما لادن فصع ، وأما النعم فمقر لنا بوعي القلب » ولا يصح منها شيء .

فأحدثها إليه أرقها وأصمها وأصليها^(١) ثم فسر ما فعل أصلها في أدبها وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان وهذه إشارة إلى قوله تعالى «أشداء على الكفار رحماء بينهم»^(٢) وقوله تعالى «مثل يورده كمشكوة فيها معصاح»^(٣) قبل معناه مثل يور المؤمن وقله وقوله «أو كطلعات في بحر حسي»^(٤) مثل قلب لما فوق وقيل في قوله تعالى «في لوح محفوظ»^(٥) هو قلب المؤمن.

وقال سهل مثل القلب والصدور مثل العرش والكرسي فبهذه أمثله القلب

❖ (بيان مجامع أوصاف القلب وأمثاله) ❖

إعلم أن لا يسار فداصطحت في تركيبة وحلقته أربع شوائب فذلك احتمال عليه أربعة أنواع من الأوصاف ، وهي الصفات السعوية و السيمية و الشيطانية و لرؤيانية فهو من حيث سلط عليه العصب يتعاطى أفعال السماع من العداوة و البغضاء و انتهم على الناس بالصنوب و الشتم ، ومن حيث سلط عليه الشهوة يتعاطى أفعال الهائم من الشر و لحرص و الشوق^(٦) و غيره ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى «قل الروح من أمر ربي» فأنه يدعي لنفسه لرؤيانية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالأموار كلها و لتفرّد بالرئاسة والإسلا^(٧) عن ربه ، للعوديّة و التواضع ، ويشهي الإطلاع على لعلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة ولا يحاطه بحقائق الأمور و يفرح بدسب إلى العلم و يحزن إذا قرر بالجهل و الإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الرئوسية ، ولا يسار حرم على ديث ومن حيث يحتص عن الهائم بالمسير مع مشركته لها في العصب و الشهوة حتمت فيه

(١) نقله الرواسي في نوادر عن السي صفي الله عليه وآله كما في نسخة له عار

ج ٢ ص ٤٤١ وفي له عار ح ١٥ لعمري الثاني ص ٢٩ ع و ص ٣٠ عن فقه الرب

(٢) الفتح ٢٩٠ (٣) النور ٣٥

(٤) النور ٤٠ (٥) الروح ٢٢

(٦) الشوق اشتداد الشهوة ، (٧) لاسلا لاسرع

شيطانية فعاد شريراً يستعمل التمييز في استبطاء وجوه الحل والشر وينوصل إلى الأعراس بالمكر والحيلة والحداع ، و يظهر الشر في معرض الخير وهذه أحلاق الشياطين .

وكل إنسان فعليه شوب من هذه الأصول الأربعة - أعني الرافقة والشيطانية والتسعية والمهيمنة - و كذلك مجموع في القلب ، وكان المجموع في إهاب الإنسان .
 تحرير ، و كلب ، و شيطان ، و حكيم
 والتحرير هو الشهوة فإنه لم يكن التحرير مدفوعاً للونه و شكله وصورته بل لحشعه و كلبه و حرصه .

والكلب هو العصب فإن السمع الصاري أو الكلب العمور ليس كلباً ولا سمعاً باعتبار الصورة واللون والشكل ، بل روح معنى السبعية من الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الإنسان صراوة السمع وعصه و حرص التحرير وشقه ، فالتحرير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمسكر ، والسمع يدعو بالعصب إلى الظلم والإيذاء ،
 و للشيطان لا يزال يبهج شهوة التحرير و غيظ السمع ويعري أحدهما بالآخر
 و يحسن لهما ما هما محمولان عليه

و الحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان و مكروه بأن يكشف عن تلبسه بصيرته الباطنة ، و يوره المشرق الواضح و أن يكسر شره هذا التحرير بتسليط الكلب عليه إذ بالعصب يكسر سورة الشهوة و يدفع صراوة الكلب بتسليط التحرير عليه و يجعل الكل مقهوراً تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر و ظهر العدل في مملكة البدن وحرى الكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها فهروه واستخدموه ، فلا يزال في استنباط الحيل و تدقيق المعكر
 ليسمع التحرير ويرصي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب أو تحرير

و هذا حال أكثر الناس مهما كان أكثرهمهم البطش والفرح و منافسة الأعداء والعجب منه أنه يسكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ، ولو كشف العطاء عنه و كوشف بحقيقة حاله و مثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إثمًا في النوم أو في

البقطة لرأى نفسه هائلاً بين يدي حبيب ساجداً به مرةً وراكعاً أخرى ومضطرباً
لاشارته وأمره فمهما هاج الحبيب لطلب شيء من شهوة استعفى على الفور في خدمته
وإحصار شهوة أو رأى نفسه هائلاً بين يدي كلب عمود عابد ألد مطيعاً سامعاً ينصيه
ويلتمسه مدقاً للمكر في حمل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه
فإنه لذي يهتج الحبيب وينتد الكلب وسعته على سجدته فهو من عدد لوجه
بعد الشيطان بعدهما ، فليس قلب كل عند حر كانه وسكاته وسكوته و بطعه وقبامه
وقعوده و لينظر بعين الصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا بعد طول النهار في عباده
هؤلاء ، وهد عاية الظالم إذ جعل المالك مملوكاً والرب مريداً ، ليس له عند
والقاهر معهوراً ، إذ جعل هو المستحق المشهود والعبر والاستيلاء ، وفسخ حرمه بخدمه
هؤلاء الثلاثة ، والاحرم ينشر إلى مله من طاعته هؤلاء الثلاثة صفتهم اكتم عليه
حتى يصير طبعاً فيه ورباً مهلكاً للقلب وممتاله

أما طاعه حبيب الشهوة فمصدر منها صفة الوفاة والحيث والتسليم والتفكير
والرياء ، ولهيكه والمخاض والعتق والحرص والحشع والملق ، والجود والجدد
واسمائه وغيرها

وأما طاعة كلب العصب فمنسب منها إلى القلب صفة التهور ، والنداء والمدح
والصاف والاستشاطة والتكسر والعجب والسهرة ، والفجر ، والاستعفاء والتعجير
الحلق وإرادته الشر وشهوه العلم وغيرها

وأما طاعة الشيطان بطاعه شهوه والعصب فيحصل منه صفة السكر والجداع
ولحيلة ولذاه ، لحر برد وانفليس ، المصير ، لعش والحب والحنى وأمثالها
ولو عكس الأمر وهو لجميع حب سياسة الصفة الرئاسة لاستغفر في انقلب من
الصفات الرئاسية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ، ومعرفة الأمور
على ماهي عليه ، لاسيلا ، على ذات كلفة بقوة العلم والصيرة ، استحقاق التقدم
على لخلق بكمال العلم وحالاته ، لاستعفى عن عباده الشهوة والعصب ولا ينشر
إليه من صط حبيب الشهوة وردة إلى حد الاعتدال صفت شريفة مثل لعفة

والفصحة ، الهدى ، الإرادة والورع والتقوى والابسط وحسن الهيئة والحياء والظرف
 والمساعدة ، أمثلها ، و يحصل فيه من ضبط قوة العضد وقهرها ، و ردها إلى حد
 الواجب صفة الشجاعة ، الكرم ، السخاء وضبط النفس ، والعزم والاحتمال
 ولعمرو والثبات والنبل والشهامة والوفاء وغيرها

والقلب في حكم مرآة قد اكتسفت هذه الأمور المؤثرة فيه ، وهذه الآثار على
 التوالي واصله في القلب ، أمّا الآثار المحموده التي ذكرناها ، فإنها تريد مرآة
 القلب خلالة وشافاة ، نور ، صاف حتى يتلأل فيه حايثة الحق ، ويكشف فيه
 حقيقة الأمر المطلوب في الدين ، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى : « يا
 أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ حَمَلَهُ وَاعْطَى مِنْ قَلْبِهِ » ، و بقوله تعالى : « مَنْ كَانَ مِنْ قَلْبِهِ
 وَاعْطَى كَأَن عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حِفْظٌ » ^(١) ، وهذا القلب هو الذي يصغر فيه الدكر فالله
 تعالى : « لَا يَذْكُرُ اللَّهُ ظُمُتُ الْقُلُوبِ » ^(٢)

و أمّا الآثار المدحومة فإنها مثل دحسن مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ، ولا
 يراها بشرا كم عليه مرء بعد أخرى إلى أن يسود و يظلم و يصير بالكليّة محجوباً
 عن الله تعالى ، وهو الضلع والرئيس قال الله تعالى : « كَلَّا لَئِنْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا
 كَانُوا يَكْسِبُونَ » ^(٣) ، و قل الله : « أَلَوْ شَاءَ أَصْبَاهُمْ بِدُونِهِمْ وَ نَطَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ » ^(٤) ، و ربط عدم السماع بالطمع بالدنوب كما ربط السماع بالتقوى
 حيث قال : « اسْمَعُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا » ^(٥) ، « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا » ^(٦) ، « وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَيَعْلَمَ كَمَنْ اللَّهُ » ^(٧)

(١) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة و أساده صحيح

كما في الجامع الصغير .

(٢) قال إسماعيل لم أجده أصلاً أقول : في السج خ ٨٨ نظيره ، وروى الشيخ في

إماميه بأساده عن علي بن الحسين عبيد السلام قال : « إني آدم لا تتران بحير ما كان الله و اعطى »

(٣) الرعد : ٢٨ - (٤) المصفين : ١٤

(٥) الامراف : ٩٩ - (٦) البائدة : ١٠٨

(٧) آل عمران : ٥٠ - (٨) البقرة : ٢٨٢

و منها تراكت الذنوب طبع على القلب و عند ذلك يعنى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويسمى بأمر الآخرة و يستعظم أمر الدنيا و يصير مقصود لهم عليه فإذا فرغ سمعه أمر الآخرة و ما فيها من الأخطار دخل من أدن و خرج من الأخرى ، و لم يستقر في القلب ولم يحركه إلى السوء ، لتدارك ، أولئك الذين « يسوا من الآخرة كما يسى الكفار من أصحاب العور » و هذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما يطق به القرآن والسنة

أقول: روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال « ما من عبد إلا وفي قلبه كفة بيضاء ، فإن أدب دنا خرج في الكفة نكهة سوداء ، فإن تاب ذهب ذلك السواد ، وإنتمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يعطى البياض فإذا عطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً ، و هو قول الله عز وجل « كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » ^(١)

وعنه عليه السلام « إن العلوب ثلاثة قلب منكوس لا يمي شيئاً من الخير و هو قلب الكافر ، و قلب فيه كفة سوداء والخير والشر فيه يمتلحان فأيهما كانت منه غلب عليه ، و قلب مفتوح فيه مصابيح يرهر لا يطفى ، يورده إلى يوم القيامة و هو قلب المؤمن » ^(٢)

(١) رواه الكشي في الكافي ج ٢ ص ٢٧٢ تحت رقم ٢٠ وقوله غلب السواد

« تبادى في السوء » أى لحق فيه ودام غلب و لرب الطمع و نهضت الكلام في المنام هو أن من عمل عملاً صالحاً أثر في نفسه و زاد ما يعمل يرداد الصفاء والصفاء حتى يصير كمر آه مخلوقة صافية و من أدب دنا أثر ذلك أيضاً و وارث لها كموارة فإن تحقق عنه فصح و تاب عنه زال الأثر و صارت النفس مصقولة صافية و إن أصر عليه زاد الأثر اسبشوم و هشامى النفس ، و لاعتراف بالتقصير و الرجوع إلى الله بالتوبة و الاستعداد والاعتلاج من العاصي لا محل لشيء من ذلك إلى هذا القلب المظلم و البسائط بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله على العظيم .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٩٣ وقوله « لا يمي شيئاً » أى لا يعطى و لا اعتلاج .

المصارعة و ما ثابها ، وقوله عليه السلام : « من غلب عليه » من « سسة و لصير للقلب

وَمَا قَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَنْ أَعْلَبَ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا يَحْرَبُ بَحْرَابُ النَّاسِ .
 قَالَ أَبُو حَمْدٍ : وَعَنِ السَّيِّدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَلْبُ الْمُؤْمِنِ آخِرُ ، فِيهِ سِرَاجٌ يَرَاهُ ،
 وَقَلْبُ الْكَافِرِ أَسْوَدُ مَكْسُوسٌ ، ^١ قَطَاعُهُ ، اللَّهُ تَعَالَى بِمَحَالِفَةِ الشَّهَوَاتِ مَصْعَدَةٌ لِلْقَلْبِ
 وَمَعَاصِيهِ مَسَوْدَاتٌ لَهُ ، فَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى إِمْعَاصِي أَسْوَدُ قَلْبُهُ ، وَمَنْ أَسْعَى سَبْعَهُ
 الْحَسَنَةِ وَخَيَّرَهَا ، لَمْ يَطْلُمْ قَلْبُهُ وَلَكِنْ بَعَصَ بَوْرُهُ كَالْمِرْآةِ الَّتِي يَتَقَفَّسُ فِيهَا ، ثُمَّ
 بِمَسْحٍ ثُمَّ بِمَقْفَسٍ ، ثُمَّ بِمَسْحٍ فِي ذِمَّتِهَا لَانْخِلُوا عَنْ كُدُورِهِ ، وَلِلَّهِ تَعَالَى : إِنْ الَّذِينَ
 تَقَوَّاهُ دَمَتِيهِمْ حَتَّى تُنْفِخَ فِيهِمُ الشُّبُهَاتُ بِدُكْرٍ وَأَفَادِهِمْ مَصْرُورٌ ، ^(٢) فَأَحْزَنُ أَنْ حَلَّاهُ
 الْقَلْبُ وَإِنَّمَا بِهِ يَحْصُلُ بِالذِّكْرِ وَتَمَّهَ لَا يَنْصَحُ بِهِ إِلَّا الَّذِينَ اسْمَوْا ، وَلِنَعْوَى بَابُ
 الْإِدْكَارِ ، وَالذِّكْرُ بَابُ الْكُشْبِ ، وَالْكَشْبُ بَابُ الْعَوْرِ لِأَكْبَرٍ وَهُوَ الْعَوْرُ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

(٥) بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة (٥)

اعلم أنَّ محلَّ العلم هو القلب وأعني بالقلب ، للطبقة المدبَّرة لجميع الخوارج
 لمطاعته المحدومة من جميع الأصناف ، وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمِرْآة
 بالإضافة إلى صور لمثلوثات فكما أنَّ للمثلوث صوراً ومثال ثبات الصورة يتطبع في
 المِرْآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة ، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في
 مِرْآة القلب ، تنصَّح فيها وكما أنَّ المِرْآة عَرُ ، وصور الأشخاص غيرُ وحصول
 مثالي في المِرْآة غيرُ فهي ثلاثة أمور فكذلك هي ثلاثة أمور : قلب ، وحقائق
 الأشياء ، وحصول نفس الحقائق في القلب وصورها فيه .

والعلم عبارة عن القلب الذي محلُّ فيه مثال حقائق الأشياء ، والمعلوم عبارة
 عن حقائق الأشياء ، والعلم عبارة عن حصول العلوم في القلب كحصول المثال في
 المِرْآة ، فكما أنَّ المِرْآة لا تنكشف فيها الصور لحمسة أمور أحدها تمان صورته
 كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكَّل ويصقل ، والثاني لحسنه وصدأها وكُدُورته
 وإن كانت تَمَقَّة الشُّكْرِ ، والثالث لكونه معدولاً عنها عن جهة الصورة إلى غيرها كما

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ١٢ عن أبي سبيد الخدرى

(٢) الاعراف : ٢٠١

أن الصورة وراء المرآة . و الرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس
للحجب بالحجة التي فيها الصورة المطلوبة رؤيتها حتى يتعذر بسبب أن يجادي بها
شطر الصورة وحجتها ، فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن يتحلى فيها حقيقة ، بحق
في الأمور كلها ، بما حجب القلوب عن العلوم التي حجب عنها بهذه الأسباب الخمسة
أو لها بعض في داب القلب كقلب الصبي فإنه لا يتحلى له المعلومات بمقتضاها
والثاني كدوره لمعاصي والحش الذي يراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات ،
فإن ذلك يمنع صفاء القلب وحالاه فيمتنع ظهور الحق فيه بفقد طلمته و تراكمه
و إليه لا إشارة بقوله يُضَيِّقُ « من فارق دسأ ورقه غش لا يعود إليه أبدأ » ^(١) أي
حصلت في قلبه كدوره لا يروى أثرها أبدأ إدعايته أن يتبع الدس بحسبه تمحوه بها
فلو جاء بالحسنة ولم تتعد السبب لارداد لأحالة إشراق لقلب وأما بعدد سبب لسيئة
سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يردد بها دوراً
وهذا حصر من بعض لأحاله ، فليس المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة
كأنني لم تبد من أصلاً وتمسح بالمصقلة لزيادة حلاتها من غير دس سابق ، ولا قال
على طاعه الله والإعراض عن معصية الشهوات هو الذي يحلو القلب ويصفيه و
لذلك قال تعالى « والذين جاهدوا في أنفسهم سلباً » ^(٢) و قال يُضَيِّقُ « من
عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ^(٣) .

والثالث أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة ، فإن قلب المطيع
إصالح وإن كان صديقاً فإنه ليس يتضح فيه جلبته الحق لأنه ليس يطلب الحق
ولا يجادي بمرآته شطر المطلوب ، بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات
البدنية أو تهئية أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حصرة الربوبية
والحمايق لحجته الإلهية فلا يكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال
و حديقاً غوب النفس إن كان متفكراً فيها أو في مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها

(١) قال المرفي لم ادله أصلاً (٢) السكوت ٦٩

(٣) أخرجه أبو سفيان في العسة من حديث أس كذا في المعنى وقد تقدم

وإذا كان تعيين اسمهم بالأعمال وتفصل لطاعات مدعاً من انكشاف حليته الحق
فما ظنك في من صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولدائها وعلائقها ، فكيف لا يمنع
عن الكشف الحقيقي ؟!!

والرابع الحجاب في المطمع العاهر لشهوانه ، المتحرر للماكر في حقيقته من
الحقائق قد لا يكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه مد الصى على
سبيل المنديد والقول بحس الطر ، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقته الحق و
يمنع من أن يكشف في قلبه خلاف ما بلغته من ماهر التقليد ، وهذا أيضاً حجاب
عظيم به قد حجب أكثر المتكلمين والمنعصين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين
في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية حجب في نفوسهم
وسحب في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق

والخامس الجهل بالحجة التي مهابيع العنور على المطلوب في طالب العلم ليس
يمكنه أن يجعل العلم بالمجهول لا بالتدريج للعلوم التي يباين مطلوبه حتى إذا
تدكرها ورسمها في نفسه ترسماً مخصوصاً يعرفه العلماء بطريق الاعتبار ، فعدد ذلك يكون
قد عثر على حجة المصلوب وسجلت حقيقة المطلوب لعلمه ، فإن العلوم المطلوبة التي
ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم بحاصله ، بل كل علم فلا يحصل إلا عن علمين
سابقين بالعلم و يردو حان على وجه مخصوص فيحصل من اردو حهما علم ثالث على مثالها
يحصل النتائج من اردو ح الفعل والاشئ وذلك إذا وقع بينهما اردو ح مخصوص فكذا
كل علم فله أصلان مخصوصان في بينهما طريق في الارردو ح ، يحصل من اردو حهما
لعلم المستعاد لمطلوب ، فالجهل بذلك الأصول وبكيفية الارردو ح هو اوسع من
العلم ومثاله ماد كراه من الجهل بالحجة التي لصورة فيها ، بل مثاله أن يريد الإنسان
مثلاً أن يرى قباء بالمرآة فإنه إذا رفع المرآة بآراء وجهه لم يكن قد حادى بها
شطر القباء ولا يظهر فيها القباء وإن رفعها وراء القباء وحاده ، كان قد عدل بالمرآة
من عيه فلا يرى امرأة ولا صورة القباء فيها ، فيحتاج إلى مرآة أخرى يصب ورء
القباء وهذه في مقبلتها بحيث يصورها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تمنع

ولا علّ ولا حيد،^(١) ولدلت قال عليّ عليه السلام ^(٢) «رأى قلبي ربي ! أكره أن يرفع
الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب منه وبين ربه تحلى صورته الملك والملكوت
في قلبه فيرى حبه عرض بعضها كعرض السماوات والأرض ، وأما حملها فكثير سعة
من السماوات والأرض لأن السماوات والأرض عبارة عن عالم الملك وسعته ، و
هو وإن كان واسع الأطراف متاعدا لكاف وهو مسدود على الجملة وأما عالم الملكوت
وهي الأسرار العلية عن مشاهدة الأنصار المخصوصة بإدراك الصائرين ، فلا يستطيعها
بعم الذي يلوح القلب منه مقدار مشاهد ، ولكنه في نفسه ولا يضافه إلى علم الله تعالى
فلا نهاية له ، وحلة عالم الملك والملكوت إذا أُحْدِثَ دفعة وحده نسمي لحصره
برؤوسية لأن الحصره الرؤوسية تحيط بكل الموجودات ، إذ ليس في الموجود شيء
سوى الله تعالى وأفعاله وممكنه وعنده من أفعاله ، وما يتحلى من ذلك لقلب هو
الحصة ببعضها عند قوم ، وهو من استحقاق الحصة عند أهل الحق ، ويكون سعة ملكه
في الحصة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تحلى له من الله سبحانه وصفاً وأفعاله
وإما مراد الطاعات وأعمال الخوارج كلها نصيبه لقلب و تركبته وحالؤه ، قد
أُفْلِحَ من ذلك ، ومراد تركبته حصول أحوال الإيمان فيه أعني إشراف نور المعرفة
وهو المراد بقوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام »^(٣) بقوله
« أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه »^(٤)

بعم هذا التحلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب المرتبة الأولى إيمان لعوام
وهو إيمان التقليد المحض ، والثاني إيمان المتكلمين وهو ممدوح موع سندل و
درجته قريبة من درجة إيمان لعوام السابقة ، والثالث إيمان العرفين وهو استمساكه
بنور اليقين ويتبين لك هذه المراتب مثال وهو أن تصديقك يكون ريد مثلاً في
الدّالة ثلاث درجات الأولى أن يحرك به من حركته بالصدق ولم تعرف قلبك

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن صحيح تحت رقم ٤٢١٦ و «مدحوم القلب»

بالمعجزة هو النبي الذي لا غل فيه ولا حيد ، وهو من حيث لبست أد كسبه

(٢) في الإحياء « قال عمر » .

(٣) الترمذ ٢٢٠

(٤) لاسام ١٢٥

ولا تسميته بالحراف في لقول في قلبك يسكن إليه وطمئن بحره منحرف السماع
وهذا هو الإيمان منحرفاً ، المنفرد وهو مثل إيمان العوام في أنهم طام بلعوا سائر التمييز
سمعوا من آياتهم وأقربهم وجود الله تعالى وعلمه ، وصدق قدرته وسائر صفاته
ويعتد الرسول وصدقته وما جاء به وكما سمعوه فلو لم يشعروا عليه طاماً أو إليه ،
وهم يحضرون سائرهم خلاف ما والوه لحسن طمئنه بآياتهم وأقربهم ومعلمهم وهذا
الإيمان سبب التجرع في الآخرة وأهلها من أوائل رب أصحاب اليمين ولدسوا من
المعريف لأنهم ليس فيه كشف وبصره ، اشرار صدرهم من الحق ، إذ الخطأ يمكن فيه
يسمع من الآحاد بل من الأعداد فما يتعلق بالاعتقادات ، فقلوب المهور ولتدري
أيضاً مطمئنة بما سمعوه من آياتهم وأقربهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم
لقي إليهم الخطأ واعتقدوا الحق لا لاعتقادهم عليه ولكن لأنهم ألقى
إليهم كلمة الحق ، لذلك الشبهة أن سمع كلام ربهم وصوته والدائر ولكن من وراءه
حذر فتبدل بذلك على كونه في الدائر فيكون إيمانهم بصدقته ويعتقد بكونه
في الدائر أقوى من صدقته منحرفاً لسماع في قلبه ، فبعد لك إن رداً في
أيداً ، ثم سمع صوته ازدادت به يقيناً لأن الصوت يدل على الشكل والصورة
عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة ، فعليه يحكم بأن هذا صوت ذلك
الشخص ، فهذا إيمان مروج بدليل والخطأ أيضاً يمكن أن يطرأ عليه ، والصوت قد
يشبه الصوت وقد يمكن التكلف أيضاً بطريق المحاكاة ، لأن ذلك قد لا يحظر
بالسماع لأنه ليس يجعل للشيء موضعاً لا يقدر في هذا اللبس والمحاكاة
عرصاً الدائرة لثلاثة أن تدخل الدائر ونظر إليه بعينك وشاهده فبذلك المعرفه
لحقيقته ، والمشاهدة البصيرية ، وهي شبه معرفه المعرفين ولصدقته ، لأنهم
يؤمنون عن مشاهدة سطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ويتعبرون عنهم
برسه يستحيل معها إمكان لخطأ نعم وهم أيضاً يتدبرون بمقادير العلوم ودرجات
الكشف ، أم الدوائر فمثالها أن تصير ريداً في الدائر عن قرب وفي صحن الدائر في
وقت إشراف الشمس فيكمل لك إدراكه ، والآخرة يدركه في بيت أو من بعد أوفي

وهو عشية ، فتمثل له من صورته ما يستمع معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه
الدقائق ، لحمايه من صورته ، فمن هذا يصور في تصوراته بالأمور لا لهية
وأمم معادير العلوم فهو ما يرى في لداً يريد أن يعرف ، وكما في غير ذلك ، وآخر لا
يرى إلا يريد أن يعرفه ، فثريد بكثرة المعلومات لا يحل له ، فهذا حال الفرد بالاصاحه
إلى العلوم .

❖ (بيان حال القلب) ❖

❖ (بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدنيوية والدينية والأخرية) ❖

اعلم أن القلب يعرّفه مستعداً لقول خلائق العلوم ، أما سمع ، لكن
لعلوم التي يحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية ، وعقلية تنقسم إلى ضرورية
ومكتسبة ، والمكتسبة تنقسم إلى دنيوية وأخرية ، أما العقلية فتعني بها ما
يفضي به عريزه العمل ، ولا يوجد له التقليد والسمع ، وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدرى
من أين حصلت ولا كيف حصلت ، كعلم الإنسان بأن اشتجس لو اوجد لا يكون
في مكان في حله واحد ، والشئ لو اوجد لا يكون حادثاً قديماً ، وجوداً معدوماً
معاً ، فإن هذه العلوم يجد الإنسان نفسه عند نفسي متطوراً عليها ولا يدرى متى
حصلت له ولا من أين حصلت ، أعني أنه لا يدرى فيه شيئاً قريباً وإلا فليس يحصى
عليه أن الله تعالى هو الذي خلقها ، وإلى مكتسبة ، هي لمساعدته بالتعلم والاستدلال
وكلا القسمين قد يسمى عقلاً ، قال علي بن أبي طالب

ذات لعقل عقلي ، فمطوع ومسموع ، ولا يسمع مسموع

إذا لم يكن مطوع ، كما لا تسمع الشمس ، وصوت العين بمنوع

والأول هو المراد بقوله علي بن أبي طالب : ما خلق الله خلقاً هو أكرم عليه من العقل ،^(١)

والثاني هو المراد بقوله علي بن أبي طالب : إذا تقررت السمع إلى الله تعالى

أنواع البر ففقرت إليه ، ثم بعقلك ،^(٢) لا يمكن التفرغ بالعرية ، العظيمة ولا

(١) تقدم سابقاً وأخره لرمذي الحكيم في بواذر الأصول بأحد صيغ

(٢) راجع الرسالة للمراجه لا من سبيل من ١٥ وقد تقدم في المجلد الاول

والعلوم أصروا رتبة بل بالمكتسبة والحق مثل علي ^(١) هو الذي يقدر على لتقريب
 باستعمال العنق في اقتصاص العلوم التي بها يزال القرب من الله تعالى ، و القلب حار
 محرقى أعين ، وعريرة ، العمل فيه حاربه محرقى قوّه ، النصر في العبي وقوّه الأضمار
 لطيفة يعقد في الأعمى وتوحد في البصير ، وإن كان قد عمص لعين أو حس عليه الليل ،
 والعلم يحصل فيه حار محرقى قوّه إدراك ، النصر ، ورؤيته لأعيان الأشياء وتاخر
 العلوم عن عن العمل في مدته ، الصبي إلى أول التمييز أو البلوغ يصاهي تأخر
 له قوّة عن النصر إلى أو ان إشراف الشمس و فيضار نورها على المبصرات ، والقلم
 الذي يستدر الله به العلوم على صفحات القلوب يحرقى محرقى قرص الشمس ، وربما
 لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه ما تهيأ بعد لقول بعض
 العلماء ، و يعلم عدده عن خلق من خلق الله تعالى جمعه سبباً لحصول نقش العلوم في
 قلوب البشر ، و ل الله تعالى « علم بالعلم » علم الإنسان ما لم يعلم ، ^(٢) و قلم الله
 سبحانه لا يشبه فلم خلقه كما أن وضعه لا يشبه وصف خلقه ، فليس قلبه من قصب
 ولا خشب كما أن دانه ليست من حوهر ولا عرس ، وطوارفة بين البصير ، والاطمة
 والنصر الطاهر صحفة من هذه الوحوه ، لا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف فإن
 للبصير ناصبه هي عين الشمس التي هي لأطمة المدكورة وهي كالقارس وليس
 كالقارس وعين القارس أصغر على القارس من عيني العرس ، بل لا نسبة لأحد البصريين
 إلى الآخر ، وطوربه بصيرة الباطن للظاهر سمّاه الله تعالى باسمه ، فقال
 « ما كذب المؤاد ما رأى » ^(٣) سمّي إدراك المؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى « وكذلك
 يرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ^(٤) وما أريد بذلك لرؤية الظاهرة فإن
 ذلك غير مخصوص بإبراهيم ^(٥) حتى يذكر في معرض الامتنان وبذلك سمّي صدق
 إدراكه عني فقال تعالى « فانتها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في
 الصدور » ^(٦) و قال تعالى « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل »

(٢) لعم ١١ .

(٤) لعم ٤٦

(١) القل ٥٤ .

(٣) الانعام ٧٥

سبلاً^(١) عهد بيان العلم لعقلي

أف العلوم الدنيوية هي ما حوزته بطريق التقليد من الأئمة، صلوات الله عليهم
وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومعنيهما بعد الاستماع
وبه كمال صفة القلب وبه سلامة عن الأوهام والأفهام، فالعلوم العقلية غير كافية
في سلامة القلب، وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف في استدامة أسباب صحته
لنفس بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية، باعتبار طريق التعلم من الأطباء،
بمحرر العقل لا يهدي إليها ولكن لا يمكن فهمه بعدد ما عي لا يفعل إلا على بعض
عن السمع ولا بالسمع عن العقل فاندفع إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية
حاضر، والمكسبي بمحرر العقل عن أوهام القرآن واسمعة معروفي، فيبدأ بشيكون
من أحد الفريقين وذكر جمعا من الأخص فالعلوم اعتقدت كالأغذية والعلوم
الشرعية كالأدوية والشخص لم يمس بمحرر، بعدد، فهم فيه لدور، فكذلك شأنه من
القلب لا يمكن علاجه إلا بأدوية مسبوقة من السريعة وهي وظائف العبادات
والأعمال النية، كما أن الأئمة، صلوات الله عليهم لإصلاح العلوم فمن لا يداوي قلبه
المريض بمعالجات العبادات الشرعية والكسبي والعلوم العقلية، واستصرها كما يستصر
المريض بالعد، وطى من طوى أن العلوم العقلية موصلة للعلوم الشرعية وأن
الجمع بينهما أمر غير ممكن هو طى من طى عن عمى في عين لمصره يعودتة من ذلك،
بل هذا القائل ربما ينافى عنه بعض العلوم الشرعية، بعض ويعجز عن الجمع بينهما
فيطو أنه ناقص في الدين ومنجته، بذلك ويسل من الدين سلال شعيرة من
لعجين وإما ذلك لأن عجزه في نفسه حمل إسه بعض في الدين وهيبات، وسمها
مثاله مثل الأعمى الذي دخل داراً ويعثر فيها بأواني الأداة فقال ما بال هذه الأواني
تركب على الطريق لم لا ترد إلى مداخلها؟ فقيل له تلك الأواني في موضعها
فإنما أنت لست تهدي إلى الطريق لعمالك، لعجب منك، فكذلك لا تحصل عشرتك على
عمالك وإما تحيلها على نصير غيرك بهذه سبلة العلوم الدنيوية في العقلية

فإن العلوم لعملية فتقسم إلى دنيوية وأخرية فالدنيوية كعلم الطب
والحساب والهندسة والعلوم و سائر الحرف والصناعات ، والأخرية كعلم أحوال
القلب وآفات الأعمال و لعلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم
وهما علمان متفاضلان أعني من صرف عاينه إلى أحدهما حتى يتعمق فيه قصرب
نصيرته عن الآخر على الأكثر ، ولذلك صرب علي عليه السلام الدنيا والآخرة بثلاثة
أمثلة فقال « هما ككتفي الميراث ، والمشرق والمغرب ، والصرئين إذا أرضعت
إحديهما أسحطت الأخرى » ^(١) ولذلك يرى الأكس في أمور الدنيا وفي علم الطب
والهندسة والحساب والفلسفة حتماً في أمور الآخرة ، ولا كبس في دقائق علوم
الآخرة حتملاً في الأكثر معلوم لديب ، لأن قوة العقل لا تنفي بالأمريين جمعاً في
العالم فيكون أحدهما مابعاً من الكمال في الثاني ، ولذلك قل عليه السلام « أكثر
أهل الجنة الله » ^(٢) أي السليبي في أمور الدنيا

قال بعض لسلف أدركنا أقواماً نور أسموهم عندهم محابين وبورأؤكم
لقابوا شياطين فمهما سمعت أمراً عريباً من أمور الدين حجده أهل الكياسة في
سائر العلوم فلا يقررتك حدودهم عن قبوله ، إذ من المحال أن يظهر سالك طريق
المشرق بما يوجد في المغرب ، فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال الله
تعالى « إن الدس لا يرحون لفاءها و رصوا بالحيوة الديب واصمأوا بها » ^(٣) وقال
تعالى « يعلمون ظاهر أ من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » ^(٤) وقال
تعالى « فأعرض عن من نوتى عن ذكرنا ولم يرد إلآ الحيوة الديب » ذلك منلهم
من العلم ^(٥) فالجمع بين كمال الاستصار في مصالحي الدنيا والدس لا يكاد يتيسر

(١) في السج ابور الحكم تجد رقم ١٠٣ « ان الدنيا والآخرة عدون معاوتان
و سبلان مخلعان فمن أحب الدنيا وتولاهما أصعب لآخرة وعداها ، وهما سلة المشرق
و المغرب و ماش بينهما ، كلما قرب من واحد بعد من الآخر و هما صرتان

(٢) أخرجه الدرر عن أسيد صديق كما في الجامع الصغير

(٣) يوس ٧ . (٤) الروم ٧ .

(٥) النجم : ٢٩ و ٣٠ .

لأن روح الله سبحانه في معاشهم = معارفهم وهم لأبد ^{في الدنيا} المؤمنين
روح القدس المستمدون من القوة الإلهية فقلوبهم يتسع لجميع الأمور ولا يتغير
عقب ، ومما قلوبهم من الخلق فإنها إذا اشعلت بأمر يصر من الآخر وقدر
عن الاستكمال عنه

٥) بيان الفرق بين الإلهام والتعلم ٥

(والفرق بين صريحي المجاهدين في تنكاف الحق وضيرو الطريق لا كسب)
علم أن العلوم التي ليس سريرة وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال
يختلف أحوال في حصولها فتارة بهجم على القلب كأثره التي فيه من حيث لا يدري
فأثره تنكسب بطريق الاستدلال : اتعلم ، فألذي يحصل لا طريق الاكتساب
وحيلة الدائم يسمى إلهاماً ، والذي يحصل بالاستدلال يسمى إختياراً أو استنباطاً
ثم أوضاع في القلب بعد حيلة و محتمل و احتداد من بعد تنقسم إلى ما لا يدري
أبعد أنه كيف حصل ، و من أين حصل ، و إلى ما مطلع عنه على السبب الذي
منه استعبد ذلك لعلم وهو بمشاهدة تلك المثل في القلب ، و الأول يسمى إلهاماً
و ثانياً في لروح و الثاني يسمى وحيماً ، يختص به الأنبياء ^{عليهم السلام} ، و الأول
يختص به لأدب ، و الأصعب ، و الذي قبله ، و هو لما كسب بطريق الاستدلال .
يختص به لعامة

و حقيقة لقول فيه أن القلب مسعد لأن يتحلى فيه خمسة أحوال في الأشياء ،
لأنها و إنما حصل بينه وبينها لا سبب خمسة أي سقود كرها وهي كالحوادث
لمسائل الحائل من مرآة القلب و بين اللوح المحفوظ الذي هو موقوف ، بجميع ما
قضى لله تعالى به إلى يوم القيمة و تحلى حقائق العلوم من مرآة اللوح و مرآة القلب
بما هي ابتاع صورته من مرآة في مرآة لها ، و الحادث بين امرأتين نازة يراى
بأسد ، و آخرى يروى بهبوب ريح تحركه ، كدلت قد بهت رباح الألف و تنكسب
الحجب عن عن لقلوب فتتحلى فيها بعد ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ، ويكون

ذلك تدره عند الملم بمكشف فيه ما سيكون في المستقبل ، و تمام ارتفع الحجاب
 ملوث وبه بمكشف العطاء ، وفي البعثة أيضاً قد ينفتح الحجاب بطلب حقيقي من الله
 تعالى ، فيلمع في القلب من وراء سبر العجب شيء من عز رب العلم نارة كالسرق
 المحاط ، و أخرى على التوالي إلى حد ما و دوامه في غاية الدور . فلم يفارق
 الإلهام الاكتساب في نفس العلم ، ولا في محله ، ولا في سببه ، ولكن يفارقه من جهة
 روال الحجاب و أن ذلك ليس باحتساب العبد ، لم يفارق لوحى الإلهام في شيء من
 ذلك بل في مشاهدة الملك المعبد للعلم ، و في العلوم إما ما يخص في قلوب بواسطة
 الملائكة و يبيد الإشارة بقوله تعالى : وما كان لنبأ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من
 وراء حجاب أو يرسل رسولاً فبوحى بأمره ما يشاء ^١

فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل المصداقة إلى العلوم لا لمهمة دون
 لتعليمية ، ولذلك لم يحرموا على دراسة العلم و يحصل من هذه المهمة
 والبحث عن الأقويل والأثر المدكورة ، بل قالوا لطريق تعدد المصداقة بمحبة
 الصانع المندومة وقطع العلائق كلها و الإقبال بكمية المهمة على الله تعالى ، فمهما
 حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لعب عبده واستكمل بسبوره دوائر لعدم ودا
 بولكى الله تعالى أمر لعب فاصت الرخصة : أشرف النور في القلب ، و شرح الصدر
 و انكشف له سر الملكوت ، و انفتح عن وجه القلب حجاب العزلة بطلب الرخصة
 . بلائق حقائق الأمور لا لاهية فليس على المرید إلا الاستعداد بالنصيبة المحررة
 و احصار المهمة مع الإرادة الصادقة و العطش لتكم ، و التزمّد بدوام الانتظار لما
 يفتح الله من لرحمة ، فالأنبياء و الأولياء انكشف لهم الأمور و فاض على صدورهم
 لنور لا يتعلم و الدراسة للكتب بل بالرّشد في الدّيب ، و التبرّي عن علائقهم و
 تعريق قلب عن شواغلها ، و الاقبال بكمية المهمة على الله تعالى : فمن كان لله كان الله له
 و رعو أن الطريق في ذلك أولاً أن يعطع علائق الدّيب بالكلفة ، و يعرّع قلبه عنها
 و ينقطع عنه عن الأهل و المال و الولد و الوطن و عن العمل و الولاية و لجاه من

يصير قلبه إلى حاله مسوي فيها وجود كل شيء، وعدمه . ثم يحلو بنفسه في رايه مع
الاقتصار على القرئص والروايات ، ويحلى فارع القلب مجموع الهمم ، ولا يفرق
فكره بغيره قرآن ولا بالتأمل في تفسيره ولا يكتب حديث وغيره بل يحتهد أن
لا يحظر به شيء سوى ذكر الله تعالى ، فلا يزال بعد حلوله في الحلوة قائلاً بلسانه
« الله الله » على الدوام مع حصول القلب إلى أن يستهي إلى حانة يترك تحريك
لسانه ويرى كأن الكلمة حاربه على الأسر ثم يعبر عليه إلى أن يمحى أثره
من اللسان ويصادف قلبه مواظماً على الذكر ، ثم يواطى عليه إلى أن يمحى عن
القلب صور اللفظ وحرارة هيئة الكلمة و يبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاصراً
فيه كأنه لازم له لا يعرفه وله احتياز إلى أن يستهي إلى هذا الحد و احتياز استدامه
هذه الحالة يدفع انوسواس و ليس له احتياز في استخلاف رحمه الله بل هو بما فعله
قد تعبر من لمحات الرحمه فلا يلقى إلا الانتظار لما يعنح الله له من رحمته التي فتحها
على الأنبياء و الأولياء بهذا الطريق . وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته ،
و حسب مواظبته ، ولم تحاذيه شهواته ، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا ،
فتلحم لوازم الحق في قلبه ، ويكون في ابتدائه كالسرى الحاطف لا يثبت ثم يعود
و قد يتأخر وإن عاد فقد ثبت و قد يكون عطفاً و إن ثبت فقد يطول ثباته ، وقد
لا يطول ، و قد يتظاهر أمثاله على التلاحق ، و قد يقصر على من واحد و مسائل
أولياء الله فيه لا يحصى كما لا يحصى تفاوت حلهم و حللهم . وقد رجع هذا الطريق
إلى تطهير محض من حائث و تصفية وحلال ، ثم استعداد وانتظار فقط
و أمّا سطر ودوا الاعتذار فلم يسكروا وجود هذا الطريق و مكانه ، و إحصاؤه
إلى المقصد على الدور ، فإنه أكثر أحوال الأنبياء و الأولياء ولكن استوعروا هذا
الطريق و استطؤوا ثمرته ، واستعدوا اجتماع شروطه ، و رعموا أن محو العلائق
إلى ذلك الحد كالمعتد و إن حصل حاله فثباته أبعده إذا دى وسواس و خاطر
يشوش القلب ، قال رسول الله ﷺ « قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في

عليها ، و قال **الشيخ** : و قلب المؤمن بين أصعب من أن يعرّف من يقبّله كيف يشاء ، و في أثناء هذه المحادثة قد تعدد المراح و يحسب العقل و يعرض لبدن و قد ألم بعدد رياضة النفس و تهذيب بحقائق العلوم بشب بالمدح حالان و سده بطنس لنس إليها مدّة صويده إلى أن مرّ و لعمر يستعني دون لمخاح فيها فكم من محاهد سلك هذا الطريق ثم بقي في حيال واحد عشرين سنة ، و لو كان قد أنفد العلم من قبل لا يفتح له وجه الساس ذلك الحبل في الحلال ، و لا شغال بطريق لتعلم أو ثق و أقرب إلى العرس ، و رعموا أن ذلك يصاهي ما لو تركه ، لا يسان تعلم لعمد و رعموا أن السى **الشيخ** لم يعلم ذلك ولكن سر و صيماً بالوحى و الإلهام من غير تكرير و تعليق و يقول : أن نصارى ما شئت في الرصة إليه و من ص ذلك فقد ندم نفسه و صيغ عمره بل هو كمن ترك طريق الكعب و أحراره رجا ، لغور على كرم من الكور في دث ممكى ، بكته بعدد هذا ، و كذلك هذا فعدوا لا بد أو لا من الحصول ما حدثه العلم ، و هم ما قالوه ثم لا بأس بعد دث لا سطار لما لم يكتشف لسائر العلم ، فعساه يكتشف بالمحادثة بعد ذلك

٥ (بيان الفرق بين المفامين بمثال محسوس)

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدارك الحواس لأن القلب يصاح خارج عن إدراك الحس و ما ليس مدارك الحواس يصعب الأفهام عن إدراكه إلا بمثل محسوس و نحن نقر ذلك إلى أفهام الصعده بمثلين أحدهما إدراك و صر حوصاً محسوساً في الأرض احمّل أن يسقى ماء إليه من فوقه بأبهار يفتح إليه و يجتمس أن يحفر أسفل الحوص ويرفع منه التراب إلى أن يقر من مستقر الماء الصا و فيفسح الماء من أسفل الحوص و يكون ذلك الماء أصفى و أديم و قد يكون غرر و أكثر

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٦ ص ٤ من حديث المقداد بن الأسود

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرج ج ١ ص ٥٢٥ و ح ٤ ص ٣٢١ و فيه د م م

فكذلك القلب مثل الحواس والعلم مثل الماء والحواس بحجمه مثل الأنهار ويمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الجسد والاعتناء بالمشاهدات حتى يمتلئ علماً ويمكن أن تسد عنه هذه الأنهار بالخلوة والعزلة بعص الصبر ويعمد إلى عمق القلب ينظيره ويرفع ضمعات الحب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داحله

• في قلبي كيف ينفجر لعلم من ذات القلب وهو حل عنه ، واعلم أن هدا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بدكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطوره في اللوح المحفوظ ، بل في قلوب الملائكة المقربين ، فكما أن المهندس يسطر صورته أبسة الداء في بناس ثم يحرقها إلى الوحد على وفق تلك السحرة ، وكذلك فاعرف السموات والأرض كتب سجده لعالم من أدنه إلى آخره في اللوح المحفوظ ، ثم أخرجها إلى الوحد على وفق تلك السحرة والعالم الذي خرج إلى الوحد بصورته يتأذي منه صوره أخرى إلى الحواس والخيال ، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يعرض صوره السماء والأرض في حياته حتى كأنه ينظر إليها ولو اعتمد السماء والأرض ثم يعني هو لوحد صوره لسماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ، ثم يتأذى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي حجب في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال ، والحاصل في الخيال موافق للعالم الموحود في نفسه خارجاً عن خيال الإنسان وقلمه ، والعالم الموحود موافق للسحرة الموحوده في اللوح المحفوظ .

وكان للعالم أربع درجات في الوحد ووحود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبعه وجوده الحقيقي ويسبق وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ، ويسبق وجوده في الخيال وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب .

وبعض هذه الوحدوات روحانية وبعضها جسمانية ، والروحانية بعضها أشد روحانية من بعض ، وهذا الطب من الحكمة الإلهية يد جعل حدوثه على صغر

حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسعاب والأرض على اتساع أكفافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال ، ثم منه وجود في القلب فإليك أبدأ لاتدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يحمل للعالم كله مثلاً في ذلك لما كان لك حس بما يدين ذلك ، فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب ولا بصر حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وعجايبها فلنرجع إلى المقصود .

فنقول القلب يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من اقتباس الحواس وتارة من اللوح المحفوظ ، كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها ، وتارة من النظر إلى الماء الصافي الذي يعاين الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه ويعبر إليه العلم منه فاستعنى عن الاقتباس من مداحل الحواس فيكون ذلك كتنحجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقل على الحيايات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ ، كما أن الماء إذا اجتمع من الأنهار في الحوض منع ذلك عن التنحجر من الأرض ، وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس فإذن للقلب بابان باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس امتنعت بعالم الشهادة والملث وعالم الشهادة والملث أيضاً يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكات ، فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يحق عليك ، وأما انفتاحه الدأخلاقي إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقيناً بالتأمل في عجائب الرؤيا ، وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل ، أو كان في الماضي من عبر اقتباس من حجة الحواس ، وإنما ينفتح ذلك الباب لمن أقرده ذكر الله تعالى .

قال النبي ﷺ « سبق المفردون . قيل : ومن هم يا رسول الله ؟ قال :

المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا أعباءه خفف^١ ثم قال في وضعهم حكاية عن الله تعالى أقبل عليهم بوحىي ترى من واحة بوحىي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ، ثم قال عز وجل^٢ : **وَلَوْ مَا عَظَّمْتُمْ أَنَّ أَقْدَفَ مِنْ يُوْزِي فِي قُلُوبِهِمْ فَيَحْجَرُونَ عَنِّي كَمَا أَحْجَرْتُمْ عَنْهُمْ** ،^٣ و مدخل هذه الأجزاء هو القلب ، الباطن ، فإذن العرف بعلوم الأسماء والأولياء ~~وغيرهم~~ و بين علوم الحكماء والعلماء ، هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من باب المفتوح إلى عالم الملكوت ، وعلم الحكماء ، تأتي من أبواب الحواس ، المفتوحة إلى عالم الملكوت ، وعجائب عالم القلب ووردت من عاصي شهادته و العيب لا يمكن أن يستغنى في علم المعاملة ، فهذا مثال يعرف الفرق بين مدخل العلمين

المثال الثاني يعرف الفرق بين العملين أعني عمل الأولياء وعمل العلماء ، فإن العلماء يعملون في اكتساب علوم واحتلاب إلى القلب ، والأولياء يعملون في خلاص القلب و تطهيره و تركيبه و تصفيه و تصفيه فقط وقد حكى أن أهل الصلوة وأهل الرؤوم تساهوا بين يدي بعض الأولياء بحسن صاعقة بعض فاستقر رأي الملك على أن يسلم إسمهم صفة لبعض أهل الصلوة من جانباً وأهل الرؤوم من جانباً و يرحى بينهم حجاب يسمع اطلاع كل فريق على الآخر ، فعلم ذلك وجمع أهل الرؤوم من الأصابع العربية ما لا يحصى ، و دخل أهل الصلوة من غير سمع و جعلوا يعملون حاسمهم و يعملونه فلم يرفع أهل الرؤوم ادعى أهل الصلوة أنهم أيضاً قد رفعوا فتعجب الملك من قولهم وأدبهم كيف رفعوا من بعض صاع فقيل ، وكيف رفعهم من غير صاع ؟ فقالوا ما عليكم من رفعوا الحجاب ، فرفعوا في أحاسنهم قد تلالأ فيه عجائب الصائغ الرؤومة مع زيادة إشراف و بريق ، إذ صار حاسمهم كالمرآة احتلبيته لكثرة التفصيل فإرداد حسن حاسمهم بمن يد الصفة^(٢)

(١) أخرجه الترمذي والعياض ما دى اختلاف عن أبي هريرة ، والطبراني في الكبير عن أبي لدراده سند صحيح كما في الجامع الصغير ، وأخرجه البيهقي في الشعب سند صحيح كما في المعنى

(٢) القصة نظماً المولوى في مشوبه وجعل ممكن الرومى جنى وبالعكس وقال ←

و کذلك عسا به الأولياء بظهير القلب : حالاته و بر کفته و صفاته حتی
 يتلأأ فيه حليته الحق سبابة الإشراف كفعل أهل عسى و عناية لعلمه و الحكماء
 باكتساب نقش العلوم و يحصل نقشها في القلب كفعل أهل الرؤوم و كيف ما كان
 الأمر فعلى المؤمن لا يموت و علمه عند الموت لا يمحى و صفاؤه لا يسكنه ، و إليه
 أشار من قال : تراءى لا يأكل محلّ الإيمان ، و يكون وسيلته المعرفة إلى الله
 تعالى ، أمّا ما حصله من نفس العلم أو ما حصله من الصفاء و الاستعداد لفنول نفس
 لعلم فلا عنى به عنه فلا سعاده لأحد إلا بالعلم و المعرفة

و بعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا عنى إلا بالمال و صاحب الدرهم
 عسى و صاحب الجرائد امداره عسى ، و تنفون دوحات لسعداء بحسب نفون
 لمعرفة و الإيمان كما ينفون دوحات الأعباء بحسب قلّة المال و كثرتة ، و امدار
 أنوار و لا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قل الله تعالى : « يسعى
 نورهم من أيديهم و بأيمانهم » ١١ و قد ورد في الخبر : « أن بعضهم يعطى نور مثل
 الجبل و بعضهم يعطى نورا أصغر منه حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نور على

رومان در علم و فقه بر بند
 خاص سپارید و يك آن شما
 آن یکی چینی ستند رومی دیگر
 پس حریه باز کرد آن از جمله
 چینیان را و اقامه بود و عطا
 در حور اندکار در جرد هم رنگ
 همچو گردون ساده و صافی شدند
 از پی شادی دهلبا میردند
 میبود آن عمل را و هم را
 پرده را بالا کشیدن از میان
 زد بر پی صافی شده دیوارها
 دیده را از دیده خفته میبود

اهل چینی و روم در بحث آمدند
 چینیان گفتند یکخانه بنا
 بود دو خانه مقابل در بند
 چینیان صد رنگ رفته خوانند
 هر صباخی از خزینه و نگها
 رومیان گفتند بیفتی و نه رنگ
 در مرو شدند و عقیل میردند
 چینیان چون از عمل فارغ شدند
 شه در آمدند ایضا نقشها
 بعد از آن آمد سوی رومیان
 عکس آن تصویر آن کردارها
 هر چه آنجا بود اینجا به نمود

فقد ربهام قدمه، وبصبي مرء، وببطيخ، وأخرى في دأ أمه، فقدم قدمه ومشى، يد صهي، فام،
و مرورهم على الصراط على قدم، و عم، و منهم من يمر كطرف عين و منهم من يمر
كالبرق و منهم من يمر كالسحاب و منهم من يمر كالنقاص الكوكب^(١) و منهم من يمر
كشد الفرس و الذي أعطى نوره على ربهام قدمه يتحد على وجهه و يديه و رجليه
تجر منه بد، و يعلق أخرى و يجر رجل و يعلق أخرى و يصب حواشيه لنار و قال
ولا يزال كذلك حتى يحلص - الحديث - .

فهذه يظهر موت الناس في الأيمان، فإيمان واحد يعوام نوره مثل نور
السراج، و بعضهم نوره كمنور الشمعة، وإيمان لصد يقين نوره كمنور استجوم و لغير
و إيمان لأتبع، كمنور الشمس و كما يكشف في نور الشمس صورته، لا يبق مع
تساع أقطارها و لا يكشف في نور لسراج إلا أرويه صيغة من الباب و كذلك
ينعاقب شراح الصد بالمعروف و يكشف سعة الملكوت لعلوب العارفين

و لذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه
مثقال من الإيمان و نصف مثقال و ربع مثقال و شعيرة و ذرة^(٢) كل ذلك تسببه على
عاقب درخت الإيمان، فإن هذه المعادير من الإيمان لا تمتنع دخول النار و في
مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار ولو دخل لأمر بأجر حه
أو لا فإن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار و إن دخل

و كذلك قوله عليه السلام «ليس شيء خير من ألف مثله إلا أنسان أو مؤمن»^(٣)
إشارة إلى تفصيل قلب العارف المؤمن فإنه خير من قلب ألف من عوام الناس .

و قد قال الله تعالى «وأنتم الأعلى إن كنتم مؤمنين»^(٤) تفصيلاً للمؤمنين

(١) نفس الطراز انصافاً هو خلق و لغرض إخراج صدره الحاكم في السند
ح ٢ ص ٤٧٨ بأدب اختلاف سند صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه ابن أبي شبة و ابن
حرير وابن السكيت و ابن أبي حاتم وابن مردويه أيضاً كما في الدر المنثور ح ٦ ص ١٧٢
(٢) أخرجه مسلم ح ٢ ص ١١٧ بأدب اختلاف في اللفظ .

(٣) أخرجه لطراي في الكبير عن سلمان بن سعيد صحيح كما في الجامع الصغير

(٤) آل عمران : ١٢٩ .

على اسمائهم و امرادهم المؤمن العارف دون المقلد ، وقال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ ^(١) فأراد بهما المؤمنين المؤمنين الصادقون من غير علم و متبرهمين عن الدين اوتوا العلم و بذلك دأب على أن اسم المؤمن يقع على المقلد و إن لم يكن مصديقه عن حقيقة و كشف ، و فسر ابن عباس قوله تعالى ﴿ والذين اوتوا العلم درجات ﴾ ^(٢) قال يرفع الله العالم هو المؤمن سعيه و درجته ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

وقال ^(٣) : ﴿ فصل لعالم على العابد كمصلي على آدمي رحل من أصحابي ﴾ ^(٤) وفي رواية كمصل العمر على سائر الكواكب ، وقال ^(٥) : ﴿ أكثر أهل الجنة سلمة ﴾ و عليون لدوي الألب ^(٦) بهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات أهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم و معرفتهم و لهد كان يوم اعيامهم يوم التعاس إذ المحروم من رحمة الله عظيم لعن و الحسرات ، و المحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كقطر العسل الذي يملأ عشرة دراهم إلى العسل الذي يملك لأرض من المشرق إلى المغرب و كل واحد منهما عسل ولكن ما أعظم الفرق بينهما ، و ما أعظم الفرق على من بحسب حلقه منه ، قال الله تعالى ﴿ وللاخرة أكبر درجات ﴾ و أكثر تفضيلاً ^(٧) .

﴿ بيان شواهد الشرع ﴾

على صحة طريق أهل المجاهدة في اكتساب المعرفة لا من التعلم

ولا من الطرق المعتادة

علم من اكتشف به شيء ، ولو بشيء ، ليسير طريق الإلهام والوقوع في الغيب من حيث لا يدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق و من لم يردث من نفسه قط

(١) المعادلة : ١١

(٢) أخرجه البرمدي ج ١٠ ص ١٥٨ و قد تقدم في المجلد الاول ص ١٦

(٣) تقدم آنفاً دون هذه الزيادة .

(٤) الاسراء ٢١

فيسفي أن يؤمن به فإن درجه المعرفة فيه عريضة جداً و شهادته شواهد الشرع والتجارب والحكايات

أما لشواهد فعوله عز وجل "وَالَّذِينَ هَدَىٰ آلُ إِبْرَاهِيمَ إِيمَانًا فَمِنْهُمْ مَن نَّهَدَىٰ آلُ إِبْرَاهِيمَ لِمِثْلِهِ بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" (١) فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو طريق الكشف والإلهام ، وقال السيوطي "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم" (٢) ووقفه فيما يعمل حتى يسوِّج الجنة ومن لم يعمل بما يعلم به فمما يعلم ولم يوفق فمما يعمل حتى يسوِّج النار ، وقال الله تعالى "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من كل شأن" (٣) ويرفعه من حيث لا يحتسب ، (٤) قيل يجعل له مخرجاً من الاشكالات وليس له ، ويرفعه من حيث لا يحتسب ، يعلمه علماً من غير تعلم ويقطعه من غير محرمه ، وقال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن سَأَلْتُمُو اللَّهَ يُخَيِّرْ بَيْنَ الْأَمْنِ وَالْجَنَّةِ نَافِلَةٌ" (٥) قيل نور يقرى به من الحق والسبل ويخرج به من الشك ، لذلك كل أكثر قول رسول الله ﷺ في دعائه سؤال النور ، فقال "اللهم أعطني نوراً وددني بوابه أحملني بوابه وبي نوراً وبي سمعي نوراً - حتى قال - في شمري وبشري ولحمي ودمي نوراً" (٦) وسئل النبي ﷺ عن قوله عز وجل "وَالَّذِينَ هَدَىٰ آلُ إِبْرَاهِيمَ إِيمَانًا فَمِنْهُمْ مَن نَّهَدَىٰ آلُ إِبْرَاهِيمَ لِمِثْلِهِ بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" فقال ﷺ "هو التوسعة إلى النور إذا قدس به في القلب اتسع له الصدر وشرح ، وقال ﷺ لا نبي بعد علي ، اللهم فقته في الدين وعلمه لبأويل" (٧) وقال علي عليه السلام "ما عندنا شيء سوا ذلك ولا يؤمن بالله"

(١) السكوت ٦٩

(٢) لي ما تقدم آنفاً وما عثرت على يقينها .

(٣) الطلاق ٢٠ (٤) الاعمال : ٢٩ .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٧٣ في حديث جليل

(٦) لرمز ٢٢ و البحر راجع الدر المنثور ج ٥ ص ٢٢٥ دليل لآلة ناديه

تعبير عن ابن مردويه عن عذائه بن مسعود

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٣١٤ .

عن^١ « حنَّ عبداً فيهما في كتابه »^{١٠} « ليس هذا العلم » و قيل في تفسير قوله تعالى
 « يؤتي الحكمة من يشاء »^{١١} « تده العلم في كتاب الله عز وجل » و قال تعالى
 « فهم بها سليمان »^{١٢} « حصن ما اكتشف له باسم العلم » و كان أبو الدرداء يقول
 المؤمن من يتبر من داء سر رقيق و الله إله للحق يقفده الله في قلوبهم و يحربه على
 أسهم و قال بعض السلف عن المؤمن كتابه

و قال **عليه السلام** : « تعوافر سه المؤمن و الله يطر بهو الله »^{١٣} و فيه بشر قوله
 تعالى : « إن في ذلك لآيات للمتوسمين »^{١٤} . و قوله تعالى : « قد بينا الآيات
 لقوم يهود » و عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أنه قال : « العلم علمان فعام ساطن في
 أغلب حديث هو اسافح »^{١٥} . و سئل بعض العلماء عن العلم الساطن ما هو ؟ قال هو
 سر من سر الله تعالى يمدوه الله أي في قلوب أحبته لم يطلع عاينه بشر ولا ملكاً
 و قد قال **عليه السلام** : « إن من أممي محدث و مكلم »^{١٦} و فراس عتاس : « و ما أرسلنا من قبلك
 من رسول ولا نبي (ولا محدث) »^{١٧} يعني لعمري و المحدث هو ملهم و أمليهم
 هو الذي اكتشف به في راسه من جهة الله حل لا من جهة المحسوسات الخارجية
 و لفراس مصحح كتاب أسفوي مفتاح الهداية : الكشف و دلت علم من غير

(١) عدم في نسخة أخرى من ٢٣٩

(٢) البقرة . ٢٦٩ . (٣) الانبياء : ٧٩ .

(٤) أخرجه أسخري في اساريج و الترمذي في ليس عن أبي سعيد و بطري

و ابن عدي عن أبي امامة كما في الجامع الصغير

(٥) لعجر : ٧٥ . (٦) البقرة : ١١٨

(٧) أخرجه الترمذي بحكمه في الوارد و ابن عبد البر في العلم كما في مختصره

من ٩٠ من حديث الحسن مرسل ما : صحيح و سنده الخطيب في اساريج من رواية

الحسن من حار ناصر حديثه عن ابن الجوزي كما في الترمذي ، و أخرجه ابن أبي شيبة

عن الحسن كما في جامع الصغير و دبر نحوه في لمجلة الاول من ١٢٥

(٨) راجع صحيح البخاري ج ٥ ص ١٥ .

(٩) الحديث ٥٢

نعلم فإن الله تعالى «وما خلق الله في السموات والأرض لآيات يوم تتقون»^(١)
 حتى يبينهم وقال تعالى «وهدى للناس سبيلاً»^(٢) «وخطه ليمتحن»^(٣) «كل
 أم يريدوه غيره يقول ليس العالم الذي يتحقق من كتاب في سبيله حقيقة
 حالاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وفاء به (١) حفظ ولا درس
 وهذا هو العلم الحقيقي وإلى منه الإشارة بقوله تعالى «آياته رحمة من عندنا»
 «علمه من لدن علماً»^(٤) مع أن كل علم من لدن ولكن بعينه بواسطة تعليم
 الحق فلا يسمى من علماً لدنياً بل العلم المكتسب هو الذي يفتح في سر القلب
 من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد اثبات العقل ولو جمع كل هذه
 فيه من آيات والأخبار والآثار اخرج عن الجسد وأنه ممدود ذلك والتجرب
 فذلك أيضاً خارج عن الجسد وقد عبرت على السجدة القاعين ومن بعدهم .
أقول: وقد عبرت على الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام من ذلك شيء
 كثير كما هو مذكور في كتاب الحديث من الكافي للمكلسي . رحمه الله . وفي كتاب
 بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن العمري . وكتب الحرايج والحرائج للزبيدي .
 وكتاب كشف الغطاء للإمام علي . وغيره من الكتب المصنوعة في ذلك من أمورهم عليهم السلام
 وإخبارهم عن اعتقادات الناس وصفتهم . ومشاهدتهم الجسد عليهم السلام والحديث
 معه . وصفتهم للأئمة . وحدثهم معهم . وسحرتهم للحسن . ويعتبر بهم . أهم في
 حوائجهم إلى غير ذلك من صفات الكرامات . وقد ذكرنا مسألتهم في كتب أخلاق
 الإمامة من بعض الكتب . ومن الأخبار النبوية في هذا المقام «ليس العلم بكثره
 لتعلم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه»^(٥) «العلم نور وسيل
 يقذفه الله في قلوب أوليائه»^(٦) «العلم علم الله لا يعطيه إلا»^(٧)

(١) يوسف ٦

(٢) آل عمران ١٣٨ . (٣) الكهف : ٦٥ .

(٤) معروف من حديث عمار بن ياسر عن الصادق عليه السلام راجع بحار الانوار

(٥) ما عرفت عليها في أي أصل . (٦) ١٦ ص ٦٨ .

لأوليه « (١) » الحوج سحبت الحكمة فإذا حار العدم مظهر بالحكمة « (٢) » ومن أحلص لله أربعين صاحباً ظهرت يدبيع الحكمة من قلبه على لسانه « (٣) » وناصر عبد إلا وقلبه عمن وهما عيب يدرك بهما العيب « (٤) » فإذا أراد الله بعبد خيراً ففتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره « (٥) »

قال أبو حامد والحكايات لاتسع الحاحد ما لم يشهد ذلك في نفسه ومن أكر لأصل أكر التصعيد . و لدليل القاطع الذي لا يعذر أحد على حجه أمران أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فإنه يكشف بها العيب وإذا حار ذلك في يوم فلا يستحيل أيضاً في البقطة فلم يدرك النوم . لبقطة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من متبعة غائصة الفكر لا يسمع ولا يبصر لا شغله بنفسه . والثاني إجمار رسول الله ﷺ عن العيب و الأمور في الاستمهل كما شتمل عليه لفران وإذا حار ذلك للمسيح ﷺ حار لعبد إذا السبي عماره عن شخص كوشف بعفائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق . فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص يكشف بالحقائق ولا يشغل بإصلاح الخلق ؟ هذا لا سمي نبياً بل يسمى ولياً فمن آمن بالأنبياء ﷺ صدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يمر بأن للقلب بابان باب إلى الجوارح وهو باب الحواس وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب لإلهام والبعث في الرُوع والوحي . وإذا أقرّ بهما جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة لأسباب المألوفة . بل يجوز أن يكون المحاهدة سبباً إليه . وهذا

(١) و (٢) ما عثرت عليها في أي أصل .

(٣) أخرجه أبو يعقوب في العلية عن أبي أيوب سعد ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٤) ثم أجد له أصلاً .

(٥) ما عثرت عليه إلا ما رواه أبو الشيخ عن أبي زر سعد ضعيف « إذا أراد الله عبداً خيراً ففتح له قفله قلبه ، وجعل فيه اليقين والصدق ، وجعل قلبه وعياً لماسكته ، وجعل فيه سبباً أولياً صدق و طهارة مستقيمة وجعل أذنه سمياً وعنه صيرة » (راجع للجامع الصغير باب الهيرة)

م . يفتنه على حقيقة ما ذكره من عجائب تردد القلب بين عالم الشهادة و عالم الملكوت

و أما السبب في انكشف الأمور في المقام بالمثال المحجوج إلى التعبير و كذلك بمثل املائكة صور مختلفة للأرباب ، و الأولياء ، فذلك أيضاً من أسرار عجائب القلب و لا يلىق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلمصر على ما ذكرناه و به كاف للاستحسان على المحاهدة و طلب انكشف منها

❖ (بيان تسلط الشيطان على القلب بالحواس) ❖

❖ (و معنى الوصوة و سبب علتها) ❖

علم أن القلب مثل مثل فة لها أبواب تنصب إليها الأحوال من كل باب و مثله أيضاً مثال هدى تنصب إليه السهم من الحواس ، أو هو مثال مرآة مصوبة تختار عليها أوصاف الصور المختلفة فيرى فيها صورة بعد صورة و لا يحلو عنها ، أو مثال حوض ينصب إليه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه و إنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال إما من الظاهر و لحواس الخمس ، و إما من الباطن فالحيل و الشهوة و لعص و الأخلاق المبركة في مراح الأسس ، و به إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب و كذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل أو بقوة في امراح حصل منها في القلب أثر و إن كفى عن الإحساس و الحيلالات لحاصلة في النفس نفى ، و ينتقل الحيلال من شيء إلى شيء ، و بحسب انتقال الحيلال ينتقل لقلب من حال إلى حال ، و المصنوع أن القلب في التغير و التأثير دائماً من هذه الأسس ، و أحسن الآثار الحاصلة في لقلب هي الحواطر و أعني بالحواطر ما يعرض فيه من الأفكار ، و الأذكار ، و أعني به إدراكه علوماً إقماً على سبيل التحدث و إقماً على سبيل التدكر فإبها تسمى خواطر من حيث أنها تخطر بعد أن كان القلب عاقلاً عيب ، و الحواطر هي المجرى كاللإرادات فإن الله العزم و الإرادة إنما يكون بعد حطور المسوي بالبال لأحالة ، فبدأ أفعال الحواطر ، ثم الحاطر

يحترق الرُّعْه والرُّعْه تحترق لعزم ، والعزم يحترق له لسة ، واسية يحترق لأعصار .
 و الحوض المحترق كه للرُّعْه تنقسم إلى ما يدعو إلى الشرِّ أعني ما يصرف في
 العفة ، و إلى ما يدعو إلى الخير أعني ما يمنع في الآخره فهما خاطران محتملان
 فاقترعا إلى اسمين مختلفين ، والخاطر المحمود يسمى إلهاماً ، والخاطر المذموم عني
 ادّاعي إلى الشرِّ يسمى وسواساً . ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثه ، و كلُّ
 حادث لابد له من سبب ، و منها اختلف الحوادث دلُّ على اختلاف الأسباب هداماً
 عرف من سنة الله عز وجل في ترتيب المسببات على الأسباب ، فمهما استدعيطان
 البت ببول لئلا وأعلم سعيه و اسود بالداخل علمت أن سبب السواد غير سبب
 الاسوداد . وكذلك لأنوار القلب و ظلمته سببان مختلفان . فسبب الخاطر الداعي
 إلى الخير يسمى ملكاً و سبب الخاطر الداعي إلى الشرِّ يسمى شيطاناً ، و اللطف
 الذي به ينهي القلب لقول إلهام الملك يسمى بوقفاً ، و الذي به يهبط لقول
 وسواس الشيطان يسمى بعواءاً و حدلاً ، فإن المعاني المختلفة يصغر إلى أسامي مختلفة
 و الملك عبادة عن خلق خلقة الله تعالى ، شأنه خاصة الخير و إفادة العلم و كشف الحق
 و الوعد بالخير و الأمر بالمعروف و هو خلقة الله و سحره لذلك ، و الشيطان عبادة
 عن خلق شأنه ضد ذلك و هو الوعد بالشرِّ و الأمر بالعشاء و التحريف عند لهم
 بالخير بالمعصية و الوصية في معصية الإلهام و الشيطان في معصية الملك و التوفيق في
 معاملة الحدلان و إليه الإشارة بقوله تعالى « و من كل شيء خلقنا روحين لعلكم
 تتذكرون » فإن أسود حركات كلها متفائلة مردوحة إلهامه تعالى فإلهامه لا مقاس له
 من هو الواحد الحق الخالق بالذواج كلها

فالقلب متحداد بين شيطان و الملك فقد قال بنيامين في القلب لسانان
 لغة من الملك يعاد بالخير و تصديق بالحق ، فمن وحد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد
 به و لغة من العدو يعاد بالشرِّ و تكذيب بالحق و يهي عن خير ، فمن وحد ذلك

فدبغوا دابة من الشيطان ثم تلاوا الشيطان بعدكم لغيره الآية^(١) وقال بعض السلف
 إنما هما همتان يحولان في القلب هم من الله وهم من اعدوهم من اعدوهم الله عنداً وقت
 عند همتهم كان من الله أعصاه وما كان للعدو جهاده ، وتحدث قلب بين هاتين الهمتين
 قال رسول الله ﷺ «قلب المؤمن بين أصعص من أصعص لربهم»^(٢) والله سبحانه
 وعالي مرؤه أن يكون له أصعص مرؤة من لحم ودم وعظم تنقسم بالأنامل ، ولكن
 روح الأصعص سرعة التقلب و لعدوه على التحريك وسعيه ، فإتت لا تريد أصعص
 لشخصها بل لعلها في التقلب والبريد ، وكما أنك تعطى لأفعل بأصعص والله
 تعالى إنما يفعل ما يفعله ما يستحق الملك والشيطان وهما مستحقان بقدرته في قلب
 القلوب كما أن أصابعه مستحرة لك في قلبك لأصابعه مثلاً ، و لقلب بأصعص لغيره صالح
 يقول آثار الملائكة ولقول آثار الشياطين صلاحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما
 على الآخر وإنما يترجح أحد الحسب باتباع الهوى والإكباب على الشهوات
 أو لإعراض عنها وتحلفها فإن انشعب لإبسان مقتضى الشهوة ونقص ظهر سلطان
 للشيطان بواسطة الهوى ، وصار القلب عشق الشيطان ومعده لأن الهوى هو مرعى
 الشيطان ومرتبه وإن جاهد الشهوات ولم سلطان على نفسه ونشبه بأحلاق الملائكة
 صار قلبه مسمر الملائكة ومهبطهم ، ولما كان لا يحلو قلب عن شهوة وعصب وحرس
 وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المقتضية عن الهوى لا حرم لم يحل
 قلب أن يكون للشيطان فيه حولان بالسوسة ؛ لذلك قال رسول الله ﷺ «ما
 منكم من أحد إلا وله شيطان ، قالوا : وأب يا رسول الله ؟ قال : وأب إلا أن الله
 عز وجل أعانني عليه فأسلم فلا يمربني إلا بخير»^(٣) وإنما كان هذا لأن الشيطان
 لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صار لا ينسبط إلا حيث

(١) الفرة ٢٦٨ ، والخبر رواه الترمذي في سنن ح ١١ من ١٠٩ وقال هذا

حديث حسن شريفاً .

(٢) أخرجه الحاكم كما تقدم آمناً .

(٣) أخرجه مسلم ج ٨ من ١٢٩ من حديث ابن مسعود .

يسعي و إلى أحد^١ الذي يسعى فشهوته لا تدعوه إلى الشر^٢ ، ولشيطان المنتدع بها لا يأمر إلا بالحير

و مهما غلب على القلب ذكر الدُّنْيَا و مفنصيت الهوى و حد الشيطان محالاً فوسوس ، و مهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وصاق مجاله وأقبل املك و الهم^٣ ، فالنظار بين حندي الملائكة و الشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيسكن ويستوطن و يكون اختيار الثاني احتلاسا ، و أكثر القلوب قد فتحها حدود الشيطان و ملكوها فامتلات بالنوساوس الدُّعَاية إلى إثارة العاجلة وإطراح الآخرة ، وهذه اسنيلاؤها أتباع الهوى . ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتحلية القلب عن قوت الشيطان و هو الهوى و الشهوات وعمادته بذكر الله تعالى إذ هو مطرح أثر الملائكة ، قال جرير بن عبيدة العدوي : شكوت إلى العلاء بن ريد ما أحدي ص دري من النوسوسه فقال : إنما مثل ذلك مثل الميت الذي يمر به اللصوص فرب كان فيه شيء عالحوه و يلا مضوا و تركوه . يعني أن لعلب لحالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ، و لذلك قال الله تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان »^(١) و كل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان ، وقال الله تعالى : « فرأيت من اتحد إليه هواه »^(٢) هو إشارة إلى أن الهوى إليه ومعوده فهو عبد الهوى لا عبد الله

و قال عثمان بن أبي العاص : « يا رسول الله حال الشيطان بيني و بين صلاتي وفراعتي ، فقال : ذلك شيطان يقال له خمر » ، إذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثاً ، قال : ففعلت ذلك فأذهب الله عني^(٣) و لي لخر « أن اللصوص شيطانا يقال له : ولهم فاستعبدوا بالله منه »^(٤) و لا يمحو وسوسه الشيطان عن القلب

(١) الاسراء ٦٥ (٢) العنانيه ٢٣

(٣) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٢١ وقال النووي قوله « حال بيني وبين صلاتي » أي

مكدي فيها ومعي لذتها والمراع للخشوع فيها .

(٤) أخرجه ابن ماجه تبع رقم ٤٢١ و في هامشه قوله « ^١ » و لهان « مصدر

« و نه » د تحير الشيطان لانقاء الناس في التعير سمي بهذا الاسم .

إلا ذكر شيء سوى ما يؤسوس به لأنه إذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قدر ولكن كل شيء سوى ذكر الله وسوى ما يتعلق به فيحور أن يكون أيضاً محالاً للشيطان . وقد ذكر الله سبحانه هو الذي يؤمن بحامه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه محل ولا يعالج الشيء إلا بضد . وصدق جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى والاستعانة به والتسليم عن الحول والعوّة . وهو معنى قولك . أعود بالله من الشيطان لرّحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، و ذلك لا يمدد عليه إلا المتقون الذين العالب عليهم ذكر الله و إنما الشيطان يطوف بعلوهم في أوقات الغفلات على سبيل الحيلة . قال الله تعالى « إن الذين اتبعوا إدا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » (١) وقال مجاهد في قوله تعالى . « من شرّ الوسواس الخناس » قال . هو منبسط على قلب الإنسان إذا ذكر الله سبحانه حدس وانقض وإدا عمل انبسط على قلبه ، فالتطارد بين ذكر الله وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام و من الليل و النهار و لتطاردهما قال الله سبحانه . « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله » (٢).

و في الحديث « إن الشيطان واصل حطمه على قلب من آدم فإذا ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه » (٣) .
و قال ابن وصّاح في حديث ذكره . « يدب على الرجل أربعين سنة ولم ينسحح الشيطان بيده وجهه » وقال بأبي وجهه لا يطلع » (٤)

﴿ فصل ﴾

وكما أن الشهوات ممتحنة بلحم لا دمي و دمه فسلطنة الشيطان أيضاً مدبره

(١) الاعراف : ٢٠٩ . (٢) المجادلة : ١٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكاتبة الشيطان وأبو يعلى و البيهقي في الشعب من من حديث أسد ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٤) قال العراقي لم أجده أصلاً .

في لحمه ودعه ومحيطه بالقلب من حواسه ، ولدت قال النبي ﷺ : « إن الشيطان
ليجري من بين آدم مجرى اندم فصيفوا معاريه بالجوع »^(١) ، و ذلك لأن الجوع
يكسر الشهوة ، ويجري للشيطان الشهوان ، لأن الإنسان اكتفى بالشهوان للقلب من
حواسه قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ :
« إن الشيطان قعد لآدم بطريق فعد له بطريق الإسلام فقال له : أسلم وتترك
دينك ؟ دين آباءك ؟ فعد ، فأسلم ، ثم قعد له بطريق الجحيم فقال : أباحير وندع
أرضك وساك ؟ فعداه فباحر . ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : أباحد وهو تلف
لنفس والمال فيقتل فتفعل فسكح بـ « و ك » يقسم مالك ؟ فعداه فباحد . قال رسول الله
ﷺ : « فمن فعل ذلك مما كان حراماً على الله أن يدخله الجنة »^(٣)

وقد ذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة ، هي هذه الخواطر التي يحطر
بمجاهدة الله عز وجل وسكح بساؤه وعبر ذلك مما يصرف عن الجهاد وهذه الخواطر
معلومه فإذا الوسوس معلوم ولشده « كن » حاصر فله سم وبقتل في اسم
يعرفه ، فاسم سببه الشيطان ولا يسمع من سم « عند آدمي » وإنما يحتلمون بعصيانه
« مدبغته » لذلك قال النبي ﷺ : « ما من إنسان إلا وله شيطان »^(٤) وقد أصبح بهذا
نوع من الاستعمار معنى ابوسوسة والإيهام « الشيطان » والتوفيق واحد لأن
فمن هذا نظر من يستر في ذات الشيطان « أنه جسم طين » أنه ليس بجسم ، بل كان
جسماً فكيف يدخل في بين الإنسان مدهو جسم ، فهذا الآن عبر محتاج إليه في علم
أعماله من مثاب بحث عن هذا كمثل من دخل في ثوبه حسنة وهو محتاج إلى دفع

(١) أخرجه له رمي ج ٢ ص ٢٢٠ واحمد في السند ج ٣ ص ١٥٦ و ٢٨٥ و ٣٠٩

دون « بوبه » يصغر معاريه بالجوع »

(٢) الاعراف ١٦

(٣) أخرجه النسائي ج ٦ ص ٢٢ واحمد والضرابي و من حبان والبيهقي في شعب

عن مسرة بن أبي فاكه كما في الفرائد ج ٣ ص ٧٢

(٤) تقدم أعلاه

صرده فشتعل ولجث عن لوبه شكبه فبولوا وعرفوه فباتت عين لحيه فمصدمة
ايحوصر اساعته على الشر وقد علمت ذلك دلت على آفته عن سبب لأعماله وعلم
أن الذئبي أي الشئ المحدث في المسفل عدة فقد عرف العدو فيسعي أن يشتعل
بمجاهدته .

وقد عرف الله تعالى عداه به في مواضع كثيرة من كتبه لمؤمن به ويحترمه
فقال تعالى : **وإن الشيطان لكم عدو ذو جدوة** الآية يدعو حرده فيكبره .
من أصحاب السعرة : **وقال تعالى : ألم أعد ليكم ناصي آدم أن لا تعبدوا الشيطان**
بتهكم عدو مني : فيسعي للعدا أن يسفل بدفع العدو عن نفسه لا بأسؤال
عن أصله ونسبه ومسكنه ، نعم يسعى أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح
لشيطان الهوى والشهوات ودلت كاف للعاملين . فقام معرفة جمعه دلت وحققة
علائكة فذلك مبدئ لعدوه في علوم المكاشفات ولا يحج في لمعامله
إلى معرفته ، نعم يسعى أن يعلم أن الجواهر تنقسم إلى : يعلم قطعا أنه داع إلى
الشر فلا يحصى كونه وسوسه وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه
إلهما وإلى ما يتدبره فلا يدري أنه من دة محدث أو لمة الشيطان فإن من
مكده شيطان أن يعرض الشر في معرض الخير ، والتميز في ذلك عامين وأكثر
عماد به يهلكون : فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور
الشر بصورة الخير كما يقول الله لم يارق الوعظ أما سطر إلى الخلف وهم هوى
من الخيل هلكي من العمله ، ودأبوا على الصبر أما لث : حجه على عماد الله
عز وجل من بعدهم من امعذب بصحك ووعظك ، وقد أبعد الله عليك قلب بصير ولسان
دلق ولهجة مصوله فكيف تكلم بعفته وتعرض لسخطه وسكب عن إشاعة العلم
ودعوة خلق الله سبحانه إلى الصراط المستقيم فلا يزال يعرف ذلك في نفسه ويستحرم
لظائف الخيل إلى أن يشتعل بوعظ الناس ثم يدعو بعد ذلك إلى أن يرتس لهم ويتصنع
تحسين اللفظ وإظهار الحق . يقول له : إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن

قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق فلا يزال يقرّر ذلك عنده وهو في أمثاله يؤكّده شوائب الرّياء وقبول الحلق ولذّة الحام والتعزّد بكثرة الأساع والعلم والبطر إلى الحلق بعين الاحتقار فيستدح المسكين بالنصح إلى الهلاك فيشكّل وهو يظنّ أنّ قصده الخير وإنما قصده الحام والقول فيهلك بسببه وهو يطرّ أنّه عند الله بمكسب وهو عند الله بمنّ قال فيهم رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيّد هذا الدّين بأقوام لا خلاق لهم » (١) « و إن الله ليؤيّد هذا الدّين بالرّجل العاقر » (٢)

ولذلك روي أنّ إبليس تمثّل لعيسى عليه السلام فقال له قل : لا إله إلا الله فقال . كلمة حق ولكن لا أقولها بقولك ، لأنّ له تحت الحبر أيضاً تليسات وتليسات الشيطان من هذا الجنس لا تنهى و بها يهلك العلماء والعسّاد والرّهود والعقراء والأعياء وأصناف الحلق ممن يكرهون ظاهر الشرّ ولا يحرصون لأنفسهم الخوض في اعصاف المكشوفة

وسندكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب العرود من آخر هذا الرّبع ، و نعلم أنّ أهل الرّمان صنفناه كتاباً على الحصص سمّيته « تلبس إبليس » فإنّه قد انتشر الآن تلبسه في الماد والعاد لاسيّما في المذاهب والأعمال حتّى لم يبق من الحيرات إلا رسمها كلّ ذلك إدعان لتليسات الشيطان ومكائده ، فحقّ على العبد أن يقف عند كلّ همّ يخطر له ليعلم أنّه لمة الملك أولمة الشيطان وإنّ يمعن النظر فيه بور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى وعزادة العلم كما قال تعالى . « إنّ الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكّروا (أي رجعوا إلى نور العلم) فإذا هم مبصرون » أي اكشف لهم الإشكال ، فأمّا من لم يحرص نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإدعان لتلبسه بمناجاة الهوى ويكثر فيه غلظه ويتعجّل فيه هلاكه وهو لا يشعر ، وفي مثلهم قال الله تعالى . « وبذلك الله مالم يكونوا

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في سننه عن أنس ، و أحمد والطبراني في الكبير عن أبي بكره كما في الجامع الصغير

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠٩ وسندهم ورواه البخاري عن أبي هريرة .

يحتسبون»^(١) قيل هي أعمال طوبىها حسبات فإذا هي سيئات وأعمص أبواب علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان ، و ذلك حرص على كلِّ عهد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستعجز إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتسيبهم عداوته وطريق الاحراز عنه ، ولا يحصى من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الحواس وأبواب من خارج الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدُّب و الحلوة في باب مظلم تسدُّ باب الحواس والتحرُّد عن ملال والأهل يفلل مداحل الوسواس من لاطن ويسمى مع ذلك مداحل باطنه من التحيالات والحدريه في القلب وذلك لا يدفع إلا بشعل القلب بذكر الله سبحانه ، ثم إنَّه لا يزال يحدث انقلب ويمازعه ويلبِّيه عن ذكر الله تعالى فلا بدُّ من مجاهدته وهذه مجاهدة لا تحر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحدٌ من الشيطان مادام حيّاً نعم قد يعوي لأسباب بحيث لا يبعد له ويدفع عن نفسه مكره بالجهاد ولكن لا يستعني قطُّ عن الجهاد والمدافعة مادام يحري الدَّم في بطنه فإنه مادام حيّاً فتُواب الشياطين مفتوحة إلى قلبه لا تغلق وهي الشهوة والعصب والحسد والطمع والشَّره وغير هذا كما سيأتي شرحها

ومهما كان الباب معنوحاً والعدو غير عاجل لم يدفع إلا بالحراسه واجهاده ، قال رجل لبعض السلف : أيام إبليس ، فتبسّم وقال لو نام لوحدنا عنه راحة فإذا لاحلاص للمؤمن عنه نعم له سهل إلى دفعه وتضعيف قوّته كما قال رسول الله ﷺ : **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَصْصِي شَيْطَانَهُ كَمَا يَصْصِي أَحَدُكُمْ بَعْرَهُ فِي السَّعْرِ»**^(٢) وقال ابن

(١) لزم ٤٧

(٢) أنسى اسم - هرله والغبر أخرجه أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان عن أبي هريرة كما في الجامع الصغير وذكره لشرف الرضى في البحار سنة ٢٦٤ ، وقال هذه استعارة وإيراد أن المؤمن يصعب فنده على الشيطان فلا يصح لي وسادته ولا يجعل له واجبه ، اعتصاماً به بدينه واستيلاءً عليه في جهة نفسه ، فيطعمه أسداً مكدود معه لطول مازعته الفسد ومغالبه الرمام ، فشبهه ﷺ لا تنام للشيطان في الاحتراز من ضلاله والامتناع من انشاعه بالصبي سيرة في السمر إذا طال سمره واستفرغ قوته وحسن عربكته .

مسعود شيطان طغوس مبرور ، وقال قيس بن الخخاح قال لي شصامي دخلت
 بيت وأما هن الجوز ، أن الآن مثل العصور ، فعلت ، م ذاك ، وال
 ندسي بكتب الله ، وأعل لتوى لا بعد ، عليهم نرصد أبواب لشيطان وحقها
 بالجراسه أعني الأبواب الطاهرة والطرق الحليمة التي بعصي إلى لمعسي الطاهرة ،
 وإتم يتعشرون في ط قد العنصة ، أسم لا مبدون ، أب ليحرسون كمأثر ما به في
 عز والعلماء والوعظ ، أما كل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب بشيطان كثيرة ،
 وبأن أملاك كفاف و حدود ليس ذلك ، لأن الواحد يبدأ لكثير فالعدد فيه مائة مثال
 لمسافر الذي يهوى في بديه كثيرة الفرق ، عامه اب لث ، في بله مطلقه ، فلا يكاد يملح
 إلا بعن بصره ، طموح شمس مشرقه ، فالعين العبيره ههنا هو القلب لمعسي ، لتوى
 ، الشمس المشرقة هو العلم الغرير استعاد من كتب الله به ، إلى و من سمعته رسول
 ، فهما يهدي ، إلى عو مص مرقه ، و إلا فطر قد كثره عامضة ، قال عبد الله بن
 مسعود ، وخطأ لما سول الله ﷺ يوماً خطأ قال هذ سميل الله ثم خطأ خطوياً
 عن يمين الخط ، عن شمه ، فقال هذ من السوط على كل سبط من شيطان
 بدعو إسه ، ثم ، (عنه الآية) وورن هذ ، عي مستعماً وسمعه ولا تشعوا
 لسد فتفرق بكم عن سبله ، ^١ يعني بذلك الخطوط ، فليس ، كثيره طرقه
 وقد ذكرنا مثلاً للظن مع العاص من مرقه وهو الذي يحد عنه العلماء والعلماء
 بل لكن لشهواهم الكاف عن لمعسي الطاهرة فسد كر مثلاً لطريقه الوصح الذي
 لا يحصى ، لا أن يضطر آدمي إلى سلوكه ، ، ذلك كما روي عن النبي ﷺ أنه
 قال ، كل رهق في بي سربيل فعمد الشيطان إلى حارية فجمع ، وألقى في قلوب
 أهلها أن ، وهد عند الرأهب فأثني بها لرأهب ، فأبى أن يصلها فلم ير الوابه حتى

(١) في من السخ [يسمي] .

(٢) لا في سورة الاحقاص ١٥٣ ، والحرور ، أحمد ، وعبد بن حيد ، واسماني .

والرر ، وابن لمبر ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي شيح ، وابن مردويه ، وانحاكم وسمعه

عن ابن مسعود كما في الدر المنثور ج ٣ ص ٥٥ و ٥٦

فعلها ، فكانت عنده لمعالجته فتاة الشيطان فوسوس إليه ورين له مقاربتها فلم يرل
به حتى واقعها فحصلت منه فوسوس إليه فقال - الآن نعتصم بأتيتك أهلها فاقبلها
فإن أتاه أهلها فعل عدت ، فقتلها ودفع فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى
في قلوبهم دمه أحلب ثم قتل ودفعها ، فأباه أهلها فسألوه عي ، فقال - مات وألقى
إليهم لشيطان نأها مدفوعة عنده ، ففتشوا فوجدوها مقتولة فأخذوه فتاة الشيطان
فقال - الذي أحلب وأبأ الذي ألقب في قلوب أهلها فأطعني سح واخلصت
منهم ، فقال - بعداء فل اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان -
إني بريء مئث ، وهو الذي قال الله تعالى فيه « كمثل الشيطان إذ قال للإس
أكفر فلما كفر قال إني بريء مئث » ^(١)

ونصر الآن لي حبله واضطراره أبرأه إلى هذه الكائن وكل ذلك
لطاعته له في قول البخارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه أنه حير
وحسمه فيحسن ذلك في قلبه بحقي الهوى فيقدم عليه كالرأغب في الخير فيخرج
لأمر بعد ذلك عن احتساره في يحرقه البعض إلى البعض بحيث لا يجد محبصاً ، فنعود
بالله من تضيق أوائل الأُمور : إليه الإشارة بقوله ^(٢) . ومن حام حول الحمى
يوشك أن يقع فيه ^(٣) .

❖ بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب ❖

اعلم أن القلب مثله مثل حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه
و يستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو إلا بحراسة أبواب الحصن
ومدحله ومواضع ثلجه ولا يقدر على حراسة أبواب الحصن عن العدو من لا يعرف

(١) الآية في سورة البقرة ١٦ ، والخبر رواه ابن أبي حاتم من طريق لمومي عن ابن
عباس كما في الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٩ .

(٢) رواه البخاري سقط « من برح حول الحمى يوشك أن يقع فيه » عن اسمعيل
بن بشير ونقله الشرح الرص في المعاني السوية ص ٨١ مع بيانه هكذا « من ارتفع
حول الحمى كان ممثلاً أن يرتفع فيه » .

أبوابه ، وحاية القلب عن فساد الشيطان . أحده وهي فرض عين على كلِّ عند مكلف وما لا يتوصل إلى الواحد ، لأنه فهو أيضاً واحب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداحله ، فصار معرفة مد حل الشيطان حجة ، ومداحل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ؛ لكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الحارسة محرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان .

فمن أبوابه العظيمة الحرس والحسد ، فمهما كان العبد حريصاً على شيء ، أعماه حرصه وأصداه ، قال النبي ﷺ : وحكك الشيء يعمي ويعمى^(١) ، وبور الصيرة هو الذي يعرف مد حل الشيطان ، فإذا عطاء الحرس أو الحسد لم يصر فوجد الشيطان فرصة فيحس عند الحريس كل ما توصله إلى شهوته ، وإن كان مكرراً وفاحشاً ، فقد روي أن نوحاً عليه السلام سار كعب البحر وحل في السفينة من كل روح انشرب كما أمر فرأى في السفينة شبحاً لم يعرفه فقال له نوح عليه السلام : ما أدحك ؟ قال دخل لأصيب قلوب أصحاب فتكون فلو سمع معي وأندبهم معك . قال نوح عليه السلام : أخرج منها يا عدو الله فارتد حليم . قال له إبليس : حمس 'هلك' نهر الناس وما أحدثك من ثلاث ولا أحدثك بالناس فوحي الله تعالى إلى نوح عليه السلام أنه لا حاجة بشي إلى الثلاث مره فليحدثك بالشئين وقال ما الثنتين ؟ فقال : هما ، للثان لا تكذبني ، هما الثمان لا يحلفاني بهما . أهلك الناس لحرس والحسد بالحسد نعت وحلف شيطاناً رحيماً ، أمّا الحرس فإنه أبيع لآدم الجنة كلها فأصت حاجتي منه بالحرس^(٢) .

ومن أبوابه العظيمة ، عصب و الشهوة ، فإن العصب عول لعين فإذا ضعف حيد لعين هجم حيد الشيطان ، ومهما ضعف الإنسان لعبه الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة . فقد روي أن إبليس لمي موسى عليه السلام فقال يا موسى أب الذي اصطفاك

(١) أخرجه أبو داود في السنن ج ٢ ص ٦٢٧

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكاتبة الشيطان وابن عبد كرم عن ابن عمر كما في الدر

المشور ج ٣ ص ٣٢٣ .

الله برسائته وكلمك تكليماً ، و أنا من خلق الله أدب دنأ و أريد التوبة فاشمع
لي إلى ربي أن يثوب عليّ ، قال موسى نعم فدعا موسى ﷺ ربه عز وجل ، فقال
يا موسى قد قصيت حاجتك فمره أن يسجد لعمر آدم ، فلعى موسى ﷺ إبليس
فقال له ائمرت أن تسجد لعمر آدم ليناب عليك ، فاستكبر و غصب ، و قال لم أسجد
له حياءً فكيف أسجد له ميتاً ، ثم قال إبليس يا موسى إن لك عليّ حقاً بما شعف
لي إلى ربي فادكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهنّ ادكرني حين بعصت فإني روعي في
قلبك وعيني في عيذك ، و أحري منك مجرى الدّم ، و ادكرني حين بلمى الرحم
فإني آتي ولد آدم حين يلعى الرحم فأذكره ولده و روحه و أهله حتى يولي .
وإيتك أن تحالّس امرأه لبسك بدأت محرم فإني رسولك إليك ورسولك إليّاه
فقد أشار في هذا إلى الشهوة والغضب والحسد فإنّ المراد من الرحم حرص على
الدّيب ، و امتناعه عن سجوده لآدم مشاؤه الحسد وهو من أعظم مداحله و قال
بعض الأنبياء ﷺ لا إبليس بشي نعل ابن آدم ؟ قال آخذه عند العصب
و عند الهوى

و طهر إبليس لراهب فقال له أيّ أخلاق سي آدم أعون لك ؟ قال : العدة
إنّ العبد إذا كان حديداً قلسمه كما يقلب المبيان الكرة ، و قيل ، إنّ الشيطان
يقول كيف يعطيني ابن آدم ؟ وإذا رضي حثت حتى أكون في قلبه وإذا غصب طرت
حتى أكون في رأسه .

وهي أبوابه الطبيعة حبّ الرّيس بالثياب و الأثاث و الدّار فإنّ الشيطان
إذا رأى دأث عالماً على قلب إسان ناص فيه و فرح فلا يزال الشيطان يدعو به
عمادة الدّار و تريين سفوف و حيطانها و توسيع أبنيتها و يدعو به إلى التّروّس بالثياب
والدّوابّ و يستسخره فيها طول عمره و إذا أوقعه في ذلك فقد استعصى عن معاودته
فإنّ بعض ذلك يحرقه إلى النّص ولا يزال يؤدّيه شي ، إلى شيء إلى أن يساق إليه
(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائده الشيطان عن ابن عمر كما في الدر المشورح

أجله فيموت، وهو في سبيل الشيطان وانباع لهوى ومن ذلك بحسب سوء الخاتمة
بالكنز نعود بالله منه .

وهو أبو به العظمة لشع من لضعف . إن كان خللاً صافياً في السبع
يعوي الشهباء . استهوى أسلحه الشيطان . روي أن إبليس طهر ليحيى عليه السلام فرأى
عنه معاليق من كل شيء، فقال له يحيى عليه السلام : إبليس ما هذه معاليق ؟ قال
هذه لشهباء التي أصاب بها سي آدم . قال فهل لي فيها شيء ؟ قال نعم ما شئت
فتملأ . عن الصلاة وعن الذكر . قال هل عبر ذلك قال لا قال يحيى الله علي أن
لا أهلاً بظني من طعام أسد . قال إبليس وبه علي أن لا أصبح مسلماً أبداً .

وهو أبو به لعظمة الطمع في الناس . أغلب الطمع على القلب لم يرل شيطان
يحسن التصنع وشر من صنع فيه نواح لرؤس . والطمع حتى يفسد عظموع فيه
كأنه معبوده فلا . ل . يشكر في حيلة التودد . النحت إليه ويدخل كل مدخل
في الوصول إلى ذلك . قال أحول له أشاء عليه ما نرس فيه . المداومة معه شرك . الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر

و قد روي سمعان بن سليم أن إبليس تمثل لعد الله من حطلة . قال
من حطلة أحبط عني شيئاً أعلمك . قال لا أحاديثي به . قال انظر في كل
حيثراً قبلت . وإن كان شيئاً رددت . يا ابن حطلة لا تسأل أحداً عن الله شيئاً سؤال
رعية . ويستر كيف يكون . عصب

وهو أبو به لعظمة المعجلة في التفتت في الأمور . قال رسول الله ﷺ
ما المعجلة من الشيطان . ما تأتي من الله عز وجل . قال تعالى : خلق الإنسان
من عجل .^(١) وقال : وكان الإنسان عجولاً .^(٢) قال لست به . ولا تعجل
من عجل .

(١) روه ابن رجب في معانيه وهو أسعد راجع بحار الأوارح ١٤ من ٦٢٠

(٢) أخرجه الترمذي كما في كسور العتائق له . روي باب اعين هكذا : العجلة من

الشيطان ولا بد من الله .

الذي آت من قبل أن يعصى بملكه وحده^(١) وهذا لأن الأعمال تسعى أن تكون
 عدل لغيره وأمعرفه والتبصر به يحتاج إلى تأمل وملاحظة. والعجلة تمنع من ذلك.
 بعد الاستعداد. وفتح الشيطان شره من حب لا بدري. روي أنه لما ولد عيسى
 عليه السلام أت الشياطين فقامت أصابعهم قد مكست ووسوا قال هو
 حديث قد حدثت عنكم. وط حذني حال حادتي الأضراس ولم يجد شيئاً ثم وجد
 عيسى عليه السلام قد ولد. وإذ أملاكه قد حفت حوله فرجع إليهم فقال إن بيته
 قد ولد ابن واحد ما حباب أمشي قط ولا سمعت إلا وأنا محصر بها لا عدا فإيسوا أن
 بعد الأصنام بعد هذه الليلة. لكن أنتم من آدم من قبل العجلة والحكمة.

ومن أنواعه العظيمة الذراهم والدرهم ودرهم وأصناف لأهل من العروس
 والآث والذئب والعدو وكل من يريد على قدر انوار. الحد وهو مستقر
 الشيطان من معه فونه وهو فرع القلب فهو وحده مائة بدر مثلاً على طريق
 مئة من فله مائة شهوة يحتاج كل شهوة من إلى مائة درهم فلا يكفيه مائة
 وحده بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى. وقد كان قبل وجود آدم تسعمائة فلأن
 وحده مائة من أنه صار عتاة. وقد تم محتاج إلى تسعمائة مستقر في دار
 وبعمرها ويشتري حبه ويشترى ثوباً يشتري الثياب العاجزة. وكل
 شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يلحق به وذلك لا آخر به فيجمع في غيره
 عمق جهنم ولا آخر لها سواء

قال ثالث من بعث النبي ﷺ قال يا أيها الناس بعد حدث أمر
 ونظر وأما هو فاطلعه ثم جاء وولوا بدري. قال يا أيها الناس أبا أسكم بالحبر
 وذهب وحده. قال قد بعثت رسولاً فاحضروا رسول شاطيته إلى أصحاب لسي
 النبي ﷺ فيصرفون حائشاً ويقولون ما صحبت قوماً قط مثل هؤلاء عذب منهم ثم
 يقومون إلى صلاتهم فيسمحي ذلك قال يا أيها الناس. ويدأ بهم عسى الله أن يفتح لهم الدار.

فهناك تصيبون حاجتكم منهم ^(١)

و روي أن عيسى عليه السلام توسّد حجراً فمرّ به إبليس فقال . يا عيسى رعبت في الدنيا فأخذه من تحت رأسه ورمى به ، وقال هذا لك مع الدنيا و على الحقيقة من يملك حجراً ليتوسّد به اليوم فقد ملّك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدّة للشيطان عليه فإنّ القائم بالليل مثلاً للصلاة مهمّ كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسّد به فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسّد ولولم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرّك رعبته للنوم ، هذا في حجر فكيف من يملك المحادّ الوثيرة والعرش الوطئة و المشرّعات الطيبة ، فمتى ينشط لعباده الله تعالى

ومن أبوابه العظيمة النخل و حوف العقر فإنّ ذلك هو الذي يسمع من الأبقار و التصدّق و يدعو إلى الإذّخار و الكفر و العذاب الأليم هو الموعد للكافرين كما يطق به القرآن ، قال خيثمة بن عبد الرحمن . إنّ الشيطان يقول . ما غلّيني عليه ابن آدم قلبي يعلّسني على ثلاث أو أربعة . يأخذ المال من غير حقّه ، و إنفاقه في غير حقّه ، و منعه من حقّه . و قيل ليس للشيطان سلاح على الإنسان مثل حوف العقر فإذا قلّ ذلك منه أخذ في الباطل ، و مع من الحقّ ، و تكلم بالهوى ، و طرّ برّته عن السوء .

و من آفات النخل الحرص على ملازمة الأسواق بجمع المال ، و الأسواق هي معشّش الشيطان ، روي أبو أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال . إنّ إبليس لك أنزل إلى الأرض قال . يا رب أنزلني إلى الأرض و جعلتني رحيماً فأجعل لي بيتاً ، قال . الحمام ، قال . فأجعل لي مجلساً ، قال . الأسواق و محامع الطرق ، قال . فأجعل لي طعاماً ، قال . ما لم يذكر اسم الله عليه ، قال . أجعل لي شرباً ، قال . كلّ مسكر ، قال . أجعل لي مؤدّباً ، قال . المرامير ، قال . أجعل لي قرآناً ، قال . الشعر ، قال . أجعل لي كتاباً ، قال . الوشم ، قال . أجعل لي حديثاً ، قال .

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكانه الشيطان مرسل كما في النسخ .

الكذب ، قال : اجعل لي مصادد ، قال : لا .

وهو أبو به العظيمة التعصب للمذاهب والأهواء ، والحدود على الخصوم
والخطر إليهم بعن الأعداء ، والاستحقار ، وذلك مما يهلك المساق والعتاد جميعاً
فإن أظعن في الناس والأشغال بذكر مصداقهم بعد محولة في طبع الإنسان من
الصفات السبعة في داخل الشيطان فإنه أن ذلك هو الحق وكان مؤلفاً لقطعه
علمت حاله على قلبه ، فاشعل به نكل همته ، هو بذلك فرح مسرور يظن
أنه يسعى في الدين ، هو سعي في اتباع الشيطان (١)

أرى الواحد منهم يعصب لعلي بن أبي طالب وكان من رعد علي عليه السلام وسيرته أنه
مفس في حاله ثوباً اشتراه بثلاثة داهم وقطع رأس لكتف أبي الرسع ، وتري
العسق لأساً الثياب الحرير ومتحملاً بأموال اكتسب من الحرام ، هو يعطى
حب علي عليه السلام ، سعيد ، هو أوّل حصائد يوم القيامة وليت شعري من أحد
ولداً عريراً لا يسا ، هو قرّة عينه وحياء قلبه فأحد بصره ويمرّقه ويمتد شعره
ويقطع بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده
ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى علي بن أبي طالب من لأهل والولد ، بل من
نفسه عليه السلام والمفتحمون معاصي الشرع هم الذين يمرّقون الشرع ويعطونه
بمعارض الشهوات وينودّون به إلى إبليس عدو الله وعدو أوليائه ، فبى كيف
يكون حالهم يوم القيامة عند علي بن أبي طالب وعند أوليائه ، الله تعالى لا يلو كشف لفظه
وعرف هؤلاء ما يحسن أوليائه ، الله في أمة محمد صلى الله عليه وآله لا سحيو أن يحروا على اللسان
ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم الشيطان يحيل إليهم أن من مات محباً لعلي بن أبي طالب
فإنه لا تحوم حوله ، وكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس بسير بسيرته فذلك
الإمام هو حصمه إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث

(١) قال لمرامى : أخرجه لطرامى في الكبير واسأله صديق جد ، ورواه سجوة

من حديث ابن عباس بن صديق .

(٢) في من السج [في اتباع الهوى والتساهل]

بالنفس لأجل العمل لا لأجل الهدى فمالت حالتي في العمل الصبر الذي هي
مسلكي ومدهبي الذي سلكته وذهب به إلى الله ، ثم أدعيت مدهبي كادياً

أقول: وما ورد في ذلك من طريق الخاصة ما رواه في لكاي بإسده عن
حابر عن أبي جعفر عليه السلام قال لي يا حابر أيكثري من تحمل التشيع أن يقول
بحسبنا أهل البيت ، هو الله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا
حابر إلا بالتواضع ولتحشع والأمانه وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر
بالوادين والتعهد للخير ان من لفراء وأهل المسكنة والعلمين والأيتام وصدق
الحديث وتلاوة القرآن وكف الألس عن الناس إلا من خير وكانوا أضاء عشائرهم
في الأشياء قال حابر يا ابن رسول الله ما يعرف ليوم أحدكم بهذه الصفة ، فقال
يا حابر لا تذهب من أهداه حب الرجل أن يقول « أحب علياً وأولاه » ثم
لا يكون مع ذلك فعلاً ، فلو قال « يا بني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله خير
من علي » ثم لا يفسح سريره ولا يعمل بسنته ما دفعه حبه إياه شيئاً ، فاتقوا الله و
عملوا ما عذاته ليس بين الله وبين أحد فرانه ، « أحب العباد إلى الله وأكرمهم علمه
تعالى أنعامهم وأعلمهم بطاعته ، يا حابر والله ما ينسب إلى الله تعالى إلا بالطاعة ، وما
معبودية من النار ، ولا على الله لأحد من حبه من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي
ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو » ما نال ولايت إلا بالعمل « الورع »

وقد ذكرنا هذا الحديث في كتاب العلم من ربيع ابعاد وفي كتاب أخلاق

(١) المصدر ج ٢ ص ٧٤ و قوله دو ما مع براه من لاد « ليس مصاصك
وحكم سرائرنا وبراہ شيعتنا من النار وان عملوا بعمل الفقار « ولا عني الله لأحد من
حجة » أي من لأحد عني الله حجة إذ لم يعرفه بان يقول كتب من سعة عني فلم لم تعرفني ،
لان الله تعالى لم نعم يعرف من ادعى التشيع بلا علم او لمحي ليس لنا عني الله حجة
في ابعاد من ادعى التشيع من العذاب ويؤيده ان في المجالس « وما عني الله حجة »
« من كان لله مطيعاً » كما حوا عاشورهم في هذا العام انهم عندهم السلام حكوا وان
شيعهم و اوليه هم لا يدخلون النار فأحب عليه السلام ان العاصي لله ليس بولي لنا ولا تدرك
ولايتنا الا بالعمل بالطاعات ، والورع عن المعاصي

الإمامه وآداب الشعة من ربيع العاد أيضاً وإدما أعدد ذكره ههنا لشدة مناسبتة
بهذه المقام وسدّة احبّاح أكثر الناس إليه

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قال أبو الصّاح: الكرمي لأبي عبد الله
عليه السلام ما بلغني من الناس فيه من فضل أو عظمة شيء وما ألقى من الناس
في شيء فقال لا يزال يكون بسبب من حل أسكلام فقول جعري حبيب، وقال
يعتر كم الناس بي، فقال أبو الصّاح نعم، قال وما أول؟ والله من يمنع جعراً
مكتم بـ أصحابي من اشتدّ وعده، وعمل لحالده، وحاتوا به هؤلاء أصحابي،
و بسببه من أبي، بحسن الأول عليه السلام، وكثير ما كسبنا سمع أبي يقول
ليس من شععت من لا يتحدث بالحديث بوعده في حديثه، وليس من أوليائنا
من يفرقه فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق الله أروع منه» (١).

قال أبو حامد فهذا مدخل عظيم من مداحين الشيطان قد أهلك به أكثر العالم
«قد سلمت المدر لأرواح فل من الله خوفهم» ضعف في الدين بعدتهم وقويبت في
الدين رغبتهم واشتد على الاستماع حزمهم ولم يمتكئوا من الاستدغ وإقامة أحد
إلا بالضعف، فحسبوا ذلك في صدقهم ولم يهتروهم على مكيدة الشيطان فيه بل
ابوا عن الشيطان في تعميد مكيدته، فاستمر الناس عليه وسو مهمات دينهم وقد
هلكوا وأهلكوا والله تعالى يتوب عليهم قال بعض السلف بلغنا أن إبليس قال
سولت لأمة عند المعصية فقصوا طهرني بالاستغفار فوكل لهم دنوا لا يستعفرون الله
مها وهي الأهو، وقد صدق الملعون في أنهم لا يعلمون أن ذلك من لأسباب التي
تجر إلى المعصية، فكيف يستعفرون منها ومن عظم حمل الشيطان أن يشعل
الإنسان عن نفسه بالاحتلاط الواقعة بين الناس في المداهب والخصومات، قال

(١) المصدر ج ٢ ص ٧٧ وفي ذكر لرجاء بعد العمل والورع منه على ههنا
سبب لرجاء الثواب للثواب وعلى أنه لا يسمى لأحد أن يكل عمله، عده ما في الباب له
أن يجعله وسيلة لرجاء لأن الرجاء بدوهما غرور وحقق وفيه دلالة على أنه كره مباله
أبو الصّاح بديه من لغثه وسوء الأدب (قال المؤلف في واهيه).

(٢) المصدر ج ٢ ص ٧٩.

ابن مسعود قد قعد قوم يذكرون الله ، فأتاهم الشيطان لميعهم من مجلسهم فيمرق
بينهم فلم يستطيع ، فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأصد بينهم فقاموا
يقتلون ولنس إياهم يريد فقام الدين يذكرون الله تعالى و شغلوا بهم بفصلون
بينهم ففترقوا عن مجلسهم وحدث مرد الشيطان منهم

ومن أبوابه العظيمة حمل العوام والدين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه
على التمكن في ذات الله وصفه وفي أمور لا يبلغها حدٌ عقولهم حتى يشككهم بذلك
في أصل الدين أو يحيل إليهم في الله حياً لا يتعالى الله عنه فبصير به كافراً أو متدعياً
وهو به فرح مسرور متخفح بما وقع في صدره يظن أن ذلك هو المعرفة والمصيرة
وأنه انكشف له ذلك مدكائه وريادة عقله ، وأشد الناس حاقة أقويهم اعتماداً في عقل
نفسه ، وأثمت الناس عقلاً أشدهم إتقاناً لنفسه ووطنه ، وحرسهم على السؤال من
العلماء ، روي أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من
خلقك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى ، فيقول : ومن خلق الله تعالى ؟ فإذا وحداً أحدكم
ذلك فليفل آمن بالله تعالى ويرسله ، فإن ذلك يذهب عنه » (١) فالنبي ﷺ لم
يأمر في علاج هذا الوسواس بالبحث فإن هذا وسوس بعدد عوام الناس دون العلماء ،
وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا و يشغلوا بعباداتهم و بمعاشهم و يتركوا
العلم إلى العلماء فالعامي لو رآه أو سرق كان حيراً له من أن يتكلم في العلم فإنه
من تكلم من غير إتقان العلم في الله وفي دينه وقع في بكر من حيث لا يدرى ،
كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكائد للشيطان فيما يتعلق بالعبادة
و بالمداعب لا حصر لها ، وإنما قصدنا بما أوردناه المثال

وهو أبوابه سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى واحتمسوا كثيراً من الظن
إن بعض الظن إثمٌ ومن حكم بشر على غيره بالظن بعينه الشيطان على أن يطول فيه
النسب بالقيمة فيهلك أو يقصر في العباد بحقوقه أو يتواهي في كرامه أو ينظر إليه بعين
الاحتقار ويرى نفسه حيراً منه و كل ذلك من المهلكات ولا حل ذلك مع الشرع

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان بعد حسن كافي لعامة الصبر .

من اسعز من الله فقال رسول الله ﷺ «اتبعوا مواضع التنبؤ»^(١) حتى أن رسول الله ﷺ كان معتكفاً فأتمته وتحدثت عنده فلما أتميت انصرف فقام يمشي معي فمر به رجلان من الأنصار فسلمائهم مصياً ودعاهما فقال إني أبعثت بس حبي قلايا رسول الله أفظن بك إلا خيراً؟ قال إن الشيطان ليحري من بني آدم محري الدماء وإني خشيت أن يدخل عليكما»^(٢) فاطر كتب أشفق على دينهما وجرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحترار من التهمة حتى لا يساهل العام الورع المعروف بالدين في أحوله فيقول مثلي لا يظن به إلا خيراً إغنياً منه نفسه وإن أروع لس وأتعاها وأعلمهم لا يضر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم.

وعن الرضا عن كل عيب كيلة * ولكن عن الشحط تندي لمساويا

فيجب الاحترار عن سوء وعن تهمة الأشرافين الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنساناً يسيئ الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم أنه حيث في الباطن وأن ذلك حسنه يترشح منه ، وإتدبري غيره من حيث هو ، فإن المؤمن يطلب المعادير ، والمذوق يطلب العيوب ، والمؤمن سليم القلب في حق كافة الخلق وهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما يسمه على غيره ، فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله

﴿ فصل ﴾

فإن قلت ، فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الإيثار ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؟ فاعلم أن علاج ذلك سد هذه المداخل

(١) ذكره المولى على لعاري في الموضوعات الكبير ص ٢٤ ، وقال - هو في معنى قول غير من سلك مسالك التهم انهم - رواء الغرائط في مكارم الاخلاق عن غير موقوفاً بلفظ من أقام نفسه مقام التهم فلا يذم من أساء به الظن .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم ج ٧ ص ٨ وقد تقدم .

وتطهير القلب من هذه الصفات المدمومة وذلك يطول ، كما هو موعود في هذا الرُّبْع
من بكتات بيان علاج الصفات المهلكة ، و يحتاج كلُّ صفة إلى كتاب مفرد على
ما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى . نعم يدفع من القلب أصول هذه الصفات كاللشيطان
بالقلب أحساراً ، و حطرات ، وله يكن أداساً ، و معة من لأحبيب . ذلك الله تعالى
لأن حقيقته لا ذكر لا يمكن من له . إلا بعد عمارة القلب بالمعوى ، و تطهيره من
الصفات المدمومة ، و لا يمكن ذلك حذره النفس المستطاع له على القلب فلا يدفع
سلطان الشيطان ، و لذلك قال الله تعالى : « إِنَّ أَدْنَى أَعْيُنِنَا » و ما بهم ضائب من
الشيطان مدكر ، و قد ص ذلك و متفق ، مثل السطان مثل كلب حذع يعرب
ملك فإن لم يكن من يديته لحم و حية فإنه يرحم عنك ثم تقول له : « فمجرّد
المعوى يدفعه ، و إن كان من يدك شيء ، من ذلك و هو خارج فإنه يهجم و لم يدفع
مجرّد الكلام فالقلب الحادي عن قلوب سطر يرحم ، عند مجرّد الذكر ، و ما
الشهوة إذا علت على القلب دفع حقيقته الذكر إلى حواشي القلب و لم يمكن
من سويده فيستغفر الشيطان في سوباء القلب ، و أم قلوب المتقين الحالية من
لهوى و الصفات المدمومة فإنه طر بها الشيطان لا التسهوت من حلولها بالعملة عن
الذكر فإذا عاد إلى الذكر حس الشيطان : دليل ذلك قوله تعالى : « و ما بعد
بالله » و سائر الأحكام ، و الآيات الواردة في الذكر ، فمهما صعب في أن يدفع
لشيطان عنك مجرّد ، الذكر كما يدفع عنهم كان محالاً و كنت كمن يطمع أن
يشرب دواء قبل الاحتماء و المعدة مشحونة بعليط الأطمعة و يطمع أن يصفع كما يصفع الذي
شربه بعد الاحتماء و تحليلية المعدة ، و الذكر رضاء و لتقوى حماء يحلي القلب من
الشهوات ، فإذا برز اندكر قلنا فارعاً عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما تدفع
العملة ببرول الدواء في معدة خالية عن الأطمعة ، قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ
لِّمَن كَانَ قَلْبٌ » (١) و قال تعالى : « وَ كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّيْهِ فَإِنَّهُ يَصْلَهُ وَ يَهْدِيهِ إِلَى
عَذَابِ السَّعِيرِ » (٢)

ومن ساعد الشيطان بعلمه فقد تولاه وإن ذكر الله بلسانه ، وإن كتب تقول لأحدث قدورد مطلقاً من الذكر يطر الشيطان ولم تفهم أن أكثر عموهات اشرع مخصوصه بشر وعرفها علماء الدين ، فانظر إلى نفسك فليس لحر كاعبايه وتأمل أن انتهى ذكرك وعبادته صلاتك ، فرب قلبك إذا كتب في صلاتك كيف يتجاوز به الشيطان إلى الأسواى ، حساب المعملين وحوال المعبددين ، وكيف يمر بث في أودية الدنيا ، هل لك حتى أتت لانتدكر مانسبته من فصول الدنيا لا في صلاتك ولا تر دحم للشيطان على قلبك إلا إذا صليت و الصلاة يحك القلوب فيها تظهر مساويها ومحاسنها لصلاته لاتعمل من القلوب المشحوة بشهوات الدنيا ولا حرم لا يطرده عنك الشيطان ، بل ربما يريد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يريد عليك الضرر ، فإن شئت الخلاص من الشيطان فعدّم لاحتماا بالتفوى ثم اردوه بدوا ، الذكر ، وفدور الشيطان مث ، ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تنس الشيطان في العلابية وأنت صديقه في السر أي أنت مطمع له ، وقال نعمهم يا عبا من بعضي الله بعد معرفته با حسابه ويطيع الكفر بعد معرفته بطعانه ، وكما أن الله تعالى قال « ادعوني أستجب لكم »^(١) وأنت تدعوه ولا يستجب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لعدد شروط الذكر والدعاء.

قيل لأبراهيم بن أدهم . ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى « ادعوني أستجب لكم » قال . لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذي أماتها قال . ثمن حاصل عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه و قرأتم القرآن فلم تعملوا بحدوده ، و قلمت بحب رسول الله ﷺ وتركت سننه ، و قلمت بحشى الموت ولم تسعدوا به ، وقال الله عز وجل « إن الشيطان لكم عدو فاتحدوه عدا »^(٢) فواظبوا تموه^(٣) على المعاصي ، و قلمت بحاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، و قلمت بحب الحبة ولم تعملوا لها ، و إذا قمتم من فرشكم رهينتم بعبودكم و راه ظهوركم و قدعتم عيوب الناس أمامكم فأنسطم ربكم فكيف يستجيب لكم ؟

(١) المؤمن ٦٠

(٢) ماطر : ٦

(٣) أى واقتنؤوه .

﴿ فصل ﴾

فإن قلت : فالداعي إلى المعاصي المحتلعه شيطان واحد أو شياطين محتلعة ؟ فاعلم أنه لا حاجة بك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتعل بدفع العدو ولا تسأل عن صغته كما يقال . كل القل من حيث تؤتى به ولا تسأل عن المسئلة ، ولكن الذي يتضح بمور الاستنصار و شواهد الأحبار أنهم جنود محتدة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه ، فأما طريق الاستنصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه ، وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان .

وأما الآخر فقد قل معاهد : لا بليس خمسة من الأولاد قد حمل كل واحد منهم على شيء من أمره ، قد كثر أن أسماهم ثبر والأعور وميسوط وداسم و رليبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالنور و شق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية ، وأما الأعور فيته صاحب الرّيا يأمر به ويرينه ، وأما ميسوط فهو صاحب الكذب ، وأما داسم فيدخل مع الرّحل إلى أهله يريه العيب فيهم و يقضه عليهم ، وأما رليبور فهو صاحب السوق و سببه لا يرالون منطلمين ، و شيطان الصلاة يسمى حنرب ، و شيطان الوصو ، يسمى الولهان ، وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة وكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر أسر في كثرة الملائكة واحتصاص كل واحد منهم بعمل ينفرده ، وقد قال أبو أمامة قال رسول الله ﷺ : « وكل المؤمن مائة وستون ملكاً يذبّون عنه ما لم يقدر عليه ، من ذلك للمصرسعه أملاك يذبّون عنه كما يذبّون عن قصعة العسل الذباب في اليوم المصائف ، وما لو بدالكم لرأيتهم على كل سهل وحبل كأنهم باسطي يده فاغرّاه ، وما لو وكل العبد إلى نفسه طريقة عين لاحتطفته الشياطين ^(١) »

وقال أيوب بن يوسف - بلغنا أنه يولد مع أبناء الإيس من أبناء الحر ثم

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائده الشيطان ، والطبراني في المعجم الكبير باسناد

يشئون معهم وقال حابر بن غند الله ^١ إن آدم ^{عليه السلام} لما هبط قال « رب هذا العبد الذي جعل بي وبنيه عداوة إن لا تعسبي عليه لأقوى عليه قال الله تعالى لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك ، قال يا رب ردني ، قال الله عز وجل أحري بالسنة سنة والحسنة عشر إلى ما أريد ، قال رب زدني ، قال الله عز وجل ، رب التوبة مفتوح مدام في الحسد الروح ، قال إبليس رب هذا العبد الذي كرمته علي إن لا تعسبي عليه لأقوى عليه ، قال الله لا يولد له ولد إلا ويولد لك ولد ، قال رب ردني ، قال تحرري منهم مجرى الدم وتجددون صدورهم بيوتاً ، قال رب زدني قل تعالى « أحبب عليهم بحملك ورحلت وثر كهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » ^(١).

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} « خلق الله الحن ثلاثة أصناف صنف حببات وعقارب وحشاش الأرض ، وصف كالريح في الهواء ، وصف عليهم احساب والعقاب ، وخلق الله الاس ثلاثة أصناف وصف كالهاثم قال الله تعالى : ولهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها - الآية - » ^(٢) ، وصف أحسادهم أحساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين ، وصف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، ^(٣)

وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس تمثّل ليحيى بن زكريا ^{عليه السلام} فقال له أنصحك ، قال لا أريد ذلك ولكن أحزنني عن بني آدم ، قال هم عديا ثلاثة أصناف ، أما صنف منهم فهم أشد الأصناف عليا نقل على أحدهم حتى نفته وتمسك منه ، ثم يفرع إلى الاستغفار والتوبة ، فيعد عليا كل شيء ، أدركا منه ، ثم تعود إليه فلا نحر بينا منه ولا يحس بدرك منه حاجتنا ، فحس منه في غناه ، وأما الصنف الآخر فهم في أيديا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم تلتقهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم ، وأما الصنف الآخر فهم معصومون مثلك لا تغدر منهم على شيء .

(١) الاسراء ٦٤ والخبر رواه البيهقي في الشعب كما في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ .

(٢) الاعراف : ١٧٩ .

(٣) أخرجه الحكيم و ابن أبي الدنيا في مكاتبة الشيطان و ابو الشيخ في العظمة

و ابن مردويه في التفسير سند ضعيف كما في الجامع الصغير .

﴿فصل﴾

في قلب كعب يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض ٥٥ يد رأى صورته
 وهي صورة الحقيقية أو هو مثال له يتمثل به ٥ وإن كان صورته الحقيقية فكيف يرى
 بصورة مختلفة ٥ وكيف يرى في وقت واحد في مكانين ٥ وعلى صورتين حتى يراه شخصان
 صورتين مختلفتين ٥ فاعلم ٥ المثلث ٥ الشيطان بهما صورتان هي حقيقة صورتها ولا
 يدرك حقيقة صورتها بمشاهدته إلا بنوار السوء ٥ كما رأى النبي ﷺ حُرَيْثُ بْنُ
 فِي صورته مرتين (١) وذلك أنه صلى الله عليه وآله سأل أن يريه نفسه على صورته
 فوعدته ذلك بحراء ٥ فطلع له حُرَيْثُ بْنُ عَمْرٍو فسأله فقال من المشرق إلى الحجاز ٥ و
 رآه مرة ٥ أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ٥ وإنما كان يراه في صورة
 الأدمي عالياً وكان يراه في صورة دحية الكلبي (٢) وكان رجلاً حسن الوجه ولا أكثر
 أنه يكشف أهل المكشوفة من أرباب القلوب بمثال صورته ٥ فتمثل الشيطان له في
 البقعة فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه ٥ يقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف
 في المنام لا أكثر الصالحين ٥ وإنما المكشوف في البقعة هو الذي ينتهي إلى ربه لا
 يصعب اشتغال الحواس بالدنيا عن المكشوفة التي يكون في النوم فيرى في البقعة ما
 يراه غيره في النوم ٥ كما روى أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب
 بن آدم فرأى في النوم حشد رجل شبه الملو يري داخله من حارجه ورأى الشيطان
 في صورة صمد عاقد على منكبه الأيسر بين منكبه وُذنه ٥ له خرطوم طويل دقيق
 قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه ٥ يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس ٥ ومثل
 هذا يشاهد بعيد في البقعة ٥ وقد رآه بعض المكشوفين في صورة كلب حائم على حيفة

(١) أخرجه البخاري ج ٦ ص ١٧٦

(٢) حديث أنه كان يرى حُرَيْثُ بْنُ عَمْرٍو في صورة دحية الكلبي ٥ أخرجه الشيخان
 من حديث أسامة بن زيد ٥ « أن حُرَيْثُ بْنُ عَمْرٍو أتى النبي صلى الله عليه وآله وعنده أم سلمة
 فجعل يحدثهم فقام فقال لبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة من هذا دحية ٥ » .

يدعو الناس إليها وكانت المصيفة مثل الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدته صورته ، لتحقيقه فإن القلب لا يدُّ وأن يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يعاين علم الملكوت ، وعند ذلك يشرف أمره على وجه الذي يعاين عالم الملكوت والشهادة ، لأن أحدهما متصل بالآخر ، وقد بينا أن القلب له وجهان واحد إلى علم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة ، والذي يظهر منه في الوجه الذي يلي حجاب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متحيلة لأن علم الشهادة كلها متحيلات إلا أن التحيل تارة يحصل من النظر إلى علم الشهادة بالحس فيحور أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جسد الصورة وهو حيث لطف فيج السِّر لأن عالم الشهادة عالم كثير اللبس ، أمّا الصورة التي يحصل في التحيل من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون إلا محاكية للصورة وموالة لها ، لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصورة فلا حرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة فيبصره فيرى الشيطان في صورة كلب وصعدع وحريير وغيره ، ويرى الملك في صورة حيلة فتكون تلك الصورة عنوان المعنى ومحاكية لها بالصدوق ، ولذلك يدل القرد والحرير في النوم على إنسان حسنة ، ويدل الشاة على إنسان سليم لخصب وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتميز وهذا له أسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ، ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وإنما المعصود أن يصدق بأن الشيطان ينكس لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما في النوم ، وتارة بطريق الحقيقة ، ولا أكثر هو لتمثيل صورة محاكية للمعنى هي مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محففة ، ويعرّد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالمأم

❖ بيان ما يؤخذ العبد به ❖

❖ من وساوس القلوب وهمها وحواطرها وقصدها وما يعنى عنه ولا يؤخذ به ❖

علم أن هذا أمر عامص ودورده آيات وأحاديث متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سيطرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال

« غفي عن المتني ما حدثت به نفوسها »^(١)

وعنه عليه السلام قال : « يقول الله تعالى للحفظة : إياهم عني سيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فكتبوها سيئة ، وإن هم بحسنة ولم يعملها فكتبوها حسنة ، فإن عملها فكتبوها عشر » ، وقد أخرج مسلم والبخاري في الصحيحين ، وهو دليل على العفو عن القلب وهمة بالسنة .

وفي لفظ آخر « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشر » إلى سبعائه ضعف ، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ، وإن عملها كتبت عليه سيئة »^(٢)

وفي لفظ آخر « وإذا تحدثت بن عمل سيئة فإنا أغفرها له ما لم يعملها »^(٣) وكل ذلك يدل على العفو .

أقول ومن طريق الخاصة مرواه في الكافي بإساده عن أحدهما عليهما السلام قال « إن لله تعالى حمل آدم في ذنبه من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشر » ، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، ومن عمل بها كتبت عليه سيئة »^(٤) .

قال أبو حامد : « فإنا ما يدل على المؤاحدة فمؤله سبحانه » « وإن بدأوا في أنفسهم أو تحفوه بحسنتكم به الله فيعمر لمن يشاء ويعذب من يشاء »^(٥)

وقال تعالى : « ولاتقفوا ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً »^(٦) فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه

(١) راجع صحيح مسلم ج ١ ص ٨١ ، وأخرجه الطحاوي في مسنده ص ٣٢٢ تحت رقم ٢٤٥٩ عن أبي هريرة هكذا « إن الله تجاوز لامتي عما حدثت به نفسي ما لم تنكلم به أو تعمل به » .

(٢) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٢٨ ومسلم ج ١ ص ٨٣ من حديث ابن عباس

(٣) أخرجه مسلم ج ١ ص ٨٢ من حديث أبو هريرة .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٥) النقرة ٢٨٤ .

(٦) الإسراء ٣٦ .

وقال تعالى : « ولا تكتُموا الشهادة ومن يكتُمها فإنه آثمٌ قلبه » (١)
 وقال سبحانه : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت
 قلوبكم » (٢).

فالحق في هذه المسألة عندنا أنه لا يوقف عليه عالم يقع الإحاطة بتفصيل أعمال
 القلوب من مبدء ظهورها إلى أن يظهر العمل على الحوارج فنقول أوّل ما يرد على
 القلب الحاطر كمالو حطر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو انقلب
 إليها لرآها ، والثاني هيحاش الرخصة إلى المظر وهو حر كره الشهوة التي في الطبع ،
 وهذا يتوّلّد من الحاطر الأوّل ويسمّيه ميل الطبع ، والأوّل يسمّى حديث النفس ،
 الثالث حكم القلب بأنّ هذا يسعى أن يفعل أي يسعى أن يطر إليها فإنّ لطبع
 إذا مال لم تسمع الهمة والنية عالم يندفع الصوارف فإنّه قد يسمعها حياءً وخوف
 من الالتفات ، وعدم هذه الصوارف ربما يكون ثاقلاً وهو على كلّ حال حكم من
 جهة العقل ويسمّى هذا اعتقاداً ، وهو يتبع الحاطر ، والميل الرابع تصميم العزم
 على الالتفات وحرم النية فيه وهذا يسمّيه همّاً بالفعل ونيةً وقصداً ، وهذه الهمة
 قد يكون لها مبدء ضعيف ولكن إذا أصرى القلب إلى الحاطر الأوّل حتى طالبت
 بمجاذبته للنفس تأكّدت هذه الهمة وصارت إرادة محرومة ، فإذا اجزمت الإرادة
 وربما يندم بعد الحزم فيترك العمل وربما يعمل بعارس فلا يعمل بها ، ولا يلتفت إليه
 وربما يعوّقه عائق فيتعدّز عليه العمل ، فهنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالحارّة
 الحاطر ، وهو حديث النفس ، ثمّ الميل ، ثمّ الاعتقاد ، ثمّ لهم ، فنقول : أمّا الحاطر
 فلا يؤخذ به لأنّه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيحاش الشهوة لأنهما
 أيضاً لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله بغير اختيار « عفي عن أمّتي ما حدثت
 به نفوسها » (٣) فحديث النفس عبارة عن الحواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم
 على الفعل ، وأمّا العزم والهمّ فلا يسمّى حديث النفس ، بل حديث النفس كما

(٢) البقرة : ٢٨٣ .

(١) البقرة : ٢٨٣ .

(٣) تقدم آثماً عن الطيالسي ومسلم في صحيحه .

روي عن عثمان بن مطعون حيث قال : « رسول الله إن نفسي تحدثني أن أطلق حولة قال مهلاً إن من سني الكاح ، قال نفسي تحدثني أن أحب نفسي ، قال مهلاً حصاً ، أمّتي رؤب الصيام ، قال نفسي تحدثني أن أترهب ، قال مهلاً رهبانية أمّتي الجهد والحج ، قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم ، قال مهلاً في نبي أحسنه و نواصته في كل يوم لا كلته ، ولو سألت الله لأطعمنيه »^(١)

فهذه الحوطة التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ، و بذلك شاور فيها رسول الله ﷺ ، إذ لم يكن معها عزم و همّ بالفعل ، و أمّا الثالث و هو الاعتقاد و حكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل ، فهذا مردّد بين أن يكون اضطراراً و احتساراً ، و لأخوان تحسّن فيه ، فالاحتيازي منه يؤخذ به و الاضطراري لا يؤخذ به ، و أمّا الرابع و هو الهمّ بالفعل فإنه يؤخذ به إلاّ أنه إن لم يفعل نظر ، فإن برّكه خوفاً من الله تعالى و دهم على همّته كنت له حسنة لأن همّته سيئة و امتناعه و مجاهدته بنفسه حسنة ، و الهمّ على وفق الطبع لا يدلّ على تمام لعقله عن الله و الامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة ، فحده في محالعة الطبع و هو العمل لله سبحانه أشدّ من حده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع و كتنّب له حسنة لأنّه رحتج جهده في الامتناع و همّته بفعله بالهمل ، و إن تعوّل الفعل لعائق أو ترّكه بعدد لاحوقاً من الله تعالى كتنّب عليه سيئة ، و إن همّته فعن من القلب اختياري .

و الدليل على هذا الفصل ما ورد في الصحيح متصلاً في لفظ الحديث قال رسول الله ﷺ « قال ملائكة ربّه إذاً عندك يريدنّ يعمل سيئته وهو يبصر ، فقال ارفوه فإن عملها في كسوها عليه مثاب و إن تركها فاكسوها له حسنة إنّا نتركها من أحلي »^(٢) و حيث قال « لم يعملها » أرادته تركها لله ، فأما إذا عزم على إحسنه و تعدّرنّ عليه بسبب أو بعلة فكيف يكتب له حسنة ؟ وقد قال رسول الله ﷺ

(١) ما عثر عليه في حديث واحد و اسأله مضمونه في احاديث عدة .

(٢) أخرجه مسلم ج ١ ص ٨٢ و فيه « اسأ تركها من جرائي » و المعنى واحد .

« يؤمّ بحشر الناس على بيّاتهم » ^(١) في سجدة « فمن عزم أن لا يعي » يصح
ويصح مسلماً أو يرضى من أن ذلك اللبنة من معصية وحشر على بيّتهم وقدمهم
بسيئة ولم يعملها .

والدليل أن طع فيه مروي عن النبي ^(ص) قوله « لا يدخل الجنة المسلمان
مسيهما ولقاتل والمقتول في الدار » فمن سأل رسول الله هذا القاتل عما كان أمقتول ؟
قال : لأنه أراد قتل صاحبه ^(٢) .

وهذا نص في أنه ما من أهل النار مخرجاً إلا أنه من مظلوماً فكيف
يطعن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم ، بل كل ما دخل تحت أحد من بعد يوم حوذه
لا أن يكفره بحسنة ، وبتنسى لعزم ما يندم حسنة فلهذا كتب حسنة ، وأما قول
المراد بعائق فليس بحسنة ، وأما الحواظر فحدث النبي ^(ص) مع حال ارتد فكل ذلك
لا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاحتمال ، والمؤخر من يكلف بالاطلاق ولذلك لما
برر قوله تعالى « من عادوا مني فعدوا » وأمرهم أن يحضروا معكم من الله ^(٣) ، من
من الصحابة إلى رسول الله ^(ص) ولو كلف بالاطلاق من أحداً ليتحدث
نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ، ثم يحسن به ذلك ، فقال رسول الله ^(ص) لعنكم
فولون كما قال رسول الله ^(ص) سمعنا وعصينا ، فولو سمعنا وأطعنا ، فأمر الله
تعالى الفرح بقوله عز وجل « لا يكذب الله عهداً » ^(٤)

أقول ومن طريق لخصته ما رواه في الاحتجاج ^(٥) عن أمير المؤمنين ^(ع) في
حديث طويل « أن هذه الآية عرصب على الأنبياء ، الأئمة السادة وأبوا أن يسلوها
من ثملها وفعلها . سأل الله ^(ص) وعرض على أمته فسلوها ، فسلموا رأى الله عز وجل
منهم القول علم أنهم لا يستطيعون . قال أما إذا فسلوا إليه بشد يدهم وعظم ما فيها
وقد عرضها على الأئمة فأبوا أن يسلوها وقلوبهم تمت بحق علي ^(ع) أو فعملها عن

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٣٩ من حديث حار

(٢) متفق عليه وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٩٦٤ .

(٣) اسعرة : ٢٨٤ .

(٤) لاية في السيرة ٢٨٦ وأخرجه مسلم ج ١ ص ٨٠ (٥) ص ١١٧

أَمَّنْتُ ، و قال « لا يَكَلِّفُ الله نفساً إِلا وُسْعَهَا » - الآية - .

قال أبو حامد : فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف العطاء عن هذا الالتباس ، و كل من يصرف أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ، و من ثم يعرف بين هذه الأقسام الثلاثة فلابد أن يعلط ، و كيف لا يؤاخذ بأعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والمفاخر والجدد و جملة الحائث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد و كل ذلك كان عنه مسؤولاً ، أي عما يدخل تحت الاحتيار فلو وقع البصر بعير احتجبه على غير محرم لم يؤاخذ بها فإن أسعها بصره ثمة كان مؤاخذاً بها لأنه مختار وكذا حواطر القلب يجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله ﷺ « التفتوى ههنا » ، و أشار إلى القلب .^(١) وقال الله عز وجل : « لم يسل الله لجهنم ولا دماءها ولكن يسله التفتوى منكم »^(٢) والتفتوى في القلب ، وقال ﷺ « إلا ثم حور القلب »^(٣) وقال ﷺ « السر ما اطمأن إليه القلب و فرأى أفتوك و أفتوك »^(٤) حتى أننا نقول : إذا حكم قلب المصطفى بإيجاب شيء ، و كان محطاً أصاب مثلاً على فعله ، بل من من أن منظره فعله أن يصلي في صلاته ثم تذكر كان له ثواب بفعله و من ترك ثم تذكر كان معاقباً ، و من وجد على فراشه امرأة فظن أنها روحه لم يعص بوطيها و من كانت أجنبية و إن طرأ عليها أحبيته عصي بوطيها و من كانت امرأته كل ذلك طرأ إلى القلب دون الحواجر .

(١) بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر (١٧ ص ٥٢)

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب والباطنين في صفاتها وعجائبها احتلوا في هذه المسألة على حمص ورق فقالت فرقة أن الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لأن

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في حديث كما في المعنى

(٢) الصحيح ٣٧ (٣) تقدم في المجلد الأول ص ٥٧ مع بيانه

(٤) أخرجه الطبراني من حديث أبي تالة ، ولا جد بعده في حديث عن وصة

كما في المعنى .

السيء بفتح السين قال « إذا ذكر الله حسن الشيطان » ^(١) والحموس هو السكون فكأنه
يسكت وقالت فرقة « لا معدم أصله ولكن بحري في القلب ولا يكون لها أثر لأن »
القلب إذا صار متنوعاً بالذكري صار محجوباً عن التأثير بالوسوسة كما مشعول مهمة
في به قديكم فالانهم وإن كان لصوت يمشي على سمعه ، وقال فرقة « لا سقط الوسوسة
ولا أثرها أصلاً ولكن يسقط علمتها للقلب وكأنه يوسوس من بُعد وعلى ضعف
وقاب فرقة « معدم عند الذكر في لحظه ويمعدم الذكر بها في لحظه ويتعقد في
أزمة متعاربة فطر لتعارب أتب متساوية ، وهو كالكرة التي عليها نقط متعرجة فأتها
إذا كبرت بسرعة رأيت النقط دوائر لسرعته بواصلها ، لحر كره وتدل هؤلاء بأن
الحسن قد ورد وحين تشهد الوسوسة مع الذكر ولا وحده إلا هذا وقالت فرقة
إن « لوسوسه والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقاً لا يقطع ، وكما أن »
الإيمان فديري في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قديكون بحري لشئين
وقد قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بهم
أمر دنياه وعيانه في قلبه يصير بهم أمر دينه » ^(٢) وإلى هه ذهب المحاسني

و الصحيح عندنا في هذا أن كل هذه المدهات متحيزة ولكن كلها قصيرة
عن الإحاطة بأصناف الوساوس وإنما ينظر كل واحد من القرو إلى صنف واحد
من الوساوس فأحمر عنه ، والوسواس ثلاثة أصناف الأول أن يكون من جهة التلبس
للحق فإن الشيطان قد يلبس الحق فيقول الإنسان لا سرك التمتع واللذات
فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم ، فعند هه إذا ذكر
العبد عظم حق الله تعالى ، وعظيم ثوابه وعقابه قال « لصبر عن الشهوات شديد
ولكن الصبر على الماء أشد منه ولابد من أحدهما ، وقد ذكر العبد وعد الله

(١) هذا حديث من البحر الذي مر من ٥٦ « إن الشيطان وصح خطبه على قلب بن آدم » .

(٢) قال العراقي أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث محمد

بنعبد « الآخر » مكان « دينه » وفيه العيين بن أحمد بن محمد الهروي الساجي
لحافظ كذب الحاكم والإمام منه .

ووعيدته وحدث إيمانه وبقيته حس شيطان وعرف ، إذ لا يستلزم أن يقول ليس
البار أشد من الصرع المعصي ولا يمكن أن يقول المعصية لا تقضي إلى استار ،
في إيمانه بكتابات الله يدفعه عن ذلك فيقطع وسواسه ، كذلك يوسوس إليه بالعجب
في علمه وعمله ، يقول له أي عند عرف الله كما تعرفه ، بعده كما بعده فما
أعظم مكائده عند ذكر العبد أن معرفته وقدرته وقدره أعضاء التي بها علمه
وعمله كل ذلك من حجاب الله فمن أين يعجب به وحس الشيطان ؟ إذ لا يمكن أن
يقول ليس هذا من الله لأن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسوسة ينقص
بالكيفية عن العاقل المستنيرين سود ، لا إيمان والمعرفة

اصف الثاني أن يكون وسوسة بخرق الشهوة ، فيسحقها وهذا ينقسم إلى
ما يعرف العبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه مغالب الصلوة ، من علم يعيناً حس
الشيطان عن تهميش يؤثر في التحريث ، لم يحس عن التهييج ، وإن كان مطلوباً
بما يسمى مؤثر بحيث يحتاج إلى محذره في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها
مدفوعة عن عاقله

اصف الثالث أن يكون وسواسه مخبراً ، الجواهر وندكر الأحوال العاقلية
والفكر في الصلاة في غير أمر الصلاة مثلاً ، فإذا قيل على لذكر صوت أن يدفع
ساعة ويعود يدفع ويعود فيعقب الذكر ، الوسوسة وتصور أن يساء فاجتماعاً
حتى يكون منهم مشتملاً على فهم معنى الفاقة ، على تلك الجواهر كانهما في
موضع من القلب وبعد حدث أن يدفع هذا الحس بالكثيرة بحيث لا يحظر ، و
لكنه ليس محلاً ، إذ قال ^{والله} عن صلي كعبين لم يحدث فيها نفسه شيء من
أمر الدنيا غير له ما بعد ثم من دسه ، ما تأخره ^(١) فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا
أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستنير ، فبما قدرى
استوعب القلب بعده ، وبذلك في قديمه كمعد ، كعبين ، كعبت في محادثة عدوه
بحيث لا يحظر سأل غيره ، كذلك المصير في الحب قديمه في محادثة محبوه بعلمه

(١) أخرجه أحمد ومروني لمحمد الأول من ٢٤٩

فمعوض في فكره بحيث لا يحظر سآله عن حديث محبوبه ، ولو كلفه غيره لم يسمع
ولو احتاروا أحد بين يديده لكان كآته لا يراه ، و إذا تصوّر هدا في خوف من عذبه وعند
الحرص على حاه و مال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الحسة ،
ولكن ذلك عريير لصعب ، لا يمان بالله واليوم الآخر

فإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصاف ابوسواس علمت أن لكل مذهب من
المذاهب وجهاً ولكن في محل مخصوص ، وبالحمله والخلاس من الشيطان في لحظة
أوساعة غير بعيد ، ولكن الخلاص منه عمر أطويلاً بعيداً أو محلاً ، ولا يقطع وسوسه
عروس الدنيا ، وبمدها إلا بالرمي والمعارقه فمادام هناك شيئاً وراء حاجته ولودنياً
واحداً فلا يحلله الشيطان في صلاته عن الفكر في دياره وإته كيف يحطه وفيما
دائمه وكيف يحبه حتى لا يعلم به أحد أو كيف يطهره حتى يسهى به إلى غير
ذلك من ابوسواس ، فمن نشب خالبه في الدنيا وطمع في أن يخلص من الشيطان
كان كمن يعمس في العسل وطن أته لا يجمع الدنيا عليه وهو محال ، والدنيا باب
عظيم لوسوس الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب

قال حكيم من الحكماء : الشيطان يأتي أس آدم من فحل لمعاصي فإن
منع أناه من وجه الصيحة حتى يلقبه في بدعه ، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة
حتى يحرم عليه ما ليس بحرام ، فإن أبى شككه في وصوته وصلاته حتى يحرجه
عن العلم ، فإن أبى حقف عليه أعمال الر حتى يره الناس صابراً عقيباً فتميل
قلوبهم إليه ويعجب منه ، وبه يهلكه وعند ذلك تشد الحاجة في دنيا آخر درجة ويعلم
أنه لو حاورها أفلت منها إلى الجنة

✽ (بيان سرعة تقلب القلب) ✽

✽ (وانقسام القلوب في التغير والثبات) ✽

اعلم أن القلب كما ذكرناه مكتنف الصفا التي ذكرناها وسعت إليه الآثار
والأحوال من الأبواب التي صفاها فكانت هدف يصاب على الدوام من كل حاسة

في إذا أصابه شيء، ويتأثر به أصابه من جانب آخر مصادره فيعتبر وضعه، فإن نزل
لشيطان به ودعاه إلى الهوى والفسق تقلب قلبه إلى كل ما يهوى به وصرفه عنه، وإن
حدثه شيطان إلى شر حدثه شيطان آخر إلى غيره، وإن حدثه قلب إلى خير حدثه
ملك آخر إلى غيره فتارة يكون مسارعاً بين ملكين، وتارة بين شيطانين، وتارة
بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملًا، ولله الإشارة بقوله تعالى: «وَيَعْلَمُ
أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ»^(١) ولأطلاع رسول الله ﷺ على عظيم صنع الله في عجائب
القلب يعلمه كان يحلف به ويقول «لا، ولا يعلم القلب»^(٢)

وكان كثير ما يقول ﷺ: «يَا مَعْلَبُ لَعْلَبُ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِ» قالوا:
أونحى يا رسول الله؟ فقال: «هذؤمسي والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يعلمه
كيف يشاء» وفي لفظ آخر «إن شاء أن يسمه أفعه وإن شاء أن يريعه أذاعه»^(٣)
وصرب له رسول الله ﷺ ثلاثة أمثله فقال: «مثل قلب مثل العصور
يتقلب في كل ساعة»^(٤)

وقال ﷺ: «مثل القلب في قلبه كالقندار، استجمع علباً»^(٥)
وقال ﷺ: «مثل القلب كمثل ريشة في أرمز فلاه قلبها الرّيح طهرأ
لطن»^(٦)

وهذه لتقليبات من عجيب صنع الله، وعجائب صنع الله في قلبها من حيث

(١) لا سالم ١١٠

(٢) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٦٠ من حديث ابن عمر وأخرجه ابن ماجه تحت رقم

٢٠٩٢ عن سالم عن أبيه وفيه «لا ومصرف القلوب».

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٩٩ والحاكم ج ١ ص ٥٢٦ ج ٤ ص ٣٢١

و قد مر، وقوله «أقامه» أي عني الحق، و «أذاعه» أي من الحق.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣٠٧ و قال صحيح على شرط مسلم

(٥) أخرجه أحمد ج ٦ ص ٤ من حديث البغداد وفيه «أجمعت علباً»

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٨٨، والطبراني في الكبير و البيهقي في الشعب من

لا يهتدي إليه لا يعرفه إلا المتأقنون لمعلومهم و المراعون لأحوالهم مع الله تعالى
و العيوب في النفاذ على الخير والشر والردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى
و ركني الرضا وطهر من حوائث الأخلاق فسندج فيه حواظر الخير من حرائق
العيب و مدخل الملوك فصرف لعمى إلى التفكير فيما خطر ليعرف دقائق الخير
فيه ويطمع على أسرار فوائده فيكشف له نور نصيره وحب محكم بأنه لا بد من
وعله ويستحث عليه ويدعو إلى العمل به فيسطر أملاك إلى القلب فحدو طمأن في
جوهره ودهراً يتعوه ، مسدراً بصيد العقل ، معموراً بأوراف عرفة و براه صالحاً
لأن يكون مستقراً له و مهبطاً بعد ذلك يمدّه بخود لا يري و يهديه إلى حيران
' أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير و كذلك على الدوام لا ينساه فيمداده بأسر عيب
في الخير و ينسر الأمر عليه و إليه الإشارة بقوله تعالى : « فأنت من أعطى و اتقى »
و صدق بالخسنى و سببته للسرى و^(١) وفي مثل هذا القلب يشرى نور المصباح
من مشكوه الرئوسه حتى لا يحصى فيه لشرك الخسنى الذي هو أحصى من دسب
اسملة السوداء في الليلة لظلماء ، ولا يحصى على هذا المودحافية ولا يروح عليه شيء
من مكائد الشيطان ، بل يقع عليه اشيطان يوحى حروف القول عروراً ولا يلتفت
إليه ، وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على العرب معموراً بالمحجبات التي
سد كرها من الشكر والصبر و الخوف والرحاء والعمر والرؤد والحمية و الرضا
و الشوق والتوكل و التفكير والمحاسة والمراقبة و عرديث ، وهو القلب الذي أقل
الله تعالى عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى : « ألا ذكر الله بطمئن
لعاون »^٢ وبقوله عز وجل : « يا أيها النفس لطمئنة »^(٣)

القلب الثاني القلب المحدول المشحون بالهوى المندس بالحوائث ، الملووث
بالأخلاق الذميمة ، المفتحة فيه أبواب الشياطين ، مسدودة عنه أبواب الملائكة ، و
مبدء الشر فيه أن يفسد فيه خاطر من الهوى ويهجن فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل

(١) الليل : ٥ و ٦ و ٧ . (٢) الرعد : ٢٨ .

(٣) العجر : ٢٧ .

لستفتني منه وسنكتسب منه اجور فيه فكون لعن قدس حذره الهوى وأنى
به واستمر على سبيل التحليل له في موافقة الهوى ومساعدته فتوكل لعن به
وتساعد عليه فيشرحه لعن الهوى من سبيل فيه لمناجاة لاجناس حذره لعن عن
مناجاةه فيقول سلطان الشيطان لا يصح حكاية سبيل بغير الهوى فيقول عليه
الترين والارور والأهني يوحى ذلك رحيق من القول سرور فيصعب سلطان
الايمن والوعد والوعيد ويخونون البعس بحروف الأحرار إديصاعد عن الهوى دحان
مظلم إلى القلب يملأ حواسه حتى يظلم فيأواره فيصعب لعن كالعن التي علا الدحان
أحبابها فلا يقدر على أن تظلم وهكذا يفعل عليه شهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب
مكان التوقف والاستمرار والوعيد به واعط واستعدده هو الحق فيه عني عن انهم
وصم عن السمع وهاحب الشهوة وشط الشيطان وحج كتاب اجور ح عني وفق الهوى
ومهرب طعنية إلى عام لسببه من حرائر لعن بقضاء من الله وقدره وإني مثل
هد القلب لا شاء بقوله تعالى «أرايت من اتخذ إلهه هواه إلى آخره لا يتسبب»
وبقوله عز وجل «وعذ حق لعول على أكثرهم فهم لا يؤمنون» وبقوله تعالى
«سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون» ورب قلب هد حاله بالاصافة إلى
الشهوات [رب قلب هد حاله بالاصافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض
الأشياء ولكنه يدارى وحما حسا لم يملك عبه وقلبه وطائش عقله سقط مساك قلبه، أو
كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الحرام والرئاسة لكره ولا يفي معه مسكه بل يتنكب عند
ظهور أسبه أو كالذي لا يملك نفسه عند لعن مهم استعجز أو ذكر عب من عيوبه،
أو كالذي لا يملك نفسه عند العذرة على أحد درهم أو دينار بل يمهالك عليه تهالك
الواله المستهتر فيسعى فيه طرقة والتقوى وكل ذلك لمساعد دحان لهوى إلى القلب
حتى يظلم فيسقط منه أنواره المصرة فيسقط منه نور الحياء والبرورة ولا يمان
ويسعى في تحصيل مراد الشيطان.

القلب الثالث قلب تدو فيه خواهر الهوى فتدعو إلى الشر فيلحقه خاطر

الإيمان فيدعوه إلى الخير فينبعث النفس شهوتها إلى بصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتمتع ، فينبعث العقل إلى خاطر الخير و يدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى لجهل ، ويشتمها بالهيمه والسع في يهجمها على الشر و قلّه أكبر أثم بالعواقب فتميل النفس إلى صبح العقل ، فيحمل الشيطان حمله على العقل ويفوّي داعيه الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هوك فتؤدّي نفسك وهل ترى أحداً من أهل عصرك يحالب هواه ؟ أو يترك عرصه ؟ أفتترك ملاذ الدُّنيا لهم فيتمتعون فيها ؟ و تحجر على نفسك حتى سقى عروماً شقيّاً معوباً يضحك إليك أهل الرُّماح أسريداً يريد منصف على ملان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا ؟ أما ترى العالم للعلائي ليس يحترق عن فعل ذلك وبوكان ذلك شراً لا مسمع عنه ، فتنبذ النفس إلى الشيطان وسلب إليه فيحمل الملك حمله على الشيطان فيقول هل هلك إلا من استع لدّة الحال وسي ابعاقه ؟ أفتنزع بلدّة يسيره ونترك لدّة الحمة وبعيمها ألد لا يبد ؟ ثم تستنفل ألم الضر عن شوبك ولاستهتمل ألم النار ؟ أنعز بعمله الناس عن أنفسهم ؟ و اتباعهم هواهم ، ومساعدتهم للشيطان ؟ مع أن عذاب النار لا يحرق عذب بمقصه غيرك أرايت لو كنت في صيف و وقف الناس كلهم في الشمس و كان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس ، أم تطلب له مسك الخلاص ؟ فكيف يحالب الناس خوفاً من حر الشمس ولا يدلعهم خوفاً من حر النار ؟ فبعد ذلك تصل النفس إلى قول الملك فلا يزال القلب يتردد بين الحديدين متحاذياً بين الحريين إلى أن يعطب على القلب من هو أولى به ، فإن كانت الصفات التي في القلب العال على الصفات الشيطانية التي ذكرناها على الشيطان ومال القلب إلى حسنه من أحرب الشياطين معرضاً عن حرب الله تعالى وأولائه ومساعد الحرب الشيطان وأعدائه ، وحرى على حوارجه سابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى و إن كان العال على القلب الصفات الملكية لم يصح القلب إلى إغواء الشيطان و تحرصه إتياء على العاحله ، و بهوده أمر الآحله ^(١) بل مال إلى حرب الله تعالى و طهرت أطعاه بموجب ما سبق من القصد على حوارجه و قلب

ملؤم من بين أصابع لرحمة أي بين تحدث هذين الحربين وهو العائد
على القلوب أعني القلب والانتقال من حرب إلى حرب ، أما الثبات على الدوام مع
حرب املائكة أو حرب لشخاص فبإذن من الحامس

وهذه الطاعات * المعاصي تظهر من حركات العيب إلى علم الشهادة بواسطة
حرارة القلب فإتبه من حركات الملكوت . وهي إذا ظهرت كانت علامات تعرف
أرباب القلوب سابق العصر ، فمن خلق للجنة سبقت له الطاعة وأسباب ومن خلق
للعار سبقت له أسباب لمعصية . ساقط عليه أقران السوء ، وألقى في قلبه حكم الشيطان
فإتبه بأبوع الحكم يعرف لحكمي كقول الله تعالى رحيم فلا تبال وإن الناس
كلهم ما يحقون الله فلا تحالهم ، وإن لهم صويل فاصر حتى يوب عدوهم
ويمتصهم ، ما يعدهم الشيطان لا عرورا ، يعدهم بالموت ، يمتصهم بالمعصية وفيهلكهم
بإذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها ، فيوسع قلبه لقبول لغزو ويصيقه عن
قول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
بالإسلام ومن يرد أن يعصيه يجعل صدره متفخرا حاكما ما يصعد في السماء ، وإن
يضرهم الله فلا غالب لهم وإن يبدلهم فمن ذا الذي يضرهم من بعده ، فهو الهادي
والعصاة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الجنة
وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعصية
وعرف الخلق علامات أهل النار وأهل الجنة فقال تعالى : « إن الأبرار لعيبيم
وإن المستجار لعيبيم » « فتعالى الله الملك الحق » ، « لا يسأل عنه يفعل وهم يسألون » .
ولمصر الآن على هذا القدر ليسير من ذكر عجائب ألعاب فإن استقصاه
لا يليق بعلم المعاملة وإنما ذكر ما فيه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة و
علوم وأسرارها لينتفع بها من لا يقع بالظواهر ولا يتحرى بالقشور عن اللباب ، بل
ينشوق إلى معرفة دقائق الأسرار ، ومحمد كبره كفايه له ومفزع إن شاء الله تعالى
هذا آخر كتاب شرح عجائب القلب من المحجة البصاء في تهذيب الأحياء
ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب تزيينه النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض
القلب ، والحمد لله أولا وآخرا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كتاب رياضة النفس﴾

❖ (وتهييب الاحلاق و معالجة أمراض القلب) ❖

(وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلك من لمحجته السماء في تهذيب الأخياء)

الحمد لله الذي صرف الأمور بنديرة ، و عدل تركب الخلق وأحسن في تصويره ، و زين صوره الإبرار بحسن تقويمه و بغيره ، و حرسه عن الرأفة و البقاص في شكله و معاديره و فوض بحسن الأخلاق إلى اجتهد العبد و شمسه ، واستحجته على تهذيبه تنويره و تحذيره و سهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه و يسيره ، و من عليهم بتسهيل معونه و عسره

و امتناله على محمد عبده و بنه و حمته و شعبته و بشره و بديره ، الذي كان يدوح نور النبوة من أسابره ، و سكشف حقيقة الحق من مخائله و تباشيره ، و على اله و صحابه آلهين طهروه و حبه الإسلام عن ظلم الكفر و دياجره ، و حسموا مبادئه أسابره و لم يتدنسوا لا بقليله و لا بكثيره

أما بعد فإن الخلق الحسن صفة سبب لم يسلب و أقبل أعمال الصديقين و هو على التحفيق شطر الدين ، و هو ثمره مجاهدة امتيق ، و رياضة المتعبدين ، و الأخلاق السيئة هي لسموم القاتلة ، و لمهلك الدائمة ، و امحاري الفاصحة و الرذائل الواضحة ، و الحوائث المصنعة من حوار رب العالمين ، المحترطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين ، و هي الأبواب المصوحه من القلب إلى نار الله الموقدة التي تظلمع على الأفئدة كما أن الأخلاق الحميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجن و حوار الرحمن ، و الأخلاق العيئة أمراض القلوب و أسقام النفوس

إلا أنه مريض يعوق حيله الأبد ، و أين منه المريض الذي لا يعوق إلا حياة الحسد ،
و منها اشتدّت عناية الأطباء ، بصط قوائس العلاج بالأندلس و ليس في مرضها إلا
قوت حيله و بيبه فالعناية بصط قوائس العلاج لأمراس القلوب و فيها قوت حيلة
دقية أولى ، و هذا النوع من الطب ، حبّ معلّمه على كلّ ذي لبّ ، لا يخلو قلب
من القلوب عن أسقام لو هملت بر كمه و مرادف القمل و بدهرت فمحتاج بعد
بى بأسق في معرفه علائق و أسباب ثمّ إلى شمر في معالجتهم و إصلاحهم فمعالجتهم
هي امرأه بقوله تعالى : و قد فُحِّلَ من ربّهم ، و إهمالها هو المُرّ و بقوله عزّ و جلّ
و قد خاب من دسّيسها (١) .

و نحن في هذا الكتاب نضر إلى حلّ من أمراض القلوب و كيفية الهول في
معالجتهم على الحمله من غير تفصيل العلاج لخصوص الأمر فإبّ ذلك يأتي في
بقيّة الكتب من هذا الموضع ، و عرضنا الآن النظر الكلّي في تهديد الأخلق و تهديد
مهاجتها و نحن ندكر ذلك و نجعل علاج النفس مثلاً لد ليعرف من الأقسام ذكره
و يتضح ذلك بيان فضيله حُسْنُ الخلق ، ثمّ بيان حقيقة حسن الخلق ، ثمّ بيان
فصول الأخلق للتغيير بالرّياضة ثمّ بيان السبب الذي به يبال حسن الخلق ، ثمّ
بيان تفصيل الطّرق إلى تهديد الأخلق و رخصة السّفوس ، ثمّ بيان العلامات التي
بها يعرف مرض القلوب ، ثمّ بيان الطّرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ،
ثمّ بيان شواهد الفعل على أنّ طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ، ثمّ
بيان علامات حسن الخلق ، ثمّ بيان الصّريق في رياضة السّبيان في أوّل الشّوء .
ثمّ بيان شروط الإردّه و مميزات المحاكمة

فهي أحد عشر فصلاً يجمع مقاصد هذا الكتاب إن شاء الله

✽ (بيان فضيلة حسن الخلق و مدمّة سوء الخلق) ✽

قال الله تعالى لنبيه وحيه ﷺ مُنْشَأً عَلَيْهِ وَظَهَرَ أَعْمَتُهُ لَدِيهِ و وَإِنَّكَ

لعلى خلق عظيم» (١)

و قال عائشة « كان خلق رسول الله ﷺ القرآن » (٢)
 « سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن خلقه فقال قوله عز وجل « حد
 بعفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل » (٣) ثم قال رسول الله ﷺ « وهو
 أن يصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، بعفو عن صلاتك » (٤)
 « قال رسول الله ﷺ « إذا ما بعثت لأمتهم مكارم لأحاديث » (٥)
 « قال رسول الله ﷺ « أقل ما يوضع في الميزان بقوى الله والخلق الحسن » (٦)
 « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدّين
 فقال حسن الخلق ، ثم أتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدّين ؟ فقال
 حسن الخلق ، ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدّين فقال حسن الخلق ، ثم أتاه
 من ورائه فقال ما الدّين ؟ فالتفت إليه فقال أما بعفو هو أن لا تعصب » (٧)
 « قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟ فقال سوء الخلق » (٨)
 « قال رجل : يا رسول الله أعصي فقال تنق الله حيث كنت ، قال

(١) الفلم : ٤ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج ١ له من الثاني من ٨٩

(٣) لآلة في سورة الاعراف ١٩٩ . و أخرجه رواه ابن مردويه في المصنف من

حديث جابر و قيس من سعد بن عباد و أنس بأسانيده حسن كما في الضعيف

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب كما في الدر المنثور ج ٣ ص ١٥٤

(٥) راجع مجمع الرواة ج ٨ ص ٢٣ رواه عن الطبراني والبراء بن عبيد الله

(٦) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ١٦٨ من حديث أبي الدرداء هكذا ما من شيء

يوضع في الميزان أقل من حسن الخلق « و في حديث آخر عن أبي هريرة « سئل رسول
 الله صلى الله عليه وآله عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال بقوى الله وحسن الخلق »

(٧) رواه محمد بن نصر لم يروى في كتاب الصلاة مرسل عن [أبي] لهؤلاء من الشيخين

بلفظ « أي العمل أفضل » كما في الترهيب والترهيب ج ٣ ص ٤٠٥

(٨) أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ضعيف كما في مجمع الرواة ج ٨

ردي قال أتبع الله الحسد بمحب قال ردي قال حاله الناس بحلو
حس^(١)

و سئل رسول الله ﷺ «أي الأعمال أفضل» قال «حسن الخلق»^(٢)
«ول الله أكبر» «ما حسن الله خلق امرئ، وحلعه فيطعمه لئلا»^(٣)
«ول الله أكبر» «فيل لرسول الله ﷺ إن صلاة يصوم أسبعا وثلاثين
وهي أسبعة الخلق تؤدي حرامها بفسادها» قال «لا خير فيها» «هي من أهل النار»^(٤)
«قال أبو الدرداء» «سمعت رسول الله ﷺ يقول أفضل ما يوضع في الميزان
حسن الخلق والاستجداء، وما خلق الله تعالى إلا يمس قال اللهم قوئي فقواء بحسن
الخلق والستجداء، وما خلق الله الكفر قال اللهم قوئي فقواء بسحل وسوء الخلق»^(٥)
«قال رسول الله ﷺ» «إن الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلاح
لديكم إلا استجداء وحسن الخلق» «ألا قربتمو دينكم بهذا»^(٦)

«و قال رسول الله ﷺ» «حسن الخلق خلق الله الأعظم»^(٧)
«وقيل» «يا رسول الله أي المؤمنين أفضلهم» «يأبى» قال أحسنهم خلقاً»^(٨)
«و قال ﷺ» «إدركم من تسعوا الدس بأموالكم فمعهم بسط الوجوه و

(١) أخرجه الدرمي ج ٢ ص ٣٢٣ من حديث أبي زر، وأحمد في المسند ج ٥ ص ٢٢٨

(٢) مر ص ٨٩ تحت رقم ٧

(٣) أخرجه الطبراني في الاوسط وسمي في الشعب عن أبي هريرة كما في الرعي

والشعب ج ٣ ص ٤٠٧

(٤) أخرجه الرازي وأحمد من حديث أبي هريرة بسند صحيح كما في مجمع الرواة

ج ٨ ص ١٦٩

(٥) أخرجه صدره سمرقاني ج ٨ ص ١٦٨، وأبو داود ج ٢ ص ٥٥٢ ولم أجد

دليله في أصل.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصيف وهو متروك كما في مجمع

لرواة ج ٨ ص ٢٠

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير بسند صحيح كما في الجامع الصغير.

(٨) أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٣٢٣

حسن الخلق ، ^(١)

و قال عليه السلام أيضاً « سوء الخلق يعد العمل كما يعد الحجر العسل » ^(٢)
و عن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله ﷺ « أنت لأمرؤ فاحسن
الله خلقك ، فحسن خلقك » ^(٣)

و هو امرأ بن عبد قال كان رسول الله ﷺ حسن لسان و حملاً و أحسنهم
خلقاً ، ^(٤)

و عن أبي مسعود الدري قال كان رسول الله ﷺ يقول « اللهم قد حسن
خليقي فحسن خلقي » ^(٥)

و عن عبد الله بن عمر قال « كان رسول الله ﷺ كئيباً ، فبعثه الله
إني سأبث الصفة » لصفة و حسن الخلق ، ^(٦)

و عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال « كرم المؤمن دينه ، و مروءته عقله ،
و حسنه حسن خلقه » ^(٧)

و عن سماعة بن شريك قال شهد أبو هريرة يسأله النبي ﷺ يقول
ما خير ما أعطي العبد ؟ قال « حسن الخلق » ^(٨)

و قال عليه السلام « إن أحسنكم إليّ ، و أوكم مني محبتي ، يوم أقبضه حاسكم

(١) أخرجه الطبراني و البراء و أبو يعنى من حديث أبي هريرة و بعض طرق سر
رجالهم تفيد كما في المعنى

(٢) أخرجه لعاكم في لكى عن ابن عمر سعد ضعف كما في الجمع لصغير

(٣) أخرجه الخرائطي في مكارم لاخلق و أبو يعنى لدعولي في كتاب الآثار

و فيه ضعف كما في المعنى

(٤) متفق عليه سعد صحيح عن البراء كما في الجامع لصغير باب الثمائل

(٥) أخرجه الطيالسي في مسنده من ٤٩

(٦) أخرجه الحرطلي في الكلام ، ساد فيه لين كما في المعنى

(٧) أخرجه أحمد و لعاكم و البيهقي في الكرى سعد صحيح كما في الجامع لصغير

(٨) أخرجه الطيالسي في مسنده من ١٧١ تحت رقم ١٢٣٣

«خلاقاً»^(١)

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «ثلاث من لم تكن فيه أو واحد
«هن» فلا يعدُّ بشي، من عمله يعقوى بحجره عن محرم الله، وحلم يكف به نفسه،
وخلق يعيش به في الناس»^(٢).

وإن من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة «اللهم أعدي لأحسن لأخلاق لا
يهدى لأحسن إلا أنت»، وأصرف عني سيئهم لا يصرف عني سيئهم إلا أنت»^(٣)؛
وقال أنس سمع النبي مع رسول الله ﷺ يوماً إذ قال: «إنَّ حسن الخلق
لنديب الحديقة كما تدب الشمس الحلد»^(٤).

وقال ﷺ «من بعده المراء حسن لخلق»^(٥).

وقال ﷺ: «اليمين حسن الخلق»^(٦).

وقال ﷺ لأبي بكر «يا أبا بكر لا عقل كالديبر ولا حسب كحس الخلق»^(٧)
وعن أنس قال «قال أم حنبله يا رسول الله أرايت أمراً منا يكون لها
وحد في الدنيا فتموت و يمويت و يدخلان الجنة لأتتهما هي» قال لأحسبهما
خلقاً كان عندها في الدنيا «دُمت حينه ذهب حسن لخلق بخيري الدنيا والآخرة»^(٨)
وقال ﷺ «إنَّ مسلم أحسنُّ لديرك درجة الصائم القائم بحسن حاقه

(١) أخرجه أحمد في مسند عدي بن عمر بإسناد جيد كما في مجمع الرواة ج ٨
ص ٢٩.

(٢) أخرجه الضرري في الكبرية، و الخرائطي في المكارم عن أم سلمة بإسناد
ضعيف كما في المعنى.

(٣) أخرجه إسماعيل في السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٣ من حديث علي بن عبيد السلام

(٤) رواه الضرري في الكبير والأوسط بسند ضعيف كما في مجمع الرواة ج ٨

ص ٢٤

(٥) أخرجه إسماعيل في الشعب عن حابر بسند ضعيف كما في الجامع الصغير

(٦) أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث علي بن عبيد السلام كما في المعنى.

(٧) أخرجه ابن ماجه في السنن تحت رقم ٤٢٦٨.

(٨) رواه الضرري في الكبير والأوسط كما في الرعيه ج ٣ ص ٤١١.

« قال اعقل لأني يصحسي فاحرُ حسن الخلق أحبُّ إليَّ من أن يصحبني عابد سبَّي الخلق . »

« صحب ابن عباس رضى الله عنهما الخلق في سفره فكل يحتمل منه و مداربه فلم أَلْ و قد سكي فباله في الحب ، فقال أبحر حتم عليه ، فارتد و حلقه معه لم

٤٩

« قال ابن عبد بن مع فاعلم بهي أن لي لذرحا و إن ولُّ عذمه و عذمه عالم لهو مع و لستح و حسن الخلق و هو كمال الإيمان

« قال يصحبي من معي سوء حلق سبَّي لا تنفع معها كثرة الحساب و حسن الخلق حسنة لا تنفع معها كثرة السيئات . »

« سئل ابن عباس ع ما لكم قال ما بين الله تعالى في كتابه و إن أكرمكم عده أتكم » « قيل له ما الحب قال أحبكم خلقاً ففضلكم حسناً

« قيل كثر فقال له أساس الإيمان حسن الخلق

« قال ابن عطاء ما رجع من الجمع إلا بالخلق الحسن ولم ين أحد كماله إلا لمصطفى من خلق الله » « قال الحلة إن الله تعالى لا يكون آذنه و حسن الخلق

١٥ ما من حقيقة حسن الخلق و سوء الخلق (٥)

اعلم أن أساس ود نكتمو في حقيقة الخلق الحسن و لله ما هو و ما نعر صوا لحقيقته و إنما نعر صوا لثوره ، ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته و خطر له و كان حاسر في دمه ولم يصفوا العايد إلى ذكر حده و حقيقة المحصلة بجميع ثمراته على المفضل الاستعاب ، ذلك كقول بعضهم حسن الخلق سعد ابوحده ، و من البدى و كذا الأذى ، و قال لواطبي هو أن لا يحاصم و لا يحاصم من شدة معرفته بالله ، و قال بعضهم هو أن يكون من الناس قريباً و فيما بينهم غريباً ، و قال أبو عثمان هو لرصا عن الله ، فهذا و أمثاله كثير و هو نعر من

لثمرات حسن الخلق بالنفس ، ثم ليس محطاً بجميع الثمرات أيضاً
و كشف العطاء عن الحميفة أولى من فعل الأقاويل المختلفة فقوال الحق
والخلق عندنا مستعملتان معاً يقال فلان حسن الحق والخلق أي حسن الطاهر
والطاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخلق القوة الباطنة ، ذلك
لأن لا أساس مركب من حسد مدراء بالنفس ، ومن روح ونفس مدركه أصيرة
ولكل واحد منهما هيئة وصورة إقامتيه وبقا حميلة ولو روح لم يكن كدور الصورة
أعظم فدرأ من الحسد اندراك بالنفس ، لدان عظم الله ثمره ، لا صفة إلى منه فعل
نعالي ، أي حلق بشرأ من طين فاد سوقيه و محبت منه من رويحي ، أي فسد
على أن الحسد منسوب إلى الطين ، والروح منسوب إلى الله تعالى ، وإراد بالروح
والنفس في هذا المقام واحد فالحق عندنا عن هيئة للنفس راسخه مصدر عنها
الأفعال سهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كاس الهيئة بحيث تصدر
عنها الأفعال لحميلة المحموده عملاً ، شاعاً سميت الهيئة حلقاً حسناً ، وإن كان
الصادر منها الأفعال الفسحة سميت الهيئة التي هي المصدر حلقاً سيئاً وإسم قلبه ،
إسمها هيئة راسخه لأن من يصدر عنه بدل أصل على المدور لحاجه علامه
لا يقال حلقه استجاء ما من تبدل في نفسه ثبوت راسخ ، وإنما شريفاً أن تصدر
عنه الأفعال سهولة من غير روية لأن من يكلف بدل طال و لتكوت عند العصب
بجهد وروية لا يقال حلقه استجاء والحلم ، فبما أنه أمور أحدها فعل الحميل
والصحيح ، والذي المدرك علمهما ، والثالث لمعرفة بهم ، والربوع هيئة بالنفس ، بها
بديل إلى أحد الحسن ، يتنشر عليها أحد لأمرين إما لحسن أو العيب ، وليس
لخلق عبارة عن الفعل ، بل شخص حلقه السجاء ولا يدل بما لفقد الحلق أو المانع ،
وربما يكون حلقه السجاء وهو بدل إقبالاً أو لربوع ، وليس هو عبارة عن العبدة إلى
الإمساء والإعطاء ، بل إلى ضد من واحد ، وكل نفس خلق بالعصره قادراً على
الإعطاء والإمساء ، وإن لا يوجب خلق النحل ولا خلق السجاء ، وليس هو عبارة

عن المعرفة فإن المعرفة تنمق بالحميل والصبوح جمعاً على وجه واحد ، بل هو عبارة
 عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الأفعال والندل
 والحلق إذا عدا عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الطاهرة
 مطلقاً لا يتم بحسن العيس دون الأنف والفم والخذ بل لابد من حسن الجميع
 ليتم حسن الظاهر ، فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من لحسن في جميعها حتى
 يتم حسن الحلق فإذا استوى الأركان الأربعة واعتدل و تناسبت حصل حسن
 الحلق وهي قوة العلم وقوة العصب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى
 الثلاث أمّا قوة العلم وحسبها وصلاحيها في أن يميز بحيث يسهل لها درك الفرق بين
 الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الحميل والصبوح
 في الأفعال وإذا حصلت هذه القوى حصل معها ثمر الحكمة والحكمة رأس الأخلاق
 الحسنة وهي التي قل الله تعالى فيها : ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (١)
 وإما قوة العصب وحسبها في أن يقتصر انفعالها وانبطاها على حد ما تقتضيه الحكمة ،
 وكذلك الشهوة وحسبها وصلاحيها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعني إشارة العقل
 والدين وأما قوة العدل فهي في ضبط قوة العصب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع
 والعقل مرتلته مرتلة الماصح المشير وقوة العقل هي القدره و مرتلتها مرتلة المنفذ
 الممضى لإشارة العقل ، والعصب هو الذي ينفذه الإشارة ، ومثال العصب مثال كلب
 الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤذّب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة
 لا بحسب هيجان النفس ، والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد
 فإنه تارة يكون مروصاً مؤدّباً وتارة يكون جوحاً ، ومن استوى فيه هذه الصفات
 اعتدله وهو حسن الحلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعض دون بعض فهو حسن الحلق
 بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصته كالذي يحسن بعض أخراه ووجهه دون بعض .
 وحسن القوة العصبية : اعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة
 اعتدالها يعبر عنه بالعفة ، فإن مالت قوة العصب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة

سمي ذلك تهوؤاً ، وإن مالئت إلى الصغف و نقصان سمي ذلك حساً و حوراً ،
و إن مالئت قوه الشهوة إلى طرف الرّيادة سمي شراً ، و إن مالئت إلى النقصان
سمي حموداً ، و المحمود هو الوسط وهو الصيلة ، و طرفان رديلتان مدمومتان ،
و العدل إذا فات فليس له طرفان ريادة و نقصان بل له صدق واحد وهو الحور

و أمّا الحكمة فيسمى فراطها عند الاستعمال في الأمر من لسانه حساً و حوراً ،
و سمي تعريضها بلها و ابوسط هو الذي يختص باسم الحكمة في دن أمهات الأخلاق
و أصولها ، بعد الحكمة و الشجاعة و العفة و العدل ، و تعني بالحكمة خالدة للنفس بها
بذلك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاحتياطية ، و تعني بالعدل حالة للنفس
و قوه بها تسوس العصب و الشهوة و يحملها على مقتضى الحكمة و تصسطها في الاسترسال
و الانقياس على حسب مقتضاها و تعني بالشجاعة كون قوه العصب مفادة للعقل
في إقدامه و إحكامه ، و تعني بالعفة تأدب قوه الشهوة بتأديب العقل و الشرع
فمن اعتدال هذه الأصول الأربعه صدر الأخلاق احميله كلها ، إذ من
عند قوه العقل يصدر حسن التدبير و حوده ، لدن و ثقفة الرأى و إصابه الطر
و العطف و اندفاع الأعمال و حجاب آفات النفوس و من فراطها تصدر الحيرة و المكر
و الخداع و الدن ، و من تعريضها يصدر ليله و العمارة و الحمق و الحنون ، و أعنى
بالعمارة قلّه استجره في الأمور مع سلامة الحمل ، و قديكون الإنسان عمر في
شيء دون شيء ، و لفرق بين الحمق و الحنون أن الحمق مقصوده صحيح لكن سلوكه
للطريق فاسد فلا يكون له رؤية صحيحة في طريق الوصول إلى العرس و أمّا الحنون
في أنّه يحاذر ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل يثارة و احتياده فاسداً

و أمّا خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم و الوحدة و الشهامة و كسر النفس و الاحتمال
و الحلم و لئب و كظم العبط و الوفاء و التؤدة و أمثاله ، وهي خلاق محودة و أمّا
فراطها و هو التهوؤ فيصدر منه الصلب و الذبح و الاستدشاة و التكنس و العصب ،
و أمّا تعريضها فيصدر منه المهابة و الدلّة و الخرج و الحساسة و صغر النفس و الانقياس
عن تناول الحق الواجب .

وأما خلق العفة فيصدمه السجاء والحياء والصبر والمساخنة والمصاعة والورع والأمانة والطلاقة والمساعدة والطرف وقلة الطمع ، وأما صبر إلى آخره ولتفريط فيصدمه لحرص وإشراء والوقاحة والحسب والتقدير والتفكير والرياء ، لهيكة وإحسانة والعش والملك والحسد والشماعة والتدآن الأعباء واستحقاق العقر ، وغير ذلك .

فأما محاسن الأخلاق هذه لصفاء ولصفاء لأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعدة والعدل والرفق ورؤيا ، ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه لأربعة إلا رسول الله ﷺ والسبعة متعاونون في القرب والبعد من فكل من وب عنه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله بنذر قرينه من رسول الله ﷺ وكذا من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويفتدون به في جميع لأفعال ، ومن انشأ عن جميع هذه الأخلاق كلها وانصب بأصداها ، استحق أن يخرج من بين العبد والبلاد فيته وقد قرب من الشيطان ، لمبعد التبع فيسعي أن سعد كما أن الأول قرب من الملائكة المعرّب فيسعي أن يعتدي به ويتعرب إليه ، ولم يبعث رسول الله ﷺ إلا لبيتم محاسن الأخلاق كما قال (١) .

وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى : وإما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم هم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (٢) . فالإيمان بالله ورسوله من غير ريب هو قوة اليقين وهو ثمره العمل ومنتهى لحكمه ، والمجاهدة بالمال هو اسحاء الذي يرجع إلى صفة قوة الشهوة ، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي يرجع إلى استعمال قوة العصب على شرط العقل وحدّ الاعتدال ، وقد وصف الله به الصحابة فقال : أشدّاء على الكفار رحمة بينهم (٣) . إشارته إلى أن المشدّة موضعاً للرحمة موضعاً وليس الكمال في الشدّة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال .

(١) راجع مجمع الروايات ج ٦ ص ١٥ ، والصايح للعوى ج ٢ ص ١٣٤

(٢) الصجرات : ١٦ . (٣) الفتح : ٢٩ .

فهذا بيان معنى الخلق وحسه وقبحه وبيان أركانه وتمزاته وفروعه .

❖ (بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة) ❖

اعلم أن بعض من علت البطالة عليها استنقل المجاهدة و الرياضة و الاشتغال
بشركة النفس و هديت الأخلاق ، ولم تسمح بحسنه بأن يكون ذلك لقصوره و نقصه
وحسنه دخلته ، و رعم أن الأخلاق لا يصور تعبيرها وأن الطباع لا تتغير فاستدل فيه
بأمير . أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الطاهر والحلقة
لظاهرة لا يتقدم على تعبيرها فالطويل لا يقد أن يحمل بحسنه قصيراً ، ولا العسير يقد
على أن يجعل نفسه طويلاً ، ولا العبيح يقد على تحسين صورته ، وكذلك الخلق
الباطن يحري هذا المحري ، والثاني أنهم قالوا : حسن الخلق يجمع العصب والشهوة
وقد حُرِّبَ ذلك بطول المجاهدة و عرفنا أن ذلك من مقتضى المراح والطبع وأنه
قط لا ينقلع عن الآدمي فشتعاله به تصيبع زمان بعير فائدة فإن المطلوب هو
قطع الثغات القلب إلى الحطوط العاحلة وذلك محال وجوده .

فنقول . لو كانت الأخلاق لا تعمل التعبير لطلب الوصايا والمواعظ والتأديبات
ولما قال رسول الله ﷺ : « حسنوا أخلاقكم » (١) وكيف يسكر هذا في حق الآدمي
وتعبير خلق الهيمة ممكن إذ ينقل الصيد من النوحش إلى الأس والكلب من شره
الأك من الصيد إلى التأديب والإمساك ، والعرس من الحمام إلى السلاسة والانقياد
وكل ذلك تعبير الأخلاق ، والقول الكاشف للعطاء عن ذلك أن يقول

أن الموحودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي و احتياده في أصله و تفصيله
كالسماء والكواكب وأعضاء البدن داحلاً وحارحاً وسائر أحرار الحيوانات وبالجملة
كل ما هو حاصل كامل وقع المراح من وجوده و كماله ، و إلى ما وجد وجوده
نقصاً و جعل فيه قوة قبول الكمال بعد أن وجد شرطه ، و شرطه قد تبط باختيار
لعمد فإن السواء ليس بتفاح ولا حل إلا أنها خلقت خلقه يمكن أن تصير بحلاً
(١) أخرج الديلمي في الفردوس من حديث معاذ كما في كود لعقائق لمساوي

باب الياء هكذا « يا معاذ حسن خلقك للناس » .

إن أضاف إلى الشهوة ولا يصير نقاحاً أصلاً ولا بالترتبة فإذا صارت الشهوة متأثرة بالأحباب حتى تغلب بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وفهرهما بالكلمة حتى لا يبقى لهما أثر لم يعدر عليه أصلاً ولو أردنا إسلاسهما ونقيادهما بالترابضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبباً لحبنا ووصوعنا إلى الله تعالى ، نعم الحركات مجتنبه ومعضها سريعة العول ومعضها بطيئة العول والاختلاف سبب أحدهما قوة التعبير في أصل الحركة واعتقاد مداه الوجود فإني قوة الشهوة والغضب والتكبر موجوده في الإنسان ولكن أضعفها أمراً وأعاضها على التعبير قوة الشهوة فإني أقدّم وجوداً إذا بقي في هذه القطرة يخلق له الشهوة ثم بعد ذلك ينشأ بها يخلق له الغضب ويعد ذلك يخلق له قوة التمرين والسبب الثاني أن الخلق قد بناه كسيرة العمل بمقتضاها ولطاعته واعتقاده كونه حسناً ومرحباً والناس فيه على أربع مراتب

الأولى هو الإنسان العاقل الذي لا يميز بين الحق والباطل والحميل والفيح بل بقي كما فطر عليه حالاً عن جميع الاعتقادات ولم تسمم شهوته أيضاً بالتمسح للذات فهذا سر يعاقب العول للعلاج حاداً فلا جناح إلا إلى معلم مرشد وإلى باعث من نفسه يحميه على المجاهدة ، فمحس حلقه في قرب رمان

والثانية أن يكون قد عرف فتح العرش لكلمة لم يتعود العمل الصالح بدريته له سوء عمله ومعاظنه انما الشهوة في إغرائها عن صوت ريد لأسباب الشهوة عليه ولكن علم بعضه في عمله فأمره أصعب من الأول قد يعاقب الوضعة عليه إذ عليه وضعت الأولى فله ماسح في نفسه من كثرة العود للعناد والأحرى أن يعرض في نفسه صفة لتعود للصلاح ولكلمة بالحيلة محل فإني للترابضة من انتهي لها بعدة وشهير وحرم

والثالثة أن يعتمد في لأحلاق السيرة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وحمل : تروى على ذلك ، هذا يكاد تصنع معالجته ولا يرحى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال .

والرابعة أن يكون مع وقوع نشوئه على الرؤي القاسد و تربته على العمل به يرى لفصله في كثرة الشر و استهلاك النفوس و يباهي به ، و يطن أن ذلك يرفع من قدره وهذا هو أصعب المراتب و في مثله قبل - و من العناء رياضة الهرم و من لتعذيب تهذيب الدبيب .

و لأوّل من هؤلاء جاهر فقط ، والثاني جاهل وصال ، والثالث جاهل وصال وفسق ، والرابع جاهل وصال وفسق وشرير .

وأما الحيال الآخر الذي استدلوا به و هو أن " لا دمي مادام حيّاً فلا يفلح عنه العصب و الشهوة و حب الدنيا و سائر هذه الأخلاق بهذا غلط وقع لطائفة طمّوا أن المصنوع من المعاهدة قمع هذه الصفات بالكلفة و عوجها و هيبت فإن الشهوة خلف لفائده و هي ضرورية في الجملة لو نقطعت شهوة لطعام لهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لا يقطع له نسل ولو انعدم العصب بالكلفة لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه و لهلك ثم في أصل الشهوة يسعى لاحتالة حب المال الذي يوصل إلى الشهوة حتى يحمل ديب على إمساك المال ، وليس المطلوب ببطه ذلك بالكلفة بل المطلوب ردّها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط و التفريط ، فالمطلوب في صفة عصب حسن لحمته و ذلك بأن يحلو عن شهوة عن الحمن جميعاً و بالجملة أن يكون في نفسه قوتاً و مع قوته مصف اللعنة و لذلك قال الله تعالى " أشدّاء على الكفار رحماء بيدهم " (١) و صفهم بالشدة و إنما تصد الشدة عن العصب ولو بطل العصب لامنع جهاد الكفار و كيف يعصد قلع العصب و الشهوة بالكلفة والأنباء عليهم السلام لم يمتكوا عن ذلك ، قال سيدهم رسول الله ﷺ " إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر " (٢) و كان يتكلّم بين يديه بما يكرهه فبعصب حتى يحمرّ و حتاه ولكن لا يقول إلّا حقاً (٣) فكان العصب لا يجرّحه عن الحق ، قال الله تعالى .

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢٧ من حديث أس .

(٣) تقدم في لحد الرابع و اب اخلاق انبي ص ١٨٦ عليه و آله ما يدل على ذلك

« والكاذمين العبط »^(١) ولم يفل و العاقدين العبط ، ورد العصب والشهوة إلى الاعتدال بحيث يمه « أحد مهما العمل ولا يعمله ، بل يكون العمل هو الصايط بهما و العلب عليهما ممكن و هو المراد بتعير الحلق فإنه ربما تستوي الشهوة على الإيسان بحيث لا يعوى عقله على دفعه عن الانبساط إلى المواحش ، وبالرصة يعود إلى حد الاعتدال ، فدل على أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا يشك فيها ، والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في لأحلاق دون العرفين أن لسجد خلق مطلوب شرعاً وهو وسط بين طرفي التذير والتقتير وقد أثبت الله تعالى عليه .

وقال « و الذين إذا أعطوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »^(٢) .
وقل تعالى « ولا تحمل يدك معلولة إلى عنك ولا تبسطها كل أنبسط »^(٣)
وكدلك المطاوع في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره و الحمد قال الله تعالى .
« كلوا و اشربوا ولا تسرفوا »^(٤) .

و قال تعالى في العصب « أشدأ على الكفار زحاً ، بينهم »^(٥)
و قال رسول الله ﷺ « حير الأمور أوساطها »^(٦) وهذا سرٌ وتحقيقٌ وهو أن السعادة صوطة سلامة القلب عن عوارض هذا العالم ، قال الله تعالى « إلا من أتى الله بقلب سليم »^(٧) والحل من عوارض الدنيا والحد أيضاً من عوارض الدنيا و شرط انقلب أن يكون سليماً بهما أي لا يكون ملتفتاً إلى المال ولا يكون حريصاً على إنفاقه فإن لحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إليه ، فكل كمال القلب في أن يصوعن الوصفين جميعاً

(١) آل عمران : ١٣٤ .

(٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) الاسراء : ٢٩ .

(٤) الفتح : ٢٩ .

(٥) أحرجه البيهقي في الشعب من رواية مطرف بن عبد الله معصلاً كما في المعنى

(٦) الشعراء : ٨٩ .

فإن لم يمكن ذلك في الدنيا طلبها ما هو إلا شبه بعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو أوسط . فإن العائر لأحاراً ولا يارد وهو وسط بينهما كأنه حال عن الوصفين وكذلك السجاء ، من التذير والتقتير والشجاعة بين الحسن والتهور ، والعفة بين السره والحمود ، وكذلك سائر الاخلاق ، فكلاطري قصد الأمور دميم وهذا هو المطلوب وهو ممكن جداً ، نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يفتح عنده العصب رأساً ويذم إمساك المذل رأساً ولا يرحص له في شيء من ذلك لأنه لو رخص له في أدنى شيء منه اتحد ذلك عدداً في استيعاب تحله وغضه ، وطن أنه العدد المرحص فيه فإذا قصد قلع الأصل وبالع فيه لم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إليه الاعتدال ، فالصواب له أن يطلب قلع الأصل حتى يتيسر له التقدر المقصود ، ولا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن عصمه بحق وأن إمساكه بحق .

❖ (بيان السبب الذي نهى بال حرص الخلق على الجملة) ❖

قد عرفت أن حرص الخلق يرجع إلى اعتدال قوّة العقل بكمال الحكمة وإلى اعتدال قوّة العصب والشهوة وكونهما مطيعين للعقل والشرع ، وهذا الاعتدال يحصل على وجهين أحدهما بخود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق ، وقد كفى سلطان الشهوة والعصب ، بل حلفتا معتدلتين متقادتين للعقل والشرع ، فيحير بهما معلم عالماً وبغير مؤذّب متأدّباً كعيسى ويحيى عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء ^{عليهم السلام} ، ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد يقال بالأكتساب قرب نصبي يخلق صادق الذهبة سحاً حراً ، وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ، ومحالطة المتخلعين بهذه الأخلاق ، ربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني لاكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة ، وأعني بها حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب ومن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الحدود فطريقه أن يتكلف معاطي فعل الحواد وهو بدل المال فلا يزال يواطى عليه

تكلماً مجاهداً لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعاً وييسر عليه ، فيصير نفسه حواداً ، وكذلك من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وعلب عليه التكبر فطريقه أن يواطىء على أفعال المتواضعين مدةً مديدة ، وهو فيها مجاهدٌ بنفسه وعتكُفٌ إلى أن يصير ذلك له حلقاً وطبعاً فيتيسر عليه . وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً يحصل بهذا الطريق وعائنه أن يصير الفعل الصادر منه ليداً والسحي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يذله عن كراهة ، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ، ولن يرسخ الأخلاق الدنيوية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة ، والم يواطىء عليها مواظمة من يشاء معها إلى الأفعال الحميلة ويتنعم بها ، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله ﷺ : « جعل قرءة عبي في الصلاة »^(١) ومهما كانت العادات وترك المحظورات مع كراهية واستئثار فهو العصيان ولا يصل كمال السعادة به ، نعم المواظمة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالإصافه إلى تركه لا بالإصافه إلى فعله عن طوع . ولذلك قال تعالى : « يسها لكبره إلا على بحشعر »^(٢) وقال ﷺ : « أعد الله في الرضا من لم نستطع فمي الصبر على ما تكره خير كثير »^(٣) .

ثم لا يكفي في بيل السادة الموعودة على حسن الخلق استلداد الطاعة واستكراه لمعصية في زمان دون زمان ، بل ينبغي أن يكون كذلك على لدوام ، وفي جملة اعمر ، وكلما كان العمر أطول كانت الفضلة أزرح وأكمل ، ولذلك ما سئل رسول الله ﷺ عن السعادة فقال : « طول العمر في طاعة الله »^(٤) ولحدث كره الأنبياء والأولياء ^{عليهم السلام} ان يور في الدبيب مر بعد لآخرة ، كلما كانت لعبادات أكثر لطول العمر كان الثواب أحسن ، والنفس أركى وأظهر ، والأخلاق أقوى

(١) أخرجه السائى وابوداود من حديث أسى وقد تقدم ، ومى لكلمى ج ٥ ص ٣٢١

(٢) الفقرة ٤٥

(٣) أخرجه الطبرانى كما فى المفتى .

(٤) أخرجه القصاصى فى مسند الشهاب وأبومصنور السلمى فى مسند العردوس من

حديث ابن عمر باسناد ضعيف كما فى المفتى .

وَأَرْسَحَ ، وَتَمَّا مَعْصُودٌ لِعِبَادَاتٍ تَأْثِيرُهُ فِي الْقَلْبِ وَتَمَاتَتْ تَدَاتُهَا بِكَثْرَةِ الْمَوَاطَنَةِ عَلَى الْعِبَادَاتِ ، وَغَايَةُ هَذِهِ الْأَحْلَاقِ أَنْ يَقْلَعَ عَنِ النَّفْسِ حُبُّ الدُّنْيَا وَيَتَرَسَّحَ فِيهَا حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ سَجْدَةً وَ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ ، فَلَا يَسْعَى لِحَيْثٍ مَالَهُ إِلَّا عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي يُوَصِّلُهُ إِلَيْهِ ، وَغَضَبُهُ شَهْوَةٌ مِنْ طَسْحَرَاتٍ لَهُ فَلَا يَسْتَعْمِلُهَا إِلَّا عَلَى أَوْحَاءِ الَّذِي يُوَصِّلُهُ إِلَى اللَّهِ سَجْدَةً ، وَ ذَلِكَ نَسْ يَكُونُ مَوْزُونًا بِمِيرَاسِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ ، ثُمَّ يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَرَحًا بِهِ وَ عِلْدًا ، وَلَا يَسْعَى أَنْ يَسْتَعِدَّ مَصِيرَ لَصَلَاةٍ قَرَّةٍ عَيْنٍ وَ مَعِيرِ الْعِبَادَاتِ لَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْعِدَّةَ بِنَفْسِي فِي النَّفْسِ عَجَائِبُ أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّكَ تَرَى الْمُلُوكَ وَ الْمُتَعَمِّصِينَ فِي أَجْرَارٍ دَائِمَةٍ ، وَ يَرَى لِمُعَمَّرِ لِمُعَمَّرٍ قَدْ يَعْطَى عَلَيْهِ مِنَ الْمُدَّةِ وَ لِعَرَجٍ نَقْمَارِهِ وَ مَا هُوَ فِيهِ مَا يَشْتَكِرُ مَعَهُ فَرَحِ النَّاسِ بِعَبْرِ لِقْمَارٍ ، مَعَ أَنَّ الْقَمَارَ رِمَا سَلْسَلُهُ وَ أَجْرَبَ دَارِهِ وَ تَرَكَهُ مُعْلَسًا ، وَ مَعَ هَذَا هُوَ يَحْبِبُهُ وَيَلْتَمِسُهُ ، وَ ذَلِكَ لَطُولُ أَلَمِهِ وَ رَدُّهُ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ مَدَّةً ، وَ كَذَلِكَ اللَّاعِبُ بِالْجَهَنَّمَ قَدْ يَقِفُ طُولَ نَهَارِهِ فِي حَرِّ الشَّمْسِ قَائِمًا عَلَى رَحْلِيهِ وَ هُوَ لَا يَحْسُ بِأَلَمِهِ لِعَرَجِهِ بِأَطْيُورٍ وَ حَرَكَاتِهِ وَ طَعَامِهِ وَ تَحْلِيْفِهِ فِي حَوْءِ السَّمَاءِ ، وَ عَوْدِهِ بَلْ تَرَى لِفَاحِرٍ لَعِيْدَارٍ يَفْتَحِرُ بِمَا يَلْقَاهُ مِنَ الصَّرْبِ وَالْقَطْعِ وَ انْصَرَّ عَلَى السَّيَادَةِ وَ عَلَى أَنْ يَتَقَدَّمَ بِهِ إِلَى الصَّلْبِ ، وَ هُوَ مَعَ ذَلِكَ مَتَحَنِّجٌ بِنَفْسِهِ وَ يَقْوَتُهُ فِي الصَّرْبِ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَرَى دَرَكَ فَرَجِ السَّمَةِ ، حَتَّى يَقْطَعَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِرْدًا ، رِيًّا عَلَى أَنْ يَقْرُبَ بِمَا تَعَاطَاهُ أَوْ تَعَاوَاهُ عِيْرَهُ فَيَصْرُ عَلَى لَا نَكَارٍ وَلَا يَمَالِي بِالْعُقُوبَاتِ فَرَحًا بِمَا يَعْفِدُهُ كَمَالًا وَ شَجَاعَةً وَ رَحُولِيَّةً ، وَ قَدْ صَارَتْ أَخْوَانُهُ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ لِسْكَالٍ قَرَّةٍ عَيْنِهِ وَ سَبَبِ افْتِحَارِهِ ، بَلْ لَا حَالَةَ أَحْسُ وَ أَفْصَحَ مِنْ حَالِ الْمُحَنَّنِّ فِي تَشْبِهِهِ بِالْأَمَانَةِ فِي سَبَبِ الشَّعْرِ وَ وَشْمِ الْوَحْيِ وَ مُحَالِطَةِ السَّاءِ وَ تَرَى الْمُحَنَّنِّ فِي فَرَحِ بَحَالِهِ وَ افْتِحَارِ بِكَمَالِهِ فِي تَحْصِيْنِهِ حَتَّى يَتْبَاهَى بِهِ مَعَ الْمُحَنَّنِّ ، حَتَّى يَجْرِي بَيْنَ الْحَجَّامِينَ وَ الْكُنَّاسِ النَّفَاحِرِ وَ الْمَاهَاهِ كَمَا يَجْرِي بَيْنَ الْمُلُوءِ وَ الْعُلَمَاءِ ، وَ كُلُّ ذَلِكَ تَنْبِيْهُ الْعِدَّةِ وَ الْمَوَاطَنَةِ عَلَى نَمَظٍ وَ حُدُوعِ الدَّوَامِ مَدَّةً مَدِيدَةً ، وَ مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَالِطِينَ وَ لِمُعَارِفِ ، فَإِذَا كَانَتْ النَّفْسُ بِالْعَادَةِ سَتْنَدًا السَّاطِلِ وَ تَمِيلُ إِلَيْهِ وَ إِلَى الْفَقَائِيحِ فَكَيْفَ لَا تَسْتَلْزِمُ الْحَقَّ لَوْ رَدَّتْ إِلَيْهِ مَدَّةً

و أنزلت عواطفه عليه من ميل النفس إلى هذه الأمور الشبيهة بخارج عن الطبع
بصاحي الميل إلى أن يطير ؟ قد يعلى على بعض أساس ذلك بالعادة ، فثما ميلها
إلى الحكمة ؟ حب الله تعالى و معرفته و عبادته فهو كالميل إلى الطعام و الشراب
فهو ممة على طبع القلب فإتة أمر رباني ، و ميله إلى مقتضيات الشهوات غريب من
دائه ، غرض على صفة ، و إنما عدا ، لعل الحكمة و المعرفة ، حب الله تعالى

ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به كحل المرض بالمعدة فلا تشتهي
الطعام و الشراب و هم سدا حساب ، فكأن قلب مال إلى حب شيء سوى حب الله
فلا يثبت عن مرض بعدد ميله إلا إذا أحب ذلك الشيء ، لكونه معيناً له على حب الله
تعالى و على ديمه فبعد ذلك لا يدل ذلك على المرض في من قد عرف بهذا وطعاً
أن هذه الاختلاف الإجمالية يمكن كتابها بالرباط و هي تكلف الأفعال الصادرة
عنها ابتداء ، لتصور طبعاً أسوأ ، و هذا من عجيب العلاقة بين القلب و الحوارج أعني
الانفس و البدن في أن كل صفة تظهر في القلب بمقتضى أثرها على الحوارج حتى
تتجرّد لا يحل على وقفها و كل فعل يحثي على الحورج فإتة يرتفع منه أثر
إلى القلب ، و الأمر فيه دور يعرف ذلك بمثل

؟ هو أن من أراد أن يصير الحدى في اكتنه صفة له نفسه حتى يصير كائناً
بالطبع فلا طريق له إلى أن يتعاطى بخارجه الدما يتعاطى الكتاب الحادى
و يواطى عليه مدّه طوبله ؟ هو حكاية الخطّ حسن في فعل الكتاب هو الخطّ
الحسن فيقتضيه ذلك الكتاب نكلاً ، ثم لا يزال يواطى عليه حتى يصير إلى صفة راسخة
في نفسه فيصدر منه في آخر الخطّ الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في البداية ، فكلاً
فكل الخطّ الحسن هو الذي حمل خطّه حسناً ، لكن لا يزال يكتب لا أنه ارتفع
منه أثر إلى النفس ، ثم انحصر من نفس أثر إلى الجرحه ، و صار يكتب الخطّ
الحسن و لصع ، و كذا من أراد أن يصير فقيه انفس فلا بد له أن يتعاطى أفعال
لقتها ، و هو لتكرار لفتنه حتى يعطى منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس
وكذلك من أراد أن يصير سحياً عفيفاً حليماً مواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء

نكلم حتى يصير له ذلك بالعدة طبعاً ولا علاج له ، لا ذات ، وكما أن طالب فقه النفس لا يأس من بيل هذه الرتبة معطل ليلة ، لا يأسها بتكرار ليله ، وكذلك طالب تركية النفس وكميلها و تحطيمها بالأحلاق الحسنة لا يأسها بعدة يوم ولا يحرمه بعصال يوم ، وهو معنى قول أن الكبير الواحد لا يوجب الشفاء ، بل يؤيد ، ولكن لعطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تداعي قليلاً حتى يأس بقلب ، انكسر وبهجر المحسن رأياً فيعود فضيله الفقه ، وكذلك صعتر المعاصي يحرق بعضها إلى بعض حتى يقوى أصل السعادة يهدم أصل الإيمان عند الحانته ، وكما أن تكرار ليلة لا يحسن تأثيره في عقيدة النفس بل يظفر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج من موت البدن ، ارتفاع الدامة ، وكذلك الطاعة بوحدة لا يحسن تأثيرها في تركية النفس و طيرها في الحال ، كمن لا يسعى ويستبين قليل الطاعة فإن الحمله لكثيره معها مؤثره ، و إنما احتمت الحمله من لا أحاد فلكر واحد معها تأثير فما من طاعة إلا ولها أثر و من حفي قلبها لأجله ثواب لأن ثواب بدار الأثر و كذا المعصية ، ثم كم من فقيه يستبين تعطين يوم وليله وهكذا على لتولي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قول الفقه ، فكذا من يستبين بصعتر المعاصي و يسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يحتطمه ادوب بعته أو يتراكم طلبة الدروب على قلبه و تنعذر عليه التوبة ، إذ القلب يدعو إلى الكثير فيصير القلب مذبذباً سلسلاً الشهوات لا يمكن تحليصه من محالها ، وهو المعنى باستناد باب التوبة وهو امر د بقوله تعالى : **وَجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً** الآية - ^(١) ولذلك قال علي عليه السلام : **والإيمان سدودي القلب طمعه بصره ، فكلمه اراداد الإيمان اراداد ذلك النياص ، و إنما استكمل العبد الإيمان بصر القلب كله ، و إن لمعاق يدور في القلب بكفة سوداء ، كلمه اراداد النفاق راد ، ذلك السواد فاد استكمل النفاق اسود القلب كله** ^(٢)

(١) سورة من ٦

(٢) **أورد الشريفة الرمي - رحمه الله - حذره في السجح باب معصية عرب كلامه****تحت رقم ٥ و لسطه - ضم اللام وسكون الميم - مثل لكفة وبعوها من الناس**

فإن من عرف أن الأخلاق الحسنة نازلة تكون بالطبع و الفطرة و بده
اعتد الأفعال الحميلة . تارة بمشاهدة أرباب الأفعال الحميلة ومصاحبتهم وهم
قرباء لحمي . و حور الصالح . و الطبع يسرى من الطبع لشر و الخير جمعاً ،
ومن تهاور في حقبة الحبث الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتدأ وتعلماً فهو
في غاية الفضيلة . و من كان دلاً بالطبع و اتفق له أقران السوء فعلم منهم وتستر
له أسس شر حتى تعود . فهو في غاية البعد من الله تعالى ، وبين المرتضى من
حبيب به هذه الحيات . و لكن درجة في القرب و البعد بحسب ما تقتضيه صفته
وحالته . ومن يعمل مشغال دره حراً يره ، و من يعمل مشغال دره شره يره ، (١)
و ما علمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، (٢)

(١) بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

و قد عرف من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس ، و الميل عن
الاعتدال سقم و مرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة به و الميل عن
الاعتدال مرض فيه فاستجد البدن مثلاً فيقول مثل النفس في علاجها بمحو الرذائل
و الأخلاق رديئة عم و كسب لفصائل و الأخلاق الحميلة لها و حلها إياها مثال
البدن في علاجها بمحو العمل عنه و كسب الصحة له و حلها إياه ، و كما أن لغالب
علم أهل مزاج الاعتدال ، و إنما يغري الغلة المعيرة عوارض الأعذية والأهوية
و الأخلاق ، فكذلك هؤلاء مولود به لدمعتلاً صحيحاً على الفطرة و إنما أنو
يهو دانه أو ينصرائه أو محسبه أي بالعود و لتعلم يكتسب الرذائل ، و كما أن
البدن في الاستعداد لا يخلق كاملاً ، و إنما يكمل وينمو بالمشقة و اشتربة بالعند ،
فكذلك النفس يخلق ، قصه و بله الكمال و إنما يكمل بالشر كفة و تهذيب الأخلاق
و التعبدية بالعلم . و كما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطب تمهيد العادى الحافظ
لصحته وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس متى إن كان كاسد كيته

صاحبة مهذبة الأخلاق فيسعي أن تسعى لحفظها ، حفظ صحتها ، حذب مريد قوه
إليه ، اكتسب ريدة صفاتها ، إن كانت عديمة الكمال ، والنعاء فيسعي أن يسعى
لحلب ذلك إليها ، كما أن العلة ، المعيرة لا اعتدال ، ليس المدخلة للمرض لا علاج
لا يصدّها ، إن كانت من حراره فله رودة ، وإن كانت من برودة ، له حراره ، فكما
لر ديلة التي هي مرض القلب علاجها تصدّها ، فيعالج مرض الحبل بالعلم ومرض
الحنبل بالسخي ، ومرض الكبد بالتواضع ، ومرض البصر بالسكر ، عن المشي تكلفاً
وكما أنه لابد من حنل مراره الدوا ، وشدة البصر عن المشي ، والعلاج لا بد من
لرياضه وكذلك لابد من احتمال مرارة المعاهدة ، والصبر ، صداها ، مرض القلب
بل مرض القلب أولى فإن مرض البدن يحصل منه طوب ومرض القلب ، العباد ، العباد لله
يحصل منه عذاب يذوم بعدا ، وبأنه لا بد ، وكما أن كل مريد لا يكفى لعلها
الحراره إلا إذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك ، والضعف ، والدوام
وعنده ، والكثرة ، والعلة ولابد له من معيار يعرف به مقدار المانع عنه ، الصبر ،
فإن لم يحفظ معياره راد الفساد ، وكذلك البعض الذي يعالج به الأخلاق لابد له
من عيار ، كما أن عيار الدوا ، مأخوذ من عيار لعله حتى أن الطبيب لا يعالج ما
لم يعرف أن لعله من حراره أو بروده ، إن كانت من حراره يعرف درجتها أي
معينه أنه قويته ، فإن عرف ذلك القلب معه إلى تحول البدن وأحوال الرضا
وصحة المريض وسنة ، سائر أحواله ، ثم يعالج بحسب فكدات الشخ المتنوع
الذي طر نفوس المريدين ويعالج قلوبهم ، شدة يسعي أن لا يهجم عليهم
بالرياضه و لتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ، لم يعرف أخلاقهم ومرضهم
كما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكدات الشخ
لو أشار على المريدين بصمت واحد من الوتة أهلكهم وأهمل قلوبهم بل يسعي أن
ينظر في مرض المريض وفي سنة وحاله ومراحده وما يحملة بيته من الرياضة ، سعي
عليه . رياضة

أقول : ثم شرع نوحامد في ذكر خريبات طريق تعلم الشخ للمريدين ،

كان ما أكثرها على إيجاب متابعة من يحور عليه الخطأ وعلى بدع أخرى تحالف طريقة أهل البيت عليهم السلام كما تأتي بيانه طويها على أن علائق به من ذلك كان مما تكرر ذكره في كلامه سابقاً ولاحقاً .

❦ بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده إلى الصحة ❦

علم أن كما أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإتمام مرصه أن يتعدّر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض ليد أن يتعدّر عليها اضطش . ومرض العين أن يتعدّر عليها الإبصار ، فكذلك مرض القلب هو أن يتعدّر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعادته . والتلذذ بذكره وإيتار ذلك على كل شهوة سوء . والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه ، قال الله تعالى ، « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ^(١) فمعي كل عصفائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة ، وخصبة النفس التي للأدنى ما يتميز به عن البهائم . وإتمام يتمر عليها بقوة على لأكل والوقاع والإبصار وغيرها ، بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء ، وموحدتها ، ومحتزها الذي جعلها أشياء ، هو الله تعالى ، فلو عرف كل شيء ، ولم يعرف الله فكأنه لم يعرف شيئاً ، وعلامة المعرفة المحضة فمن عرف الله أحسنه ، وعلامة الحق أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحتويات كما قال الله تعالى « قل إن كان آباؤكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله الآية » ^(٢) فمن كان عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض . كما أن كل معدة صار أطيب أحب إليها من الحمر والماء ، أو سقطت شهوتها عن الحمر والماء ، فهي مريضة وهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن العلوب كذب مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ، ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلدنث يعمل عنه ، وإن علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دوائه محله الشهوات وهو

مرع الروح من النفس ، وإن وجد من نفسه قوة الصبر علمه لم يجد طبيباً حادقاً يعالجه ، فإن الأطباء هم لعلهم ، والمرضى قد سولى عليهم والطبيب المريض فلم يلتفت إلى علاجه ، فهذا صار الداء عضالاً والمرضى مناً ، واندرس هذا العلم وأسكر بالكتب طب النلوب ونكر مرضه وأقبل لخدمق على حبراً ابدياً وعلى أعمال طاهره عذابات ، باصيص عالٍ ومرتب ، ودمعاً له أصل بل مرض

فأما علاجه عوده إلى الصحة بعد معالجه فيه أن ينظر في العلة التي يعالجها وإن كان يعالج داء الجذام هو شملت اسعد عن الله في داء السالحة بدل المال ويغفر ولكفة قد يمدد المال إلى حد يصبر به ، أو ، فيكون التدبير أيضاً داء ، ويكون كمن يعالج البرص بالجرارة حتى بعد الجراحة ، وهو أيضاً داء بل المطلوب الاعتدال بين الجراحة ، وبرودة ، فكذلك المطلوب الاعتدال بين التدبير والتدبير حتى يكون على الوسط من باب ومن عربة اسعد عن الصوفين ، فإن أردت أن تعرف الوسط فاطل إلى العمل الذي يوجب الخلق المذموم ، فإن كان أشهر عليك وألد من الذي يصح له فالعالم عليك ، لك الخلق طوحي له مثل أن يكون معه كمال المال وجميع ألد أعداء وأيسر عليك من بدله مستحقه وعلم أن الغالب عليك خلق الحسن ورد في المواظبة على الدليل صار لمدل عمى غير مستحق ألد أعداء وأحت عليك من الإمساك بالحق فقد علم عليك التدبير فراجع إلى المواظبة على الإمساك ولا يزال برقب نفسك ويستدل على خلعتك تنبئراً لأفعال وعصرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل إلى بدله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب منه إلا إمساكه لخدمة محتاج أو بدله لخدمة محتاج ، ولا يترجح عندك بدل على الإمساك ، لا الإمساك على البدل ، فكل قد صار كذلك فقد أتى الله بقدر سليم عن هذا المنهم خاصته ، ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخطاء حتى لا يكون له علاقة بشي، ثم يتعلق بالدنيا حتى تر تحلل النفس عن الدنيا مستطعة العلائق عما غير ملذته ليلها ولا مشوقة إلى أسائها وبعد ذلك ترجع إلى شها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخله في رعدة عبد الله من

السيوف و الصديق و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا ، ولما كان لوسط
الحقيعي بين الطرفين في غاية العموص بل هو أدق من الشعر و أحد من السيوف
فلا حرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا حار على مثل هذا الصراط
في الآخرة ، و فلما يبعث العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني لوسط حتى
لا يميل إلى أحد الحسن فيكون قلبه متعلقا بالحادث الذي مال إليه ، فلذلك
لا يبعث عن عذاب ما واحتمار على النار ، و إن كان مثل البرق قال الله تعالى
« و إن منكم إلا و اردحنا كان على ربك حمأ ممصيا » ثم يحيي الذين اتقوا ،^(١)
أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ، و لأجل عسر الاستقامة
و حب على كل عبد أن يدعو الله سبحانه في كل يوم سبع عشرة مرة بقوله «اهدنا
الصراط المستقيم » إذ قد وحب وراءه فاتحه الكتاب في كل ركعة ، و رأى بعضهم
رسول الله ﷺ في المنام^(٢) فقال قد قلت يا رسول الله قد شئت شي سور هود
فلم قلب ذلك ؟ قال ﷺ لعوله تعالى « فاستقم كما أمرت »^(٣) و لاستقامة
على سوء الطريق في غاية العموص ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من
الاستقامة إن لم يعدد على جميعه الاستقامة ، فكل من أراد المجاهد فلا يجاه له إلا
بالعمل الصالح و لا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد
صفاته و أخلاقه و ليعتد بها و ليسنعمل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

❦ (بيان الطريق الذي به يعرف الإنسان عيوب نفسه) ❦

اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا أبصره بعيوب نفسه ، فمن كملت بصيرته
لم تحب عليه عيوبه و إذا عرف العيوب أمكنه العلاج ، ولكن أكثر الخلق جاهلون
بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه و لا يرى الجذع في عين نفسه ، فمن
أراد أن يعرف على عيب نفسه فله أربع طرق

(١) مريم : ٧١ و ٧٢

(٢) راجع تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٢٧ ذيل الآية .

(٣) هود : ١١٣ .

لأول أن يجلس من ندي بغير يعبوب النفس ، مطلع على حقايق الآفاق
ويحكمه على نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته ، وهذا قد عرف في هذا الزمان وجوده .
الثاني أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً ، متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليراقب
أحواله وأفعاله ، فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعبوبه الباطنة أو الظاهرة ينسبه
عليه ، وهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين كان بعضهم يقول : « رحم الله امرء
أهدى بي عبوبي » ، « وكبر من كان أوعى عملاً » وأعلى مصاً كان أقل إعجاباً
وأعظم انتهماً لنفسه ، إلا أن هذا أيضاً قد عرف ، فقل في الأصناف من يترك المداومة
فيحتر بالعب أو يترك الحسد فلا يريد على العبد الواجب ، فلا يحلو أصدقاؤه عن
حسود أو صاحب عزم يترك ما ليس بعب عباً ، أو عن مدام يحفي عبث بعض
عبوب ، لهذا كان داود الطائي قد غزل عن الناس فقليل له ثم لا تجلط له ؟
قال : ماذا أصنع بأقوام يجعون عني ديوب

فقد كانت شهوة ديوب الدين أن ينسبوا على عبوبهم بسميحة عزمهم ، وقد آل
الامر إلى أمثالها وأنقص الحلق إليها من ينصحون ويعرفنا عبوبها ويكاد أن يكون هذا
مقتضياً عن صعب الإيمان فإن الأخلاق الساتئة حجاب وعتاب لدأعه ولوسستها
منه على أن يحب ثوباً عزمياً لتقلد من منه ورحمة به و اشتعلنا بأبعاد العقرب
وقتلها وإتينا نكاتها على الدن ويدوم ألمها يوماً فمادونه ، ومكابدة الأخلاق الرديئة
على صميم القلب ، وعسى أن يدوم بعد الموت أندا أو آفاقاً من السس ثم إن
لا يفرح بمن يبتئها عليها ولا يشتعل ناراتها بل تشتعل بمعدلة اساصح بمثله ونقول
أب أيضاً يصح كبت وكبت و شعلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه و يشبه أن
يكون هذا من قساوة القلب التي أثمرته كثرة الدثوب ، وأصل كل ذلك من صعب
الإيمان ، فسأل الله تعالى أن يعرف ما رشدنا ، ويصتر بعبوب أنفسنا و يشعلنا
بمداومها وبوقفنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفصله
الطريق الثالث أن يستعد معرفة عبوب نفسه من لسان أعدائه فإن عين السخط

سدي لمساوي . لعل متابع الإيمان بعدة متشاحن يدرك عبوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن شئ عليه و بمدحه و بحمي عبوبه إلا أن استطاع محمول على مكذب العدو ، حمل ما يقوله على الحسد ، لكن الضر لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه في عبوبه لا بد أن تثبت على أنفسهم

لظريق الربيع أن روح الله ليس فكراً ما يراه مدعوها فيما من لحلق قطرات نفسه بتركة روحه يراه محمواً بطاله نفسه مدعوها بعبوبه ، وإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عبوب غيره عبوب نفسه ، و ليعلم أن لطخ متعارفه في تناسع لهوى وما يتصوره واحد من الأقوال لا يثبت في عين الآخرة من أصله ، و عن أعظم منه ، أو عن شيء منه ، فسقطت نفسه ، يذهب عنها عن كل ما يذمه من غيره و ناهضت بهد نادياً فلوسر العالم كليم ما يركه هو من غيرهم لا سعيوا عن المؤذبات ، و قيل لعيسى عليه السلام من أدرك ما أدركني أحد ، رأيت جيل الجاهل و جاحلته ، وهذا كله حال من فقد شيئاً ركب عرفاً بصراً محبوب لنفس مشغولاً بامتحان في الدارين ، وارعاً عن تهديب نفسه ، مشغولاً بتهديب عباده لله باصحاء لهم ، فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يحلّمه من هـ هـ ، و يتحبه من الملاك الذي هو بصده .

٥ (بيان شواهد النقل من أركان البصائر)

و شواهد الشرع على أن الطريق في معالجه أمراض القلوب بترك

الشهوات وأن مدده أمر صحتها هي اتساع الشهوات

علم أن ما ذكره من تأملته بعين الاعتناء انصحت بصيرته و انكشف لك

علل القلوب و أمراضها و أدويتها بمور العلم و اليقين ، فإن عجزت عن ذلك فلا يسعي

أن يعونث التمديق و الإيمان على سبيل التفتي و التعليل من يستحق التقليد في

للايمان درجات كما أن للعلم درجات و العلم يحصل بعد الايمان و هو وراه ، قال

الله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات » (١) فمن

صدق بأن محالمة الشهوات هي الطريق إلى الله تعالى ولم يطلع على سمه و سره فهو من الذين آمنوا ، وإذا أطلع على ما ذكرناه من أغوار الشهوات وأسرارها فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى ، و الذي يعتصي بالإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى .

قال الله تعالى : « وبهى النفس عن الهوى » فإن الجسة هي المأوى ،^(١) وقال تعالى : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى »^(٢) قيل ، نزع منها حمة الشهوات

و قال رسول الله ﷺ : « المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ، وموافق يفسده ، وكافر يقاتله ، و شيطان يضلّه ، ونفس تبارعه »^(٣) فبيّن أن النفس عدو منازع يجب مجاهدته .

و روي أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام : « يا داود حدّ روائد أصحابك كثر الشهوات ، فإن العيوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عتني محبوبة »^(٤) . و قال عيسى عليه السلام : « طوبى لمن ترك شهوة حاصره لموعد غائب لم يره »^(٥) . و قال تميم بن مرّة لقوم قد هموا من الجهاد : « مرحبا بكم قدمن من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، فقالوا : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ فقال جهاد النفس »^(٦)

و قال رسول الله ﷺ : « المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل »^(٧) و قال رسول الله ﷺ : « كف أدرك عن نفسك ولا تتنازع هواها في معصية الله إذا

(١) النازعات : ٤٠ و ٤١ . (٢) البصريات : ٣ .

(٣) أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث ابن سند صنف كتابي المنى

(٤) رواه البعيد - رحمه الله - في الاختصاص من ٣٣٥

(٥) تنبيه الخواطر ج ١ ص ٩٦ .

(٦) تقدم آنفا في شرح عجائب القلب .

(٧) أخرجه الترمذي و ابن حبان في صحيحه عن صفانة بن عبد الله صنف كتابي

الجامع الصغير .

نحصد ثم يوم لغيره فبلع بعض بعضاً إلا أن يعبر الله تعالى ويستتر برحمته (١)
 قال يحيى بن عمار جاهد النفس بأسياف الرياضة و الرياضة على أربعة
 أوجه : انقوت من الطعام ، و العصب من المدام ، و الحاجة من الكلام ، و هل الأذى
 من جمع الأثم . فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، و من قلة المدام صمو
 الإرادات ، و من قلة الكلام السلامة من الآفات ، و من حتمال الأذى السدود إلى
 العايات و ليس على العبد شيء أشد من لحلم عند لجماء و الصبر على الأذى فإذا
 جرت لك من نفس ارادة الشهوات : الآثم و هاجب منها حلالة فصول الكلام
 حررت عليها سبب قلة الطعام من عمد لتجده : قلة المدام ، و صبرتها بأيدي احمول
 و قلة الكلام ، حتى يقطع من الظلم و الاسقام فأنه يوائمتها في سائر الأيتم و تصقيمت
 من لدم شوائبهم فمحو من غوائل آفاتها فمضت عند ذلك رحمة لغيره و نورانية
 حبه ففتحوا في ميدان لحرار و سحر في مسالك الطاعات كأنهم في العار في
 الحيد . كاهنك الله في الدنيا

و قال أيضاً : أعداء الإنسان ثلاثة : ساء و شيطان و نفسه و احتس من لدننا
 ما ربه فيها ، و من الشيطان بعد لفته و من النفس بترك الشهوات
 و قال بعض الحكماء : من استولت عليه النفس صار أسيراً في حب شهواتها ،
 مسجوناً في سجن هواها ، و صعب قلبه لم يولد
 و قال جعفر بن محمد أجمع العلماء و الحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا
 بترك النعيم .

و قال أبو يحيى بن عمار : من صلى الخواص بالشهوات و عند عرس في قلبه
 شعر الندامات .

و قال : هب من الورع من أراد شهوات الدنيا فليسبب للدن
 و يروى أن امرأة أعرجين قالت لعمري لا بد مني من هذا حرام الأرض
 يا يوسف لا بد مني و لشهوة بعدة سلوكاً عنداً و من الصبر و التفوى يصير العبيد

ملوكاً . فقال يوسف عليه السلام : قال الله تعالى : « ومنه من يتق ويصبر فإن الله لأبصر »
أخر المحسنيين (١)

وقال علي عليه السلام : ومن اشتاق إلى الحمة سلا عن الشهوات في الدنيا^٢
فإن قد اتفق العلماء والحكماء على أن الطريق إلى سعادة الآخرة لا يتم
إلا بمهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات ، فلا يمان بهذا واحد
وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فيكشف بما قد مضاه
وحاصل الرياضة وسرّها أن لا تمتنع لنفس بشيء مما لا يوجد معها في القر إلا
بعد الضرورة فيكون مقتصر من الأكل والشكاح والناس والمسكر وكل ما هو
مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منها أس به وألغى ،
وإذا تمت نمى الرّجوع إلى الدنيا بسببه ، ولا يتمشى الرّجوع إلى الدنيا إلا
من لا حطّ له في الآخرة بحال ، ولا خلاص عنه إلا أن يكون القلب مشغولاً بمعرفة
الله تعالى وحبه والتفكير فيه ، ويقتصر من الدنيا على ما يدفع به عوائق الفكر
والذكر فقط ، فمن لا يبعد على حصة ذلك فليعرب منه ، فالتاس فيه أربعة رجل
استعرف ذكر الله قلبه فلا يلتفت إلى دنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين
ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة ، الصبر عن الشهوات مدة مديدة
والثاني رجل ستعرف الدنيا قلبه ، يقول الله عز وجل ذكر في قلبه إلا
من حيث حديث النفس حيث يذكره بالناس ، وهذا من الهالكين ، ولثالث رجل
شتغل بالدنيا والدنيا لك العالب على قلبه هو الدّين فهذا لا بدّ له من ورود النار إلا
أنه ينجو منها سرباً بعدد قوّة علمه ذكر الله على قلبه ، والرابع رجل اشتغل بهما

(١) يوسف ٩٠ ، وروى لصديق في لامية ص ٤ من طريق لقمان عن وهب بن

منه قال : « وجدت في نفس كتب الله عز وجل أن يوسف مرمرى موكبه عني امرأة العربر
وهي جالسة على مائدة ، فقالت العبدّة الذي جعل الملوك سميتهم عبيداً ، وجعل العبد
طاعتهم ملوكاً الف » .

(٢) يبح للإعلاء باب الحكم والموعظتة ص ٣٠ ودسلاعة ٤ أي سي ودهل ذكره

جميعاً المكر الدنيا أعذب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يحرج منها لأخذه لقوة ذكر الله في قلبه و يمكنه من صميم فؤاده . إن كان ذكر الدنيا غلب عليه و ربما يقول لعائل إن انتقم بالمباح مباح فكيف يكون . لتعقم سبب السعد من الله تعالى ، فهذا حال صعب بل حب الدنيا رأس كل خطيئته ، و المباح لحدارح عن قدر الحاجة من الدنيا أيضاً ، و سيأتي دلالة في كتاب دم الدنيا ما قد لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى مالم يمنع النفس من التمتع من المباح فإن النفس إذا لم يمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن العيبه و العفول فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن اسميات حتى يموت منه شهوة الكلام فلا يكلم ، لا يحو فيكون سكوته عبادة ، و كلامه عبادة . و مهما اعتاد العبد رضى النصر إلى كل شيء ، حميد لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحذر ، و كذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه يشتهي به حرام و الشهوة واحدة و قد وحب على العبد منعها عن الحرام و إن لم يتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة .

فهذه إحدى آفات المباح ، و وراء هذه آفة أعظم من هذه وهو أن النفس تعرج بالتمتع بالدنيا و سر كر إليها و تطمئن بها أشراً و بطراً حتى تصير ممتلية بها كالسكران الذي لا يميز بين سكر . و ذلك لأن المرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيجرح من لعل الحر و الخوف و ذكر الموت و أهوال العيامه و هذا هو موت القلب ، قال الله تعالى « و فرحوا بالحيوة الدنيا و ما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متاع »^(١)

و قال تعالى « اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب و لهو - إلى قوله - إلا متاع الفرور »^(٢) فأولو الحر من أرباب القلوب حرّوا قلوبهم في حالة المرح بمؤااة الدنيا فوحدوها قاسية مطرقة بعيدة من التأثير بذكر الله تعالى و اليوم الآخر ، و جرّبوها في حاله الحر فوحدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا

أَنْ النجاة في لحرر لدائم والسعد من أسباب الضرر و العرج فمطموها عن ملاذها
و عودوها الصبر عن شهواتها حلالها و حرامها و علموا أَنَّ حلالها حساب و هو نوع
عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فحلّموا أنفسهم من عذابها
و نوصّلوا إلى الحرية و ملك الدائم في لذتها و لا حرة بالخلّاص عن أسر الشهوات
و رقتها ، و الأس يدكر الله تعالى و الاشتغال بطاعته ، و فعلوا بها ما يفعل بالباري ،
إذا فسد نأديه و بطل عن بؤسته و نوحته إلى الاتقيد و الدرب ، فابتدع يحسن أو لا
في بيت مظلم و يحار عنه حتى يحصل به المقام عن الطيران في حوّ الهواء ،
ويسبي ما كان قد أعه عن طبع الاسترسال ، ثم يرفق به بالجم حتى يأس بصاحبه
و يألفه ألقاً إذا دعاه أحابه ، و مهم سمع صوته و جمع إليه ، فكذلك النفس لا تألف
تبا و لا تأس بدكره ، إلا إذا فطمت عن غلاتها بلحموه و العرلة أو لا تنج ط لسمع
و الصبر عن المألوف ثم عودت النساء و الذكرك ، لدعائها ثانياً في العاوه حتى
يعلم عليها لاس يدكر الله عوضاً عن الأس بالذم و سب الشهوات ، و ذلك
يشغل عليه في البداية ، ثم ينغم به في لهيبه كالنسي يعظم عن شدي و هو شديد
عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فذلك كثير بكاؤه و جوعه عند الفصم و يشتد بهوده
عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبس و لكنته إذا سمع اللحن رأساً يوماً فيوماً
و عظم تبعه في الصبر و عليه الجوع ، ماثل الطعام ككلأ ، ثم يصبر ضعفاً له فلوردي
الذي لم يرجع إليه فيمجر لثدي و يعاف لئس و يألف الطعام ، و كذلك الدابة في
الابتداء تنفر من السرح و اللجام و لركوبه لكن تحمل عليه فهو ، و يجمع عن
لسرح الذي ألقته بالسلاسل و العود أو لا ثم تأس به بحيث يترك في موضعها
هيف فيه من غير فند ، فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور و لدواب و تدربها
بأن تسمع عن الضرر و الأثر و العرج ببعيم الدما ، بل بكل ما يرايلها بالموت
فيقال لها أحسي ما أحببت فارتك مفارقة ، فإذا علم أنه من أحب شيئاً يلزمه
فرقه فيشقى لا محالة بفراقه ، و شغل قلبه بحب ما لا يفارقه و هو ذكر الله تعالى ،
فإن ذلك يصحبه في لغير و لا يفارقه ، و كل ذلك يتم بالصبر أياماً قلائل فالعصر

قليل بالإضافة إلى عدّة حياء الآخرة ، و ما من عاقل إلّا وهو راسح احتمال لمشقة في سفر و تعلّم صناعة و غير ذلك شهراً يتنعم به سنة ، فكلّ العمر بالإضافة إلى الأند. قل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر و المجاهدة و بعد الصبح يُحمد القوم السرى .

وطريق المجاهدة والرياسة لكلّ إنسان يختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كلّ أحد ما به فرجه من أسباب الدنيا والذي يفرح بمال أو بلعبة أو بالمول في الوعط أو بالعرق في العشاء و الولايه أو بكثرة الانساع في التدريس و الإفادة فيسمي أن يترك أوّلاً ما به فرجه وادّنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة ثم يفتن بامسح في الدنيا فكره ذلك وقال ثم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا وطمأن به و ذلك مهلك في حقه ثم إذا ترددت أسباب الفرح فليعتزل الناس و ليعزّذ نفسه و ليرافق قلبه حتى لا يشتعل إلا بذكر الله و العكر فيه ، وليترصد لما يدوله في نفسه من شهوة و وسواس حتى يجمع مادته مهما طهر فإن لكلّ وسوسة سبباً ولا نزول إلّا بمقطع لسبب والعلاقة وللإلزام ، لك نيفة العمر ، فليس للجهد آخر إلّا المات و السلام

❦ (بيان علامات حسن الخلق) ❦

اعلم أن كلّ إنسان جاهلٌ بمسب نفسه و إذا جاهد نفسه أدنى مجاهده حتى ترك فواحش المعاصي فربما يفسّ بنفسه أنّه قد هذب نفسه و حسن خلقه و استعصى عن المجاهدة ، فلا بد من إنساح علامات حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق ، وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمناقين في كتابه و هي بحملها ثمره حسن الخلق وسوء الخلق ، فليورد حملة من ذلك ليعلم بها حسن الخلق .

قال الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون إلى قوله - « أولئك هم المواتون »^(١)

و قال عز وجلّ : « الماتون العابدون - إلى قوله - « وبشر المؤمنين »^(٢)

وقال عز وجل **وَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ -**
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ^(١)

وقال تعالى : **« وَ عَمَادَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا - بِئْسَ أَجْرُ**
السَّوْدَةِ - » ^(٢)

فمن أشكر عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه
 لصفات علامة حسن الخلق ، وقد جميعها علامة سوء الخلق ، ووجود بعضها دون
 بعض يدل على النقص في البعض ، فليشتغل بتحصيل ما فاقده وحقن ما وجدته ،
 وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمنين بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى عكس الأخلاق
 فقال ﷺ : **« وَالْمُؤْمِنُ رَحِيمٌ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ »** ^(٣)

وقال ﷺ : **« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صِيفَهُ »** ^(٤)

وقال ﷺ : **« وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ حَرَهُ »** ^(٥)

وقال ﷺ : **« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ حَرًّا أَوْ لَيْصَمًا »** ^(٦)

ودكر ﷺ أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال ﷺ : **« اكمل**
المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » ^(٧)

وقال ﷺ : **« إِذَا رَأَيْتُمْ مُؤْمِنًا صَمُوتًا وَ قَوْرًا وَ دَبْرًا مَدْفَاقًا بِالنَّفْسِ**
الْحَكِيمَةِ » ^(٨)

(١) الامار ٢ و ٣ (٢) لعرفان ٦٣

(٣) أخرجه البخاري ج ١ ص ١١ بإساره عن س عن النبي صلى الله عليه وآله
 قال : **« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ »**

(٤) و (٥) و (٦) أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٤٩ عن أبي هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وآله : **« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ حَرًّا أَوْ لَيْصَمًا ، وَمَنْ**
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ حَرَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ حَرَهُ »

(٧) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٢٣

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي حنيفة عن قال : **« رَوَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ**
« دَرَيْسُ الرُّجُلِ هَذَا عَصَى دَهْدٍ فِي الدِّبْرِ وَهِيَ مَطْلُوقَةٌ وَهِيَ مَدْفَاقَةٌ بِالنَّفْسِ الْحَكِيمَةِ »

و قال عليه السلام : « من سرته حسه وسأه سيئه فهو مؤمن » ^(١)

و قال عليه السلام : « لا يحلُّ لمؤمن أن يشير إلى أخيه ببطرة تؤدبه » ^(٢)

و قال عليه السلام : « لا يحلُّ لمسلم أن يردَّع مسلماً » ^(٣)

و قال عليه السلام : « إنما تتحالى المتحالسان بأمانة الله عزَّ وجلَّ ، فلا يحلُّ

لأحدهما أن يعشي على أخيه ما يكرهه » ^(٤)

و جمع بعضهم علامات حُسْن الخلق فقال هو أن يكون كثير لحد ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، قليل الفساد ، صدق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل التبرُّل ، قليل الفصول ، برّاً و صولاً و قوراً و صوراً رصت شكوراً حليماً رفيقاً عفيفاً شجاعاً لا لعناً ولا ستاةً ولا مماناً ولا شتامةً ولا معصاةً ولا عجولاً ولا حفوداً ولا جملاً ، لا حدوداً هشاشاً ثباتاً ، يحبُّ في الله و يعص في الله ، يرضى في الله و يعص في الله فهذا هو حسن الخلق

و سئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن و الموافق فقال : « إن المؤمن همته

في الصلاة و الصيام و العبادات : الموافق همته في الطعام و الشراب كالهميمه » ^(٥)

و قال خاتم الأصم : المؤمن مشغول بانفكر في العسر ، و المفاق مشغول بالحرس

و الأمل ، و المؤمن آس من كلِّ أحد إلا من الله ، و المفاق راح كلِّ أحد إلا الله

و المؤمن آمن من كلِّ أحد إلا من الله ، و المفاق حائف من كلِّ أحد إلا من الله ، و المؤمن

يعدُّ ماله دون دينه ، و المفاق يعدُّ دينه دون ماله ، و المؤمن يحسن ويسكن ، و المفاق

يسئ ، و يصحح ، و المؤمن يحبُّ الوحدة و الحلوله ، و المفاق يحبُّ الخلطة و الخلا

و المؤمن يردع و يحشى الفساد ، و المفاق يفلح و يرحو الحصاد و المؤمن يأمر

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري بسند حسن كما في الجامع لصغير

(٢) أخرجه ابن السارث في الزهد و الرقائق و في سرد لصة مرسلا (لم يسم)

(٣) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٩٧ و الصراي في الكبير و رواه ثقات ، و رواه

البربر من حديث ابن عمر

(٤) أخرجه أبو الشيخ عن ابن مسعود كما في الجامع لصغير

(٥) قال العراقي لم أجده أصلا

و يسمى للنساسة فيصلح ، و المفاوئ بأمر و يسمى لمريمه فيفسد ، و أولى ما يمتحن به
حسن الخلق الصبر على الأذى ، احتمال الجهد ، من شكا من سوء خلق غيره
فبدل ذلك على سوء خلقه لأن حسن الخلق احتمال الأذى

فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يمشي ومعه أسير فأمره أن يمشي معه
رداه والمشاة خديداً شديداً ، كان عليه برد بحراري غليظ الحاشية ، فرأس حتى
نظرت عنق رسول الله ﷺ فدأثرت فيه حاشية الرد من شدة خديده ثم وان
عنه هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ فصحك ثم أمر له
بعطاء ، ^(١) ولما أكتوف فريش رداه وصره قال : اللهم أعمر لقومي فاتهم
لا يعلمون ، فلما لبث قال الله تعالى : و ذلك لعلى خلق عظيم ^(٢) .

و روي د أن علياً عليه السلام دعا علامة له فلم يجبه فعدو ثوب ، ما لم يعلم يجبه
فقام إليه فرآه مصطحفاً فعال : أما تسمع يا عازم ، فعال : نعم قال : فما حدثك علي
نريك حوايي ؟ قال : آمنيت عمويثك فنكاسك فعال : مص فأبصر لوجه الله ^(٣) .
أقول : ثم ذكر أبو حمزة حكايات عن الصوفية رعم أنها تدل على حسن
أخلاقهم بدليل أنهم للناس وود عرفت من طريق أهل السبب عليه السلام أن الله لم يأت
لعمده أن يدل نفسه ، فلا حاجة بنا إلى نقلها ، و قد ذكرنا في كتاب أخلاق الإمامه
و آداب الشيعه من ربح العادات من أخلاق أهل البيت و كلماتهم عليه السلام في محاسن
لأخلاق و صفات المؤمنين ، فيه بلاغ لغوم غامدين ، و كذا في كتاب آداب الصلوة
والمسحبه من ذلك الرُبع ، و أفعال أهل البيت و أقوالهم عليه السلام هي الحجة و القدوة
في كل باب ، والله الموفق

(١) أخرجه البخاري ج ٧ ص ١٨٩ ، من حديث أنس .

(٢) القلم ٤ - والخبر أخرجه ابن حبان والبيهقي في الدلائل من حديث سهل بن

سعد (المعنى)

(٣) أورده بن شهر آشوب في لائق في فصل حلمه وشعبته عليه السلام

الطعام مصعاً جيداً ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ، ولا يده ، ويعود الحمر القمار ^(١) في بعض الأوقات حتى لا يصح بحث برى الادم حسماً ، و يفتح عنده كثرة الأكل فإن يشبه من يكثر الأكل بالهائم ، وأن يدم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ، ويمدح بين يديه الصبي المتأدب العليل الأكل ، ويحسب له الأثر بالطعام وقلة المبالاة به ، و الفساعة بالطعام الحش أي طعام كاذب ، ويحسب له من لثياب اسمه دون الملوّن والأبرسم ، ويعرّز عنده أن ذلك شأن النساء والمحشّين و أن لرحال يستكفون منه ، ويكرّر عليه ذلك ، و فهم رأى على صبي ثوباً من أبرسم أو ملوّن فيسعي أن يسكر ويدم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبي الدّين تعودوا التعمّ و الترفقه ، وليس الثياب الفاخرة ، وعن محاطة كل من يسمعه ما يراعاه فيه ، فإن الصبي إذا عمل في بقاء شؤبه خرج في الأكرادي الأخلاق ، كدأباً حسوداً سرّافاً نمتاً لحوماً دافضول و صحت ، و كبد ، و مجابه ، و إنما يحفظ عن جميع ذلك بحس المتأدب ، ثم يسعى أن يشتغل في المكسب تتعلم القرآن و بأحاديث الأخبار و حكايات الأبرار و أحوالهم ليعرس في نفسه حب الصالحين ، و يحفظ عن لأشعار التي فيها ذكر العشو و أهله ، و يحفظ عن مخالطة الأدياء كدب يرعمون أن ذلك من لطرف ورقه لطيف ، فإن ذلك يعرس في فلوب الصبيان بند الفساد

ثم مهمما ظهر من الصبي خلق جميل ، فعل محمود فيسعي أن يكرم عليه ويحاري لأجل ذلك بما يفرح به ويمدح بين ظهر الناس ، فإن حارب ذلك في بعض الأحوال مرّة واحدة فيسعي أن يتعاقل عنه ، ولا يهت سره ، ولا يكتشف به ، ولا يطر له أبه يتصور أن يحدس أحد على مثله لاستماد سره الصبي واحتشيد في جهائه فإن إظهار ذلك ربما يفسده حساره حتى لا يوالي بالمكاشفة بعد ذلك و إن عا ناساً فيسعي أن يعذب سرّاً ويعظم الأمر فيه ، و يقال له إياك أن يطلع عليك في مثل هذا أحد فتصيح بين يدي الناس ولا تكتر القول عليه بالعتاب في كل حين فينه هون عليه سمع أعلامه ، كواب الصابح ، سقط وقع كلام من قلده ، ليكر لأب

حافظاً هيبة الكلام معه ولا يوتحه إلا أحياناً ويسفي للأُم أن تخوفه بالأب وتزجره عن القسيح ويسمي أن يسمع اليوم بهاراً فإِنَّه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلاً ولكن يسمع العرش الوطيئة حتى يتصلب أعضاؤه ولا يسحب بدنه ، فلا يصبر عن التمتع بل يعوّد الحشونة في المعرش والملبس والمطعم ، ويسمي أن يسمع من كل ما يفعله في خفية فَإِنَّه لا يحفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإِذا ترك تعوّد فعل القبيح ، ويعوّد في بعض أسفار المشي والحركة والرياضة حتى لا يعلب عليه الكسل ، ويعوّد أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرحي يديه بل يضمهما إلى صدره ، ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده أو شيء من مطامعه وملابسه ، أولوحيه ودوائه ويعوّد التواضع والإكرام لكل من عاشره واللباقة معهم في الكلام ، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً فيه بدالة حشمتهم إن كان من أولاد المحتشمين ، بل يعلم أن أرفعهم في العطاء لا يأخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسة ، وإن كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الأخذ الطمع مهينة ومدلة وأن ذلك من دأب الكلب فَإِنَّه يتبصص في انتظار لقمة .

و بالحملة يفتح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحدّر منهما أكثر مما يحدّر من الحيات والعقارب فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكارب أيضاً ، ويسمي أن يعوّد أن لا يسوق في مجلسه ، ولا يتمشط ، ولا يتمشط ، ولا يثأب بحضرة غيره ، ولا يستدير غيره ، ولا يصع رحلاً على رجل ، ولا يصرب كعته تحب دقته ، ولا يعمد رأسه ساعده فإن ذلك دليل على الكسل ، ويعلم كيمية الجلوس ، ويسمي أن يسمع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوفاة وأن ذلك فعل أولاد اللثام ، ويسمي أن يسمع رأساً صديقاً أو كدياً حتى لا يتعوّد في الصغر ، ويمنع من أن يشتدي بالكلام ويعوّد أن لا يتكلم إلا حوائجاً وبعد السؤال ، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ، ثم هو أكرم منه سناً وأن يقوم لمن فوقه ، ويوسع المكان له ، ويحاسن بين يديه ، ويمنع من لعو الكلام ووحشه ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجري على

لسانه شيء من ذلك فانه يسري لمخالفة من الغريب له ، وأصل تأديب الصبيان
لحفظ من الغريب له ، ويسعى به حربه المعلم أن لا يكتر بصريح واشعب ،
ولا يستشيع بأحد من يصر ، ويذكر له أن ذلك من المتحفظين والراجل وأن كثره
لصراح دأب الله ليك ولسوان ، ويسعى أن يؤذن له بعد الفراغ من طككت أن
يلعب لعباً جيلاً يستريح إليه من تعب الأدب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع
الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم ، ثم يعيب عليه ويطلب دكاهه ، ويعرض العيش
عليه حتى يطاب المحلة في الحاصل منه ، ثم ، ويسعى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه
ومؤدبه ، وكل من عواكده ساعد من فرب وأحمسي ، أن يطر إليهم بعين الحلافة
والتمظيم وأن يترك لعبه من يديهم ، ومما يلع من النفس يسعى أن لا يسمع في
رك الصبر ، ولصلاه ، يؤمر بالصوم في بعض الأيام من شهر رمضان ويحسب من
الحرج ، وأدفع ويعلم كل ما يحتاج إليه من حذر ، اشرح ، ويحوف من اسرفه
وكل الحرم والكذب والحبسة والفحش ، وكل ما يعلب على الصبيان ، فإذا وقع
شبهه كذلك في لعب فمهما فارت اسلوب أمكن أن يعرف سرار هذه الأمور
ويذكر له أن الأطعمة أدوية وإتاما المعصوم يجب أن يعوي الإنسان بها على عبادة الله
وأن أدب كتاب لأصل لها إلهام لها ، وأن طوب يقطع بعينها ، وأنها درمر
لأدار عمر ، وأن لآخره دارمر لأدار مر ، وأن طوب يشطر في كل ساعة وأن
الكيس لعقل من ترو ، من الدنيا للآخره حتى نعظم عند الله درخته ، ويتسع
في الحسن نعمته ، فإذا كان السوء صالحاً كان هذا الكلام عند الطلوع واقفاً مؤثراً
باحكام يشب في ولده كما يشب الفش في الحرج وإن وقع الشؤ ، بخلاف ذلك حتى
ألف الصبي اللب والفحش ولوقحة وشرة الطعام واللباس والبر والنفاحر ما
فله عن قول الحق بموه الحائط عن التراب الياس فأوكل الأمور هي التي يسعي
أن ترعى فب الصبي حلق بحوهره قابلاً للحجر والشر وإتاما أبواه يميلان به
إلى أحد الحاسن قال رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على فطرة وعلى أبواه
يهودانية وبصراية ومجسانة»

✽ (بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريب المريد في) ✽

✽ (سلوك سبيل الارادة) ✽

علم من شهد آخرة بقلبه مشهده يقين أصبح بالضرورة مريداً حرث الآخرة ، مشتاقاً إليه ، له لكأس سبيل ، مستهيباً بعمق الدنس و لذاتها فإن من كان معه حرة فرأى جوهره نفسه لم يبق له رغبة في الحررة ، و قوب إرادته في بيعها بالجوهر ، فمن لبس مريداً حرث الآخرة لا طلباً للقاء الله فهو لعدم إيمانه بالله ورسوله واليوم الآخر ، وليس أعني بالإيمان حديث القلب وحركه اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وحالان فإن ذلك يصح في قول من صدق بأن الجوهر حبر من الحررة إلا أنه لا يدري من الجوهره إلا لغتها فتم حقيقها فلا ، و مثل هذا اصدق إذا ألب لحرره قد لا يتركها ولا يعلم ، شتتد إلى الجوهره فبدد المانع من لوصول عدم لسلوك والمانع من السلوك عدم لإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداه المدكر من والعلماء بالله الذين إلى طريقه والمستهين على حقارة الدنيا وافرأصها وعظم أمر الآخرة و دوامها ، فالحلق غافلون قدانهمكوا في شهواتهم وعاصوا في رذلتهم وليس في علمه الدنس من يستهينهم فإن تشبه بهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لعنه فإن طلب الطريق من العلماء وخدمهم مائلين إلى الهوى عدلين عن نهج الطريق فصار سبب الإرادة و التحول بالطريق و نطق العلماء بالهوى سبباً لحلول طريق الله عن السالكين ومهم كان المطلوب محجوباً والدليل مفقوداً والهوى غالباً والطلب غافلاً امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة ، فإن تشبه متنبه من نفسه أو من تشبه غيره سعت له إرادة في حرث الآخرة وتحذرتها فيسعي أن يعلم أن لشروطاً لا بد من تقديمها في بداية الإرادة وله معتصم لا بد من لمستك به وله حصص لا بد من التحصن به ليأمن الأعداء القطع لطريقه و عليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق ، فمما لشروط التي لا بد من تقديمها في الإرادة فرجع محامها إلى رفع السد والحجب الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الخلق عن الحق سبب تراكم الحجب ووقوع السد

على لطريق قال الله تعالى : « و جعلنا من بين أيديهم سدًّا و من خلفهم سدًّا - الآية » ، أو السدَّين المرید والحق أربعة المال والجاه والتقلد والمعصية ، وإتباعه يرتفع حجاب المال بأن يعرفه ويخرج عنه ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته ، وما دام يبقى له درهم يلمس إليه قلبه فهو مقبّد به محجوب عن الله تعالى ، وإتباعه يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وإيثار الجمول : المهر من أسباب المذكر و تعاطي أعمال تنفّر قلوب الخلق عنه وإتباعه يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصّب للمذهب وأن يصدّق بمعنى قوله : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » بصدق إيمان و بحوص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله ، و أعطى معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقاه تقليدًا فيسعي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المحادلة فإن غلب عليه التعصّب لعقيدته ولم يبق في قلبه منفتح لغيرها صار ذلك قيداً له و حجاباً دس من شره المرید الانتماء إلى مذهب معين أصلاً^٢

أقول: هذا إتباع يصح على مذاهب العقيدة حيث يتعصّبون في الأصول للأشعري والمعتزلي ونحوهما من أهل الآراء ، في الفروع لأبي حنيفة و لأشاعري وشبههما من أصحاب الأهواء ، وأما على مذهب الحق من وجوب التمسك بحلّ أهل البيت عليهم السلام الذين هم مشايخنا وحمولنا فالانتماء إليهم شرع لاهتداء لأحكام الدين و التعصّب لهم يريد السالك في سلوكه يقيناً إلى يقين

قال : « وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة و الخروج عن اصطالم و تصميم العزم على ترك العود و تحقيق الندم على ما مضى و ردّ المظالم و رضا الخصوم ، فإن من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعصية الطاهرة ، و أراد أن يقف على أسرار الدين بملكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن ونفسه وهو لا يعلم لغة العرب ، فإن ترجمه عربيته القرآن لابد من تقديمها أولاً ، ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه ، فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة بمثال

[illegible][illegible]

قال : قد مر هذا المعتمد وحده على معتمدة * بحمدته ويعتمده
بخصص حصص مدفعه فواطع حرم وهو أربعة أمم . الحبوب والتمه والحبوب

(١) انضمت الى العام للمعجزة الخادمي والمحققين والمحققين

(٢) رؤساء اعدائهم - رحمه الله في معاني الاحكام ص ١٦٩ في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال فر. و عندئذ ^{فجلا} دايك و لرئاسه و اناك ان تطأ أعقاب لرجال همت
جعلت فداك أم برئاسة وفد عرسها ، واما آل أصأ أعقاب لرجال فمائلت مدي يدي الاما
وطأت أعقاب لرجال ؛ فقال ليس حث تنهب اناك ان تنصب رجلا ذوي الحجة فتصدقه
في كل ما قال .

و السهر فهذا تحصن من القواطع ، فإن مقصود امر يد صلاح قلبه ببساطة رقة
 ويصلح لغيره ، أما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويستصده في بياضه ، و هو ، ويدب
 شحم لمؤدوي دونه رقيقته في رقيقته مفتح المكاشفة كما أن فسونه سب الحجاب ،
 ومهما نقص دم القلب صاق منه مسلك العدو فإن محاربة لغزو ادمتته بالشهوات
 قل عيسى عليه السلام « يا معشر الجورين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم تری (تسم) »
 قال سهر مصاد الأبدال أندال إلا بأربع حصل إحصاء لبطون والسهر
 الصمت والاعتزال عن الناس ، فائدة الجوع في توير القلب من طاهر يشهد له
 التجربة ، وسببتي بيان وجه التدريح فيه « في كتاب كسر الشهوات » وأما السهر فإنه
 يحلوا القلب ويصفيه ويؤثره ويصافي إلى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب
 كالكوكب الدرري والمرآة المحلوقة ، فلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع
 الدررحت في الآخرة وحقاره الدنيا وآفانها فبتم بدرعته عن الدنيا وإفاله
 على الآخرة

ولسهر أيضاً منحه الجوع في السهر مع لشع غير ممكن ، والنوم ينفي
 القلب ويمتته إلا إذا كان بعدد ضرورة ، فيكون حينئذ سب المكاشفة لأسرار العيب ،
 فقد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم قافه ، و يومهم علمة ، وكلامهم ضرورة ، وقال
 إبراهيم الجواص اجتماع رأي سبع صدقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء
 وأما الصمت فإنه سهل العزلة ولكن المعتزل لا يحلو عن مشاهدة من يقوم
 له بطعمه وشرارة أو يدبر أمره فيسعي أن لا يتكلم إلا بعد الضرورة في الكلام يشعل
 القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم ، فإنه يسروح إليه ويستقل النحر دلل ذكر
 والمكر ويسريح إليه ، فالصمت يفتح العقل ، ويحجب الورع ويعلم التقوى ،

وأما الحلو ففائدة تهازع الشواغل وصطط السمع والبصر ، في تهمة هليلر القلب
 والقلب في حكم حوص انصب إليه ماء كنده قدرة من أنهار الحواس ومقصود
 الرأفة تفرغ الحوص من ملك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوص
 فيخرج منه الماء النظيف الطاهر فكيف يصح أن يترج الماء من الحوص ولا نهار

ممنوح إليه فتعبد في كبر حافة أكثر من بعض أولاده من وسط لحواس إلا عن
قد الحيرة وليس يتم ذلك إلا بالحيوة في مكان عظيم ، في لم يكن له مكل نظام
فيلب رأسه في حمة وثمة تركب ، أو رار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع بناء الحق
ويشاهد جمال الحضرة الربوبية ، أم ترى أن بناء رسول الله ﷺ بعبه وهو علي
هذه الصفة فعيل له « يا أيها المدثر » « يا أيها البرّقل » « فهد الأربعة حمة
وحسن بها يدفع عنه الفواظ وتمنع العو من القصة للصريق ، ودا فعل ذلك اشعل
بعد سلوك الصريق وإثما سلوكه بقطع العصا ، « لا عنة على طريق لله لأصعب
لعاب التي سبها ، لأعاب إلى الدنيا ، وبعض تلك العصا أعظم من بعض ، ولترتيب
في قطعها أن يشتغل بالأسهل والأسهل هي - أعني تلك لصفت أسرار العلائق
لتي قطع في أول الدرة آثارها أعني آثار امار والعام ، حب لدثنا والالتفات
إلى الحلق والتشوف إلى المعاصي فلا بد وأن يحللي اطر عن آثارها كما أحللي
ظاهر عن أسماها لصدرة وفيه طول المتاهدة ويحصل ذلك باختلاف الأحوال
فرب شخص مكفي قد كفي أكثر لصفت فلا يطول عليه المتاهدة وقد ذكرنا
أن صريق المتاهدة هو مصادمة الشهوة ومخالفة لهوى في كل صفة آتية على نفس
اسريد كما سبق ذكره وإذا كفي ذلك أنه يسمع بصدرة فلم يبق في قلبه علاقه
بشعله بعد ذلك يذكر فلم على الدوم ويمعد من كثر الأورد لطاهرة بل

(١) أخرج البخاري ج ٦ ص ٢٠٠ من حديث جابر بن عبد الله عن أبيه صلى الله
عليه وآله قال : « جاورت جهرا فلما نصت حوري ، هبطت موديت فطرت عن نبي
فلم أر شيئا ، وطرقت عن شمالي فلم أر شيئا ، وطرقت أمامي فلم أر شيئا ، وطرقت خلفي فلم
أر شيئا ، فمرت رأسي فرأت شيئا ، فأست غداة فقلت دثروني وصو على ما نردأ ،
قال : دثروني وصو على ما نردأ ، قال : هنالك ما أيها المدر - لايت - « وفي
بعض الرويات « فقلت - زملوني زملوني ، وزملوني - الحدث »

أقول - من نظر في هذه الرويات ومادكره المؤرجون والمفسرون في مبدا الوحي
وشار برول هذه لايات علم جفا أن أبي صلى الله عليه وآله بعد مشاهدته تلك الآثار
عرضت عليه حالة وحشة عجيبة ودهة شديدة عالجهما بالنزول والندثر ولم يجعل ذلك نوع
رياضة لنفسه صلى الله عليه وآله حتى يسكن أن يسدل بذلك على ما استدل به أبو حامد .

لبدفعه عنه كما قال تعالى « وإما يرفثك من الشيطان فرغ فاستعد بالله إنه سميع
 عليم »^(١) وقال تعالى « إن الذين اتبعوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
 فإذا هم منصورون »^(٢) وإلى ما يشك فيه فيسعي أن يعرض ذلك على شبحه بل كل
 ما يحدث في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفت إلى علفه أو صدق في إرادته ،
 فيسعي أن يظهر ذلك لشبحه ويسمره عن عمره فلا يطلع عليه أحداً ثم إن شبحه
 يسعي أن يطر في حيله ويتأمل في دكاثه وكباثته في علم أنه لو تركه وأمره بالعكر
 بدته من بعده لحقيقة الحق فيسعي أن يحمل على العكر ويأمره بملازمته حتى
 يفقد في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته ، وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه
 مثله رده إلى الاعتقاد الصحيح القاطع بما يحتمله قلبه من وعط وذكر وديل قريب
 من فهمه ، ويسعي أن يأتق شبحه ويلطف به وإن هذه مهالك للذريق وهو فع
 أخطرها ، فكم من مريد اشتعل بالنار فحلب قلبه حبال فاسد ، فلم يقو على كشفه
 فاقطع عليه طريقه ، واشتعل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم
 ومن تحرر لذلك ودفع الدلائل الشاعلة عن قلبه لم يحل عن أمثال هذه الأفكار
 فإتته قدر كب سعيه الخطر في سلم كل من ملوك الدّين وإن أخطأ كان من
 الهالكين ، ولذلك قال عليه السلام « عليكم بدبب العجائر »^(٣) وهو تلقى أصل الإيمان

(١) لا عرف ١٩٩ (٢) الاعرف ٢٠١

(٣) قال لمرغني ، « قال رضي الله عنه في كتاب التذكرة هذا للمط تداوله لئلا يلهي
 أقبله على من يرجع إليه من روايه مضممة ولا سعيبة الخ » انتهى أقول : سنة جماعة من
 الاكابر لى سعيان التورى منهم لشح الهائى والعامل الحوادى فى عابه البأمور و ظاهر
 اسانيدناى فى شرحه على الزبدة حيث نقل ما يس على أنه من كلام سعيان على نحو ما نقله
 صاحب لقواين فى لباب السابغ من حيث قل - والمستفاد من كلام لصعق الهائى فى
 حاشية الزبدة أن هذا هو حكاية دولابها وكف ليد عن تعزمكها لاحتداد اعتقادها بوجود
 اصابع المعرك للافلاك المدر لتعلم والذى ذكره الفوشعى و بهه العاصل الحوادى -
 رحمه الله - هو مازوى أبى عروس عند لما أنتت مرله بين الكفر والابسان نقادت عجورة
 فان الله تعالى « هو الذى جعلكم فاسككم كافر ومكم مؤمن » فم يجعل الله من عباده
 الانكافر والمؤمن ، فقال سعيان عيكم بدبب المعائر انتهى . ولا يخفى أن صدور هذه الكلام
 عن سعيان لا ينافى صدوره عن النبى صلى الله عليه وآله ، لكن قال لسخاوى لا أصل له .

في طاعة الاستعداد به هو الغلب في الاستعداد به من الجليل في العبد
 حيث كثرت العبادات يجب على الساجد أن يستمر في ما يدين به من كثرة طاعة
 ممكنة من العبد. ثم بعد ذلك لا بد من رغبة إلى الأعمال
 الطاهرة والآداب السوادية أو سعة جوده من العبد لتسليطه في
 فإن العاقل على مجاهدته في صلاته على ما ينبغي أن يصح في اليوم يعرفه بأدب
 بحسن يومه في منزهة عتبه في كثرة ما ينبغي أن يصح في يومه في
 الحمد لله الذي قد يقصده فواظب كثرة من العبد في طاعة الله
 وكشف به من الأحوال في ما من أنه ثل له في يومه انقضى إلى سيء
 رثت شعوبه في عتبه كان له في يومه في يومه في يومه في يومه
 عمره بالارادة لعطش الذي لا يهبط له في يومه في يومه في يومه في يومه
 والله الأعظم على الخلق في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 على الخلق في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 وكون في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 على الخلق في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 منهم قال فلا سمع إلا في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 فلا يعاملهم في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 ولا يعاملهم في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 أنظر إلى العبد في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه في يومه
 الله على الدوام وهذا كما لا يكون أبداً

(١) لا ينبغي أن يتأخر هذه له سميجر إلى تعطل بجمعة والجماعات والحدج و لتراول
 و لوحي والاجتماعات والعبادات و يؤول إلى لا بد من عن الناس والاعتزال عنهم
 وترك لمعاشرتهم و لؤاسة بهم ، ومعتزم أن الاعتزال والامتناع مما كانت الفان
 و عرس لوسواس و احترام عن الشرب الاثم المحمى صلى الله عليه وآله والعدم
 استموداجهم وموجب لترك كثير من الفصائل والحرب وقوب السن لشريعة

الحاجة إلى الله تعالى معها ورد في فصل الجمعة والجماعات وذكره الثرأور والاحمديان
 « في الحديث استغنى عنه به الخاصة والعامة والرهبة في الإسلام »^(١) وأن
 « من رهب الله صبي الصوم »^(٢) وفي حديث آخر « أن رهبة الله أمتي لحلول
 لمأخذه »^(٣) يعني عن ذلك تمت يأس صريفة هو « فبؤلا لمندعون جمعوا من الحمل
 وسوا الأذ مع الله ورسوله ، أمّا لحمل فلكوبهم ما عرفوا وحوه لحكمه فيما كلف
 الله به عباده من لأومر و لواحى على حسب ما يلزمهم وما هو أوفق لأفهامهم
 وأمرهم ، وأمّا سوء أدبهم فمعصية صهيبة له سبحانه ورسوله بما وضعوه من عند أنفسهم
 بما رعموه طربعا إلى معرفة الله به هم الذين رعموا عن النبي صلى الله عليه وآله قال « من
 حدث في دينا ما ينس فيه وهو رد »^(٤) وفي حديث آخر « من عثر أمتي فمليه عنه
 الله للملائكة والناس أجمعين ، قيل يا رسول الله وما عثر أمتي ؟ قال أن يستدع
 بدعة يحمل الناس عليها »^(٥) وفي آخر « إن الله مفكأن ري كذ يوم من حاله سنة رسول
 الله لم تله شفاعة »^(٦) وهم الذين قالوا « مزال الحامي على الدين به بداع ما يحالف
 السنة بالسنة إلى من يدب دينا مثل من عصي المثلث في قلب دوله بالسنة إلى من
 حالف أمره في خدمه معيته ، ودأب وقد يعمر ، فأق قلب الدولة فلا ثم ما يقولونه
 لا يتم إلا برفع الجواهر وهذا شيء بدس في وسع السر ولا ستم لعوام منهم قيل
 لمولانا الصادق عليه السلام « إن لي أهل بيت قد رفته يقولون يستطيع أن يعمل كذا وكذا
 ويستطيع أن لا يعمل فقال عليه السلام « ولله هل يستطيع أن لا يذكر ما تكروه وأن
 لا ينسى ما يحب »^(٧) فإن قل لا بعد ترك قوله ، وإن قل نعم فلا كلامه بدأ بعد
 ادعى الرئويته « ولا تتم أيضا إلا بمناعه شيخ لا يجلعه في شيء مما يأتى به ويدركه »

(١) راجع بعد ذلك ج ١٥ لخره الثاني من ٥٢ وخرجه حمد في المسند ج ٦

من ٢٢٦ هكذا « أن الرهبانية لم تكتب علينا »

(٢) ما عثرت على أصله إلا بهذا النص « خصي امتي الصوم والقيام » وهو حمد

(٣) أخرجه لمعوى في المسند ج ١ من ٤٩ من حديث عثمان بن مظعون

(٤) أخرجه ابن ماجة في المسند ج ١٤ ، وأحمد ج ٦ من ٢٧٠

(٥) و (٦) ما عثرت على أصلهما .

وقطعها . فصرت معهم مع راعيا فحسب إليهم . وعزيت بهم . فصاح بهم لبي عبي
الحقعي براعتك وقصبيك في تلك مائبة متحجرة عن بحيث وقطيعث فهدمت دعرة
متحجرة مددة^(١) لا راغي لها برشدها إلى مرعها . يده . حسب هي كذلك إذا
اعتم لدث صيغها فأكلها . وكذلك والله من أسح من هذه الأمة لا هم له من
الله عز وجل طاهراً عادلاً أصبح صلاً مائياً . و من ماب على هذه الحال ماب ميبه
كفر وعاى . واعلم أن أئمة الجور وأساعهم طعرو ولون عن دين الله قد صلوا . أصأوا
فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتد به الريح في يوم عاصف لا يبقون منها كسوة
على شيء . ذلك هو الضلال البعيد^(٢) .

و عن الصادق عليه السلام : « والله لو أن إبليس سجد لله تعالى بعد المعصية و لكفر
عمر الدنيا ما بعته ذلك ولا قبله الله تعالى ما لم يسجد لآدم كما أمره الله أن يسجد
له وكذلك هذه الأمة العاصية المنبوذة بعد سيئها . يهتد وبعد نركهم الإمام تدي
بصه بيبهم . يهتد . فلن يفل الله بهم عملاً . ولن يرفع لهم حسنة حتى يأنوا الله من
حيث أمرهم و يتوآوا الإمام الذي أمروا بولائه . ويدخلوا في لبب الذي فتحه الله
ورسوله لهم »

فإن قلب . فما الطريق إلى معرفة أسر . اندثر . بتحصيل أيقين . فاعلم أن
الله سبحانه جعل أرواحاً وحمل لكل من شرعه ومبها . و لبس لعامة الناس أن
يسلكوا مسلك الحكماء . الأئمة . أو يهتوا مسلك الرئاس من العلماء . فإن حب
الحق حل أن يكون شريعة لكل . واره أو يطع عليه إلا واحد بعد و حد . و المؤمن
موقر أعز من الكريم الأحرار . ثم لابد لمن أراد لشروع في تحصيل العلم
امكسور عند أهله لمصون به عن عه أهله أن يكون شاكاً صحيح المراح . دكياً
أميناً عفيفاً صدوقاً مهذباً لأخلاق . مبرأ عن الرياء و لغاى . معصاً لفصول
لدين . معرضاً عن المكر والعبد والجدنة وجوها . معظماً للعلم والعلماء . معظلاً

(١) « دعة » كوحلة وريا ومعنى . وند العبد بدأ وند بدأ وند بدأ شرد وند

(٢) لكافي ج ١ ص ٢٧٥ .

على الوظائف الشريفة ورائها « مو فلها بعد أن يعلم أحكامها وعرف حلالها وحرامها
وكان قد أخذها عن أهلها وإمامها قال الصادق عليه السلام « إن آية الكد أن يحرك
جند السماء والأرض في شأن عن شيء من مسائل الحلال والحرام لم يكن عنده
شيء »^(١) ثم بعد ذلك كله اشغل بتحصيل هذا العلم من طريقه وعلى وجهه بتقديم
الآيات باعتبارها ، ثم النوازل ، ثم مراعاة الآداب والسنن ، ثم النظر على السلاسل
والمحسوسات واللامرئية الذكر وما دامه الفكر حسب اميسو ، والتخلي عن الشهوات
التفاسية والخواطر الشيطانية المستدور ، وحل الهموم هماً وحداً مع إحلاص
النية وضوء الطوبى والعمل بما يعلمه شئاً وشئاً ، ومراقبة النفس تأقلاً حتى
يصير العلم عندها له بعد يقين ويتروى من علم اليقين إلى عين اليقين ،
وأنعمه فيه انهم في الدنيا ، متابعة الشرع من طريق أئمة الهدى وملازمه
لتقوى قول الله تعالى « اتقوا الله ويعلمكم الله »^(٢)

وقال « إن تقوا الله يجعل لكم فرقاً »^(٣)

وقال « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض »^(٤)

وقال « ومن يتق الله نجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب »^(٥)

وقال « وألذين جاهدوا فيما لهدسهم سلباً »^(٦)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام^(٧) « إن من أحب عبد الله إليه عبد أعانه الله على
نفسه »^(٨) ، وتستشعر لحرر وحلب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه إلى
ين قال قد جلع سراويل الشهوات وتخلي من الهموم إلا هماً واحداً مفرد به

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٤٠ . (٢) البقرة : ٢٨٢ .

(٣) الانعام : ٢٩٠ . (٤) الاعراف : ٩٦ .

(٥) الطلاق : ٢ . (٦) التكميات : ٦٩ .

(٧) نهج البلاغة في باب الخطب تحت رقم ٨٥ .

(٨) أي قواء وطامره حتى قلب .

فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى وصار من مديح أبواب الهدى ومعالج
أبواب الردى ، (١) قد أنصرت طريقه ، وسلك سبيله ، وعرف عماله ، وقطع عماله ، (٢)
واستمسك من عرى الوثوب ، ومن الحبال بأمتد ، (٣) فهو من اليقين على مثل
صو الشمس .

قال أبو حامد : فإن منتهى الرضا أن يجد المرید قلبه مع الله أنس
ولا يسكن ذلك إلا بأن يحلو عن غيره ولا يحلو عن غيره إلا بطول المجاهدة وبدا
حصل قلبه مع الله ، لكثرة الحلال المحصرة الرطوبة وتحتل به الحق ، وسهر له
من لطائف رحمة الله ما لا يحصى ، لا يوصف بل لا يحيط لوصف به أصلاً ، وبدا تكشف
للمريد سبب من ذلك ، فاعظم القو طمع عليه أن يتكلم به وعظم أو صحتة ويتصدى
للندكبر فمجد للمفسر فيه لذو لیس وراها لذو ، فتدعو تلك اللذة إلى أن يتفكر
في كميته يرا تلك المعاني وتحسن لألفاظ المعاني عنها وترتيب ذكرها وترتيبها
بالحكايك وشوهد القرآن والأخبار وتحسن صوره الكلام لتمثيل إليه القلوب
والأسماع والشيطان ربما يحيد إليه أن هد ميت إحياء لقلوب الموتى والعاقلة
عن الله ، وإنما أتب واسطة بين الله وبين الخلق لدعوة عماله إليه ، ومالك فيه نصب
والاستغنى فيه لذو ويتعرج كيد الشيطان بأن يظهر في أقربه من يكون أحسن كلاماً
منه ، وأحرل لفظاً ، وقدر على جلب قلوب لعموم ، فابته يتحرك في بطنه عقر
لحسد لا محالة إن كان محركه لذو الفمول ، وإن كان محركه هو الحق حرصاً
على دعوة عباد الله عز وجل إلى صراط المستقيم فيعظم به فرجه ويقول الحمد لله
الذي عصدي ويتدني بمن يواردي على إصلاح عباده كألدي وحب عليه مثلاً أن

(١) العلق وذن النصح - صده يمس ما سبق - الباب

(٢) مكسر يعنى جمع غير الفصح وهو معصم لحر والماء الكثير ، ولعل المراد
يقطع العذر حروجه عن فتن الدنيا ومصلاتها من الحاة ولهدايات خاصة (بهجة
لصادق)

(٣) لعل المراد بأوتقب الايمان وامن لحال اتناع أوامر الله ومتعة سبل
لهدى (البهجة) .

يحمي ميئاً لمدمحه ، وحده صانعاً ، و تعين عليه ذلك شرعاً ، فحده من أعاده عليه
فإنه يفرح به ولا يحسد معسه ، فالعاطلون موني و الوعاط هم الممتعون و المحبون
لهم ففي كثير منهم أسر وراح و ناصر ، فيسعي أن يعظم الفرح بهم ، وهذا غير الوجود
حداً و يسعي أن يكون المرید على حده منه فإن أعظم حوائل شيطان في قطع
الطريق على من افتتحت له أوائل الطريق فإن إثبات الحياة الدنيا ما طبع على
الإنسان ولذلك قال الله تعالى « مل تؤثرون الحياة الدنيا » (١) ثم بين سبحانه
أن الأشراف قديم في الطباع ، عذب على الإنسان وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة
فقال سبحانه « إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم و موسى » (٢)

وهذا من باب رياضة المرید من وترسه في التدريح إلى لقاء الله سبحانه أما تفصيل
لرئاسة في كل صفة فسيأتي بيده فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه و فرجه
ولسانه أعين به الشهوات المتعلقة بها ، ثم العصب الذي هو كالجد لجمايه لشهوات ثم
مهما أحب الإنسان شهوة النظر و الفرح و أس بها أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال
والجاه و إذا طلب المال والجاه حدث فيه العجب والكبر و الرئاسة ، وإذا طهر ذلك ولم
سمح بفسه بترد الدين رأساً تمت من لدين ما فيه الرئاسة و عذب عليه العرور
ولهذا وحب عليهما بعد تقدم هذين الكتابين أن نستكمل ربيع المهلكات
شمسية كتب

كتاب في كسر شهوة البطن و الفرح ، و كتاب في آفة اللسان ، و كتاب في
كسر العصب و الجسد و الجسد ، و كتاب في دم الدنيا و تفصيل حذوها ، و كتاب
في كسر حب المال و دم الجمل ، و كتاب في دم الرتبة و حب الجاه ، و كتاب في
الكبر و العصب ، و كتاب في بين مواقع العرور

و يذكر هذه المهلكات و تعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربيع
ربيع المهلكات إن شاء الله فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصقات القلب
الذي هو معدن المهلكات والمنحيات ، وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارته كليته

إلى طريق تهذيب الأخلاق و معالجة أمراض العلوب ، أمّا تفصيلها فإني يأتي في
هذه الكتب ب شاء الله والحمد لله رب العالمين

هذا آخر كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق و معالجة أمراض القلب من
المحنة البيضاء في تهذيب الإحسان و سلوة إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوات شهوة
بطن و الهرج

والحمد لله أولاً و آخراً و دائماً



كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج

وهو الكتاب لثلاث من ربح المهلكات من المحجة البيضاء في هديت الإحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد لله المتفرّد بالجلال في كبريائه وتعاله ، المسحق للتحميم والتفديس
والتسييح والثريه ، العائم بالعدل فيما يرميه ويقصيه ،^(١) المتطول^(٢) ما فصل
فيما ينعم به ويسديه ، المتكفل بحفظ عبده في جميع هواميه ومخاريه^(٣) وامنم
عليه بما يريد على مهمات معاصده بل بما يفي بأمانيه ، فهو الذي يرشده ويهديه ،
وهو الذي يمينه ويحييه ، وإذا مرض فهو يشفيه ، وإذا ضعف فهو يعويه ، وهو
الذي يوقته للطاعة ثم يرضيه ، وهو الذي يطعمه ويسقيه ، وهو الذي يحفظه عن
الهلكه ويحميه ، ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ، ويمكّه من المعاصه
تقليل القوت ويعويه ،^(٤) حتى يصيق به مخاري الشيطان الذي يماويه ،^(٥) ويكسر
به سطوه النفس لثني تعديده ، ويدفع شرهما ثم يعذبه ويثنيه ، هذا بعد أن
يوسّع عليه ما يلتذّ به ويشتهيه ، ويكثر عليه ما يبيح بواعثه ودواعيه ، وكل ذلك
ليمنّحه ويبتليه ، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه ويستعبه^(٦) وكيف يحفظ أوامر
وينتهي عن نواهيه ، ويوطئ على طاعته ، ويرحرر عن معاصيه

(١) ارم الامر أحكمه

(٢) من الطول - بالفتح - وهو السعة .

(٣) اسدى فلان الى فلان معروفاً أى صنته اليه .

(٤) كذا وفي بعض النسخ [سربه] من يرى الصب قرى - بالكسر - وقرأه
- بالفتح والمد - أى أضافه .

(٥) أى الذى يعبه و يماريه

(٦) أى يطلّنه وفي بعض النسخ [ينجّه] من سواه يعو أى يقصده .

و الصلاة على محمد بن عبد الله ، (١) و رسوله الوحيه ، صلاة ترلعه و تحظيه (٢) ،
و ترفع منزلته و تعليه ، و على الأبرار من عترته و أقربيه ، و الأخيار من صحابته
و تابعه

أما بعد فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من
دار العراة إلى دار الدُّلِّ و الافتقار ، إديها عن أكل الشجرة فعلمتهما شهواتهما
حتى أكلا منها فندت لهما سواتهما ، و البطن على التحقيق يسوع الشهوات و مبيت
الأدواء والآفات ، يد يسع شهوة الفرج و شدة الشق إلى المكوحات ، (٣) ثم تنسج
شهوة الطعام و المنكح شدة الرُّغْة في المال و الحاد ، اللذين هما الوسيلة إلى التوسع
في المطعومات و المكوحات ، ثم ينسج استكثار المال و الحاد أنواع الرُّغْوة
و صروب الماهاسات و المحاسنات ، ثم يتولد من ذلك آفة الرُّياء و عائلته التفاجر
و التكاثر و الكسرية ، ثم ينداعى ذلك إلى الحسد و الحقد و العداوة و المعصاة ، ثم
يقضي ذلك صاحبه إلى اقتحام المعى و المكر و المعشاة .

و كل ذلك ثمرة إهمال لمعده و ما يتولد منها من بطر الشمع و الامتناء ، و لودل
لعمد نفسه بالحوق و صبق به محاري الشيطان لأدب لطاعة الله و لم تسلك سبيل
لنظر و الطعيا و لم يسحر به ذلك إلى الأبهك في الدنيا و ينار العجلة على العمى
و هم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا (٤)

و إذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد و حب شرح عوائلها و آفات
بحديث منها و وحب إيضاح طريق المعاهدة لها و التمدية على فصلها برعياً فيها .

(١) أي الشريف ، و في الصحيح به رجل شرف و اشهر ، به ساهة فهو به
و تاه و هو خلاف الخامل .

(٢) ترلعه أي تقرأه ، و يحفظه أي جعله ذا حظوة ، و في الصحيح رجل حظى إذا كان
د حظوة و منزلة .

(٣) الشق ، شدة شهوة العماة .

(٤) تكالب القوم ، عاها و المداوة ، و تكالوا على كذا أي تواشوا عليه ، و تكالب

الناس على الدنيا أي اشتد حرصهم عليها .

وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها ، وصح نوضح ذلك بعون الله تعالى ونبيته
في فصول تجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ، ثم فوائد الجوع ، ثم طريق الرياسة
في كسر شهوة البطن بالتعليل من الطعام والتأخير ، ثم بيان اختلاف حكم الجوع
وفصيلته باختلاف أحوال الناس ، ثم بيان الرياسة في ترك الشهوة ، ثم بيان القول
في شهوة الفرج ، ثم بيان ما على المريد من ترك الترويح وفعله ، ثم بيان فضيلة من
يحالف شهوة البطن والفرج والعين .

*(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع) *

قال رسول الله ﷺ : « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش ، فإن الآخر في
دنيا كآخر المجاهد في سبيل الله ، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع
وعطش » (١) .

قال ابن عباس قال رسول الله ﷺ : لا يدخل ملكوت السموات قلب
من ملأ بطنه » (٢) .

وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال : « من قل طعمه وصحكه ورضي
بما يستر به عورته » (٣) .

وقال ﷺ : « سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف » (٤)
وقال أبو سعيد الخدري : قال النبي ﷺ : « ألسو [الصوف وشمرو]
وكلوا في أنصاف المطون فإنه جزء من النوة » (٥) .
وقال الحسن قال النبي ﷺ : « الفكر نصف العادة ، وقلة الطعام هي
العادة » (٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « أفضلكم منزلة عند الله تعالى يوم القيامة أطولكم
جوعاً وتفكيراً ، وأبعضكم إلى الله تعالى كل نؤم أكل شرور » (٧) .

(١) إلى (٧) قال العراقي لم أجد لهذه الأحاديث أصلاً . أقول قد ورد مضمون
سبعة من حديث المراجعة الذي أورده الديلمي في إرشاده مرسلًا وهو حديث طويل
طبع مسنداً صبيحة تحف العقول للطبع المصري ص ١٢٨ .

و في الحشر وأمر رسول الله ﷺ كان يجوع من غير عود^(١) أي محذراً لذلك
 و قال رسول الله ﷺ : « إن الله يباهي الملائكة بمن قلّ طعمه في الدنيا يقول :
 انظروا إلى عبيدي ابتليتهم بالطعام و الشراب في الدنيا فتركهما لأجلي أشهدوا يا
 ملائكتي ما من أكلة تركها لأجلي إلا أبدلتها بها درجات في الجنة »^(٢)
 و قال رسول الله ﷺ : « لا تمنيوا القلوب بكثرة الطعام و الشراب فإن القلب كالردع
 يموت إذا كثرت عليه الماء »^(٣)

و قال رسول الله ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات
 يعمن صلته فإن كان هو فاعلاً لأحاله فثلاث لطعامه و ثلاث لشرابه و ثلاث لنفسه »^(٤)
 و في حديث أسامة بن زيد^(٥) « إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة
 من طال حووه و عطشه و حره في الدنيا ، هم الأتقياء الذين إن شهدوا لم
 يعرفوا و إن عابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض و تحف بهم ملائكة السماء ، نعم

(١) في القاموس : المورد بالحرث - العاحة ، عود الشيء - كمرح - لم يوجد
 والرجل افتقر كأعوز ، و ما عثرت على لفظ العبر في أصل الآل ليهنفي روى في الشعب عن
 عائشة قالت : « لو شئت أن شبع شعب ولكن ، حمد أصلي لله عليه وآله كان يؤثر على
 نفسه » و قال العراقي بعد نقله : و استأنده معضل .

(٢) قال العراقي : أخرجه ابن عدي في الكامل .

(٣) ما عثرت على أصل مستند له إلا أن أوردته الطبرسي في المبكر في باب آداب
 لاكل من ١٧١ مرسل من كتاب روضة الواعظين للمنا

(٤) أخرجه الترمذي ج ٩ من ٢٢٤ وفيه « اكلات يقين » و ابن ماجه و ابن حبان في
 صحيحه إلا أن ابن ماجه قال : فان علت الأدمى حبه فثلاث للطعام الحديث راجع لترعيب
 و الترهيب ج ٣ من ١٣٦ .

(٥) قال العراقي : أخرجه الخطيب في الزهد بطوله من حديث سعيد بن زيد قال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله و أقل على أسامة بن زيد ذكره مع تقديم و تأخير و من
 طريقه روى ابن الجوزي في البصوغات و فيه حباب بن عداة بن جسة أحد الكذابين
 و فيه من لا يعرف و هو منقطع أيضاً و رواه البخاري بن أبي أسامة من هذا الوجه .

لباس الدنيا ونعموا بطاعة الله ، افترش الناس العرش الوثيرة ^(١) ، وافترشوا الحناء
والركب ، صيغوا الدس فعل النسيين وأحلاقهم وحفظوها هم ، تسكى الأرض إذا
فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم أحد ، لم يتكالموا على الدنيا
بكال ، لكلال على الخيف ، أكلوا العلق و ليسوا ، الحرق شعاً عمر أيراهم ، لبس
فبطون أنهم داء وماهم داء ، يقال : قد حولطوا وذهب عقولهم وماذهت عقولهم
ولا حولطوا ، ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند
أهل الدنيا يمشون بلا عقول ، عملوا حيث ذهب عقول الناس ، لهم الشرف في الدنيا
ولهم الشرف في الآخرة ، يا أسامه إذا رأيته في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك
البلدة ، ولا يعتد الله تعالى قوماً هم فيهم ، الأرض بهم فرجة ، والحناء عنهم راص ،
تحدثهم لمعك إخواني ، ناعسى أن تحوهم وإن استطعت أن يأتيت الموب وبصك حائع
وكذلك طمان فافعل فإني تدرك بذلك شرف الممدل و تحل مع لستس و يفرح
بقدم روحك الملائكة ويصلي عليك الحنار ،

وقال عيسى عليه السلام : «أجبعوا أكبادكم وأعروا أحسادكم فلعن أولوكم يرى
الله عز وجل» ، وروي ذلك أيضاً عن سيدنا محمد ﷺ ^(٢) .

وفي التورية مكتوب : «إن الله لبعض الحر السمين» لأن لسمن يدل على
العلة وكثرة الأكل ، ذلك قسح خصوصاً بالحبر ، ولأجله قال ابن مسعود إن الله
يبعض العاري السمين ، وفي حديث مرسل : «إن الشيطان ليحري من ابن آدم محري
الدّم فضيفوا محاريه بالجوع والعطش» ^(٣) .

وفي الحبر : «إن الأكل على الشبع نور لمرص» ^(٤) .

(١) الوثيرة أى الكثيرة اللحم .

(٢) ما عثرت على أصل له .

(٣) تقدم كراؤاً .

(٤) رواه الشيخ في أماليه بإسناده عن موسى بن جعفر عن آتانه عبيد السلام
عن النبي صلى الله عليه وآله كما في الوسائل كتاب الإطعمة باب آداب المائدة لب
الثاني تحت رقم ٨ .

وقال **عليه السلام** : « المؤمن يأكل في معنى واحد والمساقي يأكل في سبعة أوعية » ^(١)
 أي يأكل سبعة أصعاف ما يأكله المؤمن ونكون شهوته سبعة أصعاف شهوته ويكون
 المعنى كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام و تأخذه كما يأخذ المعنى
 وليس المعنى زيادة عند معنى المساقي على معنى المؤمن

وعنه **عليه السلام** : « أديموا قرع باب الجنة يفتح » قيل : وكيف نديم قرع باب
 الجنة ؟ قال : بالجوع والظما » ^(٢) .

وروي « أن أبا حنيفة نحتشأ في مجلس رسول الله **ﷺ** فقال له : أقصر من
 حشائث فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شعاعاً في الدنيا » ^(٣) .

و كانت عائشة تقول : إن رسول الله **ﷺ** لم يمتل شعاعاً قط و ربما بكيت
 ثم أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك العناء لو تسلعت
 من الدنيا بقدر ما يموتك ويمعت من الجوع . فيقول : يد عائشة إخواني من أولي
 العرم من الرسل قد صبر على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
 رءسهم فأكرم مآبهم وأحرق ثوابهم ، فأحدثني أنسجي بن بريقم في معيشتي أن
 يفتر بي عداؤهم فأبصر أيتاماً يسره أحب إلي من أن يفتقر حطتي عداً في لآخرة
 ومن شي أحب إلي من الحقوق يا حواري وأحلامي قالت فوالله ما استكلم بعد
 ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى ^(٤)

وعن أنس قال : جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى رسول الله **ﷺ** فقال ما هذه
 الكسرة ؟ قالت قرص خبز به ولم تطب لمسي حتى أتمت منه هذه الكسرة .

(١) أخرجه البخاري ج ٧ ص ٩٢ و فيه « والكافر » مكان « المتأفق » و أخرجه
 مسلم ج ٦ ص ١٣٢ هكذا و رواه الصدوق في الحصال ج ٢ ص ٧ بأسناده عن أبي عبد الله
عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله كما في الصحيحين .

(٢) قال العراقي : لم أجده أصلاً .

(٣) حديث أبي حنيفة رواه الطبراني في الأوسط و الكبير بأسناده راجع صحيح

لرواه ج ٥ ص ٣١ .

(٤) أخرجه أبو موسى التوفي سنة ٥٨١ في كذب استعلاء الموت

فقال عليه السلام : «أما والله إنه أول طعام دخل فم أميك مد ثلاثة أيام» ^(١).

و قال عليه السلام : «أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أنقص الناس إلى الله تعالى المتحمون الملاهي ، وماتوا بعد أكلة فيشتبهوا بآلات له درجة في الجنة» ^(٢).

أقول: روى في الكافي بإساده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «كثرة الأكل مكروه» ^(٣).

وعنه عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : شمس العون على الناس قلب صحيح وبطن رغب ، ونعظ شديد» ^(٤).

وعنه عليه السلام قال : «إن لبطن لطع من أكله وقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا حب بطنه ، وأنقص ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا متلا بطنه» ^(٥).
وعنه عليه السلام قال أبوذر رحمه الله : «أطولكم حشا في الدنيا أطولكم جوعا في الآخرة ، أو قال : يوم القيامة» ^(٦).

وعنه عليه السلام قال : «الأكل على الشبع يورث المرض» ^(٧).

وعنه عليه السلام قال : «كل داء من النخمة ما خلا الحمى فإنها ترد وروا» ^(٨).
وعنه عليه السلام قال : «ليس لابن آدم مد من أكلة يقيم بها صلبه ، فإذا أكل أحدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام ، وثلث بطنه للشراب ، وثلثه للنفس ولا تسموا سمن لحارير للذبح» ^(٩).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : «إذا شبع البطن طعمي» ^(١٠).

وعنه عليه السلام قال : «ما من شيء أنقص إلى الله من بطن مملوء» ^(١١).

(١) أخرجه البحار من أبي اسامة في مسنده بسند صحيح كما في المعنى

(٢) أخرجه الصرائي وأبويعقوب في العلة من حديث ابن عباس بسند صحيح

(٣) و (٤) و (٥) الكافي ج ٦ ص ٢٦٩ والخبيب العنان الذي لا يؤاد له ، وقيل

العائد بعقل ، والرغب الواسع ونكس به عن كثرة الأكل ، و سط الرجل اذا اشتبه الجاع والاعتاط : الشبق يعني انه أمر شديد .

(٦) الي (١١) الكافي ج ٦ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ .

وفي مصباح الشريعة ^(١) عن الصادق عليه السلام قال : « قلّة الأكل محمودٌ على كل حال وعد كل قوم لأن فيه المصلحة للبطن والظاهر ، والمحمود من المأكول أربعة : ضروره وعدة وفوح وقوب ، وفلضرة للأصغيا ، والعدة لقوام الأتفيا ، والمنوح للمنوكلر ، والقوت للمؤمنين . و ليس شيء أضرُّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل وهي مورثة شئئين قسوة القلب وهيجان الشهوة ، والجوع إدام للمؤمن ، وعدا للروح ، وطعام للقلب ، وصحة للبدن ، قال رسول الله ﷺ : « ماملأ ابن آدم وعاء أشرف من بطنه » .

و قال داود عليه السلام : « برك لقمة مع الضرورة إليها أحب إليّ من قيام عشرين ليلة » ، قال السيوطي رحمه الله : « المؤمن يأكل بمعنى واحدة والمدايق يأكل بسبعة أعما » .
 « قال السيوطي رحمه الله : « ويل للناس من القسفين فعل وما هما يا رسول الله » قال الخلق والفرح « وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : « ما أضر من أكل ناشد من الصبوة ، وما اعتلت نفس بأصعب من بعض الجوع وهما دعاما للطرد والخذلان »
 قال أبو حامد وأما الآثار قال لقمان لأمه « يا بني إذا امتلأت المعدة صعبت الحركة وحسبت الحكمة وفعدت الأعصاب ، عن العبد »

و قال شعيب : العادة حرفة وحابوتها الحلوة وآلتها المجاعة
 « قال العصيل إنني أحفني وأحعب عمالي و تركتني في ظلم الليالي بلا مصباح و إنما تفعل هذا بأوليائك فاني منزله بليت هذا منك
 « وقال يحيى بن معاذ : جوع الرأس عيب منسية ، وجوع النائم تجربة ، وجوع المجتهدين كرامة ، وجوع الصامرين ساسة ، وجوع الزاهدين حكمة ، وفي التورية : « تنق لله وإذا شعنت فادكر الجبايع
 « وقال أبو سليمان : لأن أترك لقمة من عشائي أحب إليّ من قيام ليلتي إلى الصبح » .

و قال أيضاً : الجوع عند الله في حرأته لا يعطيه إلا لمن أحب

وكان سهل التستري . بطوي نيقاً وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويسال فيه حتى قال . لا يواي يوم القيامة عمل بر أكبر من ترك فضل الطعام والاقتداء بالسبي ^{نبي} في أكله .

وقال . لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا .

وقال . لأعلم شيئاً أصر على طلاب الآخرة من الأكل الكثير .

وقال . وصفت الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهد والمعصية في الشبع .

وقال . ما عند الله بشيء أفضل من محالة الهوى في ترك الحلال .

وقال في الحديث . ثلث للطعام فمن راد عليه فأنما يأكل من حساسته .

وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من

الأكل فيكون إذا حاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين . وإدا كان ذلك وحد الزيادة

وقال أيضاً . ما صار إلا يذال أبدالاً إلا باحساس الطون والصمت والسهل

ولحولة .

وقال رأس كل مرتين السماء والأرض الجوع . ورأس كل محور بينهما

الشع . وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوسواس .

وقال . إذا أقبل الله على العبد ابتلاه بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله

وقال . اعلّموا أن هذا زمان لا يزال أحديه الحياة إلا تذبح نفسه وقتلها

بالصبر والجوع والجهد .

وقال . ما أظن أحداً على وجه الأرض شرب من هذا الماء حتى يروي مسلم

من المعصية وإن شكر الله فكيف الشبع من الطعام

وسئل حكيم بأي قيد أريد نفسي ؟ قال بالجوع والعطش ودلتها باحمال

لذكر وترك العز ، وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة ، واكسرها بترك

ري لفرأ عن طاهرها واضح من آفاتنا ندوام سوء الطن بها وأصحابها بخلاف هواها .

وكان عبد الواحد بن زيد يسم بالله تعالى أن الله عز وجل ما صافى عبد

إلا بالجوع ولا والاهم الله إلا بالجوع ، ولامشوا على الماء إلا بالجوع ولاطويت لهم

الأرض إلا بالجوع .

وقال أبو طالب المكي : مثل الطير مثل المرمار و هو العود المحجوف دوا لا وتاد
إنما حسن صوته لحقته ورقته ولا تده أخوف غير مملى . فكذلك الحوف إذا حلى كان
أعذب للتلاوة و دؤم للقيام وأقل للصام .
« قال بك . عبدالله ثلاثة بحسبه الله : رجل قليل لا كل قليل الصوم

لأرض إلا بالجوع

وقال أبو طالب المكي : مثل الطير مثل المرمار و هو العود المحجوف دوا لا وتاد
إنما حسن صوته لحقته ورقته ولا تده أخوف غير مملى . فكذلك الحوف إذا حلى كان
أعذب للتلاوة و دؤم للقيام وأقل للصام .
« قال بك . عبدالله ثلاثة بحسبه الله : رجل قليل لا كل قليل الصوم
عشرة أيام لأجل ذلك .

❦ (بيان فوائد الجوع و آفات الشبع) ❦

لعلك يقول هذا الفصل العظيم للجوع من أين هو وما سببه ؟ و ليس فيه إلا
إيلام المعدة و معاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الفصل في كل ما
يتأذى به الإنسان من صر به نفسه و قطعه لحمه و تناوله لأشياء الكريهة و ما يحري
محرامه .

فاعلم أن هذا يصاهي قول من شرب دواء فانتفع به فطن أن مفعله لمرارة
اندؤ ، و كر هبته فأحدث تناول كل ما هو مكروه مرأ المذاق وهو غلط منه بل نفعه
في حاصيته في الدؤ ، و ليس لكونه مرأ إنما يقف على تلك الحصىة لأطباء
فكذلك لا يقف على علته نعم الجوع إلا سمرة العلماء ، و من أحاع نفسه بصداقاً
مدحج في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علته المنفعة كما أن من شرب

الدواء استع به ، وإن لم يعرف عين المستع وعلمتها ووجد كونه مفعلاً ولكن لا يشرح لك ذلك إن أردت أن نرى معنى من درجه الايمان إلى درجه العلم قال الله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »^(١) فيتمون في الجوع عشر فوائد

الاولى صفاء القلب ، وإيقاد العريجه ، وإيقاد البصيره ، فإن الشمع يورث اللاده ، ويعمي القلب و يكثر السحاب في الدماغ كشمه اسكر حتي يحتوي علي معادن الفكر فينفل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار ويحرمه عن سرعة الإدراك بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وسد دهبه وصار بطي الفهم والإدراك ، قال أبو سليمان ، عشت بالجوع فأبته مدله بنفس ، ورقته للقلب و يورث العلم السماوي

و قال **الشيخ** وأحبوا قلوبكم بقله الصلوات والشمع ، وصبره وهما بالجوع تصفو وترقى^(٢)

و يقال مثل الجوع مثل الرعد والعاصف كالسحاب ، والحكمة كالقطر .

و قال **الشيخ** « من أحاع بطنه عطمت فكرته ووطن قلبه »

و قال ابن عباس قال النبي **الشيخ** « من شبع ، نام فسا قلبه ، ثم قال إن لكل شيء ركة وركاة والبس الجوع »^(٣)

و قال الشافعي ما جعل الله يوماً لأرباب في قلبي بأنهم متوحا من الحكمة والعبره مارأيتهم فقد وليس يحق أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصول إلى المعرفة ولاستبصار حقائق الحق ، والشمع يصنع منه : الجوع يفتح بابه ، والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرية أن يكون ملازمة الجوع فرعاً لطلب الجنة و الهداقل لنفسه لانه ناسي إذا امتلأت المعدة نام الفكر ، و حرس الحكمة وقعت

(١) المجادلة : ١١ .

(٢) قال العراقي لم أحده أصلاً وكذلك الخبر الآتي

(٣) حديث من شبع ونام أعرج بن ماجة منه من حديث أبي هريرة تحت رقم ١٧٤٥

هكذا « لكل شيء ركة وركاة والعبد العوم »

الأعضاء عن العبادة .

و قال أبو يزيد : الجوع سحاب فاد ، خاف العبد أظفر القلب الحكمة
 و قال ، سي رضى الله عنه « نور الحكمة الجوع ، و لمعد من الله الشبع ، و لفرة
 إلى الله حب المساكين والذئبة منهم لا تشبعوا فيسقط نور المعرفة من قلوبكم و من
 بات يصالي في حقّة من الطعام بات الجور العين حتى يصبح » (١)
الفائدة الثانية وقد القلب و صفاؤه الذي به ينبت لإدراك لذّة المناجاة
 والتأثر بالدّكر فكم من ذكر بحري على اللسان مع حصول لقلب و لكن القلب
 لا يلتذّ به ولا يتأثر عنه حتى كأنّ بينه و بينه حجاباً من قساوة القلب ، و قد يروى
 في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالدكر وتلدّده بالمناجاة ، و حلّو المعدة هو السبب
 الأظهر فيه ، قال أبو سليمان أحلى ما يكون إليّ العادة ، فالمق بطى يطهري
 و قال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين الله محلاة من الطعام و يريد أن يجد
 حلالة المناجاة .

و قال أبو سليمان : لقلب إذا جاع وعطش صفى ورق ، فإذا شبع و روى غمي
 وعاط ، فإذا تأثر القلب بلذّة المناجاة أمروا ، تسر المكر واقتناص المعرفة ، فهذا
 فائدة ثالثة

الفائدة الثالثة لا يكسار و لدل و دل الطر و الفرح والأش الذي هو
 منه الطعنان و العلة عن الله ولا تسكن النفس ولا ندل بشي ، كما ندل بالجوع
 فعنده تسكين لذّتها و تحشع له وتقف على عجزها ، دلّه إذ صعب ممّتها (٢)
 وصاقت حينئذ بلهيفة طعم و سها ، وأطامت عليها لذّتها بشره ماء بأحترب عها
 ومالم يشاهد إلا بسا دل نفسه وعجزه لا يرى عزمه مولاه و لا قهره ، وإدما سعدني

(١) ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب
 عليه المسد وهي علامة ما رواه مسنده (المعنى) . أقول أورده الخطيب في الكرام من ١٧١
 من كتاب روضة الواعظين للفتال .

(٢) المنة - بضم الميم - القوة .

أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الدُّلِّ والمعبر ومولاه بعين العرِّ والقعدة والفهر
فسكر دائماً حائئاً دليلاً مضطرباً، إلى مولاه، مشاهد للاضطراب بالدوق، ولذلك
ما عرس على رسول الله ﷺ الدنيا وحرائرها فعالاً ولابل أحوج يوماً وأشجع
يوماً فإذا أحب صبراً وتصرَّعاً وإدا شجعت شكر (١)، أو كما قال:
والبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشجع، والدُّلُّ والانتكسار باب
من أبواب الجنة وأصله الخوج ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح له باب
من أبواب الجنة بالصورة لأنهم متعاملان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما
بعد من الآخر (٢).

الفائدة الرابعة أن لا ينسى بلاء الله وعداؤه ولا ينسى أهل البلاء، فإن الشيعان
ينسى الحائض وينسى الخوج، والعبد العظم لا يشاهد بلاءه إلا ويندكر بلاء الآخرة
فيندكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة، ومن جوعه جوع أهل النار
حين يحجرون فسطحهم ويرقوم والصريع ويسقون العساو والمهل ولا ينمعي أن
يعيب، عن العبد عذاب الآخرة والآمل فإنه هو الذي يهتج الخوف ومن لم يكن في
قلبه ولا علة ولا دلة ولا بلاء سبي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يعلب على
فعله، فينمعي أن يكون العبد في مفاصة بلاء أو مشاهده بلاء، وأولى ما يفاض به من
البلاء، بلاء الخوج فإن فيه فوائد حجة سوى تدكر عذاب الآخرة، وهذا أحد
الأسباب التي اقتضى احتصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأئمة والأمثلة، ولذلك
ما قيل لسيف الله ﷺ لم تخوج وفي يديك حرائر الأرض؟ فقال أحف أن أشجع
فأسي الحائض قد ذكر الحائض والمحتاجين إحدى فوائد الخوج وإن ذلك يدعو
إلى الرخصة والإطعام ولشجعة على حلقائه والشيعان في غفلة من ألم الحائض

(١) أخرجه الترمذي وقد تقدم.

(٢) ك قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدنيا والآخرة عدوان متعاديان وسيلان
متجهان، من أحب الدنيا والآخرة أمضى الآخرة وعداها مشهما مثل المشرق والمغرب
ولاشئ بينهما لا يرد من أحدهما مراً إلا ازداد من الآخر مراً. رواه ابن شعبة في
الضعف من ٢١٢.

الفائدة الجامعة - وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعصية كلها والاستسلام على النفس الأتمة بالنسوة ، فإن مشأ المعصية كلها لشهوات و لغوى و مادية لغوى و الشهوات لا تحلها الأطعمة . فتغلبها بصفت كل شهوة وقوة ، وإذ لم تستعده كلها في أن يملك الرجل نفسه و الشقاوة كلها في أن يملكه الله . وكما أنك لا تموت الدابة الجروح إلا بصعب الجوع ويصعبها ^(١) في دا شعنت قويين و شرب و جمعت فكذلك النفس

و قيل لعصم ما بالك مع كبرك لا تعلمت بدت في قد مدد ، فقال لأتة سريع امرح ، فحش الأث . و خاف أن يجمع بين قوتني و بين أحماء على الشد أن أحب إلي من أن يحملني على المواحش

و قال دوالون ما شبع قد إلا و قد غصب الله أوعصمت بمعصيته و قال عائشه إن أوتل بدعة حدثت بعد روايته سبيح الشبع ، إن أفوملا شبع بظونهم حجت بهم نفوسهم إلى الدنبا . وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع حراره من حرائر الله تعالى

وأقل ما يدفع بالجوع شهوة الفرج و شهوة الكلام و من عائج لا تحزن عليه شهوة فعل أو الكلام فجلت به من آوى النفس كالغصه و الفحش و المصيبة والكذب وغيرها ، فمعه الجوع عن كل ذلك وإرا شاع افتقر إلى كفه فيمكها لا تحلها بغير من ليس به لا يكف الناس على مناحهم في الدار إلا حصون أستمهم ^(٢) . أما شهوة المرح فلا تحمي عائلها و الجوع يكفي شهاه في دا شع الرجل لا يملك فرجه و إن صعبه الفتوى فلا يملك عيبه و العبر من بي كذا من الفرج في ملك عيبه بعباء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة و حديث النفس

(١) تصوير الحيل هو أن يظهر عصبه ما يصعب حتى يسهل له لا يصعب إلا ما يصعب (إلهامية)

(٢) راجع الكافي ج ٢ ص ١١٥ تحت رقم ١٤ .

(٣) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ١١٥ و حديث السهم « أصي ما يقطعون

من لكلام الذي لا خير فيه ، واحدها حصبة ، شحبت يحصل من اروع و تشبها لسان و ما يقطعه من القول جد السجل الذي يحمده (قاله المؤلف في الرواية)

أسباب الشهوة ما تشوش به صاحبه و ربما عرص له ذلك في أثناء الصلاة و إنما ذكرنا آفة الفرج واللسان مثلاً وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة بالشبع ، قال حكيم كرم مرید صتر على السياسة فيصير على لحمز الحبسة لا يخلط معه شئ من الشهوات و يأكل نصف بطنه رفق الله عنه مؤوبة الساء .

الفائدة السادسة دفع النوم و دوام السهر فإن من شبع كثيراً و مر أكثر شربه أكثر بومه ، فلدلك كان يقول بعض المشايخ لأصحابه على رأس السمرة معاشر المریدین لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتחסروا كثيراً ، و أجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة الشرب و في كثرة النوم صياح العمر ، وفوت التهجّد ، ولادة الطمع ، وقساوة القلب والعمرأفسس الحواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر ، والنوم موت فكثيره يقص من العمر ثم فضيلة التهجّد لا تحصى و في لنوم فوته ، ومهم غلبه النوم فإن تهجّد لم يجد حلالة العادة ، ثم المنعرب إذا نام على الشع احتلم و يمسح ذلك أيضاً من التهجّد ويحوّجه إلى العسل بما ياءه لئلا يفتدى به أو يحتاج إلى الحمام ، و ربما لا يقدر عليه لليل فيعوته صلاة الليل ثم يحتاج إلى مؤونة لحمام و ربما يقع عنه على عوره في الحمام فإن فيه أيضاً أخطاراً قد ذكرناها في كتاب الطهارة ، وكل ذلك أثر الشبع ، و قد قال أبو سايمان الاحتلام عفوّة وإنما قال ذلك لأنه يسمع عن عبادات كثيرة لتعذر العسل في كل حال ، فالنوم مسع الآفات و الشع محلبة لغو الجوع مقطعة له

الفائدة السابعة يستر الموضع على العادة فإن الأكل يمنع من كثرة لعادات لأنه يحتاج إلى رمس يشغل فيه لا أكل و ربما يحتاج إلى رمان في شراء الطعام وطبخه ، ثم يحتاج إلى غسل البدن والحلال ثم يكثر ترده إلى بيت الماء لكثرة شربه ، والأوقات المصروفة إلى هذه لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر لعادات لكثرة ربحه ، قال السري رأيت مع علي الجرحاني سويقاً يسف منه ^(١) فقلت له ما دعاك إلى هذا ؟ فقال إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين

(١) سب لدواء والسويق وجوهها ، تسع وقيل أحذه غير ملتوث .

تسبيحه فما مضت الحرمة منذ أربعين سنة^(١) فاطر كتب أشفق على بوقه ولم يصيغه
في اصبع ، وكل نفس من العمر جوهر نفس لأقيمة له فمنعني أن يستوفي منه حراره
نافيه في الآخرة لا آحر لها وذلك بأن يصرفه إلى ذكر الله تعالى وطاعته
و من حمله ما يتعذر كثرة الآكل الدوام على الطهارة و ملازمة المسحود
فإنه يحتاج إلى الحروح لشرب الماء وإرافته وفيه ضرر

و من حملة العوائد الصوم فإنه يتيسر لمن تعود الجوع والصوم ودوام
الاعتكاف و دوام طهارة وصرف أوقات شغل الأكل و أسائه إلى العادة فيه أرباح
عظيمة إنما يستحضرها العاقلون الذين لم يعفوا قدر الدّين لكن رضوا بالحياة
الدنيا واطمأنوا ، يعلمون طاهراً من لحوة الدنيا وهم عن الآخرة هم عاقلون
وقد أشار أبو سليمان الدّراني إلى سبب آفات في الشبع ، فقال من شبع دخل عليه
سبب آفات فقد حلاوة العسل ، وتعذر حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق
لأنه يد شبع طرأ الخلق كلهم شبعاً ، وتغل العسل و ريبة لشهوت ، و إن
سائر المؤمنين الحياض يدورون حول المسحود والشبع يدورون حول المرائل

الفائدة الثامنة يستفيد من قلّة الأكل صحته البدن و دفع الأمراض فإن
سبب كثرة الأكل و حصول فصلة الأحملاط في المعدة والعروق ثم طرأ من يصعب من
عبادات و يشوش القلب و يمنع من الفكر والذكر و يعسر العيش و يخوج إلى
العصد واجتهاد والدور ، والطبيب و كل ذلك يحتاج إلى مؤن و نفقات لا يحلوا
لإنسان منها بعد التبع من أنواع من المعاصي و اقبحام الشهوات و في الجوع ما يدفع
عنه كل ذلك

(١) بالله من عهد الرّبي الفاضل ، والفكرة العنيفة ، والسبح البرور ، و لسك العاذر
الخلق السلي و لرهذا المزهود ع و ليس هذا لاجرة لاستبداد بالرأي ، وإنما من الرسول
وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم وعن علومهم وحكمهم ، وحب التقاض عن الاقتداء بهم
والإحد عنهم كيف لا وقد ورد عنهم آلاف ما هو خلاف هذا لغة الشريف و يعرفان لميم
المخالف لمقل السليم ، و ما حلوا لله سبحانه شيئا من الإغصاء عنا ولا باطلا ، أعان الله
من هذا المعجون .

حكى أن الرشيد جمع أربعة أصنام هندية ورومية وعراقية وسودانية فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه ، فقال الهندي : الدواء الذي لاداء فيه عندي الإهليلج الأسود ، وقال الرومي : هو حب الرشاد الأبيض ، وقال العراقي : هو الماء الحار ، وقال السوادي : كان أعلمهم . الإهليلج يعصم المعدة وهداد ، وحب الرشاد يرلق لمعدة وهداد ، والماء الحار يريح المعدة وهداد ، قالوا : فما عندك ؟ قال : الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل طعاماً حتى تشتهي ، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي ، فقالوا : صدقت .

وذكر لبعض العالفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي ﷺ : « ثلث للطعام وثلث للمشرب وثلث للنفس » فتعجب منه ، وقال : ما سمعت كلاماً في قلة الأكل أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم .

وقال ^{الشيخ} : « النطة أصل الدواء والحمية أصل الدواء وعودوا كل من ما اعتاد » ^(١) وأظن أن تعجب الطبيب من هذا الحر لا من ذلك .

وقال ابن سالم : من أكل حر الحنطة حتماً يذب لم يعقل إلا علة الموت ، قيل له : وما الأدب ؟ قال : تأكل بعد الجوع و ترفع قبل الشبع .

وقال بعض أفاضل الأطباء في دم الاستكثار من الأكل : « أنفع ما أدخل الإنسان معدته الرمان ، وإن أصر ما أدخل معدته المالح ولأن يملأ من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان » .

وفي الحر المشهور « صوموا تصحوا » ففي الصوم والجوع وقلة الأكل صحة الأقسام من الأقسام وصحة العلوب من سقم الطعين والطر وغيرهما

الفائدة التاسعة حفة المؤونة فإن من تعود قلة الأكل كفاء من المال قد

(١) قال العراقي : لم أجده أصلاً أقول : فقه صاحب مكارم الاخلاق في باب آداب

المريض من ٤١٩ من حديث موسى بن جعفر عليه السلام .

(٢) أخرجه ابن السني و ابو يعقوب في الطب عن ابي هريرة . سند حسن . كما في

الجامع الصغير .

يسير * الذي يعود اشبع صدره عريماً ما لا راحة له بأحد محبته كن يوم فيتوب
مداً كن اسوم فيحتاج إلى أن يدخل المداحل فيكتب من الحرام فيعصي أو من
الجلال فيبدل وسع ، و إنما يحتاج إلى أن يمد عينه لطمع إلى الخلق وهو غايه
انذل ، والمؤمن خفيف المؤونة

قال بعض الحكماء : متى لأفني عنه حوئني بالمرء فيكون ذلك أروح

لنفسه .

وقال آخر : إذا أردت أن تستقر من عري الشهوة أو زياده ستقرت من
نفسه فترك الريادة فهو خير مما لم يترك

و كان إبراهيم بن أدهم يسأل أصحابه عن الشيء من أكل فيقول له : دعه
عال ، فيقول : أرخصوه بالترك .

قال سهر : الأكل مضموم في ثلاث حصال : إن كان من أهل العادة فيكسل ،
و إن كان مكتسباً ولا يسلم من الآفات ، و إن كان ممن يدخل عليه شيء فلا يصف الله
من نفسه ، و بالجملة سب هلاك النفس حرصهم على الدنيا ، و سب حرصهم على
والفرح ، و سب شهوة الفرح شهوة البطن ، في تقلد الأكل ما يحسم هذه الأبواب
كلها وهي أبواب النار ، و في حسمها فتح أبواب الجنة ، كما قال عليه السلام : « أديموا
فرع باب الجنة بالجوع » ، فمن قنع برغيب في كل يوم قنع في سائر الشهوات
أيضاً وصار حراً واستعفى عن الناس و سراح من التعب و تحلى لعبادة الله و تحذرة
الآخره فيكون من لربّ حال الدين لا يلهيهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله فانه لا يلهيهم
لاستغنائهم عنها بالنساعه و إنما محتاج قلوبهم لأخاه

الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإبتدأ و التصديق بما فصل من الأتبعه على
لذته و إنما كن و يكون يوم الصيام في ظل صدقته كما جاء في الخبر ^(١) فما يأكله
فجرته الكيف و ما يتصدق به فخراته فصل الله فليس للعد من ماله إلا ما يصدق

(١) تقدم سابقاً .

(٢) أخرجه العاظم في المستدرک ج ١ ص ٤١٦ من حديث عمن بن عامر

فَأَنفَى ، أَوْ أَكَلَ فَأَمْسَى ، أَوْ لَمْ يَأْكُلْ ، وَلَمْ يَصْدُقْ بِعَصَلَاتِ الطَّعَامِ أَوَّلِيٍّ مِنَ النَّجْهِةِ
وَالشَّعْبِ ، وَبَطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَحْلِ سَعِيدِ الْبَطْنِ فَأَوْدَعَهُ بِأَصْبَعِهِ إِلَى بَطْنِهِ وَقَالَ
وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا لَكَانَ حَرًّا لَكَ ، ^(١)
أَيُّ لَوْ قَدَّمْتَهُ لَأَخْرَجْتُكَ وَأَثَرْتُ بِهِ غَيْرَكَ .

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ : وَاللَّهِ لَمَّا أُرْكِبُ حَالًا كَانَ لِرُحْلِ مِثْمٍ يَمْسِي وَعِنْدَهُ
مِنَ الطَّعَامِ مَا يَكْفِيهِ وَلَوْثُ ، لَأَكَلَهُ كَلَّةً فَمَقُولُ : وَاللَّهِ لَأَجْعَلَ هَذَا كَلَّةً فِي بَطْنِي حَتَّى
أَجْعَلَ بَعْضَهُ لِلَّهِ .

فهذه عشره فوائد للجوع يشعب عن كل فائدة فوائد لا تنحصر حدودها ولا
نساها فروعها فالجوع حرابه عظيمه لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض السلف
الجوع مفتاح الآخرة وباب الرهد ، الشبع مفتاح الدنيا وباب لرعه ، وكل ذلك
صريح في الأحكام ، أي رؤسها ، وما وقوف على تعصيل هذه الفوائد بتدرك معاني تلك
الأخبار إدراك علم و بصيرة ، وإذا لم يعرف هذا و صدق بعض الجوع كانت لك
رئته لمقلد في الإيمان

❖ (بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن) ❖

اعلم أن على امرئ في مأكوله وبطنه أربع وظائف الأولى أن لا يأكل إلا
حلالاً ، فالعادة مع أكل الحرام كالسوء على أمواج البحر وقد ذكر ما نتج مرعاه
من درجت الورع في كتاب الحلال والحرام ونسفي ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو
تقدير قدر الطعام في القلّة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة و تعيين الحسن
المأكول في تناول المشتبهات و تركها

أمّا الوظيفة الأولى في تقليل الطعام فمسبل الرياضة فيه التدرّج فمن تعود
الأكل الكثير و انتقل دفعة إلى الأكل القليل لم يحتمله مراحه وضعف وعظمت
مشقته ، فيسعي أن يتدرّج إليه قليلاً قليلاً وذلك أن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده من ١٧١ تحت رقم ١٢٣٥ من حديث جمعة الجشي

على ثلث اسطر في حق لا كثيرين ويكاد يسهي إلى ثلثي البطن ويسقى ثلث للشرب ولا يبقى شيء. للذكر وفي بعض الألفاظ «ثلث للدكر» بدل قوله «ثلث للبس»^(١) «ثلث للبس»
لدخلة الرعدة أن يريد على مقدار المد إلى المني «يشبه أن يكون ما وراءه»
امرئ إسرائي محالاً لقوله تعالى «ولا تسرفوا»^(٢) أعني في حق الأكثرين فإن
مقدار الحاجة إلى الطعام يحتل بالشخص والسنة والعمل الذي يشغل به وهذه
طريق خامس لتقدير فيه ، ولكنه موضع غلط هو أن كل واحد صدق جوعه وبعض
يده عن الطعام وهو على شهوة صادقة بعد ، ولكن العاد أن من لم يفد مع نفسه
رغباً أو رعبين فإنه لا يتيسر له حد الجوع والصدق و يشبه عليه ذلك ما شهوه
الكاذبة

وقد ذكر للجوع المصدق علامات ، أحدها أن لا يطلب النفس إلا دم بل تأكل
الحمر وحده شهوة أي حبر كان فمهما طلبت نفسه حمر ، بعيداً أو طلبت دماً فلبس
ذلك بجوع ، وقيل من علامته أن يمتنع فلا يبع الدواب عنه أي لا يقى فيه ذهنية
ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ، ومعرفه ذلك عدمه في الصواب للمريد أن
يفد مع نفسه القدر الذي لا يصعبه عن لعبه التي هو يمددها في ما انتهى إليه وقف
وين يعب شهوة

وعلى الحماية فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يحتل بالأحوال والأشخاص نعم
قد كان قوت جماعة من لصاحبه صاعاً من حنطة في كل سنة ، ودا أكلوا استمر قتاتو منه
صاعاً وصاعاً ، وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون في كل يوم قريباً من نصف صاع وهو
ما ذكره أنه قدر ثلث البطن وفي السر أحسح إلى ربه لسقوط النوى منه ، و
كان أبودر - رضي الله عنه - يقول طعامي في كل خمسة صاع من شعير على عهد رسول الله
ﷺ و الله لأريد عليه حتى ألعاء ، في نبي سمعت النبي يقول «أفرىكم مني
مجلساً يوم القيامة» أحسكم إلي من مات على ما عو عليه اليوم»^(٣) و كان يقول في

(١) الأعراف : ٣٠

(٢) أخرجه أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو يعقوب في نسخة دون قوله «و حكم

لي» وهو منقطع كما في المتن .

إنكاره على بعض الصحابة قدسية ثم ، بحال لكم السعير من يكس يجل ، و حرتم
لرق ، و حتم من إد من ، و حتم عليكم تألوا الطعم و عد أحدكم في ثوب
و ر ج في آخر ولم تكونوا كذا في عد سول لله مبر و قد كان قوب أهل احقة
مد آمن بمر من ثن في كل يوم ' والمد ر جل : ثن و سطر منه الموى

وقال بعض السلف المؤمن مثل غيره بكفد اكث من احضب ، والفصة
من السويق ، و بخره من الماء ، و ابيض مثل السبع لخر ي بلعاً بلعاً و ر ج
سرطاً ^(١) ، لا يطوى منه لخر : لا يؤثر لخر مفصلة حثوا هذه لفصول أهمكم
و قال سول لو كات لدماً دماً عبط ، كان قوب المؤمن من حلاً لأن
أكل المؤمن عند حثرو ، بقدر العوام فقط

الوظيفة الثانية في وف الأكر و معد : بآخرة و فيه أيضا درجات

اندرجة لعليا أن يطوى ^(٢) ثلاثة أيام فداوق ، و في اخر يدين من رد الر ياسة
إلى الطي لا إلى المعدا حتى يهي بعدهم إلى ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً وانتهى إليه جماعة
من العلماء ، يكثر عددهم كانوا يستعملون رجوع على عبق الأخره ، و قال بعض
العلماء من ألمه في أربعين يوماً من الطعام طهر له ودره من ملكوب أي كوشب بعض
لأسرار الإلهية ، و قد وصف بعض هذه لطائفة على ر ه و ك ر في حاله وجمع في
إسلامه : مراد هو عليه من العرو ، فكتمه في ثلاث كلاًماً كثيرة إلى أن قال له
أرهف كان المسيح يطوى ربع يوماً ، و قد معجزة لا يكون إلا سي صادق ، فقال
له لصوي قال طويبت خمسين يوماً ، و كتم عليه : و بدخل في دين لا إسلام ؟
وتعلم أنه حق : أثبت على باطل ؟ و ل نعم فبعد لشرح إلا حيث يراه حتى طوي
خمسين يوماً قل وأريدك أنما فطوي على تمام الستين ، فحجب الر هب منه وقال
ما كنت أظن أحد أن يحاور المسيح و كان ذلك سبب إسلامه فهذه درجة عظيمة قل
من يلعب لا مكاشف محمول ثعل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه و عدده واستوفى نفسه في

(١) أخرجه لناكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥ من حديث صحيحة اسفري

(٢) سرطه سرطاً واسترطه لينله . (٣) طوى كضم اى جاع

لذته وأنساء جوعته وحاحته (١).

أدركه لثامه أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب بمكر الوصول إليه بلحظة والمجاهدة

الذريعة لذاته وهي أذناها أن يقتصر في النوم واللبسة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما حاور ذلك وهو أسير ومداومة المشيع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة.

وي أبو سعيد الجدي أنه كان ^{سبعة} يوماً إذا تعدى ثم يتعش وإذا تعشى لم يتعد (٢) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة

وقال ^{عليه السلام} لعائشة: «إياك وإياي أفان أكلت في يوم من السرف» (٣). فكل أكلت في يوم سراً وأكلة واحدة في يومين إقراراً وأكلة في كل يوم فوام بين ذلك وهو اس محمود في كتابه (٤) ومن افتر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها في السحر قبل طلوع الصبح فيكون أكلة بعد النهج قبل الصبح ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وحلوى القلب لمروء المعده ورقعة الفكر وجنماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم والإسراع قبل وقته وفي حديث عائشة: «كان ^{عليه السلام} يواصل إلى السحر» (٥).

(١) صح ذلك وكان هذا من أعلى لدرجات استلزامه صلى الله عليه وآله لم يسع إلى هذه الدرجة لعدم فعل مثله في سره ولاسته في سأكلي والمشرب، وعده في صلي الله عليه وآله امتنع عن صوم يواصل كما يأتي عرسب، ثم يواصل في يومين من حصائمه لكن لم يمهده غير هذا ولحو أن أمثال هذه الحرافات من مجاريق الصوفة ومسوحهم المروزة والآثار آت يردى بأعلى صوره «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعبدوا صالحاً»

(٢) أخرجه أبو يعقوب عن الحنية سند صحيح كما في الجامع لصغير باب الشاغل

(٣) أخرجه الهيم في الشعب كما في أسرار المنور ج ٣ ص ٨٠.

(٤) في قوله مالي: «والذين إذا دعوا لم يسموا ولم يقررو وكان بين ذلك قوماً»

(٥) قال العراقي: لم أجده من جهة وإساره من قوله «فأحكم أراد أن يواصل

فليواصل حتى السحر» رواه البخاري ج ٣ ص ٤٧ من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من حصائمه. وأخرجه مسند ج ٣ ص ١٣٣.

أقول : ودلت بشرح أن لا يجعل ذلك صوم وصال بل أفطر بعد لعرب فإن
لواصل من خصائص رسول الله ﷺ وهو حرام على أمته كما روينا عن أهل البيت
عليهم السلام (١)

قال : وإن كان يلتصق قلب الصائم إلى الطعام بعد لعرب وكان يشعله عن
حضور القلب في انتہد أيضاً والأولى أن يفسم طعامه بضعف فإن كان رعيص مثلاً
كل رعيصاً عند لفظ ورعيصاً عند لحد لتسكن نفسه وحب عند لتتجدد بدنه ولا
يشتم بالهزار حوعدة لأجل تسخيره ، فيسعين بالرعيص الأول على لتتجدد وذلك في
على الصوم . ومن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً فلا بأس أن يأكل يوم فطره قبل الظهر
يوم صومه وقت السحر ، وهذه هي الطري في موافاة الأكل وعاربه وساعده

أقول : روى في الكافي بإسناده عن ابن أخي شهاب بن عبد الله قال : وشكوى
إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع والجوع ، فقال لي : تعدّ وعش ولا تأكل
بسمها شيئاً فإن فيه فساد البدن أما سمعت الله تعالى يقول : لهم رزقهم فيها بكره
وعشياً (٢)

وعنه أيضاً قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا شيء كاللحظ بعد لعنة ولا
تدعوه فإن ترك العشاء خراب البدن (٣)

وعنه أيضاً قال : برك لعشاء من ربه (٤) ويسمي للرحل إذا أسن أن لا يبيت
إلا وحوفة من الطعام ممثلاً (٥)

وعن ابن أبي عمير عليه السلام : إن في لحسد عرقاً يقال له : العشاء ، فإذا ترك الرجل
لعشاء لم يرل يدعو عليه ذلك العرق إلى أن يصبح يقول : أحضث الله كما أحضثي .

(١) راجع من لا يحضره الفقيه ص ١٦٧ باب الوصل من كتاب الصوم وكتاب وسائل

ج ٢ باب الصوم الوصل و صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٦٠

(٢) المصدر ج ٦ ص ٢٨٨ والآية في سورة مريم : ٦٢ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٢٨٨

(٤) أي مظلة لصعب و لهرم ذكره العنبري في لنهاية و ابن مخشي في معانيق

(٥) المصدر ج ٦ ص ٢٨٨

وَأَطْمَأَنَّكَ اللَّهُ كَمَا أَطْمَأَنَّتِي ، فَلَا يَدْعُ أَحَدُكُمْ الْعِشَاءَ ، وَلَوْ بِالْمَقْمَةِ مِنْ حَبِزٍ أَوْ شَرِبَةٍ مِنْ مَاءٍ » (١)

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا بَلَ أَصْحَابِي لَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ ، وَلَا يَشْمُونَ الطَّيِّبَ ، وَلَا يَأْتُونَ الْمَاءَ ، أَمْ بَتِي آكُلُ اللَّحْمَ وَأَشْمُ لَطِيبٌ وَأَتِي الْمَاءَ ، فَمَنْ رَعَى عَنْ سِتْنِي فَلَمْ يَمْسُ مِنْهُ » (٢)

وَقَالَ ﷺ : « مَنْ نَبَى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا وَمِ يَأْكُلُ اللَّحْمَ فَلَيْسَتْفَرَسَ عَلَى اللَّهِ وَلِيَأْكُلَهُ » (٣) .

وَلَعَدَ نَابِعُ أَنْوَاحَهُ فِي انْتِفَاشَتِ فِي هَذِهِ اللَّيْلِ سَابِعًا وَلَا حَقًّا وَلَمْ تَعْرِضْ لَهُ فِي كُلِّ كُلٍّ مِنْ أَقْوَالِهِ بَلْ اكْتَفَى بِمَا ذَكَرَ بَا ، وَحَدَّثَنَا بَعْضُ حَكَائِهِ عَنْ الصُّوفِيَّةِ نَمَّا نَمَجَّتْ الطَّلَاعَ اسْلِيمَةً كَعَمْدَةٍ عَنْ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ : « كُلَّ دَفِيقٍ ثَلَاثَ سَنَى ثُمَّ أَفْطَاتِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ فِي ثَلَاثَ سِنَى إِلَى عَرِّ دَلَّتْ »

قَالَ الْوَصِيفَةُ الثَّلَاثَةُ فِي بَوَاحِ الطَّعَامِ وَبَرَكَ الْإِدَامِ ، أَعْلَى الطَّعَامِ مَحْ الرُّفَافِ بَحَلٍ فَهُوَ عَابَةُ التَّرَقُّهِ ، « أَسْطَهَ شَعِيرٌ مَحْجُولٌ ، وَأَدْبَاهُ شَعِيرٌ لَمْ يَحْلُ ، وَأَعْلَى الْإِدَامِ اللَّحْمُ ، لِحْلَاوُهُ ، وَأَدْبَاهُ الْمَلْحُ ، وَالحَلْ ، وَأَسْطَهَ الْمَرْوَرَاتِ بِالْأَدَهْلِ مِنْ غَيْرِ لَحْمٍ ، وَعَادَهُ سَالِكِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ الْامْتِنَاعُ مِنَ الْإِدَامِ عَلَى الدَّوْمِ ، بَلْ الْامْتِنَاعُ عَنِ الشَّهْوَابِ فَإِنَّ كُلَّ لَدِينٍ يَسْتَهْجِرُ الْإِسْنِ وَأَكْلَهُ ائْتَصَى ذَلِكَ نَظَرًا فِي نَفْسِهِ وَفُسُوهَ فِي فُلِهِ وَأَسْأَلُ عَلَيْهِ بَلَدُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَهُ ، وَكَرَّ الْمَوْتَ وَلَفَا ، اللَّهُ تَعَالَى وَتَصِيرُ الدُّنْيَا حَتَّى فِي حَقِّهِ وَيَكُونُ أَمُوتَ سَحَابًا لَهُ وَإِنْ مَنَعَ نَفْسَهُ مِنْ شَهْوَانِهَا وَصَبَّقَ عَلَيْهَا ، حَرَّمَهَا لِدُنْيَا ، صَارَ الدُّنْيَا عَلَيْهِ سَحَابًا وَمَصْعَاً لَهُ وَشَهْنَتْ نَفْسَهُ الْاِئْتِلَاتِ مَعَهَا ، وَيَكُونُ الْمَوْتُ عِلَاقَةً وَرَبِّهِ أَشَارَ بَحِيٍّ بِنِ مَعَادٍ حَيْثُ قَالَ : مَعَاشِرُ الصَّدِّيقِينَ حَوْثًا عَوَا أُنْفِسَكُمْ لَوْلِيْمَةُ الْفَرْدُوسِ فَإِنَّ شَهْوَةَ الطَّعَامِ عَلَى قَدَرِ تَحْوِيلِ الْعَفْسِ ، وَكُلُّ مَا ذَكَرَ بَا

(١) الْكَلَامِيُّ ج ٦ ص ٢٨٩ .

(٢) الْكَلَامِيُّ ح ٥ ص ٤٩٦ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي مَجْلِيهِ ج ٤ ص ١٢٩ .

(٣) لَكَامِيُّ ج ٦ ص ٣٠٩ .

من آفات الشبع فإتسها بحري في أكل شهوات و سؤل للذئاب فلا يطول به عاداته،
فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات و يعظم الحظر في سؤل حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وآله « شرار أمتي الذين يأكلون مع الحنطة »^(١) ولمس
هذا تحريم بل هو مباح على معنى أنه من أكلة مرة أو مرتين لم يعص ، و من دأب
عديه ولا يعصي يصبأ بتأوله ولكن تترتي نفسه في النعم و تأس بالدنيا و تألف اللذات
و يسعى في طلبها فيجره ذلك إلى اعصايهم شرر الأمة لأن مع الحنطة يهودهم
إلى اقتحام الأمور بدك الأمور معص

و قال **بنيامين** « شرار أمتي الذين عدوا بالنعيم و سب عليها أحسابهم و ربما
همتهم ألوان الطعام و أنواع الناس و يشدقون في الكلام »^(٢).

و أوحى الله تعالى إلى موسى **نبي** « اذكر أنك بكن ، المر فيمنعك ذلك عن
كثير من الشهوات » و قد اشتد خوف السلف من سؤل لذات الأفعمة و مزين النفس
عليه و ردوا أن ذلك علامة الشقاوة و ردوا مع الله ذلك عنهم عية السعادة ، حتى روي
أن وهب بن مسية قال النقي ما كان في السماء الرائحة فقال أحدهما للآخر « من
أين » قال « أمرت بسوق حوت من البحر اشتبهه فلان اليهودي لعنه الله ، و قال الآخر :
أمرت بهراق زيت اشتبهه فلان لعنه » و هذا تنبيه على أن يسير أساليب لشهوت
يس من علامات الحير

و عن النبي **صلي الله عليه وآله** « أيتها مري ، اشبه شهوة فرد شهوته و آثر به على نفسه
غفر الله له »^(٣).

(١) لم أجده أصلاً

(٢) أو رده اس امي الدنيا في دم لعنه هكذا شرار امتي الذي عدوا بالنعيم
الذين يأكلون من الطعام أبواناً و يسبون الثواب و يشدقون في الكلام » و روي
البيهقي في الشعب سند ضعف من عاطلة عليها السلام و روي الحاكم في المستدرث من
عبد الله بن جعفر منه سند صحيح راجع الجامع الصغير باب الشئ .

(٣) أخرجه ابن حبان في كتاب الثواب و قال المقدسي في مذكرات الموصوعات ص ٥٠

فيه عرويين حاله هو سؤل كذب

وعنه بطيوس : « إذا سدت كس الجوع ، وعيف و كور من ماء ، امراح فعلى
 لدنيا ، وأهلها انداء » (١) أشأ به إلى أن المقصود دفع الضرر دون
 التمتع بملذات الدنيا ، وقد اجمع السلف من أكل الشهوات ، من الشبع من الأقواب
 ، كان امتناعهم للعوائد التي كرسها ، وفي بعض الآراء كان لا يصفولهم
 حلال فلم يبرحوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة ، والشهوات ليست من الضرورات
 حتى قال بعضهم : الملح شهوة لأنه زيادة على الحذر ، وما هو ، الحذر شهوة وهذه
 هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فليسعي أن لا يعمل عن نفسه ، لا يمتنع في الشهوات ،
 فكفى بغيره إسر فأشأن كل كسر ما يشبهه ، وفعل كل ما يهوه ، فيسعي أن لا يواطى
 على أكل اللحم .

فإن عذر ^{الشيخ} علي بن أبي حمزة : « من أكل اللحم ، بعض يوم » ، حلف ، ومن دوم عليه ، بعض
 يوماً قسا قلبه » (٢) .

« فيل إن لم يمتنع على اللحم ، تراوده كسر آفة اللحم » (٣) ومهما كان حايماً
 وتوعد نفسه إلى الجماع فلا يسعي أن يكون ويحجم فمعطي نفسه شهوة وقوى
 عليه ، وما عذب لنفسه إلا أن يشط على الجماع ، ويسحب أن لا ينام على الشبع
 فجمع بين عفتين بعده الصور وعسر فعله ، ولكن لمصل ، ولا يخلص فذكر
 الله تعالى فهو أقرب للشكر .

وفي الحديث : « ألسوا طعمكم بالصلاة » ، وذكر ولا تساموا عليه فتعسوا
 فدويكم » (٤) وهذا شبيه بمنأ من صيد العوائد فيسعي أن يترك الحذر ويترك كل
 انكاه بدلاً عن الحذر لمكده ، ولا يكون فكها ، لأنه يجمع للنفس من عادة

(١) أخرجه البيهقي في مسنده العبدوس من حديث أبي هريرة ، مستند ضعيف (المعنى)

(٢) مروى صدره في الكافي ج ٦ ص ٣٠٩ والاحتاج من ٤٦٦ عن الصادق وأرضا
 عنهما السلام وما عثرت على ذيله في كتب الأحاديث .

(٣) في نسخة : « في حديث عمر بن الخطاب صراحة كسر آفة اللحم أي أن لا عادة
 يتركها كعادة الفاجر .

(٤) أخرجه ابن السني في اليوم واليلة ص ١٣٦ .

و شهوة . ومهما وجد طعاماً لطيفاً وعليقاً فلم يعدم اللطيف في تبه لا يشتهي العليق . و قدّم العليق لأن كل اللطيف أيضاً للطعم . وكان بعضهم يقول لأصحابه : لا تكلوا
اشهوان فإن أكلكم فالتعلوها فإن ظلموها فالتجدها . وطلب بعض أنواع البحر
شهوة .

و عني جملة لاسبيل إلى جعل النفس في الشهوات في سباحات و ارتفاعها
كل حال وبقدره يسوق العبد من شهوة يحشى أن يهلكه يوم القيامة . و أجمع
طوبى لكم في حبسكم الدنيا و ستمتعتم بها . و قدّم ما يتجده نفساً شهوة
يمتنع في الآخرة بشهواته .

و قال تعالى : تكلوا و اشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية . و كما
قد أسلفتم في الشهوات لأكلكم و لهداؤكم ترك شهوة من شهوات النفس تمنع لهيب
من صيام سنة و فية .

٥) بيان اختلاف حكم الجوع و فصله باختلاف أحوال الناس ٥

أعلم أن المطلوب لأقصى في جميع الأحوال والأخلاق توسط إذ خير لأهول
أوساطها . و كالنبي في قصد الأهل بهم و ما أورد به في وقت الجوع و بما يومئ به
أن لا يفرط فيه مطلوب و ههنا ولكن من أسرار حكمه الشريعة أن كل من يفتد
لطعم فيه الطرف لأقصى و كان فيه فساد . و اشرع بالمبالغة في منع منه عن وجه
يومي عند الجهل إلى أن المطلوب مصدرة ما يقتضيه لطعم نغاية الإيهام . و لعدم
يد أن الطعم هو الوسط لأن الطمع إذ طرد عية لشع و لشرع يسعى أن
يطلب غاية الجوع حتى يكون الطمع عتة . و اشرع ما بعد فيه و ما يحضر
الاعتدال . و من بعد على قمع الغشع بالكآبة بعيد معلمي أنه لا ينبغي له لغيره
و تبه إن أسرف مسرف في مصدرة الطمع كان في الشرع أيضاً ما يدل على إساره
كما أن اشرع بلع في الشاء على قيام الليل . صام النهار ثم ما علم النفس

من حال بعضهم أنه يصوم لئلا يهر كلفه ويقوم الليل كله يبي عنه وإذا عرف هذا علم أن الأصل بالإفراط في إتيان الطعام المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس ثقل المعدة ولا يحس ألم الجوع ، بل يسوي بطبه ذائبة أثر فيه الجوع أصلاً فإن اعتدوا لأكل كل شيء ، الحدة وقوة المعدة ، وثقل المعدة يمنع من العادة ، وألم الجوع أيضاً يشعل القلب ويضعفها فالغرض أن يأكل كالأكل المعتدل بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر ليكون متشبعاً بالملائكة ، في تهم مقدسوس عن ثقل طعام وألم الجوع ، وفيه الإيسار الاعتدال بهم ، وإذا لم يكن للإيسار خلاص من السع والجوع فاعتد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال .

ومثال طلب الآدمي السعد عن هذه الأضرار استعانه ، لا جوع إلى الوسط مثال عمله الغيب في وسط حلقة عماء على السار ، مطروحة على الأرض فإن أسلمه بهرب من حروبه لخلقه وهي محبته بها لا تندر على الجوع فلا يزال يهرب حتى يستقر على ما لا الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أعدل المواضع عن الحوادث فهي في حلقة المحيطه وكذلك لشهوات محيطه بالإسار إحاطة تلك الحلقة ، أسلمه والملائكة حارون عن تلك الحلقة ولا مطمع بالإسار في الجوع وهو يريد أن يشبع بالملائكة في الخلاص فشبه أحواله بهم المعد وأبعد المواضع عن الأضرار الوسط قصر الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال لمعادلة ، عنه غير بقوله وَالْجَوْعُ أَوْسَطُهَا^(١) وإليه إشارة بقوله تعالى «كلوا وشرابوا ولا تسرفوا» فيها لم يحس الإنسان بالجوع ولا شبع يستتر له العادة والفكر وحده في نفسه وقوي على العمل مع حقيقته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أمّا في بداهة الأمر إذا كانت النفس جوعاً مشوّقة إلى الشهوات ، مائلة إلى الإفراط والاعتدال لا يقع بل لابد من المبالغة في إبداء الجوع كما يعلم في بلاء الدنيا التي ليس مريضه بالجوع والعرب وعمره إلى أن يعتدل فإذا ارتفعت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك عذبتها وبلاها ولا حل هذا السرّ يأمر الشيخ مريضه بما

(١) أخرجه البيهقي في الشعب مرسلًا وقد تقدم .

لا يعطاه هو بنفسه فأمره بالجموع وهو لا يجوع - يمسعه القوكة - الشهوات وقد لا يمسع عومها ، لأنه قد فرغ عن تأديب نفسه وسمعى عن السعد - لما كان على أحوال النفس الشره والشهوة والاهتمام عن الحسد كان الأصلح بها للجوع تدي جس نأمله في أكثر الأحوال لتكسر ، والمعصود أن تكسر حتى تعتدل ، فتزد بعد ذلك في العدة أيضاً إلى الاعتدال ، إنما يمنع عن ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة إنما صدق واما معروء أحمق ، أم لحديق فالإسماعفة بنفسه على الصراط المستقيم واستعدائه عن أن يسقى سبيله الجوع إلى الجوع ، إنما امره فلفظه بنفسه أنه الصديق المسعني عن تأديب نفسه ، الطمان بنفسه حراما وهو عروء عظم وهو له لب فإن النفس فلما سادت تأديبا كاملا ، كثير ما يمسع ويمطر طمور إلى الصديق وهو محتج بنفسه في ذلك فسمع بنفسه كما يريد يسر إلى من قد صبح من مرضه ومثاول ما يتداوله ووطن بنفسه الصلحة حتى يثبت وتدي يدل على أن تدبير لطعام بمقدار يسره وقت شخصه وروح شخصه ليس معصوداً في نفسه وإنما هو معصوده نفس متناثرة عن الحق عروء قد منه الكمال إن رسول الله ﷺ لم يكن به تدبير وتؤيب في معامه ، قلب عائشة - كان مطهر الصوم حتى يعول لا يعطر ، ويعطر حتى تقول : لا يصوم » (١)

وكان يدخل على أهله فيقول « عندكم من شيء » قالوا نعم كل وإن ولو لا ، قال إني إذن صوم ، قد كان يقدم إليه شيء فيقول أما إني كنت أردت الصوم ثم يأكل » (٢)

وخرج رسول الله ﷺ يوماً وقال « إني صائم ، وقد لده عائشة فداهدى إساحيس ، فقال كنت أردت الصوم ولكن قرأ به » (٣)
وقد كان معروف الكرخي يهدي إليه طيبات لطعمه وما كل فيدل ه إن

(١) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٦٢ و البخاري ج ٢ ص ٤٨

(٢) أخرجه ابوداود ج ١ ص ٥٧١ والترمذي ج ٢ ص ٢٧٠

(٣) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٥٩ من حديث عائشة .

أحلك نشر آلاي كل من هذا ، وينول أحى بشراً فبسه لورج وور سطتي المعرفة ،
ثم قال إنما أوصف ودار مولاي إذا أصعني أكلب وإذا حو عني صبر ، هالي
ولا اعتراض ولا تمس.

و دفع به عیمنی رحم الی بعض جوانه در احم فقال حدث هذه امداعسلا
و حبراً حواریا فدعا یأمر بحی پیدا کله . فقال و یبحث با واحد اکل اکل
الرحال و انا اعدده صد رحمة الرحال اُصلح و یوم ضعافاً کثیر و دعا قراً
یسیر ففعل له هاتج فی یكون هدایه فأمره یس فی الطعام إسرائ یما
لا إسرائ فی لثاب و لثاب و لثاب و لثاب معرفه یعلم أن کون ذلك حق و لکن
بإضافه الی حدای الأحوال

❖ (بيان آفة الرياء المتطرق الي من يترك أكل الشهوات أو يهمل الأثر) ❖

أعلم أنه يدخل على تارك الشهوات أفقار عظيمة هما أعظم من أكل
الشهوات ، حذره أن لا يقع النفس على بعض الشهوات وشبهها ولكن لا يريد
أن يعرف أنه يسببها فحقى شهوة يأكل في الحلو مالاياً كله في الجماعة وهذا
هو لشرك الحمي وهذا آفة عظيمة ، بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات وحسن أنه
يظهره في هذا صنف الحال وهو بدل على وهاب المتجده في الأعمال ، فإن إحصاء
المقصود يصير صدق من الكمالات فما يقضاه مصداق الكذب مع الإحصاء كدس
فيكون مستحقاً لعقوب ولا يرضى منه إلا بتبنيها وتبين ، ولذلك شد الله أمر المحققين
وقال : « إن أسماحق في الدرك الأسفل من النار » لأن الكافر كفر وأطهر و
هذا كفر وستر فكان ستره لكفره كبراً آخر لأنه استحق بغير الله إلى قلبه وعظم
أعين المخلوقين ومحت الكفر عن طاهره وأثنته في بطنه ، فالعارفون يتلون بالشهوات
بل المعاصي ولا يتلون بالثرثاء والعش والإحصاء ، بل كمال العارف أن يترك الشهوات
لله ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لميراثه من قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري

الشهوات فمعلقها في بيته وهو فيها من الرُّاهدين ، ولكن ينبغي به التمسك بحاله
 بصفه عن نفسه فلوب العقبين حتى لا يشوقوا عليه حاله . وفيما له لرهده ، وهد
 في لرهده باظهار صدقه وهذا من لصدقه ، في ته جمع بين صدقين كما أن الأول
 جمع بين كذبتين ، فهذا قد عمل على لئس ثقتين وحدث عجب كأن لئس مرتين مرة
 بشربه ومرة دفعه ، فلاحزم ' لو شئت يؤمن أحد هم مرتين به صبر و هذه نصايهي
 طريق من يحد مديعطي حمر آية دس لئس بصد ولئال حمر آة بالمقرس
أقول . لأبى صدقاً في لئس الحال ولا حمر آة في مثل هذه الحال ، بل في
 كذباً بحتاً ورياء صرفاً ونظراً إلى الله في صبره إنما لئس

قال . فمن فيه هذا فلا ينبغي أن يقو به بغير شهوة و بصد به و انصدق فيه
 ولا ينبغي أن يعرفه قول الشيطان . ثم إذا أظهرت فتنة من غيرا فستره إصلاحاً
 لعبرك لأنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهو إنما يقصد
 الرياء المحرّ و ويرثحه عليه الشيطان في مع من إصلاح غيره ولذلك يفعل عليه ظهور
 ذلك منه ، وإن علم أن من ابتلع عليه لئس بصد في الفعل أولاً يسر حر باعتقاده
 أنه يترك للشهوات

الآفة الثامنة أن يصد على ترك الشهوات ولكنه يفرح أن يصد به و يشتهر
 بالتعفف عن الشهوات وقد حالف شهوة صغفه و هي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي
 شر منها و هي شهوة الحناء و تلك هي الشهوة الحقيقية ، فبما أحسن بذلك من نفسه
 فكسر هذه الشهوة أهم من كسر شهوة لئس ولئال كل وهو أولى به
قال أبو سليمان . إذا قنعت إليك شهوة وقد كنت باركاً لها فأصب منها شيئاً
 يسيراً ولا تعط نفسك ماها فتكون قد استقطت عن نفسك الشهوة و تكون قد دعيت
 على نفسك إذ لم تعطها شهوتها .

وفال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . إذا قنعت إلى شهوة بطرت إلى نفسي
 فإن أظهرت شهواتها أطعمتها صبا وكان ذلك أفضل من معها ، وإن أحبب شهواتها
 وأظهرت العروق عنها عقيمت بالترك ولم ألبها صبا شيئاً ، وهذا طريق في عفوته

النفس على هذه الشهوة الخفية .

أقول لا يشبه هذا مكلام مولانا الصادق عليه السلام هو بكلام الصوفية أشبه
قال ولحملة من ترك شهوة الطعام وقع في شهوة الرياء كان كمن هرب
من عوف و فرع إلى حبة لأن شهوة الرياء أضر كثيراً من شهوة الطعام

❖ (القول في شهوة الفرج) ❖

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لعائدتين إحداهما أن يدرك لذاته
فيمس بها لذات لا حرة فإن لداء الوقاع لو دامت لكنت أقوى لذات الأحسد
كما أن أدواءها أعظم آلام الحسد ، والترهيب ، وترغيب يسوق الحلوى إلى
سعاداتهم وليس ديث إلا ألم عسوس ولداء مدركة فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم
إليه الشوق .

أما داء الشائبه بقاء السل ودوام الوجود ، فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفة
ما يهلك الدين والدنيا إن لم يصط ولم يفهم ولم يرد إلى حد الاعتدال ، وفد قيل
في قوله تعالى « ورتنا ولا نحملها ما لا طاقه لديه »^(١) معناه شدة العامة
وعن ابن عباس في قوله تعالى « ومن شر عاقب دا وقب »^(٢) قول هو قيام
الذكر ، وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله ﷺ لأنه قال في تفسيره الذكر
إذا دخل^(٣) أو قد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ، وكان ﷺ يقول
« اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلي ومبيني »^(٤)
وقال ﷺ « النساء حائل الشيطان ، ولولا هذه لشهوة لما كان للنساء سلطنة
على الرجال »^(٥) .

(١) الفرة ٢٨٠ (٢) لعنق ٣

(٣) قال العراقي هذا حديث لا أصل له .

(٤) أخرجه السيوطي ح ٨ ص ٢٥٥ و«مبني» هو الباء المعروفة مصداقاً لى بابه التكلم

(٥) أخرجه الأصمعي في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد لجهني

باسناد فيه جهالة كما في المتن .

و روي أن موسى عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه إذ أقبل عليه إبليس
 عليه برس يتدور فيه ألوان ، فلما دنا منه طلع البرس فوضعه ، ثم أتاه فقال
 استلام عليك فقال موسى من أنت ؟ قال أنا إبليس قال ولا حيتك الله ما جاء بك ؟
 قال حئتك لأسلم عليك لمثل من لله ومكانك منه ، قال فما الذي رأيت عليك ؟
 قال به ، اختطف قلوب بني آدم ، قال فما الذي إذا صعد الإنسان استجودت عليه ؟
 قال إذا أعجب نفسه واستكثر عمله وبني دونه ، وأخذ ترك ثلاثاً لا تحل بامرأه
 لا تحل لك ، وبتمها حلالاً حل بامرأه لا تحل له إلا كس صاحبه دون أصحابه حتى
 أفسد بها وأفسد به ، لا تعد هداية عبداً إلا وقيت به ، ولا تحرج صدقة إلا أمصيتها
 وبتمها أخرج رجل صدقه فلم يمضها إلا كس صاحبه دون أصحابه حتى أحول منه
 من الوفا بها ، ثم ولي وهو يقول يا ويلتنا علم موسى ما يحدث به بني آدم
 وعن سعيد بن مسدد قال ما بعث الله نبياً فيما خلا ، إلا لم يبق بيبس بلبس
 من يهلكه بالنساء ولا شيء أخوف عندي منهن ، وما بالمدينة بيت أدخله إلا سني وبيت
 سني ، غتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح

وقال بعضهم : إن الشيطان قال للمرأة أنت نصف حندي وأنت سهمي الذي
 أرمي به فلا أخطي ، وأنت موضع سرّي وأنت رسولي في حاجتي

فصنف حمده الشهوة ، و نصفه العصب ، وأعظم الشهوة شهوة النساء و هذه
 شهوة بها أيضاً إفراط و تعريط واعتدال فالإفراط ما يعبر العقل حتى يصرف همهته
 برحال إلى التمتع بالنساء و الجوارح فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يفتر
 لذّن حتى يحترق إلى افتتاح العواش و قد ينهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شيعين
 أحدهما أن يتناولوا ما يفوق شهواتهم ليستكثر من الوقاع كما قد يتناول بعض
 ناس أدوية نفوق أعداء لتعظم شهواتها للطعام و ما مثل ذلك إلا كمن ابتلي بساع
 عارية وبها تم عاديه فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لأثارها وتهيجها ، ثم يشتعل
 بعلاجها و إصلاحها ، فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقق آلام يريد الإنسان
 الخلاص منها فيدرك لذّة بسبب الخلاص .

في قلب فقد روي في عرائف الحديث عن النبي ﷺ « شكوت إلى
حبرئيل صعب، لوقوع فأمري بأكل الهرسة » (١).

فاعلم أنه كان تحته ﷺ سبع سواه وحب علمه تحصيهم بالامتناع و
حرّم على غيره مكاحلهم وإن طلقهم ، فكان طلبة العورة لهذا لا للتمتع

أقول : هـ الحديث من طريق الحصة هكذا ، شكوت إلى حبرئيل كثره
الأرواح فأمري بالهرسة (٢) وعلى هذا سقط السؤال

قال : والأمر الثاني أنه قد يستبي هذه الشهوة ببعض الصلّات ، الحبّال إلى
العشق وهو غاية الحبل بما وضع له الوقاع وهو محوره في الشهوة بعد البهائم لأن
المتعشق ليس يصعب بأففة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات ، أحد هاتين يستحي منها
حيث ما اتفق حتى اعتدأ الشبهة لا تنقصي الأمر محل واحد ، والبهيمة تنقصي
اشبهة أير انتهى فيمكنني به وهذا لا يمكنني إلا بواحد معتن حتى يرداد به دلا
إلى دلة وعمودية إلى عموديته ، وحتى يستحضر الفعل لخدمته الشهوة وقد خلق
لمكون مصداً لا ليكون حادماً للشهوة مختلاً لا حليب ، وما لعشق إلا مسعة بقرط
الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهته له وإنما يجب الاحتراز من أو ثله بترك معاودة
الطير والمكر وإلا فدا استحكم عسر دفعه ، فكذلك عشق الحياء والمال والافكار
والأولاد حتى حبّ اللب بالظنور والبرد والشرطيح ، في هذه الأمور قد
يستولي على طائفة بحيث تنعصر عليهم الذنوب والذنوب ولا يصرون عنها الله ، ومثال
من يكسر سورة العشق في أوّل اسعائه مثال من يصرف عن الله عند بوحه إلى باب
لندخله ، وما أهون معبى بصرف عابها ومثال علاحها بعد استحكامها مثال من يترك
الداسة حتى تدخل ويحاور الباب ثم يأخذ بذنوبها ويحرّنها إلى ورائها ، وما أعظم

(١) و (٢) في الكافي ح ٦ ص ٣٢٠ عن الصادق عليه السلام قال : « من ساء من الالبيد شكالي
الله عروجل الصعب وقلة لعمد فأمري بأكل الهرسة » وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام : « انه
صلى الله عليه وآله شكالي دله وحب لظهر فأمري بأكل الحب باللحم يعني الهرسة »
وقال المراتي أحرقه العليل في الضمعا والظراي في الاوسط من حديث حديفة وهو موسوع

التعديت بين الأمرين في العسر واليسر ، فليكن الاحتياط في نذابات الأمور فأما
أواخرها فلا تفضل العلاج إلا بمجهود شديد يكاد يورثي برع الروح
فإن إفراط الشهوة أن يعلب العقل إلى هذا الحد وهو مذمومٌ حدث و
نمريطها بالعنت أو بالصعصع امتاع المكروه وهو أيضاً مذمومٌ ، وإذنا الم محمود أن
تكون معتدلة ومعتدلة للعقل والشرع في انساؤها وانفاسها ومهما أفرطت فكسرها
بالجوع وبالنكاح قل **مَنْ يَتَزَوَّجْ** : « معاشر الشباب عليكم بالنكاح فمن لم يستطع فعله
بالصوم فإن الصوم له وجاء » (١) .

❦ بيان ما على المرید فی ترك التزويج وفعله ❦

اعلم أن المرید في ابتداء أمره لا ينبغي أن يشغل نفسه بالتزويج ، فإن ذلك
سعل شاعل يمنعه عن السلوك ويستجره إلى الأس بالزوجة ومن أسى غير الله شغل
عن الله ولا يعرفه كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في
لدث عن الله تعالى فلا يفسد الملائكة بالحدادين وكيف يفسد غير رسول الله وكان
اسعراؤه بحب الله بحيث كان يخاف إحترافه منه إلى حد أن كان يخشى في بعض
الأحوال أن يسري ذلك إلى قلبه فيهممه ، ولذلك كان يصرب يده على فخذ عائشة
أحياناً ويقول « كَلِّمْنِي يَا عَائِشَةُ » (٢) تشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور
طيفة قاله عنه وقد كان ﷺ طمعه الأنس بالله . وكان أسسه بالخلق عارصاً رفيقاً
سديه ثم كان لا يطيق لصبر مع الخلق إذا حالسهم في ذات صدده قال وأرحم
بالبلاء (٣) حتى يعود إلى ما هو قرّة عينه ولصعيف إذا لاحظ أحواله في مثل
هذا فهو معروف لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله ، فشرط المرید

(١) أخرجه مسلم والبخاري ج ٧ ص ٣ وابن ماجة وأبو داود من حديث ابن عباس .

(٢) قال العراقي لم أجده أصلاً أقول - المعروف هكذا « كَلِّمْنِي يَا حَبِيبَةُ »

وقد المولى عني القادري قال البري كل حديث فيه يا حبيباً فهو موضوع لموضوعات

لكسر ص ١٤٣

(٣) تقدم في الجند الأول ص ٣٧٧

العروة في الابتداء، إلى أن يعوي في المعرفة وهذا إذا لم تعد له الشهوة، فإن غلبته الشهوة فليكرها بالحجوع الطويل، وصوم الدائم، فإن لم يسمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العي مثلاً، وإن قدر على حفظ الفرج والكبح به أولى لتسكن الشهوة، وإلا فمهما لم يتحفظ عنه لم يتحفظ فكره وتفرق همه، وربما وقع في بلبنة لا يطيقها.

أقول - الحاجة إلى الكبح في الابتداء أكثر منها في الانتهاء، فيسعى من أراد المعرفة أن يتزوج نرجساً لا يشعلها عنها كالمثناة ويحوها، وقد مضى تحقيق هذه المباحث مفصلاً في كتاب آداب النكاح.

قال ورى العن من كساد الصغار، وهي تؤذي على العرب إلى الكبيره. المحدثه وهي ربي الفرج ومن لم يقدر على عصم نفسه لم يقدر على حفظ فرجه. **قال** عسى عيسى عليه السلام «إياكم والبطرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة»

وقال داود لاسه عليه السلام «يا سي» من حلف الأسد والأسود، ولا تمش خلف المرأة».

وقيل لمحمي بن زكريا عليه السلام ما بد، الرثني قال النظر والنمسي وقال الفصيل يقول إبليس هي قوسي المديمه وسهمي الذي لا أخطئ به يعني النظر.

وقال السي عليه السلام «بطرة سهم مسموم من سهم إبليس فمن تركها حوقاً من الله عطفه الله إيماناً يحد حلالوته في قلبه» (١).

وقال عليه السلام «ما تر كب بعدي فتنة أصر على الرجال من لسان» (٢) وقال عليه السلام «تبعوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل

(١) رواه الطبراني والحاكم في المستدرک من حديث حذيفة، وقال صحيح الإسناد

كما في الترغيب والترهيب ج ٣ من ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجه تحت رقم ٣٩٩٨

من حديث إمامة بن زيد

كانت من قبل النساء^(١)

و قال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم »^(٢)

و قال عليه السلام « الكلب من آدم خطئ من الرسي ، ولعيس تربيان و ربهما

لنظر و ليدار تربيان و ربهما البطن ، و لرحلان تربيان و ربهما المشي و العم يربي و ربهما الفيلة ، و القلب بهم و يسمى : يصد في ذلك الفرج أو يكذب به »^(٣)

و قال أم سلمة : استأذن ابن أم مكتوم الأنعمى على رسول الله ﷺ و أنا

وعميمونة جالستان ، فقال النبي ﷺ : احتجعا عنه ، فقلنا : أو ليس بأنعمى لا يصرفنا ؟ فقال : و أنتما لا تنصرا به »^(٤)

و هذا يدل على أنه لا يجوز للنساء محادثة الصبيان كما حرت العادة به في

الآن و لولا ثم فيحرم على الأنعمى الحلول بالنساء و يحترم على المرأة محادثة الأنعمى

و تحديق النظر إليه بغير حاجة و إنما حذر للنساء محادثة الرجال و النظر إليهم

لأجل عموم الحاجة و إن قدر على حفظ عصبه عن النساء و لم يبعد على حفظها عن

الصبيان و النكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فإنه لو مال قلبه إلى امرأة

أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح و لنظر بالشهوة إلى وجه الصبي حرام بل

كل من يتأثر قلبه بحال صورة الأمر بحيث يدرك التفرقة بينه و بين الملتحي لم

يجز له النظر إليه .

و إن قلت : كل ذي حسن يدرك معرفه من الجميل والمبغى لأحالة و لم ترل

و حواء الصبيان مكشوفة لأحالة .

فأقول : فليس أعنى تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة

كما إذا كان التفرقة بين شجرة حصراء و يابس همام صاف و ماء كندر و شجرة عليها أزهارها

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري كما في المعنى .

(٢) النور : ٣١ .

(٣) رواه البخاري و مسلم باختصار ، و السائي . و ابوداود ج ١ ص ٤٩٦ ، و راجع

الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٦ .

(٤) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٣٨٤ نادى تغير في اللفظ

و أنوارها ، وشجرة تساقطت أفرانها فارتدت بميل إلى إحديها نعبه وطبعه ولكن ميلاً
 حالياً عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملاعسه الأرهاز والأنوار وتعبيلها ولا تقبل الماء
 الصافي و كذلك الشربة الحسنة قد تميل إلى إحديها ، تدرك التفرقة بينها وبين
 الوحة الفصح ولكنها تفرقة لأشهوة فيها ، و يعرف ذلك بميل النفس إلى العرب
 و الملاعسة ، فمهما وجد ذلك الميل في قلبه أدرك تفرقة بين الوحة ، بحميل و بين
 استات الحس و بين الأنوار المسفحة و السفوف المرحرفة فظهره بظهره شهوة و هو
 حرام ، وهذا مما يبهون به الناس ويحرفونهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون

و قل بعض لتدعن ما أن بأخوف من السمع الصاري على أشب الناس
 من علام أمرد يجلس إليه ، و عن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة
 ثلاثة أصناف بوطيئون ، نصف يظنون ، ونصف يصاحون ، و نصف يعملون فادن
 ففة المطر إلى الأحداث عظيمه فمهما عجز المرید عن عصا صره و صمط فكره
 فاصواب له أن يكسر شهوته بالكاح قرب نفس لا يسكن نوافها بالحوح ، و قال
 بعضهم : غلبت علي شهوتي في بدء إرادتي ما لم ألق فأكثر الضجيج إلى الله تعالى
 فرأيت شخصاً في المنام ، قال : مالك ؟ فشكوى إليه فقال : عدت إلي فتقدمت إليه
 فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع حسدي فأصحت و قد رال
 ما بي و نقيب معني سه ثم عاودني ذلك فأكثر الاستعانة فحدثني شخص في المنام
 فقال : أتجت أن يذهب ما تجد وأصرب عطفك ؟ قلت : نعم ، قال : مد رقنك فمددتها
 فحرد سيقاً من نور و صر به عني فأصحت و قد رال ما بي ، فبقيت معاني ستة ثم
 عاودني ذلك أو أشد منه فرأيت شخصاً في المنام يحاطسي فيما بين صدري و حنبي
 ويعول و يحدثكم نساء لينة روع ما لا يحب رفعة ترويح ، قال : فتروحت وانقطع ذلك
 عني وولدت لي ومهما احتاج إلى الكاح فلا يسمي أن يركض شرط إلا راده في ابتداء الكاح
 وروحه نماً في ابتدائه فبالنبه الحسنة و دواحه بحس الحل و سد السيرة والعمام
 بالحقوق الواحدة كما قد فصلنا جميع ذلك في آداب الكاح ، فلا يطول بأعاداته ،
 وأما صق إرادته أن ينكح فقيرة هندية ولا يطلب العيبة قال بعضهم من ترويح

عينة كان له منها حمس حصال معالة الصدق ، وتسويق الزفاف ، وفوت الخدمة ،
 كثرة النفقة ، وإذا أراد طلاقها لم بعدد حوقاً من ذهب ماله ، والمعيرة بخلاف
 ذلك ، وقد قال بعضهم يسعي أن يكون المرأة دون رّحل بأربع وإلا استخفرت
 بالسّرّ والطول والمال والحسب وأن يكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والخلق
 والورع ، وعلامة صدق الإرادة في دوام لنكاح الخلق ، تروّج بعض المرّيين امرأه
 فلم يرل يخدمهم ، حتى استجبت المرأة وشكت ذلك إلى أسف وقالت قد نجّيتني في
 هذا لرحل أنا في ممره مبدسين ما ذهبت إلى الخلا قط ، ولا وحل الماء معي أو
 فني إليه وتروّج بعض الصوفية امرأة سيّئة الخلق كان يصبر عليها فقبل له لم
 لا تطلقها ، فقال أحسني أن يتروّجها من لا يصبر على خلعتها فيدّى بها ، فإن نكح
 مرّيد فهكذا يسعي أن يكون ، وإن قد على الترك فهو له أولى ، إذ لم يمكنه
 الجمع بين فصل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشعله عن حله كما روي
 أن محمد بن سليمان الباشمي يملك علة ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى
 كبراء أهل النصارى وعلمائهم في أمر أن يبرؤ حياً فأجمعوا كلهم على أربعة العدوية
 فكتب إليها بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإن الله بك وتعالى قد ملكني من
 علة لدنيا في كل يوم ثمانين ألف درهم وليس بمضي الليالي والآيام حتى أتمها
 منه ألف درهم وأنا أصغر لك مثله ومثلها فحيثى إلى ما سألت فكتب إليه بسم الله
 الرحمن الرحيم أمّا بعد فإن الرّهد في الدنيا راحة الدن ولرّقة فيها تورث لهم
 ولحرب فإد ، أنا لك كذابي هيّتى ، رادك و قدّم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل
 الرّحال أوصاءك فمسموا ميراثك ، وصم الدهر واجعل فطرك الموت ، وأمّا أنا فلو
 أن الله عزّ وجلّ حوّلي أمثال الذي حوّلك وأضعافه ماسرّني أن أشعل عن الله طرفه
 غير وهذه إشارة إلى أن كل ما يشعل عن الله فهو نقصان فليظن المرّيد إلى حانه وقلبه
 فإن وحده في العرويه حلياً عن الشهوات بحيث لم يشوش حله فهو لأقرب وإن عجز
 عن ذلك ولنكاح أولى به ، ودوا هذه العلة ثلاثة أمور ، الجوع وعصّ النصر ولا شغل
 شغل يستولي على لعب فإن لم تنفع هذه الثلاثة والنكاح هو الذي يستصل مادّتها فقط

ولهذا كان اسلف يمدرون إلى النكاح وإلى ترويح الساب

قال سعيد بن المسيب هائس الشيطان من قلب إلا أنه من قبل النساء وقال سعيد وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وقد ذهب إحدى عينيه وهو يعيش بالأحرى ، ما من شيء أخوف عندي من النساء .

وعن عبدالله بن أبي وداعة قال كنت أحاس سعيد بن المسيب فعدتني أياماً فماتت حنته قال : أين كنت فقلت : نقيب أهلي واشتعلت بها قال : هلا أحرمتا وشهدت ، قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هل استحدثت امرأة فقلت : يرحك الله ومن يرؤحي وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة قال : أنا ، فقلت : وتعمل ؟ قال : نعم ، ثم حمد الله وصلى على النبي ﷺ وروحي استنه محضر من كان على درهمين أو ثلاثة ، قال : ففمت ما أدرني هذا صنع من العرح فصرت إلى مرلي وحملت أفكر ثم أحد ومن استدين فصليت المغرب وانصرفت إلى مرلي وأسرحت وكنت وحدي صائماً فقدمت عشائي حتى أفطرته وكان خيراً وريتاً فإذا بابي يقرع ، فقلت : من هذا ؟ فقال : سعيد فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد بالمدينة إلا سعيد بن المسيب فإنه لم يرمد أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ففمت وحرجت فإذا أباه ، وطست أمه قد بدله فقلت : يا أبتيه ألا أرسلت إلي فابتك ؟ و : لا أنت أحق أن يؤني ، فقلت : وما تأمرني قال : ابتك كنت رجلاً عراً ففكرت أن أبتك الليلة وحدك وهذه مرأتك إذا هي قائمة حلقه في طوله ثم أحد بيدها فدفع في الباب ورد الباب فسقطت لمراه من الحب ، وقال : برك الله فيكما ولكما رحمته ، وأصرى فاستوثقت من الباب ثم تعدت إلى القصة التي في الباب ولحم فوضعتها في طر السراح لكيلا يره ثم صعدت إلى السطح فرميت الحيران فحانني فقالوا : ما شأنك ؟ قلت : ويحكم زوحي سعيد بن المسيب أمس اليوم وقد جاء بها الليلة على عملة ، فقالوا : أو سعيداً ورحمت ؟ فقلت : نعم قالوا : وهي في الدار ؟ قلت : نعم فمرلوا إليها وبلغ أمي الخبر فجاءت وقالت : وحيي من وحيك حرام إن مسستها قبل أن يصلحها إلى ثلاثة أيام ، قال : فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أحمل الناس

وَأَحْفَظُ لِنَاسٍ لِكِتَابِ اللَّهِ وَ أَعْلَمُهُمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْرِفُهُمْ بِحَقِّ الرُّوحِ
 قَالَ - فَمَكَثْتُ شَهْرًا لَا يَأْتِينِي سَعِيدٌ وَلَا آتِيهِ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الشَّهْرِ أَتَيْتُ سَعِيدًا وَهُوَ
 فِي حُلْفَتِهِ مَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَرَدَّ السَّلَامَ عَلَيَّ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ حَتَّى تَعْرِقَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ ، فَعَالَ
 مَا حَلَّ دُونِ الْأَسَانِ فَعَلْتُ حَيْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَا أَحَبُّ لَصَدِيقٍ وَيَكْرَهُ الْعَدُوَّ فَقَالَ
 إِنْ رَأَيْتَ شَيْءًا فَدَعْكَ وَالْعَصَا ، فَأَصْرَفْتُ إِلَى هَرَلِي فَوَحَّهْ إِلَيَّ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
 قُلْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ وَكَانَتْ بَيْتُ سَعِيدٍ بِنِ الْمُسَيْبِ قَدْ حَطَّهَا عِنْدَ الْمَلِكِ بْنِ
 مَرْوَانَ لِأَنَّهُ الْوَلِيدُ حِينَ وَلَّاهُ الْعَهْدَ فَأَتَى سَعِيدٌ أَنْ يَرَوْحَهُ فَلَمْ يَرَلْ عَبْدِ الْمَلِكِ يَحْتَلِ
 عَلَى سَعِيدٍ حَتَّى صَرَفَهُ مِائَةَ سَوَاطٍ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ حَرَّةٌ مَاءً بَارِدًا وَأُلْسِمَهُ حِمَّةً
 صَوْفًا ، فَاسْتَعْجَلَ سَعِيدٌ فِي لِرَفَافِ مَلِكِ اللَّيْلَةِ يَعْرِوْكَ عَائِلَةُ الشَّهْوَةِ وَوَحُوبِ الْمَدَارَةِ
 فِي الدُّنْيَا إِلَى نَظْمَتِهِ بَارِدًا بِالْمَكَاخِ

❖ (بيان فضيلة من يحالف شهوة الفرج والعين) ❖

اعلم أن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأغصاها عند الهيجان على
 العمل إلا أن مقتضاها فيجب يستحى منه ويحشى من اقترعها وامتناع أكثر للناس
 عن مقتضاها إما لعجز أو لحوق أو لحد، أو لمخاطبة على جسمه وليس في شيء من
 ذلك ثواب فإنه يثار حظ من خطوط النفس على حظ آخر ، نعم من العصمة أن
 لا يبعد ففي هذه العوائق فائده وهي دفع الإثم فإن من ترك الرأى يدفع عنه إثم
 بئى سب كان تركه ، وإتما العجز والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى
 مع القدرة عليه وارتفاع المتابع وتيسر الأسان لاسيما عند صدق الشهوة وهذه
 درحة الصديقين ولذلك قال رسول الله ﷺ : « من عشق فعف فكمات فهو
 شهيد » ^(١)

قال رسول الله ﷺ « سعة بطلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجلاً

(١) أخرجه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عباس بعد صحيح كما في الجامع الصغير.

دعته امرأه ذات حب وحال يني نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين ^١
 وقصة يوسف عليه السلام واعتناعه عن ليحاج مع العذرة و رعتب معروفه و قد أنسى
 الله تعالى بذكره عنه في كتابه و هو يمام كل من ووق لحما هذه الشيطان في هذه
 الشهوة لعظيمه

روي عن عمدة بن عمرو ^٢ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة
 نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم لمسب إلى غار فدخلوه فوجدت صخرة من اجل قد
 عليهم العار فقالوا إني لا نحبيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصاحب أعمالكم
 قال رجل منهم اللهم إني أعلم أنك كان لي ثور شحار كبير و كنت لا أعق
 ولها أهلاً ولا ولد ولا مالاً ، فأتى بي ملك الشجر يوماً فلم يرج عليهما حتى
 دما فجلس به غووفه ^٣ فوجد بهما ثمن ، فكره أن أعق قلبيها أهلاً و
 ولداً ، ومالاً ، فلبث ما مدح في يدي أنظر سبطيها حتى طلع الفجر والصبي
 ينضغون بين قنبي وسبط فشر بهما غووفهم ، اللهم إني كنت فعلت ذلك انتد وحيث
 فرج عتاً من فيه من هذه لصخرة فاسترحب شيئاً لا يستطيعون الخروج و قال
 الآخر اللهم إني أعلم أنك كان لي ابنة عم و كانت من أحب الناس إلي و ودتها عن
 نفسها فامتعت مني حتى طلب بها سه من الحسن فباعني فأعطينا مائة وعشرين
 ديناراً على أن تحلبني سبي و من نفسها ففعلت حتى إذا فذرت عليها قالت اتوا الله
 يا عمدة الله ، لا حول لك أن تنص العتاهم إلا بحدقه فخرج حب من الوقوع عليها
 فاحسب عتاً وهي من أحب الناس إلي و تركت لدها أدي أعطينا ، اللهم إني
 كنت تعم أني فعلت هذا انتد وحيث فرج عتاً من فيه و خرج الصخرة
 عبر أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم إني أعلم أنك استأجرت

(١) أخرجه ابن جرير عن الحسن مرسل وأبو عبد الله عن أبي هريرة و يبق
 في الاسماء عن أبي هريرة أيضاً سند حسن ورواه البخاري ومسلم و قد تقدم في كتاب الكناح

(٢) أخرجه البخاري ج ٨ من ٣ بطوله

(٣) العروق - فتح الباري - ما يشرب بالمشي وأيضاً اسم ما يطبخ بالمشي .

أحرأ. وأعطيتهم أحرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فتمرت أمه حتى كثرت منه الأموال فجدني بعد حين فقال يا عبدالله هان أحرني فقلت كل ما يرى من أحرك من لائل و اسمر والعسم و الرقيق . فقال يا عبدالله لا تستهري بي فقلت لا تستهري بك ، فأخذته كله فاستأفه فلم يترك منه شيئاً ، اللهم فإن كتب فعلت ذلك استأف وحبك و فرح عدا ما نحن فيه وافرحت لفنخرة وخرجوا يمشون »

فهذا فصل من تمكّن من قضاء هذه الشهوة فعلاً و يصر منه من تمكّن من قضاء شهوة العين و بر الطر منه . لم يجمعها مع وهو عسير من حيث أنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفة كلها منه تشب . والطرة الأولى قد تم يقصدها لا يؤاخذ بها والمعودة يؤاخذ بها ، قال **بهيقي** : **ذلك الأولى و عليك الثانية** ، (١)

أي النظرة

وقال العلامة يزيد لا تنسج بصرك رداً لمرة فإن للطرة نوع في القلب شهوة ، و قلما يخلو الإنسان في برد داته عن وقوع النظر على النساء و الصبيان ، ومهما نحاول إليه الحسن تعاضى الطبع المعادة ، وعنده ينبغي أن يفرز على نفسه أن هذه المعادة عين الجهل لأنه إن حقق النظر و سنجس ثارت الشهوة و عجز عن الوصول ولا يحصل له إلا استحسار ، و إن استمتع لم يتلد به و يأنم لأنه قصد لندد فقد فعل ما آله فلا يخلو في كلتي حالته عن معصية وعن الألم وتحسّر ، ومهما حفظ العين بهذا لطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وإن أخطأت عينيه و جمعت

الفرح مع التمسك فذلك يستدعي عانة القوة و نهاية التوفيق

روي عن أبي بكر بن عبدالله الطبري أن قصاً بأولع بجارية لبعض حيرته فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قريه 'حرى فتبعها فرأوها عن نفسها ، فقلت له لا تفعل

(١) رواه الدارمي ج ٢ ص ٢٩٨ و احمد في مسند علي عليه السلام عن ابي اسحق

عليه وآله قال يا بني انك كرا في الحنة والملك و قربها ولا تنسج ، الطرة الثانية فاما لك الاولى و ليس لك الاخرة و روى الرملي و ابو داود من حديث بريدة نحوه و قد تقدم .

لأنا أشدّ حياءً لك منك لي ولكي أحياك ، قال قالت تحافيه و أبا لأحافيه
 فرجع نائماً فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنه فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني
 إسرائيل وسأله ، فقال ما لك ، فقال العطش قال تعالى ادعوا حتى تطلبوا سحابة
 حتى تدخل القرية قال مالي من عمل فأدعو ، قال فأنا أدعو وأنت ادعنا
 لرسول وأنت هو فأطلتكما سحابة حتى انهدبا إلى القرية فأخذ العصب إلى مكانه
 ومالب السحابة معد ، فقال له صاحبه رعمت أن ليس لك عمل وأنت الذي دعوت و
 أنت الذي أمّنت فأطلتا سحابة ثم سمعتك لتحرني بأمرك فأخبره بالقصة فقال الرسول
 إن الثابت من الله يمكن ليس أحد من الناس بمكانه

و عن أحمد بن سعيد العبد عن أبيه قال كان عدده بالكوفة شاب متعمد
 ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه ، وكان حسن الوجه حسن العامة حسن السمت
 فظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشعفت به وطال ذلك عليها ، فلما كان ذات يوم
 وقعت له على صريعه وهو يريد المسجد فقال له يا فتى سمع مني كلمة أو كلمت
 بها ثم أصعب ما شئت ، فمضى ولم يكلمها ثم وقعت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد
 منزل له قال له يا فتى اسمع مني كلمة أو كلمت بها ، قال فطرق ملياً وقال
 لها هذا موقف بهم وأبا أكره أن أكون للثمة موضعاً ، فقال له والله ما وقع
 موقعي هذا حله مني بأمره ولكن معاد الله أن يشرف العباد إلى مثل هذا مني
 والذي حملني على أن لقيت في مثل هذا الأمر نفسي لعرفني أن القليل من هذا عند
 الناس كثير وأنتم معشر العباد في مثال الفوارير أدنى شيء يعيب وحلة ما أو كلمت
 به أن حور حكي كلها مشعوفة بك فانه الله في أمري وأمرك ، قال فمضى الشاب
 إلى منزل فإذ أن يصلي فلم يفعل كيف يصلي ، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ، ثم
 خرج من منزل فإذ بالمرأة واقفة في موضعها فألقى إليها الكتاب ورجع إلى منزل
 وكان في الكتاب سم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيها المرأة أن الله تبارك وتعالى إذا
 عصي حلم فإذا عاد العبد في المعصية ستره فإذا لبس لها ملابسها عصب الله عز وجل
 لعصه عصاة تصيق منها السمماوات والأرض والجمال والشجر والدواب فمن دأب

عصه فإب كان ما ذكرت باطلاً فإبني أدرك يوم تكون السماء كالمهل و تكون
الجنال كالعهر ، و تحنوا الأمم لصولة الحمار العظيم . فإبني والله قد صنعت عن
إصلاح نفسي فكيف بصلاح عيري . وإن كان ما ذكرته حقاً فإبني أدلك على طبيب
يذاوي الكلوم اممرضة والأوجاع لممرضة . ذلك الله رب العالين ، فاقصديه على
صدق امسئله ، وارحعي إليه فإبني متشاعل عث بمولد . و أندهم يوم الآرقة إد
انقلوب لدى اصحاحر كاطمين ماللطامس من حميم ولاشيع يطع . يعلم حائنة الأعين
وما نحمي الصدور ،^(١) فأين المهرب عن هذه الآية ، ثم حاب بعد ذلك بأيام
فوقفت له على طريقه فلم تارأها من بعيد أراد الرجوع إلى مسرله كيلا يراها ، وقالت
يا فبي لا ترجع فلا كان الملتقى بعدها اليوم أبداً إلا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاءً
شديداً ، وقالت أسأل الله الذي يمدد معانيج فليكن أن يسهل علي ما قد عسر من أمرك ،
ثم تمتعه فعالت . فمن علي بموعظه أحلها عث وأوصي بوصية أعمل عليها ، فقال
له الفنى أوصيت بحفظ نفسك من نفسك وأدركك قوله عز وجل : « و هو الذي
يتوفيكم بالليل و يعلم ما حر حتم بالهار »^(٢) ، قال فأطرق الحارية وبكت بكاءً
شديداً أشد من بكائ الأول ، ثم أقف ولربمت بينها وأحدث في العادة . فلم تزل
على ذلك حتى مات كمداً^(٣) فكان الفنى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها ، فعيل
له هم بكاءً وأت قد آيستها من نفسك فيقول إبني قد دبحت طمعها مني في
أول أمرها وجعلت قطع دحيرة لي عند الله عز وجل وأب أستحي من الله أن أسترده
دحيره إذ حرتب عنده و لحكم الله

هذا آخر كتاب كسر الشهوتين من ربيع المهلك من الماحجة البيضاء في تهذيب
لا حياء ويتلوه إن شاء الله كتاب آفات اللسان والحمد لله أولاً وآخراً وطهراً و
باطناً وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(١) المؤمن ١٨ و ١٩ .

(٢) الاحاء ٦٠ .

(٣) لكمد - بالتحريك - تغير اللون و دهاب صفاته والحزن الشديد

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلك من المححة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله ، وألهمه نور الإيمان وريسته به
وجعله ، وعلمه البيان فتقدمه به وفضله ، وأفاض على قلبه حرائر العلوم فأكمه
ثم أرسل عليه سترًا من رحمته أسد ثم أمده بلسان يترحم عما حواه القلب ويصله ،
و يكشف عنه سره الذي أرسله فأصاق بالحمد مقوله ، وأصح بالشكر عما أولاه
وحوله ، من علم حصله وطقق سبيله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
و أن محمدًا عبده ورسوله الذي أكرمه وجعله ، وسنه الذي أرسله بكتاب أنزله ،
وتبين فضله ، ودين سبيله

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ، ما كثره عدو وهلكه .
أما بعد فإن الإنسان من نعم الله العظيمة ولطائف جمعه العربية في به صغير
حرمه ، عظيم طاعته وحرمه ، ولا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان ، وهما
عاية الطاعة والطغيان ، ثم إن ما من موجود أو معدوم ، حلق أو مخلوق ، متحيز
أو معلوم ، مطنون أو موهوم إلا واللسان تناولوه ويتعرض له بإثبات أو نفي ، فإن
كل ما سألوه العلم بعرضه اللسان إما بحق أو باطل ، ولا شيء إلا والعلم متناول
به ، وهذه خاصيته لا توجد في سائر الأعضاء ، فإن العين لاتصل إلى غير الألوان
والمشور ، والأذن لاتصل إلى غير الأصوات ، واليد لاتصل إلى غير الأحسام وكذا
سائر الأعضاء ، واللسان رحب المبدأ ليس له مرد ولا محالة منتهى ولا حد فله في الحيز
محال رحب وله في الشرع محيز سحبت فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مريح العنان

سكنت به الشيطان في كلّ مكان ورفقه في شتّى حروفها إلى أن يضطره إلى
السواك ولا يكفّ أبداً عن عليّ ما حربه إلا حصاناً ألتصق به لا يجي من شرّ اللسان
إلا أن يعيّد بلحماً لتسرع فلا يطعمه إلا لحمه يبعث في الدنيا لا حراً ولا كفّاً عن
كلّ ما يحشى عائلته في عجله وحاجته غلب ما يسمو به على اللسان فيه أو يدمّ
بعض عرير والعمر بمقتضاه على شراً في بعض عسير وأعشى لأعصر على لا يسأل
اللسان فاته لا تعب في تحريكه ولا معة فيه في إلفه ، وقدسه هل للحلق في لأحسار عن
أفاته ، عوئله ، الحسد عن ماله يده ، حائله ، ثم أعظم الد الشيطان في استواء لا يسأل
وحيث سوفيق الله وحسن يسره بمقتضى مجمع آداب اللسان ، يذكره واحده
وحده بحدوده وأسابها وعوائلها وعرف طيق الواحد از منب ويراد ماورد من
الأحرف والآثار في دمي

فذكر أولاً فصل الصمت ، وردفه بذكر آفات الكلام فيما لا يعي ، ثم آفة
فصون الكلام ، ثم آفة الخوص في المظهر ، ثم آفة المراء ، والمخادله ، ثم آفة الحصومة ،
ثم آفة الشغور في الكلام بالمشدق ، وكلف السجع والفصاحة ، ويتصنع فيه وغيره
ذلك ، ثم آفة حرب به عاده المتعاصج الدّعي للخطابة ، ثم آفة العجش وأسبّ ومداة
اللسان ، ثم آفة اللعن إلى لحيوان ، والحمد إلى لسان ، ثم آفة العناء والشعر ،
ثم آفة المطراح ، ثم آفة السحرية والاستهزاء ، ثم آفة إفشاء السرّ ، ثم آفة الوعد
، كاذب ، ثم آفة الكذب في القول والسمير وعوائله ، ثم بيان ما يرخّص فيه من
الكذب ، ثم بيان الحسد من الكذب بالمعنى ، ثم بيان آفة العيبة ، ثم بيان معنى
العيبة وحدها ، ثم بيان أن العسة لا يضطر على اللسان ، ثم بيان لأسباب الباعة
على العيبة ، ثم بيان العلاج الذي يمنع اللسان من العسة ، ثم بيان بحريم العيبة
بالقلب ، ثم بيان الأعداد المرحّصة في العيبة ، ثم بيان كفاية العيبة ، ثم آفة
السمعة وما يجب في ردّها ، ثم آفة دي اللسان الذي يتردّد بين المعتادين وكلم
كذب واحد بكلام بواقفه ، ثم آفة المحدث ، ثم آفة العقلة عن دقائق الخطأ في فحوى
الكلام ، لاسيّما فيما يتعلّق بالله ووصفاته ويرتبط بأُمور الدّين ، ثم آفة سؤال النوام

عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة وما يتعلق بذلك ، وهي تمام الآفات وجلتها عشرون آفة

❖ بيان عظم خطر اللسان وفصيلة الصمت ❖

إعلم أن خطر اللسان عظيم ولا حدة من خطره إلا بالصمت ولحديث مدح لشرع الصمت وحث عليه فعلى عليه السلام « من صمت جأ » ^(١)

وقال عليه السلام أيضاً « الصمت حكم وقيل فاعله » ^(٢) أي هو حكمه وحرم وروى عنه الله بن سفيان ، عن أبيه قال قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك قال من آمن بالله ثم استقم ، قلب وما أتقي ؟ فأولاً يئمه إلى لسانه » ^(٣) .

وقال عفة بن عامر « قال لرسول صلى الله عليه وسلم ما النجاة ؟ قال أمدت عندك لسانك ، وليسعت بينك ، وأنت على خطيئتك » ^(٤)

وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تكفل لي بما بين لحييه ورجليه تكفل له بالجنة » ^(٥)

وقال عليه السلام « من وقى شر فقهه ودينه ، ولمعه وفدوقه » ^(٦) والصمت الطهر والدين الفرح ، واللمع اللسان ، وهذه الشهوات لثلاث بها يهلك أكثر لحلق ولذلك اشتعلوا بذكر آفات اللسان لما فرغوا من ذكر آفة الشهوات لطن والعرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، فقال تقوى

(١) أخرجه أحمد ج ٢ ص ١٧٧ من حديث ابن عمر بن الخطاب و له رمى ج ٢ ص ٢٩٩

(٢) أخرجه النجاشي عن أسود الدبلي في مسند الفردوس عن ابن عمر بن الخطاب

كما في الجامع الصغير

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٩٧٢ عن سعد بن عبد الله الثقفي

(٤) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢٤٧ وقال هذا حديث حسن

(٥) أخرجه البخاري والترمذي ج ٩ ص ٢٤٨ وقال هذا حديث حسن صحيح عري

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب عن أسود ضعيف كما في الجامع الصغير

الله وحسن لخلق ، وسئل عن أكثرها يدخل الناس النار ، قال الأخرى قال العم
والمرح ^(١) فيحتمل أن يكون المراد بالعم آفة اللسان لأنه محله ، ويحتمل أن
يكون المراد بالنظر لأنه مفعله

وقال معاذ قلت لرسول الله ﷺ أنو حديث يقول ؟ فقال « شككت
أنت الناس حبل ، وهل يكب الناس على ما حرمهم إلا حصائد ألسنتهم » ^(٢)
وقال عبد الله لنعمي « قلت لرسول الله ﷺ حدثني بأمر أعظم به ، قال
من ربي الله ثم استقم ، وقل قلت يا رسول الله ما أخوف ما يخاف علي ؟ فأحذلساه
ثم قال : هذا » ^(٣) .

وقال أس بن مالك قال رسول الله ﷺ « لا تستقيم إيمان عند حتى
يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن
حارة بوائقه » ^(٤) .

وقال ﷺ « من سره أن يسلم فليسلم ، لصم » ^(٥)
وعن سعيد بن جابر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال « إذا أصبح ابن
آدم أصحب الأعضاء كلها فستكفي اللسان أي تقول اتق الله فيما فابتك إن استعنت

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٤٦ من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٩٧٣ في حديث طويل من حديث معاذ وقوله صلى
الله عليه وآله « يكب » من كبه ، إذا صرعه « حصائد ألسنتهم » أي محصوراتهم ،
على تشبيه ما تنكلم به الإنسان بأذرع المحصور بالسجل فكأن السجل يقطع من غير
مسر من رطب وياس وجيد وردى كذلك البكر في الكلام بكل من من الكلام من
غير مسير من ما يحسن وما يفتيح (كذافي هاشم الشن) .

(٣) أخرجه الترمذي ح ٩ من ٢٤٩ وقد تقدم والدرمي ح ٢ من ٢٩٩

(٤) رواه أحمد وابن أبي الدنيا في الصمت وكلاهما من رواية علي بن مسعدة الباهلي
عن قتادة عن أس كفي في الترغيب والترهيب ح ٣ من ٥٢٨ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال وغيرهما كفي
في الترغيب ح ٣ من ٥٣٦ .

استقم ویر اغوجب أعوججاً^(١)

و عن ابن مسعود أنه قال عني لصقاي لست و هو يقول يا لسن قل حيراً
تعلم أو صعب تعلم من قبل أن تدم ، قل له يا أبا عبد الله نحن هذا شيء يقول
وشيء سمعته قال لا بل سمع رسول الله ﷺ يقول و من أكثر خطايا ابن آدم
في لسانه^(٢)

و قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ و من كثرت لسانه بترانه عورته ، و من
ملئت عصبه وفقه الله عذبه ، و من اعتد إلى الله قبل الله عذبه^(٣)
و دي « أن معاذ بن جبل قال لرسول الله ﷺ أوصني قال عبد الله كأنك
براه و عذبه بفسق في طوبى ، و إن شئت أسأتك بعد هو فمذاك للكم من هذا كله و أشد
بيده إلى لسانه^(٤) .

و عن شعور بن مسلم قال قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بأيسر لعناده
و أهونها على المدن العمت و حسن الخلق^(٥) »
و قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « من كان يؤمن بالله و ليوم الآخر
فلمن حيراً أو ليصعب^(٦) »

و قال يحيى بن زكريا أن النبي ﷺ قال « رحم الله عبداً تكلم حيراً
فعم ، أو سكب فسلم^(٧) »

(١) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢٤٧ و فيه « تكسر لسان » من باب التعميم أي
تذكره أن يفتي الله فلا يقول حجراً .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت و البيهقي في الشعب سند حسن كما في المعنى
وروه ، بطراي سند صحيح كما في الرعي ج ٣ ص ٥٣٤

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت سند حسن كما في المعنى

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً في الصمت سند جيد كما في الرعي ج ٣ ص ٥٣٢ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت مرسل كما في الرعي ج ٣ ص ٥٣٣ و رواه

والشيخ في منكرات السعدنين من حديث أبي زر و أبي الدرداء مرفوعاً .

(٦) أخرجه مسلم ج ١ ص ٤٦ في حديث .

(٧) أخرجه أبو الشيخ عن أبي مامة سند ضعيف و نحوه البيهقي في الشعب عن أس

و عن الحسن مرسل سند حسن كما في الجامع الصغير

وقال سليمان قالوا العيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة ، قال لا
 تطعموا أبداً قالوا لا استطع على ذلك ، قال فلا تطعموا إلا بحير
 وقال سليمان بن داود عليه السلام « إن كل الكلام من فسه فاصب من به »
 وعن الراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني
 على عمل يدخلني الجنة ، قال : أطعم الجائع ، وسق الظمآن ، وأمر بالمعروف
 ونه عن المنكر ، فإن لم تطق فكف لسانك إلا من حبر » ^(١)
 وقال عليه السلام « أحرص لسانك إلا من حبر في بك بذلك تغلب الشيطان » ^(٢)
 وقال عليه السلام « إن الله عند لسان كل قائل فليشوا الله امرئ على ما يقول » ^(٣)
 وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صمواً وفورا فادسوا منه فإنه يلقي
 للحكمة » ^(٤).

وقال ابن مسعود قال يونس « الدس ثلاثة عاممٌ ودسٌ وشاحبٌ فادسهم
 تندي يذكر الله ، والدسالم الساكب ، والشاحب الذي يحوص في الماثل »
 وقال النسي عليه السلام « إن لسان المؤمن وراءه فله فادس أن يتكلم بشيء
 تدبره بقلبه ، ثم أمصاه بلسانه وإن لسان المتكلم أمامه فله فادسهم شيء قصاه
 بلسانه ولم يتدبره بقلبه » ^(٥).

(١) أخرجه الضعيف في مسند الراء تحت رقم ٧٣٩ في حديث .

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير كتابي العرب ح ٣ من ٥٣٢

(٣) أخرجه ابن أبي شبة واحمد في الزهد والحكم الترمذي عن عمر بن در عن
 ابيه ع. صلى الله عليه وآله كتابي الدر المنثور ح ٦ من ١٠٥

(٤) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ١٠٩١ هكذا « إذا رأيتم لرجل قد غشي ردها
 في لسانه فطع فادسوا منه فإنه يلقي الحكمة »

(٥) قال العراقي أخرجه الطبراني وابو يعلى في حديث أبي سعيد الخدري وفيه
 « اجلس ثلاثة وضعه ابن عدى ولم أحده من حديث ابن مسعود

(٦) در العرب لم أحده مرفوعاً وما دوس لغرائظ في مكالم الإحلاق من
 رواية الحسن الصري قال : كانوا يقولون .

وقال عيسى عليه السلام: «العبادة عشرة أجراء تسعة منها في الصمت وجرى في المراد عن الناس»

وقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «من كثر كلامه كثرت سقطته، ومن كثرت ديوه، ومن كثرت ديوه كانت النار أولى به» (١)

أقول: وروي في كتاب مصباح الشريعة عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: «الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق، وحب لله، العلم، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة، وفيه رضا الرب، وتحييت الحساب، والصون من الخطايا والركل، قد جعله الله سراً على الجاهل، ورياً للعالم، ومعه عزل الهوى، ورياضة النفس، وحلاوة العبادة، وروال سوء القلب، والعدوى والمرد، ولطوى، فأغلق باب لسانك فمالت منه بدلاً سيم، إذا لم تجد أهلاً للكلام وانسأ في المذاكرة لله وفي الله، وكان الرسع من حشيم يصع قرطاساً بين يديه ويكتب كل ما يتكلم به، و يحاسب نفسه عشيقته، ماله وما عليه، ويقول: آوّه بها الصامتون وبعيا، و كان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصع حصاة في فمه إذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله و لوحة الله أحرقها فإن كثيراً أصحانه رضي الله عنهم - كانوا ينتقسون نطق العرقى و يتكلمون شبه المرمى و إنما سبب هلاك الخلق و بعاتهم الكلام والصمت، فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوانه و علم الصمت و فوائده فإن ذلك من أخلاق الأنبياء، و شعار الأصفياء، و من علم قند الكلام أحسن صحة الصمت و من أشرف على ما في لطايف الصمت وائتمنه على حرائه كان كلامه و صمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك المختار» (٢)

وفي الكتاب المذكور عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «الكلام يطهار ما في القلب من الصفا والكدر، و العلم و التحل قال أمير المؤمنين عليه السلام المرء محمودة تحت لسانه، فمن كلامك وأعرضه على العقل والمعرفة، فإن كان لله وفي الله فتكلموا به،

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر كما في الجامع الصغير

(٢) المصدر السابق السامع والعشرون في الصمت.

وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه ، وليس على الجوارح عبادة أحب مؤونه و
أفضل ممراته ، أعظم قدراً عند الله من الكلام فيه ، صلاته ولوحه وبشرائه ونعمائه
في عباده ، ألا ترى أن الله عز وجل لم يجعل فيما منه وبين رسله معنى يكشف ،
أسراً ليهم من مكروبات علمه ، ومجروبات وحيه غير الكلام ، وكذلك بين الرسل
والأهم ، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل والطب العباد ، وكذلك لأعصمة أنقل على
العباد وأسرع عقوبة عند الله ، وأشدّها ملامه ، وأعجل سآعه عند الخلق منه ، و
اللسان نرحم الصمير ، وصاحب حبر القلب ، وبه يكشف ما في سر السلطان وعليه
يحاسب الخلق يوم القيامة ، والكلام حمير يسكر العقول ما كان منه لغير الله ، وليس
شيء أحق بطول السحر من اللسان قال بعض الحكماء : احفظ لسانك عن حدث
الكلام وفي غيره لا تسكت إن استطعت فإن السكينة فهو هيئة حسنة رفيعة من الله
عز وجل لأهلها وهم أماء أسرارهم في أرضه ، ^(١)

﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد ، وأما الآثار : فإن طائوس السامي سمع إن أطلعت أكلني
وقال وهب بن منبه في حكمه آل داود وحق على العاقل أن يكون عارفاً
برمائه حافظاً لسانه معلاً على شأنه ، ^(٢)

وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه
وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن من أكثر ذكر
الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه فيما لا يعنيه
وقال بعضهم لصميت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه ، والعزم عن
صاحبه .

وقال محمد بن الواسع طالمث بن دينار : يا أبا يحيى حمط للسان أشد على الناس
من حمط الدّباير والدّراهم .

(١) انظر الباب السادس والاربعون في الكلام .

(٢) راجع الترغيب والترهيب للمندرج ج ٣ ص ٥٣١ .

و قال يونس بن عيسى ما من لسان أحد يكون لسانه مد على بل إلا رأى صلاح ذلك في سائر عمله .

و قال الحسن كانوا يتكلمون عند معدونه و لأحسب ما كنت فقالوا مالك لا تتكلم يا أبا بحر ؟ فقال أحسب الله إن كذب وأخسبكم إن صدق .

و قال أبو بكر بن عمار اجتمع أربعة ملوك على دم الكلام ملك الهند و ملك لصق و كسرى و قيصر ، فقال أحدهم أن أدم على ما قلت ولا أدم على ما لم أقول ، و قال الآخر بئني إذ تكلمت بالكلمة ملكني ولم أملكها و إذ لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني ، و الثالث عجب للمتكلم إن عجب عليه كلمته صرته و إن لم يرجع لم يسمع ، و قال الرابع أنا على رد ما لم أقول أقدر مني على رد ما قلت .

و قيل إن أصفور بن لمعة لم يكلم بعد انصاف إلا حرة أربعين عاماً و قيل ما تكلم أربعين من حنيم بكلام الدنيا عشرين سنة و كان يد نصيح و صغ دوا و قرطاً و فلما كل ما تكلم به كنهه ثم يحاسب نفسه عند المساء .

﴿ فصل ﴾

و بن قلب فهذا الفصل الكثير يلخص ما سبقه و يعلم أن سبقه كثرة آداب اللسان من لحن و الكذب و السيمه و لعنه و الرأيه و المصدق و المحدث و المراء و تركية النفس و لخصومه و الفصول و الحوص في الباطل و التحريف و الزيادة و الفصاح و يبدأ الحلق و تحت العورات ، فهذا آفات كثيرة و هي سافه إلى اللسان لا شغل على اللسان و لم حلاوه في القلب و غلبه بواعث من الطبع و من لشيطان فاجتنب فيها قلما يعذر على أن يرم اللسان فيطلقه بما يحب و بكفه عما لا يحب و إن ذلك من عوامص لعلم كما سيأتي فصله و في الحوص خطر و في الصمت سلامة . فلهذا عظم فصل هذا مع ما فيه من جمع لهم و دوام الوقار و القراع للفكر و العدة و الذكر و السلامة من سعات القول في الدنيا و من حسابه في الآخرة ، و قد قال تعالى « ما

يلفظ من قول إلا بديه رقيب عند^{١١} ويدلّك على فصل لزوم الصمت أمر وهو
 أن الكلام أربعة أقسام قسم هو صرر^{١٢} قسم هو نصح^{١٣} قسم هو صرر^{١٤} قسم فيه صرر^{١٥}
 مفعلة، وقسم ليس فيه صرر^{١٦} مفعلة^{١٧} الذي هو صرر^{١٨} قسم ولا بد من السكون
 فيه وكذا ما فيه صرر^{١٩} مفعلة لا تفي بالصرر^{٢٠} مفعلة^{٢١} الذي لا مفعلة فيه ولا
 صرر^{٢٢} فهو فصول في الاشتغال به تصديق^{٢٣} وهو عن الحسرات فلا معنى إلا لقسم
 بر^{٢٤} أربع فصول سميت^{٢٥} أنه أربع الكلام^{٢٦} تفي به وهذا الأربع فصول^{٢٧} إذ يشرح
 بها فيه إثم من دقائق الرياء^{٢٨} في مفعلة^{٢٩} العيبه^{٣٠} كنه نفس^{٣١} فصول الكلام
 صرر^{٣٢} حاشي^{٣٣} يدركه فيكون الإيس^{٣٤} به محاط^{٣٥} ومن عرف دواعي آفات اللسان
 عني ما سنده^{٣٦} علم قطعاً أن^{٣٧} ما ذكره رسول الله^{٣٨} من مفسدات لخطب حيث قال
 من صمت بعد^{٣٩} فاعلم أن^{٤٠} الله هو هذا الحكم^{٤١} وجمع الكلم^{٤٢} لا يعرف ما
 يحب^{٤٣} آحاد كلماته من بحر^{٤٤} لمعني^{٤٥} لا حوص^{٤٦} اعلم^{٤٧} وقسم سنده^{٤٨} من الآفات
 عشر^{٤٩} لا حصر^{٥٠} ما يعرف^{٥١} حقيقه^{٥٢} ذلك^{٥٣} في شأنه^{٥٤} من^{٥٥} لا بعد آفات اللسان
 يستدعي^{٥٦} ما حقيقه^{٥٧} ويدلّ على^{٥٨} لا غلط قليلاً قليلاً^{٥٩} يؤخر الكلام في العيبه^{٦٠} لمصلحة
 للكذب فإن^{٦١} المظ^{٦٢} فيها أطول^{٦٣} وهي عشر^{٦٤} من آفة

(٥) الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك

اعلم أن^١ أحسن أحوال^٢ أن يحفظ^٣ الفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها
 من العيبه^٤ والكذب^٥ طراء^٦ في لسان^٧ وغيره^٨ يمكنك^٩ بما هو مباح لا صرر^{١٠} فيه عليك^{١١} ولا
 على مسلم^{١٢} فضلاً^{١٣} لا أت^{١٤} يمكنك^{١٥} ثم أت^{١٦} مسرع^{١٧} عند^{١٨} لا حاجة^{١٩} بك إليه^{٢٠} فثبت^{٢١}
 تصنع^{٢٢} وما يثبت^{٢٣} وتحتاج^{٢٤} عني^{٢٥} عند^{٢٦} لسان^{٢٧} وتستدل^{٢٨} الذي هو أدنى^{٢٩} الذي هو خير
 لا يثبت^{٣٠} لو صرف^{٣١} من الكلام^{٣٢} إلى التفكير^{٣٣} ربما كان^{٣٤} يفتح^{٣٥} لك من^{٣٦} بحسب^{٣٧} وجه الله
 عند^{٣٨} التفكير^{٣٩} ما يعظم^{٤٠} حدود^{٤١} إد^{٤٢} وقلبك^{٤٣} الله^{٤٤} ستحبه^{٤٥} وذكرته^{٤٦} لكان^{٤٧} حراً^{٤٨} لك^{٤٩} فكمن^{٥٠}
 كلمة^{٥١} يسي^{٥٢} بها^{٥٣} فضر^{٥٤} في الحجة^{٥٥} من^{٥٦} قد على^{٥٧} أن^{٥٨} يأخذ^{٥٩} كراً^{٦٠} من^{٦١} الكبور^{٦٢} فأخذ^{٦٣} سله

مددة لا يتنعم بها كان حسراً حسراً ميبناً ، وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل
بما يحل لا يعيبه فإنه وإن لم يأتهم فقد حسر من حيث فاتته الربح العظيم بذكر الله
فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكراً ونظرة إلا اعتذاراً وبطقة إلا ذكرًا ، هكذا قاله
السيوطي (١) ، بن رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعيبه ولم يدخر
بها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال السيوطي (٢) « من حسن إسلام
المسلم تركه ما لا يعيبه » (٣) بل ورد ما هو أشد من هذا

قال أسد استشهد علامٌ منّا يوم أحد ووجدنا على بطنه صخره مربوطة من
الجوع فمسحت أمة التراب عن وجهه وقالت هبناً لك لحنة يا سيدي ، فقال
السيوطي (٤) وما يدريك لعلك كان يتكلم بما لا يعيبه ويمسح ما لا يضره » (٥)

وفي حديث آخر « أن النبي ﷺ فقد كعباً فسل عنه فعلموا مريض فخرج
يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمة هبناً لك الحنة
يا كعب فقال ﷺ من هذه المنألية (٦) على الله قال هي أمتي يا رسول الله قل وما يدريك
يد ، ثم كعب لعل كعباً قال ما لا يعيبه أو مسح ما لا يفسد » (٧) وبعاء أنه إنما تنهت
الحنة من لا يحاسب ومن يتكلم فيما لا يعيبه حوسب عليه وإن كان كلامه مباحاً
فلا تنهت له الحنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب .

(١) قال لمراقى لم أجده أصلاً . لكن رواه الكشي في الكافي ج ٢ ص ٢٣٧ في حديث
من الصادق من السيوطي عليه وآله « أن أولياء الله سكنوا فكان سكوتهم ذكراً ،
ونظروا فكان نظريهم عسرة ، وطفوا فكان طفقهم حكمة ، ومشوا فكان مشيهم بين الناس
بركة الحديث »

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٩٧٦ .

(٣) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ١٩٦ وقال : هذا حديث غريب وفيه « ملعبه تكلم
فيما لا يعيبه أو يغفل ما لا ينقصه » ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلعبه البصير

(٤) أي لعابك على الله التي يلعب به ، من الآلية أي التيسر ، يقال آلى يولي بلاه
وتألى يتألى تألياً

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث كعب بن عجرة . ناسد جيد إلا أن
الظاهر انقطاعه بين صحابي وبين الراوي عنه كفاي المعنى

و عن محمد بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « إنَّ أوَّلَ من يدخل من هذا الباب رجلٌ من أهل الجنة فدخل رجلٌ اسمه عبدالله بن سلام فقام إليه ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فأحروه يداك وقلوا أحربنا بأوثق عملت في نفسك تر حوبه ، فقال إني لصعب و إنَّ أوثق ما أرحوبه الله سلامة الصدر وترك مالا يعينني^(١)

و قال أنودر . رضي الله عنه . قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ، ثقیل في الميزان ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قل . هو الصمت و حسن الخلق وترك مالا يعينك »^(٢) .

و قال مجاهد . سمعت ابن عباس يقول حمسٌ لهنَّ أحسن من الذُّهم^(٣) الموقفة . لا تتكلَّم فيما لا يعينك فإنَّه فضل ، ولا آمن عليك الورر ، ولا تتكلَّم فيما يعينك^(٤) حتَّى تحدله موضعاً ، فإنَّه ربُّ منكلَّم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه ففتن^(٥) ، ولا تمار حليماً ولا سعيهاً فإنَّ الحليم يقلبك^(٦) بصمته ، و إنَّ السَّعيه يؤذيك بمطقة ، و ادكر أحاك إذا تعبت عاك بما تحبُّ أن يدكرُك به إذا عت عنه ، وأعصه بما تحبُّ أن يعينك منه ، واعمل عمل رجل يرى أنَّه معاذي بلا حسان

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت كتابي النسي .

(٢) دو . الرارو الطراي و ابو جلي دون قوله « وترك مالا يعينك » والبيهقي في الشعب معه . كتابي الترغيب ج ٣ ص ٥٢٣ .

(٣) أي العدد الكثير من التوق الواقعة بقاء وترقاً وسعيها

(٤) كذا ، و معناه اذا تعادلت في مهام امورك فأصب البرمي واسع من الاجادة واحتر الموقع الذي ينجهك .

(٥) في بعض المصادر « سب » موضع « فتن » و في بعض « سب » و قوله « ولا تمار » أي لا يجاد ولا تغاصم وصلاح الدين الصدي

ولا تمار سعيها في معاورة

ولا يبرك من سدو شاخت

(٦) أي ينصك ويكرهك .

مأخوذٌ بِلَا حرامٍ

و قيل بلغنا الحكيم ما حكمتك قال لأستل عما كُفِبَ ولا أتكلّف ما لا

يعبني

وقال امورو، لعجلي أمرأنا في طلبة مبعشرين سهلم، فقد علمه وليس ببارك

طلبه، قالوا وما هو، قال التمس عما لا يعبني

وقال آخر لا تعزّ من لما لا يعيت، واعتزل عدوك، واحذر صدقك من انهم

إلا الأمل والأمل لا ير يحشى الله ولا يصحب الفاجر فتعلم من فحو، ولا تطعمه على

سرك وستر في أمرك الذين يحشون الله تعالى، وحذر ما لا يعيت أن سكتكم ما هو

سكت عنه لم تأثم، لم تنصّر في جدل، ومآل، مثالب أن تجلس مع قوم فتجكي معهم

أسفارك وما أيت فيهم من حيل وأب روم ووقع لك من لوفائع وما استحسنه من

لا طعمة ولثيب وما يعجب منه من مشايخ البلاد، وفيهم، فهداه أمور لو سكت

عنه، لم تأثم ولم تنصّر، إرا دلت في الاحماد حتى لم يمرح بحكايتك زياده ولا

يفض ولا يركبه نفس من حدث الفاجر بمشاهدة لأحوال اعظمه، لا اعتبار لشخص

ولامدته شيء، فما حله الله فإت مع ذلك كله مصنع زمانك فأتى سلم من الآف

التي ذكرها، ومن حلهما أن تسأل عنك عما لا يعيت وأب بالسؤال مصيبره فنت

وقد ألحاح أيضاً صاحب الحوائج إلى التصنع هذا إذا كان الشيء مما لا يتقرق إلى

السؤال عنه، وكثير الأسوله في آفات فإت تسأل عنك مثلاً عن عبادته

فتقول هل أنت صائم، فإن قال نعم، كل مطهر أعدته فيدخل عليه أرباب، وإن

لم يدخل سقط عبادته من ديوان عبادته السر، وعنده السر تفصل عبادته الحبر

بدرجات، وإن قال لا، كل كاداً، وإن سكت كان مسحوراً إيتاك وتأديت به،

وإن حذل لمدافعة الحوائج اقم إلى حيد، بعد عنه فقد عرّضته بالسؤال إما

لزياده أو الكذب أو للاستحجار أو للتعجب في حيلة الدفع، وكذلك سؤالك عن سائر

عبادته، وكذلك سؤالك عن كل ما يحبه ويستحي منه، وسؤالك عما يحدث

به غيرة فتقول ما تقول وفيه أفت ، وكذا ترى بسبب في الطريق فتقول من أين ورثت ، يسمع مسمع من ذكره ، وإن ذكره تادى واستحي وإن لم يصدق وقع في كذب وكذب استب فيه ، وكذا تسأل عن مسئلة لأحاجة بث إليها فاستول ما لا يسمع نفسه بأن يقول لأدري فيجيب عن غيره وليس أعني بالشككم رسالا يعني هذه لأحس فإن هذا ينظر في له إثم وأضرار ، ثم مثل ما لا يعني ما يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يروي لأدري ثم يكره رهاضه ثم يفعل يتعجب ثم يرى بأن يسأله عن ذلك فيسببه الحكمة ، فمستأ عنه ولم يسأله ومثله ورع فم لا يسمع فقال نعم بذكره للحرب قول لقمان لأصم حكيم وقيل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستعفى عن سؤاله ، وفيه كان فيتردد في سببه وهو يريد أن يعلم ذلك ، ثم يسأل فهذا وأمثاله من لأسوءة إلا لم يكن فيه صبر ، وفتش سره و يورط في رياء ، كذب فيه ، لا يعني و من كذب من حسن لأسلام

فهذا حذره ، وما سمعه أنبأه عليه ، جرم من عني معرفة ما لا أحاجة به إليه أو أساسا على سبيل التودد ، و ترحيه الوهب بحكايات أحوال لأفائدة فيه وعلاج ذلك كله أن يعلم أن أدب من يدينه و أنه مسئول عن كثر كلامه ، وأن نفسه رأس ماله ، وأن لسانه شجرة يثمر على أن يمتنع من الجور من فاهمه له ويصيبه حسرا ، هذا علاجه من حجب العلم ، و تعالجه من حيث العمل والعزلة وإن يصعب في فيه حجر أو أن يدرم نفسه السكوب من بعض ما يسمعه فتعود أن تنس نرك ما لا يفيقه ، ووسط اللسان في هذا على غير العمل شدة ، حذره

﴿ الآفة الثانية فصول الكلام ﴾

هو أيضاً مذموم وهذا تنبيه الخوص في ما لا يعني والزيادة في ما يعني على قدر الحاجة ، فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه و يقرره و يكرره و مهما تادى مقصوده بكلمة واحدة وذكر كلمتين فثابته فضول أي فصل على الحاجة وهو أيضاً مذموم لما سبق ، وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر ،

و قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قلبكم كابوا بكم هون فصول الكلام و كابوا بعدون فصول الكلام ماعد، كتب الله تعالى ستة رسول الله ﷺ أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو طعناً بحديث في معشرك التي لا بد لك منهم أتذكرون أن عليكم حافظين كره أمأ كانس ، عن البهي و عن الشمال فعيد ما يلعظ من قول إلا يديه رقيب غنيد ، أما يستحي أحدكم أن لو بشرت عليه صحفه التي أملاها صدره بهاره كان أكثر ما فيها لرس من أمر دينه ولا دنياه ، و عن بعض الصحابة أنه قال إن من أجل بكتلمي ، الكلام بحوره أشهى إلي من الماء الدرد على الطمآن فأترك جوابه جميعه أن يكون فصولاً ، و قال مطرف ليعظم حلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحصار ، اللهم ارحمه

وأعلم أن فصول الكلام لا يحصر بدليلهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تبارك و تعالى : لا خير في كثير من نجوهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ، (١)

و قد قال ^{طوبى لمن} ^{أفست} ^{العقل} ^{من لسانه} و أنفق الفصل من ماله ، (٢) فانظر كيف فلت الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فصل المال و أطلقوا فصل اللسان

و عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر فقالوا : أنت ولدنا ، وأنت سيدنا ، وأنت أفضلنا علينا فصلاً وأنت طولنا علينا طولاً ، وأنت الحفنة العرنا ، وأنت وأنت ، فصل : قولوا قولكم ولا يستهويكم الشيطان ، (٣) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق في الشاء ولو بالصدق فحشى أن يستهويه الشيطان إلى الريادة المستعنى عنها

و قال ابن مسعود أنشدكم فصول الكلام فحسب امرئ ما بلغ به حاجته

(١) النساء ١١٣ .

(٢) رواه ابن شعبة في الحب من ٣٠ مرسلاً و البيهقي عن ركب المصري كما في

الدر المنثور ج ٢ من ٢٢١ بتعوه .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصيغ كما في المغني .

و عن محمد قال إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل يسكب ابنه فيقول له : سأبتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذبة

أقول قدحاً من طريق العاصم الرحصي في مثل هذه الكذبة ^(١)

قال وقال الحسن يا ابن آدم سطت لك صحيفة و كل بها ملكان كريمان يكتمان عملك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل

و روي أن سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عقاريته و بعث نهرأ يظنرون ما يقول و يحسرونه قال فأحسروه أنه مر على السوق رافعاً رأسه إلى السماء ثم نظر إلى لباس و حر رأسه ، فساءله سليمان فقال عجب من الملائكة على رؤس الناس ما أسرع ما يكتنون و من أقدس أسفلهم ما أسرع ما يملون و قال إبراهيم النخعي : المؤمن من إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له حياءً تكلم و لا أمك ، و العاقر إنما يرسل لسانه رسلاً رسلاً

و قال عمرو بن دينار : تكلمم رجل عبد السي ^{بالحسن} فأكثر فقال النبي ^ﷺ وكم دون لسانك من باب فقال شعابي وأساني قال أما كان في ذلك ما يرد كلامك ^(٢)

و في روايه أخرى أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال : « ما أوتي رجل شراً من فضل في لسان »

و قال بعض الحكماء : إذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسك و إن كان ساكناً فاعجبه السكون فليتكلم

و قال يريد من أبي حنبل من فنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ، و إن وجد من يكفيه فلا يتكلم فإن في الاستماع سلامة و في الكلام بريق

(١) روى الكشي في الكافي ج ٢ ص ٢٤٢ تحت رقم ١٨ حديثاً عن الصادق ^{عليه السلام} قال كل كذب مسئول عنه صاحبه يوماً إلا في ثلاثة : رجل كاذب في حربه فهو موضوع عنه ، أو رجل أصلح ، أو اثنين يلقي هذا سير ما يلقي به هذا يريد بذلك الإصلاح ما بينهما ، أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في العترة مرسل كما في المعنى

و زياده و نقصان .

و أى أبو لد ، مرأه سليطة اللسان فقال لو كانت هذه حرساء لكل خير أ لها .

و قال إلههم بهلك أساس في حطش فصول المال و فصول الكلام أي مالا يعنيه

فهذه ميمه كثيره الكلام و فصوله و سنده الساعث عليه و علاجه ما سبق في كلام فيما لا يعنى .

*) الآفة الثالثة الخوض في الباطل *

و هو الكلام في المعاصي كحكايات أحوال النساء و محالهن الحمر و مقامات الفساق و سقم الأعصاب ، و تحقير الملوك ، و مراسيم المدعومة و حلولهم لمكرهه فان كدر ريت ثم لا حل الخوض فيه فهذا حرام و أمم الكلام فيما لا يعنى أو أكثر ثم يعنى فهو راء الأولى ولا يحريم فيه ، نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى فلا بد من أن يعتد عليه الخوض في الباطل ، أكثر الناس يتجاسسون للتفرح بالحديث ولا يعدو كلامهم لتعكك نغراس الناس أو الخوض في الباطل ، وأنواع الباطل لا يمكن أن نحصى لكثرتها ، بعضها فذلك لا يخلص منه إلا بالاعتذار على ما يعنى من مهمات الدن و الدنسا و في هذا الخوض يقع من لكلمه ما تهلك صاحبها و هو مستحق قرأ لها .

و قد قال بلال بن الحارث قال رسول الله ﷺ و إن الرجل ليرحل ليتكلم بالكلمه من رصوان الله فيطرد أسب سلع به ما يلعب فيكتب الله له به رصوانه إلى يوم القيامة ، و إن الرجل ليرحل ليتكلم بالكلمه من سخط الله فيطرد أسب سلع به ما يلعب فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة ، قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منع به حديث بلال بن الحارث (١) .

(١) أخرجه ابن ماجه في حديثه تحت رقم ٣٩٦٩ من حديث علقمة بن وقاص قال سمعت

بلال بن حارث لمرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعديث ، وأخرجه أحمد ج ٣ ص ٤٦٩ أيضاً .

و قال النبي ﷺ « إنَّ لِرَجُلٍ لِيْنَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَصْحَبُ بِهَا حِلْسُهُ يَهْوِي بِهَا أُنْعَدُ مِنَ الثَّرِيَّا » (١)

و قال النبي ﷺ « عَظُمَ النَّاسُ حَظِيًّا بِمِ الْفُتَاةِ أَكْثَرُ هُمْ خَوْضًا فِي لِسَانٍ » و يند الإشارة بقوله تعالى « كُنَّا نَحْوُسُ مِنْ لِحَائِنٍ » (٢) و يقوله « فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى جُوزُوا فِي حَدِيثِ عِيَرِهِ » (٣)

و قال سفيان الثوري « أَكْثَرُ النَّاسِ دُونَ يَوْمِ الْفُتَاةِ أَكْثَرُ هُمْ كَلَامًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ »
و قال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول توتوا أو فاني بعض ما يقولون شر من الحدث ، هذا هو الحوس في الباطل و هو ذر ، و سيأتي من العيبة والعمى والعش و غيرها بل هو الحوس في ذكر محظورات سبق وجودها أو ذكر في الوصول إليها من غير حاجه دعتة إلى كره و يدخل فيه أيضاً الحوس في حكايات الذم و ابداهب الفاسد و بل لحديث في ذلك كله حوس في الباطل .

☆ (الآفة الرابعة المراء والمجادلة) ☆

و ذلك ممبى عنه فقد قال النبي ﷺ « لَا تَمْرُ حَاكٌ ، وَلَا يَمْرُ حَاكٌ ، وَلَا مَعْدٌ مَوْعِدٌ فَتَحْلِفُهُ » (١)

و قال النبي ﷺ « دَرَدُوا أَمْرًا فِي تَهْ لَا يَمْرُ حَكْمَتُهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ فِتْنَتُهُ » (٢)

(١) أخرجه العمري في لمصاييح ج ٢ ص ١٥٣ نحوه و بن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن كما في المتن .

(٢) اسنود ج ٤٥

(٣) السام ١٣٩ و أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود كما في الدر مشهور

ج ٢ ص ٢٢٢

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد عنه رضي الله عنه كما في لدر اسنود ج ٢

ص ٢٢١ .

(٥) أخرجه الرمى ج ٨ ص ١٦٠ وقال هذا حديث حسن عرب

(٦) أخرجه ابن الدنيا في الصب موقوفاً على ابن مسعود كما في المعنى

و قال عليه السلام : « من ترك المرأ ، وهو محقٌ بي له سب في أعلى الجنة ، ومن ترك المرأ ، وهو مبطلٌ بي له سب في دس الجنة » ^(١)

و عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما عهد إلي ربي و بهمني عنه عبادة الأوثان و شرب الخمر و ملاحاة الرجال » ^(٢)
و قال عليه السلام أيضاً : « مصلٌ قومٌ بعد هدى إلا ألبوا الحدل » ^(٣)

و قال عليه السلام أيضاً : « لا يستكمل عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يدع المرأ ، والحدل و يركن محققاً » ^(٤)

و قال عليه السلام أيضاً : « سبٌ من كنٌ فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف ، و صرت أعده ، الله بالسيف ، و تعجيل الصلاة في يوم الدُّحى ، و الصبر على المصائب ، و إسراع الوضوء على الملأ ، و ترك المرأ ، وهو صادق » ^(٥)
و قال لعمران لابنه : « يا بني لا تحاول العلماء فمفتوك »

و قال بلال بن أبي سعيد : إذا رأيت الرجل حل لحوماً ماريّاً معصاً برأيه فقد بعثت حمارته .

و قال أبو الدرداء : كفى بك إثماً أن لا تزال ماريّاً

و قال عيسى عليه السلام : « من كثر كذبه ذهب حاله ، و من لاحى برّ حال سقط مروته ، و من كثر همّه سقم جسمه ، و من ساء خلقه عذب نفسه »

و قيل لميمون بن مهران : مالك لا تفارق أحاً لك عن قلبك فقال : لأنني لا أشاركه ولا أماريه ، و ما ورد في دم الحدال والمرأ كثير

(١) أخرجه الترمذى ج ٨ ص ١٥٩ و قد تقدم .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقى والطبرانى سند ضعيف كما في المعنى و مجمع

الزوائد ج ١ ص ١٥٦

(٣) أخرجه ابن ماجه بحت رقم ٤٨ من حديث ابن أبي أمامة و أحمد ج ٥ ص ٢٥٢

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت سند ضعيف كما في المعنى

(٥) أخرجه الطبرانى في الكبير عن أبي مالك الاشعري سند ضعيف كما في

الجامع الصغير

و قال يبيح و كعب كان لحد كعب و امة حة لمر ، هو كل اشخاص
 على كلام العبر بطب حبل عند في اللط و في السعي و ما في قصد سكتكم .
 و ان ادبراء بك لا تكار و الاخر من فكل كلام سمعه في كان حمة قصد في
 و ان كان بطلا ولم يكن معلقاً ب امور لذات و سكت عنه ، و الطعن في كلام
 بعد و به يكون في بعض بطب . حبل فممن حبه لحو أو من حبه للغة أو له لغة .
 و من حبه لضم و ترنس سو ، عديم و ناخر ، و ذلك مرة يكون من قصو . امعرفه
 و انه يكون بطعن للسان و كيف كان و لا حة لاصح حبله و أم في المعنى بل
 سون ليس كما هو و قد اخطأت فيه لكدة كذا : و أم في قصده مثل أن يقول
 عند الكلام حق ولكن لمر قصدك منه الحق : و إنما كب وقد صاحب عرس و
 في حجر و هذا الحسن بل حري في مسئلة علمية . ثم حسن باسم اجدل و هو
 إنما مدموم بل الواجب لتكوب سه أو السؤل في معرض الاستمدة لأعلى صيغة
 ساد و المكاره أو انلط في المعية . لا في معرض اطمن فائمه المجدد بمره عن
 السد فحرم العبر و تعخير و . سمعته من حبه العدي في كالأمة . سمة إلى اعتبار
 العدي فيه . آية داب أن يكون سببه للحق من حبه حري مك . و هو عند لجدل .
 من بحث أن يكون هو اصدبر له حدة لست به فصل بقصه و بقص صاحبه و لا حة
 من هذا لاد لتكوت عن كد مالا يأنم به لو سكت ، و أم لاعت على هذا هو الترفع
 باصهار الفصل و له يتم على العبر باظهار بقصه و هما شهوان بطنان للمفس و بيان ،
 و ثم يظهر الفصل فهو من تركه العبر و هي من مقتضى في العبد من طعين
 عوى العلو و لكرياء و هي من صفات بر توبية ، و أم بقص الآخر من مقتضى
 مع لسعته في تد يصفي أن يمر في عر . و يتعمد و يتعمد و يؤديه و هانان صفات
 عموقت مهلكات . بما قوتهم بالمر ، و اجدال فادواطب عليهما عفو لهده
 الصفا المهلكه و هو محذور حد الكراعية ، بل هو معصية مهم حصل فيه يدا
 العبر و لا نعت الممرء عن الإيداء و نهيج العصب و حل المعترض عليه على أن

يعود فيصير كلامه جافاً مكسداً حتى أنه يدخل في باب من فتنه بكلامه فتشوقه به
فتشوقه بشاخرين لمعاريض كما تشوقه بمرشدين بكلمات يفهم كل شيء حدهم
بعضهم حدهم هو عظم بكائه وأفدى في وجهه من حاميته وأما الواحد فأنه
يكسر الكبر له على غيره فبعضه المستعبد له على بعضه كما
سأني ذلك في كتابي الكبر والعجب في كبره دم بعضه ويرى علاج كل علة
بأحد سبب وسبب المراءى في كبره ثم المواطنه عايد يجعله عده في طبعه حتى
يتمكن من النفس وبعد الحذر عنه وقد دأب الطائي في كبره الأبرار
قال لأحاهد نفسي في الجدل ففعل الحذر لمحاسن وأمع ما في ولا تشكلم
ول فعلت ذلك فما دأب في هذه أشد عليّ من هذا هو كبره قال لا يسمع
من غيره خطأ وهو قد عليّ ثم بعد بعض علة الحذر منه جداً في ذلك قال رسول
الله ﷺ «من ترك المراءى هو حق في له يرب في عليّ الحذر» أشد ذلك
عليّ النفس وأكثر ما فعلت ذلك في أمده والعائد في أمده طبع في دأب
أن له عليه ثواباً أشد عنه في صفة بعد الطبع في لشرع عليه وذلك جداً محض
بل يسعى للإسبال أن يكسب لسانه عن أهل الصلة وإذا رأى متدعياً بلطف في صفة
على حله لا بطريق المحادلة في المحادلة يحذر إسه آتة حيلة منه في تلبس
وإن ذلك صنعة بعد المحادلة من أهل منحه على أمثالها لو أنه قد استمر السعة
في قلبه بالجدل وتناكد في دأب في الصبح لا يسمع أشد نفسه في كبره قال رسول
الله ﷺ «رحم الله من كذب لسانه عن أهل الصلة إلا بأحسن ما يصدق عليه»
قال هشام بن عروة كان ثعلبة يردد قوله هذا سبع مراراً

و كل من يعود المحادلة مدته وأثنى الناس عليه لنفسه سبب عراً في قولاً
قويب فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نردعاً إذا اجتمع عليه سلطان الكبر والعصب
والرياء وحب العاه والعرور بالفضل وأحد هذه العصب تشوق محادثتها فكيف
بمجموعها

(١) أخرجه من أبي لبيب بن سعد ضعيف ورواه أبو منصور الدمشقي في مسند
لقدوس من حديث هشام بن عروة عن عائشة نحوه وهو معطوف وضعف جداً كما في المعنى

٥ (الآفة الخامسة الحصومة) ٥

وهي أيضاً مدمومة وهي وراء المرء والحدال ، وأمرأه ضعيف في كلام العير
بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير العير وإظهار مرئيه لكفاية
والحدال عارمه عن مرأه بتعلق مطهر المداهاة وتقديرها والحصومة يحتاج في
الكلام ليستوي به ملأ وحوقه مقصود وذلك دونه يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً
وأمرأه لا يكون إلا اعتراضاً على كلام سبق وقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ
« إن بعض الرجال حال إلى الله ألا لدل لخدمه »^(١)

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « من حادل في حصومه بعير علم به
يرى في سخط الله حتى يبرء »^(٢)

وقال بعضهم : إياك والحصومة فإنها تمحق الدين ويقال ما حاصم قط
ورع في الدين وقال ابن قتيبة مررت ببشر بن عبد الله بن أبي بكر وقال ما حاصمك ؟
فقلت حصومه ببني وبني بن عم لي فقال إن لأبيك عسدي يد وإني أريد أن
أخبريك بـ وبني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ، لا أفتن للمروءة ولا أصيب
لمدته ، ولا أشعل للقلب من الحصومه ، قال ففهم لأجمع فقال حصمي مالك ؟
قلت لا أحرصك أبداً ، قال عرف أنه حقني قال لا أكرمي أكرمي نفسي عن
هذا قال وبني لأطلب منك شيئاً هو لك .

فإن قلت قد كان للإمام الحق فلا بد أنه من لخصومه في طلبه وفي حفظه
مهما طلبه طالما فكيف يكون حكمه وكتب بدم حصومه ؟ فاعلم أن هذا لدم
بشأن الذي يحاصم بإساطل والذي يحاصم بالحق بعير عام مشوكيل لغاصي فإنه
قد أن يعرف أن الحق في أي جانب هو بشوكل في الحصومه من أي جانب هي تكون
فيحاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ، لكنه لا يقتدر على فقد الحاجة

(١) أخرجه وكيع وحيد والبخاري ومسلم والترمذي والحاقي وابن مردويه و

اسبق في لشعب عنها عن أبي حمزة عن أبيه في الدر المنثور ج ١ ص ٢٣٩

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في دمه العير عن أبي هريرة بسند حسن كما في الجامع الصغير

بل يجرى اللد في الحصومة على قصد التسلط أو على قصد لا بد ، ، يقول ، الذي
 يصرح بالحصومة كلمة مؤدية لسبب يحتاج إليه في تلك الحالة ، إظهار الحق
 ، يقول ، الذي يحمل على الحصومة محض العناد لقب الحصوم و كذا مع أنه قد
 يستخرج ذلك بعد من أن من اللسان من يصرح به فيقول ، واما قصدي عند
 وكسر عرصه وإتيي بها أحب منه هذا لئلا يفسد في لسان ولا يأتي ، وفيه مضمونه
 اللدود و الحاجة ، وهو مضموم حذرا ، أما مظلوم الذي يصرح بحجته بطريق اسرع
 من غير لدود و سراف و رده على الحاجة ، و من غير قصد عدا و إيراد ، فعمدة لسبب
 محرم ولكن الأولى ، كلفه و حذرا إلى سبب ، فإن سقط اللسان في الحصومة على
 حذرا الاعتدال متعذرا ، و الحصومة بعد لسان و يبيح لعصب ، ، و إذا حاج لعصب سبب
 اشتراك فيه و بقي الجعد بين أصحابه حتى يصرح كل واحد بمسألة له حجة
 ويحرج مسأله و يطلق لسان في عرصه ، فمن استدل بالحصومة و قد عرفت أن لهذه
 المحذورات و أقل ما فيه شوش خاطره حتى أنه في صلاته يشتمل بمحاجة حصمه
 فلا يبقى الأمر على حذرا الواجب ، فالحصومة مبدأ كل شر و كذا ، الجدل
 و اسراء فيسعي أن لا يفتح له إلا لضرورة و عند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان
 و القلب عن تعاب الحصومة ، و ذلك متعذرا حذرا ، فمن اقتصر على لواحق في
 حصومته سلم عن الإثم ، و لا تدم حصومه إلا أنه إن كان مستعيا عن الحصومة فيه
 لأن معه ما يكميه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما ، نعم أقل ما يعوته في
 الحصومة والمرء والجدال طيب الكلام و ما ورد فيه من الثواب بأقل درجات طيب
 الكلام إظهار الموافقة و لا حشونة في الكلام عظم من الطعن و الاعتراض الذي حاصله
 إما تحبيب و إما تنكيد فإن من حادل غيره أو مراه أو حاصمه فقد جهله أو كذبه
 فيقوت به طيب الكلام .

وقد قال رسول الله ﷺ : «يَمَكِّنْكُمْ مِنَ الْحَيَّةِ طَيْبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعْمِ»^١

(١) قال العرفي أخرجه الطبراني من حديث عماره من لا أعرفه وله من حديث

هاني ابن شريح سناد جيد و يوجب الحجة طعام الطعام ، وحسن الكلام »

وقد قال تعالى «وقولوا للناس حسناً»^(١)

«قال بن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان محوسباً لأن الله تعالى يقول «وإذا حبيتهم بنجدة فجدوا بأحسن منها أو ردوها»^(٢). وقال أيضاً لو قال لي فرعون حر لرددت عليه وقال أس قال رسول الله ﷺ «إن في أحسنه عرفاً يرى طهره من بطنها» بطنها من طهرها أعدها الله تعالى من أطعم الطعام وأطاب الكلام»^(٣).

و روي أن عيسى عليه السلام مر به حزين فقال مر بسلام ، فقيل يا روح الله نقول هذا للحزين ، فقال أكرمه أن أعود لسامي الشر

وقال سيبويه عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة»^(٤)

وقال عليه السلام «تبعوا النار ولو بشوكة تمر» فإن لم تكن فكلمة طيبة»^(٥)

وقيل المرء شي هيس وجهه طليق ، وكلامه لين .

وقال بعض الحكماء كل كلام لا يحيط بك إلا أنك ترضى به حلوسك فلا

كان به عليه دجياً فلعنه يعقوب بن عتبة من ثواب المحسنين

«قل بعض الحكماء . الكلام اللين يعمل الصغائر المستكسفة في الجوارح ،

« وهذا كله في فصل الكلام الطيب وصادرة الخصومة والمرأ واللجاج والجدال

في منه الكلام المستنكر الموحش المؤذي للقلب المعص للامش ، المبهتج للمص ،

الموعر للصد

❖ (الافه المادهة) ❖

استغفر في الكلام بالتشديق وتكلف لسجع والعصاحة وانصنع فيه بالتشبهات

و بالمعذات و ما حرت به عادة المتعاصحين المدع عن الخطابه و كل ذلك من النصنع

(١) الفرة : ٨٣ . (٢) النساء : ٨٦ .

(٣) أخرجه الترمذي ح ١٠ ص ٥ من حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي (ص)

(٤) أخرجه مسلم ح ٣ ص ٨٣ في حديث عن أبي هريرة

(٥) أخرجه البخاري ح ٨ ص ١٤ من حديث عيسى بن خنيس .

المنعوم من التكلف . معناه الذي قال فيه رسول الله ﷺ «أدوا لأتباعه من أمتي
دراهم من التكلف» .

وقال ﷺ «رب أنعمكم أي» أعدكم منى مجلساً للثرثارين المتعيقين
المتشدقون» .

وقالت قدامة عيني «ول رسول الله ﷺ «شرار أمتي أندس عدو» ولعمري
يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام» (٣) .

وقال ﷺ «ألهلك المتنتظون ثلاث مريب» . «أ» والتنتظع هو التعمق
والاستفهام .

«هدأ أمتي من» . «اللسان ويدخل فيه أيضاً كمن» . «سجع متكلف» . «وكذلك
لعمري» . «البحر» . «خرج» . «المد» . «لأن» . «تكلف السجع في» . «البحر» . «وربما» . «يدفع» . «رسول الله
ﷺ» . «نحو» . «البحر» . «في» . «بعض قوم» . «إيجائي» . «كيف» . «يدي» . «من» . «لاشرب» . «لاأكل» . «ولاصحح
ولاستهل» . «مثل» . «أث بطل» . «فصل» . «رسول الله ﷺ» . «أسجعا» . «كسجع الكهان» . «
فأنكر» . «الأن» . «التكلف» . «لمصنع» . «بني علي» . «فبعضي» . «أن يعتبر» . «في كل» . «شيء» . «
على» . «عصمه» . «ومعصومه» . «لكلام» . «اتبعهم» . «بغير» . «فماور» . «ذلك» . «تصنع» . «منعوم» . «ولا يدخل
في هذا» . «تحسين» . «الخط» . «الحديثة» . «وانتد» . «كم من» . «إفراط» . «وإغراب» . «لأن» . «المقصود» . «مبهما» . «
بحريك العلم» . «و» . «سوءها» . «فصل» . «بسطها» . «ورشاقة» . «اللفظ» . «تأثر» . «فيه» . «هو» . «لائق» . «» .

(١) أخرجه الدمشقي وابن عسار عن الرسائل لسي حنبل عليه وآله . قال «أبى
لأبى من التكلف وصاحبوا أمتي» . أخرجه المشور ح ٥ من ٣٢١

(٢) أخرجه البيهقي ح ٨ من ١٧٥ ، وتقدم ح ٣ من ٨٦ . وفي نهاية هم الذين
يكثر الكلام بكفاً وحروفاً عن الحق والبررة كثرة الكلام وترديده .
(٣) تقدم أيضاً .

(٤) أخرجه مسلم ح ٨ من ٥٨ . وفي الووى المتظنون المتعيقون الدالون
المتجاوزين الحدود في أقوالهم وأفعالهم

(٥) أخرجه مسلم ح ٤ من ١١٠ . وفي قوله «على» من ودي يدي دية وقونه
«يصل» أي يهدر ولا يحسن ، يقال «صل دمه» «نصف الطاء» «داهدودمه» .

وأما المحذور الذي يجري في قصص الأحداث فلا يلق بها التسخيم والتسديد والاستعمال به من التكلف المذموم ولا يأت عليه إلا لضرورة وإظهار المصاحبة والتميز بالمرآة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويرجى عنه

❦ (الآفة السابعة الفحش والسب و بداعة اللسان) ❦

وهو عيب منه مذموم ومعه الاحتشام والتؤم. قال رسول الله ﷺ «إياكم والفحش فإنه لا يحب الفحش ولا السخيم»^(١)
وهو رسول الله ﷺ عن أن سب قتلى بدر من المشركين وقال «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يحسن إليهم شيء» ثم يقولون «يؤدون لأحباءنا من الدنيا يوم»^(٢)
وقال ﷺ «ليس المؤمن بالقصص ولا بالفحش ولا للدي»^(٣)
وقال ﷺ «أجده حرم على كل فحش أن يحدث»^(٤)
وقال ﷺ «أبعد يؤدون أهل الله عني ما بهم من لأذى يسعون بين جحيم والجنة يسعون في جنة واشتد حل بسن فوجدوا بها فقالوا ما مال لأبعد قد أداما على ما من لأذى يسعون بين الأبعد كل دغل إلى كل كلمة في لغة حبيته فاستلذه كما يستلذه العرب»^(٥)

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٢ في حديث عن أبي هريرة وروى أحمد وأبو داود في الكتب من حديث أسماء بن عبد الله صلى الله عليه وآله يقول «إن الله لا يحب كل فحش مخش» ورجع صحيح الرواة - ٨ ص ٦٤
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي بن أبي حمزة عن علي بن عيسى عن سلام بن مسروق عن رجل من ثقات (المفتي)

(٣) أخرجه أحمد في المستدرک ج ١ ص ١٢ من حديث عبد الله بن مسعود وروى ج ٨ ص ١٤٩ وحده

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في السمت وروى في العدة من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب صحيح كما في الجامع الصغير

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث شعيب بن صالح وأحلف في صحبه فذكره أبو يعقوب في السمت وروى في السمت (المعنى)

وقال عليه السلام : « ما عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان حياً سوء » (١)

وقال عليه السلام : « البداء واليس شعثن من شعب النفاق » (٢) و يحتمل أن

يكون المراد بـ «البداء» كشف ما لا يحور كشفه ، و يحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف ، و يحتمل أيضاً البين في أعور الدّين في صفات الله تعالى فإن إلقاء ذلك محملاً إلى أسمع العوام أولى من المبالغة في بيانه إذ قد ينور من عديه أسان فيه شكوك و موبس ، و إذا أخلت بادرث القلوب إلى الفسول و لم يضطرب ولكن ذكره مبرراً بالبداء يشبه أن يكون المراد به انبعاثه بما يستحق الإنسان من بيانه فإن الأولى في مثله الإغماص والتعادل دون الكشف والبيان

وقال عليه السلام : « إن الله تعالى لا يحب الفاحش المتفحش » (٣) الصاحح الأسواني ، (٤)

وقال عليه السلام : « كسب حراماً عند رسول الله ﷺ وأني وأمي فقال عليه السلام : « إن الفحش و التفحش لهما من الإسلام في شيء ، و إن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً » (٥)

وهذه مدّة الفحش ، فأما حدّه وجمعته فهو يعبر عن الأمور المستفححة بالعلم به الصريحة و بحري أكثر دأب في ألقاط الوقاع وما يتعلّق به ، فإن لأهل الفساد عادات صريحة فاحشه يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتعاشون من التعرّض لها بل يبتعدون عنها ويدّلون عليها بالأمور و تذكر من ما يمار بها ويتعلّق بها قال من عتس إن الله حتى كرم يعفو و يكفي كمي بالتمس عن الجماع فالتمس و التمس و تدّحول والصحة كتابان عن الوقوع ليس بفاحشة و هذا كعبات فاحشة يستفهم ذكرها ويسمع أكثرها في الشتم و التغير و هذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها

(١) رواه الكشي في الكافي ج ٢ ص ٣٢٥ تحت رقم ١٢

(٢) أخرجه لرمدي ج ٨ ص ١٨٣ والعماد في لمسرك ج ١ ص ٩

(٣) أخرجه البخاري في الادب للمرد من حديث جابر بن عبد الله ك في الجامع

الصغير

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا وأحمد بإسناد صحيح كما في المعنى

أوحش من بعض ورثما حثلت بعده البلاد وأوائلها مكر وهمة و أواخرها محطورات
و بينهما درجيات بر ١٠٠ فيها وليس بعض هذا بالوقاع بل الكناية بعضا، ابحاحه عن
لبول : ليعود أولى عن لفظ التعوض و الحراء : غيرها ، و اب : هذا أيضا مما يحصى
فكل ما يحصى يستحصى منه فلا ينبغي أن يذكر ألقاه لصريحه و به فحش ولذلك
يستحسن في عادة الكتابة عن النساء فلا يقال : قلب رويح كذا بل يقال : قيل لي
الخجرة و قيل من وراء السبر كذا ، أو قلت أم لا ؟ لا كذا و التلطف في هذه الألفاظ
محمود و التصريح يعصي في المحش و كذلك من به عيوب يستحصى منه فلا ينبغي أن
يعبر عنه بصريح لفظها كاسر و الفرع و لواسير بل يقال لعرض الذي يشكوه
و ما يحري بمجرأ ، فالتصريح في ذلك داخل في المحش و جميع ذلك من آفات اللسان
و الماعت على المحش إما وصدا لا بداء ، وإما الاعتياد الحاصل من محالطة العساو
و أهل الحش و اللؤم و من عادتهم لست

و قال أعرابي رسول الله ﷺ أو صي فقال : عليك تنفوى الله و من امرؤ
عترك بشي يعلمه فبك فلا تغيره شي يعلمه فيه يكن و باله عليه و آخره لك ، ولا
تسر شيئا من خلق الله ، قال : فما سبب شيئا بعده^(١)
و قال عياض بن حم :^(٢) قلب يا رسول الله الرجل من قومي يستمي وهو
دوني هل علي من ناس أن أنصر عنه ؟ فقال : المتسابين شيطانان يتعاونان و
يتهاانان^(٣) .

و قال الطبري : المتسابين ماقالا فعلى لبادي حتى يعتدي المظلوم^(٤) .

(١) أخرجه أحمد والطبري بإسناد جيد من حديث أبي جري النخعي و قيل سمع
جابر بن سليم و قيل سليم بن جابر ، (الفتى)
(٢) بكر لعاء المبهلة و ضعف اليم المسمى الحاشي صحابي سكن البصرة وعاش
في حدود الخمسين .

(٣) أخرجه الطبري في مسنده من ١٤٦ تحت رقم ١٠٨٠ في حديث
(٤) أخرجه أحمد ج ٢ من ٥١٧ ورواه مسلم ج ٨ من ٢١ هكذا في نسخة ما قال
عني البادي ما لم يعتدي المظلوم .

وقال ﷺ « ما يؤمن فسوق وعاله كفر »^(١)

وقال ﷺ « ملعون من سب والده »^(٢)

وفي رواية « من أكرم الكفاة بن يسب الرجل والديه ، قالوا يا رسول الله

« كيف يسب ولده » فقال يسب الرجل يسب أبه فمسب الآخر أبه »^(٣)

أقول: ومن طريق الحاشية مروي في الكافي^(٤) عن أبي جعفر عليه السلام قال

« خرج رسول الله ﷺ بعد من الحمل فمر بعمر أبي أحيحة »^(٥) فقال أبو بكر

لعن الله « حب هذا لعن فوالله إن كان لصديق من سبيل الله ويكذب رسول الله ،

فقال حاتم بن عبد الله لعن الله أب قحافة فوالله ما كان يقري أصب ولا يعامل العدو »

ولعن الله فهو سماع على العتبة فعدا ، فألقى رسول الله ﷺ حطام^(٦) راحلته على عاتقها

ثم قال « أنتم سألتم أنشر كنس فقموا ولا تحسبوا ثم ووف وعرضت عليه الحيل

ثم سأل الحداث إلى أن ذكر طائفة لعنهم رسول الله ﷺ وعد منهم ومن لعن

أنويه ، قال فقال حل يا رسول الله ، أيوجد رجل يلعن أنويه فقال نعم يلعن

أبا أحيحة وأمهاتهم فلعنوا أنويه »^(٧)

أقول: ويدخل في قوله « ومن لعن أنويه » أبو بكر من أبي قحافة لأنه

لعن أبا أحيحة ولعن أمه أمه ومعلوم أنه من لعن رسول الله ﷺ لا يصلح مخالفة

(١) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٨ من حديث ابن مسعود

(٢) أخرجه أحمد ج ١ ص ٢١٧ هكذا « ملعون من سب أباه »

(٣) أخرجه مسلم ج ١ ص ٦٥ وفيه « من لكنا نرسم الرجل ولده » بعدت

(٤) المصدر ج ٨ ص ٧٠

(٥) نعم الهمزة والمهملين بينهما شدة خفيفة مصغرة يسمي بها ونكي

(٦) بالغاء المعجمة والغاء المهملة أي زملها

(٧) هذه من رواية عمرو بن شعيب ولا يصح حديثه لأنه ضعف حديثه ويروى حديثه في

كتب جابر الحمصي بسب بعض أهله والأمر مجلس كمال قال العياشي رحمه الله -

٥٥ (الآفة الثامنة اللعن اما لحبوان او لجماد او لاسان ٥٥)

وذلك ممنوع من النبي صلى الله عليه وسلم «المؤمن ليس ملعون»
 «قال جرير: «ولا لعن الله ولا يفضيه ولا يجهنم» (١).
 «وقال حديثه: «عدلا من قوم قط» إلا حق عليهم القول»
 «وقال عمران بن حصين: «سأول الله ﷻ في بعض أسفاره إذا امرأة من
 لأبصار على ما فعلها وصحرت منها فلعنت» وقال جرير: «لقد لعن الله عليها فأعزها وأهانا»
 «معه» قال: «فكأنني أرى تلك الناقة تمشي في الناس لا تعرف من لم لعنه» (٢).
 «وقال أبو الوليد: «للعن أحد الأسماء لا قالت لعن الله أعصم الله»
 «وقال جرير: «ن للعنة لا يكونوا شعرا» لا شهد، يوم لعنه» (٣).
 «وقال أسد: «كان رجل مع رسول الله ﷺ على بعض فلعن غيره فقال النبي
 ﷺ: «يا عبد الله لأسر معا عني بعض ملعون» (٤) قال ذلك بكاء عليه
 واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى ودينه عن حشر إلا على
 من يتصف بصفة من هذه من الله تعالى وهي الكفر في القول لعنه الله على
 المسلم وعلى الكافرين «يسعى أن يتسع فيه لفظ الشرع فإن في اللفظ خطراً
 عظيماً لأنه حكم على الله بأنه أعد ملعون، وذلك عيب لا يطع عليه عن الله ويطع
 عليه رسوله إذا طلع الله عليه والصفات لمغتصبة لللعن ثلاثة الكفر والسدعة والفسق
 وللعن في كل واحد ثلاث مرات الأولى اللعن بالوصف الأعم كقوله لعنه الله
 على الكافرين والمستدعة والمفسدة، والثاني اللعن بأوصاف تخص من كفولك

(١) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ١٤٩ في حديث «ليس مؤمن بالصغار ولا بالأسنان»

(٢) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٥ في اختلاف في لفظ

(٣) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢٣ في حديث عمران

(٤) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٥ ومسلم ج ٨ ص ٢٤

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وروى عنه بإسناد جيد في الرعب والترهيب

لعنه الله على اليهود والنصارى وللعنونة عني العذرة والحوارج وعلى الربدقة و
الظلمة والكر الرء " كل داح حير و لكن في لعن أصف اسدعة خطر لأن
معرفة لسدعة عاصبه وم يحى، فيه لفظ مأثور فسي أن يصع منه العوام لأن
ذلك يسدعي لعنونه بصلته بشر ذراعاً بين ساس وفداً، والثالث اللعن على
الشخص وهذا قد بط " كقولكريد لعنه الله " هو كافراً ذواً أو مستدعاً وللعنيل
فيه أن ك " شخص ثب لعنه شرعاً فيحور لعنه كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل
لعنه الله لأنه ثب أن هؤلاء عابوا على الكفر وعرف بث شرعاً وأما شخص بعينه
في رعب كقولكريد لعنه الله وهو يهودي ويد فيه خطر لأنه رعباً يسلم فيموت
معتزاً بعذابه فكيف يحكم بكونه ملعوناً

أقول: قد ثب عن أهل البيت عليهم السلام حوار لعن طائرين على أمير المؤمنين
عليه السلام عدواً له " لمستن حبه، رسول الله " وأو ديتاً ومن الأهم على ذلك
من أعوانهم وأيضاً هم لأشخاصهم أعداءهم " وما ثب عنهم عليهم السلام وقد ثب عن الله
وعن رسوله عليه السلام عدو و على هذا فقد ثب حوار لعنهم لأشخاصهم على ما
ذكره أبو حمزة، ثم قول قد ك " ذكر اللعن في الام الله سبحانه " كلام رسول
عليه السلام وكلام أهل البيت عليهم السلام وحده أو أنه من حبه العبادان اعترافاً إلى الله
سبحانه وأنه يحذر أن يسب إلى الشخص المعنى إذا عرف بكفر أو فاق أو فسق
قال الله سبحانه " أولئك عليهم لعنه الله " املائكة والناس أجمع " (١) وهذا في
معنى الأمر .

وقال عز وجل " أولئك يعلمهم الله ويعلمهم " (٢) وجعله الله وسيلة
إلى اثبات دعوى استهانة حجة عني الحددين له في المساهلة لمصارى بحران حيث
ول سبحانه " ثم سهل فجعل لعنه الله على الكافرين " (٣) ولذلك انقطعوا ولحاؤاً إلى
الصالح وبذل الحريه ولم يحدوا إلى تردد القول سيلاً وكذا اللعان بين الرء وحين

(٢) البقرة : ١٥٩ .

(١) البقرة : ١٦١ .

(٣) آل عمران ٦١

مستفظ للحدث عنهما : ووجه ليعني الدلدل حسد لا يسب إلى طامن أبدأ وربما
أعجب لحدث عني لم أره : ووجه من غير سوء ولا حسد : وقد روي أن النبي ﷺ
قال : « لعن الله من كذب ولو كان مخرجاً » : وروى في جواب أبي سفيان حين سئل
أنت بيت : « بلهم إني لأحس لشعبه » لا يعني لي التآهم المتدكل حروف : أنت بعد :
إلى غير ذلك

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه روي أنه ﷺ كان يقف في الصلاة
أهروجه بلعن معاوية وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : روي أن النبي ﷺ قال : « لعن الله
من كذب ولو كان مخرجاً » : ووجه من كذب ولو كان مخرجاً : فقد روي أنه ﷺ
أنته كل يرى معهم من أعرف لهم : ووجه من كذب ولو كان مخرجاً : فقد روي أنه ﷺ
و قد روي لعنه أن عائشة لعن عنهما : لعن : ووجه من كذب ولو كان مخرجاً : فقد روي أنه ﷺ
منه

(١) ما عرفت على لفظه إنما أخرج حسد في مسند من طريق أبي هريرة ج ٢ ص ٣٥٢
« لا يؤمن العبد إلا ما كان له حتى يترك لكذب من الدنيا » الحديث : في جمع لا يحذر
عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن من كذب من غير عذر » : وسواء
ألف حديث وأخرج من قوله : حتى يترك لكذب من الدنيا : ووجه من كذب الله عنه حديث
لكثرة سعيه : روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لعن الله من كذب من غير عذر »

(٢) ما ذكرنا في غير هذا الموضع كما روي الطبرسي في الاحتجاج ص ١٤٩ عن
حسن بن علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لعن الله من كذب من غير عذر » : ووجه من كذب الله عنه حديث
والله سبحانه من شمر : فقد روي أن النبي ﷺ قال : « لعن الله من كذب من غير عذر » : ووجه من كذب الله عنه حديث
ولا يسمى لي أن أهوله قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ووجه من كذب الله عنه حديث
صلى الله عليه وآله لعن أناساً في مسند مواضع : راجع لخصائصه

(٣) روي محمد بن الحسن في كتابه مسند عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « لعن الله من كذب من غير عذر » : ووجه من كذب الله عنه حديث
ج ٨ ص ٥٦٦ وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : راجع للحكومة : راجع لخصائصه : ووجه من كذب الله عنه حديث
وخرج من الصلاة وسلم قال : « لعن الله من كذب من غير عذر » : ووجه من كذب الله عنه حديث
راجع مسند البخاري ج ٢ ص ٥١٤

(٤) ذكره النعماني في تاريخه عن حسن بن سعيد راجع بخاري لا نوار ج ٨ ص ٣٤١

و قد روى أصحابنا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقست في بعض نواحيه بلعن صلمي
قريش يعني بهما أبا بكر وعمر ^(١).

و قد روى الشيخ الطوسي رحمه الله في النهج ^(٢) أن الصادق عليه السلام كان
يسرف من اصلاؤه بلعن أربعة رجال منهم أبو بكر وعمر ، ومن نظر إلى ما وقع للحسن
عليه السلام مع معاوية و أصحابه و كتب لعنهم و قد فهم بلعن على ما رواه العامة و يستمع
مؤدود من الآثار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في لعن الكافي للكشي رحمه الله و غيره من
كتب الحديث و الأدعية في لعنهم من يستحق اللعن من رؤساء الصلابة و لتصريح
بأسماء هؤلاء ، علم أن ذلك من شعب الدنس و شعائره بحيث لا يتخلل له شئ ولا
يعتريه مزية

و في الكافي ^(٣) من أمي الحسن موسى عليه السلام أنه قال لعن الله أبا حنيفة كان
يقول فان علياً قلت و في روايه . و قال الصحابة و قلت

و أمّا حديث لا تكونوا لعائن فلعنهم يعني عن أن يكون السب خلقاً لهم
سبب لمالعه فيه و لا قرينة في أدبائه بحيث يلعبون كل أحد كما يدل عليه قوله
« لعائن » لا أدع بهي عن لعن المستحقين إلا لقل لا تكونوا لعائن ، و في بينهم
مرفاً يعلمه من أحاط بدقائق لسان العرب

و أمّا ما روى أن أمير المؤمنين عليه السلام يعني عن لعن أهل الشام ، و في صحيح
فلعنهم عليه السلام كان برحوا إسلامهم و جوعهم إليه ، كما هو شأن الرئيس المشفق على
أرعيته

و لدن قال و لكن قولوا اللهم أصلحنا و هذا قريب من قوله تعالى
في قصة فرعون « فعولاه قولاً لئلاً » ^(٤)

(١) راجع مصباح الكشي دعاه صلمي قريش .

(٢) المصدر ج ١ ص ٢٢٧ (٣) المصدر ج ١ ص ٥٧

(٤) أقول بهي من يؤمن أصحابه عن لعن أهل الشام . و في صحيح

بحث عنوان و من كلام له عليه السلام وقد سمع يوماً من أصحابه يقولون أهل الشام أيام حروبهم

صعبي ، و دل برأي العديد في شرح ج ٢ ص ٤ لا لئلاً كرهه عليه السلام منهم أنهم كانوا يشتمون

وَقَدْ دُرِكُوا أَوْ جُمِعُوا فِي عِدَّةٍ مِنَ الْكَلَامِ فِي بَعْضِ مَا يَدَّعِيهِ اللَّهُ - وَيُذَمُّونَ
أَنْ يَطُوبُوا وَلَا يَرَوْا

سواء أُنزلوا في يوم كرمهم أم يوم لطمهم ، وسواء أُهبطوا في بؤسهم أم أُسْقِطُوا مِنْ سَمَاهُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِ اللَّهِ وَمَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ مَثَلًا فَلَاحِقٌ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٢٣) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا خِلَافُ مَا لَكَابُ لَانَهُ عَلَيْهِ قَدْ دُرِكُوا فِي بَعْضِ الْكَلَامِ مِنْ عَدَابِهِمْ
سَمَاءُ (الْأَحْزَابُ ٦٤) وَهَذَا وَاقِعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِهِمْ (الْأَحْزَابُ ٦٤) وَهَذَا
وَقَدْ دُرِكُوا فِي بَعْضِ الْكَلَامِ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِهِمْ (الْأَحْزَابُ ٦٤) وَهَذَا
تَمَّوْا (الْأَحْزَابُ ٦٤) فِي الْكَلَامِ مِنْ بَعْضِ الْكَلَامِ لَوَاسِعٌ

وَكَيْفَ يَجُودُ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِ الْكَلَامِ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِهِمْ (الْأَحْزَابُ ٦٤) وَهَذَا
لَهُ مَثَلٌ (الْأَحْزَابُ ٦٤) وَهَذَا وَاقِعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِهِمْ (الْأَحْزَابُ ٦٤) وَهَذَا
وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِ اللَّهِ وَمَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ مَثَلًا فَلَاحِقٌ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٢٣) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِ اللَّهِ وَمَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ مَثَلًا فَلَاحِقٌ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٢٣) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِ اللَّهِ وَمَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ مَثَلًا فَلَاحِقٌ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٢٣) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عَلَيْكُمْ
(النور ٢٣)

بِهَاتَيْنِ الْآيَاتَيْنِ فِي الْمَكَلَفَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَةِ وَالْآيَاتِ قَسَمًا فِي كُفْرَيْنِ وَالْمَدَائِقِ
وَبَدَأَتْ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَدُونَةٍ وَحَاضَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَعَلَّهُمْ فِي أَدْنَى الصَّوْتِ
فَإِنْ قُلْتُ مَصْدُورُهُ اسْمُ الَّذِي يَكُونُ عَنِ امْرِئِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ قَدْ كَانُوا أَشْوَاقَهُمْ
لِأَنَّهُمْ وَالْمَدَائِقِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْفَأُ فِي سَبْعِ يَوْمٍ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُهُمْ بِاللَّوْمِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَذْكُرُهُمْ بِالْحُسْنِ وَالْعَمَلِ وَأَنْوَاعِ الْإِسْحَاقِ لِي سَاحِي بِهِ لَشُعْرَاءُ وَأَسَالِيهَا مَعْدُومَةٌ ،
فَبِهِمْ لَعَلَّاهُ عَنْ ذَلِكَ وَفِي ذَلِكَ لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِهِمْ وَلَكِنْ الْأَصْحَابُ أَنْ يَصْعَدُوا
لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَتَذَكُّرُوا أَعْمَالَهُمْ

قال ولا يجوز أن يدعى مسلم بكفره ككفر من غير تحقيق قال ^{الشيخ} لا يرمى حل رجلاً بالكفر إلا بعد التأكد عليه إن لم يكن صاحبه كذلك^١

وقال ^{الشيخ} وما شهد رجل على رجل بكفر إلا أنه أحدكما إن كان كافراً فهو كما قال إن لم يكن كافراً فقد كفر بشكركه ^{أي} ^{أي} وهذا معناه أن يكفركه وهو يعلم أنه مسلم فإن طرأ أنه كافراً بدعوى غيره كان محطاً كافراً والتعريض للأموال أشد قال ^{الشيخ} ولا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قد مواء (٣).

ويقر من لعن النعمة على الإنسان بالشر حتى ابتدعه على العالم كفون الإنسان لا يستحق الله حسنه ولا سلمه الله ، وما يجري مجرى ذلك مدموم ، وفي الخبر : أن المظنوم يدعو على العالم حتى يكافيه ثم يسعى للظالم عنده فضيله يوم لقائه^٢

٥ (الآفة التاسعة الفناء والشعر) ☆

وقد ذكر في كتاب التمهيد ما يحرم من لعن ما يرحى ولا يعبده أقول: حاصل ما ذكره هناك ما أعده في آخر ذلك الكتاب من أن يسمع قد يكون حراماً محضاً ، وقد يكون مباحاً ، وقد يكون مستحباً ، وقد يكون مكروهاً

أما المحرم فهو لا كثير الناس من السنن ومن عليهم شهوة لدنيا ولا يتحرر أحد السماع منهم إلا ما هو العال على قلوبهم من الضعاف المذمومة

(١) روى مسلم ج ١ ص ٥٧ والنجاشي ج ٨ ص ١٨ واللفظ به نادى يقدم ونأخبر ورواه أحمد وسرر ورجال رجال الصحيح من حديث أبي ذر راجع مجمع الرواد ج ٨ ص ٧٣ (٢) أخرجه أبو منصور الدلائلي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد الخدري عنه صفح كفاي المعنى وروى نحوه مسلم ج ١ ص ٥٧ من صحيحه

(٣) أخرجه البخاري والنسائي وأحمد من حديث عائشة — صحيح كفاي الجامع لصغير (٤) الكافي ج ٢ ص ٣٣٤ نحوه .

وأما المكروه فهو لمن لا يترزله على صورته المخلوقين ولكن يتحده عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللغو .

وأما اسباح فهو من لاحظ له منه إلا البدن؛ بحيث يوب الحسن
ومما لم يدوب فهو من غلب عليه حب الله تعالى . ثم يحترق السماع منه إلا
الصفات المحمودة . هذا كلامه .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : وحسنوا الرضوخ من الأوثان
واحتسبوا قول الرزور ، قال الغناء (١) .

وعنه عليه السلام في قوله عز وجل : ولا تشبهوا الرزور ، قال الغناء (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « الغناء عشر النفاق » (٣) .

وعن القمي عليه السلام الغناء مما عد الله عز وجل عليه النار ، يلاذهه الآية ومن
سكن من يشترى لهو بحديث لمصل عن سيد الله ، (٤) .

وعنه عليه السلام : « ما أمر الله به الحق والسطل فأبى يكون الغناء » (٥) .

وفي التهذيب (٦) عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن بيع حواري القصب قال
« شرؤهن وبيعهن حرام » . وعللمهن كفر . اسماعيل بن عمار ،

وعنه عليه السلام : « المسبية ملعونة ملعون من أكل من كسبه » (٧) .

وعنه عليه السلام : « أحر المعسبة التي تروى العانس ليس به ناس ليس بالناس
يدخل عليها الرزح » (٨) .

وعن القمي عليه السلام أنه سئل عن كسب المعصيات فقال : « لبي يدخل عليها »

(١) المصدر ج ٦ ص ٤٣١ والآية في سورة الحج ٣٠ .

(٢) المصدر ج ٦ ص ٤٣١ والآية في العنقر ٧٢ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٣١ وفيه « عش النفاق » .

(٤) المصدر ج ٦ ص ٤٣١ والآية في لقمان ٦ .

(٥) المصدر ج ٦ ص ٤٣٥ .

(٦) و (٧) المصدر ج ٢ ص ١٠٧ .

(٨) المصدر ج ٢ ص ١٠٨ .

الرَّحَالُ حَرَامٌ وَالَّتِي يُدْعَى إِلَى الْأَعْمَالِ لَيْسَ بِهِ نَاسٌ * هُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 «مَنْ أَدَسَ مِنْ يَشْتَرِي لَهُوَالْحَدِيثُ لِمَصٍّ عَنْ سَمِئَةَ اللَّهِ»^(١)
 وَفِي كِتَابٍ مِنْ لَا يَحْصُرُهُ الْقَصِيدَةُ «سَأَلَ رَجُلٌ عَنِّي مَنِ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَرَاءِ
 حَارِيَةٍ لَهَا صَوْتٌ فَجَالَ عَلَيْهِ لَوْ اشْتَرَيْتَهَا وَدَغَّرْتُ الْحَمْدَ»^(٢) يَعْنِي بِعَرَاهُ الْقُرْآنَ
 وَالرَّهْدَ وَالْفَضَائِلَ تَتَى لِمَنْ بَعْدَ فَأَمَّا لَعْنُهُ وَمَحْظُورُهُ سَمِي
 وَفِي لِكَاثٍ عَنِ الدَّهْرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «رَجَعَ بِالْقُرْآنِ صَوْتٌ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ
 الصَّوْبَ وَالْحَسَنَ بِرَجْعِهِ تَرَجِعًا»^(٣)
 وَعَنْ لَصَادِقٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «وَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْرَأُوهُ الْقُرْآنَ بِالْحَسَنِ لِعَرَبٍ
 وَأَصَوَانِهَا وَإِيَّاهُ كَمْ وَلِحَوْنُ أَهْلِ الْمَسْقِ وَلِكُثْرَةُ فَاتَةِ سَحَابِيٍّ بَعْدِي أَوْ مِمَّنْ رَجَعُوا
 الْقُرْآنَ بِرَجْعٍ لَعْنُهُ وَالنُّوحُ وَلِرَهْصَةِ لَا تَحْجُورُ بِأَفْهَمٍ فُلُوبُهُمْ مَعْلُودَةٌ وَفُلُوبُهُمْ
 يَعْجِبُهُ شَأْنُهُمْ»^(٤)

وَفَدَدُ كَرَاهِيَةِ كِتَابِ آدَابِ بِلَاوَةٍ لِقُرْآنٍ مِنْ رَجْعِ الْعِدَدَاتِ^(٥) حَمْدًا أُخْرَى
 فِي هَذَا الدَّبِّ وَبِاسْتِفَادَةٍ مِنْ مَجْمُوعِهَا خُتْمُ حَرَمَةِ الْعَمَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ لَاسْتِمَاعِ
 وَلَا أُخْرَى وَالتَّعْلِيمِ وَغَيْرِهَا مَا كَانَ عَلَى الْحَوَالِ الْمُتَعَارَفِ فِي رَمْسٍ بِنِي مُبَيَّةٍ وَسَيِّدِ الْعَمَالِ
 مِنْ دَحُولِ الرَّحَالِ عَلَيْهِمْ وَتَكَلُّمِهِمْ بِالْأَصْوَاتِ وَالْعَمَلِ بِمَلَاهِي الْعَمَلِ وَالْقَصَبِ
 وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَأَمَّا عِدَدُوهُ إِلَيْهِ كَالْتَرَجِيمِ بِالْقُرْآنِ وَمَا يَكُونُ مِنْهُ وَسِيلَةٌ إِلَى
 ذِكْرِ اللَّهِ وَالذُّرِّارِ الْآخَرَةِ . وَبِمَا مَنَاحٍ أَوْ مَمَكْرُوهٍ كَمَا ذَكَرَهُمَا أَبُو حَامِدٍ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ

(١) السَّهْبُ ج ٢ ص ١٠٨

(٢) الْفَقِيه ص ٤٨٢ نَحَتْ رَقْم ٩ .

(٣) الْكَافِي ج ٢ ص ٦٩٦ .

(٤) الْكَامِي ج ٢ ص ٦١٤ وَلَيْسَ فِي مَرْيَتِهِ إِذَا طَرَبَ بِهِ وَغَرَدَ وَهُوَ الْهَيْئَةُ أَسَاسٌ وَدَّ

كَانَ أَحْسَنُهُمْ مَرَاةً وَغَاءً وَتَرْجِيمُ الصَّوْتِ تَرْجُمُهُ فِي الْعَلَقِ كَقِرَاءَةِ أَصْعَابِ الْأَلْعَانِ
 قَالَهُ لَحْزَمِيُّ وَفِي لِهَيْئَةِ التَّرْقِي جَمْعُ بَرْقُوَةٍ وَالْمَعْنَى أَنْ فَرَّاهُ تَهْمُ لَا يَرُفَعُ بِي اللَّهُ
 وَلَا يَقْبَلُهُ .

(٥) دَاجِعُ ج ٢ ص ٢٣٢ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

يختلف بحكم في بعض أفرادها لا يضافه إلى معاني : حذت الناس فيه لا يليق بدوي
المروءات ما يليق بمن دونهم .

قال أبو حامد : وأما الشعر فكلام حسنة حسن وفيه قبح إلا أن انحرف
به مدموم . قال رسول الله ﷺ : لأن يصلي بطن أحدكم فحياً ومأخضاً يراه خير
به من أن يصلي شعراً^(١)

وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال : جعل مكان هذا كراً فإن ذكر الله
خير من الشعر وعلى الحمله فإشاد الشعر : ينظم ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام
بكره . قال النبي ﷺ : إن من الشعر لحكمة^(٢) نعم مقصود الشعر المدح والمدح
والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد أمر رسول الله ﷺ حباً بها للكفار^(٣)
والموستع في المدح وإن كان كذباً فإنه لا يلحق في المحريم بالكذب كقول
حييم الشاعر :

ولولم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليشقي الله سائله

فإن هذه عبارة عن الوصف بمهابة السجاء فإن لم يكن صاحبه سجيّاً كان
كذباً وإن كان سجيّاً فالمدح من صفة الشعر ولا يقصد منه أن يعتد صورته ، وقد
أشدت بين يدي رسول الله ﷺ أشعار لو سعت لوحدها من ذلك ولم يمنعها
قلب عائشة . كان رسول الله ﷺ يحصف بعله وكتب أعزل ، قال فطرت إلى
رسول الله ﷺ فجعل حينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً قالت : فهت فطرت إلي
فقال مالك مهت ؟ فقلت : يا رسول الله فطرت إليك فجعل حينك يعرق ، وجعل
عرقك يتولد نوراً ولورأك أبو كثير الهذلي لعلم أنك أحق شعره ، قال : وما يقول
يعائشة أبو كثير الهذلي ؟ فقلت : يقول :

(١) رواه الرار ورجال رجال الصحيح والطبراني وفيه بر يدين ضعيف وهو ضعيف

ك في مجمع الروايد ج ٨ ص ١٢٠ . (٢) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٩٨

(٣) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٤٥ من حديث البراء أنه (ص) قال لعسان أهجو

و جبرائيل معك

ومرأ من كن عذر حصه
 و قد بطر إلى أسرة حصه
 قلب فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده في فم أبي قحافة من عبي بني
 حنظلة لله يد عيشه حين ما سرب مني كسروري مدث لوم
 و قد فتم بعد نه أمر للعائس من مرداس بأربع فلائص من الإبل فسمع
 العائس يشكو في شعر له في آخر

و ما كان من ولا حاس
 و ما كسب من امرين مبهما
 و قد كسب و الحار بار
 فقال لبيد فاطموا عني لست قد ذهب به نكر حتى جاءه ثد من الإبل
 ثم رجع عنه من ربي ادس و قد لاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول لشعري فجمع يعتقد
 و يقول بني أسب و قمي بني لأحد لاد و قد خلى له بني مثل من دس لدم
 ثم يهرصي كما يعبر من لمل فلا أحد من أن قول فست رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 و قال لادع لعرب الشعر حتى دغ لإبل اجس
 أقول: ثم ينسأ أبو حامد معنى شعره ثد على أي كلام يطوق كما كان
 من طائفة من الآفات

و علم أن الشعر يطلق على معنى أحدهم الكلام الموردين المعنى سواء كان
 حقاً أو ظلاً على حقه يحمل حديثه من الشعر بحكمه و حديثه أن الله
 كبوراً تحب عرشه و مديحه في ألسنة الشعراء و قد كل ما ورد في مدح الشعر
 و معنى الناس عنه كما سذكره في المبر دمه ما كان حقاً من أمور المفضي ليس
 فيه تمويه و كذب و لمعني الثاني الكلام المشتمل على التحييل المؤدية والنمويات

(١) أخرجه السهيمي في الدلائل كما هي المعنى

(٢) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٠٨ من حديث رفيع بن حديج وقد تقدم و أورده

الطبري في المعاني السابعة

المحرر فيه التي لأصل له ولا حقيقته سواء كان له وزن و فاعله أم لا و عليه يحمل ما
ورى في دقة وهو المراد من قول فر بن حنث نسوا القرآن إلى الشعر و قابوا للنبي
ﷺ إياه شاعر^١ فإن العبر أن ليس بمورود ومن هذا العمل محذولات امتكلمين
في امدهب وشبهاتهم امر حرفة المصلحة . قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى « والشعراء
يتبعهم العدوون » هل رأيت شاعراً يتبعه أحد إيمانهم قوم تفتتوا لغير الله فصلوا
وأصلوا^(١) وقال الصادق عليه السلام « هم قوم تعلموا » يعقبون بعبر العلم فصلوا و
أصلوا^(٢) و قال بعض علماء^٣ طاب ثراه هم إيمانهم في الدين غيروا دين الله
وحاجوا أمر الله عز وجل هل رأيت شاعراً قط يتبعه أحد وإيمانهم عنى ذلك الدين
أصعوا ديناً نرائهم فيتبعهم الناس على ذلك قال « ألم يراؤهم في كل واديهيمون »
يعني يماضون بالأبصيل و يحدلون « للحجج المصلين وفي كل مذهب يذهبون يعني
بهم المعيرين دين به « ورائهم يقولون ما لا يعلمون » يعني يعطون الناس ولا يتعطون
وينهون عن اسكر ولا يبنهون و يأمررون بالمعروف ولا يعمدون قول وهم الذين عصوا
آل محمد حقه بهم .

فأما ماورد في مدح الشعر بالمعنى الأول ماكل منه حقاً من طريق الخاصة
فمنه ما روى الصدوق - رحمه الله - في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناد حسن عن
عبدالله بن الفضل بن شمي قال قال أبو عبد الله عليه السلام « من قال فيما بيت شعر بنى الله له
بيتاً في الجنة »^(٤)

و بإساده عنه عليه السلام قال « ما قال فيما قائل بيت شعر حتى يؤتد بروح
القدس »^(٥) .

و بإساده عن الحسن بن الحليم قال سمعت الرضا عليه السلام يقول « ما قال فيما
(١) روى عن ماويه كما في تفسير البرهان ج ٣ ص ١٩٤ و الآية هي سورة
اشعراء ٢٢٤ .

(٢) روى العياشي في تفسيره كما في مجمع البيان دليل الآية

(٣) لم يرد على س إبراهيم النعماني في تفسيره المشهور

(٤) و (٥) المصدر ص ٥ .

مؤمن شعراً يمدحناه إلهي الله مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مائة مرة
فيها كلُّ مثل معبرٌ وكلُّ سيِّئ مرسلٌ (١)

و بإساده عن أمير المؤمنين عليه السلام «أنه سأله رجل عن أوَّل من قال الشعر
فقال آدم قال وما كان شعراً؟ قال: لما نُزل إلى الأرض من السماء فرأى تراباً
وسعتها وهواها، وقتل هابيل فقال عليه السلام:

بعثت البلاد ومن عليها فوجه لأرض معبرٌ قبيح

تعبّر كلُّ ذي لون وطعم وقلُّ بشاشة الوجه الملبح

لحديث (٢)

و في التهذيب (٣) بإساده عن حلف بن حماد عن الرضا عليه السلام قال قال
«إن أصحابنا يروون عن أنثى عليها السلام أن الشعر بين الجمعة ويوم الجمعة وفي شهر
رمضان وفي الليل مكرور» وقد جمع أن أرثي أبا الحسن عليه السلام وهذا شهر رمضان
فقال رث أنا الحسن عليه السلام في ليلة الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل وفي سائر
الأيام فإن الله عز وجل يكافئ على ذلك،

و في الصحيح عن علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام قال «سألته عن إشد
الشعر في الطواف فقال ما كان من الشعر لأناس به ولا بأس به» (٤)

و في الصحيح عن علي بن حمزة عن أخيه الكاظم عليه السلام قال «سألته عن الشعر
أيصلح أن يشد في المسجد؟ قال لا بأس» (٥)

و أمّا ما ورد في دم الشعر بالمعنى الأوَّل ما كان منه باطلاً فمنه ما رواه حمزة
ابن إسحاق عن الصحيح عن زين العابدين عليه السلام قال «قال رسول الله صلى الله عليه وآله
«من سمعتموه يشد الشعر في المسجد فقولوا: قص الله قاله، ثم تصد المسجد

(١) المصدر ص ٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ص ١٤٣. (٣) وقع هنا في النسخ اشتباه والصواب

كتاب لأدب الدنيا وهو معطوف وأورده صاحب الوسائل آخر كتب المراد منه

(٤) التهذيب ج ١ ص ٤٨٥ (٥) التهذيب ج ١ ص ٣٣٠ باب فصل المساجد

المنهي عنه إلا فراد فيه أو المداومة عليه أما المداومة فلا أنه اشتغال بلعب والنهرل
وللعب مساح ولكن المداومة عليه مدمومة . وأما الآخر فله فيه في أنه يورث كثرة
الصحة وكثرة الضحك نميت القلب وتورث لصعته في بعض الأحوال وتسقط المهابة
والبوقار ، فما يحلو عن هذه الأمور فلا بدكم كما . وي عن رسول الله ﷺ أنه قال
« إني لأمرح ولا أقول إلا حقا »^(١) ومثله بعد على أن يمرح ولا يقول إلا حقا . وأما
غيره فإذا فتح باب المرح كان عرسه أن يصحك الناس كيف كان . وقد قال رسول الله
ﷺ « إن الرجل حل لنتكلم بكلمة فيصحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من
الثريد »^(٢) وقال بعضهم من أكثر ضحكك قلب هيبه . من مرح استحف به ومن
أكثر من شيء عرف به . ومن أكثر كلامه أكثر سقطه . ومن أكثر سقطه قل حياؤه
ومن قل حياؤه قل ورعه . ومن قل ورعه مات قلبه . ولأن الضحك يدل على
العجلة عن الآخر . قال رسول الله ﷺ « لو علمن ما أعلم لكنكن كثيرا ولصحتكم
فديلا »^(٣)

وقال رجل لأخيه يا أخي هل أباك أنت وأردت التارة قال نعم ، قال فهل
أباك أنت خارج منها ؟ فقال لا . فقال فميم الضحك ؟ قال فما دئمي ضاحكا
حتى مات . ونظر بعضهم إلى قوم يضحكون في يوم فطر فقال : إن كان هؤلاء عمر
لهم فما هذا فعل . لشاكرين . وإن كان لم يعمر لهم فما هذا فعل الجائفين
وقال آخر لنفسه أضحك ولعل أكفالك قد حرجت من عند القصار
وقال ابن عباس . من أذب دما وهو ضحك دخل النار وهو يمشي
وهذه آفات الضحك فليدوم منه أن يستغرق ضحكا والمحمود التيسم الذي
يكشف فيه السر ولا يسمع الصوت ، وكذلك كان ضحك رسول الله ﷺ^(٤)

(١) أخرجه الطبراني في المعجم من حديث من عمر كما في مجمع الرواة ج ٨ ص ٨٩

(٢) تقدم آتيا .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٩١ عن أنس وأحمد ج ٢ ص ٢٥٧ عن أبي هريرة .

(٤) أخرجه اسرمي في الشرائع ص ١٦ عن عبد الله بن حارث قال : « لم يكن ضحك
رسول الله صلى الله عليه وآله إلا تيسا » .

«أَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا تَسْتَمُّ» (١) . عن الحسن قال : أَنَّهُ عَجُودٌ إِلَى السُّبِّيِّ بِالسُّبِّيِّ فَقَالَ بِالسُّبِّيِّ : «لَا تَذْجُرْ أَبْعَدَهُ عَجُودٌ فَتَكُفُّ» . فقال : إِنَّمَا لَسْتُ بِيَوْمئِذٍ بِعَجُودٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَالِي بِالسُّبِّيِّ : «أَسَدُهُ هُوَ إِشْبُةٌ وَجْهَهُ هُوَ أَكْبَرُ» (٢)

وَرَوَى بَدْرُ بْنُ أَسْلَمَ أَنَّ أَمْرَأَةً قَالَتْ : «مَنْ أَتَمَّنَ حَبَابَ إِلَى اسْمِي بِالسُّبِّيِّ» . فقالت : إِنَّ وَحْيِي بِدَعَاكَ فَقَالَ : «مَنْ هُوَ أَهْوَأُنْدِي بَعْدَ بِيَّاسٍ» . فقالت : لَا وَاللَّهِ هِيَ بَعِيدَةٌ بِيَّاسٍ فَقَالَ : «بَلَى إِنَّ بَعِيدَ بِيَّاسٍ» . قالت : لَا وَاللَّهِ قَدْ بِالسُّبِّيِّ بِالسُّبِّيِّ مَا مِمَّنْ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ بِيَّاسٍ بِالسُّبِّيِّ : «أَذِنَ لِي بِأَسَاسٍ لَمْ يَحْطَ بِهِ أَحَدٌ»

«أَنَّهُ أَمْرَأَةٌ أَحَدَى قَوْلَهُ» . رسول الله ﷺ حَمَلَنِي عَلَى بَعِيرٍ فَقَالَ بِالسُّبِّيِّ : «لَا تَحْمِلُكَ عَلَى بِالسُّبِّيِّ الْعَمَةِ» . فقالت : أَصْبَحَ بَدَنِي لَا يَحْمِلُنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هِيَ مِنْ بَعِيرٍ لَا هُوَ» . قال : «يَمْرُجُ بِهِ» . وَرَوَى عُلْفَمَةُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدَاجِ لِسَانَهُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بِالسُّبِّيِّ : «مَنْ هُوَ الَّذِي لَسْتُ بِهِ فَمِنْهُمْ» . وقال عَمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اْمِرَازِيٍّ : وَاللَّهِ لَيَكُونُ لِي الْأَمْسُ رَحَالًا قَدْ بَرُوهُ . وَبُغِي وَحِبَّهُ مَا فَمِنْهُ قَعْدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ هَذَا لَمْ يَرْحَمْ لَمْ يَرْحَمْ» (٣)

فَأَكْثَرُ هَذِهِ الْمَطْطَبَاتِ مَقُولُهُ مَعَ السَّبِّ وَالصَّمِيرِ . وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَوْرِ اللَّهِ بِالسُّبِّيِّ مَدَاحُهُ لَصَعْبَ قُلُوبِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَمْلٍ إِلَى هَرَلٍ . وَقَالَ بِالسُّبِّيِّ لِعَمِيَّةٍ : وَبِهِ رَمَدٌ وَهُوَ يَا أَكْلَ اْتَمْرِ أَنْ كُلَّ اَلْمَدِّ وَأَنْتَ أَرْمَدٌ . فقال : إِنَّمَا أَكُلْتُ بِالْشَّقِّ الْآخِ . فَتَسْتَمُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَعْضُ لِرُودٍ : حَتَّى يَطْرُبَ إِلَى بَوَاحِدِهِ (٤)

- (١) (١) أخرجه الترمذي في كتاب الشكائيل من ١٦ مرسلًا
- (٢) (٢) أخرجه الترمذي في كتاب العكاكة والبرج ، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سفيان المصنف مع اختلاف (المتن) .
- (٣) (٣) أخرجه ترمذي ج ٢ ص ٥٩٦ نادى اختلاف في لفظ
- (٤) (٤) أخرجه أبو يعنى من هذا لوجه دون في آخره من قول عبيدة وأخرج مسلم دينه من قول الأقرع بن حابس نادى عبيد (المتن) .
- (٥) (٥) أخرجه الحاكم ج ٢ ص ٣٩٩ وقال : صحيح ولم يخرجه وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢ و ٣٤ .

و روي أن حوَات بن حنير كان حالساً إلى سوسة من بني كعب بطريق مكة
فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال : «أنا عبد الله مالك مع لسوءه» قال يفتن
صغيراً لحمل لي شرود، قال فصلى رسول الله ﷺ لحجته ثم طمع فعلى
«أعبد الله أمّا ترك ذلك لحمل الشراد بعد» قال فسكت واستحيى قال فسكت بعد
ذلك أنكر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة و بعدما قدمت لمدينة
حتى طلع عليّ يوماً و أنا أصلي في المسجد فجلس إليّ فطوّت فقال لا رسول
في بني أنت ترك قلت فرعب قال بأبا عبد الله أمّا ترك ذلك لحمل الشراد بعد؟ قال
فسكت واستحيى فقام فسكت أنكر من بعد حتى لم يبق وهو على حمار وقد جعل حليته
في شق واحد فدل «أعبد الله أمّا ترك ذلك لحمل الشراد بعد؟ قال قلت في ندي
بعثت بالحق نبياً ما شرود منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم هدايا عبد الله
قال فحسن إسلامه و هدايا الله»^(١) كان يعمل الأضاري مرأحاً و كان يشرب
فيؤمى به إلى النبي ﷺ فيصره بعدد يأمر أصحابه فيصرونه فقالهم فلما كثر
ذلك منه قال له رجل من لأصحاب لعنت الله فعل النبي ﷺ لا تفعل فإنه يحب
الله ورسوله و كان لا يدخل المدينة بل لا طرفه إلا اشترى مائة بها إلى رسول الله
ﷺ و يقول هدايا هديته لك في داخ صاحب يطلب بغيره بثمنه حده به إلى
النبي ﷺ و قال يا رسول الله أعطه من متاعه فيقول رسول الله ﷺ أولم يهده
به فيقول يا رسول الله إنه لم يكن في الله عندي ثمنه و أحب أن تأكل منه فصحت
رسول الله ﷺ و يأمر لأصحابه بثمنه^(٢)

وهذه مطبئات يباح مثلها على اسدور الأعلى لدوم و لمواظبه عليه هوس
مدموم وسبب للصحك المصعب للقد

(١) أخرجه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن اسلم عن حوَات بن حنير مع
اختلاف ورجاله ثقات كما في المعنى .

(٢) أخرجه الزبير بن نكار في العكاكة ومن طريقه بن عبد الله بن ربيعة بن محمد بن
عمر بن حرم مرسل كما في النفس

❦ الآفة الحادية عشر السحرة والاستهزاء ❦

و هذا عمر م مهما كان مؤدباً قال الله تعالى « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم »^(١) ومعنى السحرة الاستهزاء والاستهزاء هو التفتيش على العيوب ولعنات على وجه يصحك منه ، و قد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء ، و ذلك بحسره المستهزء به لم يسم ذلك عينة وفيه معنى العينة قالت عائشة حاكمت إسماعياً فقال **يُحَسِّدُ** « ما أحب أني حكمت إسماعياً وأن لي كذا وكذا »^(٢) و قال ابن عباس في قوله تعالى « يا ويلت مال هذا الكتاب لا يعدد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصى »^(٣) الصغيره النسب المستهزاء بالهزء من الكثرة له أهمية بذلك وهو إشارة إلى أن الصحت على الناس من انحرائهم والدنوب و عن عبدالله بن ربيعة أنه سمع النبي **ﷺ** يحط فوعظهم في صحتهم من لصرطه ، و قال علي م يصح أحدهم ثم يفعل^(٤)

و قال **يُحَسِّدُ** « إن المستهزئ بالناس يفتح لأحدهم من باب الجنة فيقال هلم هلم فيحسب ، بكره و عمة فإذا أتاه أعلق دونه ، ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيحسب ، بكره و عمة فإذا أتاه أعلق دونه فيمير إليه كذلك حتى أنزل حل يفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه »^(٥) و قال معاذ بن جبل قال رسول الله **ﷺ** « من يهزأ أحده بذي قداب منه لم يمت حتى يعصده »^(٦) و كل هذا يرجع إلى استهزاء الغير بالمحسث عليه استهزاء به واستصغاراً له ، وعليه سمى قوله تعالى « عسى أن يكونوا خيراً منهم »^(٧) أي لم يسخر به استصغاراً ، وعلله خير حدث

(١) الحجرات : ١١

(٢) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢١٠ و دار هذا حديث حسن صحيح

(٣) الكهف : ٤٩

(٤) متفق عليه من حديث عبدالله بن ربيعة .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسل

ك في الرعي ج ٣ ص ٦١١

(٦) الحجرات : ١١

(٧) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٣١١

و هذا إنما يحرم في حق من يتأذى فأمّا من جعل نفسه محرّمة ويظنّ فرحاً من أن
يسحر به كل السحرية به من حمله المراح و قد سبق ما ندم عنه و ما يمدح ، و إنما
المحرّم منه استصدار يتأذى به المستهر به من التحقير و لتهاون و ذلك تارة
يجري أن يصحّث على كلامه إذا بحمط و لم ينظم ، أو على أفعاله إذا كان مشوّشة
كما صحّث على خطّه و على صغته أو على صورته و حذفته إذا كان قصيراً أو قصاً لعيوب
من لعيوب ، فاصحّث من حمله ذلك داخل في اسخريه المهيّ عنها لمعوم أمثالها

☆ (الآلة الثانية عشر انشاء السر) ☆

« هو مهيّ عند ما فيه من الإبداء و السهول بحق المعارف والأصدقاء ، قال
سول الله ﷺ : « إذا حدث الرجل الحديث ثمّ لثقت في أمانيه » ^(١) و قال
مطلقاً : « لحدثت منكم أمانيه » ^(٢) وقال الحسن إرّ من الحياة أن تحدث بسرّ
أحبك و قد ذكر ما يتعلق بكتمان السرّ في كتاب آداب الصّحبة ولا يعيده

☆ (الآلة الثالثة عشر الوعد الكاذب) ☆

فبرّ للسان ساو إلى الوعد ثمّ إن النفس ربما لا تسمع بالوفاء فيصير
به عد خلفاً وذلك من أمارات النفاق و قد قال الله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا أوفوا
بالعقود » ^(٣) وقال ﷺ : « العدم دين » ^(٤) وقال ﷺ : « العده عطية » ^(٥) وقال
ﷺ : « الوأى مثل الدّين أو أفضل » ^(٦) وأبو أي الوعد و قد أثبت الله تعالى على بيته
إسماعيل صلوات الله عليه فقال : « إنّه كان صادق الوعد و كان رسولاً نبياً » و يقال
إنّه واعد يساباً في موضع فلم يرجع إليه فمضى اثني عشر و عشرين يوماً في انتظاره

(١) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٦٦

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل كما في النسخ

(٣) البائدة ١٠

(٤) أخرجه ابن عساكر من حديث علي بن فضال في حديثه و قد تقدم

(٥) أخرجه أبو عيسى في العلّة عن ابن مسعود سند ضعيف كما في الجامع لصغير

(٦) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس كما في كوز الحقائق للساوي

أقول: من طريق آخر عن الصادق عليه السلام في جواب سؤاله عن قوله تعالى: "وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ" قال: "أوفوا بالعهد الذي بينكم وبين الله تعالى، والعهد الذي بينكم وبين الناس، والعهد الذي بينكم وبين أنفسكم".

كان عند النعمان عذراً على ن لابي فهدا هو النعمان
وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ وثلاث من كن فيه فهو منافق وإن
وصلني ورغم أنه مسلم ، إذا حدث كذب وإدا وعد أخلف ، وإدا ائتمن حس ، (٤)
وقال عبدالله بن عمر قال رسول الله ﷺ وأربع من كن فيه كان منافقاً
و من كانت فيه حلة منهن كانت فيه حلة من خلال النفاق حتى يدعها إذا حدث
كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، (٥) وهذا يبرل على من
وعد وهو على عزم الحلف وترك الوفاء فأما من عزم على لوفه وعنه له عدد منعه
من لوفه لم يكن منافقاً وإن حصرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن يسمى أن يحترق
من صورة النفاق أيضاً كما يحترق أيضاً من حقيقته ، ولا يسمى أن يجعل نفسه معدوياً
من غير ضرورة حاحره فقد روي أن رسول الله ﷺ كان وعد أبا جهنم بن تيهب
خدمته فبني ثلاث من لسي فعطى اثنين وبقي واحدة فقامت فاطمة بنت رسول الله

(١) رواه لصدوق في الفصل ٦٧ عن الرضا عليه السلام والاية في سورة مريم ٥٤

(٢) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٩٥ والمعنى في المصباح ٢ ص ١٥٤

(٣) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

(٤) و (٥) آخريهما مسلم ج ١ ص ٥٦ وقد تقسما .

نطلب منه خادماً وهي تقول ألا ترى أثر لحي يا رسول الله في يدي . وقد كرر موعده لأبي لهيثم فجعل يقول كيف موعدي لأبي لهيثم فشر به على فاطمة بنت سفيان بن عوف له مع ذلك كانت تدبر إلحاح بيده الصعبة^(١) .
 ولقد كان رسول الله ﷺ حلياً بصفته غايماً حور بن حبيب فوفيت عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعداً يا رسول الله ، فقال صدق فاحتكم ما شئت فقال أحتكم ثم من صائفة وراعي فقال رسول الله ﷺ هي بي ولقد حكمت يسيراً ولصاحبه موسى النبي . لثمة على عظام يوسف كانت أحرم وأحرل حكماً منك حين حكمت موسى فقالت حكمتي أن تردني شائفة . فدخل معك لحيمة فمضى فكان الناس يجمعون ما حكمت به حتى جعل مثلاً يعقبون أشح من صاحب الثمانين والراعي^(٢) .

وقد قال ﷺ : ليس لحي أن يعد لرجل لرجل ومن في بيته أن يفي .
 وفي لفظ آخر : إذا وعد الرجل أخاه أو بيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه^(٣) .
 أقول: قد سبق حور حلي وعد النساء . الصبيان وعدوا في تطيب بموسى^(٤) .

❖ (الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين) ❖

وهو من فوائح الذنوب وواحش العيوب قال ﷺ : كبرت حسنة من حدثت أحاك حديثاً هو لك مضيق وأنت له به كاذب^(٥) .
 وقال ابن مسعود : قال لسيدي ﷺ : (يرل العبد يكذب ويتحرى كذب حتى يكتب عبد الله كذاباً)^(٦) .

(١) ما عثر على تمام الحديث في أي أصل .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک مع اختلاف ح ٢ ص ٥٧٠ ودل عليه صحيح

وفيه نظر .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٩٥ .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد .

(٥) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢٩٩ .

ومرَّ رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالمان ، يقول أحدهما والله لا أتقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر : والله لأأريذك على كذا وكذا ، فمرَّ بالشاة وقد اشراها أحدهما فقال : « أحب أحدهما بالإثم والكفارة » ^(١)
 و قال لبيُّ بن ربيعة : « الكذب ينقص الروح » ^(٢)

و قال أبو هريرة : « إن التحذر هم الفحذر ، فعمل : يا رسول الله العس الله قد أسبل السبع ؟ فقال : نعم ولكنهم يحلقون فيثبمون و يحدثون فيكذبون » ^(٣)
 و قال أبو هريرة : « ثلاث من لا يكلمهم الله يوم القيمة ، ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم المئنان يعطيته ، والمطيع سلطته والحلف اله حر ، والمسلل إزاره » ^(٤)
 و قال أبو هريرة : « ما حلف حلف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كاسب نكتة في قلبه إلى يوم القيامة » ^(٥) .

وقال أنور : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحصمهم الله ، رجل كان في شقة فقص بحرته حتى يقتل أو يمنح الله عليه ، وعلى أصحابه ، ورجل كان له حارسو يؤديه فيصبر على أذاه حتى يمروا بينهم موت أو طلع ، ورجل كان مع قوم في سر أو سرية فأطاعوا السري حتى أعجمهم أن يمسوا الأرض للراحة فمروا فتمسحوا يصلي حتى يوقف أصحابه للرحيل ، وثلاثة يشاهم الله التاجر أو الديق الحارث والفقير المحتال والبخيل المئنان » ^(٦) .

و قال أبو هريرة : « ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليصحب به قوم ويل له ويل له » ^(٧) .

(١) أخرجه أبو الفتح لأردى في كتاب الاسماء المردة من حديث ناسخ العصري .

(٢) رواه الأصبهاني في كتابه في إعراب ج ٣ ص ٥٩٦

(٣) أخرجه البيهقي في الكري ج ٥ ص ٢٦٦ من حديث عبد الرحمن بن شبل

(٤) السنن الكري ج ٦ ص ٢٦٥ من صحيح مسلم من حديث عبد بن شعبة وقد تقدم

(٥) أخرجه الرمزي والحاكم من حديث عداة بن أبيس

(٦) أخرجه أحمد ج ٥ ص ١٥١ .

(٧) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٩٤

و قال عليه السلام : « أفسد كل رجلاً حديقته فقال قم فحصد معه و أماناً حصد أحدهم قائم و الآخر خائس ، بيد الثائم كُتِب من حديد يلعمه في سدق لجلس ويجذبه حتى يسبح كاهله ، ثم يجذبه فلعمة الحدب الآخر فمذّه في مدّ رجح الآخر كما كان يذّي قومي ما بعد ، فقال حدّ رجل كذّاب بعدت في سره إلى يوم القيامة »^(١)

و عن عبد الله بن جرّاد أنه سأل النبي ﷺ فقال : « يا سيّد الله هل يرى المؤمن ؟ قال فديكون ذلك قال يا رسول الله هل يكتب المؤمن ؟ قال لا ، ثم سمع رسول الله ﷺ يقول الله تعالى « إنهم يقرى الكذب الذين لا يؤمنون »^(٢) و قال أبو سعيد سمعت رسول الله ﷺ يدعو ويقول : « اللهم طهر قلبي من سفاق و فرحي من لزي و لسامي من الكذب »^(٣)

و قال عليه السلام : « ثلاثة لا يكتمهم الله ولا يطر إليهم يوم القيامة ولا ركنهم ولهم عذاب أليم شح ران ، و هلك كذّاب ، و عائل متكبر »^(٤) .

و قال عبد الله بن عمر : جاء رسول الله ﷺ إلى بيت وأنصبي صغير فذهبت لألعب ، فعالت أمّي يا عبد الله تعال أعطيت فقال رسول الله ﷺ و ما أدرك أن تعطيه ؟ فعالت امرأة فقال أم إنك لو لم تعطي كنت عليّ كدنه »^(٥) و قال عليه السلام : « يؤأف الله تعالى عليّ نعماً عنده لحصى لعتمتها بيسكم ثم لا تجدوني بحياناً ولا كذّاباً ولا حساناً »^(٦)

(١) أخرجه البخاري في حديث طويل ج ٩ ص ٥٦ عن سمر بن جندب .

(٢) أخرجه الخرائطي في مساوي لأحلاق و ابن عاكبر ، و الخطيب في تاريخهما

كما في الدر المنثور ج ٤ ص ١٣١ ، والآلة في سورة النحل ١٠٥

(٣) قال العراقي هكذا في نسخ الإحياء عن أبي سعيد رابا هو عن أم عبد كذا روى الخطيب في التاريخ دون قوله « و فرحي من الرزي » و زاد « و عمي من الرزي و عيسى من لقباة » و أسنده ضعيف .

(٤) أخرجه مطاب ج ١ ص ٧٢ عن أبو هريرة .

(٥) أخرجه أبودود ج ٢ ص ٥٩٤ .

(٦) أخرجه البخاري ج ٤ ص ١١٥ من حديث حنبل بن مطعم وقد تقدم ج ٤ ص ١٥٠

و قال **يحيى** : كان منكماً ، وكانوا يحرمونكم ما كان لكم في إباحة الله وعقوب
الوالدين ، ثم قعد فقال : ألا قول الرب : ^(١)

وقال ابن عمر: قال النبي ﷺ: **وإن تعدوا نكت الكذب وتبعوها**
 الحلفت عنه مسرعة من غير أن يسمع مني أحد ^٢

وَقَالَ الْمَلِكُ هَبْ بِنْتِي لِي فَتَكُونَ لِي سَيِّدَةً فَأَعْتَلْ لَكُمْ دَارَهُمْ فَقَالُوا وَمَا
هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلََا يَكْذِبْ ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ ، وَإِذَا
أَمَرَ فَلَا يَعْصِ عَصَا أَسَاقِمَكُمْ ، وَكَتَبَ أَمْرِيكُمْ ، وَاجْعَلُوا أَمْرَ وَحْكُمَ (١) .
وَقَالَ الْمَلِكُ بَنِي الشَّيْطَانِ كَذِبٌ وَاعْوُفٌ وَشَوْقٌ ، فَمَا لِعَوْفٍ وَكَذِبٍ
وَأَمَّا شَوْقُهُ فَالْعَصَبُ ، وَأَمَّا كَذِبُهُ فَلَا يَمُومُ ، (٢)

وقال البيهقي: «من حديث علي بن حذيفة وهو يرى أمه كذب فهو أحد الكاذبين»^{٥١}

و قال **وَلْيَعْلَمُوا** من حلف على نفي مؤثم لم ينطق به مال امرئ مسلم، غير
حق^١ لفي الله يوم يلقاه، هو عليه عصب،^٢

و یروی « أن السی ^{میریمه} رد شہارہ رحل ی کدہ کدہ » (۷)
و قال ^{جبریل} « علی کل حصہ بطمہ اویطوی علیہا المؤمن إلا الحیاہ »

(۱) أخرجه مسلم ج ۱ ص ۶۴ من حديث أبي هريرة

(٢) أخرجه الترمذی ج ٨ ص ١٤٧ وحده .

(٣) أخرجه الحاكم على الصحيح واليه في شعب عن أسد ضعف كذا

في الجامعات المقيمه ،

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعف عن أبي عبد الله الحارثي، ورواه

اصدوق في المعاي من ١٣٨ هكذا : ان لابلوس كجلا و لموقا و سعوفا فكله اسعاس
و لموقا الكنبي وسعوفا الكبر »

(۵) أخرجه مسلم ج ۱ ص ۷ من حديث سمرة بن جندب

(۶) أخرجه البخاری ج ۸ ص ۱۶۷ من حدیث عبد اللہ . ومسلم ج ۱ ص ۸۵

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في السمعت من حديث موسى بن شعبة مرسلًا كما

في ليمى .

والكذب» (١).

و قالت عائشة : ما كان من حلق أشد عند أصحاب الرسول ﷺ من الكذب
ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فيما يحلى
من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله عز وجل ممبأوة» (٢).

و قال موسى عليه السلام : يا رب أي عبادك حرم عملاً ؟ قال من لا يكذب لسانه
، لا يحجر قلبه ولا يربي فرجه . وقال لقمان لأمه : يا بني إيتك والكذب فإنه
شيء كلحم العصور عما قبل يعلاه صاحبه .

وقال ﷺ في مدح الصدق : « أبع إذا كن فيك فلا يصرك ما فانك من
أدبها صدق حديث و حفظ أمه و حسن حلقة و عفة في طعمة » (٣).

و قال معاذ قال لي رسول الله ﷺ : « إني أوصيت بموى الله و صدق
حديث ، و أداء الأمانة ، و وفاء العهد ، و بذل السلام ، و حفظ الجح ، » (٤)
و قال علي عليه السلام : أعظم لحظايا عند الله اللسان الكدوب ، و شر السمامة
دائمة يوم لصمة .

و قال مالك بن دينار قرأ في بعض الكتب : « ما من خطيب إلا : نهر من خطبته
على عمله فإن كان صادقاً صدق و إن كان كاذباً فرصب شعته . ممر من من نار ،
كلما قرضنا فبقنا » .

و قال ابن السماك : ما أراهم أوجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنه

❖ (بيان ما رخص فيه من الكذب) ❖

اعلم أن الكذب ليس حراماً لعبه بل ما فيه من الضرر على المخاطب أو على

(١) أخرجه أبو يعلى والبرار كما في الترمذي والزهبي ج ٣ ص ٥٩٥

(٢) أخرجه نحوه الرمزي ج ٨ ص ١٤٨ وراجع للزهبي و الترمذي ج ٣ ص

٥٩٧ رواه عن الحاكم و قال صحيح الإسناد .

(٣) أخرجه أحمد و ابن أبي الدنيا و الطبراني و البيهقي بإسناد حسنة كما في

سرعب ج ٣ ص ٥٨٩ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في العلية كما في المنى .

غيره (٥) في قوله "درجانه أن يعتقد بالحج" الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون حراماً
 وقد يعملوا به صريحاً غيره، وروى حياً فيه مستعصمة مصلحة، والكذب تحصيل بذلك
 تحصيل فيكون مذهباً فيه، وما كان واحداً كما لو كان في الصدق قتل نفس معه
 حق، وهو قول الكلام وسيد أبي المعاصد في كل مقصود محدود يمكن التوصل إليه
 بالصدق والكذب جميعاً، والكذب فيه حرم، وإن أمكن التوصل بالكذب، والصدق
 والكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، وإن كان المقصود
 حراماً كما أن عقده دم مسلم وأخيه فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم وداخعي
 من ظالم والكذب فيه واجب، ومهما كان لاسم مقصود الحرب أو إصلاح ذات السب
 أو سبالة فبالتحصيل عند لا بالكذب والكذب مباح لا أنه ينبغي أن يحذر
 عنه ما يمكن لأتدباً ففتح على نفسه باب الكذب فيحصى أن يتداعى إلى ما
 يستغنى عنه وإلى ما لا يستغنى عنه على حد لو حجب ومقدار لغيره، فكان للكذب
 حراماً في الأصل إلا بصراً، والذي يدل على الاستغناء ما روي عن "م" كنون
 قال: وما سمعت رسول الله ﷺ يحرص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرأى
 يعول القبول يريد به الإصلاح، ثم لم يحل يعول القبول في الحرب، والرأى حدث
 امرأة والمرأة تحدث زوجها (٦)

وقال أيضاً قال رسول الله ﷺ: وليس بكذاب من أصلح بين اثنين فهو
 حيراً أو فمى خيراً (٧)

(٥) فيه نظر لأن الكذب إظهار ما هو خلاف الواقع عبثاً سواء كان يسر أو
 سجع وهذا خروج عن الحق ومنع عن الصراط السوى إلى الباطل الذي يشترعه العصاة
 السليمة وأقل وهذا حرام في الشرع وقبح عند العقل لأن حال مدم وجوده الحس والسمع
 لهيبين وهو خلاف ما عليه، وجواز الشرع الكذب في بعض الموارد لأحسان قن
 المحدودين لمصلحة لا ساقى حرمه لعمه وتؤيد ذلك ظاهراً وأروايات

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وترمذي عن أم كنون بنت عفة بن أبي معيط
 سند صحيح كما في الجامع الصغير.

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢٨.

و قال سمعنا من رسول الله ﷺ قال «كل من تكلم بكلمة على من أم إلا رجلاً كذب من أجل يصلح بسوءه»^(١)
 و روي عن أبي كاهل قال وقع بين رجلين من أصحاب النبي ﷺ كلام
 حتى تصادما ، فلقب أحدهما فلفل مالك ، والآخر قد سمعته يحسن الله ، عليك ،
 ولقب الآخر فلفل له مثل ذلك حتى صطلحا ثم قال أهلكك نفسي وأصاحت
 « هذين فاحرب النبي ﷺ » فقال يا أبا كاهل أصلح بين لسان « أي ولو بكذب
 » قال عطف من يبار قال رجل للنبي ﷺ أكذب أهلي « و قال لا خير
 في كذب » قال أعده « أقول بها » قال لا خير عليك «^(٢)

عن أنس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله ﷺ « مالي أراكم
 تهافتون في الكذب فهذه العرائش في الدنيا ، كل من تكلم بكلمة كذباً لأخيه إلا
 أن يكذب الرجل في الحرب » قال فاحرب حذعه أو يكون بين رجلين شجاء فيصلح
 بينهما ، أو يحدث امرأته يرضيها «^(٣)

و قال علي عليه السلام « إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلا تحرم من السماء
 حتى يأتي من أن أكذب عليه » ، إذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فاحرب حذعه «
 بعد الثلاث و دفعه من وجه الاستسقاء ، في معانيها ، عدها إذا ارتبط به مقصود
 صحيح له أو لغيره ، و أمثاله فمثل أن تحذره من الله ، يسأله عن ما به فله أن ينكر
 ما تحذره السلطان فيسأله عن فاحشه بينه ، من الله أن يكتمها فله أن ينكرها ويقول
 ما ربيت ولا شرب قال رسول الله ﷺ « من ارتكب شيئاً من هذه القادورات فليستقر

(١) أخرجه أحمد ج ٦ من ٤٥٥ زيادة فيه وإخلاف في اللفظ

(٢) أخرجه الطبري ولم يصح كما في المعنى

(٣) رواه مالك في لموطاً ج ٢ من ٢٥٤ عن صفوان بن سليم و قال العراقي

« أن عبد الله بن أبي السعيد من رواية صفوان عن عطاء

(٤) أخرجه أبو بكر بن ذال في النكارم بسند « تساهون - أي قوله - في النار »

من بعده ورواه الطبراني وفيها شهر بن حوشب (المعنى)

سر الله^{١١} ذلك لأنَّ إظهار العاجضة وحشة أخرى فلعلَّ حلَّ أن يحفظ دمه وماله
الذي يؤخذ طمعاً وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً ، وأما عرض غيره فمَنْ يسأل عن سرِّ
أخيه فله أن يذكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح من الصرَّات عن سائدهنَّ يظهر
بكل واحدة أيتها أحبُّ إليه ، وكانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يقدر عليه فيعدها
في الحال بصينياً لعلمه ، أو بعدد إلى بسن بالكذب وكان لا يطيب قلبه إلا بما يكره
دب وريزه بوزنه فلا بأس به ولكنَّ المحدث فيه أن الكذب محذور ولكن لو صدق في
هذه المواضع نولد منه محذور فيسمى أن يعاقب أحدهما بالآخر ويرى بالميران
المعصية ، فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشدُّ وقعاً في الشرع من الكذب
وله الكذب وإن كان ذلك المقصود فهو من مقصود الصدق فيجب الصدق ، وقد
يقال الأمر أن يحدث شرٌّ فيهما وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأنَّ الكذب
يسبغ ضرورة أو حادثة مهمته فإذا ثبت في كون الحاجة مهمته فالأصل التحريم
في رجع إليه

ولا حلَّ عموم إدراك مراتب المقاصد يسعى أن يحترز الإنسان من الكذب
ما أمكنه وكذلك فيهما كاذب الحاجة له فيسحب له أن يترك أعراضه ويهجر الكذب
فإنَّ إذا تعلَّق بعرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق العبر والإصرار به ، وأكثر
كذب الناس إنما هو لخطوط أنفسهم ثم هو لربادات المال والحاء والأموال ليس
فواها محذوراً حتى أن المرأة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لأجل مراعاة
الصرَّات وذلك حرَّم قالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول الله ﷺ قالت إنِّي
صرَّة وأنت أكثر من زوجي بما لم يفعل أصارتها بذلك فهل عليَّ شيء ؟ فقال
لمتشع بما لم يعط كلاهما ثوبي زور^{١٢}

(١) أخرجه إمامكم من حديث ابن عمر يلفظ : اجتنبوا هذا القادورات التي هي في
عنها من ألم شيء منها فيستر سرائره ، وإسناده حسن

(٢) أخرجه نحوه أبو داود ٢ ص ٥٩٥ ، وأحمد ٦ ص ٣٤٥ وقال البوري معناه المكثّر
بما ليس عنده بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده وتشكّر بذلك عند الناس وشرين بالباطل هو
مدموم ، كما يمد من ليس ثوبي زور ، وقال أبو حنيفة وغيره : الذي يفس ثوبي زور هو الذي

وقال النبي ﷺ : « من تطعم بما لا يطعم ، أوقال لي ولجبر له ، وأعطيت ولم يعط كان كلباس ثوبي روز يوم القبعة »^(١) ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لا يتثبت ، يد عرصه أن يطهر فضل نفسه ، فهو لذلك سبكت من أن يقول لا أدري ، وهذا حرام ، وما يلتحق بالساء الصبيان ، فإن لصبي إذا كان لا يرغب في المكسب إلا بوعده ووعيد أو نحو ذلك كان ذلك مباحاً مع رؤيته في الأحكام ذلك يكتب كدبة ولكن الكذب المباح أيضاً يكتب ويجازب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لأنه إنما أبيع بقصد الإصلاح ، وينتظر إن يبره عرو كثير فإنه قد يكون الساعت له خطه وعرصه الذي هو مستغنى عنه وإما يتعلل طاهراً بالإصلاح فهذا يكتب ، وكل من أتى بكذبه بعد وقوعه في خطر الاحتياط ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق ولا ؟ وذلك عامض جداً ، والحرم في تركه ، إلا أن يصبر واحداً بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سبك دم أو ارتكاب معصية كيف كان ، وقد طعن صاحبون أنه يجوز أصح الأخبار في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي : دعوا أن المقصود منه صحيح وهو خطأ محض ، قال ﷺ : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(٢) وهذا لا يرتكب إلا بضرورة ، لا ضرورة هبة ، فيصدق منه دونه عن كذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كعباية عن غيرها ، وقول الفائل : إن ذلك قد نكَّرَ علي ، لأسمع و سقط وقعه وما هو حديث علي ، لأسمع فوقعه أعظم فهذا هو إسقاط حد من الأعراس التي تقاوم مجدور الكذب على رسول الله ﷺ ، وعلى الله تعالى ، ويؤدي فتح بابه إلى الأمور شؤن لشرعية فلا يقاوم خبر هذا بشره أصلاً ، فالكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء .

١ . يسس ثاب هل الرهد و لودع ومقصوده أن يطهر للباس من الخشع والرهد أكثر مما في قلبه فهذه ثياب زور وديار . ١ هـ .

(١) قال العراقي : لم أجده بهذا اللفظ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧

❦ (بيان الحذر من الكذب بالمعاريض) ❦

قد نقل عن السلف أن في المعاريض مدحجه عن الكذب ، و عن ابن عباس وغيره : « أمّا في المعاريض ما يعني الرّحل عن الكذب » و إمّا أرادوا من ذلك إذا صطرّ الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تنكر حاجته و ضرره فلا يحوز التعريض ولا التصريح جميعاً ولكن التعريض أهون

و مثل المعاريض ما روي أن مطرفاً دخل على زيد و سخطه فتعلل بمرض و كان ما روي حسي مد فارق الأمر إلّا بمعنى به

و قال إبراهيم : إذا بلغ الرّحل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء ، فيكون قوله « ما » حرف المي عند الاستمع وعنده للإيهام .

و كان الشعبي لا يقول لا سته ، شري لك سكرأ بل يقول أذيت لو اشتريت لك سكرأ فإنه ربما لا يتفق .

و كان إبراهيم إذا طلبه في انداء من يكرهه في المحاربة فولي له اطلبه في المسجد و كان لا يقول ليس هب لكأ يكون كاداً

و كان الشعبي إذا طلب في السب وهو يكرهه فيحط دائره و يقول للمحاربة ضعي الأصبع فيها و قل لي ليس ههنا .

و هذا كله في موضع الحاجة ، و أمّا في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا

تفهم الكذب ، إن لم يكن اللغو كذا ، هو مكروه عنى الحمله كما روي عن عبد الله بن عتبة قال : حلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز و جرحته و علي ثوب

و جعن الناس يقولون : هذا كساكه أمير المؤمنين فكذب أقول : حري الله أمير المؤمنين خيراً فقال لي أبي : يا بني اتق الكذب إمّا به الكذب وما أشبهه فهاه عن ذلك

لأن فيه تعريض لهم على من كاذب لأجل عرض المحاربه و هو عرس باطل فلا يؤدبه فيه ، نعم المعاريض نباح لعرض حفيف كتطبيب قلب الغير بل راح كقولهم نحوه

« لا يدخل الجنة عجور » ، وفي عين روحك مبصّر ، و يحملك على ولد النعر » ^(١)
 وأما الكذب الصريح فكما يعاذه الناس من هذاعنه الحمق ، بتعريضهم بأن أمرأه قد
 رعبت في برويحدث فإن كان فيه صررٌ يؤدّي إلى إيذاء قلب وهو حرام ، وإن لم يكن
 إلا عطفائة فلا يوصف صاحبها بالمسوق ولكن يفتن ذلك من درجته بعباده ، وقال
 رسول الله ﷺ « لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحذر لآخيه ما يحب لنفسه ،
 وحتى يحتسب الكذب في مراحه » ^(٢)

وأما قوله ﷺ « إن الرجل لينتكلم بالكلمة ليصدق بها ليس بهوي بها
 بعد من الثريا » ^(٣) ، رد به ما فيه عيبة مسم أو إيذاء قلب دون محض لمرح
 ومن الكذب الذي لا يوجب المسق ما حرت به اعباده في المسألة كقوله
 قلت لك كذا مائة مرة ، وطلبتك مائة مرة ، فإنه لا يراد به تعهيم المرات بعددها
 بل تعهيم السابعة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً وإن كان طلبه مرات
 لا يعتد مثلها في الكثرة فلا يأنم وإن لم يطلع مائة وبينهما درجات يتعرّض مطلق
 اللسان بالمبالغة فيها الخطر لكذب ، و إنما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال
 كل طعام ، فيقول لا أشبهه ، وذلك منهجي عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه عرص
 صحيح

قال محمد بن قائل أسما ، بنت عميس كذب صاحبة عائشة في اللبنة التي هيأتها و
 أدخلتها على رسول الله ﷺ ومعها نسوة ، قالت فوالله ما وجدنا بعده قري إلا قدحاً من
 لبن فشربت ثم باووه عائشة فأتت وتستحيب الحارية فقلت لا تردّي يدرسول الله ﷺ
 حدي منه ، قالت فحدثت منه على حماء فشربت منه ، ثم قال باولي صواحدث ،

(١) تقدم الثلاثة في الامة العاشرة

(٢) أخرجه بن سعد في الاسماء من حديث أبي مليكة لدماري دون قوله
 « وحتى يحتسب الكذب في مراحه » وللهذا وطى في الوثائق والمختلف من حديث أبي هريرة
 « لا يؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه » وتقدم عن احمد في مسنده ج ٢
 من ٣٥٢ « لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يشرك الكذب من المراحة الحديث » .
 (٣) تقدم في الافة الثالثة .

فقل لا تشبهه فقال لا تجمعن حوفاً وكذاً ، قالت فعلت يا رسول الله إن قالت
أحدٌ ممّا لشيءٍ يشبهه لا أشبهه أبعدُ ذلك كذاً ؟ قال إن الكذب ليكتب حتى
تكتب الكذبة كذبة ^(١) .

و قد كان أهل الورع يحتررون عن السامع بمثل هذا الكذب ، قال الليث
ابن سعد : كانت ترمض عيسى سعيد بن المسبب حتى يلغ الرمض حارح عبيد ويقال
به نو مسحت هذا الرمض ، فيقول فأين قول الطيب وهو يقول لي لا تمس
عبيدك وقول لا أفر ، وهذه من مراقبة أهل الورع ، ومن تركه اسأل الله في
الكذب عن حدّ احتياده فيكذب ولا يشعره وعن خوات النيمي قال حاتم أحت
لربيع بن حنيم عائدة إلى بني لي فاسكت عليه فعالت كيف أت يا بني فجلس
الرسم فقل أرصعته ؟ فقلت لا ، قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي صدقت

ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلم ، قال عيسى عليه السلام « إن
من أعظم الذنوب عند الله أن يقول الممد إن الله يعلم ما لا يعلم وربما يكذب في
حكاية المنام والإثم فيه عظيم إذا قال رسول الله ﷺ « إن من أعظم المعصية أن يدعي
الرّحل إلى غير أبيه أو يرى عبيد في المنام ما لم تريا أو يقول علي ما لم قل » ^(٢)
وقال ﷺ « من كذب في حلمه كذب يوم القيامة أن يعفد من شعيرتين » ^(٣)

❦ (الألف الخامسة عشر الغيبة) ❦

و النظر فيها طويل وقد كرر أولاً مدّة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع .

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطرائف في الكسر وله نحوه من رواية
شهر بن حوشب عن أسماء بنت بريد وهو لصواب من أسماء بنت عيسى كانت دداً بالعبث
سكن في طبقات الأصحاب لا في الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عيسى
و روى ابن أبي عمير في حديثه وآله عن سماعة الحديث « فإذا كانت عر عائنة من
تزوجها بتخيير فلا مانع من ذلك (الخ) » .

(٢) أخرجه البخاري ج ٩ ص ٥٤ من حديث ابن عمر .

(٣) أخرجه البخاري ج ٩ ص ٥٤ من حديث ابن عباس .

وقد نصَّ الله سبحانه على دمِّه في كبدِه شدةً صاحبِ بَأ كلِّ لحمٍ المسَّه ، و قد
« ولا تحبُّ سوا ولا يعيب بعضكم بعضاً أحبُّ أحدكم أن يأكل لحم حبيد ميتاً
فكرهتموه »^(١)

وقال رسول الله ﷺ « كلَّ أسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »^(٢)
والعنه ماول العرس وقد جمع منه ومن لدم والمال
وقال ﷺ « لا تجاسدوا ، ولا تلعصوا ، ولا يعيب بعضكم بعضاً ، كودوا
عباد الله إخواناً »^(٣)

وعن حابر رضي سعيد قلاً قال النبي ﷺ « ييت كم والعينه و
نعية أشد من الرأيا ، ومن الرأجل قد يري فيتوب فيتوب الله عليه ، وإن صاحب
العينه لا يعمر له حتى يعمر له صاحبه »^(٤)

وقال أسى قال رسول الله ﷺ « من ل ليله أسري بي على قوم
يحمشون وجوههم بأظافرهم ، فقلت يا حريث من هؤلاء ، قال هؤلاء الذين
يعتدون الناس ويعفون في أعراسهم »^(٥)

وقال سليم بن حابر أنب رسول الله ﷺ فقلت علمني خيراً يمعني الله
به فقال « لا تحمر من المعروف شيئاً ولو أن تصب من دلوك في إنا ، لمستقي
و أن تلمني أحدك بشر حسن وإذا أدير فلا بعنه »^(٦)

وقال البراء حطما رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال

(١) المعرفت ١٢

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١١ من حديث أبي هريرة

(٣) متفق عليه دون قوله ولا يعيب بعضكم بعضاً ، راجع صحيح البخاري ج ٨

ص ٢٥ ، ومسلم ج ٨ ص ١١

(٤) رواه الطبري في الاوسط وفيه عديد كثير وهو متروك كما في مجمع الزوائد

ج ٨ ص ٩٢ وفي الحاوي للفتاوى رسالة خاصة في ذلك وهي بدل المهمة في طلب براءة لدمه

(٥) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٦٨ مسنداً ومرسلاً

(٦) أخرجه ابن أبي لذييا في الصمت واللفظ له وأحمد في المسند نحوه كما في المعنى

« يا معشر من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه لا تعتابوا المسلمين ولا تتسعوا عوراتهم فانته من تتبّع عورة أخيه تتبّع لله عورته » من نفع الله عورته يفضحه في حروف بيته » (١).

و أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « من مات تائماً من العبد فهو آخر من يدخل الجنة » و من مات مصرعاً عليها فهو أول مرید حلّ حار »
و قال أسير أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلسان يوم وقال لا يقصر أحد حتى آذن له فصام أسير حتى إذا أصبحوا حمل الرجل يحني فيقول يا رسول الله طلبت صائماً فأذن لي لأفطر فبأذن له ، ثم الرجل حار و برّحل حتى حار ، رحل فقال يا رسول الله فأتان من أهلي طلبنا صائمتين و برّحنا ، سنحسب أن نأتيك فأذن لهما ففطر فأعرض عنه ، ثم عورة فأعرض عنه ثم عاده فقال برّحنا لم نصوم و كيف صام من طل هذا اليوم يأكل أجود البس يذهب فمهما كان صائمتين أو تستقيمت فرجع إليهما فخرهما فاستقاما فعانت كل واحدة منهما علفه من دم و رجح إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال و الذي نفس عبدك بيده و بقيت في طوبى لهما لا كلنهما النار » (٢).

و في رواية « أنه ما أعرض عنه حار بعد ذلك » قال يا رسول الله إنيهما والله لقد هنت أو كاذتا أن نموت فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أتوبني بهما فحده و قدعا نفس أو قدح فعال لأحدهما قبيئ فمات من قبيح و دم و صديد حتى ملأت القدح » وقال للأخرى قبيئ فمات كذلك فعال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما و أفطر علي ما حرّم الله عليهما ، جلس إحداهما إلى الأخرى فجعلتا مأكلان أجود الناس » (٣).

(١) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٦٨

(٢) أخرجه ابن مردويه و البيهقي في الشعب كما في الدر المنثور ج ٦ ص ٩٦
والحديث من رواية يزيد البرقي وهو بوعمر الصري القاص واحد صنف

(٣) أخرجه أحمد ج ٥ ص ٤٣١ من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله و فيه من لم يسم

وقال أنس : خطبنا رسول الله ﷺ وذكر لرسولنا عظم شأنه فقال « إن الله بهم يدينه الرجل من الرأىوا أعظم عند الله في الحضيئة من سب و ثلاثين ذنية برسب الرجل ذأرى الرأىوا عرس الرجل المسلم » (١)
وقال حذيفة : كذب مع رسول الله ﷺ في مسير فأتى على قريتين يعدت صاحبهما فقال « أما إنيما بعدتان وما يعدتان في كسره أما أحدهما فكان يعاب الناس وأما الآخر فكان يستره من بوله ، ودعا بحريضة رطمة أو حريذتين فكسرهما ثم أمر بكل كسره فعرضت على فرعيل السبي ﷺ أما إنيما سبهون من عديهما ما كانت رطمتي أو ما لم يندس » (٢)

ولما رجم رسول الله ﷺ ما عزأ في الرأى قال رجل لصاحبه : هذا أقص الكلب فمر أنس ﷺ معهما بحيفة فقال انبث منها ، فقال يا رسول الله سبهش جماعة ؟ فقال ما أضده من أحبيكم أس من هذه » (٣)
وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً يقول : يا أباك والعنة فأتها بدم كلال الدم » (٤)

وعن مجاهد في قوله تعالى « ويل لكل همزة لمرة » (٥) « فإن الهمزة اضعت في الناس ، والهمزة الذي يأكل لحوم الناس ، وكل الصحابة ينلاقون ، ليسر ولا يعتابون عند لعنة ويرون ، لثأفصل الأعمال ويرون خلافه عادة المخافين ، وقال بعضهم أدر كذا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في (١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب دم لعنة كما في الشريفة و لزهيد ح ٣

ص ٥٠٣

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، و ابن أبي الدنيا في كتابه في الدم المشهور ح ٦

ص ٩٦

(٣) أخرجه النسائي و ابن جرير ح ٢ ص ٤٥٩ نحوه بسناد جيد .

(٤) رواه الطبرسي في الاحتجاج ص ١٧٢ ، ومروى نحوه عن أمير المؤمنين عليه السلام

كما في الوصل ج ٢ ص ٢٣٨ كتاب الحج باب ١٥٢ تحريم النية .

(٥) الهمزة : ٢٠

لكم عن أعراض الناس

وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فادكر عيوبك ، وقال
عصمهم يصبر أحدكم القذا في عين أخيه ولا ينصر العبدع في عين نفسه . وقال آخر
يا ابن آدم إياك لن يصيب جمعة الايمان حتى لا يغيب الناس بعيب هو فبك وحسني
سداً بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، وإذا فعلت ذلك كان شعلك في حصاة
منك ، وأحب لعباد إلى الله من كان هكذا

وقال مالك بن دينار مر عيسى ابن مريم عليه السلام ومعه لحواريون على جمعة كلب
فقال الحواريون ما أشر ريح هذا الكلب فصر عيسى ما أشد بئس أساءه كآته
بهاهم عن عيبة الكلب وسبهم على أنه لا يذكر شيء من خلق الله إلا أحسنه

أقول: قال بعض علماء السنة ليس المعصي لما فيه عيسى عليه السلام كقول كلام
الحواريين عنه بل الوجه فيه أن من لجمعة ونحوه مما لا يلائم لطباع غير مستند
إلى فعل من يحسن بكار فعله وكلام الحواريين ظاهر في الإنكار كما لا يحق وكان
عيسى عليه السلام يطر إلى أن الأمور الملائمة وغيرها مما هو من هذا لميل كلهم من فعل
الله تعالى على مقتضى حكمته ، وقد أمر بالشكر على الأولى والصبر على الثانية
وفي إظهار الحواريتين لإنكار من الرخصة دلالة على عدم الصبر أو المعلة عن جميعه
الأمر فصرهم عنه إلى أمر يلائم طباعهم وهو شدة بئس أساء الكلب وحمه
معبلاً للأمر الذي لا يلائم وشاعلاً لهم عنه وهذا معنى لطيف تبيين لي من الكلام

و من طريق الخاصة ما رواه الصدوق رحمه الله - بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله
قل : من مشى في عيبة أخيه وكشف عورته كاذب أوّل خطوة خطاها وصعبا في
جهنم ، وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق ، ومن اغتاب مسلماً بطل صومه و
نقص صومه فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله ، (١)

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله العيبة أسرع في دين

(١) أورده في حر كتاب عقاب الاعمال في حطة النبي صلى الله عليه وآله وهي آخر

حصاة حطها رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة

النحاسات وليس برأ^١ والديه أو لا يصح الركاة أو لا يصحب أو لا يحسن قسمتها أو لا يحسن صومعه من الرقت والعيبه والعرض لأعراس اللبس ، وأما فعله المتعلق بالدنيا كقولك إنه قليل الأدب منهاون^٢ لابس ولا يرى لأحد على نفسه حقاً و يرى لنفسه حقاً ، أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ، أو أنه يؤوم ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه ، وأما في ثوبه بأنته واسع الكم طويل الدليل وسح لثياب كبير لعمامة و قد قال قوم لأعيبه في الدنيس لأنه دم ما دمه الله قد كره بالمعاصي ودمه يحور يدلين ما روي أنه ذكرت لرسول الله ﷺ امرأة و كثرة صومها و صلاتها ولكنها تؤدي حيرانها بلسانها ؟ فقال هي في النار^(١) وذكرت امرأه أخرى بأنها بحيلة فقال « فما خيرها إذا »^(٢)

و هذا فاسد لأنهم كانوا يدرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن عزمهم التفتيش ولا يحتاج إليه في غير مجلس رسول الله ﷺ و لدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو معتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله ﷺ في حدّ العيبه فكل هذا وإن كسب صدقاً فيه فأتى به معتاب عاص ربك و آكل لحم أحدك بدليل ما روي أن النبي ﷺ قال « هل تدرون ما العيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال ذكرك أحدك بما يكره . قيل أرايت إن كان في أخي ما أقوه ، قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، فإن لم يكن فيه فقد بهته »^(٣) و قال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فعاثوا ما أغحروه فقال رسول الله ﷺ « اغتبتم صاحبكم ، قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه ، قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه »^(٤)

و عن حذيفة عن عائشه أنها ذكرت امرأة فقلت إنها قصيرة فقال النبي

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (المعنى)

(٢) أخرجه الخرائطي في مكاره الاخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي بن مرسلا

(٣) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢١ و ابن داود ج ٢ ص ٥٦٧ من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير سند فيه عيسى بن عاصم و هو ضعف كما في مجمع

و اغتبتها ^(١).

وقال الحسن: ذكر العبر دلو، ثلاثة أقسام لعيبه: المهتان، لا فؤاد
والكل في كتاب الله، والعسة أن يقول ما فيه، والمهتان أن يقول ما ليس فيه،
والأفك أن تقول ما يملكك.

وذكر ابن سيرين رجلاً قال: دلت الرخاء الأسود، ثم قال: أستعير الله
إني أربي قد اغتبتها، وذكر ابن سيرين: بهم فقال: تتجني ولم يقل، لأعو
وقالت عائشة لا يعاصي منك أحداً في شيء قالت لامرأته مرة: أبا عبد الله
يؤذي من هذه لطولة الدمل فقال: لقطي العظم، فمطبت بضعه من لحمه ^(٢).
أقول: هذه الأخبار العامية لا تصلح لإثبات حكم شرعي ولا سنة ما مع وجود
الداعي لهم إلى احتلاق مثلها، فإن كثرة عيوب أنفسهم، وأصوبت بهم بحوارج
من سد باب إظهارها بكل وجه لرواج حالهم، يأمنوا بغير الرعية عنهم، وكما
أن في لغيره لا يظهر عيوب الناس خطراً ومحدوراً فكذلك في جسم ما فيه وسد بابها
وذلك تعريض لأهل الفضائل ومرتكبي المعاصي على ما هم عليه كذا قال بعض
علمائنا.

وفي مصباح الشريعة ^(٣) عن أحمد بن حنبل: صفة الغيبة أن يذكر أحدٌ بما
ليس هو عبد الله عيباً ويدممه، يحمده العلم فيه ^(٤)، أما الجورس في ذكر عيب ما
هو عبد الله مدموم، وصاحبه فيه علوم فليس بعبئة وإن كره صاحبه إذا سمع به
وكسب آت معاصي عنه حالياً منه وتكون مبدئاً للحق من الدليل ببيان أنه برسوله
ويكون على شرط أن لا يكون للمقائل بذلك مرة غير بيان الحق ولا ظل في دين الله

(١) أخرجه أحمد وأبو داود ج ٢ من ٥٦٧ والترمذي عن أبي حنيفة عن عائشة
أما (٢) أخرجه عن حماد بن عمار عن أبيه كذا في المسند وهكذا أخرجه عن أبي
حنيفة وهو خطأ والصواب: أبي حنيفة وأسمه سلمة بن صهيب

(٢) أخرجه عن مردويه والبيهقي في الشعب والخراطي في ماوى لأحلاق كذا في
لدر المشهور ج ٦ من ٩٥ وهي إسناده امرأة معبولة.

(٣) الباب التاسع والاربعون

وَمَا يَذَّادُهُ بِتَقْصُ لَدَكُو. عَدْر. لَيْتَ مُعْنَى قَبِيحٌ. مَاخُودٌ بِمَعْنَى مُرَادُهُ. ٩. ١. كَانِ صَوَاباً

عنه عليه السلام : العبيد أن يقول في حديث ما سِرَّ الله عليه : أنه الأمر الظاهر وقد
من أحد : لعجله فلا : في حيز آخر : أن يقول لأحيث في دينه
لم يفعل : وثبت عليه أمر أو سره الله عليه لم يتم عليه فيه حد :
وحص بعض علماءنا بحريم العبيد من يعتقد الحق لأن أدلة الحكم غير
مسألة لأهل لصاذا لأن الحكم فيها موقوف بطؤمه أو بالأحرى المراد جوه
الإيمان ولا يتناول من لا يعتقد الحق .

﴿ يَسَارُ أَنْ الْعِبَةِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى السَّانِ ﴾

إعني أن المذكور المذكور في حريم لأن فيه يفهم العرب بعض أحد
وعريضة بما يكرهه ولا تعرف من فيه كالتعريض و المعنى فيه كانوا في الإشارة في الآية
والعمر و لم يرد الكتابه والحد كنه كنه ما يفهم لمقصود وهو دحل في المعية
وهو حرام و من ذلك قول عائشة أحب علياً امرأة فلما وثت أومأت بيدياً
وصيره فقال الرسول و قد اعنته و لأن من ذلك طحاكاة بأن يمشي معارحاً أو كم
يمشي فهو عيبه من هو أشد من العيبه لأنّه أعظم في التصوير و التفهم و كذلك
يعيبه بالكتاب فإنّ العلم أحد الأساليب و ذكر اعصفت شخصاً معيناً و يهين
كلامه في الكتاب علة إلا أن يعزى به شيء من الأعداد طحاكاة إلى ذكره كما
سأئني بيده و أمّا قوله قال قوم كذا فليس لأن عيبه إثم العيبه للعريضة لشخص

(١) الحدة والكسر . يعبرى الإنسان من العصب والروح ، وبمخلقة السرعة
(٢) المر - بالم فعل العيب لدى لم يكن بحمازة وفعله الله فيه كالصوب البديع ،
فخص به اذا كان مستورا وهذا ساء على أن « في دينه » صفة « للاحث » أى لدى
أخوته بسبب دمه ، وسكن أن يكون « في دينه » معلقا بقول أى كان ذلك بقول طبع
في دمه بسبب كفره أو معصيته إليه ويدل على أن اللفظة تشمل لهيب

(٣) الکامی، ج ٢، ص ٣٥٧.

(۴) اخرجہ لحرثی و بن مردویہ واسمہی کما فی ابدر لمتور ج ۶ ص ۹۴

معتق ، إله حيّ ذو عزة ، عن نعيمه أن يقول بعض من مرّ بنا اليوم أو
 بعض من رأسه ، قد كان المجدّ ضيقهم منه شحاً معسناً لأنّ المجدّور يسير به
 ما به لتفهم ، فأما إذا لم يذهب عنه حزن كان سؤل الله عز وجل إذا ذكره من إله
 شتأول ، ما دل أقوم يفعلون كذا ، كان لا يفتن
 فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم إذا كان معه فريده
 عنهم عن الشخص فهو عليه ، وأحدث أنه اغ العبد عند الله ، ما نرى فيهم يهملون
 المقصود على صديقه هل الصلاح لطلبه أو من أنفسهم لتفهم عن العبد : يهملون
 المقصود ولا يبدون تحديقهم ثم يجمعون في حشنة لثباته وهدية ، ذات مثل أن
 يذكر عنه إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يفتك بالدشون على سلطان
 و لتسأل في طلب لحظهم ، أو يقول بعض نامة من قلبه الحمد لله الذي لم يفتك بالدشون
 وإثما قصده أن يفهم عيب أربع فيذكر صديقه الداء ، وكذلك قد يمدح من
 يريد عيبه فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يفهم في لعبه ولكن قد اعتاده
 فتور واسلي بما يتلى به كذب وهو قلبه لصبر ، قد ذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره
 ، يمدح نفسه بلشدة الصلاح في ذم أنفسهم فيكون معسناً ومراثياً ومركباً نفسه
 و يجمع بين ثلاث فواحش وهو بطيء تحببته ثم من الصالحين المتعقبين عن العبد
 ، كذلك يلعب الشيطان بأهل الجبل إذا اشغلو بالعباد من غير علم فأبته يتعمهم
 و يحيط بمكائده عملهم ويصحبك عليهم ويسخر منهم ، ومن دسدهد كرهت إنسان فلا
 يسمه له بعض الحاضرين فيقول سخان الله ما أعجب هذا حتى يصعق إلى المعتد
 و نعم ما يقوله فيذكر الله ويسمع اسمه الله في تحقيق حمده وهو بعض على الله
 بذكره جهلاً منه وعروراً وكذلك يقول لقد ساء بي ما جرى على صديقه فلان من
 استخفاف فسأل الله أن يردّ روح سرّه ويكون كادياً في دعوي الاعتناء وفي إظهار الداء
 ، بل لو قصد الداء ، لأحماه في حلوله عقيب صلاته ولو كان يعتم به لأعتم أيضاً باطبار
 ما يكرهه ، وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي مآفة عظمة تآب الله عليها وعلمه ، فهو في

كل ذلك يظهر الدعاء : الله تعالى مطلع عن حيث صمعه : حجب قصده وهو لجهله لا يدي آتاه وقد دعاه من لمعظم ثم سعى به لاجل ذلك : دا حاهرو ، ومن ذلك الإصغاء إلى العيبة على سبيل التعجب به : وقد دعا يظهر لتعجب ليريد نشاط الدعاء في عيبه فيدفع فيه فكأنه يسخر العيب منه بهذا الطريق فيقول : عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفه : لا إلا بالحي وكس أحسن قد عبر هذا عما قاله الله من ثلاثه ، فإن كل ذلك تصديق للمعنى : والتصديق للعيب عيبه من الله كتب شريك العائل من رسول الله ﷺ : (المستمع أحد المؤمنين)

وقد روي عن أبي بكر : عمر أن أحدهما قال لقد حمى : قالاً سؤال ثم طلب : دعا من رسول الله ﷺ لما أكلا مع لاجر فقال رسول الله ﷺ : فدا أنفسكما : فقالا لا علمه ، فقال بلى : كما : كنتم من اجتمعت : كما :^{١٢}

ونظر كتب جمعهم : كان عائل أحدهما : الآخر مستمع : وقال للرجل جلس اللذين قال أحدهما لصاحبه : أوعض ال رجل كما يعجز لك :^{١٣} : أبش من هذه الحصة : فجمع بينهم : فالمستمع لا يخرج من ثم العيب إلا بأن يسكر لسانه : وبخاف فيقلبه : وإن قدر على القسم : قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل له إلا ثم : وبخاف قال لسانه : أسكت : وهو مشتبه بذلك فعلمه ذلك : ولا يخرج عن إلا ثم ما لم يكرمه فعلمه : ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي : أسكت : يشير بحاجته وحسنه : وبذلك استحقار للمدكور من سعي أن يعظم : ثم عيب عنه صريحا : قال رسول الله ﷺ : من أدب عنده مؤمن وهو يقد على أن يصبر : أدله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق : (٤).

وقال أبو الدرداء : قال النبي ﷺ : من د عن عرس أحبه بالعيب كان

- (١) أخرج الطبراني عن ابن عمر قال سمى رسول الله صلى الله عليه وآله عن العيبة وعن الاستماع أبي العمة راجع مجمع الروايات ج ٨ من ٩١
- (٢) أخرجه إصناء البغدادى فى البخارى عن أس كما فى لدر المستود ج ٦ من ٩٥
- (٣) أخرجه أبو داود والناستى كما تقدم .
- (٤) أخرجه أحمد فى مسنده ج ٣ من ٤٨٧ من حديث سهل بن حنيف

حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْ عَرَصِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَبَّ عَنْ عَرَصِهِ حَيْدَهُ لَعِيبٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْ عَرَصِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وقد ورد في بعضه المثل في العينة و فعل ذلك أحسن كثيره أورد بها في كتب آداب الصحبة : حمول المسلم فلا يطول بالأعداء

٥) بيان الأسباب الباعثة على القبيحة

إعلم أن الموانع على لعيبه كثيرة ولكن نجمعها أحد عشر سبباً ثمانية بطرد في حق العاقبة وثلاثة بحصر ناهي الدين والخاصة

أما الثمانية فالأول يشتهي العيب ذلك إذا جرى سبب يعصب به عليه فإنه إذا صاح عصبه بشقي العيب ذكر مسأله ففسق اللسان إليه دلطع إن لم يكن ثمة من دافع وقد يقع شقي العيب عند العصب فيجتنب لعصب في لسان ويصير حمداً بنا ويكون سبباً دائماً ذكر في العصب والعصب من الموانع العظيمة على العيب

الثاني مؤذنه الأقران : محامله الرفقاء : ساعدتهم على الكلام فيهم راكوا ويمكثون يذكر لأعراس : في أنه لو أكره أن قنع المجلس سئلوه : يعرف عنه فسأعدهم : يرى ذلك من حشر العاشرة و يطرد أنه محمده في لصحة : قد يعصب رفقاء فيحتاج إلي أن يعصب عنه : إظهار المساهمة في السر ، والضراء ، فحوص معهم في ذكر العيوب و شدي فيكث معهم

الثالث أن يستشعر من إسر أنه سببته و يطول لسانه فيه أو يفتح حاله عند محتشم أو يشبه عليه بشهادة فيه دعه قبل أن يفتح هو حاله و يطلعن فيه ليسعد أثر شهادته أو يثبدي بذكر ما هو فيه صراحة ليكذب عليه بعده ويرؤح كذا بالصدق

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المصنف وفيه شهر من حوشب ، وهو عند الطبري بسط

تخر (المعنى)

(٢) رواه أحمد ج ٦ ص ٤٦١ عن أسماء بنت يزيد بن مسعود عن سحوة والعنبراني

بها ، و ابن أبي الدنيا في المصنف عن أبي الدرداء كما في المتن .

الأول ويستشهد به ويقول ما من عادي الكذب وإني أحترتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت

الرابع أن يفسد إلى شيء فريد أن ينسب إليه بدكر الذي فعله ، و كان من حقه أن ينسب إليه ولا يدكر الذي فعله فلا يفسد غيره إليه ، أو يدكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل للمجهول بذلك عند نفسه في فعله

الخامس إرادة التصنع والمهااة وهو أن يرفع نفسه بمقاييس غيره فيقول والله جاهل ، و هو مهزلة كيث وكلامه صعب ، وعرضه أن ينبت في ضمن ذلك فصل نفسه ويريهم أنه أفضل منه أو يحدث أن يعظم مثل تعظيمه فيمدح فيه لذلك السادس الحسد وهو أنه يتم بحسد من يشي الناس عليه ويحتونه ويكرهونه فريد ، والى ذلك لعممة عنه فلا يحدث شيئاً له إلا بالمدح فيه فريد أن يسقط ما وجهه عند الناس حتى يكفوا عن إكرامه ، البناء عليه لأنه يفعل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم ، وهذا هو عين الحسد وهو غير العصب والحسد فإن ذلك يستندعي حباة من المعصوب عليه ، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والعرب من المواقف

السبع اللب والهزل والمطامة وبر حيد لوفت بالصحك ، ويدكر غيره بما يصحك أساس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجب .
لن من سحرية ولاشهر ، استعجلاً له وإن ذلك قد يجري في الحصور ويجري أيضاً في لعبه ، مشاؤه التكرار استعجلاً المستهزئ به
و ثمة الأسباب الثلاثة التي في الخاصة فهي أهمها وأدقها لأنها شروط حثها الشيطان في معرض تحير ، فيها حذر ولكن شاب الشيطان بها الشر .

الأول أن يفسد من الدين داعية التعجب من إنكار الممكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قديكوبه صادقاً ويكون تعجبه من الممكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يدكر اسمه فيسهل الشيطان عليه دكر اسمه فيظهر تعجبه فصار به معصياً من حيث لا يدري و آثماً من حيث لا يدري .

فأُسلِّه هل رأيي بعصت منها شيئاً أو ما كسب فيها طائب الذي يسألها ؟ فسأله ، فقال لا فقال للرحمن قم فلعنك خيرٌ منك ،^(١)

أقول: وفي مصحح الشريعة^(٢) عن الصادق عليه السلام : « من أصل العيبة متوِّع بعشره أنواع شفاء عبط و معاضده قوم و تهمة و تصديق حشر بلا كشفه و سوء ظن و حسد و سحرية و بعثت و تترم و تريت » قال فإن أردت السلامة فادكر الحائق لا المحلوق فمضير لك مكان العيبة غيره . ومكان الإثم ثوباً ،

❖ (بيان العلاج الذي له يمع اللسان عن العيبة) ❖
 أعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإسمه علاج كل علة بمعاذة سببها فليستخص عن سببها ، وعلاج كفة اللسان عن العيبة على وجهي أحدهما على الجملة و الآخر على التفصيل ، أما على الجملة فهو أن يعلم تعريضه لسخط الله بعينه بهذه الأحرار التي رويها أن يعلم أنها محبطة لحسناته فأبته تنفل يوم العيامة حسنة إلى من اعتابه بدلاً عما استحقه من عرضه ، فإن لم تكن له حسنة نقل إليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لسخط الله ومشه عنه بآكل أخيه من العبد يدخل النار بأن يترجح كفته سيئاته ، وربما ينقل إليه سيئاته واحدة بمن اعتاده فيحصل به لرؤحان و يدخل به النار وإنما أقل الدرجات أن يعص من ثواب أعماله وذلك بعد المحاسبة والمطالبة والسؤال والحوار والحسن قال رسول الله ﷺ « ما النار في اليأس أسرع من العيبة في حسنة العبد »^(٣) وروي أن رجلاً قال لآخر : بلغني أنك تعاسي ، فقال ما بلغ من قدرك عدي أنني أحكمت في حسناتي ، فمهما أفسد العبد ما ورد به الأحرار لم يطلق لسانه بالعيبة خوفاً من ذلك ويعصه أيضاً أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه ، وذكر قوله ﷺ « طوبى لمن شعله عيبه عن عيوب الناس »^(٤) ومهما وجد عيباً

(١) أخرجه ح ٥ ص ٤٥٥ من حديث أبي الطعيل عامر بن واثقة .

(٢) الباب التاسع والاربعون .

(٣) من اسراقي . لم أجده أصلاً

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس مستحسن من حديث أس كذا في الجامع الصغير

فيستحي أن يستحي من أن يترك نفسه ويذم غيره ، بل يذممي أن يعلم أن عجز غيره عن نفسه في التبرؤ عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيباً يتعلّق بفعله و احب .
و إن كان أمراً حليفاً فالذم له دمٌ للحال في أن من دمٌ صمعه بعد دم الصانع قل
رحل لعص الحكماء يا قبيح الوجه ، فقال : ما كان خلق وحيي إليّ فأحسبه
و إن لم يجد العبد عيباً في نفسه ولمشكر الله ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن
ثلث الناس و أكل لحوم الميتة من أعظم العيوب بل لو أصف لعلم أن طئه بنفسه أتم
برئى من كل عيب جهل نفسه و هو من أعظم العيوب ، و يسمعه أن يعلم أن تألم
غيره بعينه كتألمه بعينه غيره له ، و إذا كان لا يرضى لنفسه أن يعتاب فيستحي أن
لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه ، فهذه معالجات جليلة

أمّا التفصيل فهو أن ينظر إلى السبب الداعث له على العيبة فإن علاج العلة
بقطع سببها ، و قد قدما الأسباب : أمّا العصب فيعالجه بما سيأتي في كتب آفات
الغضب و هو أن يقول : إن أعميت عصي عليه لعلّ الله يمضي عصه عليّ بسبب
العبية إذ يهني عنها و استخرأت على بهية و استخففت برحمة و قد قال وَاللَّهُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ و إن
لجهنم باباً لا يدخله إلّا من شقي عبطه بمعصية الله ^(١).

و قال وَاللَّهُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ « من اتقى ربه كلّ لسانه ولم يشف عبطه » ^(٢)
و قال وَاللَّهُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ : « من كظم عبطاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة
على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أيّ الحور شاء » ^(٣).
و في بعض كتب الله و يا ابن آدم اذكرني حين تعصب أذكرك حين أعصب
فلا أمحقق فيمن أمحق .

وأمّا الموافقة فبأن يعلم أن الله يعصب عليك إذا طلت سخطه في رضى المخلوقين

-
- (١) أخرجه البرار وابن أبي الدنيا وابن عسّى والبيهقي و لسانى من حديث ابن عباس
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التقوى عن سهل بن سعد بن سعد (الجامع الصغير)
(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٨٦ و قوله « كظم عبطاً » أى حس منه عن
اجراء مقتصد ، و « سعيه » أى قاد على أن يأتي بمقتضاه و فى المصدر « يعضد » مكن
« يمضيه » ، وأخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٤٨ .

فكيف ترضى لنفسك أن توقّر عرك • بحجر مؤلّاه فبما رصاد الرصاصهم إلّا أن
يكون غضبك لله وذلك لا يوجب أن تدرك المعصية عليه سوء بل يسعى أن يعص
الله على رفقاك إذ : كروه بالسوء في تنهم عموما • ثم بأفحش الذنوب وهي إغيبه
و أمّا سرية النفس بسبب الحبيبة إلى العج حدث يستعي عن : كر العبر
فمعالجته بأن نعرف أن التعرّض بمقت الحال أشد من التعرّض لمع الحاق وأنت
بإغيبه متعرّض لسخط الله يفسد لا يندري أنت تتخلص من سخط الله أم لا فتخلص
نفسك في الدنيا بالتوهم • بهك في الآخرة • بحس حسنة • بحقيقة • بحص
دم لله لث بعد • يستطير دفع دم الخلق سيئ • هذا عيه الجهل والجدلان

و أمّا عدوه كقولك • بي إن أكلت لحرام فإلّا يأكده • إن قلب مال
السلطان فعلا يعلو • فهذا جهل لأنك بعدد بالافتداء بمن لا يجوز الافتداء به فإن
من خالف أمر الله • فعندي به كائنا من كان • ولو كان غيرك الله • وأنت بعدد على
أن لا يدخلها لم توافق • ولو وافقت لسبق عدك فبما كرهه عنه • ويأمره معصية أصغرها
إلى ما اعتدلت عنه وسخط مع الجمع من المعصية على جهل • عدوت • كتب
كاشفة • نظير • إلى المعرف • تردى معها من الجهل فهي أضر دي • نفس من الجهل • و
كان بها لسان باطن • صرح بالعد • قالت • العبر • أ كس مني • وقد أهلك • نفس
فكذلك • أ يفعل • أكل • صحت من جهلها • ذات مثل • ثم لا تعجب • ولا تصحك
من نفسك

و أمّا فسادك استهزاء • بك • كيف لنفس بر ياد الفصل بأن يفتح في عرك • فبما
أن يعلم أنت بما • كرهته • أطلب • فصلت • عبد الله • وأنت من اعتقاد الناس • فصلت على
خطر • وربما نفس اعتقدتهم • فك • عرفوا • بثلث الناس ^(١) فتكون • وقد بعد عدد
الحديق • يفسد • عبد المخلوقين • وهم • ولو حصل لك من المخلوقين • اعتقاد • الفصل
لكنوا لا يعمون • عبد الله • ثبت

و أمّا العيب للحسد فهو جمع من عدايب لأنك حسدته على عمة الدين

(١) منه من باب ضرب أي عاه • لام • اعتاه • منه • طرده

و كنت فيها معذراً بالحسد فما فعلت بذلك حتى أصعب إليه عذاباً في الآخرة فكنت
حسراً في الدنيا فجعلت نفسك أيضاً حسراً في الآخرة لتجمع من تكاليف فقد وصفت
محسودك فأصبت نفسك وأهديق إليه حسانت ، فإذا أنت صديقه وعدو نفسك إذا
لا تصره عيبك ونضرك ، وسمعته إذا تقبل إليه حسانت أو تقبل إليك سبائته
والانفعك ، فقد جمع إلى حث الحسد حبل الحماقة ، ورتما يكون حسدك وعدحك
سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل :

وإذا أراد الله شر فصيله طوبى أمانح لها لسان حسود

و أمّا الاستهزاء فمقصودك منه إخراج عراء عبد الناس بأجراء نفسك عند الله
وعلى وعد ملائكة السنين فلو تفكرت في حسرتك وحمايتك وحجلك وحررت
يوم تجعل سببت من اسمرات به وتساوى إلى النار لأدهشك ذلك عن إحسان
صاحبك ، فو عرفت حاجتك لكنت أولى أن تصحح منك في تلك محرت به عند الله
قليل وعرض نفسك لأن يتخذ بيدك في لقمة على ملائمة من الناس ويسودك
تحت سبائته كما يساق الجمل إلى النار مسهراً به ، فرحاً بحريث ومسروراً
بسر الله تعالى إتياءه وسلطه على الانتقام منك

و أمّا الرقة به على إثمه وهو حسن ولكن حسدك ، فليس فاسططعت بماتفل
من حسانت إليه ، هو أكثر من رحمتك فيكون حسراً لأنهم امرحوم فيخرج عن
كونه مرحوماً وتقلب أنت مستحقاً لأن يكون مرحوماً إذا أخطأ حركه ونصب
من حسانت وكذلك العصبية لا يوجب العينة وإنما الشيطان حبب إليك بعينه
لحبط أحر عصبك وعملك وتصير متعزاً لما لمف الله تعالى بعينه

و أمّا التعجب إذا أخرجك إلى العسة فبسمي أن تتعجب من نفسك أنك
كيف أهلكت دينك بدين عيرك أو بدماه وأنت مع ذلك لا تأمل عفوته الدني و هو
أن يهلك الله سترك كما هتكك بالتعجب ستر أحيث فإذن علاج جميع ذلك طعنه
فقط والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوي إيمانه بجميع
ذلك انكف لسانه عن الغيبة لأمحالة .

❦ (بيان تحريم الغيبة بالقلب) ❦

إعلم أن سوء لظن حرمٌ مثل سوء القول ، وكما يحرم عليكَ أن تحدث عيرك بلسانك بمساوي العير فليس لك أن تحدث نفسك بدتك ولا تسيء لظن بآحيك ، وسب أعى به لا تعد القلب و حكمه على غيره بالسوء ، وأما الجوارض وحديث النفس فهو معفو عنه بل اشك أنصاً معفو عنه ، ولكن المسمي عنه أن تظن و الظن عذرة عما تركن إليه لنفس وميل إليه القلب وقد قال تعالى :
 « احسنوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » و سبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا عاين العيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا اكشفت لك بعين لا يحتمل التأويل فبعد ذلك لا يمكنك أن لا تعتقد ما علمته وشاهدته و ما لم تشهد به بحيث ولم سمعه بأدب ثم وقع في قلبك و إنما الشيطان يدعو إليه فمدعي أن تكذب به فإنه أفسق لمستحق وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » ^(١) ولا يجوز بعد ذلك إبليس وإن كان ثمة محتملة تدل على مساد و حتمل خلافه لم يحتر أن تصدق به وإن كان الفاسق يصور أن يصدق في حمرة و لكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى أن من استنكه فوجد في فيه رائحة الجمر لا يجوز أن يحدث إذ يدل بمكان أن يكون قد تمصص بالجر و محته و ما شربه أو حمل عليه قهر فكل هذه دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم به ، فقد قال عليه السلام : « إن الله حرم من المسلم دمه و ماله و عرضه و أن يظن به سوء » ^(٢) فلا يستباح ظن لسوء إلا بما يستباح به المال وهو من عساهدته أو بدعه عليه في ما لم يكن ذلك و حذر لك سوء لظن فمدعي أن تدفعه عن نفسك و تغتر غلبه أن حاله عندك مستور كم كان وإن ما رأيته فيه يحتمل الخير والشر

(١) و (٢) الصغرات ١٢٠ و ٦٠

(٣) أخرجه الشيخ في الشهاب من حديث عن عباس بن سعيد (المعنى) ولا ين

ماجه نحوه من حديث ابن عمر نعت رقم ٢٩٣٢

في قلب فمما يعرف عند سوء الظن ، النكدة محتلم ، النفس تحدث ،
 فاقول أمارة عند سوء الظن ، يتغير لقلب معه عما كان يسير عنه بقول لم يعهده
 ، يستقبله ويعبر عن مراعبه وحقده ، كرامة و الأعمدة بسند فبده أمارات عند
 من و تحمقه ، وقد قال النبي : ثلاث في المؤمن لا يسجن وله منهن مخرج
 ومخرج من سوء الظن أن لا يحقه عدو^(١) ، أي لا يحقه في نفسه بعد ولا في لاي
 سب ولا في الجورح ، ثم في لقلب فتعبره إلى الله ، في الجوارح
 ، لا من موحية ، الشيطان قد يدور على القلب بأدنى محملة ماءه أناس ويلهي إليه
 أن هذا من قطعت وسرعة سببه ، وذكاءه وأن المؤمن يطر بنور الله وهو على
 من موطأ يعرف الشيطان وعلمته ، فأن إذا حرك به عدل فمال طمك إلى تصديقه
 من معدور الأوثان كدته لكب حسا على هذا العدل ، طيب به الكذب وذلك
 أن من سوء الظن فلا يسعى أن تحسن الظن بواحد وسي بالآخر نعم يسعى
 أن يحدث هل يمد يد عداوة محسنة ومحب فتطرق التهمة بسببه وقد رد للشرع
 شدة العداوة على عدوه للمهمة^(٢) وقد عدل أن تتوالت في إحصائه وإن كان عدلا
 فإن سببه ولا يكتفه ولكن تقول في نفسك : امدد كور حاله كان في شر الله عتي و كان
 أمره محجوبة وقد يعني كما كان لم يكشف لي شي من أمره ، وقد يكون لرحد طاهره
 عداله ولا محاسنه بينه وبين المدكور ولكن يكون من عادته لتعرض للناس
 مساو فهد ، قد يظن أنه عدل وليس يعدل فإن المعتات فاسق وإذا كان
 الب من عدو ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتقاد ساهلو في أمر العيبه ولم
 ينتروا بسأل أعراض الخلق ومهما خطر لك حاصر سوء على مسلم فيسعي أن
 يبد في مرعائه ، تدعه له بالخير فإن ذلك يعط الشيطان ويدفعه عث فلا يلهي

(١) أخرجه الطبراني من حديث حادثة بن العيص بسند ضعيف كما في المعنى

(٢) أخرجه بوارق ج ٢ ص ٢٧٥ وأبو رسول الله صلى الله عليه وسلم رده شهادة

لعائن ولعائنة ، وذي السمر على أخيه ، ورده شهادة لعن لاهل البيت وأجاده المعزهم ،
 و سابع لاسمر لاسم مثل لاجير لعن ، وابعا راجع الكافي ج ٧ ص ٣٩٥ باب ما يرد
 من الشهود

إليك انجم السوء، حمله من اشتغالك بالدعاء، والمراد به عيبه عرفت وهو مسلم بحجته فأصححه في السر، لا يجمع بين الانشغال في الدعاء إلى غير ذلك، وإذ أعطته وزانعه وأب مسرور، مما أعث على نفسه سطر إليك عين لتعظم وتطير إليه عين لاستيعابه، فيقع عند مدالته، وعقد ولكن قصداً، مخصوصة من الإثم وأب حزين، على نفسك، إذ دخل عليك بعض في دينك ويسمى أن يكون أثره من غير تصحيحه، وأب من تركه، تصحيحه فأب فعلت ذلك كتب جمع من أحراره عظم، أحر العم بمحسنة وأحر الإغناء له على دينه، ومن ثمرات سوء. من التحسّس، من القلب لا يقع بالطن، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتحسّس، وهو أيضاً مهيب، عند قول الله تعالى «ولا تحسّسوا» ويعينه سوء الطن، والتحسّس مهيب، في آية «حده» ومعنى التحسّس أن لا تترك عند الله بحسب ستر الله فتتوصّل إلى الاطلاع، وهناك السر حتى يكشف لك ما لو كان مسموحاً عنك لكان أسلم لقلبك ولدينك، وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التحسّس وحيثيته.

❦ (بيان الاغذار المرخصة في الغيبة) ❦

علم أن المرخص في ذكر مذي العير هو عرس صحيح في الشرع لا يمكن لنوصل إليه إلا به فبما في ذلك إثم اعينه وهي ستة أمور:
الأول انظلم من من ذكر قاصياً بالظلم، لحياته وأحد الرشوة كل معاصياً عاصماً أم المظلوم من جهة القاضي وقد ن يفتلّم إلى اسلطان ويسمه إلى الظلم، لا يمكنه استنفا، حقه إلا به وقد قال رحمته «لصاحب الحق مقال»^(١) وقال «مظل العمي ظلم»^(٢) قال «لي الواحد يحل عرصة وعقوبته»^(٣)

(١) و (٢) أخرجه مسلم والبخاري من حديث أبي هريرة، وقد تقدم.

(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجه، تحت رقم ٢٤٢٧ من حديث لشريد، «وبى الواحد»

يصفه وأبو داود المعاد على لاداء وقوله صلى الله عليه وآله «وبى عرصة وعقوبته»
في أبي عبد ما يؤدى جعل عرصة لبدائي ما يقول «ظلمي» وعقوبته بالعس والمرير
كذا في هامش المتن.

الثاني الاستعانة على تغيير المسكر وردد لعاصي^١ إلى مذهب الصلاح و إنما
 بوجه هذا بالمصد الصحيح فإن لم يكر ذلك هو المقصود كان حراماً
 الثالث لاستغناء كما يقول للمعني قد طلعتني أبي^٢ روحني أو أخي فكيف
 طرقتني في الخلاص^٣ و لأسلم التعريض بأن يقول ما فوكت في رحل طلمه أبوه^٤ و
 روحه ، ولكن^٥ البعين مباح بهذا القدر ما روي عن همد أنها قالت للمبي^٦
 أن أما سمعت رحل^٧ شحيح لا يعطني ما يكفسي إيتي و ولدي أفاخذ من غير
 علمه^٨ قال حذني ما يكفمت و ولدك بالمعروف^٩ و ذكرت لشج^{١٠} و الظلم لها
 و لولدها ولم يرحرها رسول الله ﷺ إذ كان قصدها الاستعانة .

أربع بحديث المسلمين من الشر^{١١} و إذا رأيت متعتها يتردد إلى أهل الشر^{١٢}
 و مستدع أو فاسق و حسب أن يعدني إليه بدعته فلت أن نكشف له بدعته و فسفه
 مهم كان الماعث لك الخوف علمه من سرية^{١٣} لمدعي إلى غيرهم و ذلك موضع العرو و إذا قد
 يكون احسد هو الماعث ، و بليس الشيطان ذلك بإظهار الشفعة على الحلق ، و كذلك
 من اشترى علوك^{١٤} و قد عرف المملوك بالسرفه أو بالفسق أو بعيب آخر فلت أن تذكر
 ذلك فإن في سكونك ضرر^{١٥} على المشتري و في ذكر ك سر ر على لعد ، و المشتري أولى
 بمر عاه حاسه ، و كذلك المراكبي إذا استدع الشاهد فله لطمع^{١٦} عام مطعماً ، و كذلك
 المستشار في البر و يحد و ينداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد لصح للاستشير
 لا على قصد الوقيعه ، و إن علم أنه يترك الترويح بمحر^{١٧} د قوله لا يصلح لك فهو
 لو احب ، و إن علم أنه لا يرحر إلا بالترويح بعينه فله أن يصرح به قال رسول الله
 ﷺ : « أترعون عن ذكر العاهر حتى لا يعرفه الناس ، اذكروه بما فيه
 يحدده لئس^{١٨} » (١) و كانوا يقولون ثلاثة لا عيبة لهم الإمام الحائر و المستدع
 و المحاهر بقسمه

(١) أخرجه مسلم و البخاري ج ٧ من ٨٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المستعنى دم العيبة و الحكيم في نوادر الامور و الحاكم
 في المعنى و لغيره في لالقباب كما في الجامع الصغير

الخامس أن يكون الإنسان معروفاً بلفظ يعرف عن غيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الرُّبَاد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يحري محراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولا تبه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به . نعم لو وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بمادة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى . الصير ، عدولاً عن اسم النفس

السادس أن يكون متحارباً بالفسق كالمحدث وصاحب الماحور^(١) والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكل من يتظاهر بالفسق بحيث لا يستكشف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به . فإذا ذكر فيه ما يتظاهر به فلا إثم قال رسول الله ﷺ « من ألقى حلياً الحياء عن وجهه فلا عنه له »^(٢) وذلك لأنه ربما يتفحّر به فكيف يكره ذلك وهو يقصد إظهاره . نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به ثم .

أقول . قال السيد العلامة فصل الله من علمي الحسني في شرح الشهاب في تفسير قوله ﷺ « ليس لعاسق غيبه » إن الغيب ذكر . لعائب بما فيه من غيب من غير حاجة إلى ذكره ثم قال فأما إذا كان يعتب فاسقاً فإنه ليس ما يذكر به غيبة وإنما يسمى ما يذكر به غيبته غيبه إذا كان تائماً نادماً فأما إذا كان مصرّاً عليه فليس بغيبة كيف وهو يرتكب ما يعتب به جهراً انتهى كلامه

و يؤيده الأحرار وكلام أهل اللغة قال الجوهري الغيبه أن تنكأ حلف إنسان مستور بما يعتمه لو سمعه قريب كان صدقاً سمي غيبه وإن كان كذباً سمي بهتاناً . وعن الصادق عليه السلام « الغيبة أن تقول في أحيت ما ستر الله عليه وأما الأمر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا . » البهتان أن تقول فيه ما ليس فيه^(٣) وعن أبي الحسن عليه السلام « من ذكر رجلاً من حلقه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته »^(٤).

(١) أي مجس العار .

(٢) أخرجه البيهقي وصححه عن أس كيامي الدر السور ج ٦ ص ٩٧

(٣) و (٤) الكافي ج ٢ ص ٣٥٨

* (بيان كمارة الغيبة) *

إعلم أن الواجب على المعتاب أن يندم ويشتد على ما فعله من غير
عن حق الله ثم يستحل المعتاب لبعده من حرج عن مصيئته فيسعي أن يستجده وهو
حريص متأسف ثم على ما فعله إذا أمرائي قد يستحل به من مفسده فيكون
الناظر لا يكون يادماً فيكون قد فارق مصيئته فحري في نفسه أن يندم من
الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال
اعتبه أن تستعير له ^(١) وقل مجاهد كذا وكذا لجهنم أن في عيشه
في يدعو له بحجر

و سئل بعضهم عن التوبة عن لعنه فقال: تمضي إلى صاحبك وتقول: أدب
فعلت فقلت، وظلمت وأسأت، ثم شئت أن أدب بك فإني لم أصوب، وهذا هو
الأصح وقول القائل: والله من لا عوبة له فلا يجد الاستحلال منه ولا أمراً
الأم صحيح إذ قد وجب في لعن من حدث عنه من استغفرت له من قبل
في أنه ^(٢) وفي من كذب لأخيه عدة من ماله في عيشه أنه حال في الاستحلال
منه من قبل أن يأتي يوم ليس له ذلك ولا ربه ^(٣) ثم يؤخذ من حسنة من قبل
من له حسنة أحد من سادات من حسنة فربما على سعة

أقول الكلام الصحيح لجامع من لا حجة له في قول الورع: هذا أسأله
ولله في ذلك ^(٤) إن عتب فليع لمعت في سجن منه في لم ندعه واستعير
له ^(٥) ذلك لأن الاستحلال مع عدم اللذة به أنه ^(٦) للفتنة وحسب مصاعب
في حكم من لم يسلعه من لم يقدر على له يقول: إنه موقوف أو غيره

قال أبو حمزة في كل عائلاً أنه عتبت فيسعي أن يكذب الاستعير له ^(٧) لئلا
يكثر من الحسنة فإن قلبه في التحليل هل يحرج فأقول لا لأنه نوع من
الشرع فصل وليس بواجب ولكنه مستحسن ^(٨) سبيل المعتد أن يدع في أشاء

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المصنف عن ابن كمال في جامع الصغير

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٥٠٦ من حديث أبي هريرة

(٣) مصباح الشريعة الباب التاسع والأربعون

عليه و لنو^١ ، إليه : بالارة ذلك حتى يطب عليه و إن لم يطب فله كان اعتداله
 • نو^٢ حسنه محسوبه له يعادل به سئته العينه في الصفة فكان بعض السلف لا يحل
 • له لم و سعيد بن المسيب لا حلق من ظلمي و قال ابن سيرين إني لم أحرّمها
 عليه فاحللها له إني لله حرّم أتعنه عليه و ما كتب لا حلق ما حرّم الله أبداً
 فإن كتب فم معنى قول رسول الله ﷺ : « يسيء أن يستحلها » و يحلها
 حرّم الله غير ممكن ؟ فيقول المراد العفو عن المظلمة لأن يستل الجرام خلافاً ، و ما
 ذكره من سيرين حسن في التحليل فإن العنه فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره العينه
 و إن كتب فم معنى قول رسول الله ﷺ : « يسيء أن يستحلها » و يحلها
 صممه كان يدخرج من صدق و الله إني قد صدق بعربي على الناس^{١١}
 فكيف يصدق باله من من صدق به و هل يدع به و إن كان لا صد صدقه و ما
 معنى الحديث عنه : فيقول معاد إني لا أغلب مظلمة في قيامه منه و لا أحصمه
 • إلا فلا يصير العنة خلافاً له و لا سقط مظلمة عنه لأنه عفو قبل الوحوب إلا أنه وعد
 • له اعزم على لوفه ، بأن لا يحسم في جمع و حسم كان قياسه قياس سائر الحقوق
 • و إن له ذلك بل صرح العقباء بأن من أدرج لعدو لم يسقط حقه من حد القذف
 • مظلمة لا حره مثل مظلمة الدنيا و على لحمله والعفو أفضل وعد ورد إد
 حنث الأهم من يدي الله عز و جل يوم لعناه يودوا ليقيم من كان به أحر على الله ،
 فلا يعوم إلا من عفا عن مظلمة في الدنيا • • و قال الله تعالى : « حد العفو و أمر
 بالعرف و أعرض عن الجاهل » و قال رسول الله ﷺ : يا حريئل ما هذا العفو ؟
 فقال : إن الله بأمرك أن نعفو عن ظلمك و نصل من قطع و نعطى من حرّمك^{١٢}
 و روي عن بعضهم أن رجلاً قال له : إن فلاناً قد اغتابك ، فبعث إليه طبقاً
 من أرطب و قال : بلعي أنت أهدب إلي من حسانت فأردت أن أكافيك عليه
 فاعذرني فإني لا أفد أن أكافيك على التمام

(١) أخرجه ابن أبي عمير في العمل اليوم والليلة من ١٦٨ من حديث أس

(٢) تقدم مراراً في كتاب رياضة النفس وغيره .

❖ (الآفة السادسة عشر السمية) ❖

وقال الله تعالى « همداء مشاء بنعيم ❖ متاع للحير معتد ثم ❖ عتل بعد ذلك ربيم »^(١) قال عبد الله بن المبارك الربيم ولد ابرئى الذي لا يكتنم الحديث ، وأشار به إلى أن كل من لا يكتنم لحديث ومشى بالسميمة دل على أنه ولد لورئى ، استساقاً من قوله تعالى « عتل بعد ذلك ربيم » و الربيم هو الدأعي
وقال تعالى « ويل لكل همزة لمرة »^(٢) قيل الهمزة السم ، واللمزة معتاب وقال تعالى « تحفة الحطب »^(٣) قيل إنها سمية تخالفة للحديث
وقال تعالى « وحاشاهما فلم يعيب عنهما من الله شيئاً »^(٤) قيل كانت امرأه بوط نحر بالصبيان وامرأه نوح كانت بعد أنة مجنون ، وقد قال النبي ﷺ « لا يسجن الحزمة سم » وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » و المعتاب هو لسم »^(٥)

وعنه ﷺ « حنكم إلى سه أحاسكم أخلاقاً الموطؤن أكافاً الذين يلعون و يؤلعون ، وإن يعصمكم إلى الله المشاؤون بالسميمة من الأحنه ، المعروف من الأحزاب ، الملتصقون للبراء العثرات »^(٦)
وقال ﷺ « ألا أحر كم بشرا كم ، قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالسميمة ، المصدون بين الأحنه ، الناعون للبراء العيب »^(٧)

(١) أقام ٦٨ إلى ٧٠ والهماز العياب ، واصل القط اعليط ، و الربيم يمتن بالقوم وليس منهم

(٢) الهمزة ٢٠ (٣) اللهب : ٤

(٤) انتعريم ٦٦

(٥) أخرجه البخارى ومسلم و ابو داود ح ٢ من ٥٦٧ والرمز ج ٨ من ١٨٢ من

حديث حدة

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم والاوسط دون قوله « المعروف من الأحزاب الخ » من حديث أبى هريرة ، والدرار من حديث ابن مسعود باختصار

(٧) أخرجه أحمد في المسند ح ٦ من ٥٥٩ من حديث أسماء بنت بريد

عن إرمي : « و « أُرِدَ عِدْ » عن الحجر « ما أعني منه » عن يسيم و « ما دُلُّ »
 منه « قال ابن عباس على النبي ، ثلث من السماء ، و « الحق » تسع من الأرض ،
 و « عذب المانع أعني من الحجر » الحجر و « الجسد آخر » من استر و « جحفة إلى »
 الغريب إذا لم تتحجج برده من لزمه رير ، و « قلب الكافر أقصى من الحجر » و « لم تـ »
 من أمره أدلُّ من التميم و يقال إن ثلث عذاب النار من التميمه

(١) بيان حد التميمه وما يجب في ردها

إعلم أن اسم التميمه إنما يطلق في الأكثر على من يسم قول العير إلى المفعول
 و « كما يقال فلان يتكلم منك بكذا وكذا ولسب التميمه مخصوصة بالمفعول فيه بل
 و « كذا كشت ما كره كشته سواء كذا هو المفعول عنه أو لمفعول به أو كرهه ثالث .
 « و « كل الكشت بالمفعول أو « كذا بدأ أو بدأ مرأوا الأيماء . « سواء كان المفعول من
 الأعمال أو من الأقوال « سواء كان لك عساً و « عساً على المفعول عنه أو لم يكن بل
 حقيقه التميمه : ف « السر » و « ثلث لستر عساً يكره كشته » بل كس ما رآه لا يسان من
 أحوال الناس ما يكره « فسمي » سكت عنه ، لأن في حكاية و « ثلثه لمسلم أو دفع عصية
 كذا » إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يهد به مراعاة لحق المشهود له فأما
 إذا كان آه يحفي مالا بنفسه فذكره « التميمه » ف « السر » فإن كان ما يسم به
 نصراً و « عساً في أمحكي عنه كان قد جمع بين العيبة و التميمه

و « لما عت على التميمه » ما : « ده السوء » بأمحكي عنه و « إظهار الحب » للمحكي
 « أنه » ل « تفرح » بالحدث أو الخوص في العصول و « كل » من حملت إليه التميمه
 و « ير له » إن فلاناً قال فيث كذا و كذا أو فعل فث كذا و كذا أو هو يذتر في فساد
 ترك أو في بخله عدوئك أو في تصحح حاش أو ما يحري مجراه فعليه بسنة « مورد .
 « لأن » لا تصدقه لأن المقيم فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى :
 « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق فنبأ فتيقنوا أن نبأ قوماً بجهالة » (١)

لأنني أنفذه عن ذلك ، فيصحبني يفتح له ففعله قال الله تعالى « وأمر بالمعروف و
نهى عن المنكر »

ثالث أن معصية في الله في أنه بعض عند الله . يجب بعض من معصية الله
الرئيسية أن لا تظن ما حيث لعذب الله . لتوله يعني « حصو كثير أمر الله »
الخاص أن لا يحملك . حكى لك عنى لتجسس والبحث ليتحقق قول الله
به لى « ولا تجسس »

أما من أن لا يرى نفسك متهيب عند التمام فلا يحكي بميمه فقول فلا
قد حكى له كد وكذ فيكون به متما ومعبأ ويكون قد أتى به عنه بهير
وقد روي عن علي بن رضى الله عنه يسعى ليه حن ، فقال يا هـ
بحر سأل محم قلب في كذب صادق فمعه . وإن كذب كاذباً عاقبك ، فإن سأل
أن يملك أفعالك . ونفسى يا أمراؤدس »

« ذكر أن حكماً من الحكماء . أنه بعض إخوانه وأخوته بحر عن غيره
فقال له الحكماء قد أنطاب عن الرزق . ونسبي بثلاث حيايات . نصب إلى أخيه
« شعلت فدي اندرع ، واتهمت نفسك الأُميد »

وروي عن سلمان بن عبد الملك قال حالاً وعنده امرؤ هري فجاه . حل
فقال له سليمان بلعي أنت وومت في وقلت كذا وكذا . فقال رء حل ما فعلت
ولا قلت فقال سليمان إن الذي أحزني كان صادقاً ، فقال الرء هري لا يكون
لنمام صادقاً فقال سليمان صدقت إذ ذهب بسلام

« قال بعضهم من ثم إليك ثم علك « هذا إشارة إلى أن التمام يسعى أن
يمعص ولا يوفق بمداقته ، وكذا لا يعص وهو لا يملك من الكذب والغيبة والعبد
والخبيثة والعن والحدس والحق : الإفساد بين الناس والحديعة وهو بمن قدسعى
في قطع ما أمر الله به أن يوصل قال الله تعالى « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

(١) لقمان : ١٧ .

(٢) رواه البعيد - رحمه الله - في الاختصاص ص ١٤٢ .

و يسعدون في لأرض^١ » و قال عز و جل^٢ : « فما السبيل على الذين يظلمون
 أناس و يسعون في الأرض بمعبر الحق^٣ » و المصمّم منهم
 و قال ^٤ : « من شرّ لسان من ألقاه الناس لشره^٥ » و المصمّم منهم
 و قال ^٦ : « لا تدخل الجنة فاطع ، قيل : وما لم تطع ؟ قال : هو قاطع^٧ من
 الناس وهو المصمّم^٨ » و قيل : قطع أرّحم ، و ذكرت السعاية عند بعض الأصحاب
 و قال : ما طمّكم بقوم محمد الصديق من كلّ طمقة من لسان إلاّ منهم
 و السعاية هي المصممة إلاّ أنّها تدّ كآب إلى من يحرف حاشه سمّت سعاية
 و قد قال لسي ^٩ : « الساعي باللسان إلى الناس لغير رشدة^{١٠} » يعني يس
 بولد حلال .

و قال لقمان الحكيم : يا بني أوصيك بحلال إن تمسّك بها لم ترل به سيّداً
 أسط خلعت للعريب والعبد ، و أمست حبلت عن الكريم و التثيم و احفظ حوائك
 و من أقدّك و أمهم من قبول قول ساع أو ساع باع يريد فسادك و يروم خداعك ،
 و سكر أحيانك من إذ و فهم و فارقوك لم نعمتهم و لم يعادوك
 و قال بعضهم المصممة مديّة على الكذب « الحسنو لعدو وهي أنافي^{١١} »
 و قال بعضهم لو صبح ما عدله لمصمّم لك لكان هو المحترى ، بالشمع عدت
 و لمنقول عنه أولى بحلمك لأنّه لم يعانك بشمك ، « على الحمله و شرّ اسم عظيم
 فسعي أر يتوفني قال جدد من سلمه باع دخل عدو و عدو للمشترى » فيه عيب
 و المصممة قال قد رصبت و شترت و مكثت ، لعلام أيتاعاً ثمّ قال لروحة مولاة^{١٢} : « من روجك
 لا تحبّه » وهو يريد أن يفسر على عليك و أنا تحبّه لك في شعره و عدل كبيت أوفر

(١) اسقرة ٢٧ . (٢) الشورى ٤٢٠ .

(٣) رواه ابن أبي عمير في كتابي ح ٢٦ ص ٣٦٧ ، و البخاري و مسلم و نحوه .

(٤) أخرجه البخاري ح ٨ ص ٦ و مسلم ح ٨ ص ٨ من خبر من مضمّن عن ابن

(٥) أخرجه الحاكم من حديث أبي موسى هكذا و من سعى بالناس فهو أمير رشده

أو فيه شيء منها .

(٦) الاتامى جمع الانمية وهي لعجازه التي نصب و تجعل عليه القدر .

علي أحد شعره : فقال إذا سمعته مني الموسى و حننى من فمى عند بومه شعرى
حننى أسجره عنى فحننى ثم قال لدمح إن امرأتك اتحننت خليلاً وتريد أن
تقتلك فتدوم لى حتى عرف ذلك فتدوم فيه ما سراه بطوسى فطن أنتم يعلمه فنام
فتدبها ، فحلا أهلها و قتلوا الزمخ فوقع الحال من الشيلس وطال الأمر بهم

❦ (الافه السابعة عشر كلام دى اللامى) ❦

و هو الذى يأنى هؤلاء ، بوحده هؤلاء ، بوحده ويرد بين المتعاريى ويكلم كرى
واحد بكلام يوفىه : فلما يخلو عند من يشاهد معاريى : دى عى لقاى
و قال عمارى سار قال رسول الله ﷺ : من كان له : حى فى الدنيا : كان له
لسان من يوم القامة :^(١)

و عنه ﷺ : نجدون من سار عمار لله يوم القامة : دا لو حيين لى دى
هؤلاء ، بحديث هؤلاء ، بحديث :^(٢) و لى لفظ : الذى يأنى هؤلاء ، بوحده هؤلاء ، بوحده :^(٣)
و قال مالك بن دينار : قرأت فى لتو : به بطلب الأمانه والرأى مع :
بشفتى بختين : يهلث لله يوم القامة كل شمس بختين

و فى ﷺ : أنص حليمه الله لى يوم القامة : الكادون والمستكرو
و لى بكثر : المعصه ، لا حوامهم فى صده : هم فى : لغوهم بملغو لهم و لى
دعو إلى الله و رسوله كابوا بظا : و : دعوا إلى الشيطان وأمره كابوا سر :^(٤)
أقول : من طريق الحامه ما : و : لى بلسانه إلى على :
و قال رسول الله ﷺ : بعي : يوم القامة : و لو حيين دلى لسانه فى فم : و آخر من
قدأه بلسانه : أحسن بلسانه : ثم يقال : لى كان فى : دا لو حيين

(١) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٦٧ سند حسن .

(٢) و (٣) أحمد فى مسند ابى هريره و البخارى و مسلم نحوه كفاى الجامع المصنوع

وأخرجه ابن أبى الدنيا بلفظ النصف كما فى البخارى

(٤) قال المراقى : لم أقبله على أصل

وذا السائين يعرف بذلك يوم القيامة» (١)

و بالاسناد إلى الباقر عليه السلام قال : «نفس اعمد عند تكون وجهي وذا لسانين يطربني أحدهم شاعداً ، تأكله عائناً ، إن أعطي حسده وإن ابتلي خذله» (٢)
و بالاسناد عنه عليه السلام قال : «نفس العبد عند همزه طره ، يضل بوجهه ويدبر آخره» (٣)

و بالاسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «قال الله تعالى يعسى أن يمر بكم بئس خلقاً ، ليكون لسانك في السر»
و بالاسناد إليه عليه السلام : «أحدت فديك ، إني أحذرك نفسك و كفى بث حياء لا يصلح سداً في فم واحد ولا سيفين في عهد واحد ، وكذلك الأدهم» (٤)
قال أبو حمزة : و نفعه اعلم أن ملافة الأئمة بوجهي يعقو للمعاني علامات كثيرة ، بعده من عملها ، وقد روي أنه رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات فلم يصل عليه حديقة فغار عمر ، يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصل عليه ؟ فقال يا أئمة المؤمنين إنهم منهم ، قال : و نشدك الله أنهم أم لا ؟ فقال اللهم لاؤنا أو من منها أحداً بعدك .

وإن قلب فماد يصير الرُّجل رجل ذا لسانين وما حدث ذلك ؟ فأقول : إذا دخل على معديين و حامل كل واحد منهما وكان صادقاً فيه لم يكن مافياً و لا ذا لسانين و إن ألو حد قد صدق متعديين ولكن صدافه صعيقه لا تنهي إلى حد الأخوة و تحذف الصدافه لاقتصاف معاداة الأعداء كما ذكرناه في كتاب آداب الصحة و الأخوة نعم لو قل كلام كل واحد إلى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من عصمة إذ يصير مأمراً من يفعل من أحد العاصين فقط وإن نقل من الحدين فهو شر من العصمة و إن لم يفعل كلاماً ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا هو السائين ، و كذلك إذا وعد كل واحد منهما أنه يصمره و كذلك إذا نسي على كل واحد منهما في معاداة و كذلك إذا أثني على أحدهما و كل إذا حرج من عنده ينفقه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يسي على المحق

من المتعاضدين وشي في حضوره وفي عيبه وبين يدي عدوه ، فيل لبعض السحابة
 إِنَّا ندخل على أمراء ونبول النبول فإذا حرحا قلنا غيره ، فقل كذا بعد ذلك
 نقاقاً على عهد رسول الله ﷺ وهذا نقاق مهم كان مستعياً عن الدحول على
 الأمر وعن الشاء عليه فلو استعنى عن الدحول ولكن إذا دخل يحذف إن ثم يش
 فهو نقاق لأن الله الذي حو ح نفسه إليه وإن كان يستعنى عن الدحول لو وقع بالقليل
 وبرك المال والحاء فدخل لصره الحاء والعنى وأنى فهو صافق وهذا معنى قوله
 ﷺ « حب المال والحاء يمتدح النقاق في الغلب كما يست الماء السفلى » (١)
 لأنه يحو ح إلى الأمر، ومراعاتهم ومرا، أنهم ، فمما إذا ابتلي بد لضرورة وحف
 إن لم يش فهو معدود في أنفة الشر حائر قال أبو الدرداء إِنَّا سكرش (٢)
 في وحوه أقوام وإن فلوبا لتعصيم ، وقلب عائشة ، واستأذن رجل على رسول الله
 ﷺ فقال ائذوا له فمئس رجل العشرة هو فلما دخل أقبل عليه وألآن له
 النبول ، فلما حرح قلب عائشة قد قلب شس رجل العشرة ثم ألب له النبول ،
 فقل يا عائشة إن شر الناس الذي بكرم اتقاء لشره » (٣)

ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكثر ، واستم وأما الشاء فهو كذب صريح
 فلا يجوز إلا لصره أو إكرام يسبح الكتب مثلها كما ذكرناه في آفة الكتب ، بل
 لا يجوز الشاء ، ولا التصديق ، تحريث الرؤس في معرض التقرير على كل كلام
 باطل وإن فعل ذلك فهو صافق ، بل يسعى أن يسكر بلسانه وبقلبه فإن لم يقدر
 فليسكت بلسانه وليتكر بقلبه

❦ (الآفة الثامنة عشر المدح) ❦

وهو مهي عنه في بعض مواضع أمّا الدّم فهو العيبة والوقيعه وقد ذكر

(١) أخرجه ومصور الدمشقي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة مد
 ضعيف كما في المتن .

(٢) كثر عن سنده كشف عنها وادهاها عبد الصعوت وغيره

(٣) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢١ وقد تقدم

عزرك الله^(١) وقال مطرف ما سمعت ثناء أو مذمة إلا جئت عرب إلى نفسي
وقال يزيد بن أبي مسلم لغير أحد يسمع ثناء علي أو مذمة إلا تراه إلى الشيطان
والكر^(٢) أخو من يراجع فقال بن المدينا قد صدق كلاهما أمّا ما ذكره زياد فتلك
قلوب العوام ، و أمّا ما قاله مطرف فتلك قلوب الحواسب

وقال عليه السلام لو مشى رجل إلى رجل يسكن مرفح كان حراً له من أن
يشي عليه في وجهه ، وقيل المدح الذبح وذلك لأن المدح هو الذي يصير عن
لعمل والمدح يوجب لغتور ، أو لأن المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح
وبذلك شبهه فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المدح والممدوح لم يكن
به بأس ، بل ربما كان ممدوحاً إليه ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة ولكنه
قال عن صدق و بصيرة و كانوا أحل^(٣) منه من أن يورثهم ذلك كبراً وعجباً وفنوراً
بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر و قال رسول الله ﷺ
«أما سيد ولد آدم ولا فخر»^(٤) أي لسب أقول هذا تفاخراً كما يفصده الناس
بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره كان بالله و بقربه من الله لا بولد آدم وتقدمه
عابهم كما أن المصول عند المملك مولاً عظيماً إنما يصح بعبوله بثناء وبه يفرح
لا تقدمه على بعض رعاياه ، وتفصيل هذه الآفات بعد على الجمع بين ذم المدح
وبين الحدث عليه ، قال عليه السلام «وحب الجنة» ما أشوا على بعض الموتى ثم
قال «أنتم شهداء الله في الأرض»^(٥)

وقال مجاهد «إن لني آدم جلسة من الملائكة فإذا ذكر أحياه المسلم
بحير فات الملائكة ذلك مثله وإذا ذكره سوء قالت الملائكة يا ابن آدم اسود
عوده أربع على نفسك وأحمد الله إذا سر عودك وهذه آفات المدح

❦ (بيان ما على الممدوح) ❦

إعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحترار من آفة الكبر والعجب

(١) قال عمر بن الخطاب لم حذله أصلاً وكذا الضر الاتي

(٢) أخرجه ابن ماجة بحديث رقم ٤٣٠٨ من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) أخرجه مسلم ج ٣ ص ٥٣ في حديث طويل عن أس

« أفقد الفتوى والرياء ولا سحر عنك إلا أن تعرف نفسك ويتأمل في خطر الحاتمة
 « فيقول لربك وآمين اللهم لا تعرفه ما لا يعرفه المدح ولو مكنت
 « له جمع سريره وما يحزنني على حوائره كذا المدح عن مدحه ، وعليه أن يظهر
 « كرمه مدحاً بآلال المدح ، له الإشارة بقوله عز وجل : « حذروا لربكم في وحيه
 « مدحاً » وقال بعض من عهده : لا يكلم المدح من عرف نفسه ، وأشي على
 « حر من الصالحين ومن اللهم إن هؤلاء لا يعرفونك ، قال آخر
 « ما أشي عليه التهم إن عندك هذا قد عرف لي بمصطفى وأشهدك على مصد
 « وقال علي عليه السلام : « أشي عليه اللهم أعني » لا يعمدون ولا يؤاخذوني بما
 « دعواي واحملني خيراته أيا طوبى »

(الاية التاسعة عشر)

العقل عن أفق الخطأ في حقون مكالم لاسمه ومما يتعلق بالله ونهذه
 « خطبوا الناس فلا يعذر على تعويم الخطأ في أمور الدين إلا بعلماء الفصحاء
 « ومن فقد في علمه أو فقهه لم يحل كلامه عن الرجال ولكن الله يعفو عنه لحجته
 « مثله مدافن حربه من السيوف ولا يعذر أحد من مشاء الله وسب ولكن يغفل
 « من الله ثم شئت « ذلك لأن في الخطب مطلق بلواؤا سريكا ونسويه وهو
 « على خلاف الاحترار وقال من عباس جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في
 « بعض لأمر فقال : « مشاء الله وسب فقال عليه السلام : « أحملني الله عدلاً » من مشاء الله
 « حديد » (٤)

« خطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من يصنع لله ورسوله فغفر الله له ومن

(١) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٥٤ ومسلم ج ٨ ص ٢٧٨ من حديث معمر وقد تقدم

(٢) أورده الشريف الرضي في النسخ باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٩١ هكذا لا تقولوا

« مشاء الله وسب فلاي ولكن هؤلاء مشاء الله ثم شاء فلاي »

(٤) أخرجه ابن السني في اليوم واليلة ص ١٨١ من حديث من عباس

بعضهما فقد غوى ، فقال « قل ومن بعض الله ورسوله فقد غوى »^(١) ، وكره عليه السلام قوله « ومن بعضهما » لأنه تسوية وجمع .

وعن ابن عباس أنه قال إن أحدكم يشرك حتى يشرك بكله يقول لولاه لسرقنا الليلة .

وعن النبي ﷺ « إن الله يباهيكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حاله فذلك الله أوليهم »^(٢)

وعنه عليه السلام « لا سموا العبد الكرم إنما الكرم الرّحل المسلم »^(٣)
« عه عليه السلام « لا يقول أحدكم عني ولا أعني كلّمكم عبد الله و كلّ سائلكم ، الله ولكن لسعد علّامي وحارثي وفناتي ، ولا يقول المملوك ربّي ولا ربّي ولكن سيدي سيدي كلّمكم عبد الله و ربّ واحد »^(٤) .

وعنه عليه السلام « لا تقولوا للموافق سيّدا فإنه إن يكن سيّدكم فقد أسيّدكم ربكم »^(٥)

و قال عليه السلام « فمن قال أنا بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قيل ، وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالماً »^(٦) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره .

ومن تأمل جميع ما أوردناه من آداب اللسان علم أنه إذا أطلق سبانه لم يسام ، وعند ذلك يعرف سرّ قوله ﷺ « من صمت نجاه »^(٧) لأن هذه الآداب كلّها مهالك ومغاطب وهي على طريق التكلّم فإن سكّت سلم من الكلّ وإن

(١) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٢ من حديث عدي بن حاتم

(٢) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٦٤ من حديث ابن عمر

(٣) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٤٦ من حديث أمي هريرة .

(٤) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٤٦ و ابن السني في اليوم والليلة ص ١٠٥

(٥) أخرجه ابن السني أيضاً ص ١٠٥ .

(٦) أخرجه ابن ماجه تعت رقم ٢١٠٠ من حديث بريدة .

(٧) تقدم عن الترمذي .

يُكَلِّمُ حَاطِرَ بَعِيدٍ إِلَّا أَنْ يَوْفِقَهُ لِسَانٌ فَصِيحٌ وَعِلْمٌ عَرِيرٌ وَوَرَعٌ حَادِرٌ وَمِرَاقَةٌ
لَا عَهْدَ وَتَغْلِيلٌ مِنَ الْكَلَامِ فَعَبْدٌ يَسْلَمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَمُكُّهُ مِنَ الْحَطَرِ
بِأَنْ يَكْتُبَ لَا يَمُكُّهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ تَكَلَّمُ دَعَمَهُ فَكُنْ مِمَّنْ سَكَتَ فَسَلِمَ فَالْإِسْلَامُ
يُحْدِثُ بَعِيدَتَيْنِ

❦ (الافقة العشرون) ❦

❦ (سؤال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف القديمة هي أو محدثة) ❦

و حَقَّاهُمْ الْأَشْتَعَالُ بِمَعْنَى مَا فِي الْمِرْآةِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ تُعْبِلُ عَلَى الْهَوَسِ وَالْفُضُولِ
حَقَّتْ عَلَى الْقَلْبِ ، وَ الْعَامِيُّ يُفْرِحُ أَنْ يَحْوِسَ فِي الْعِلْمِ إِذَا لَشَيْطَانٌ يَحْتَمِلُ إِلَيْهِ
أَنَّ مِنْ أَعْلَمَاءِ وَأَهْلِ الْعِصْلِ وَالْإِيرَانِ يَحْتَسِبُ إِلَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكَلِّمَ مَا هُوَ كَمَرٌ وَهُوَ
لَا يَدْرِي وَكُلُّ كَمَرَةٍ يَرْتَكِبُهَا الْعَامِيُّ هُوَ أَسْلَمَ لَهُ مَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ لَا سِيَّمَا فِي
الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَصِفَاةُ وَ إِيْمَانُ شَيْءٍ الْعَوَامُ الْأَشْتَعَالُ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِيْمَانُ بِمَا وَرَدَ بِهِ
أَمْرٌ وَالْتِسْلِيمُ بِمَا حَادَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَسُؤَالٍ عَنْ غَيْرِهِ ، يَتَعَلَّقُ بِالْعِبَادَةِ
سَوْ، أَدَبٌ مِمَّنْ يَسْتَحَقُّونَ بِهِ الْمَعْرِفَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَعَرَّضُونَ لِحَاطَرِ الْكَمَرِ وَهُوَ كَسُؤَالِ
صَاحِبِ الدُّوَابِّ عَنْ أَسْرَارِ الْمَلُوكِ وَهُوَ يُوَحِّدُ الْعَقُوبَةَ ، كُلُّ مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ مَعْصُومٍ وَلَمْ
يَبْلُغْ فِيهِ تِلْكَ الدَّرَجَةَ هُوَ مَعْصُومٌ فَإِنَّهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ عَامِيٌّ وَلِذَا قَالَ الرَّسُولُ
« رَوَيْتُ مَا مَرَّ بَيْنَ كَتَمِكُمْ فَأَيْتَعِبْ هَلْكَ مَنْ كَانَ قَلْبُكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاجْتِلَاؤِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ
فَدَعَوْهُمْ عَنْهُمْ فَاحْتَسَمُوا ، وَ هَذَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَبَوْا عَمْدَ مَنْ اسْتَطَعْتُمْ » (١) .

و رَوَيْتُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّاسَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَاً حَتَّى أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَ أَعْصَمُوهُ ،
فَصَعِدَ الْمَسْرُوعُ فَقَالَ : سَلُونِي فَلَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ ، إِلَّا أَسَأْتُكُمْ بِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي ؟ فَقَالَ : أَبُوءُ أَحَدَاكُمْ ، فَقَامَ إِلَيْهِ شَابِتٌ أَحْوَانٌ قَالَا : يَا
رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبُوءُ ؟ فَقَالَ : أَبُوكُمَا الَّذِي تَدْعِيَانِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِي لِحْظِهِ أَهْ فِي الْمَاءِ ؟ فَقَالَ : لَا بَلْ فِي الْمَتَارِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ غَضَبَ

(١) أخرجه من نسخة تحت رقم ٢ من نسخة من حديث أبي هريرة

رسول الله ﷺ أمسكوا،^(١)

وفي الحديث مبي رسول الله ﷺ «عن القيل و المال و كثرة السؤال و إضاعة المال»^(٢).

و قال ﷺ «يوشك الناس يساءلون بينهم حتى يقولوا هـ، خلق الله قمر خلق الله هـ فإذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد حتى تحتجوا السورة ثم ليتعن أحدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»^(٣) و قال حابر . «ما رئت آية اسئل عن إلا لكثرة السؤال»^(٤)

و في قصة موسى و الحضر صلى الله عليهما تسميه على الطبع من السؤال قبل أوّل استحقاقه إذ قال . «فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً» فلما سأل عن السعيّة أكر عليه حتى اعتمد و قال «لا تؤاخذني به سيئت ولا ترهقني من أمري عراً»^(٥) فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثاً قال «هـ» فراق بيبي وبيبك و فارقه . فسؤال العوام عن عوامس الدين من أعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب دتيم و منعهم و حوصمهم في حروف القرآن و بطائر ذلك من العلوم و نظرهم في ذلك يصاهي اشتغال من كتب إله الملك بكتاب يرسم له فيه أموراً فلم يشتغل بشيء منه و صيغ زمانه في أن فرطاس الكتاب عتق أو حديثه فاستحق به العفوية لا محالة فكذا نصيب العمي حدود القرآن و اشتغاله بحروفه تبه قديمه أو محدثة و كد سائر صغاب الله

هذا آخر الكلام في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات من استحقاقه اسبغ في تهذيب الإحياء .

و يملوه إن شاء الله تعالى كتاب آفة لعصب و الجعد و الحسد و الحمد لله أولاً و آخراً و طهراً و باطناً و الصلاة على محمد و أهل بيته و سلم

(١) أخرجه البخاري مختصراً ج ١ ص ٣٤ و مفصلاً ج ٩ ص ١١٧ من حديث أبي موسى و ج ٩ ص ١١٨ من حديث أس

(٢) منقول عليه من حديث البقيّة بر شعبة و قد تقدم راجع صحيح البخاري ج ٩ ص ١٢٨

(٣) أخرج صدرة البخاري ج ٩ ص ١١٩ (٤) أخرجه البر و كما في المسمى

(٥) أخرجه البخاري ج ١ ص ٤١ و ٤٢ و الآيات في سورة الكهف

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربيع المهلك من المحنة لبصاء في مهدب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يتكبر إلا على عباده ورحمته الرحوم ولا يحذر سوى
 نفسه و سطوته الجائعون ، الذي اسدح عباده من حيث لا يعلمون ، و سلط عليهم
 آيات و أمرهم بترك ما يشتهون ، و ابتلاهم بالعص و كلمهم كعلم لعيط فيما
 يمشون ، ثم حقتهم بالمعكاه و اللذاب و أملى لهم ليطر كيت يعملون ، و امتحن به
 حشمتهم بيلم صدقهم فيما يدعون ، و عرفهم أنه لا يحصى عليه شيء مما يسرون و ما
 يفتنون ، و حذرهم أن يأخذهم بغتة و هم لا يشعرون فقال « ما يظنون إلا يصيحه
 » حدة تخدمهم و هم يحتمون ، فلا يستطيعون نوصيه و لا إلى أهلهم يرجعون »
 و الدلالة على شه رسله الذي يسير بحب لوائه السيوف و لمقامهم و على آله
 و صحابه الأئمة المهديين ، و أسبغه لمصطفى ، صلاة يوارى عندها عدد ما كان من
 حق الله و ما سبكون ، و يحطى بر كتب الأول و الآخرين
 أمّا بعد فإن لعص شعله نار فتست من نار الله الموقدة ، لا أيتها لا تدمع ، لا
 على الأفتدة ، و أيتها لمسكنة في طي القود استكمال الحمد تحت الرمد ،
 يستخرج الكبر الدف من قلب كل حصار عميد كما يستخرج الحجر النذر من
 الحديد و قد مكشف للمطربين سور البقي أن الإنسان يسرح منه عرق إلى الشيطان
 لمعين فمن سهرته نار العص فقد قويت فيه ذاب الشيطان حيث قال « خلقتني
 » و خلقتني من طين « فمن شأ الطين السكون » الوقار و شأن اندر التلطي
 و استعار و الحركة و الاصطراب « الاصطراب » و منه قوله تعالى « يصبر به ما في

بطوبهم^(١) ومن نتائج العصب، الحسد والحسد وبها هلك من هلك وفسد من فسد، ومعظمها مصعة إذا صلحت صلح لها سائر الحسد، وإذا كان الحسد والحسد والعصب ثم يسوى لعبد إلى مواضع العيب وما أخوجه إلى معرفة مع طه ومسويه بيحدده و تنقسه ويميطه^(٢) عن العبد. إن كان فيه ويعيد به إن يلج في قلبه وبدائه فإن من لا يعرف السرّ يقع فيه ومن عرفه ولمعرفة لا تنقصه ما لم يعرف لطريق الذي به يدفع لشره ويقصده و يحذر يذكر دم العصب وآفة الحسد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان دم العصب، ثم بيان حقيقة العصب ودرجانه، ثم بيان أن العصب هل يمكن إزالته أصله بالبر يا صه أم لا، ثم بيان الأسباب أهم وجه للعصب، ثم بيان علاج لعصب بعد هجده، ثم بيان فصيلة كظم العيب ثم بيان فصيلة لحلم، ثم بيان العذر الذي يحوز الاستمرار والتشقي به من الكلام، ثم القول في معنى الحسد ونتائجه وفصيلة العفو والرفق، ثم القول في دم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته، ثم بيان أسبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأحوة وبني الأعمام والأقارب وتكده وفلته في غيرهم وصعته، ثم بيان الدواء الذي به يفي مرض الحسد عن القلب، ثم بيان القدر الواجب في تعي الحسد عن القلب

❖ (بيان دم العصب) ❖

قال الله تعالى «إذ حمل الدين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية» فأمر الله سكينة على رسوله الآية^(٣) دم لكفار بما تظاهروا به من لحمية الصادرة عن العصب بالباطل، ومدح المؤمنين بما أكرم الله عليهم من السكينة وروي «أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل، قال لا تعصب

(١) الحج ٢٠ وقوله تعالى «يصر» أي يدا

(٢) الإزالة: الإزالة.

(٣) الفتح ٢٦، والحيمة: الإفة والعصب.

ثم أعاد عليه ، فقال لا يغضب ^(١) وعنه ^(٢) وأتته سئل ما د يعد عن عصب الله قال : لا تغضب ^(٣).

و قال ابن مسعود قال النبي ^(٤) ما تعدون لصرعة فيكم ؟ هذا الذي لا يصرعه لرجل ، قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ^(٥) وعنه ^(٦) ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب ^(٧).

وعنه ^(٨) من كف عصبه سر الله عورته ^(٩) و قال سليمان بن داود يا سي إناك و كثره لعصب فإن كنته لعصب نستحب فؤاد الرجل الحكيم ^(١٠) و عن عكرمة بن فوله يعلو ^(١١) و سيدنا و حضور ^(١٢) قال السيد الذي لا يعلبه الغضب .

و قال أبو داود ردا . قلت يا رسول الله قلني على عمل يمحلي الجنة قال لا تغضب ^(١٣).

و قال يحيى بن عيسى ^(١٤) لا يغضب قال لا أستطيع إلا أنغضب ، إنما أنا بشر

(١) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٣٥ ، ورواه أحمد في المسند و لصري في لاوسه كشاف مجمع الروايات ج ٨ ص ٦٩ .

(٢) أخرجه أحمد و فيه إسراي نسخة و هو لى أحمد ك ، في مجمع بروند ج ٨ ص ٦٩ . (٣) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٣٠ .

(٤) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٣٤ و رواه لصري في لاوسه سيد صعب ك ، في مجمع بروند ج ٨ ص ٧٠ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في دم الغضب عن أبي هريرة و ابن عمر سيد صعب كما في مجمع الروايات ج ٨ ص ٧٠ .

(٦) آثار عمران ٣٩ و الحضور الذي لا تأتي السوء من العفة و الاحسان في ارة شهوة و من لم يزل في الله

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا سيد صعب ك ، في مجمع لصغير

قال لا تقتل مالا (٥) ، قال هذا عسى إن شاء الله تعالى

و قال ﷺ «العصب يعدد الإيمان كما يعدد الصبر العسل» (١)

و قال ﷺ «ما عصب أحدٌ إلّا أشقى على جهنم» (٢)

و قال رجل «يا رسول الله أي شيء أشدُّ عليّ؟» قال عصب الله ، قال وما يعديني من عصب الله؟ قال لا تعصب» (٣)

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال

رسول الله ﷺ «لعصب يعدد الإيمان كما يعدد الحبل العسل» (٤)

و عن ميسرة قال ذكر العصب عند أبي جعفر عليه السلام فقال «إن الرُّحْلَ

لنعصب فما يرصى أبدأ حتى يدخل الب . فأيما رُحْلٍ عصب على قوم و هو قائم فيجلس من فوره ذلك فإتة سيذهب عنه رحر الشيطان ، وأتة رُحْلٍ عصب على ذي رحم فليدن منه فليمنه فإن الرُّحْمَ إذا هست سكنت» (٥)

و عن أبي حمزة الثمالي عنه عليه السلام قال «إن هذا العصب حمرة من الشيطان ، وقد في خوف ابن آدم و إن أحدكم بدا عصب امرأت عيانه و انتفجحت أوداجه و دخل الشيطان فيه ، فإذا حاف أحدكم ذلك من نفسه فليلمر الأرض فإن رحر الشيطان يذهب عنه عند ذلك» (٦)

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال «العصب مفتاح كل شر» (٧)

وعنه عليه السلام قال «سمعت أبي يقول . أتى رسول الله ﷺ رُحْلٌ ندوي فقال إنني أسكن البادية فعلمني حواعج الكلام ، فقال آمرك أن لا تعصب ، فأعاد الأعرابي عليه المسألة ثلاث مرّات حتى رجع الرُّحْلُ حل إلي نفسه فقال لا أسأل

(٨) من الأسماء وهو اتحاد شيء لنفس

(١) في الكافي ج ٢ ص ٣٠٦

(٢) أخرجه الر في من حديث ابن عباس هكذا «قال رسول الله صلى الله عليه وآله

«ما لعصار لايه حله أحد لامن شقي عفته» بحضائه (راجع مجمع الروايد ج ٨ ص ٧٦

(٣) أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمر بالشطر الأخير وقد تقدم .

(٤) انبصر ج ١ ص ٣٠٦ حتى يذهب خلواته وخصيته وصادر المعجوع شيئا آخر

(٥) إلى (٧) الكافي باب العصب ج ٢ ص ٣٠٦ إلى ٣٠٦

عن شيء بعد هذا ، ما أمرني رسول الله ﷺ إلا بالخير ، قال : و كان أبي يقول :
أي شيء أشد من الغضب إن الرجل يعصب فيعزل النفس التي حرم الله ويقذف
محصنة ^(١) »

و عنه عليه السلام قال : « من كب عصه سر به عورته » ^(٢)
و عنه عليه السلام قال : « إن في المراء مكتوباً ، يا ابن آدم اذكرني حين تغضب
أذكرك عند عصي فلا تمحط فيما أمحت ، وإد طلعت بمظلمة فارض بانتصاري لك
في انتصاري لك حر من انتصارك لنفسك » ^(٣)
و عنه عليه السلام قال : « العض مضمحل لعلم الحكيم ، وقل من لم يمدح عصه
لم يملك عقله » ^(٤) .

و عنه عليه السلام قال : « قال رجل لسي بن عتبة علمي ، قل يذهب ولا يعصب
فقال الرجل قد اكتب بذاك فمضى إلى أهله فإذ بين قومه حرب و قد قوما
بتهوفاً و ادسوا السلاح فلما رأى ذاك لسر سلاحه ثم قدم معهم ثم كبر قول رسول
الله ﷺ « لا تعصب » فرمى السلاح ثم جاء بمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه
فقال : يا هؤلاء ما كانت لكم مني حجة أو قدر مني صرب ليس فيه أثر فعلي في
« أنا وكمكموه » فقال لقوم : « ما كان فهو لكم بحر أدلى بذلك منكم » قال
يذهب لقوم وذهب العصب » ^(٥)

و عن أبي حمزة عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ من كب نفسه عن عرس
رسول الله ﷺ يوم القيامة » من كب نفسه عن الناس كب الله عنه عذاب يوم
القيامة » ^(٦)

و عنه عليه السلام قال : « مكروب في النورية فيما تحي الله به موسى ﷺ يا موسى
أصب عصك عمن ملككث عليه أكت عك عصي » ^(٧)
قال أبو حمزة الآثار عن ذي القرنين أنه لعى ملكاً من الملائكة فقال :
علمي علماً رددته يما ويصياً قال لا تعصب ورسول لشيطان أفرد ما يكون على

ابن آدم حين يعصب من العصب بالكظم وسكده بالمؤدة ، وإيتاك و لعجله وإيتاك
إذا عجلت أخطأت خطأك . كن سهلاً للفقير والمعيد ولا تكن حديراً عند
وعن وهب بن منبه قال راعياً سأل الشيطان أي أخلاق يبي آدم أعون به
عليهم ؟ قال الحدة . إن الرجل إذا كان حديداً قلبه كما يعلب الصبيان الكرة
وقل حنثمه الشيطان يقول كيف يعطسي ابن آدم وإذا رصي حنث حتى
"كون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه

و قال جعفر بن محمد عطاء : والعصب مفتاح كل شر " (١)

و قال بعض الحكماء : رأس الحمق لحدّة ، وقائده العصب ، ومن رصي بالجهل
استعصى عن العلم ، والحلم زين ومذممة ، والجهل شين ومصرّة ، وسكوت عن حوب
الأحق جوابه .

و قال محمد بن خالد بن يسار ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث إذا
سكر أحدهم أحداً بحرأته ففداه حدة شماً وعملاً لما أحببنا ، وإذا غضب فل
بما لا يعلم وعمل بما يندم ، وسخّله بما في يديه وممّسه بما لا يعدد عليه
وقيل للحكيم ما أملت فلا بالعصه ، ول إذا لاندلّه الشهوات ، ولا يصرعه
الهوى ، ولا يقلبه الغضب .

و قال بعضهم : إيتاك والعصب فيّته يصيرك إلى دلة الاعتذار
و قال عبد الله بن مسعود : انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه ، وأمانته عند
طمعه ، وما علمك بحلمه إذا لم يعصب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع
و قال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي
في التماس المسخورة فقل الناس أعلمهم فإن كان للدنيا كان دهاً ومكرراً ، وإن
كان للآخرة كان علماً وحلماً .

وقد قيل لعصب عدو العقل ، والعصب غول العقل .

وقيل لعبد الله بن المبارك أجل لنا حسن الخلق في كلمه ، فقال ترك العصب

إلى جوف القلب . صدحياً . لذلك يصغر اللؤلؤ . من كان لعصب من بطن يشد
فيه بولاً منه . يرد به . انقباض . و ينسبط . فيحمر . ويتصلب . ويضطرب .
و الحيلة فيه . ان يعصر عذراً لللب . معاهد . طين . و لم يلب لطلب الاشياء
و إنما يتوجه هذه القوة عند بول . في دفع طلق . قبل وقوعه . وإلى التشافي
والانقباض بعد وقوعه . و الانقباض قبل هذه القوة . شوبها . وفيه لذتها . و لا تنس
إلا بعد . ثم انما في هذه القوة على . ح . ث . ث . في ذلك الفطرة من . يتعطل
و الإفراط و الاعتدال . فما . غير يتعطل هذه القوة . ضعف . ذلك مدموم . و هو
لذي يعل فيه . إنه لا حمة له . لذلك قيل . من استعصب فلم يعصب فهو حمار . و هو
وهذه قوة الحمة . العصب أصل . فهو بعض حدا . وقد وصف الله الصحابة . شد
والحمة . من . أشداه على الكفا . و قال تعالى . يا أيها النبي . حد
الكثرة . واحد . فليس . عبط عليه . و إنما لعلمه . الشدة . من ثار القوة الحمة
وهو العصب .

و في الإفراط . أن يعل هذه القوة حتى يخرج من سياسته . يعمل وال
و طاعنهم . فلا يبقى لهم . و يصح . و فكر . و لا حصار . بل يصير في صوة
المتعصب . و من علقته . فهو . عزيرته . و هو . عقديته . قرب . من هو . و لعل
مستعد له . العصب حتى كان . في لقلته . صورة . و يعين على ذلك
حراره . من أجل العصب . من الكثرة . و لرسول الله ﷺ . في رده المراج
تطهيه . و كثر سوره . و إنما لأسباب الاعتدال . في أن يحالط قوماً . ينسحبون
بشقي . لعط . طاعة . عصب . و إنما . و حوله . فيقول . لو حد منهم
أنا لذي لأحد . على الجح . و لا أحتمل من أحد أمر . و معناه . لأعقل لي . و لأحلم
ثم يذكره . في معرض التحذير . فمن سمعه . في سحر . في نفسه . حسن . لعصب . و حب

(١) الفتح ٢٩٠ . (٢) التوبة : ٧٣ .

(٣) أخرجه . يرمي من حد . أي . سمع . حد . ضعف . و أورد ح ٢ من
٥٥٠ عن عطاء . و قال رسول الله صلى الله عليه وآله . « إن لعصب من الشيطان ، وإن
لشيطان حق من الدار ، و إن نصف الدار ، الماء ، و قد عصب أحدكم فلا توصأ »

لشبهه بالغوم فتعوى به العصب ، ومهما اشتد نار العصب وقوي اضطرابه أعمى صاحبها وأعمته عن كل موعظه ، وإذا عظم لم يسمع ما يريد به الموعظة عصباً ، وإن أراد أن يستضيء بنور عقله وجع نفسه لم يعدر على ذلك ، ويغطي نور العقل ويهتدي في الحال بدخان العصب فإن معدل الفكر الذمّاع : وهو عند شدّة العصب من عسل دم القلب دخان إلى الذمّاع مظلم يستولي على معدل الفكر ، وما يتعدّى إلى معدل الحسّ فيظلم عصبه حتى لا يرى نفسه ويسوّى عليه الدنيا بأمرها ، " يكون دماغه على مثال كهف أصعب فيه نارٌ وسودٌ حوّه وحى مسهره ، وامتلأ بالذخاير حواصيه و كل فيه سراح صعد ، ويطغي واملحى نوره فلا تثبت فيه قدم ، لا يسمع فيه كلام ، ولا يرى فيه صورة ، لا يتدبر على إيمائه لا من داخل ولا من خارج ، بل يدعي أن يصير إلى أن يحترق جميع ما فعل بالاختراق ، فكذلك يفعل العصب بالقلب والذمّاع ، وتعدّ تعوى نار العصب فتهنى لرطوبة التي بها حيّاه انقلب فيموت صاحبه عيباً كما تعوى النار في الكعب في شقٍّ وهدأ أعليه على أسافله ، ذلك لا يطل النار ما في حواصيه من العوّه الممسكة الجامعة لأحراره فهكذا دخل القلب مع العصب ، وبالحقيقة والسببه ملتصقان في مواعيد اضطراب الرّياح في لجة اسحر أحمر حاراً ، وأرحى سلامة من النفس اضطرب به عيباً إذ في السببه من يحنال لتسكينها وتدبرها وينظر لها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السببه وقد سقطت حيلته إلهاماً لعصب وفسنه ، ومن آثار هذا العصب في الظاهر نغمات ألوان وشدّة لرّعدة في الأطراف و خروج الأفعال عن الترتيب و لنظام ، اضطراب الحرّكه ، الكلام حتى يظهر الرّيب على الأشداق وتحمّر الأحناف وسعلت المنابر وسنخيل لجلعه ولو رأى العصا في حاله عصبه فتح صورته لسكن عصبه حيناً من قبح صورته واستحالة حلقته ، وفتح باطنه أعظم من فتح باطنه ، فإنّ الظاهر عوار الظن وإتباع قبح صورة الباطن أولاً ثمّ انشرب قبحها إلى الظاهر شيئاً فتعتر الظاهر ثمرة بغير الباطن نفس الثمرة بالثمره فهذا أثره في الجسد وأما أثره في اللسان فإطلاقه بالشتّم والعشّ و قبح الكلام الذي يستحي

فيه دور العفول و يستحي منه فائله عند فتنه لعصبه ذلك مع رجس الطم و
اضطراب اللغظ

و آفة أثره على الأعصاب والضرر في التفتحة و التمريق والعقل و الجرح عند
الممكن من عدم لآه و ب هرب من العصبوب غايه أوفاته سبب و عجز عن التفتحي
رجع لعصب على صاحبه فمصرق ثوب نفسه بلطم وجهه و قد يصرب يده على
الأرض و يعدو عدو لولد لسكر و ادمهوش اسحشر و يتم سخط صريماً لا
يطبق العذر و النهموس لشدة العصب يعترده مثل الغشيه و رتبا يصرب الحمدات
و لحبوبات فيصرب القصعة على الأرض و قد يكسر طائفة إذا عصب عليهم و قد
يتعاطى أفعال المخائين و يستم له يمد و جده و جده و عول إلى متى ميت و
كيب و ذلت كآفته و عو و حتى رتبا نفسه دأفة و فوسم و يغلب به
و آفة أثره في القلب مع مصوب عليه و جدد و لجسد و بصار السوء و
الشم و البس و الجرح و السب و لآه و على اوشه السب و عاتل لآسار و الاستمرار
و غير ذلك من المنهج فبده ثمره العصب المفرط .

و آفة ثمة و الحمة لصعته و علة لآه و ثمة منه من التعرض للحرم و
الروحه والألم و حمال لذلك من لأحت و وصغر النفس و الفم و هو بص
مدموم يد من صا ادم لغيره على حرام و هي حيونة قل و يوت و يوت سعد
غير و يوتي لأغير من سعد والله أغير منه و وادما حدة لغيره جعظ الأساس
ولو نسامح السبها الحمد لآسار و لذلك قيل كل آفة و صعب العبرة في
رحاب و صعب عده و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي
المفكرات ، و قد قال و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي و يوتي

(١) أخرجه الشيخان ج ٤ ص ٢٦١ من حديث سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد
عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد
عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد عن سعد بن سعد

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط و فيه غش من سالم بن قبيرو وهو كذاب كما في مجمع
و ج ٨ ص ٦٦٠ و ج ٦ ص ٦٦٠ و ج ٦ ص ٦٦٠

يحاط به ولعصب يسرع لث فإيه عيبه أحد منه مخبوءه عصب لا محالة ، و إذا قصد
 بمكره عصب لا محالة إلا أن ما يخدمه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام
 الأول ما هو صوره في حق الكفاية ، هو القوة والماسكن والملدس و صحة
 لندر ومن قصد بدمه بالصرب والخرح فلانده وأن يعصب وكذلك إذا أحد منه
 ثوبه لذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من دارة التي هي مسكه و الرقيق مأود
 ، لذي هو لعطشه فبدم ضرورات لا يحلو إلا بسان من كراهة و أب و من عبط على من
 يتعرض لها .

القسم الثاني ما ليس صوريًا لأحد من الخلق كاللحاء و المال الكثير و
 العلمان و اندوث قير هذه الأمور صارت مخبوءة بالعادة و الخمن بمقاصد الأمور
 حتى صار لذهاب و لخدمة مخبوء في أنفسهم فيكرهان و يعصب على من يسرقهم
 و إن كان مستعصا عنهم بالعصب ، و هذا الجنس مما يتصور أن يهلك الإنسان عن
 أصل العبط عليه فإذا كاد له دار رآه على مسكه فبدمه بالماسن فمحور أن لا يعصب
 إذا يحور أن يكون بصير بأمر الدنيا فيرهد في الزيادة على الحاجة ولا يعصب
 بأخذها فإنه لا يحب حور و لو أحب و حور و يعصب بصره على أخذها
 أكثر عصب الناس على ما هو غير صوري كالحده و العصب و الصدور في المجالس
 أمناه ، يعلم فمن علم هذا الحب عليه فلا محالة يعصب إذا رآه من أحرم على الصدور
 في المجالس و من لا يحب ذات فلا سبي ولو جلس في صفة النعال فلا يعصب إذا
 جلس غيره فوقه و هذه النوع لذي هي التي أكثر عصب لسان و مكرهه
 فأكثر عصبه و كلفه كاستلاراب و الشهوات أكثر كان صاحب أحط منه و أبعث
 لأن الحاجة صفه بعض فبدمه كثير النص العاقل إذا حيد ، في أن يزيد
 في حاجته و في شهوره و عو لا يندى أنه مسكتر من سباب العم و لجنون حتى
 ينتهي بعض لجهال بالعداات الرتبة و محالطة فرد ، اسوء إلى أن يعصب لو قيل له
 أنت لا تحسن اللعب بالطيور و اللعب بالشترنج و لا تقدر على شرب الحمر الكثير
 و تناول الطعام الكثير و ما يجري مجراه من البردائل ، فالعصب على هذا الجنس

ليس بصوري لأن حقه ليس بصوري.

القسم الثالث ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس دون البعض كالكتب مثلاً بلعالم فإنه مضطراً إليه فيحتمل فيعصب على من يحرقه ويعرفه وكذلك أرواح الصعدات في حق المكسب الذي لا يمكن لموتى منى لقوب لا بها وإنما هو وسيلة إلى الضروري، والمحجوب يصير ضرورياً ومجرباً وعند يحصل بالأشياء وما الحب الصوري، وأشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمناً في سربه معافى في بطنه وله قوت يومه فكأنما حارب له الذئب وجدافره » « من كان بصيراً جفت الأُمور » سلب له هذه الثلاث يتصور أن لا يعصب في سربه وهذه ثلاثة أقسام فلقد كرهية في إياها في كل واحد منها

وما القسم الأول فليس الرضا فيه لعدم عطف القلب و لكن لكي يفقد من أن لا يطع العصب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حدة مستحقة لشرع و استحسانه العقل و ذلك ممكن بالمجاهدة و تكلف العلم والاحتمال مدة حتى يصير محتمل الاحتمال خلفاً راسخاً ، فأما مع أصل لعظم القلب و ذلك ليس مقصدي الطبع وهو غير ممكن ، نعم يمكن كسر سورة و تضعفه حتى لا يشتد هيجان العبط في من و ينتهي بعبه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جداً وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق شخص فلا يصبه من عطف اسمه ، غيره عنه فإنه يصبه فيه تصح العمل به و يصعب عبادته في الظاهر حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه .

وما القسم الثاني فممكن التوصل بالرضا إلى الابتكاف عن العصب عليه و يمكن إخراج حقه من القلب ، و ذلك من يعلم الإنسان أن وجهه الفم و مسفره الآخرة و إنما الدنيا معر يعبر عليها و ترفه بها فقد الضرورة و وراء ذلك فهو عليه و بال في وطنه مسير و فتره في الدنيا و يحو حقه

(١) ح ٩ لثمدي ح ٩ من ٢٠٨ و من مائة بعد سنة ١٦٤١ وفي نسخة واحدة

بحواسيب ، وقيل الإغالي واحداً حصار وقيل حذور أي فكأنما أعطى يدماً بأسرها

عن ابي عبد الله لو كان للأُنس كتابٌ لا يحته لم يعصب إذا صدمه غيره فلعصب مع
للحب، ويريضه في هدا قد ينهي، إلى فمع أصل العصب وهو ددرٌ حدٌّ وقد ينهي
في المصع من استعمال العصب ولعمل بموجبه وهو أهون، فإن قلب الصوري من
نفسه لأول لستم بموت لمحتج إليه دون لعصب فمن له شاة مثلاً وهي فوته
ومانب فلا يعصب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهه وليس من ضرورة كل كراهه
عصب فالأبصار يأنم بالعصب والحجامة ولا يعصب على انصافه والحجامة فمن علم
علمه التوحيد حتى يرى، لأشبه، كذا من الله فلا يعصب على أحد من خلقه إديهم
مسحورين في فبصه قدره كالعلم في يدانك، ومن وقع عليه ملك، صرب رفته لم
يعصب على العلم ولا يعصب على من يدينج شاة التي هي فوته كما لا يعصب على
موتهم إدي يرى الموت ولدبح من الله وسدفع العصب بعلمه التوحيد ويدفع أيضاً
بحسن البصر بالله، هو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يعذر له إلا بما فيه
الخبرة وربما تكون الحيرة في حوجه ومرصه وحرجه، قلده فلا يعصب كما لا يعصب
على لعنه لأنه يرى أن الحيرة فيه، فمقول هذا على هذا الوجه غير محل
ويمكن علمه التوحيد على هذا الوجه إنهما يكون كالبرق الخاطف يعقب في أحول
عقبه ولا يدوم، يرجع العصب إلى الكتاب إلى الوسائط حواسطه لا يدفع عنه
ولو صور، إلى على الدوام لشر لسوء الرسول الله ﷺ، فإنه كل يعصب حتى
تحمز وجنائه^(١)

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في
العصب والرضا، فقال: اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق، وأشار
إلى لسانه^(٢) فلم يقل: أتى لأعصب ولكن قل: إن العصب لا يخرجني عن الحق
أي لأعمل بموجب العصب

عصبه شاة مره فقال ﷺ: وما لك حياءك شطاطت فقال: وما لك شطاط

(١) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١١ من حديث جابر بن سمرة.

(٢) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٢٨٦ نحوه حديث عبد الله بن عمر

فقال بلى ولكنني دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فأزنته بي إلا رجعت^(١) فلم يقل
لا شيطان لي وإنما شيطان العصب لكن قال لا يحملني على الشر
وقال علي عليه السلام وكان من حديثه لا يعصب للبدن في أعصه الحق لم يعرفه أحد
ولم يعم لعصه شيء حتى يصبر له^(٢) فكان يعصب على الحق وإن كان معصيه ولم
لأنه أت إلى الوسائط على لحمله بل كل من عصب على من يأخذ ضرره فوه
وحاجته لني لا بد له في ربه منها وإنما عصب لله فلا يمكن الاعتكاف عنه نعم قد
بعد أصل العصب فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضرر شيء نعم منه ولا يكون
في القلب من شغل للعصب لاشتغاله بغيره في استعراى القلب من هذه المهمات يجمع
الاحساس بما عداه وهذا كما أن سلمان لما ستم في إن حقت مواسي فأشار
بأن تقول وإن قلب عوارضي لم يضرني ما تقول وقد كان همه مدبراً إلى الآخرة
فلم ينافر قلبه بالشتيم وكذلك شتم رجل لربيع بن حشم فقال يا هذا قد سمع الله
كلامك وإن دون لحته عنه إن قطعها لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا
شر مما تقول وسب رجل بعضهم فقال إن كذب صادق فعمر الله لي وإن كذب
كاذباً فعمر الله لك فهذه الأفاضل دأله في الطاهر على أنهم لم يعصوا لاشتغال
قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولديهم لم يشتغلوا
به واشتغلوا بما كان هو الألب على قلوبهم في دأ اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد
أن يجمع هيجان العصب عند جواب بعض المحال في دأ يتصور بعدا يعبط إله بالشتغال
تقلب مهمته أو بعلة بطر التوحيد أو بسبب ثبات وهو أن يعلم أن الله يحب منه ألا
بعدد فيطغي شدة حمة لله عيظه وذلك غير محال في حوز بدرة وقد عرفت بهذا
أن طريق الخلاص من نار العصب محو حمة لدن عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا
وعوارثها كما سباني في كتاب دم الدنيا ومن أخرج حب الدنيا عن القلب بخلص
من أكثر أسان العصب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره ونقصه فيصعب العصب بسمه

(١) أخرجه مسلم ج ٨ من ١٣٩ من حديث عائشة .

(٢) أخرجه الرمزي في ثمانين وقد تقدم في ج ٤

ويهنون دفعه .

* (بيان الاسباب المهيبة للعصب) *

قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها ، فلا بد من معرفة أسباب العصب وقد قل يحيى لعيسى ^{عليه السلام} أي شيء أشد؟ قال عيسى الكبر والعجز والنعز والحمية والأسباب المهيبة للعصب هي الرهو والعجب والمراح والهزل والهز والعيير والحمية والمصادمة والعند وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أحلاق رديئة مدمومة شرعاً ولا خلاص من العصب مع بقا هذه الأسباب ، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأصدها فيسعى أن يميم الرهو بالتواضع ويميب العجب بالمعرفة سمعت كما سألني في كتاب الكبر والعجب ونزيل العجز بأنك من حسن عمدك ، والباس يجمعهم في الأسباب أب وإنا احتلغوا بالفصل اشتتاً فادو آدم جس واحد وإنا العجز بالمصائل والعجز أكرم الرذائل وهما دأه وأصدها في دالم نحل عنها ولا فصل لك على عرك فلا تغتحر وت من حسن عمدك من حيث المنية والنسب والأعضاء الطاهرة والباطية ، وأما المراح فتزيله بالتواضع باهمساب الدنيا التي تستوعب العمر وتفضل عنه إغرفتها ، وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفصائل والأحلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغ إلى سعادة الآخرة ، وأما الهز فتزيله بالشكر من إبداء الناس ، وبمجانبة النفس عن أن يستهري بك ، وأما العيير فبالحد عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب ، ومما شدة الحرص على مرايا العيش فيزال بالتمسك بمقدار الضرورة طلباً لعر الاستعلاء ورتقاً عن دن الحاجة ، وكل خلق من هذه الأحلاق وصلة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة ونحو مشقة وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة عوائلها لتزعم النفس عنها وتفتقر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أصدادها مديدة حتى يصير بالعادة مأثورة هيمنة على النفس ، في إذا امتحت عن النفس فقد كس وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن العصب الذي يتولد منها ، ومن أشد الواعث للعصب عند كثر الجهل تسميتهم العصب شجاعة ورجولية وعز نفس وكبر هيمة وتلقيه بالألقاب المحموده عدوة

وحيلاً حتى تمس النفس إليه وتستحسسه وقد يتأكد ذلك بحكايته شدة لعصب من الأكار في معرض مدح بالشجاعة والسيور مائلة إلى التشبه بالأكار ويبيع العصب في اللعب بسببه ، وسميه هذا عرقه نفس : شجاعة جعل محض من هو مرض قلب و بهتان عقل و هو لصعب النفس و بعضنا : آفة أنه لصعب النفس أن امرئ أسرع عصاً من الصحيح والمرء أسرع عصاً من الرخص ، والصبي أسرع عصاً من الكبير ، و شبح الصعيف أسرع عصاً من الكهل و ذو الخلق السبي و أرا ديل الفيحة أسرع عصاً من صاحب الفضائل فالرذل يعصب لشهوه إذا فانتد اللقمة و لجلاله إذا فنته لحيته حتى يعصب على أهله وولده وأصحابه ، بل العوي من يملك نفسه عند العصب ثما قال ^{عليه السلام} : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند العصب ^(١) . بل ينبغي أن يفصح هذا الجاهل بأن يملى عليه حكايات أهل الحلم والعفو مع استحس منهم من كظم العيظ ، فإن ذلك مفعول عن الأنبياء والحكماء و العلماء و أكار الملوك والعلاء وصدق ذلك مفعول عن الأكاراد و بحبه و لا عما ، الذين لا عقل لهم ولا فصل

٥٠ بيان علاج العصب عند هيجانه ٥١

يعلم أن ما ذكره جسم لمواد لعصب و قطع لأسسه حتى لا يبيع في دا حري سبب هيجانه فعنده يجب التفتت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على لوجه لدموم و إنما يعالج العصب عند هيجانه بمعجون العلم و لعمل أما العلم فهو ستة أمور الأول أن يتفكر في الأحكام أي سوردها في فصل كظم العيظ والعفو والحلم و الاحتمار و فرغ في ثوابه فتمعه سد الحرس على نواب الكظم عن الشغنى والانتعام ويطمئئ عنه عيظه ، عصب بعينهم على . حل فعال حل و حد العفو و أمر بالعرف وأعرس عن التحليل ، فيجلى عنه الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله و هو أن يقول فذر الله علي أعظم من قد نبي على هذا الإسم فلو أعصب عضي عليه ثم آمن أن يمضي لله عصمه علي ^(١) تقدم عن مسلم وعمره .

يوم القيامة وأنا أحوح ما كوني إلى العفو ، وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكر بي حين تعصب أذكرك حين أعصب فلا أعفوك فيمن أعفوك ، وبعث رسول الله ﷺ وصيغاً له إلى حاحة فأعطاه عليه ولما جاء قال : ولولا القصاص لأوحجتكم صرباً ^(١) أي العصا في الصامة . وقيل ما كان في بيبي إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا عصب أعطاه صحيفة وفيها : رحم المساكين واحش الموت وادكر الآخرة فكل يعرفها حتى يسكن عصبه

الثالث أن يحدث نفسه عاقبة العدو والانتقام وتشتت العدو لمهابته والسعي في هدم أعراصه والشمانة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيحترق نفسه بعواف العصب في الدنيا ، كان لا يحاف من الآخرة ، وهد يرحع إلى تسليط شهوة على غضب و ليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على خطوطه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن يشوش عليه في الدنيا فراعته للعلم والعمل وما يعسه على الآخرة فيكون حينئذ مثاباً عليه

الرابع أن يتفكر في قبح صوته عند غضبه بأن يتدكر صوره غيره في حالة العصب ويتفكر في قبح العصب في نفسه ومثابه صاحبه بالكلب الضاربي والسبع العادي ، ومثابه الحليم الهادي البارك للعصب بالأنبياء والعلماء والحكماء ويحير نفسه بين أن يشبه بالكلاب والسباع وأرادل الناس وبين أن يشبه بالأنبياء والعلماء في عاداتهم لتميل عصبه إلى حب الاقتداء بهؤلاء ، إن كان قد بقي معه مسكة من عقل الخامس أن يتفكر في السب الذي يدعو إلى الانتقام ويمنعه من كظم العيظ ولا بد أن يكون سب له مثل قول الشيطان له : إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والدلالة والمهابة وتصير حقيراً في أعين الناس فليقل لنفسه ما أعجبت به نفس تأتئين من الاحتمال الآن ولا تأتئين من حري يوم القيامة والافتضح إذا أحد هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصفري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصفري عند الله وعند الملائكة والنبئين بانتقامك من هذا ، فمهما كظم العيظ

(١) أخرجه أبو يحيى من حديث أم سلمة سنة ضعف كما في المعنى

يسعى أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فماله و الناس ، ودل من ظلمه يوم ليعيده
أشد من دله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو العائم إذا بودي يوم الصامة
نعم من أحرم على الله فلا يعوم إلا من عفا عن حق ، فهذا و أمثاله من معارف الإيمان
ينبغي أن يقرّره على قلبه .

السادس أن يعلم أن عصبه من معصية من حريص الشيء على وفق مراد الله
تعالى لا على وفق مرده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله تعالى و يوشئ أن
يكون غضب الله أعظم من غضبه .

وأما العمل فإن تقول بلسانك أعود مائة من لشيطان الرجيم ، هكذا أمر
سور الله ﷻ أن يفعل عند العبط ^(١) وكان ﷻ إذا عصب عائشه أحد بأعصابها قال
يا عويش قل لي اللهم رب النبي محمد اعمرني دمي و ذهب عبط قلبي و أخرني
من مضلات الفتن ^(٢) .

و يستحب أن يقول ذلك في لم يرل بذلك فاحلنك كس قائماً و امطعم
كس حائساً و اقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك دل نفسك و اطلب
بالخلوس و الاضطجاع السكون فإن سبب العصب لحرارة و سبب الحرارة الحركة
إذ قال ﷻ . و إن العصب حمرة تنوقد في القلب ألم تر إلى شتاخ أو داحه و
حره غيبه في دا واحد أحدكم من ذلك شئاً فإن كان قائماً فليجلس و إن كان حائساً
فليس في لم يرل ذلك فلينوص بالماء البارد وليغتسل فإن النار لا يطعمها إلا الماء ^(٣)
و قد قال ﷻ . و إذا عصب أحدكم فلينوص بالماء البارد فإن العصب من
النار ^(٤) .

(١) الأمر بالنمود بالله من الشيطان عند العبط أخرجه مسلم ج ٨ من ٣٠ من حديث

سليمان بن سرد الخزاعي

(٢) أخرجه ابن السني في اليوم واليلة من ١٢٢ من حديثها .

(٣) أخرجه الترمذي في حديث طويل في خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله

به العصر رواه أبو سعيد الخدري .

(٤) أخرجه أبو داود باللفظ الذي يأتي .

وفي رواية «إن العصب من الشيطان ومن شيطان جحيم من النار ويقتطع
النار الله، فإذا عصب أحدكم علمتونه»^(١)
وقال ابن عثيمين قال رسول الله ﷺ «إذا عصبه سكبه»^(٢)
وقال أبو هريرة «كان النبي ﷺ عصب وهو قائم جالس وإذا عصر
هو جالس اضطجع فيذهب غيظه»^(٣).

وقال أبو سعيد الخدري قال النبي ﷺ «العين العصب جرة في قلب
من آدم ألا ترون إلى جرة عصبه واشتاق أوداحه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصو
حدته بالأرض»^(٤) وكان هذا إشارة إلى لسجود وهو نمكين أعرضاً لأعضاء من أن
المواسع وهو لترايبه شعوره لحسن الدلالة وترثله لعره الرق هو الذي هو سب
العصب، وقيل كان دحس ثمن كان قبلكم بعض عصبه عصبه فكنت ثلاثه محزون
وأعطي كل صحبه رجلاً وول للأور إذا عصب فأعطي هذه لصحبهه «و
المشاي إذا سكن بعض عصبي فأعطي هذه» وقال للثالث إذا عصب فأعطي
هذه واشتد عصبه يوماً فأعطي لصحبه الألى فيد فيه مأتب وهذا لعصب إيت
لعب باله إنما أتب شر أوشت أن يأكل بعضاً بعضاً فسكن بعض عصبه فأعطي
لثنيه فأد فيه أرحم من في الأرض برحت من في السماء ثم أعطي لثنيه فأد
فيه حد الناس بحق الله فأتهم لا يصلحهم لأدله أي لا يعطل الحدود

﴿ فضيلة كظم الغيظ ﴾

قال الله تعالى «والكاظمين الغيظ»^(٥) وذكر ذلك في معرض المدح
وقال رسول الله ﷺ «من كظم عصبه كرم الله عنه عداؤه ومن أمد

(١) تقدم عن أبي داود أخرجه ج ٢ ص ٥٥٠ .

(٢) رواه أحمد و لطراني ورجا أحده تعات كفاي مجمع الروايد ج ٨ ص ٧

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم كفاي المعنى

(٤) جزء من الحديث المتقدم انتهى رواه الترمذي

(٥) آل عمران : ١٢٨ .

بى ربه قبل الله عنده ، من حزن لسانه ستر الله عودته » (١)

و قال عليه السلام : « أشدكم من ملك نفسه عبدالغضب ، وأحلمكم من عبد لعننه » (٢)

و قال عليه السلام : « من كظم عيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم مقامه مصاً » وفي روايه أخرى : « أمأً وإيماناً » (٣)

و عنه عليه السلام : « ما حرّج عبد حرّة أعظم أحرّ من حرّة عيظ كظمها انتعاه » حه الله » (٤)

و عنه عليه السلام : « إن أحبهم باباً لا يدخلها إلا من شفي عيظ به مصيه الله تعالى » (٥)

و قال عليه السلام : « من حرّجه أحب إلى الله تعالى من حرّة عيظ يكظمها » و ما كظمه عند لا ملأ الله خوفه إيماناً » (٦)

و قال عليه السلام : « من كظم عيظاً وهو يقعد على أن يفضله دعه لله على رؤوس الخلائق يحيره في أي الجور شاء » (٧)

و قال لفضائله : يا بني لا تدع ماء وجهك بالمسئلة ، ولا تشف عيظك بمسبحك ، أعرف فذلك نعمت عيشته ، و قول أيوب : حلم ساعة يدفع شرّ كثيراً .

أقول : و من طريق الحاصّة ما : « في الكافي عن علي بن الحسن عليه السلام قال

(١) راجع مجمع لروائع ٨ من ٦٨ دو . مختصر عن الطرائف في الاوسط بسند صحيح من حديث أس -

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الغيب بسند صحيح عن علي عليه السلام كما في الجمع الصغير

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرواية الاولى من حديث ابن عمر كما في المعنى و الرواية الثانية ابوداود ج ٢ من ٥٤٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٨٩ باسناد صحيح

(٥) تقدم سابقاً عن مسند لبرار

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في دم الغيب عن ابن عمر كما في الجامع الصغير وقد تقدم

(٧) أخرجه ابوداود ج ٢ من ٥٤٨ من حديث معاذ وقد تقدم

قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ السبيل إلى الله تعالى حرَّعَ حرَّعاً عبيطاً تردُّها بحلم وجرعة مصيبة تردُّها بصبر» (١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما يقول ما أحبُّ أن لي بذلَّ نفسي حرَّ النعم، وما تحرَّعت حرَّعة أحبُّ إليَّ من حرَّعة غيظ لا أكافي بها صاحبها» (٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إمصائه حشائه قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة» (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نعم الحرَّعة العبيط لمن صرَّ عليها فإنَّ عظيم الأحرار لمن عظم السلا، وما أحبُّ الله قوماً إلا ابتلاهم» (٤).

وعنه عليه السلام: «ممن عبد كظم غيظاً إلا راده الله تعالى عرَّاً في الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى: «والكاظمين العبيط والعاوين عن الناس والله يحبُّ المحسنين» (٥) وأثابه الله مكلن غيظه ذلك».

وعنه عليه السلام: «من كظم عبيطاً ولو شاء أن يمصيه أمصاه ملائكة الله قلبه يوم القيامة رضاه» (٦).

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام: قال: «أصرَّ عليُّ أعداء النعم في بحث لمن تكافى من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه» (٧).

❦ فضيلة الحلم ❦

إعلم أنَّ الحلم أفضل من كظم العبيط لأنَّ كظم العبيط عبارة عن التحلُّم أي

(١) و (٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٠، و دحر المصم «أي كرائم الدم كما في (المعرب) وقال الكرماني: حمر المصم - مصم العاه وسكون الميم - والمصم سأل الراعي وهو جمع ولا واحد من لفظه واكثر ما يقع على الأبل اه - وسهذكر تحرَّع لفيظ عقيب هذا على أن من التحرَّع العروفي المكاتل لمن

(٣) و (٤) الكافي ج ٢ ص ١١٠ و باب شدة ابتلاء المؤمن ص ٢٥٢

(٥) آل عمران ١٢٨ والخبر في الكافي ج ٢ ص ١١٠.

(٦) و (٧) المصدر ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٠.

يكتلف الجلم ولا يحتاج إلى كظم لعبط إلا من ع ح عطه ؛ يحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا عود ذلك مدة ص . انت اعيداً فلا يهيج العبط إلا من ع ح فلا يكون في كظمه عيب ؛ هو الجلم الطسعي ؛ هو دلاء على كمال العن ؛ اسديلاه واسكار فوة العصب و حصوعها للعن ولكن انداؤد لتجلم ؛ كظم العبط بكتلاً قال رسول الله ﷺ : إتم العلم بالتعلم ؛ الجلم بالتجلم ومن يجرى الحجر بقطه ومن ينوقى الشر يوقد ؛ أشار بهد إلى أن اكتساب لجلم طريفة لجلم أولاً ؛ بكتله كما أن . كتساب العلم صريفة التعلم

و عنه ﷺ : اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والجلم ليسوا من تعلموا منه ولا يكونوا من صبره العلماء فبعلت حبيلكم خدمكم ؛^(٢) أشار بهد إلى أن لتجلم والكر هو الذي يهيج العصب ويضع من الجلم ؛ اللب وكان من دعا رسول الله ﷺ : اللهم أعني بالعلم ؛ ردي بالجلم ؛ أكرهني بالتقوى وجعلني بالعافية ؛^(٣)

و عنه ﷺ : تنمو الرقة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال من من قطعك وتعطي من حرمك . و تجلم عن طمعت أو حبل علك ؛^(٤) و قال ﷺ : خمس من سن المرسل الحياء . و لجلم . و بحجامة . والسواك والتعطس ؛^(٥)

وقال علي بن أبي طالب قال النبي ﷺ : إن الرحل المسلم ليدرك بالجلم

(١) أخرجه النسائي والدارقطني في المجلد من حديث أبي لدراد . سند صحيح كافي المثنى .

(٢) أخرجه ابن السني في روضة المتعبد سند صحيح كافي المعنى

(٣) أخرجه ابن النجار من حديث ابن عمر سند حسن كافي الجامع الصغير

(٤) أخرجه ابن عني في الكامل من حديث ابن عمر كافي الجامع الصغير

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ و تحكيم الترمذي في نو در الاصول و لرا في مسند

واطبر في لكر ، و بعيم في المعرفة و البيهقي عن حسن الحظي سند صحيح كافي الجامع الصغير

درجه الصائم . نعمان و إته ليكن . حتماً عبيداً . ما يملك إلا أن يسند ^(١) .
 و روي أن ^(٢) . « لا قال » . « رسول الله إن لي قرابة أصلهم » يعصوبي .
 أحسن إليهم ويسبون إلي . « يحبون علي وأحلم عنهم » قال . لكن كان كما يقول
 فكأنما نسيتهم أماً ولا نزل معك من الله ظهير ما ذهب علي ذلك ^(٣) . « يعني
 به الرجل » .

وقال رجل من المسلمين « اللهم نس عسدي صدقه صدق بها فأيما حس
 أصاب من عرسي شئاً فهو عليه صدقه فأوحى الله إلي النبي أن قد غفرت له بذلك ^(٤) .
 وقيل في قوله تعالى « تأتيت » ^(٥) أي حلم . علماء . وفي قوله « يمشون
 على الأرض هوناً » أي حلمه . « إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » أي حلمه .
 حين عليهم لم يجهلوا . قيل في قوله عز وجل « وإذا مروا باللغو مروا
 كراماً » ^(٦) أي إذا أزدوا صفحوا . وفي قوله « وكهلاً » ^(٧) قيل الكهل منتهى
 الجرم

وقال رسول الله ﷺ « إن الله يحب الحليم الخفي » العتي المتعفف و
 يعص الله حاش الذي السائل الملحف ^(٨) .

- (١) أخرجه أبو الشيخ في كتابه في كتاب أشور كما في الترغيب ج ٣ ص ٤١٨
 (٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٨ وقال أبو داود في قوله ^(٩) « كأنما نسفهم من » أي كما
 نطفهم الرماة العار وهو تشبيه لما ينصفهم من لالم . بلحق آكل رماد العار من لالم
 ولا شيء على هذا . محسن . بالنهم الاتم . انصم في طيفه . وراحهم الاذى عليه
 (٣) أخرجه ابن عسار في الاستيعاب ج ١ ص ١٠٠ وصنفه عن ابن عبيدة عن عمرو بن
 دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة . ورواه البيهقي في الشعب و يوصف في الصحاح وقد
 انرفاقه . عليه بن ريد و يوصف ليس له صحة أما هو متقدم
 (٤) آل عمران : ٧٩ .

- (٥) لايات في سورة العنقا ٦٤ و ٧٢
 (٦) آل عمران ٤٦ .
 (٧) لم أجد نساء الحديث في أي أصل و جاء مصبونه في عدة احاديث راجع الجامع
 لمير ج ١ ص ٧٤ وفي الكافي ج ٢ ص ١١٢ رافقه . « يحب العتي الجسم المتعفف »

وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ « ثلاث من لم يكن فيه و حده
مسير ولا يبعد بشيء من عمله تقوى بحجره عن معاصي الله ، وحلم يكتف به لسعيه
وحلق يعيش به في الدنيا »

وقال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ندى صدر من أهل
الانصاف فيقوم منهم يسر فيطلبون سر عائلي الحنة فتلتمهم لم تكة فيقولون
« سراكم سر عائلي الحنة فيقولون نحن أهل الفصل فيقولون ما كان فصلكم
فيقولون « كذا إذا ظلمنا صرباً يا أبا أسبيء الما غيرنا » وإذا حزن علينا حلمنا
فيقول بهم ادخلوا الحنة فيعم أحر العاملين » (١)

وقال علي بن أبي طالب « ليس الحير أن يكثر مالك و ولدك ، ولكن الحير أن
يكثر عملك و يعظم حلمك وأن لا تنهني الناس بعبادة ربك فإذا أحسبت حدثت
الله وإذا أسأت استغفرت الله »

وعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه سئل رجل فرمى إليه حمصة كانت
عنده وأمر له بألف درهم (٢) فقال بعضهم جمع له خمس حاصل لحلم وإسقاط
لأدى ، ونحليص لرجل مما يبعده من الله وحمله على الدم واشتبه و رجوعه إلى
الندح بعد الدم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسر

وقال رجل لحعفر بن محمد بن عطاء إنه وقع بيومي وبين قوم مبارعة في أمر و
بني تريد أن أتركه فيقال لي إن تركك له ال فقال حعفر بن عطاء إنما الدليل
الطاهر و مر المسيح بن مريم بمثل قوم من اليهود فقالوا له شراً ، فقال لهم
حيراً ، فقال له إنهم يقولون شراً وأنت تقول حيراً ؟ فقال كل واحد يعق
مما عده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند العصب
ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا تعرف أحلك إلا عند حاجتك إليه

(١) أخرجه أبو عيسى في كتاب الابداع بسند صحيح والطبراني من حديث أم سلمة
باسناد فيه لين (المعنى)

(٢) رواه الاصبهاني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كما في الترغيب ج ٣ ص ٤١٨

(٣) لم أعثر على أصله إنما أورده الشراي في الطبقات ج ١ ص ٢٨ .

أقول: ومن طريق الخاصة مرواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال « قال رسول الله ﷺ إن الله يحب الحيي^(١) الحلم العصب المتعفف^(٢) »
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال « قال رسول الله ﷺ ما أعز الله بحبل قط ولا أذل بحلم قط »^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال « كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول إن الله ليحسب الرجل أن يندر كنه حلمه عند غضبه »^(٤).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال « كفى بالحلم باصراً ، وقال إذا لم يكن حليماً فحليماً »^(٥).

وعن حمص بن أبي عائشة قال « بعث أبو عبد الله عليه السلام علاماً له في حاجته فبطأ فخرج أبو عبد الله عليه السلام في أثره فوجده قائماً فجلس عند رأسه يروحه حتى نومه فلما استبته قال له أبو عبد الله عليه السلام يا فلان والله ما دلت لك تمام الليل و سهرت بالليل ولنا منك السهار »^(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال « إذا وقع من رجل مدرعة نزل ملكك فبعولاً لمسه ميمها قلب و قلب وأب هل لما قلب ستجري بما قلت ، و بعولاً للحكيم ميمها صبرت و حلمت سمع الله لك إن أمنت ذلك ، قال - قال رز الحليم عليه ارفع الملكان »^(٧).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال « لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً وإن الرجل كان إذا بعد في سي إسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين »^(٨).

قال أبو حامد ودخل علي بعض الحكماء صديق له فقدم إليه الطعام فخرج حب مرأة الحكيم وهي سذجة الحلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق معصباً فتبعه الحكيم وقال « أتذكر يوماً كنا في مراكب نطعم فسقطت دحاجة على المائدة وأفسدت ما عليها فلم يعصب أحدٌ منّا فقال نعم فقال احبس

أُنْهَدَ مِثْلُ تِلْكَ الدُّحَاةِ فَرَقِي عَنِ الرَّحْلِ وَأَصْرَفَ وَقَالَ صَدَقَ الْحَكِيمُ ، ائْتَلِمْ
شَعْرًا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ

وَصَرَفَ رَحْلُ قَدَمِ حَكِيمٍ فَأَوْجَعَهُ فَلَمْ يَعْصِرْ فَعَبِلَ لَهُ فِي دَاثِ فَفَالِ فَمَنْتَ
مَقَامِ حَجَرَةٍ نَعَثَرَتْ بِهَا فَوَفَعَتْ فَدَحَبَ الْعَصَبُ ، وَقَالَ عُمُودُ الْوُثَا

سَأَلْتُمُ مَسِي الصَّبْحَ عَنْ كُلِّ مَدَبٍ ◊ وَ إِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَيَّ الْحَرَامُ
وَمَا الْبَسَ إِلَّا وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ ◊ شَرِيفٌ وَ مُشْرُوفٌ وَ مِثْلُ مَقَامِ
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرَفَ فَصَلَهُ ◊ وَ أَتَمَعَ فِيهِ الْحَقُّ وَالْحَقُّ لَأَرَمَ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَأَبْ قَالَ صَبَّ عَنْ ◊ أَحَاسَهُ عَرَصِي وَ إِنْ لَمْ لَأَمَ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي وَ إِنْ رُلُّ أَوْعَا ◊ بَعْصَلَتْ إِنْ الْعَصَلُ بِالْجِيرِ حَاكَمَ

❦ بَيَانُ الْقَدْرِ الَّذِي يَحُورُ الْإِتِّصَارُ وَالتَّشْفِي بِهِ مِنَ الْكَلَامِ ❦

إِذْ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ ظُلْمٍ صَدَرَ مِنْ شَخْصٍ فَلَا حُجُورَ مَعَادِنَهُ بِمِثْلِهِ فَلَا حُجُورَ مَعَادِنِهِ الْعَبِيَّةِ
بِالْعَبِيَّةِ ، وَلَا مَعَادِنَهُ لِنَحْتَسِسَ بِالْحَسَنَةِ ، وَلَا مَعَادِنَهُ لِنَحْتَسِسَ ، وَكَذَلِكَ لِمَعَادِنِهِ
وَ إِيَّاهُ الْقَصَاصُ وَ لِعَرَامِهِ عَلَى قَدَمِ مَا وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ وَ فَصَّلْنَاهُ فِي كِتَابِ الْفَقْهِ ، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ أَمَرْتُ بِعَيْتِكَ بِمَا فِيكَ فَلَا تَعْتَبِرْهُ بِمَا فِيهِ » ^(١)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُسْتَنَانُ شَيْطَانَانِ مِمَّ هُوَ ؟ » ^(٢) أَوْ شَتْمُ رَحْلِ مُبَاكِرٍ وَهُوَ سَاكِبٌ
فَلَمْ يَأْتِ لِيَنْصَرِفْ مِنْهُ فَمِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كُنْتُ سَاكِبًا لَمَّا
شَتَمَنِي فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ قَصَبٌ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْمَلِكَ كَانَ يُحْيِي عَمَكَ وَهُوَ : تَكَلَّمْتُ وَهَبَ لِمَلِكِ
وَ حَا ، لِشَيْطَانٍ فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ » ^(٣)

وَقَالَ قَوْمٌ : تَحُورُ الْمَعَادِلَةُ بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَعِيرٍ بِمِثْلِهِ يَهِي
تَنْزِيهِهِ وَالْأَفْصَلُ تَرْكُهُ وَ لَكِنَّهُ لَا يَعْصِي بِفَعْلِهِ وَالَّذِي يَرْتَحِصُ فِيهِ أَنْ يَقُولَ : مَنْ أَمْتُ
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ بَنِي فَلَانَ وَمِثْلُ قَوْلِهِ : يَا أَهْلِي ، قَالَ مَطْرُوفٌ : كُلُّ الْبَاسِ أَجْحَقُ فِيمَا

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ مُسْلِمٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ .

(٢) تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كَثِيرٍ وَ الشَّعْبِيُّ وَ تَرْغَبُ ح ٣ مِنْ ٤٦٩

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ح ٢ مِنْ ٥٧٢ مِنْ حَدِيثِ حَمِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ .

بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حفاة من بعض ، و قال ابن عمر في حديث طويل حتى يرى أساس كلهم حمى في ذاب الله ، و كذلك قوله : راحاهن ، إذا ما من أحد لا وفيه جهل فقد آده بما ليس بكذب ، وكذلك فوجد ياسق ، الحلق ، يا صديق الوجه ثلاثة الأعراس (٥) وكان يثبت فيه ، و كذلك قوله : لو كان فيك حياء لما تكلمت و ما أحمررت في عسي بما فعلت وأحررتك الله وانتقم حيث

فما المصمة والعمة والكذب سب الواديين وحرام ، لا تنافى والدليل على حوار ما ليس بكذب ولا حرام كالسنة إلى الرئي والسب و لمعش ما قال ^{عليه السلام} : « استثنان ما قلا فعلى المادي منهما حتى يعتدي المظلوم » (١)

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الكاظم ^{عليه السلام} في رجلين يتسايفان قال : « المادي منهما أطعم و غيره و » ، صاحبه عليه السلام بعد إلى المظلوم (٢)

قال أبو حامد : فثبت مظلوم استمرا إلى أن يعتدي ، فهذا المند هو الذي أباحه و هو رخصه في لايداء حر ، على إبداءه السابق ولا سعدال حصه في هذا القدر و لكن الفصل بركة لا تدرج إلى ما داه ولا يمكن لافتد ربي معدر الحق فيه ، والسكون عن أصل الجواب لعلمه أيسر من السروع في الجواب و الوقوف على حد الشرع فيه ، و لكن من الناس من لا يبعد على ضبط نفسه في ثورة العصب و لكن يعود سريعا و منهم من يكف نفسه في الأسداء و لكن يحقد على الدوام و الناس في العصب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوفود ، ربع الحمود و بعضهم كالعصب بطي ، الوفود بطي ، الحمود و بعضهم بطي ، الوفود سريع الحمود ، وهو الأجدد ما لم ينته إلى فتور انحصية و العبرة : بعضهم سريع الوفود بطي ، الحمود و هذا هو شرهم ، و في البحر : « مؤمن سريع العصب سريع الرضا ، وهذه ثلث » (٣)

قال أبو سعيد البحري : قال سؤل الله ^{عليه السلام} : « الأبر بي آدم خلقوا على

(٥) ثمة ثمة من ذاب صرت عمة و نسبه ، واسئلة السنة .

(١) أخرجه أحمد ج ٢ من ٢٣٥ و تقدم عن عدة من المصادر

(٢) الكافي ج ٢ من ٣٦٠ (٣) العطاء : ست معروف و اغضب شجرة من الاثل

حش من أصب الحش و حمره سفي رما طويلا (٤) تقدم سابقا

لم يفت شتى عصب بطيء العصب - سريع القبي، و منهم سريع العصب سريع القبي،
فثبت ثلث و منهم سريع العصب بطيء، القبي، ولا إن حرمهم لطيف، لعصب
سريع القبي، و منهم لسريع العصب البطيء، القبي، و لا إن كان لعصب في
حل يهيج و ينور في كل باب - وحب على السلطان أن لا يعاقب أحداً في حل عصبه
عنه لأنه ربما يتعدى الواجب و لأنه يكون معيظاً عليه فيكون مشفقاً ليعظه،
مريخاً نفسه، صاحب حظ فيه، ويسعى أن يكون انتقامه و انتصاره لله لا لنفسه رأى
معن لولاد سكران فأراد أن يأخذه ويعززه فشمه السكران و رجع وقال أعصني
أو عزوه بكل ذلك لعصبي لنفسي ولم أحت أن أصرب مسلماً حقته لنفسي.

❖ القول في معنى الحمد و نتائجه و فضيلة العفو و الرفق ❖

علم أن العبد إذا لم يقطعه لعبد عن نفسه في لحن رجع إلى الماثل
احسن فيه فصار حمداً و معنى الحمد أن يلزم قلبه استغفاله والمعصية به والمقارعة
أن يقوم على ذلك و يسمى في قول من يعجز و المؤمن ليس بحمود، و الحمد
نمره عصب و الحمد ثمر ثمانية أمور - الأول الحمد وهو أن يحملك الحمد على
أن تسمى روائ المعصية عنه فتعتم سعة إلى أصنافها و سرراً بمصيبة إن يرتب به و
هنا من فعل المذنبين - غني الحسد و سبأني دقة - لذي أن يريد على إصمار الحسد
في الماثل فتشمت بمصيبة من الماثل، الثالث أن يهجره و يصارمه^١ و ينقطع عنه و
يطلبك و أقبل عليك، الرابع هو دونه أن تعرف من عند استغفار له، الخامس
أن تنكأ فيه بما لا يحل من كذب و عيبه و إفشاء سراً و هتك ستر و غيره، السادس
أن تحاكيه استهزاء به و سخرية منه، السابع إيذاؤه بالصبر و ما يؤلم بدنه،
الثامن أن يمنع حقه من صله رحم أو قضاء دين أو رد مظالمه و كل ذلك حرام،
و أقول درجاب الحمد أن يحترق من الآفات الثمانية المذكورة لا يخرج سبب

(١) أخرجه الطحاوي تحت رقم ٢١٥٦ و لفراد باختلاف في لفظه من طريقين يشتركان
عن ابنه همام بن منبه و بهما ضعف و بهما رجال الصريح عن أبي هريرة كما في مجمع
الرواج ٨ ص ٦٨ (٢) عدم في كتاب العلم (٣) في تعاطفه

الحسد إلى ما يعصي الله به ، لكن يستغله ، لئلا لا يفتني ولمن عن بعضه حتى
 يوسع عما كتب سطوع به من أشدته و لرفق والعافية ، و لعين بحاجاته ، و
 الحساسة معه على ذكر الله ، المعاونة على الجمع له ، أو ترك الدعاء له والشاء عليه
 أو التجريص على نره و هو سته ، فهذا كله مما يعين درجتك في الدين ويحول
 بينك وبين فصل عظيم وثوب حريص ، وإن كان لا يعرف لعن لعنات الله و لأولى أمره
 على ما كان فإن أمكنه أن يريد في الإحسان ومجاهدة للنفس و دعاء للشيطان
 فذلك هو مقام الصديق وهو من فضائل أعمال طهرت ، وللهجود ثلاثة أحوال عند
 القدره أحدها أن يستوي حقه آدي يستحقه من غير ربه أو بعضا وهو العدل ،
 والثاني أن يحسن إليه بالعمود الصلة وذلك هو العدل ، والثالث أن يظلمه ^(١) ، لا
 يستحقه وذلك هو الحور وهو حثيث الأراذل والثاني هو اختيار الصديق والأول
 هو منتهى درجه الصالحين ، ولذكر الآن فصلة العفو والإحسان

٥ (فصلة العفو)

علم أن العفو أن يستحق حقاً فسطه وتراً عنه من قصاص أو عرامة وهو
 غير لحلم وكظم العيظ ، وذاك أفرداد ول به تعالى ، وحدا العفو وأمر بالعرف
 . الآية . ^(٢) وقال تعالى : وإن تعدوا نفعكم لأفرب للنفوى ، ^(٣)
 و قال رسول الله ﷺ : لتواضع لأمر الله لرفعه ، فتواضعوا لرفعكم
 الله والعفو لا يريد العبد إلا عراً فاعفوا يعرفكم الله ، و لصدقة لا تريد المال إلا أكثره
 فتصدقوا بفنكم الله ، ^(٤) .

وقلت عائشة : ما رأيت رسول الله ﷺ منصرفاً من مظلمة ظلمها قط
 ما لم يبتك حرمه من محرم الله فإذا انتهك من محرم لله شيء كان أشدّهم في ذلك

(١) في الإحياء [أن يظلمه باللاستحقاق] .

(٢) آل عمران : ١٦٨ . (٣) البقرة : ٢٣٨ .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في العتق عن محمد بن عمارة العبدى مدد ضعف كما
 في الجامع الصغير ولا حيد في مسند عبد الرحمن بن عوف مثله راجع المسند ج ١ ص ١٩٣ .

عضاً وما حيز بين أمرين إلا احتار أيسرهما مما لم يكن مأثماً» (١).

و قال عتبة بن عامر « لقيب رسول الله ﷺ يوماً فبدرته فأحدث بيده أو بدري فأحد بيدي فقال يا عتبة ألا أخرك بأفصل أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟
نص من قطعك و يعطي من حرمك و تعمو عمن ظلمت » (٢)

و قال رسول الله ﷺ « قل موسى يا رب أي عبادك أعز عليّ ؟ قال
الذي إذا قدر عفا » (٣)

و جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو مظلمة فأمره النبي ﷺ أن يجلس
و أراد أن يأخذ له بمظلمته فقال رسول الله ﷺ « إن المظلومين هم المفلحون
يوم القيامة » فبني أن يأخذها حين سمع الحديث (٤)

وعنه ﷺ « من دعا على من ظلمه فقد ابصر » (٥)

وعنه ﷺ « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى من تحت العرش
ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض » (٦)

و روي « أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى ركعتين
ثم أتى الكعبة فأخذ بعضدني الباب فقال ما تقولون و ما تظنون ؟ قالوا نعول
أح و بن عم حلیم رحيم - قالوا ذلك ثلاثاً - فقال رسول الله ﷺ أقول كما قال
أخي يوسف « لا تثريب عليكم اليوم يعفر الله لكم و هو أرحم الراحمين » قال

(١) أخرجه مسلم بإختلاف في اللفظ ج ٧ ص ٨٠ و قد تقدم

(٢) أخرجه أحمد ج ٤ ص ١٤٨ و ١٥٨ والطبراني وأحمد إسناده أحمد رجاله ثقات

كما في صحيح الزوائد ج ٨ ص ١٨٩ .

(٣) أخرجه العراقي في المكارم و يبيها في الشعب من حديث أبي هريرة كما في

بجامع الصغير

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في دم النصب من رواية أبي صالح الحنفي سند صحيح

ك. في الجامع الصغير

(٥) أخرجه الترمذي ج ١٣ ص ٦٦ من حديث عائشة .

(٦) ما عثر على لفظ الحديث .

فجرحوا كأشما شر وامن لعمود فدخلوا في الاسلام» (١)

وعنه عليه السلام «إذا وقع العبد يدي مئذ ليقيم من أحمره على الله فليدحد الحنّة قبل من ذا الذي أحمره على الله» قال العاقول عن لیس ، فمقوم كذا وكذا ألقا فمدخلوها بغير حساب» (٢)

وقال بن مسعود قال رسول الله ﷺ «لا يسمي لوالي أمر أبي بحد ولا أقامه ، والله عفو يحب العفو ثم قرأ فلعنوا وليصنعوا الآية» (٣)

وقال حابر قال رسول الله ﷺ «ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء ، وروح من الحور العين حيث شاء : من أدنى ديباً حسيماً وقرأ في دبر كل صلاة» قل هو الله أحد» عشر مرّات وعفا عن فائله ، قيل أو إحداهن يا رسول الله؟ قال أو إحداهن» (٤)

أقول: و من طريق الحنّة ما رده في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال «قال رسول الله ﷺ في خطبته ألا أحمركم بغير حلائق لديننا والآخرة لعمومهم طمئنت وتصل من قطعك والإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك» (٥) وعنه عليه السلام قال «قال رسول الله ﷺ عليكم بالعفو فإن العفو لا يريد العبد إلا عراً فتعافوا بغيركم الله» (٦)

وعن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال سمعته يقول «إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأوّل والآخريين في صعيد واحد ثم يماذي مئذيين

(١) أورده جن الدورحين في قصة فتح مكة رجع ناريج الصري وسرة بن هشام والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) أحمره الطبرسي في مكاره الاخلاق وفي فصل من يسار ولا يتابع على حدّ

(٣) أخرجه أحمد ج ١ ص ٤٣٨ ، والمعجم وصححه

(٤) أخرجه الطبرسي في لاوسعه في الدعاء سند ضعف كما في إمامي

(٥) المصدر ج ٢ ص ١٠٧ والعلائق جمع الخلقة وهو لطيفة و لمر د هـ لملكات العصابة الراصفة .

(٦) الكافي ج ٢ ص ١٠٧ و ١٠٨ باب العفو .

أهل العصب؟ قال فيقوم عمق من لباس يلقاهم الملائكة فيقولون وما كان
فصلكم؟ فيقولون كتب نصل من قطعنا، ويعطى من حرمنا، ويعفو عن ظلمنا،
قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة^(١)
وعن أبي جعفر عليه السلام قال «الدائمة على العفو أفضل وأيسر من الداعة
على العقوبة»^(٢).

وعنه عليه السلام قال «إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى باليهودية التي سميت لشاة للمسيح
عليه السلام فقال له ما حملك على ما صنعت؟ فقال له قلت إن كان نبياً لم يصرفه وإن
كان ملكاً أحب لباسه، قال فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنه»^(٣)
وعن أبي عبد الله عليه السلام «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة يعفو عن ظامك و
يس من قطعك وتحلم إذا جهل عليك»^(٤).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال «ما التفت فئتان قط، إلا نصر أعظمهما عموماً»^(٥)
وعن معتب قال «كان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم^(٦) فظفرت
إلى علام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط فأنسته وأحدثه وذهب به
إليه فقلت له حملت هذا كبني وحب هذا وهدم الكارة فقال للعلام يا فلان، قال
سئت، قال أتجوع؟ قال لا يا سيدي، قال فتعري؟ قال لا يا سيدي،
قال فلائي شي، أحدث هذا؟ قال اشتبهت ذلك، قال إذهب فهي لك وقال
حلمه عنه»

قال أبو حامد الآثار قيل لراهب أرايت ذا العربى أكان نبياً قال لا ولكنّه
نما أعطى ما أعطى بأربع حصال كن فيه كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفا، وإذا
حدث صدق، ولا يجمع اليوم بعد، فقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم وحلم حتى
يأقدر انهم ولكن الحليم من ظلم وحلم، ثم قدر عفا وقيل القدرة تذهب الحميطة
بني الحمد والعصب وروي أن سارقاً دخل على حاتم بن يasar بصتين وقيل له

(١) إلى (٥) الكافي ج ٢ ص ١٠٧ و ١٠٨ باب العفو

(٦) صرم النحل جره والعسل كصرت والحرم في الكافي ج ٢ ص ١٠٨

أوصعه فإتته من أعدائهم فقال : بل أستر عندك لعل الله أن يستر علي يوم القيامة .
وحلّس ابن مسعود في السوق يتنازع مباعاً وبتاعاً ثم طلب الدراهم وكانت في
عمامة فوجدتها قد حلت وفعال لقد حلس وإتته لمعي فجعلوا يدعون على السارق
بأنهم أقطع يد السارق الذي أحدها فقال عبد الله اللهم إني كان حمله علي أحده
حاجه فمأرك له فيها و إني كان حملته علي الذنب حرأة فاجعله آحر دنوبه
وقل الفصل ما رأيت أهد من رجل من أهل حراسان حلس إلي في
لمسجد الحرم ، ثم قام ليطوف فسروا دباير كانت معه ، فجعل يسكي فقلت علي
لدباير يسكي ، قال لا ولكن مثلني وإيتاه بين يدي الله عز وجل فأشرف عني
علي إدحام حجتة فبكتني رحمة .
وقيل مكروب في الأحميل من استعمر من صدمه فقد هزم الشيطان .

(فضيلة الرفق)

إعلم أن الرفق محمود ويصادفه العنف والحدة ، والعنف نتيجة اعصاب
والمظاطة والرفق واللين نتيجة حسن الحلق والسلامة وقد يكون سبب لحدّة
العصب وقد يكون سبب شدّة الحرص وسنيلاه بحيث يدهش عن التفتك ويمنع
من الشتب والرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الحلق ولا يحسن الحق
إلا بصط قوة لعصب وقوة لشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ، ولا حل هذا أثني
رسول الله ﷺ على الرفق و بالغ فيه فقال : إني من أعطي حظه من الرفق
أعطي حظه من خير لدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من
خير الدنيا والآخرة (١)

قال أبو هريرة : إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق (٢) .

(١) أخرجه الترمذي نحوه وأخرجه لمعظم أحمد والمقبلي في الصغرى في ترجمة

عبد الرحمن بن أبي بكر لميلكي وضعه عن القاسم عن عائشة (البحر)

(٢) أخرجه أحمد من حديث عائشة سند صحيح كما في مجمع الروائد ج ٨ ص ١٩

ولفظه هكذا إذا أراد الله أهل بيت خيراً الحديث - ، وهكذا رواه الترمذي عن جابر ،

و قال عليه السلام : « إن الله لم يعطي على الرِّفق ما لا يعطي على الحرو ، وإذا أحبَّ الله عبداً أعطاه الرِّفق ، وما من أهل بيت يحرمون الرِّفق إلا قد حرموا عبة الله » ^(١)

و قال عليه السلام : « إن الله رفيق يحب الرِّفق ، ويعطي عليه ما لا يعطي على البغي » ^(٢)

و قال عليه السلام : « من يحرم الرِّفق يحرم الخير كله » ^(٣)

و قال عليه السلام : « أتندون من يحرم على البر كل شيء ليس سهل قريب » ^(٤)

و قال عليه السلام : « الرِّفق يمنٌ والحرق شؤم » ^(٥)

و قال عليه السلام : « الثاني من الله والعجلة من الشيطان » ^(٦)

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : لو كان الرِّفق خلقاً يرى ما كان له حلوسني أحسن منه » ^(٧)

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : إن الرِّفق لم يوضع على شيء إلا نفع ولا نزع من شيء إلا شانه » ^(٨)

و عنه عليه السلام : « إن الله رفيق يحب الرِّفق » ^(٩)

و عنه عليه السلام قال : « إن لكل شيء قسلاً وقفل الإيمان الرِّفق ويعطى على الرِّفق ما لا يعطى على العنف » ^(١٠)

(١) أخرجه الطبراني ورجاله ثقات من حديث جرير بن عبد الله كما في مجمع الروايد

ج ٨ ص ١٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٦٨٨ .

(٣) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٥٤ من حديث جرير بن عبد الله

(٤) أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحيهما كما في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤١٨

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث عائشة بنت عبد الله كما في الجامع الصغير

(٦) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ١٧٢ .

(٧) إلى (١) المصدر ج ٢ ص ١١٩ و ص ١٢٠ باب الرِّفق

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : الرِّقُّ يَمُرُّ بِالْحَرِيِّ شَوْمًا » ^(١)

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : ما استطعت اثباتًا إِلَّا كان أعظمهم أحرًا ، وأحسنهما إلى الله تعالى أرفعهما بصاحبه » ^(٢)

وعنه عليه السلام : « من كان رقيقاً في أمره مال ما يريد من أساس » ^(٣)
وعنه عليه السلام : « إنَّ الله رقيقٌ بحبِّ الرِّقِّ ، فمن رفعه معادته تسليلاً فضعفهم ومصادته بهوهم وقلوبهم ، ومن دفعه بهم تدهيدهم على الأمر يريد إسماعهم عنه رفقاً بهم لكيلا يلغى عليهم عرى الإيمان ومثاقيلهم حملة واحدة فصعقوا ، و : «
راد ذلك مسح الأمر بالآحر فص مسحاً » ^(٤)

« عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : « الرِّقُّ نصف العيش » ^(٥)
وعنه عليه السلام قال لم حري سبه ومن قوم كلام : « رفق بهم وإن كفر أحدكم في عصه ، ولا خير فيمن كان كفره في عصفه » ^(٦)

وعن عمرو بن أبي المعتمد رفعه إلى النبي ﷺ قال : « إنَّ في الرِّقِّ الرِّيَاضَةَ والرِّيَاضَةُ والرِّكة ومن يحرم الرِّقِّ يحرم بحر من بحر » ^(٧)
وعنه رفعه إلى النبي ﷺ : « ما روي الرِّقُّ عن أهل بيت إِلَّا روي عنهم الخير » ^(٨)

قال أبو حامد بعد ذكر الآثار فهذا شأن أهل العلم على الرِّقِّ وحدث لأنَّه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور ، والحاجة إلى العف قد تقع بكر على البدور وإنَّما الكامل من يميز مواقع الرِّقِّ عن مواقع العف فيعطى كل امرئ حقه فإن كان قاصر البصيرة وأشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن منه في الرِّقِّ فإنَّ النجح معه في الأكثر .

(١) إلى (٣) الكافي ج ٢ ص ١١٩ و ص ١٢٠ باب الرِّقِّ
(٤) المصدر ج ٢ ص ١١٨ والتلخيص تراجم الشيء وأحراجة في رفق ، ولا يصح
الاحقاد التي في القلوب والعداوة والنصاء ، والبصادة مع الخصم عن الأمر برفق
(٥) إلى (٨) الكافي ج ٢ ص ١١٩ و ١٢٠ باب الرِّقِّ

❦ (القول في ذم الحسد) ❦

❦ (و في حقيقته واسبابه و معالجه و عاية الواجب في ازالته) ❦

(بيان ذم الحسد)

علم أن الحسد من نتائج الجحد * لحسد من نتائج الغضب ، فهو فرع فرع لغضب و الغضب أصل أصله ، ثم * للحسد من العروع الذهبية ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد حاصة أحاد كثيرة

قال رسول الله ﷺ : الحسد يأكل الحسنة كما يأكل الدابة الحطب^(١) .
وقال رسول الله ﷺ في النهي عن الحسد و أسننه و ثمراته : لا تحسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدبروا ولا تعصوا : كونيوا عباد الله إخواناً^(٢) .
وروي : أنه ﷺ شهد لرجل من الأنصار بأنه من أهل الجنة فلما فتنشوا عن حاله ما رأوه يعمل عملاً كثيراً غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى و لم يغم حتى يقوم لصلاة لمجر فعمل له في ذلك فقال ما هو إلا ما ترون غير أنني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي عشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله يومئذ^(٣) .
و قال ﷺ : ثلاث لا ينجو منهن أحدٌ الظنُّ و الطيرة و الحسد .
وسأحدكم بالمرح من ذلك إذا طسب^(٤) لا تحقق ، و إذا تطيرت فامض ، و إذا حسدت فلا تبغ^(٥) .

و في رواية : ثلاث لا ينجو منهن أحدٌ و قل من ينجو منهن^(٥) و أثبت

(١) أخرجه ن ماجه نعت رقم ٤٢١٠ في حديث عن أنس

(٢) أخرجه البخاري و مسلم و قد تقدم مراراً .

(٣) رواه أحمد في حديث طويل في مسند أنس بن مالك على شرط الشيخين و لسانه

و أو بعلى و ابن ر و سمي لرجل السهم بعداً راجع الترغيب ج ٣ ص ٥٤٩

(٤) و (٥) أخرجهما ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة و الرواية

لأولى باب يعقوب بن محمد الزهري و موسى بن يعقوب ضعيفاً الجمهور و الثانية رواها

بن أبي الدنيا أيضاً مرسلأ . كما في المتن

في هذه الرواية إكمال سجادة

وقال عليه السلام : «لَيْكُم دَاءٌ لَأُمُّهُم مِّن قَلْبِكُمُ الْحَسَدُ وَالْعَصَا وَالْعَصَّةُ هِيَ الْحَالِقَةُ» لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة لَدَيْنَ ، والذي نفس محمد بسبه
لَا يَدْخُلُونَ بَعْدَهُ حَتَّى تَوُفُّوهُمُ وَلَوْ تَوُفُّوهُمُ حَتَّى تَحَاسَبُوا إِلَّا أَنْتُمْ كُمْ بِمَا يَشِينُ ذَلِكَ
بِكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» ^(١) .

وقال عليه السلام : «كَادَ الْفَرُّ أَنْ يَكُونَ كَفَرًا ، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقُدْرَةَ» ^(٢)
وقال عليه السلام : «إِنَّهُ سَبَّحْتُ أُمِّي دَاءَ الْأُمِّ ، قَالُوا : وَمَا دَاءُ الْأُمِّ ؟ قَالَ
الْأَشْرُ وَالْمَطَرُ وَالْمَكَاثِرُ وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَالْمُسَاعَدُ وَالْحَاسِدُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَى
ثُمَّ يَكُونُ أَمْرُج» ^(٣) .

وقال عليه السلام : «لَا طَهْرَ السَّمَاءِ نَاحِيَةَ فِرْعَوْنَ وَبَيْنَلَيْثٍ» ^(٤)
وروي أن موسى عليه السلام لما بعث إلى ربه رأى في ظلِّ العرش رجلاً فغطه
بمكانه وقال : إِنَّ هَذَا لَكُرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَحْمِلَهُ نَاسُهُ فَلَمْ يَحْمِلْهُ وَاسْمُهُ
وَقَالَ : «حَدَّثْتُكَ مِنْ عَمَلِهِ ثَلَاثٌ : كَانَ لَا يَحْسَدُ لِمَنْ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَكَانَ لَا يَقُولُ وَالِدِيهِ ، وَلَا يَمْشِي بِالسَّبِيحَةِ

وقال كريب عليه السلام : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «الْحَاسِدُ عَدُوٌّ لِّعَمَلِي ، مُنْسَحِطٌ لِّفَضَائِي
عَرِضٌ لِّعَسَمَتِي لَنِي قَسَمْتُ بَيْنَ عَمَادِي» .
وقال عليه السلام : «أَحْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمِّي أَنْ يَكْثُرَ بَيْنَ أَهْلِهَا فَيَنْحَسِدُوا
وَيَقْتُلُون» ^(٥) .

(١) أخرجه أحمد والترمذي من حديث الزبير بن العوام بسند صحيح كما في الجامع الصغير .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقشي وأبو مسلم اسكني أصا
و يزيد ضعف كما في المعنى و سألني عن الكافي مثله

(٣) أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة بسند صحيح كما في الجامع الصغير

(٤) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٣١٢ من حديث واثلة بن الأسقع

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب دماء الصلوات حديث أبي عامر الأشعري (المعنى)

و قال عليه السلام : « سعيوا على فضلكم لحوائح الجفء فإني كرهت أن يكون لدي عصب محسود » (١).

و قال عليه السلام : « إن لعصب لله أعداء فعيّل ومن وثق به قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٢).

و قال عليه السلام : « ستة يدخلون النار قبل لحساب سنته قيل يا رسول الله من هم ؟ قال الأمراء بالحدود ، والعرب بالعصبية واليهود بالثكبر والتجبر وبنو أمية وأهل دار منق بالجهالة والعمى بالحدس » (٣).

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من راحل ليأتي بأبي بدره فيكم » (٤) و « يحسد لي كذا الإيمان كما نأكل القمار الحطب » (٥).

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « آفة الدين الجسد والعصب والعجب والفجر » (٦) و عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى لموسى بن عمران يا بن عمران لا تحسدني بس على ما آتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عيني إلى بيت ولا تنزع نفسك ، فإن الجسد ساحط لعلمي صاذاً لفسمي الذي قسمت من عادي ومن بيت كذلك فمست منه وليس مني » (٧).

و عنه عليه السلام قال : « اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً إن عيسى ابن مريم عتقنا كل من شرب السح في البلاد ، فخرج في بعض سحبه و معه رحل من أصحابه

(١) أخرجه المفيد في الصفح وأبو عبد الله في الكامل والطبراني في الكبير وأبو يعين في العلبة واسبق في الشعب (لجامع المعجم)

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس : « إن لاهل اسم حسداً فاحذروهم » - (المفتي)

(٣) أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأبو سعيد ميمون (المعجم)

(٤) أبودره ما يندر من حديث في العصب من قول أو قيل : وهي النهاية للكلام

التي يسو الإنسان في العصب

(٥) إلى (٧) الكافي باب الحدس ٢ من ٣٠٦ و ٣٠٧

قصيرٌ وكان كثير اللزوم لعيسى ، فلبث استبى عيسى عليه السلام إلى المحجر فل سب الله
 بصرته بغير منه فمشي على طهر ماء فقال لرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام
 حاربه : بسم الله بصحة يمين منه ، فمشي على الماء ، ولحق بعيسى ، ودخله العجب بمعه
 فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء وما وصله علي .
 فرس في الماء (٥) ، فاستعرت بعيسى فتنازعه من الماء فاحرقه ، ثم قال له ما قلت ،
 قصير ؟ قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء ، أنا أمشي فدخلني من د شعث
 فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعتك الله فيه فمعتث به
 على ما قلت ، فنب إلى الله عز وجل ثم قلب ، قال فتاب الرجل وعاد إلى مرتبة
 التي وضعه الله فيها فاتقوا ، لا يحسدن بعضكم بعضاً ،
 وعنه عليه السلام قال «إن المؤمن يعط ولا يحسد ، ولما فاق حسد ولا يعط»
 وفي مصابيح الشريعة (٦) عنه عليه السلام قال : «لحسد يضر نفسه قبل أن يضر
 بالمحسود كما يليس أورث بحسده لنفسه ، للغة ولآدم الاحسان ، ويهدي والرفع إلى
 محل حمائق العهد والاصطفاء ، فكر محسوداً ولا تكن حاسداً فإن ميران الحسد
 أبداً حفيف شغل ميران المحسود ، والرقى معصوم فما ذا يقع الحسد الحسد ،
 وما ذا يضر المحسود لحسد ؟ الحسد أصله من غمى القلب وحجود فصل الله وهم
 حاسار بلكر ، وبالحسد وقع من آدم في حصره الأبد ، هلك مهلكاً لا ينجو منه
 أبداً ، ولا توبه بالحسد لأنه معسر عليه ، معتقد به مطوع فيه ، يبدو بالأعمال به
 ولا سبب ، واطمع لا يتميز عن الأصل وإن عولج»

قال أبو حامد الآثي : قال بعض السلف إن «أول خطيئة كانت هي الحسد
 حسد إبليس آدم عليه السلام إذا أمر أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية
 و قال بكر بن عبد الله المزني كان رجل يعشي بعض المملوك فيقوم بحذاء المحدث
 فيقول أحسن إلى المحسن يا حسابه والمسيء سيكفيك مساويه ، فحسده رجل
 (٥) «فرس» على صفة المجهول أي غس من رمت الست إذا دنت في التراب

(١) و (٢) لكافي باب الحسد ج ٢ ص ٣٠٦ و ٣٠٧

(٣) الباب العادي والغسون

على ذلك لتمام الكلام فسعى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بهدائك
ويقول ما يقول يرغم أن أمثك أبحر^(١) . فقال له الملك فكيف يصح ذلك عندي ؟
ول تدعوه عدأ إليك فإذا دني منك وضع يده على أذنه أن لا يسم ربح البحر
فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك ودعا الرجل إلى منزله فأطعمه
طعاماً فيه ثوم وخرج الرجل من عنده وقام بهد الملك فقال حسن إلى المحسن
حسانه وانسبى . سكتيكه مساويه . فقال له الملك ادن مني فدي منه فوضع
يده على فيه مخافة أن يشم أمثك منه ريح النوم . فقال الملك في نفسه ما أدري فلأنا
لأ صدى . قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا حذيره أو صلة فكتب له كتاباً بخطه
إلى عامل من عماله ذا أمثك حامل كتابي هذا فادعوه و اسلحه واحش حلدته تسأ
و بعث به إلي . فأخذ الكتاب و خرج فلقبه الرجل الذي سعى به فقال ما هذ
الكتاب ؟ فقال خط الملك أمر لي بصله . فقال . هه لي . فقال هولاك فأخذه
و مضى إلى العامل . فقال العامل في كتابك أن أدعك وأسلحك قال إن أسكتك
من هولي . والله في أسري حتى تراجع إلى الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة
ودعوه وسلحه وحشا حلدته تبا و بعث به . ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته و قل
من قولوه فنعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لعيني فلان فاستوهبه مني فوهبته
له فقال الملك به ذكر لي أمثك ترغم أدني أبحر ؟ قال . ما قلت ذلك . قال . فلم
وضعت يدك على أمثك ؟ قال . كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه . قال
صدف ارجع إلى مكانك فقد كفك المسي . مساويه

و قال ابن سيرين ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من
أهل الجنة فكيف أحسده على أمر الدنيا وهي جنة في الجنة . وإن كان من
أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار و مثل بعضهم هل يحسد
أخوه ؟ قال . ما أسألك بني يعقوب نعم ولكن غمته في صدرك و إنه لا يضرك ما
لم نعد به يذا ولا لساناً و قال أبو الدرداء . ما أكثر عدد ذكر الموت إلا قل فرحه

(١) يضر بضر - من ، انعلم - العلم انش ربحه فهو أبحر .

وَلَمْ يَحْسُدْهُ وَقِيلَ كُلُّ النَّاسِ أَقْنَدٌ عَلَى رِصَاهُ إِلَّا حَاسِدٌ نَعِمَهُ فَإِنَّهُ لَا يَرْصِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا وَلِذَلِكَ قِيلَ :

كُلُّ لِعْدَاوَةٍ قَدْ يَرْحَى مَوْدَّ بِهَا ❦ لَا عِدَاوَةَ مِنْ عِدَاكَ مِنْ حَسَدٍ
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْحَسَدُ حَرَجٌ لَا يَبْرَأُ وَحَسَبٌ لِحَسُودٍ مَا يُلْقَى وَقَالَ
عَرَابِيُّ مَا رَأَيْتُ طَائِفًا أَشَدَّ مَطْلُومٍ مِنْ حَاسِدٍ ، إِنَّهُ يَرَى النِّعَمَةَ عَلَيْكَ نِعْمَةً عَلَيْهِ
وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْحَاسِدُ لَا يَبَالُ مِنَ الْمُحَاسِلِ إِلَّا مَقْصَّةً وَدَلًّا ، وَلَا يَبَالُ مِنَ الْمَلَأَنَكَةِ
إِلَّا لَعْنَةً وَبَعْضًا ، وَلَا يَبَالُ مِنَ لِحْلُوقِ الْإِحْرَاءِ وَغَمًّا ، وَلَا يَبَالُ عِنْدَ لَنْزَعِ إِلَّا شَدَّةً
وَهَوْلًا ، وَلَا يَبَالُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا فَضِيحَةً وَبُكَاءً

❦ (بَيَانُ حَقِيقَةِ الْحَسَدِ وَحُكْمِهِ وَأَقْسَامِهِ وَمَرَاتِبِهِ) ❦

إِذْ عَلِمْنَا أَنَّ لِحَسَدٍ إِلَّا عُلَى نِعْمَةً فَإِذَا أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ نِعْمَةً فَلَمْ يَبْهَاجْ فِيهَا حَالَتَانِ
إِحْدَاهُمَا أَنْ تَكْرَهُ نِعْمَتَهُ نِعْمَةً وَتَحِبُّ رِوَايَا وَهَذِهِ الْحَالَةُ تَسْمَى حَسَدًا
وَالْحَسَدُ حِدٌّ كَرَاهَةٌ لِلنِّعْمَةِ وَحُبٌّ رِوَايَا مِنَ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِ
لِحَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنْ لَا تَحِبُّ رِوَايَا وَلَا تَكْرَهُ وَجُودَهَا وَدَوَامَهَا وَلَكِنَّكَ تَشْتَهِي
لِنَفْسِكَ مِثْلَهَا وَهَذِهِ تَسْمَى غِيظًا وَقَدْ رُحِّصَ بِاسْمِ الْمُنَافِقَةِ
وَقَدْ تَسَمَّى الْمُنَافِقَةُ الْحَسَدَ مُنَافِقَةً وَيُوضَعُ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ بَدَلُ الْآخَرِ
وَلَا حُجْرَ فِي الْأَسْمَاءِ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعْنَى وَقَدْ قَالَ رَبِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنْ الْمُؤْمِنُ يَمِطُ وَالمُؤْمِنَةُ يَمِطُ وَالمُؤْمِنَةُ يَمِطُ
يَحْسُدُ » ^(١) فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ حَرَامٌ لِكُلِّ حَالٍ إِلَّا نِعْمَةً أَصَابَهَا فَاحِرٌ أَوْ كَافِرٌ وَهُوَ يَسْتَعِينُ
بِهَا عَلَى تَهْيِيجِ الْغَيْظِ وَإِفْسَادِ دِيَارِ الْبِرِّ وَإِدْبَارِ الْحَقِّ ، فَلَا يَضُرُّكَ كِرَاهَتُكَ لَمْ
وَحُبَّتُكَ لِرِوَايَا فَإِنَّكَ لَا تَحِبُّ رِوَايَا مِنْ حَسَدٍ أَنْتَ نِعْمَهُ بَلْ مِنْ حَسَدٍ هِيَ آلَةُ
الْمُنَافِقَةِ وَلَوْ أُمْتُ فَسَادُهُ لَمْ يَكُنْ نِعْمَةً لِنِعْمَتِهِ ، وَبَدَلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْحَسَدِ لِأَحَدٍ النَّبِيِّ
نَقْلُهَا ، وَإِنْ هَذِهِ الْكِرَاهَةُ سَحَطَ لِقِصَّةِ اللَّهِ فِي تَفْصِيلِ بَعْضِ عِبَادِهِ عَلَى بَعْضٍ وَدَبَّتْ
لَا عَدْرَ فِيهِ وَلَا رَحْصَةَ وَأَيُّ مَعْصِيَةٍ تَرِيدُ عَلَى كِرَاهَتِكَ لِرَاحَةِ مُسْلِمٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ
لَكَ فِيهَا مَضَرَّةٌ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْفَرَّازِيُّ بِقَوْلِهِ : « إِنْ تَمَسَّكْتَ حَسْمَةً نَسُوهُمْ وَإِنْ

(١) رَوَاهُ الْكَلْبِيُّ فِي الْكَامِي ج ٢ ص ٣٠٧ نَحْوُ رَقْمِ ٧ وَقَدْ تَقَدَّمَ

تصمكم سيئة يفرحوا بها ^(١) وهذا الفرح شمانة والحسد والشماتة ينالان من
 وقال تعالى «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً
 من عند أنفسهم» ^(٢) فأحسر أن حتمهم زوال نعمة الإيمان حسداً ، وقال «ودو
 يو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء» ^(٣) وذكر الله حسداً إخوة يوسف عسرهم
 في قلوبهم فقال «إد قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أمنا مث وبخس عصه إلى نادا
 لمي صلال من د اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يحل لكم وجه أبيكم» ^(٤) فدمت
 كرهوا حباً أبيه له ساءهم ذلك و أحبوا زوالها عنه فعبسوه عنه وقال تعالى
 «ولا يحدون في صدورهم حادثة توتوا و يؤثرون على أنفسهم» ^(٥) أي لا يصيق
 به صدورهم ولا يعتنقون فأنى عليهم بعدم الحسد ، وقال تعالى في معرض الإنكار
 «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» ^(٦) وقال «كان الناس أمة
 واحدة - إلى قوله - إلا الدين» فبوه من بعد ما جاءهم بالبينات بفسهم ^(٧) قيل
 في التفسير : حسداً وقال تعالى «وما ينفقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغير
 بينهم» ^(٨) وأمر الله العلم ليجمعهم و يؤلف بينهم على طاعته و أمرهم أن يتسوا
 بالعلم فتحاسدوا واحتلموا إد أكل كل واحد منهم أن يقتل داس ثاسه و قول القول
 فرد بعضهم على بعض .

قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ قلوباً فلو فوما قالوا
 ساءلك بالنبى الذي وعدنا أن نرسله ولكم الذي نرسله إلا ما نصرنا ، فكانوا
 يصرون فلما جاء النبى ﷺ من ولد إسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم
 بآياه فقال تعالى «وكانوا من قبل يستمعون على آئينهم كفروا فلما جاءهم ما
 عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أمر الله بغير أي حسداً» ^(٩)

(٢) العرة : ١٠٩

(١) آل عمران : ١٢٠

(٤) يوسف : ٨٠ و ٩

(٣) النساء : ٨٩

(٦) الباء : ٥٤

(٥) البقرة : ٩٠

(٨) الشورى : ١٤٠

(٧) البقرة : ٢١٢

(٩) أخرجه أبو جهم في الدلائل من طريق عطاء و صحاك عن ابن عباس كذا في

للباقين ج ١ ص ٨٨ والاية في سورة العرة : ٨٩٠ .

و قال صبيحة بنت حبيبة للنبي ﷺ - جاء أبي وعمتي من عندك يوماً فقال
أبي لعمتي ما تقول فيه؟ قال - أقول - إنه لسيء الذي بشر به موسى، قل فما
ذا ترى؟ قال - أرى معادته أيام الحياة ^(١) وهذا حكم الحسد في التحريم

و أمّا المناقصة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة أو مباحة وقد
يستعمل لفظ المناقصة بدل الحسد والحسد بدل المناقصة، قال فثم من العباس لما أراد
هو والفصل أن يأتي النبي ﷺ فيسأله أن يؤمّرهما على الصدقة قال لعلي عليه السلام
حين قال لهما لا تنهيا إليه فإنه لا يؤمّر كما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نقاسة
والله لقد زوحت ابنته فما بقى ذلك عليك ^(٢) أي هذا منك حسدٌ وما حسدك
على ترويض طائفة، والمناقصة مشتقة في اللغة من النقص والأيدي يدل على إباحة
المناقصة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ^(٣) - وقال - سابقوا إلى
معرفة من ربكم ^(٤) - وإنما المناقصة عند خوف العوت وهو كالعديد يتنافسون
إلى خدمة مولاهما إذ يجرع كل واحد أن يستبق صاحبه فيحظى عند مولاه بميزة
لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال - لا حسد إلا في
أثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحق ^(٥)، و رجل آتاه الله علماً فهو
يعمل به ويعلمه الناس ^(٦) ثم فسّر ذلك في حديث أبي كشيبة الأنصاري فقال - مثل
هذه الأمة مثل أربعة رجال رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله،
و رجل آتاه الله علماً ولم يؤنه مالاً فيقول ربّ لو أن لي مال فلان كنت أعمل
فيه بمثل عمله فهما في الآخر سواء وهذا منه حب لأن يكون له مثل ما كان له من
غير حب روال النعمه عنه، قال ^(٧) [و رجل آتاه الله مالاً وهو يبيع في معاصي

(١) أورده ابن اسحاق في السيرة قال - حدثني أبو بكر بن محمد بن عمر بن حرم

قال حديث عن صبيحة فذكر نحوه وهو منقطع (المعنى)

(٢) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١١٨ وفيه ريبه من عاثر مكان فثم

(٣) المطعون ٢٦٦ . (٤) الجديد : ٢٦١ .

(٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٠٨ من حديث عبد الله بن مسعود .

(٦) ما من القوسين من المؤلف (المراد) ذكرها توصيلاً .

الله ، ورجل لم يؤته الله مالاً فمقول : لو أن لي مال فلان كنت أعلم بعمل مثل عمله ،
فهما في الوزر سواء ، ^١ وقته رسول الله ﷺ من حبه مغبته للمعصية لا من حبه
حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله ، فإذا لا حرج على من يعط غيره في نعمة
ويشبه لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت
بمثل النعمة نعمة دينية واحدة كالإيمان والصلوة والركاء فهذه النعمة واحدة وهو
أن يحب أن يكون مثله لأنه إن لم يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك
حرام ، وإن كانت النعمة من أصناف كالتقوى والأموال في المكرم والصدقات والمناقب
فيها مندوب إليها ، وإن كانت نعمة يتقدم فيها على وجه صلاح فالمناقب فيها منج
كل ذلك يرجع إلى إرادته مساواته والآخرى به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة
كل تحب هذه النعمة أمران أحدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره
وتحلقة عنه وهو يكره أحد الوجهين ، هو تحب نفسه ويحب مساواته له

ولا حرج على من يكره تحلقت نفسه ونقصانها في المناجات نعم ذلك ينقص
من الفصل وينقص الرهد والتوكل والرضا ، وحجب عن المعامات الرفيعة
ولكنه لا يوجب العصيان ، وهما دفيعة عامصة وهو أنه إذا أيسر عن أن ينال مثل
ذلك النعمة وهو يكره تحلقة ونقصان فلا محالة يحب زوال النقصان وإنما يروى
نقصانها ، بأن ينال مثلها أو بأن يروى نعمة المحسود ، فإذا أسد إحدى الطريقتين
فيكاد القلب لا يبعث عن شهوة للطريقة الأخرى حتى إذا رآه النعمة عن المحسود
كان ذلك أشبه عنه من دوامها إذ رآها يروى تحلقة ونقصان غيره وهذا لا يكاد
يبعث ، لقلب عنه وإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد إلى اختياره لسمي في
إرادته النعمة عنه فهو حسود حسداً مدعوها ، وإن كان يريد نفعه التقوى عن إزالته ذلك
فعسمى عما يحده في طبعه من الانزياج إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كراهاً
لذلك من نفسه بفعله ودينه ولعله المعنى بقوله ﷺ : ثلاث لا يبعث المؤمن
عنه الحسد والطمع والطير ثم قال : وله منهن محرر ، إذا حسدت

فلا سمع ، أي من وحدث في قلبك شيئاً فلا تعمل به و بعيد أن يكون الإنسان
مريد اللجاج ناحيه في لعمه فيعجز عنها ، ثم يبعث عن ميل إلى روال لعمه إذ
يحد لا محاله مرجحاً له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يتأحم لحسد بحرام
فيدعى أن يحقق فيه فإنه موضع الخطر و ما من إنسان إلا و هو يرى قوى نفسه
من معرفة و تقربه من يحب أن يساويه و يكاد يحتر ذلك إلى الحسد المتطور إن
هم يكن قوي الإيمان ودين التقوى ، و مهما كان محر كة حوى . لتفاوت و ظهور
بعضه عن غيره يحتر ذلك إلى الحسد المدموم و إلى حين الطبع إلى زول لعمه
عن حيه حتى يزل هو إلى مساوئه إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساوئه يدرك
العمه و ذلك لا حصه فيه أصلاً بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدارين و
مقاصد الدني و لكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله ، و تكون كراهته
لحدث من نفسه كتمارة له ، فهذه حقيقة الحسد و أحكامه

أما مرآته فربع الأولى أن يحب رول لعمه عنه و إن كانت لا تنقل إليه ،
و هذه عاية الحسد الثانية أن يحب روال لعمه عنه [إليه] لرغبتة في ذلك لعمه
مثل رغبتة في دار حسنة أو امرأة حسنة أو ولاية نافذة و سعد نالها غيره ، و هو يحب
تكون له و مطلوبه تلك لعمه لأروالها عنه و مكروهه فقد لعمه لا تنعم غيره
و الثالثة أن لا يشتهي عيبها بل يشتهي لنفسه مثلها ، و من عجز عن مثلها أحب
عنه كيلا يظهر لمعاوب يديهما ، الرابعة أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل
و لا يحب رولها عنه و هذا الأخير هو المعصو عنه إن كان في الدنيا و المندوب إليه
إن كان في الآدين ، و لثلاثة فيها مدموم و غير مدموم ، و الثانية أحب من الثالثة ،
و الأولى مدموم محض ، و تسميه الثانية حسداً فيه تحوُّر و توسع ولكنه مدموم
فالله تعالى و لا تتمتعوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ^(١) فتصفيه لمثل

(١) أخرجه الطبراني و فيه اسماعيل بن قيس الانصاري وهو ضعيف كما في مجمع

الزوائد ج ٨ ص ٧٨ .

(٢) النساء ٣٢

ذلك غير مدموم ، أمّا تمنّيه عين ذلك فمدموم

❦ بيان أسباب الحسد و المناقة ❦

أمّا المناقة فبسببها حبٌ ما فيه المناقة فإن كان ذلك أمرًا دينيًّا فبسبب حبِّ الله تعالى وحبِّ طاعته ، وإن كان دنيويًّا فبسبب حبِّ مباحات الدُّنيا و التمتع فيها . وإتباطرنا الآن في لحسد المدموم ومداخله كثيرة جدًا ولكن يحصر جملةً بأسعة أسباب . اعداؤه و النعرة و الكبر و التعلّج و الخوف من قوت المقاصد المحبوبة و حبُّ الرئاسة وحبُّ النفس وحبُّها فإنّه إنمّا يكره النعمة عليه إمّا لأنّه عدوّه فلا يريد له الخير ، وهذا لا يختصُّ بالأمثال بل يحسد الحسب المثلث بمعنى أنّه يحبُّ زوال نعمته لكونه معصاً له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبّه . و إمّا أن يكون من حيث يعلم أنّه سيتكثر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كثرة و تفاخره لمرءة نفسه و هو المراد بالنعرة ، و إمّا أن يكون في طبعه أن يتكثر على المحمود و يمنع ذلك عليه نعمته و هو المراد بالتكثر ، و إمّا أن يكون النعمة عظيمة و منصب كبير فيتمتع من قوت مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعلّج ، و إمّا أن يحاف من قوت مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مراحمته في أغراضه ، و إمّا أن يكون يحبُّ الرئاسة التي تمنّي على الاختصاص بعملة لا يسوى فيها ، و إمّا أن لا يكون لسبب من هذه الأسباب بل لحبِّ النفس و شحها بالخير لعباد الله ، ولا بدّ من شرح هذه الأسباب

السبب الأوّل العداوة والبغضاء و هو أشدُّ أسباب الحسد فإنّ من آذاه بسبب سبب من الأسباب و حاله في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبه و غضب عليه و رسخ في نفسه الحقد و الجعد يعطي التشقي والانتقام ، فإن عجز المصعب عن أن يشقي منه نفسه أحبُّ أن يشقي منه بتغيير الرّأى ، و رثما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله ، فمهما أصاب عدوّه بليّة فرح بذلك و طشها مكافاة من حبه الله له على بعضه و إنمّا أصابه ذلك لأجله ، و مهما أصابته نعمة ساء ذلك لأنّه صده مراده و رثما يظهر له أنّه لا مسرّة له عند الله حيث لم يستقم له من عدوّه الذي آذاه بل

أنعم عليه ، بالجملة والحسد يلزم المعص والعداوة ولا يعرفها وإنما عاية النقي أن لا يعني^(١) أن يكره ذلك من نفسه ، فَمَا أن يعص إساناً ثم يستوي عنه مسرته ومساوته فهذا غير ممكن وهذا ما وصف الله الكفار به أعني الحسد بالعداوة ، إِنْ قَالَ تعالى : « وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا وَعَلَيْكُمْ الْأَمَلُ مِنَ الْعِظِ قُلْ مَوْتُوا عَيْطُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ »^(٢) إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَدٌ تَسُوْهُمْ^(٣) وكذلك قال : « وَذُؤَا مَا عَسَمَ قَدْ بَنَتْ النُّعْضُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ »^(٤) واحسد سبب النفس رثماً يقضي إلى التنازع والتقاتل واستعراى العمر في إزالة النعمة بالحيل وبالسعاية وهناك الستر وما يحري محراً .

السبب الثاني التعرُّو هو أن يثقل عليه أن يترقع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو ملاً خاف أن يتكسر عليه وهو لا يطيق تكسره ولا يسمح نفسه باحتمال صلعه^(٥) وتعاخره عليه فليس من عرصه أن يتكسر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته مثلاً ولكن لا يرضى بترقعه عليه

السبب الثالث الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكسر عليه ويستصغره ويستحده ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في عراضه فإذا مال بعمه خاف أن لا يحتمل تكسره ويترقع عن متابعتة أو ربهما ينشوف إلى مساواته أو إلى أن يترقع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه ، ومن التعرُّو والتكسر كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يتقدم علينا علامٌ يقيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا فقالوا « لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْعَرَّانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِثَيْنِ عَظِيمٍ »^(٦) أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونسعه إذا كان عظيماً ، وقال الله تعالى يصف قول قريش « أَهْؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَا »^(٧) كالاستحقار لهم في الأنفة منهم

(١) آل عمران : ١١٩ و ١٢٠ . (٢) آل عمران : ١١٨ .

(٣) صلب - بكر اللام - صلب : تمدح بما ليس فيه أو همد و أدعى فوق ذلك

تكبراً فهو صلب - ككتف - و لصاحبه أي تكلم له بما يكرهه

(٤) الرحرف ٣١ و راجع الدر السورج ٦ ص ١٦

(٥) الاسام : ٥٣ .

و أحبُّ موته أو داء اللعنة عنه التي بها يشا كره في المبرلة من شجاعه أو علم أو عبادة أو صاعه أو حمل أو ثروة أو غير ذلك مما يقر به هو به و يفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزُّر ولا تكبر على المحسود ولا خوف من قوت مفسده سوى محض الرئاسة بدعوى الأعداء وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الحق والمصلحة في قلوب ليس لتوصل إلى معاصد سوى الرئاسة ، وقد كان علماء لهم يسكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون به حقيقه من أن يظلم به رئاسة ، واستقناعهم منها نصح علمهم .

السبب السابع حيث النفس و شجب بالحق لعناد الله فابتعد من ذلك يشتمل برؤسة و تكبر ولا يظلم حال عند حسن حال عند من عاداه الله فيه نعم به عليه شق ذلك عليه ، وإذا وسم له صطرب أممو الناس وإدبرهم و قوت معاصدهم و بعض عشهم و فرح به ، وهو أنباء يحب الأعداء أن يرى و يحل بعمه الله على عبده كآتهم يأخذون ذلك من ملكه و حوائثه ، و يحل لتجبل من يحل مال نفسه ، و الشحيح هو الذي يحل مال غيره ، فهذا يحل بعمه الله على عباده الذين ليس بينهم و بينه عداوة ولا رابط و هذا ليس له سبب ظاهر ، لا حيث في النفس و ردله في الطمع ، عليه و قوت الحيلة ، و مدالجتة شبيهه لأن الحسد الثابت سائر الأسباب أسماه عاديه و ينصور رواله و يطمع في إزالته ، هذا حيث في الحيلة لا عن سبب عاين فتعسر إزالته إذ يستحيل في لعدة إزالته فهذه أسباب الحسد ، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فمعظم الحسد لذلك و يعوي قووه لا يقدر معها على الإحقاء و المحاملة من يهتك حجاب المحاملة و يظهر العداوة بينك وبينه وأكثر احتسابات يجتمع فيها حبه من عبده لأسباب فلم يجرده سبب واحد من

❦ (بيان السبب في كثرة الحسد) ❦

❦ (بين الامثال و الاقران و الأخوة و نسي العم و الاقارب) ❦

❦ (و تأكده و قلته و ضعفه في غيرهم) ❦

إعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرها و إنما

يقول بن قوم جتمع لهم حيلة من هذه الأساليب فيهم إيشخص له حديقور
 الحسد لأنه قد يصيبه عن قول التكثر ولا يتكسر ولا تنة عنه وغير ذلك من
 الأساليب وهذه الأساليب إنما تكثر من أقسام بعضهم لا يطع بعضهم سبهم في
 الحسد من طعنه أو يتعدون على الأعراس في داخله واحد صاحب في عرس من
 أهله بغير طعنه وأهله وثب الحقد له بعد ذلك يريد أن يستحقه ويتكسر
 عليه يكافيه على مخالفته له ويكرهه بملكته من العبد التي يوصله إلى أعراسه
 ويرد في حيلة هذه الأساليب لا تطع من شخص في بلد من متائبين فلا يكون
 منهم محاسنة وكذلك في مجلس نعم إذا تجاوزا في مسكن أو سوق أو مسجد أو
 غيره ووردوا على معاصد يتعصب فيهم آخر صلبا فنور من الله ومن التاجر المتعصب
 في الله يثور بغية أساليب الحسد ولذلك يرى العالم بحسد العالم دون العابد والعابد
 بحسد العابد دون العالم والتاجر بحسد التاجر والإسكاف بحسد الإسكاف ولا
 يحسد المرء إلا بسبب آخر سوى الاختصاص في الحرفة وبالحسد لرجل أخاه وابن عمه
 ؟؟ إنما يحسد الأحابس والمرأة تحسد صهرها وسريته ورحم أكثر من يحسد ؟
 ؟؟ فإنه لأن مقصد المرء غير مقصد الإسكاف فلا يراحمون على المقاصد
 المقصد المرء بشروه ولا يحميها ولا تكثره لربون ؟؟ إنما يبارعه فيه من رآه
 إذا خريف البزأ لا يظلمه الإسكاف بل المرء ثم مراحمه لرب المحاور له أكثر
 من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا حرم يكون حسده للمحار أكثر وكذلك
 اشجاع يحسد الشجاع لا يحسد الشجاع العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة
 يشتمر بها وتقرؤ بهه الحصلة ولا يراحمه العالم على هذا العرس وكذلك
 يحسد لعلم العالم ولا يحسد لشجاع ثم حسد لو أعط للواعظ أكثر من حسده
 لدفعه والطبيب لأن التراحم بينهما على مقصود واحد أحص

فصل هذه المحاسنات العداوة وأصل لعداوة الراحم على عرس واحد

(١) ابن بون الحريف، وفار لحوهرى اما الربون للفنى والعريف فلس من

كلام أهل النادية

والعرض الواحد لا يجمع بين متعدين بل متساينين فدللت أكثر الحسد بينهم . نعم
 من شدة حرصه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد
 كل من هو في لعالم . وإن بعد متمسكهم في لحصله . أنني سحر بها و مش
 جميع ذلك حباً اندما وان الدائم هي التي تصق على طرائفها أما الآخرة
 فلا تصق فيها . وإنما مثال الآخرة بعمة العلم . فلا حرم من يحب معرفة الله تعالى
 ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته أوصه وسمائه لم يحسد غيره إذا
 عرف ذلك أيضاً لأن المعرفة لا تصيب عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه أن
 ألف عالم ويفرح بمعرفته . يلتذ به ولا يغص لذة واحد سبب غيره بل يحصل
 بكثرة العارفين زيادة لأنس . ثمرة لا فده ولاسته ده فذلك لا يكون من علمه .
 الدائم محاسنه لأن مفصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تصق فيه وعرضهم
 الممثلة عند الله سبحانه ولا تصق أيضاً فيما عنده تعالى لأن أحل ما عند الله سبحانه
 من لتعيم لذة بعائه وليس فيها تمنعه ولا مراحمه ولا يصق بعض الباطنيين على
 بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم

نعم ، رافض العلماء بالعلم المان والحمد تحاسدوا لأن المال هو أعباء
 وحسام إذا وقع في يد واحد جلب عليها يد آخرين ومعنى الحاء مثل الفلوب
 ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم يعرف عن تعظيم الآخرة أو يغص عنه لا
 محانه فيكون ذلك سبباً للمحاسده . وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم
 يصح ذلك أن يمتلي قلب غيره به وأن يفرح به . فالفرق بين العلم والمان
 أن المال لا يحل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى . والعلم في قلب العالم مستقر
 ويحل في قلب غيره بتعلمه من غير أن يرتحل عن قلبه . وإن المال أعيان وأحسام
 ولها نهاية فلو ملئت لسان جميع ما في الأرض لم ينق بعده مال ليتملكه غيره
 والعلم لا نهاية له ولا يصور استيعابه . فمن عود نفسه العكر في حلال الله وعظمته
 وملكوته أوصه وسمائه به ذلك عنده الدائم من كل بعيم ولم يكن ممنوعاً عنه
 ولا مرجحاً فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضاً لو عرف

مثل معرفته لم ينقص من لدنه بل زادت لدته بمؤاسته فتكون لدته هؤلاء في مطالعة
عجائب الحكوة على الدوام أعظم من لدته من ينظر إلى أشجار الجنة و سائيتها
بالعين الظاهرة و من يعين العارف و حقيقته معرفته التي هي صفة ذاته ياتى زوالها
وهو أبداً يحني ثمارها ، فهو بروحه و قلبه متعدد بكفه علمه ، هي كفه غير
مقطوعة ولا مموعة ، بل قطوف دمه ، فهو وإن عص لعين لظاهره و روحه أبداً
بروح ، في حقيقته غايه و يابصر راهره ، فإن فرس كثرة في العارفين لم يكونوا
محاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين و ورعها في صدورهم من عل إحسان
على سر متعائل ، فهذا حالهم و هم بعد في الدنيا فمدا يطن بهم عباد مكشاف
بعطاء و مشاهدة المحبوب في العصى و من لا يصور أن يكون في الجنة محاسنة
لأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محسنة لأن الجنة لا مصابيح و لا مر حمة
فيها و لا سبل ، لا معرفة الله التي لا مر حمة فيها في الدنيا أيضاً ، فهو لجنه بالصورة
بر ، من الحسد في الدنيا و الآخرة جميعاً ، بل الحسد من سمات المتعدين عن سعة
العتيق إلى مصيب السجين ، ولذلك وسم به الشيطان اللعين و ذكر من صفاه أنه
حسد آدم على ما حص به من لاجسد ، فما عني إلى السجدة تنكسر و يبي و مراد
و عصى فقد عرف أنه لا حسد إلا للنور ، على مقصود يصعب عن لوفاء ، بكل و بهذا
لا يرى لئس يتحسدون على النظر إلى رية السماء و يتحسدون على رؤية السموات التي
هي حر ، يسر من حلة الأرض ، و كل الأرض لا يرى لها إلا صافه إلى السماء ولكن
متنعه الأنظار و آفة لجميع الأنصار ، فلم يكن فيهم براحم و لا تحسد أصلاً ،
فعلبك إن كنت بصراً و عني بمسئ مشفقاً أن يطلب نعماً لا رحة فيه و لدته لا مكدر
بها ، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله تعالى و معرفته صفاته ، أفعاله و عجائب
ملكوت سماوات و الأرض ، و لا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً ، و من
كس لا تشفق إلى معرفه الله و لم يجد لدتها فسر عنه رأيت و ضعف فيه رعيتك

(١) ارتاح : سر و شط . ارتاح الله له برحمته انقذه من بيه .

(٢) لاجسد . ٤٧

فَأَنْتَ فِيهِ مَعْدُورٌ ، فَالْمَحْتَضِ وَالْعَتَرُ لَا يَشْتَقِي إِلَى لَدَّةِ الْوَقْعِ ، وَالصَّيِّ لَا يَشْتَقِي
إِلَى لَدَّةِ الْمَلِكِ فَبِئْسَ هَذِهِ لَدَاءٌ يَحْضُرُ بِإِدْرَاكِهَا الرَّحَالَ دُونَ الصَّسَالِ وَالْمَحْتَضِرِ
وَكَذَلِكَ لَدَّةٌ لِمَعْرِفَةِ أَيْضًا يَحْضُرُ بِإِدْرَاكِهَا الرَّحَالَ دُونَ رَحَالِ لَا يُلْهِمُهُمْ تَجَارَهُ وَلَا سِ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَلَا يَشْتَقِي إِلَى هَذِهِ اللَّدَّةِ عِبَرَهُمْ لِأَنَّ الشَّوْقَ بَعْدَ لَدُوقٍ وَمِنْ أَمِ يَدُوقُ
لَمْ يَعْرِفْ وَمِنْ لَمْ يَعْرِفْ لَمْ يَشْتَقِ وَمِنْ لَمْ يَشْتَقِ لَمْ يَطْلُبْ وَمِنْ لَمْ يَطْلُبْ لَمْ يَدْرِكْ وَمِنْ
لَمْ يَدْرِكْ نَفِيٍّ مَعَ الْمُحْرُومِينَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ ، وَمِنْ يَعِشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَفِيضُ
لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ .

(١) بَيَانُ الدَّوَاءِ الَّذِي بِهِ يَنْفَى مَرَضُ الْحَسَدِ عَنِ الْقَلْبِ)

إِعْلَمُ أَنَّ الْحَسَدَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْعَظِيمَةِ لِلْعُلُوبِ وَلَا تَدَاوَى أَمْرٌ مِنَ الْعُلُوبِ إِلَّا
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ .

وَالْعِلْمُ الْمَافِعُ لِمَرَضِ الْحَسَدِ هُوَ أَنْ يَعْرِفَ تَحْقِيقًا أَنَّ لِحَسَدِ صَرَرَ عَلَيْكَ فِي
الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَأَنْتَ لَا صَرَرَ فِيهِ عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَالدُّنْيَا بَلْ يَنْتَفِعُ بِهَا فِي
الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، وَهَمَّا عَرَفْتَ هَذَا عَنْ بَصِيرَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عَدُوًّا بَعْضُكَ وَصَدِيقٌ عَدُوًّا
فَارْقُ لِحَسَدِ لَا مَحَالَةَ ، أَمَّا كَوْنُهُ صَرَرًا عَلَيْكَ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَنَّكَ بِالْحَسَدِ سَحَطْتَ
قَضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَرِهْتَ نِعْمَتَهُ الَّتِي فَضَّلَهَا بِكَ عَلَيْهِ وَعَدْلَهُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي مَمْلَكَتِكَ بِحَقِّ
حُكْمَتِهِ وَتَتَكَبَّرْتَ ذَلِكَ وَاسْتَبْغَيْتَهُ (١) وَهَذِهِ حَيَاةٌ عَلَى حَقْدَةِ التَّوْحِيدِ وَفَسَى
فِي عَيْنِ الْإِيمَانِ وَبَاهِيكَ بِهَا حَيَاةٌ عَلَى الدِّينِ ، وَقَدْ أَضَافَ إِلَيْهِ أَنَّكَ عَشَشْتَ رَحَالَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكْتَ بِصِيحَتِهِ وَفَارَقْتَ أَوْلَادَهُ ، اللَّهُ وَأَنْبِيََاءَهُ فِي حَتَمِ الْحَيْرِ لَعَدَدَ اللَّهِ
وَشَرَّكَ بِإِلَهِسَ وَسَائِرِ الْكَفَرَةِ فِي حَتَمِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَلَايَا وَرَوَالِ النِّعَمِ ، وَهَذِهِ
حَائِثٌ فِي الْقَلْبِ تَأْكُلُ حَسَنَاتِ الْقَلْبِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ وَتَمْحُوهَا كَمَا يَمْحُو
اللَّيْلُ النَّهَارَ .

وَأَمَّا كَوْنُهُ صَرَرًا فِي الدُّنْيَا عَلَيْكَ : فَهُوَ أَنَّكَ تَتَأَكَّمُ بِحَسَدِكَ ، وَتَتَعَدَّى بِهِ .

ولا يزال في كتابه وعمِّد أعداؤه لا حيلة لله عن نعمه بما عليهم . ولا يزال
تعدُّ نكاح نعمه ، اهدأ تأنم نكاح نكاحه . مصروف عشم وشهي معونه مأجوروا
نعمته . انما يصيب انفس كما نعمة لا عداء . وكما يشوي أعداؤه لك وقد كتب
من لمحة لعدو له وتحترب في الحسب محسب . عمتك بقدا . لا يزال لنعمه على
المجسود . محسبك ولولم يكن يؤمن . نعم . والحسب لكان مقتضي لقطعة إن كتب
بالأول أن جدد من الجند لك منه من ألم اعلم . عمتك مع عدم النفع . فكيف
تستطيع . نعم . في الحسب من العبد . لشديد في الآخرة . وما أعجب من العبد أن
من سخط الله من غير نفع . نعم . مع صر . بحمله وألم يخاصه فيهدت دية وديناه
من غير حيلة ولا فائدة . أمّا إني لا حيلة على المحسود في سعة . نعم . ووصح
لأن نعمه لا يزال عن محسبك بل . قدره . نعم . فلا بد أن يدوم
في أصل قدره . الله . ولا حيلة في دفعه بل . كل شيء . عنده . نعم . لكن أحل كتاب .
من شكك شيء من الأسماء من إمرة طالفة مسئولة على الخلق بالأذى وأوحى الله
عني . نعم . أن فر من قدره . حتى ينقص أيتام . أي ماؤدة . نعم . في لأزل لا سبيل
في غيره . فاستمر حتى ينقص لمدة . كتي سق الغصاء . نعم . إقبال . نعم . ومهما
لم يزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود . نعم . في الدنيا ولا يكون عليه إثم
في الآخرة

ولعلك تقول . لب النعمة كاتب ترول عن المحسود بحسدي . وهذا غاية
لجمل . نعم . لا . مشبهة . أمّا . لا . لمحك فإنيك أيضا لا يخلو عن عدو يحسدك . ولو
كاتب النعمة يرول بالحسد لم تنق الله عليك نعمه . لا على الخلق ولا نعمه الإيمان
يصل لأن الكفر يحسد من المؤمنين على الإيمان قال تعالى . ودت طائفة من
هل سكتاب نو . صلوككم وما يصلون إلا أنفسهم وما يشعرون . (١) إذا ما يريد
بحسود لا يكون . نعم . هو يصل . بإرادته الصلال لغيره . فإن إرادته الكفر كفر .
من انتهى أن ترول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنه يريد أن يسلب نعمه
(١) آل عمران : ٦٩ .

الإيمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن شئت أن تقول النعمة عن الحق
بحسدك ولا تقول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والعداوة فإن كل واحد
من خفاء الحسد أيضاً يشتهي أن يحسن بهذه الخاصية وليس بأولي من غيرك وبعده
الله عليك في أن تم برول لنعمة ما تحسد ثم يحب عليك شكرها وأنت تجهل تكرهه .
وأما إن المحسود يسفح به في الدّين والدّنيا فواضح أنّ منفعة في الدّين فهو أنّه
مطلوب من جهتك لا سيما إذا أحرحت الحسد إلى القول أو العمل بالعبه والعدو
فيه وحدث سره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه أعني أنت تدرك تهدي إليه
حسدك حتى يلفه يوم القيمة معلماً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدّنيا عن
النعمة وكأنك أردت برول النعمة عنه فلم تقول ، نعم كان لله عليه نعمة إذ وقفت
لحساب فعلها إليه وأسفله نعمة إلى نعمة وأصمت لنفسك شعاعه في شفاؤك
وأما منفعة في الدّنيا فهو أنّهم عرس الخلق مائة الأعداء وغمهم وشهيم
وكوهم معدّين معومين ، ولا عداء أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد وعاية ماني
عدائك أن يكونوا في نعمه وأن تكون في عمّ وحسرة بسبهم ، وقد فعلت نفسك
ما هو مردهم ولذلك لا يشتهي عدوك هوانك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في
عدوك الحسد والعلم لتنظر إلى نعمة الله عليه وبعطع قلبك حسداً ولذلك قيل
لامات أعداؤك بل حلدوا ❖ حتى يروا إليك الذي يكمد
لا رلت محسوداً على نعمة ❖ وإنما الكل من يحسد
ولا خلاك الدهر من حاسد ❖ وإنما الفاصل من يحسد
فعرح عدوك بعذك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ، ولو علم خلاصك من
ألم الحسد وعدوه لكان ذات أعظم مصيبه و بليّة عنده فما أنت مما تلامه من عم
لحسد إلا كما يشتهي عدوك ، فإذا تأملت هذا عرفت أنت عدو نفسك وصديق
عدوك إذ معاطيت ما تصرّت به في الدّنيا والآخرة ، وانتفع به عدوك في الدّنيا
والآخرة وصرت مضموعاً عند الخالق والخالق ، شقيّاً في الحال والمآل و نعمة
المحسود دائمة شئت أو أبيت ، ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت

إني إذ حان أعظم سرور علي إبليس الذي هو أعدى أعدائك لا تلتزم آك محر ومأمور
بعنه لعلم والودع والحاء والمال الذي احتضر به عدوك عليك حاف أن تحب
ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة ، لأن من أحب الحذر للمسلمين كل شريكاً
في الخير ومن فاته اللحاق بدوحه الأكار في الذين لم يعنه ثوب الحب لهم مهما
أحب ذلك وحاف إبليس أن تحب ما أجمع الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتعود
ثوب الحب فبعضه إليك حتى لا يلحقه بحدك كما لم يلحقه بعملك ، وقد قال
أعرابي عليه السلام : « لرجل يحب العموم ولم يلحق به » فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هو مع من أحب » (١) .

وقد أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم يحط به فقال مني ساعة ؟ فقال ما أعددت
به ؟ فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم ، لا شيء أحب لله ورسوله فقال
لنبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحب ؟ (٢) قال الراوي فما فرح المسلمون بعد
إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن كثير منهم كان يحب الله ورسوله (٣)
وقال أبو موسى قلب يا رسول الله إن رجل يحب للصائم ولا يصلي ولا يحب
لصوام ولا يصوم - حتى عدت أنه ، فقال لني صلى الله عليه وسلم : « هو مع من أحب » (٤)
وقيل إن لم تكن عالماً ولا متعلماً فكُن محمداً ولا فلا تعصم
فانظر الآن كيف حسدك إبليس فموت عليك ثوب الحب ثم ثم يجمع به
حتى يعصه إليك وحلت على الكراهه حتى أئتم ، فكيف لا ؟ وعساك أن تحسد
رجلاً من أهل العلم وتحب أن يحطى ، في دين الله ويكشف خطاؤه ليصصح ،
وتحب أن يحرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم ، وأي
ثم يريد على ذلك ، فبيئت إذا فادك اللحاق به و غممت بسببه سلعت من لا ثم

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٤٣ من حديث ابن مسعود

(٢) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٤٩ من حديث أس ، ومسلم ج ٨ ص ٤٢ .

(٣) في الإحياء « أن أكر بيتهم كانت حب الله ورسوله »

(٤) متفق عليه كما مر .

وعذاب الآخرة وود حاء في الحديث وهل الجنة ثلاثة المحسن والمحبة له المكاف
 عنه ^١ أي من يكف عنه الأذى الجسد لعن الكبره
 فابظر كيف لعنك إبليس عن جميع أمد حل الثلاثة حتى لا تدور به لنته
 فقد بعد فيك حسد إبليس وما بعد حسدك في عدوك بل في نفسك بل لو كوشفت
 بحادث في بقعة أو مقام لرأيت نفسك ^٢ الخاسد في صورة من يرمي حجرة أبي
 عدوه ليصيب به عينه فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته البعي في فعلها فيريد عاصه
 ثمة فيعود ويرمي أشد من الأول فيرجع على عينه لأحد فيعصمها فيرد دعه
 فيعود ثانياً ويرميها على رأسه فشده عدوه لم في كل حال وهو إنه راجع
 مرة بعد أخرى وأعدوه حوله يفرحون به ويضحكون عليه هذه حال الحسود
 وسحرية لشيطان منه لا بل ^٣ لك في الجسد أفتح من هذا لأن الحجر العائد
 إلى راحته لم يعوق إلا العيين ولو لعب لفاد بالوقت لا حوله والجسد يعود بالإثم
 ولاثم لا يعوق بالوقت ولعله يسوقه إلى عصب الله إلى المرء والأثر يدع عينه
 في ثمة ما خير من أن يسعى له عن يد حل بها أسار فيفعلها ليه ^٤
 فابظر كيف نعم الله من الخاسد إذا أراد أن يزيل أسعده عن المحسود فلم يزل
 عنه ثم أراد من الخاسد إلا الإلامه من الإثم بعمه والسلامه من لعم والكم
 بعمه وقد ركبته تصديقا لقوله تعالى ^٥ ولا يحق الشكر استثنى لا بأهله ^٦
 وربما يبتلى بعين ما يشتهي لعنه ^٧ وقلما شمت شمت بمساة إلا ^٨ يتلى
 بمثلها حتى قالت عائشه ما تميت لعن من شتم إلا برل بي حتى لو تميت له
 لقتل لعن ^٩ فما ثم لجسد منه فكيف بها بحر إليه لجسد من لا حلال
 ووجود الحق وإطلاو الآساو اليد بالعواش في التشقي من لأعداء وهو لذ
 الذي فيه هلك الأثم السالفة .

فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها مدعن صاف وقلب حاض

(١) قال المرافي : ما عثرت على أصل له .

(٢) عاطر : ٤٣

يطمي من قلبه نار الحسد و علم أنه مهلك نفسه و مفرج عدوه و مستطيربه
و مصغص عيشه .

و أما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول
و فعل فيسعي أن يكلف نفسه بمصه ، فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه
المدح له و الثناء عليه ، و إن حملته على التكسر عليه ألزم نفسه التواضع له و الاعتذار
إليه ، و إن بعثه على كفا الإيعام عنه ألزم نفسه الرأية في الإيعام ، فمهما فعل
ذلك عر تكلف و عرفه المحسود طاب قلبه و أحبه و مهما ظهر حبه عاد الحاسد
و أحبه و تولد بينهما الموافقة التي يقطع مادة الحسد لأن التواضع و الثناء والمدح
و إظهار اسرور بالعمه يستميل قلب المنعم عليه و يترقه و يستعطيه و يحمله على
مقابلة ذلك بالإحسان ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه فيصير ما مكلمه
أولاً طبعاً آخرأ ، و لا يصدته عن ذلك قول الشيطان له لو تواضع و أئيب عليه
حد العدو على العجز أو على العقاق و الخوف و إن ذلك مذلة و مهانة ، فإن ذلك
من حدع الشيطان و مكائده ، بل المحاملة تكلفاً كان أو طبعاً تكسر سورة العداوة
من الحائنين و تقل من عزتها ^(١) و يعود القلب إلى التآلف و التحاب ، و به يستريح
لقلب من ألم الحسد و غم النعاص ، فهذه هي أدوية الحسد و هي دافعة حداثاً إلا
أنها مرة حداثاً ، لكن النفع في الدواء المر ، فمن لم يصر على مراره الدواء لم
يل خلاؤه الشفاء ، و إنما يهون مراره الدواء أعني التواضع للأعداء و التقرب
بهم بالمدح و الثناء ، بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها و قوة الرعدة في ثواب الرضا
بعضاء لله و حب ما أحبه الله ، و عزة النفس و رفعتها عن أن يكون في العالم شيء
عنى خلاف مرادها جهل ، و عند ذلك يريد ما يكون ، إذا لامطمع في أن يكون ما يريد
و فوت امراد دل و حبة و لا طريق إلى الخلاص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما
أن يكون ما يريد أو بأن يريد ما يكون ، و الأول ليس إليك و لا مدخل للتكاف
و لمجاهدة فيه . و أما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل و تحصيله بالرأية ممكن

فيجب تحصيله على كلّ عاقل ، هذا هو الدُّوا ، لكنّي

قُلْتُ الدُّوا ، المعدّل فهو يجمع أَسْب الحسد من الكرم وعرّة النفس وشدة
الحرص على مالا يعني ، و سيأتي تفصيل مداوه هذه لأسب في موضعها فإتّ
موادّ هذا المرض ولا يجمع لمرض إلا يجمع المادّة فإن لم يجمع المادّة لم يحصل
مما ذكرناه إلا نسكبه ونطقيه ولا يزال يعود مرّة بعد أخرى و يطول الجهد في
تسكينه مع بقاء مودّه ، فإنّه مادام محمّلاً للجهل والابدأ أن يحسد من استأثر بالجد
و الممر له في قلوب الناس دونه وبعمه ذلك لا محالة ونما عاينه أن يكون العلم على نفسه
ولا يظهره لسانه ويده ، فأما الحلّ عنه رأساً فلا يمكنه .

❖ بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب ❖

إعلم أنّ المؤذي مموت بالطلع و من آذاك لا يمكنك أن لا تمنعه عالياً و
تسترت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهه له حتّى يستوي عندك حسن حال عدوّك
وسوء حاله بل لا يزال يدرك في النفس سبها يعرفه ، ولا يزال الشيطان يمارع
في الحسد له ولكن إن قوي اثبت عليك حتّى يبعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل
بحيث يعرف ذلك من مظهرك بأفعالك الاحتشائية فأب إذن حسود عاصي بحسبك
و إن كفمت مظهرك بالكلية إلا أنّك ساعيت تحبّ رول النعمة وليس في نفسك
كراهه لهذه الحالة فأب أيضاً حسود عاصي لأنّ الحسد صفة لقلب لاصفه لفعل
قال الله تعالى « ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّ فؤوه »^(١) ، وقل « ودوا »^(٢)
تكفرون كما كفروا فتكفون سو »^(٣) ، وقال « إن تمسكم حسنة تسوهم »^(٤)

أمّا لفعل فهو عينة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عن الحسد ، بل
محلّ الحسد القلب دون الحوارح نعم هذا الحسد ليست مطلعة يجب الاستحلال عنها
بل هو معصية يبيّث و بي الله ، إنّما يجب الاستحلال من الأسباب الطاهرة على
الحوارح ، و أمّا إن كفمت مظهرك و ألزمت مع ذلك فليث كراهيه ما يترشح منه

(٢) النساء : ٨٩ .

(١) العنبر : ٩ .

(٣) آل عمران : ١٢٠

الصنع من حباً رواه لنعمه حتى كُنت سمعاً عنك في طبعها فكون ذلك
لكراهية من حبه لعمل في مصلحة المثل من حبه الطبع فقد دُيبت ابواب عبيث
ولا يدخل نحب حبيباً في أغلب الأحوال أكثر من هذا ، فأما بعد الصنع ليستوي
سده المؤدي والمحسن ويكون وجه أو غمته متمايز بينهما من نعمه أو تنصب علمهما
من بدته سواء فهذا لا يطاوع الطبع عليه من مذهباً إلى خطووه الذنب إلا أن
يصير مسعراً وأحب لله تعالى مثل السكران لواله فقد ينهي أمره إلى أن لا يلتفت
فيه إلى تفاصيل أحوال العبد بل ينظر إلى الكبر بعين واحدة وهو عن لرحمة
في الكبر عداً لله وأفعالهم أو لا لله و من هم مسخريين وذلك إن كان فهو
كأن في الحسد لا يردم ويرجع لقلب بعد ذلك إلى الحمة ويعود العدو إلى مصادقته
نسي الشيطان وأتته يمارع بالوسوسة ، فمهما قيل ذلك بكراهية أكرم قلبه فقد أدى
من كلفه وذهب دمهون إلى أنه لا يأتيه إذا لم يصبر الحسد على حوارحه
و روي مرفوعاً أنه ثلاثه في المؤمن له مهنٌ مخرج ومخرجه من الحسد أن
يأمر به ، ^١ والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرنا من أن يكون فيه كراهية من حبه
نفساً وانفصل في مصلحة حب الطبع لرواها النعمه عن لعدو ، وبذلك الكراهية تنصه
من انصي و من الإيداء وإن شئنا جميع ما ورد من الأحاديث في دم الحسد يدل ظاهره
على أن كل حاسد أثم ، و الحسد عناه عن صفة لقلب لأعر الأفعال وفكره محب
سده المسلمين فهو حاسدٌ في إذا كونه آثماً بمجرد حسد لقلب من غير فعل هو في
عمل الاجتهاد .

وقد عرفت من هذا أن لك وأعدائك ثلاثه أحوال أحدها أن تحب مسدتهم
بصفت وتكره حمتك لذلك وميل قلبك إليه بقلبك ، و سمعت نفسك عليه ودوداً لو
كأن لك حيلة في إزالة ذلك المثل منك ، وهذا معفو عنه قطعاً ، لأنه لا يدخل تحت
الاحتمار أكثر منه ، الثانية أن نحب ذلك و نظهر لفرح بمساوئه بما يلساها أو
نحو ذلك فهذا هو الحسد المحطور قطعاً ، الثالثة وهي من لطرفين أن تحسد بالعب

من غير مفتك لعتب على حسد من غير نكار منك على فلتت وسكن تحفظ
 حور حث عن طاعة الحسد في مقتصد وهذا محل الحلاي والظاهر أنه لا يجلو عن
 بهم بعد قوه ذلك اجب وضعه

هذا آخر كتاب دم العتب والحقد والحسد من ربع ادبلك من طبعه
 البيضاء في هديت الاحياء ، وينالوه إن شاء الله كتاب دم الدب والحمد لله ولا
 وآجراً واصلاً على عهد وأهل بيته وسلم

کتاب ذم الدنیا

وهو الكتاب السادس من ربيع المهلك من المصحف لبعض، في تهذيب لأحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد لله الذي عرف أوليائه عوئل الدنيا وآفائها ، وكشف لهم عن عيوبها
 وعورها ، حتى يظروا في شواهد وآياتها ، ويرىوا حجابها سواتها ، فعلموا أنه
 يربهم على معرفته ، ولا يفي مرحوها بمحوه ، ولا يسلم ظلوها من
 كبرها ، ولكلها في حوره امرأة مديحة يستعمل لابس بجمائها ، ولها أسرار سوء
 فيج يهلك الرأعي في وصالها ، ثم هي فرائد عن ملائها ، شحيحة بفضله ، وإذا
 قبلت لا تؤمن من شرها ، بل هي أحب من عفة أسات سده ، وإن أسات مره
 جعلها سة فدوائر إقامها على الدرب دائره ، بخبره بدها حبه ودوره ، وآفائها
 على لوبه لصدده ملائها راشعه ، ومجاري أحوالها بدل حالها ناصيه ، فكل منعز
 إلى الشئ مضره ، وكل ممكنه بها إلى النجس مضره ، شئ يرب من طليها
 يجلب إليها من حرمها في نه ، من أعرض عنه ، أسد ، لا يجلو صفوها عن
 سوان الكدر ، ولا يفت سرورهم عن المصعب ، سلامتها تعقب السقم ، وشهادها
 لا سوف يلا إلى لهم ، يعيب لا ينم إلا الحصره وليسه ، فهي حذاءه مكاره طياره
 ، لا تزال تزدن لظالمها حتى إذا صرروا من أحدها كشر لهم عن آياتها ،
 وشوش علمهم ماظم أسادها ، وكشف لهم عن مكسوع عجائبا فأذا قيم فوائدها
 ستمها ، ورشهم بصوائبهم ، فيبدا أصحابها عنها في سرور ، ويعم إذا ولت

(١) في الصحاح واثبت على الامر بمعنى وافقه .

(۲) کثرت اسماہی اندام و کثرت الایمان لایسر

(٣) دفعه باسمه و بظرفه أحد الضمير اليه و مضافه ضمير غيره

عنهم كُتِبَ أَسْعَاتُ أَحْلَامِ ، ثُمَّ عَكِرَتْ عَلَيْهِمْ بِدَوَائِهَا ^(١) ، فَطَحْنَتْهُمْ طَحْنُ الْحَصِيدِ ،
وَوَارَبَهُمْ فِي كَفِّهِمْ تَحْتَ الصَّعِيدِ ، إِنْ مَلَكَتْ وَاحِدَةً جَمَعَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ
حَلَّتْهُ عَنْ قَرِيبِ حَصِيدٍ كَأَنْ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ، نَمَتِي أَصْحَابَهَا سُرُورًا ، وَتَعَدَّهُمْ عُرُورًا
حَتَّى يَأْمَلُوا كَثِيرًا ، وَيَسُورُوا قُصُورًا ، فَتَصَحَّ قُصُورُهُمْ قُصُورًا ، وَجَمَعَهُمْ يَوْمًا
وَسَعَهُمْ هَذَا مَشُورًا ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا

وَصَلَاةٌ عَلَى نَحْبِ عَمَدِهِ وَرَسُولُهُ الْمُرْسَلُ إِلَى الْعَالَمِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَعَلَى مَنْ
كَانَ مِنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا طَهْرٌ وَعَلَى الظَّالِمِينَ بَصِيرَةٌ وَسَلَامٌ كَثِيرٌ
أَمَّا هَذَا فَإِنَّ الدُّنْيَا عَدُوَّةُ اللَّهِ ، وَعَدُوَّةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَعَدُوَّةُ لَأَعْدَاءِ اللَّهِ ، أَمَّا
عَدُوَّتُهَا لِلَّهِ فِي تَبَائِهَا فَطَعَبُ الطَّرِيقِ عَلَى عَدَاءِ اللَّهِ وَلِدَاكُ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهَا مَدْحَلْفَةً ^(٢) ،
وَأَمَّا عَدَاوَتُهَا لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي تَبَائِهَا تَرْتَبَتْ لَهَا تَرْتِبَتَا : عَشْمٌ بِرَهْرَتِهَا وَنَصَارَةٌ
حَتَّى نَجَرَتْ عَوَامِرَهِ لَصُرَ فِي مَقَاطِعِهَا ، وَأَمَّا عَدُوَّتُهَا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ فِي تَبَائِهَا اسْتَدْرَجَتْهُمْ
بِمَكْرَهَا وَمَكِيدَتِهَا ، وَاقْتَصَبَتْهُمْ بِشَكَا ^(٣) حَتَّى دَعَوْا بِهَا وَعَوَّلُوا عَلَيْهَا فَحَدَلْتَهُمْ
خَوْحًا كَاوًا إِلَيْهَا ، وَحَتَمُوا مِنْهَا حَسْرَةً تَمُطُّ دُونَهَا الْأَكْبَادَ ، ثُمَّ حَرَمَتْهُمْ عَنْ
السَّعَادَةِ أَبَدَ الْأَبَادِ فِيمَ عَلَى فِرَاقِهَا يَتَحَسَّرُونَ ، وَمَنْ مَكَائِدُهَا يَسْتَعْيِثُونَ وَلَا يَعَاثُونَ
بَلْ يَهْلِي بِهِمْ احْتِسَاؤُهَا فِيهَا وَلَا تَكَلُّمُونَ وَلَكِنَّ الدِّينَ اشْتَمَلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْأَحْرَمِ
وَلَا يَحْتَقِفُ عَنْهُمْ لَعْنَاتُ وَلَا هُمْ يَمْضُونَ ، وَإِذَا عَطَمَتْ عَوَائِلُ الدُّنْيَا وَشُرُورُهَا
فَالْإِبْدُ وَالْأَمْسُ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَمَاهِي ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ فِي حَلْفِهَا مَعَ عَدَاوَتِهَا ،
وَمَا مَدَاخِلُ عُرُورِهَا وَشُرُورِهَا ، فَإِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ لَا يَنْقُصُهُ وَيُوشِكُ أَنْ يَفْجُرَ فِيهِ ،
وَمَنْ يَذْكُرُ دَمَ الدُّنْيَا وَأَمْلَتِهَا وَحَقِيقَتِهَا وَنَقِصِيلَ مَعَانِيهَا ، وَأَصْدَافَ الْأَشْعَالِ
اسْتَشَاعَلَتْ فِيهَا ، وَوَجْهَ الْحَاجَةِ إِلَى أُصُولِهَا ، وَسَبَّابِ انْصِرَافِ الْخَلْقِ عَنِ اللَّهِ سَبَبِ
اسْتِشَاعَلِ بِمَعْمُولِهَا إِشْدَادًا لِلَّهِ

(١) عَكَرَ عَلَيْهِ كَرَوَحَلٍ وَاعْصَفَ وَعَطَفَ ، وَالدَّوَاءُ جَمْعُ لَدِيَّةٍ وَهِيَ الْوَادِلُ

وَلَوَائِبُ وَالْمَصِيبَاتُ

(٢) كَمَا بَاتَى عَنِ حَرْبٍ فِي الْحَدِيثِ .

(٣) اقْتَصَبَ الصَّيْدَ أَوْ الطَّرِيقَ صَادَةً ، وَالنَّشَاتُ جَمْعُ شَكَّةٍ وَهِيَ شَرَكَةُ الْعِيَادِ

﴿ بيان دم الدنيا ﴾

آيات الواردة في دم الدب و أمثله كثيره و أكثر القرآن مشتمل على دم
الدنيا و صرف الحاق عب و دعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود بعث الأنبياء ﷺ
و هم يبعثو لا أدلت فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لطوره و إنما يورد
من الأحاديث الواردة فيها

فقد روي أن رسول الله ﷺ مر على شاه مية فقال : « أنور هذه لشاه
لميته هية على صاحبها » قلوا : نعم من هو ذا أفوه . قال : والذي نفسي بيده
أن الدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها . لو كانت الدنيا بعدل عند
الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء .^(١)

و قال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمنين و حنة الكافرين »^(٢)
و قال ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها »^(٣)
و عند ﷺ : « من أحب دنياه أضرب بأخرته » من أحب آخرته أضرب بدنيته .
فأثروا ما يبقى على ما يقضى »^(٤)

و قال ﷺ : « حب الدنيا رأس كل خطيئة »^(٥)
و قال ﷺ : « يا عجماء كل لعنت للممثلة في مدار الحلود وهو يسعى لدر
لفرور »^(٦)

(١) أخرجه الحاكم ج ٤ ص ٣٠٦ نسخة و من مساجد تحت رقم ٤١١٠ من حديث
سهل بن سعد .

(٢) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ١٩٩ .

(٣) أخرجه أبو عيسى في الجنة بسند صحيح من حابر ، و ابن مسعود تحت رقم ٤١١٢
نسخة آخر عن أبي هريرة ، و الترمذي ج ٩ ص ١٩٨ أيضاً .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣١٩ من حديث أبي موسى الأشعري ،

و صححه .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسن مرسل كما في الجامع صغير

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد من حديث جرير مرسل (المعنى)

و روي أن رسول الله ﷺ وقف على قبره فقال «هل سمعوا إلى الدبيب وأحد» روى قد نبيب على مثلث المربعة وعظماً وقد عرفت وقال هذه دماء وهذه إشارة إلى أن ريسها ستخلق مثل مثل الحرق أن لأحدم تأتي، في ستصير عظماً بالية.

وقال رسول الله ﷺ «الدبيب حلوه حصره» و «إن الله مستحقكم فم هذه كيف يعملون» إن بني إسرائيل قد سخط لهم الدبيب ومهنت بهو في الجنة والنساء والطيب والثياب» (١).

و قال عيسى عليه السلام «لا تتحدوا الدبيب رداً فتتحدكم الدباب عمد» اكرموا كرمكم عند من لا يصيغه لكم فإن صاحب كرم الدبابا جاف عليه لا قدوم» كنز الله لا يخاف عليه الآفة».

وقال أيضاً «يا معشر الحواريين إني قد كتب لكم ديباً على وجهي ولا نعيشوه بعدي» فإن من حيث الدبيب أن عصي الله فيه وإن من حيث الدبيب أن لا حرة لا تدره إلا سر كها ألا فاعلموا الدبيب ولا عمنها. و علموا أن عمل كل حطيفة حب الدبيب ورت شهوة ساعة أو ثلأهدبا حرة طويلاً»

و قال أيضاً «يطحن لكم الدباب» وحسنت على طهرها فلا يب عذكم في الملوذ و لست. فأما الملوك فلا تب عوهم في الدبيب فيهم لن يتعرصو لكم في تركتموهم وديهم. وأما لست فيتموهن بالصوم والصلاة»

وقال أيضاً «الدبيب طاله و مطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدبابا حتى يستكمل فيه رده» طالب الدبابا تطلبه الآخرة حتى يحيى الموت فأحد بعينه» و عن النبي ﷺ «أن الله حل شأوه لم يخلق خلقاً أعص إليه من الدبيب

-
- (١) أي ميت، وأخرجه ابن أبي الدبيب في الرعد والسقي في الذهب من طريقه من رواية ابن مسعود للحق مرسل وفيه لغة من الولد وعد عيه وهو مدلس كما في المعنى
- (٢) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٤٠٠ دون قوله «إن من إسرائيل الخ» ورواه ابن أبي الدبيب من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي أخرجه كما في المعنى
- (٣) مثله في كسبه - رده . (٤) بضعه - سخطه ، أعاء على وجهه

وإنه لم ينظر إليها عند خلقها (١).

وروي «أن سليمان بن داود - عليه السلام - مر في عوكة في نهر بطنه في البحر
لأس من يمسح عن يده ، قال : قدوة من عتري أسرائيل و الله
بن داود لقد أمانك الله ملكاً عظيماً ، قال : فسمع سجد من فعل تسبيحه في
صاحبه مؤمن خير من أعطى من دونه ، و بره أعطى ابن داود يذهب في التسبيحة
منه

و قال عليه السلام : «الهاكم التكاثر يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك
إلا ما مضى فامض ، أو أكلت فأفنى أو أنس فأفنى» (٢).

و قال عليه السلام : «الدنيا دار من لا دار له ، و دار من لا دار له ، لها يجمع
من لا عقل له ، و عليها يعادي من لا علم له ، و عليها يحسد من لا قوة له ، و لها
يسعى من لا يقين له» (٣).

و قال عليه السلام : «من أصبح : الدنيا أكبر همته فليس من الله في شيء ، و أكرم
به قلبه أربع حاصل : لا يقطع عنه أبداً ، و شعلاً لا يتفرع منه أبداً ، و قهراً
لا يل عنه أبداً ، و أملاً لا يبلغ منه أبداً» (٤).

و قال رسول الله ﷺ : «الدنيا ما فوقه من السماء و الأرض من تحتها الله
مر» ، حل لا يسطر إليها . يقول يوم القيامة : يا رب جعلني لأدبي أو يثاؤك صيباً

(١) أخرجه الحاكم في التاريخ من حديث أبي هريرة عنه في الجامع الصغير

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣٢٣ من حديث مطرف بن عبد الله بن

الشخير عن أبيه

(٣) ما عثرت على تمام حديث في أصح سم أخرجه أحمد ص ١٠٠ في المسند والموسم

في شعب من حديث عائشة عنه في الجامع الصغير

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة عنه في مسند الله عنه

لج - وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بن مالك ضعيف ، والحاكم من حديث

حماد ، و روى هذه لزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر و كلاهما ضعيف

كما في المفتي .

اليوم ، فيقول : سكني لاشي ، بني لم أرضك لهم في الدنيا أرضك لهم اليوم ؟
وروي : أن الله عز وجل لما أعط آدم من الجنة إلى الأرض قال له : ان
للخراب ولد للفناء^(١).

و روي في أحد آدم ~~في الجنة~~ ^{في الجنة} ~~فدخلها~~ ^{فدخلها} ~~أكل من لشجرة~~ ^{أكل من لشجرة} ~~بحر~~ ^{بحر} ~~كعب معدنه~~ ^{كعب معدنه} ~~لجروح~~ ^{لجروح}
ثقل ولم يكن ذلك معمولاً في شيء ، من أصعبه لجة إلا في هذه الشجرة فذلك
سمى الله عن أكلها ، قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله ملكاً يحاطه به
له قل له أي شيء تريد ؟ قل آدم :ريد أن أصعب ما في بطني من الأذى ، فمس
لذلك قل له في أي مكان تريد أن تضعه ؟ أعلى العرش أم على السرير ؟ أم على
الأرض ؟ أم تحت ظلال الأشجار ؟ هل يرى هذا ما صعباً يصلح لذلك ؟ ولكن عود
إلى الدنيا

و قال ~~في الجنة~~ ^{في الجنة} ~~ليبحث~~ ^{ليبحث} ~~قوام يوم~~ ^{قوام يوم} ~~الجمعة~~ ^{الجمعة} ~~و عملهم~~ ^{و عملهم} ~~كحال~~ ^{كحال} ~~نهاره~~ ^{نهاره} ~~و مؤمرهم~~ ^{و مؤمرهم}
إلى النار فميل به سؤال الله أمملاً ؟ قال نعم كانوا يدومون و يصلون و يأخضون
هذه^(٢) من الليل فزارع من لهم من الدنيا شيء ، و ثمر عليه^(٣)

و قال ~~في الجنة~~ ^{في الجنة} ~~في بعض~~ ^{في بعض} ~~حطبه~~ ^{حطبه} ~~و يؤمنون~~ ^{و يؤمنون} ~~من محض~~ ^{من محض} ~~من أصل~~ ^{من أصل} ~~لا يدري~~ ^{لا يدري}
ما لله صانع فيه و من أصل قد يصي لا يدري ، الله فاس فيه فليترد إليه من نفسه
لنفسه و من دسه لأخيه ، و من حياته لموته ، و من شبابه لهرمه ، قال الدنيا قد
حلقتكم و أنتم حلقتكم للآخر ، و الذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعد

(١) ما عثرت على أصله ، و روي عن عكر عن علي بن الحسين مرسله
و ان الله تعالى لما خلق الدنيا أعز من عبها فلم ينظر إليها من هو بها عليه ، راجع الجدة
الصغير ج ١ ص ٧٢

(٢) راجع الكافي ج ٢ ص ١٣١ روى مثله

(٣) أي ساعة بمعنى عيبة من باب هنو .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحجة من حديث سالم مولى أبي حنيفة بسند ضعف وأبو
مصور الديلمي من حديث أسد ضعف أيضاً . (المعنى)

ولا بعد الدماء من دماء لا الحمة أو الدماء (١)

و قال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد .

و روي عن حنن بن عمار قال لروح الله عليه السلام : يا أطول الأنبياء عمراً كيف حدثت الدنيا ؟ قال كدارك ناس دخلت من أحدها وخرجت من الآخر .

و قيل لعيسى عليه السلام : لو أتت الدنيا ؟ فقال يكفينا حلال من كان قلبه .

و قال عبد الله بن مسعود : احدثوا الدنيا فأتها أسحر من هاروت وماروت (٢)

و روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على أصحابه فقال : هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه لعمري ويجعله صغيراً ؟ ألا إنه من رغب في الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر دين . ومن رغب في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً غير يعلم بهدي ومبره يه . ألا إنه سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتحسر . لا لعلى إلا بالحجر والحل ولا أحمة إلا بسباع الهوى . ألا فمن أدرك دين الإسلام منكم وقصر على القدر وهو يقدر على العسر والعسر على العسر وهو يقدر على العسر . ومن رغب في الدنيا وهو يقدر على العسر لا يريد بذلك إلا وحده الله سبحانه الله بذلك ثواب خمسين صدقة (٣)

و روي أن عيسى عليه السلام شدد به المطر والرعد والبرق يوماً فجعل يطلب ما يلحق إليه فرعب منه حبيبه من بعد فأبها في دأ فيها امرأة فجاد عنها فأد هو نكهم في حبل فاده فأد عنه أسد فوضع يده على رأسه وقال إلهي جعل لك شئ ماؤى ولم يجعل بي ماؤى فأوحى الله إليه ماؤاك في مستقبل من رحمتي لاؤى حدث

(١) رواه الكلبي في الكافي ج ٢ ص ٧٠ و قوله صلى الله عليه وآله « مستعيب »

أي موضع استعاب أي طلب رضاء .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في دم الدنيا والسقي في الشهب عن أبي النضر بن سعد صيف كما في الجامع الصغير .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا والسقي مرسلًا وفيه إبراهيم بن الأشعث مكلم فيه

أبو حاتم . (المعنى)

من يَدْعُوهُ

«قَالَ عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ مَرَّ عَمْسَى عَلَى الْإِلَهِ يَدْعُوهُ أَفْعَدَّ لِي وَرَأَيْتَهُ
 «صَدَّقَ قَوْلَ الْإِسْلَامِ لِحَدِيثِهِ «قَوْلُهُ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 عَنْ عَمْرِو بْنِ دَاوُدَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ «قَوْلُهُ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ
 «وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ دَا كَانِ اللَّيْلُ مِنْهُمْ يَحْمِلُونَ» فَحَمَلَتْ كَانِ اللَّيْلُ مِنْهُمْ يَحْمِلُونَ
 «أَرْضِ» (٥) «نَمَّ رَأَى بِأَعْيُنِهِ يَدْعُوهُ فَأَحَدُ الْمَحْبُورِينَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى
 «مَنْ مَرَّ وَفَضَّلَكُمْ» وَرَأَى «فِي عَيْنِهِ» وَأَحَدُ الْمَحْبُورِينَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى
 «لِحَدِيثِهِ» «قَوْلُهُ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى
 «الْعَمْسَى» الْأَمْرُ بِأَعْيُنِهِ وَأَحَدُ الْمَحْبُورِينَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى
 «مَحْبُورِينَ» يَحْمِلُونَ «قَوْلُهُ» «قَوْلُهُ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى
 «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى» «قَوْلُهُ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى
 «مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»
 «مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»
 «مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»

«وَرَأَى» «قَوْلُهُ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى
 «مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»
 «مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»

«مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»
 «مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»

«مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»
 «مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»

«مَنْ أَعْدَابُ اللَّهِ» يَدْعُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَرَّمَ لَا أَيْ «يَدْعُوهُ» بِأَمْرٍ «لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَرَأَى»

(١) ي المكان لم يجمع فيها (١) راجع الكتاب ج ٢ ص ٣١٨ - باب الدنيا -

(٢) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٣٨

ولصحتكم قليلاً ولهباب عليكم الدنيا والآخرة، ^(١) ثُمَّ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ
 مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لِحَرِّ حِمَى إِلَى الصَّعْدَاءِ وَلِمَكْتَمٍ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
 وَبِرَكْتُمْ مُوَالِكُمْ بِلَا حَرِّ لَهَا وَلَا رَجْعٍ إِلَيْهَا إِلَّا مَا لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْهُ وَلَكِنْ يَعْبَثُ
 عَنْ فُلُوبِكُمْ ذَكَرَ الْآخِرَةَ وَحَصَرَهَا لِأَمَلٍ فَصَارَتْ بَدِيًّا أَمَدَكُمُ بِأَعْمَالِكُمْ وَصَرِيحٍ
 كَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَمَعْضُكُمْ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ لَنَنِي لَا تَدْعُ هَوَاهَا خِيفَةً مِمَّا فِي عَاقِبَةِ
 مَا لَكُمْ لَا تَنْتَحَاتُونَ وَلَا تَقْنَصُحُونَ وَأَنْتُمْ حَوَالِي دِينِ اللَّهِ مَا قُرِئَ مِنْهُ هُوَ نَكْمٌ إِلَّا
 حَيْثُ سَرَّكُمْ وَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى الْبِرِّ لَتَحَابَنْتُمْ مَا لَكُمْ بِصَاحِبِكُمْ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا
 وَلَا بِصَاحِبِكُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَلَا يَمْلِكُ أَحَدُكُمْ الْمَصْبُوحَ مَنْ يَحْتَسِبْ وَيَعْبِهْ عَلَى أَمْرِ
 آخِرَتِهِ مَا هَذَا إِلَّا مَنْ قَلَّ لَا يُؤْمِنُ فِي فُلُوبِكُمْ ، لَوْ كُنْتُمْ تَوْقِفُونَ بَحِيرَ الْآخِرَةِ وَشَرَّهَا
 كَمَا تَوْقِفُونَ بِالدُّنْيَا لَأَثَرْتُمْ طَلَبَ الْآخِرَةِ لَأَنْتُمْ أَمَدَكُمُ مَا مَوَدَّكُمْ فِيهِ فَلَنْتُمْ حُبَّ
 الْعَاجِلَةِ غَائِبُ فَإِنَّا بِرَأْسِكُمْ تَدْعُونَ الْعَاجِلَةَ مِنَ الدُّنْيَا لِلْآجِلِ مِنْهَا تَكْذُوبُ أَنْفُسُكُمْ
 بِالْمُشْفَةِ وَالْحَقَرُ فِي طَلَبِ أَمْرِ لَعَلَّكُمْ لَا يَبْدُو كَوْنُهُ ، فَنَسِيَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ مَا حَقَّقْتُمْ
 أَيْعَابَكُمْ مَا يَعْرِفُ بِهِ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَالِغِ فَمِنْكُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا حَذَّرَكُمْ بِهِ تَعَدَّى الْبُغْيَ
 وَتَوَلَّوْا فَلْيَسِبْ لَكُمْ وَلِرَبِّكُمْ مِنْ لَمُورٍ مَا يَطْمِئُنُّ إِلَيْهِ فُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ بِمَعْمُومِيهِ
 قُدُوبُكُمْ وَمَعْدَرُكُمْ أَنْتُمْ تَسْتَمِيعُونَ صَوَابَ لِرَأْيِي فِي دِينِكُمْ وَتَأْخُذُونَ بِالْحَرَمِ فِي
 أُمُورِكُمْ مَا لَكُمْ بِمَرْحُومٍ مِنَ الدُّنْيَا تَصْبِيحُهُ وَخَرْنُونَ عَلَى الْبَسِيرِ مِمَّا
 يَهْوِيكُمْ حَتَّى يَنْتَسِنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِكُمْ وَيَطْهَرُ عَنِ أَلْسِنَتِكُمْ وَتَسْمُو بِهَا الْمَعَائِلَ
 وَتَقِيمُونَ عَلَيْهَا لِمَنْتُمْ وَعَاقَبْتُمْ وَدَنَرُكُمْ كَثِيرٌ مِنْ دِينِهِمْ ، ثُمَّ لَا يَنْتَسِرُ ذَلِكَ فِي
 وَجْهِهِمْ وَلَا يَنْتَعِبُ حَالَهُمْ . إِنِّي لَا أَرَى اللَّهَ قَدْ تَمَرَّأَ مِنْكُمْ ، يَلْمِي بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بِالْأَسْرِ
 وَكُلُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَسْتَقِيلَ صَاحِبُهُ بِمَدِينَةٍ خِيفَةَ أَنْ يَسْتَعْلِي صَاحِبُهُ مِمَّنْ لَهُ ، فَأَصْبَحْتُمْ
 عَلَى الْعَلِّ وَنَسَبَ مَرَاغِبَكُمْ عَلَى الدِّينِ وَتَعَبْتُمْ عَنِ رَوْضِ الْأَحْلِ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ اللَّهَ
 نَعَالِي رَاحَتِي مِنْكُمْ فَأَلْحَقَنِي بِمَنْ أَحَبُّ . وَبُيِّنَ وَلَوْ كَانَ حَيْثُ لَمْ يَصْبِرْكُمْ ، فِي كُلِّ
 (١) أخرج صدره مسلم والبخاري ج ٨ ص ١٢٧ من حديث أبي هريرة وأخرجه
 ليرمدي ج ٩ ص ١٩٤ وابن ماجه بحت رقم ٤١٩٠ باختلاف في اللفظ من حديث أبي هريرة

وكم خير بعد أسمعكم ، وإن نطلموا ما عند الله تجدوه يسيراً ، والله استعين على نفسي وعلیکم

و قال عيسى عليه السلام : يا معشر الجوريتين أرموا بدني الدُّب مع سلامة ديني كما رمى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدُّب ، وفي معناه قيل أرى رجلاً نادى الدين قد قنعوا ، ولا أراهم رسوا في لعيش بالدُّب وسمن بالدُّب عن ديبا الملوك كما - نعى املوك بدنيا هم عن الدين

و قال عيسى عليه السلام : يا طالب لدنيا لتتر [بها] تركت للدُّب أبراً ، و قال يحيى بن زكريا : لتنتمكم بعدي دبا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١)

و وحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام : يا موسى لا تترك إلى حب الدنيا فان تنسي بكبيره هي أشد غلبت منها ، و مر موسى برجل وهو يسكي ورجع وهو يسكي فقال موسى يا رب عبدك يسكي من محافتك فقال : يا ابن عمران لو سل دعاة مع دموع عيبيه و رفع يديه حتى سقط لم أعفله وهو يحب الدنيا ،

و قال علي عليه السلام : من جمع ربّ حصل لم يدع للحصّة مطلباً ولا عن النار مر ، يا أوتها من عرف الله فأطاعه ، و عرف الشيطان فعصاه ، و عرف الحق فأنسه ، و عرف اساطير فادّماه ، و عرف الدنيا فرمى بها ، و عرف الآخرة فطلبها ،

و قال رجل لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين صلب الدنيا ، فقال : وما أصب لك من دار من صح فيها ما آمن ، و من سقم فيها بدم ، و من افتقر فيها حر ، و من تنعى فيها قفر ، في حلالها الحساب ، و في حرامها العذاب ،

فيليه عليه السلام ذلك مرة فقال : أطول أو أقصر ؟ فقال فصر فقال حلالها حسب و حرامها عذاب ، ١٢

(١) قال العراقي : لم أجده أصلاً .

(٢) و راجع النهج الخطيب تحت رقم ٨٢ .

و أول بيت في داره هي سبعة أسيخ، مطعوم و مشروب و ملبوس و مكرور
 و منكوح و مشموم . وأشرف مطعوم لعل معز مدود و داب ، وأشرف المشرور
 أم ، يستوي منه وأشرف ملبوس لعل من هو تسج دودة ، وأشرف
 آخر كروان القرس و علمه فصل الحائل ، وأشرف منكوح حائل أم هي عدل في عدل
 والله أن أخره ببر من أحسن شيء ، منها ويراد فتح شيء منه . وأشرف مشموم
 لمات وهو رم حيون .

﴿فصل﴾

أقول . من طريق الخاصة عن أهل السب عني في دَم الدنيا ما فيه بلاغ
 لعلوم عادين و سادة ، عن مولانا أمير المؤمنين عني و دهيته ما في كتاب مبعث العلماء
 من كلماته عني في هذا الباب و قد أسلفنا كلاماً له عني في كتاب العلم من
 ربع الصادقات عني ، كر ، علماء علماء الآخرة

و في السب عن أبي عبد الله عني قال . و خرج النبي ﷺ هو بحر
 فأنه منك و معه معاصج حرائر الأرض فقال . في ثمن هذه معاصج حرائر الأرض
 يقول لك ربك أفتح و خذ منها ما شئت من غير أن يفتن شئت عدي ، فقال رسوله
 لله ﷺ يدب . من لا ارله ^(١) و لها يجمع من لأهل له ، و من به المات
 و كذا بعث راجحاً نبياً بعد سمع هذا الكلام من منك يقول في السماء أن معه
 حتى أعطيت إعجاب ^(٢)

و عنه عني قال . من رسول الله ﷺ يجدي أمك ^(٣) ملعي على من يله منك
 فقال لأصحابه . لم يهدي هذا ، فقالوا . لعله لو كان حساً لم يهده ، درهماً ، فقال النبي
 ﷺ . الذي نفسي بيده أنما أهون على الله من هذا الجدي على أهله ^(٤)

(١) سئل امرأته أن لا دار له غيرك و ليس له في لاهرة من نصيب .

(٢) المصدر ج ٢ ص ١٢٩

(٣) الجدي . ولد سمري السة الاولى ، و ثبت في معظم لادين مقطوعه .

(٤) الكافي ج ٢ ص ١٢٩ .

وعنه عليه السلام قال: **وقال رسول الله ﷺ إن في طلب الدنيا بصراً آخر**
في طلب الآخرة بصراً **أرأيت ما أدب وأصره** **والدنيا فيها أحق بالاجترار** ^١
وعنه عليه السلام قال **وقال رسول الله ﷺ مالي والدنيا ما أرا وأدب**
بني علي ومثل كمثل راكب **فعلت له شجرة** **وإذا سمع ثوب فقال يحقها ثم راح**
فيها كفا ^(٢)

وعنه عليه السلام قال: **وما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون**
فيها جائعاً خائفاً ^(٣)

وعنه عليه السلام قال: **إن في كتاب علي عليه السلام إرثاً مثل الدنيا كمثل حذته**
أشبهت وفي حوق السهم لدفع **يحدوها** **أحسن** **أعول** **وهو يبيع الدنيا**
بالحمل ^٤

وعنه عليه السلام قال: **كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أصحابه** **أوصيك**
بشيء **تقوى من لا يحل معصيته** **ولا يحد حتى يحد** **ولا العبي إلا الله** **ومن**
سعى لله تعالى عز وجل فوي شمع وروى **رفع عنه عن أهل الدنيا** **في يد مع أهر**
الدنيا **ففيه** **وعنه مع** **الآخرة فأدعاً يصوم** **ففيه** **أصبر عيشه من حب الدنيا**
فقد حرامها **وحاش شمت وأخره** **لله بالجلال** **أصافي إلا ما لا بد له منه من نفسه**
سائر صلته ^٥ **وثوب بواريه** **به عوقبه** **من أعتد ما يحد** **وأحسبه ولم يكن بدونه**
لأنه ثقة ولا رجاء **فوقعت ثقته** **ورجاؤه على** **حاش الأشياء** **فحد** **وحيث وأعتد**

(١) لحد في الكافي ج ٢ ص ١٣١ وروى في أن المدونة ص ١٠٠
 من الآخرة وما لا يصبر كقدر الحاجة في الدنيا وسعش قدس مدون
 (٢) ومما ثبت في ومحد وعوا **وقال يعقوب** **من لدولة أي الأسرحة**
 والغير في الكافي ج ٢ ص ١٣٤

(٣) المصدر ج ٢ ص ١٢٩

(٤) المصدر ج ٢ ص ١٣٦

(٥) أكبر - أكبر - لفظة من لىء المكسور وجمع كبير مثل قطعة و

تضع وليراد كسره الغر

بدمه حتى يسب لأصلاخ وعادات العساكر فأبذل الله له من ذلك قوة في بدمه وشدة في عقله وما دخر له في الآخرة أكثر ، فأرفض الدنيا فإن حب الدنيا يعمي ويصم ويسكم ويدل البرق فبذلك ما بقي من عمره ولا نقل عداء و بعد عد فإتوا هديت من كان فذلك بإقامتهم على الأماهي : السويدي حتى أتاهم أمر الله بعتة وهم عافلون فعدوا على أعوانهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة وقد أسلمهم الأولاد والأهلون فقصص على الله بقلب سليم من رفض الدنيا وعزم^(١) ليس فيه انكسار ولا رجوع^(٢) أعتب الله و يثابك على خاعده : ففنا و يثابك لمصانده^(٣)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال علي بن الحسين عليه السلام : الدنيا قد تحلب مدره وإلّا الآخرة قد ارتحلت مقله ، و لكل واحد منهما ذنوب فكونوا من أهل الآخرة ولا تكونوا من أهل الدنيا ألا و كونوا من الرّاهدين في الدنيا الرّاهدين في الآخرة ، ألا إن الرّاهدين في الدنيا اتحدوا الأرض ساطعاً والشراب فزاشاً و الماء طساً و فرسواهم الدنيا بغير صال^(٤) ، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات و من أشفق من النار رجع عن ادخ^(٥) ما ، و من رهد في الدنيا هات عليه المصائب ، ألا إن لله عتد^(٦) كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلد^(٧)ين و كمن رأى أهل النار في النار معتد^(٨)ين و درهم مأمونة وقلوبهم خردة أنفسهم عقبة و حوائجهم جميعه صرور ، أيتاماً قتيله فصار^(٩) يعنى^(١٠) راحة طويله ، أما اللبيل فصافقون أقدامهم تحري دموعهم على جدوهم و هم يحذرون إلى ربهم^(١١) يسعون في فلك رقابهم ، و أما السبار فحلما علماء برره أتقيبه كآتهم انداح فدرهم الجوف من العبادة^(١٢) ينظر إليهم الناظر فيفنون

(١) عصف على «دفع» (٢) الانجرال لا يقطع

(٣) الكامي ج ٢ ص ١٣٦ .

(٤) لعرصه وضع أى قطعوا أنفسهم من الدنيا بقطعة ، انقلاخ قلوبهم عنها (أو من)

(٥) كد و من فعله الرماح صارت لهم المعنى (٦) أى يصرعون ، جاز إلى الله أن تصرع

(٧) انداح لكره - لهم لا ريش ولا نصل ، شهيم في سعاده أن بهم

بالأمر ، ثم ذكر : يسعون في السهم أى اسرى وهو سعت «من سعاده» أى من كثرتها

ب على قوله : رماهم انداح «أو من طليها ن تنق الجوف (الوادي)

مرضى - وقد بالعموم من مرض أم حولوا^(١) وقد حالط العموم أمر عظيم من ذكر النار
بها فيها^(٢)

و عن محمد بن مسلم بن شهاب قال سئل على بن الحسين عليه السلام أي الأعمال
أصل عند الله تعالى؟ فقال «ما من عمل بعد معرفته الله تعالى ومعرفته رسول الله صلى الله عليه وآله
فصل من بعض الذنوب وبن لسانك كثيراً^(٣) إلا المعاصي شعباً فأصل المعصية به
به لكم هي معصية إبليس حين نهي واستكبر^(٤) عن الكافور من البحر
هي معصية آدم وحو^(٥) حين قال الله تعالى لهما «كلوا من حيث تشمتا ولا تأخذا منه
شجرة فتكوبا من لطايبها^(٦) فأحداً مالا» حة وجملة حة حة^(٧) على دريتمها
في يوم القصة ذلك أن أكثر ما يطلب من آدم مالا حة به إله ثم الحسد
هي معصية من آدم حيث حسد أياه فعليه فغضب من ذلك حب السماء وحب
المرء وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو وشره
من سبع حبس جميعاً كقوله في حب الدنيا «إن لأبداء العلماء بعد معرفته
أن حب الدنيا أس كرهه و الدب دنيا أن يب يلازع و دنيا ملعونه^(٨)»
و عن حماد بن دحيب قال سئل عن حب الدنيا فقال «يا حنيفة والله يتي
محزون و إني لمشغول لفسد قلب جعل فداك و ما شعرك ما حزن فداك
فمن يدا حة من دحل قلبه بما في حة من الله شغل قلبه عما سواه و يدا
الدنيا و ما عسى أن يكون إذا ما هل هي إلا طعام نكته أو ثوب نسبه أو امرأة

(١) أي يسوونهم بحالط أهل و يحسون حولك و لأن أي أحمد عقبه ما حة

من العفة

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٣٦

(٣) أي أن بعض الذنوب لنعماً من الصفات لسة و لا عمل لصاحبه و هي ضد

شعب المعاصي

(٤) اسقرة ٣٥

(٥) أي العزم أو أحد مالا حاجة به

(٦) الكافي ج ٢ ص ١٣٠

و عن عبد الله بن الغنم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا أراد الله يعبد خيراً
 عبده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن أوتيها فقد أوتي خير الدنيا
 والآخرة ومن لم يطلب أحد الحق سب أفصل من لزمه في الدنيا وهو صدق
 صاحب أعداء الحق قلب جعلت وذكماً ، ول من الرعدة فيها ، وقال : إلامن
 من كريم يتم هي أيم ، لا إله حرم عليكم أن بعدو طعم الإيمان
 حتى يرهقوا في الدنيا »

قال و سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إذا تحلى المؤمن من الدنيا سماً و
 أحد خلوه حب الله و كان عبد أهل الدنيا كأنه قد حوّل و يتم حاله الغوم
 خلوه حب الله فلم يشعرو بعده » و سمعته يقول إن القلب إذا صفا صاف
 به الأرض حتى يسمو » (١)

و عنه عليه السلام قال : « جعل الخير كله في سب و جعل مفتاحه الرهد في الدنيا ،
 م قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بعد الرحل خلوه الإيمان في قلبه حتى لا يبالى
 من أكل الدنيا » (٢)

و عنه عليه السلام قال : « من رهد في الدنيا أثبت الله لحكمه في قلبه و أطلق بها
 سببه و بصره عيوب الدنيا ، ها و ذواها ، و أخرج من الدنيا سائماً إلى دار
 السلام » (٣)

و عنه عليه السلام قال : « مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان
 ارع عطشاً حتى يعمله » (٤)

و عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : « قال أبو ذرٍّ رحمه الله حرى الله الدنيا عني
 منه بعد رعيها من الشعر أعدى ما جدهم و أتعتنى بالآخرة ، و بعد شغلي الصوف
 تررب حديهما و أبردى بالآخرة » (٥)

(١) و (٢) لكافي ج ٢ ص ١٣٠ و قوله « سماً » من لسواى لعلو

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ١٢٨ .

(٥) و (٦) المصدر ج ٢ ص ١٣٤ .

وعن لرضا عليه السلام قال : « قال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسي أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم »^(١)

﴿فصل﴾

قال أبو حامد : في الآثار قال لقمر يا بني إن الدنيا بحر عميق فدعرو فيها ناس كثير فليكن سفينتكم فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها بالإيمان ، لله عز وجل وشراعي التوكل على الله^(٢) ، لعلكم تنجوا وما أراك ناحياً .
وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل فملك ويكون له أهل بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة أو عداة يوم ولا تهلك نفسك في أكله ، وصم الدنيا وأطع على الآخرة فإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار

وقيل لبعض الرهاد كيف ترى الدهر ؟ قال يحلق الأبدان ، ويحصد الآمال ، ويفرق المنية ، وبعد الأمنية ، قال فما حال أهله ؟ قال من طمعه تعب ، ومن فاته نصب ، وقد قيل :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسر^٥ فسوف لعمرى عن قريب يدومها
إذا أدبرت كات على المرء حسرة^٥ وإن أفلط كات كثيراً همومها
وقال بعض الحكماء : كات الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا تكون فيها ، فلا أسكن إليها ، فإن عيشها مكدر ، وصعوها كدر ، وأهلها ممها على وحس
إنما سمعة رائلة ، أو بليّة بارلة ، أو مميّة قاصية

وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق لكنها بما تريد

وإنما تنقص

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣٧ وقوله « لا يأسي » الاسي الحزن عني موت افانت

(٢) سي ما أورده الكليني في الكافي ج ١ ص ١٦ عن موسى بن جعفر عليه السلام

قال : « ان لقمان الخ » .

و قال آخر . ما ترى النعم كأنها معضوب عليها قد وضعت في غير أهلها
و قال يحيى بن معاذ . الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئاً
فيجيبه في طلبك ويأخذك .

وقال العنبر لو كانت الدنيا من ذهب يفنى و الآخرة من خزف يبقى لكان
يسعى لنا أن نختار خرفاً يبقى على ذهب يمضي ، فكيف وقد اخترنا خرفاً يبقى على
ذهب يمضي .

و قال أبو حارم . إيتاكم و الدنيا فإنته بلعني أنه يوقف العبد يوم القيامة
إذا كان معظماً للدنيا فيقتل . هذا عظم ما حقره الله .

وقال ابن مسعود . ما أصح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية ، فالضيف
مرتحل والعارية مردودة ، وقد قيل :

و ما المال والأهلون إلا ودعة ❖ ولا يد يوماً أن تردّ الودائع
و دارت رابعة أصحابها ودكروا الدنيا فأقبلوا على دمعها فقالت لهم : اسكنوا
عند كرمها فلو لا موقعهم من قلوبكم ما أكثرتم مرد كرمها ، ألا من أحب شيئاً أكثر
من ذكره . و قيل لا إبراهيم بن أدهم كيف أنت ؟ فقال :

نرقع ديبانا بنمريق ديسا ❖ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعد أثر الله ربّه ❖ و حاد بدنياه لما يتوقع
وقيل :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ❖ وقال من الدنيا سروراً وأنعما
كمان يبي بدنيته فأنتمه ❖ فلما استوى ما قد بناء تهديماً
وقيل أيضاً .

هب الدنيا تساق إليك عموا ❖ أليس مصير ذاك إلى انتقال
و ما دنياك إلا مثل فمي ❖ أطلت ثم آدن بالرّوال
و قال لقمان لابنه : يا بني بع دنياك بأحرثك تربحهما جميعاً ولا تبع أحرثك
بدنياك فتخسرهما جميعاً .

وقال مطرف بن الشَّحِير ^(١) لا تنظر إلى حصص عيش المملوك و ابن ريشم
ولكن انظر إلى سرعة طعمهم ^(٢) وشرهم عليهم
وقال ابن عباس إن الله جعل الدنيا ثلاثة أحرار: حره للمؤمن و حره
للمنافق و حره للكافر ، فالمؤمن يترود ، والمنافق يتردى ، والكافر يتمتع
وقال بعضهم الدنيا حبيبة فمن أراد منها شيئاً فليصر على معاشره الكلال
ومهادشتهم ، وقيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها ✽ تمنع عن حطمتها نسيم
إنَّ التي تخطب غدارة ✽ قرية العرس من المدام
وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الله إلا به
ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وقيل :

وما استأس إلا هلك وبن هات ✽ ودو نشب في الهاكين عرب
إذا امتحن الدنيا لم تكتشف ✽ له عن عدو في ثياب صديق
وقيل :

يارا قد الليل مسروراً بأوله ✽ إن الحوادث قديطر قرن أسحار
أفنى القرون التي كانت منعمة ✽ كثر الحديد بين قتلاً وديار
يا من يعاقب دنياه لبقاء لها ✽ يمسي و يصبح في دنياه سعد
هلاً تركت من الدنيا معاقبة ✽ حتى تعانق في العردوس أبار
إن كنت تمني حبان الحلد تسكبها ✽ فيدعي لك أن لا تأمن لئلا

وقال أبو أمامة الباهلي لما بعث النبي ﷺ أتت إبليس حوده فملو
ود بعث نبي وأحرج أمة ، قال : يحسبون الدنيا ؟ قالوا نعم قل إن كان
يحسبونها ما أبالي أن لا يعبدوا إلا وثان ، وإنما أعدو عليهم و أروح ثلاث أحد
المال من غير حقته ، وإتعاقه في غير حقته ، وإمساكه عن حقته ، و لشر كلهم هدي

(١) الظاهر هو مطرف بن عباد بن النخيم - بكر لثبي وشه الخدم -

(٢) الظمن - بالطاء المعجمة - : الارتطال -

وقيل : اتفوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا - .
 وقال وهب : في بعض الكتب : الدنيا غنيمة الأكياس وعلة الجهال لم يعرفوها حتى حرجوا منها فسألوا الرُّحمة فلم يرجعوا
 وقال لقمان لابنه يا بني ! إنك استدبرت الدنيا من يوم تولدتا واستقبلت الآخرة . فأنت إلى دار تغرب منها أقرب من دار تماعد عنها .
 وقال بعضهم : عجباً لمن يعرف أن الموحى كيف يوحى ، وعجباً لمن يعلم أن النار حق كيف يضحك ، وعجباً لمن يرى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجباً لمن يعلم أن الفرد حق كيف ينصب ؟
 وقدم على معاوية رجل من بحران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وحده ؟ فقال سيب بلاء ، وسياب رخاء . يوم بيوم وليلة بليلة ، يولد ولد ويهلك هالك فليلا المولود لئلا يخلق ، ولولا الهالك صاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له معاوية سل ما شئت قال عمر مصى فترده أو أحل حضر فندفعه ، قال لأملت ذلك ، قال : لا حاجة لي إليك .

وقال بشر بن سأل الله الدنيا فإني سأله طول الوقوف بين يديه
 وقال أبو حاتم : ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألقى الله به شيئاً يسوءك .
 وقال آخر : لا تحرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع ثم جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الرُّاد لما يقدم عليه
 وقيل لبعض العباد قد قلت العنى . فقال : إنما بال العنى من عتق من روى الدنيا

وقال أبو حاتم : اشتد مؤونه الدنيا والآخرة ، فأما مؤونة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعواناً ، وأما مؤونة الدنيا فإنك لا تصرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاحراً قد سقك إليه .

وقيل لحكيم الدنيا لمن هي ؟ قال لمن تركها ، فقبل له : والآخرة لمن هي ؟ قال : لمن طلبها .

وقال حكيمٌ : الدُّنْيَا دارُ حُرَابٍ وأحْرَبُ منها قلبٌ من يعمرها ، والْحِجَّةُ دارُ
عِمرانٍ وأحمرُّ منها قلبٌ من يطلبها .

وقال إبراهيم بن أدهم لرحل : أدرهم في المدام أحبُّ إليك أم ديسار في اليقظة ؟
فقال ديسار في اليقظة ، فقال كذبت لأنَّ الَّذِي تحبُّه في الدُّنْيَا كأنَّكَ تحبُّه في المدام
والَّذِي تحبُّه في الآخرة كأنَّكَ تحبُّه في اليقظة .

وقال يحيى بن معاذ - المَعْلَى ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبني قمره
قبل أن يدخله ، وأرضى حاله قبل أن يلقاه .

وقال أيضاً : الدُّنْيَا بلعٌ من شؤمها أنْ تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله فكيف
الوقوع فيها .

وقيل من أقبل على الدُّنْيَا أحرقته نيرانها يعني الحرس حتى يصير رماداً
ومن أقبل على الآخرة صغته نيرانها فصار سبيكة ذهب يستفح به ومن أقبل على الله
عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهر ألاحد لفيمته .

انتهى الحزب الخامس ويليه الحزب السادس أولها

« بيان المواقف في دَمِ الدُّنْيَا وصعاتها »



فهرست ما في هذا المجلد

الموضوع	الصفحة
كتاب شرح عجائب القلب .	٣
بيان معني النفس والروح والعقل والقلب و المراد بهذه الأسمي	٤
بيان جنود القلب .	٨
بيان أمثلة القلب مع جنوده الناطقة .	١١
بيان خاصية القلب للإنسان .	١٣
بيان مجامع أوصاف القلب وأمثاله .	١٨
بيان مثال القلب بالإصافه إلى العلوم خاصة	٢٣
بيان حال القلب بالإضافة إلى العلوم .	٢٩
بيان العرق بين الإلهام والتعلم .	٣٣
بيان العرق بين المقامين بمثال محسوس	٣٦
بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل المحاهدة	٤٢
بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعني الوسوسة .	٤٧
سلطنة الشيطان سارية على العروق ومحيطه بالقلب .	٥١
تفصيل مداحل الشيطان إلى القلب	٥٧
فصل - العلاج في دفع الشيطان .	٦٧
فصل - الداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفة	٧٠
فصل - كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض	٧٢
ما يؤخذ العبد به من وساوس القلوب وما يعنى عنه وما لا يؤاخذ به .	٧٣

الصفحة	الموضوع
٧٨	هل يتصور أن يقطع الوسواس بالكلية عند الذكر أم لا
٨١	سرعة تقلب القلب و انقسام القلوب في التغير والثبات

كتاب رياضة النفس

٨٧	تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب
٨٨	بيان فضيلة حسن الحلق ومذمة سوء الحلق
٩٤	بيان حقيقة حسن الحلق وسوء الحلق
٩٩	بيان قبول الأخلاق المتغير بطريق الرياضة
١٠٣	بيان السبب الذي به يسال حسن الحلق على الجملة .
١٠٨	بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق .
١١٠	بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده إلى الصحة .
١١٢	بيان طريق الذي به يعرف الإنسان عيوب نفسه
١١٤	بيان شواهد النقل من أرباب المصائر
١٢٠	بيان علامات حسن الحلق .
١٢٤	بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء .
١٢٨	بيان شروط الإرادة ومقدمات المحاكمة

كتاب كسر الشهوات

١٤٤	شهوة البطن والمرح
١٤٦	بيان فضيلة الجوع ودم الشبع .
١٥٣	بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
١٦٢	بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن
١٧١	بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس .
١٧٤	آفة الرّيا، المنتظر في إلى من ترك أكل الشهوات أو يقلل الأكل

الصفحة	الموضوع
١٧٦	القول في شهوة الفرج .
١٧٩	بيان ما على المرید في ترك الترویج وعمله .
١٨٥	ما من فصيلة من يخالف شهوة الفرج والعين
	كتاب آفات اللسان
١٩٠	إنّ اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة
١٩٢	بيان عظم خطر اللسان وفصيلة الصمت .
١٩٨	ما سبب هذا الفضل الكثير للصمت .
١٩٩	آفة الكلام في ما لا يعينك .
٢٠٣	آفة فضول الكلام .
٢٠٦	آفة الخوس في الباطل
٢٠٧	آفة المرء والمجادلة .
٢١١	آفة الخصومة .
٢١٣	آفة التّعصّر في الكلام بالشّدق وتكلف السجع والعصاة
٢١٥	آفة المعشّ والسبّ وبداية اللسان .
٢١٩	آفة لعن الحيوان والعماد والإسان .
٢٢٤	آفة العناء والشعر
٢٣١	آفة المزاح .
٢٣٦	آفة السخرية والاستهزاء .
٢٣٧	آفة إغشاء السرّ .
٢٣٧	آفة الوعد الكلاب .
٢٣٩	آفة الكذب في القول واليمين .
٢٤٢	بيان ما رخص فيه من الكذب .

الصفحة	الموضوع
٢٤٨	بيان الحذر من الكذب بالمعارض .
٢٥٠	آفة الغيبة
٢٥٥	بيان معنى العيبة وحدّها
٢٥٨	بيان أنّ الغيبة لا تقتصر على اللسان .
٢٦١	بيان الأسباب الباعثة على العيبة .
٢٦٤	بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن العيبة .
٢٦٨	بيان تحريم الغيبة بالقلب .
٢٧٠	بيان الاعتذار المرخّصة في العيبة .
٢٧٣	بيان كفارة العيبة .
٢٧٥	آفة النميمة .
٢٧٧	بيان حدّ النميمة وما يجب في ردّها .
٢٨٠	آفة كلام ذي اللسانين .
٢٨٢	آفة المدح .
٢٨٤	بيان ما على الممدوح .
٢٨٥	آفة العجلة عن دقائق الخطأ في محوى الكلام .
٢٨٧	آفة سؤال العوام عن صفات الله وعن كلامه .
	كتاب آفات الغضب و الحقد و الحسد
٢٨٩	العصب شعلة من نار اقتنست من نار الله الموقدة .
٢٩٠	بيان ذمّ الغضب .
٢٩٥	بيان حقيقة الغضب .
٢٩٩	بيان أنّ الغضب هل يمكن إزالته بالرياضة أم لا .
٣٠٤	بيان الأسباب المهيّجة للغضب .

الموضوع	الصفحة
بيان علاج العصب بعد هيجانه بالعلم والعمل	٣٠٥
فضيلة كظم الغيظ .	٣٠٨
فصله الحلم	٣١٠
بسر الفند الذي يحور الانتصار والشعني به من الكلام	٣١٥
لعمول في معني الحمد ونتايجه وفضيلة العمو و الرُق	٣١٧
فضيلة العفو .	٣١٨
فضيلة الرُق	٣٢٢
دم الحسد وحقيقته و أسائه و معالجه و عاية الواجب في إزالته	٣٢٥
بين حقيقة الحسد و حكمه و أقسامه و مراتبه	٣٣٠
بيان أسباب الحسد والمنافسة .	٣٣٥
بيان السبب في كثرة الحسد بين الأثمال والأقرا .	٣٣٨
بسر الدَّواء الذي به يعي مرمس الحسد عن القلب	٣٤٢
بيان الفند الواجب في بمرس الحسد عن القلب .	٣٤٨
كتاب دم الدنيا	
في دم الدنيا وعوائلها وآفاتنا .	٣٥١
بيان دم الدنيا من كلام أبي حامد وطريق العامة	٣٥٢
بيان دم الدنيا من طريق الخاصة .	٣٦٢
فصل . نقل الآثار في دم الدنيا .	٣٦٨



الْمَحْجَةُ الْبَيْضَاءُ

فِي هَذَيْنِ الْأَخْيَارِ

تأليف

المحقق الأعظم والمحدث الكبير الحكيم آية الله محمد بن المرتضى المدعو

بِأَمْرِ الْمُجْتَمِعِ الْكَاشِغَانِي

المطبعة ١٠٩١ هـ

صنعة وعلق عليه على كبر نقاري

طبع على نفقة

وقرانتشار اسلامي

وابسته بجامعه مدرسین حوزه علمیه قم

جداً لك يا من جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، و طريقاً
من طرق الاعتراف بوحديته ، و سبباً لمريد فصله و نعمه ،
و محبة بيضاء لطالبي فصله و إحسانه ،
و صلاه على رسولك الأعظم ، و الهدى إلى صراطك
الأقوم ، وعلى آله أئمة الهدى ومصابيح الدجى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❦ (بيان المواعظ في ذم الدنيا) ❦

خطب عليٌّ عليه السلام يوماً فقال في خطبته : «إعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومحربون بها ، فلا تعرفكم الحياه الدُّنيا فانتهاباً بالبلاء مخوفة ، وبالعناء معروفة ، وبالعناء موصوفة ، فكلُّ ما فيها إلى رول ، وهي بين أهلها دول وسجال ^(١) ، لاتدوم أحوالها ، ولتسليم من شرها أهلاً ، بينا أهلها منها في رحاء وسرور إداهم منها في بلاء و غرور . أحوال مختلفة ، وتارات منصرفة العيش فيها مدموم ، والرِّحاء فيها لا يدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم سهامها ، وتقصمهم بحمامها ^(٢) وكلُّ حصعة فيها مقدورٌ وخطئه منها موقوفٌ ، واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدُّنيا على سبيل من قد مضى بمن كان أطول منكم أعماراً ، وأشدُّ منكم بطشاً ، وأعمر دياراً ، وأبعد آثاراً . فأصحت أصواتهم هامة حامدة ^(٣) من بعد طول ثقلمها . وأحسادهم نالية ، وديارهم حابية ، وآثارهم عافية ، استبدلوا بالقصور المشيدة ، والسرور والمارق الممهدة الصحور ولا حجار المستدة في القصور اللاطئة الملحدة ، فمحلها مفترى ، وساكنها معترى ، بين أهل صحرة موحشين وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والأحوان ، على ما كان بينهم من قرب الجوار ودنو الدار بالديار .

(١) السجل - بفتح السين - الدلول إلى ما ، ويجمع على سجل - بكر السين -

ولعرب يناسجواى مرة لنا ومرة علينا وأصله أن السنتين بالسجل يكون لكل واحد منهم سجل . (النهاية)

(٢) الحمام - بالكسر - الموت . (٣) همدت النار أى خمدت .

وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنتهم بكلكلة البلى ^(١) وأكلتهم الحماطل والثرى ^(٢) وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً ، وبعد غصارة العيش رقائماً ^(٣) ، فجمع بهم الأحياء ، وسكنوا التراب ، وطعنوا فليس لهم إيب ، هيبات هيبات كلاً إنها كلمة هوقائلاً ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون و كأن قد صرتم إلى ما صار وإليه من البلى والوحدة في دار المنوى ، وارتهنكم ذلك المصحح ^(٤) ، وصمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو قضيت الأمور ، وبعثت القمور ، وحصل ما في الصدور ، وأوفتم للحصول بين يدي الملك الجليل ، فطارت أفلوول لإشعاقها من سالف الذنوب و هتكت عكم الحب والأستر ، وظهرت مكم العيوب والأسرار ، هنالك تحري كل نفس بما كسبت إن الله يعول ، وليحري الدين أساوا بما عملوا وليحري الدين أحسوا بالحسنى ، وقال تعالى : « وصنع الكتاب فترى المحررين مشفقين بما فيه ، جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ومنتهين لأوليائه وأحنائه حتى جعلنا وإياكم دار المفهمة من فضله إياه حميدٌ حميدٌ » ^(٥)

وقال ^(٦) أيضاً في خطبته : « أوصيكم بنفوى الله ، والترك للدين النارك لكم وإن كنتم لا تحبون تركها ، الملبية لأحسامكم وإن كنتم تريدون تحديده فاقموا مثلكم ومثلها كمثل سعر سلکوا طريقاً فكأنهم قد قطعوه ^(٧) وأموا إلى علم فكأنهم قد بلغوه ، وكم عسى أن يحري المحري حتى ينهي إلى العاية ^(٨) ما

(١) الكنكل - كصعرة صدر البعير ، ش ^(١) البلى - بكر الماء - أي الفهد - بالعن برش بصدده ما برك عليه فطعنه .

(٢) الجاقل : الصبارة ، والثرى : التراب .

(٣) الرعاة كل ما تكسر وبلى ^(٤) أي صمتم كما يحبس الرهن في يد المرتهن

(٤) ورده لشرف الرضى في السج باختلاف في النقط تحت رقم ٢٢٤

(٥) السعر - فتح مكنون - جماعة السامريين أي انكم في مسافة العمر كالسامريين

في مسافة الطريق فلا يلبسون أن يأتيوا على نهايتها لأنها معدودة

(٦) « كم عسى » استهامة للخطير والجرأ الفرس ارساله وحمله على السير و « ما عسى »

سهمامة في معنى التقدير للبقاء

عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا ، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها ، ولا تخرجوا
لنفسها و صرّحاً فإنه إلى انقطاع . ولا تخرجوا نعماتها فإنه إلى روال ، عجبت
لطالب الدنيا والموت يطلبه و عاقل فليس بمعمول عنه ^(١) .

أقول: وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال « فيما ناحى الله تعالى به موسى عليه السلام يا موسى لا تركزن إلى الدنيا ركون الطالبين و ركون من اتّخذها أباً وأماً ، يا موسى لو وكلّنت إلى نفسك لتنظر لها إذا لعب عليك حب الدنيا و رهرتها ، يا موسى ناص في الخير أهله واستمعهم إليه فإن الخير كاسمه ، و اترك من الدنيا ما بك العنى عنه ، ولا تظر عينك إلى كل معنونة بها موكل إلى نفسه . واعلم أن كل فنة بدؤها حب الدنيا ولا تعط أحد أكثره المال فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب لواحب الحقوق ، ولا تعط أحد برصاء الناس عنه حتى تعلم أن الله راض عنه ، و لا تعطن مخلوقاً بطاعة الناس له فإن طاعة الناس له و اتعابهم إيّاه على غير الحق هلاك له و لمن تبعه ^(٢) .

و عنه عليه السلام قال « فيما وعظ به لقمان ابنه يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له و إنما أمت عند مستأجر قد أمرت بعمل و وعدت عليه أجراً فأوف عملك واستوف أحرك ، ولا تكن في هذه الدنيا ممرلة شاه وقعت في رزع أحضر فأكلت حتى سميت فكان حنفيها ^(٣) عند سمنها ولكن اجعل الدنيا ممرلة قطرة على مهر جرت عليها و تتركها ولم ترجع إليها آحر الدهر ، أحرها و لا تعمرها ^(٤) فأنت لم تؤمر بعمارتها ، و اعلم أنك ستسأل عدداً إذا وقعت بين يدي الله تعالى عن أربع : شمالك فيما أبليت ^(٥) وعمرك فيما أقيمت و مالك مما اكتسبته و فيما أنفقته فتأهبت لذلك وأعد له جواباً ، ولا تأس على

(١) أورده الشريف الرضي في الهمج على وجه أسط تحت رقم ٩٧

(٢) المصدر ج ٢ ص ١٣٥ تحت رقم ٢١

(٣) « حنفيها » أي هلاكها و سمن يسر سمن : كثر لعمه .

(٤) أي دعها خراباً بترك مالا تحتاج إليه .

(٥) السالى هو الذى استعمل حتى اشرف على الاندراس .

ما فاتك من الدنيا فإن قليل الدنيا لا يدوم بهاؤه وكثيرها لا يؤمن بلاؤه . وحددك ، وحدد في أمرك ، واكشف العطاء عن وجهك ، وتعرض لمعروف ربك ، وحدد التوبة في قلبك ، واكتمش ^(١) في فراغك قبل أن يعصد قصدك ^(٢) ويعصى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد ^(٣) .

وعنه عليه السلام قال : « كان أبوذر رضي الله عنه - يقول في خطبته : يا منبهي العلم كأن شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً إلا ما ينفع حيره ويضر شره إلا من رحم الله » . يا منبهي العلم لا يشعلك أهل ولا مال عن نفسك أنت يوم تغادقهم كصيف بت فيهم ثم عدوت عنهم إلى غيرهم والدب والآخرة كمنزل تحولت منه إلى غيره وما بين الموت والبعث إلا كنومة تمت ثم استيقظت منها ، يا منبهي العلم قدّم لمقامك بين يدي الله تعالى فاتك مناب بعملك كما تدين بدان يا منبهي العلم » ^(٤) .

قال أبو حامد : قل بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل ، وكونوا من الله على وجل ، ولا تغترؤا بالأمل وسياح الأجل ولا تتركوا إلى الدنيا فإنتهت عدوكم حدة قد ترحرت لكم معروها وفتنكم بأنبيائها وترى من لخطاياها فأصحت كالعروس المنجلية ، العيون إليها باطرة ، والعلوب عليها كفة ، والنفوس لها شفة فكمن من عاشق لها قتلت ، ومطمئن إليها حدثت ، فاطروا إليها عين الحقيقة فإنتهت دار كثرت بوائقها ، ودمها حلقها حديدتها بلي ، وملكها يعني ، وعريها يدل وكثيرها يعل ، وحبها يموت ، وحيرها يعوت ، واستيقظوا من غفلتكم ، وندموا

(١) الكمش : السعى ، أى أسرع وحصل .

(٢) أى نعوك ، كناية عن توجّه الموت اليك لقض روحك أو توجّه الامراض والبلايا من الله اليك .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣٤ تحت رقم ٢٠ .

(٤) « الا » في قوله : « لا ما يجمع » كلمة استثناء و « ما » موصولة بالمسمى أن ما يتصور في هذه الدنيا ما شئ ينفع حيره أو شئ يضر شره الا من رحم الله ، وكل شئ في لذياله جهة مع وجهة ضر لكل الناس الا من رحم الله فيوقفه للاحتراز من جهة شره .

(٥) الكافي ج ٢ ص ١٣٤ تحت رقم ١٨ .

من رقدتكم قيل أن يقال فلان عليل أو مدتب ثقيل ، قيل على الدّواء من دليل ؟
 أو هل لي الطبيب من سبل ؟ فيدعي لك الأطباء ولا ير حتى لك الشفاء ، ثم يقال
 فلان أوصى وماله قد أخصى ، ثم يقال قد ثعل لسانه ، فلا يكلم إخوانه ، ولا يعرف
 خبره ، وعرق عند ذلك حبيب ، وتتابع أبيث ، وثبت يقينث ، وطمحت جعوك ،
 وصدق طمونث ، وبلحليج لسانك ، و بكى إخوانك ، وقيل لك هذا ، بنك فلان ،
 ومنعت الكلام فلا سطق ، وحتم على لسانك فلا يطلق ، ثم حل بك القضا ، و
 سرعت بعسك من الأعصا ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ،
 وأحصرت أكنافك فمسلوك وكفتوك ، فاقطع عوادك ، واستراح حسادك وابصر
 أهلك إلى مالك ، و بقي مرتهأ بأعمالك

وقال بعضهم لبعض المملوك إن أحق الناس بدم الدنيا وفلاها من بسطله
 وبها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه
 ومراقه أو يأتي سلطانه فيهنه من الفواعد أو ينفذ إلى جسمه فتسقمه أو تفجعه
 بشئ ، ثم هو صيب به من أحابه ، والدنيا أحق بالدم هي الآخرة ماتعطي ، الرأحه
 وبما تهب ، وبها هي تضحك صاحبها إذا ضحك منه غيره ، وبها هي سكي له إذا
 بكى عليه ، وبها هي تبسط كفتها بالإعطاء ، إذ بسطتها بالاسترداد ، تعدد الحاج برأس
 صاحبها اليوم وتعمره بالتراب عدأ ، سواء غلب دهن ما ذهب وبقا ، مانفي ، تجد في
 ادفي من الدّاهب خلعا وترصى بكل من كل بدلا

وقول ، وهب بن مبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون
 قال ولا يرو عنكما لاسه الذي لس من الدنيا فإن ماصيته بيدي ، ليس يطق ولا
 ينقش إلا بأدي ، ولا يعجسكما ماتع به منها فإنما هي رهرة الحياة الدنيا و
 رينة المترفين ولو شئت أن أرينكما رينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن
 معدته تعجز عما أوتينما لفعلت ولكنني أرغب بكما عن ذلك فأروي ذلك عنكما ،
 وكذلك أفعل بأولبائي إنني لأدودهم عن نعيمها كما ينود الرأعي الشقيق عنمه عن
 مراتع الهلكه ، وإنني لأحسبهم سلوتها كما يحسب الرأعي الشقيق إبله عن مبارك

العشرة^(١)، وما ذلك لخواصهم علي ولكن ليستكملوا صيغهم من كرامتي بالمأهوقين إيتا
يتري لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف، والتعوى يثبت في قلوبهم فيظهر علي
أحسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون، وذنابهم الذي يظهرون، وصميرهم الذي يستشعرون،
وبجاتهم التي بها يمورون، ورحاؤهم الذي إيتاء يأملون، ومجدهم الذي به
يمحرون، وسماهم التي بها يعرفون، فإذا لقيتهم فاحفص لهم حناك، ودلل لهم
قلبك ولسانك، واعلم أنه من أخاف لي ولياً فقد يادرنى بالمحاربة ثم إني نائر
له يوم القيامة .

وقل بعض الحكماء : الأيتام سهام والناس أعراس ، والدهر يرميك كل
يوم بسهامه ، ويخرمك بلباليه وأيامه حتى تستعرق جميع أحرائك ، فكيف بق
سلامتك مع وقوع الأيتام بك وسرعة الليالي في بدنك ؟ لو كشف لك عما أحدث
الأيتام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك ، واستنقلب ممر الساعات
بك ، ولكن تدير الله فوق الاعتذار والسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتك ،
وأنتها لأمر من العلقم^(٢) إذا عجمها الحكيم ، وقد أعييت الواصف لعيوبها بظاهر
أفعالها ، وما يأتي به من المعائب أكثر مما يحيط به لواعظ مستوهب الله رشد يسي
الصواب .

وقال بعض الحكماء - وقد استوصف الدنيا وقد بقائها - فقال : الدنيا دونه
الذي ترجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك فقد فاتك إدراكه ومالم يأت فلا علم
لك به ، والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته ، وأحداثه تنو لي على الإفساد
بالتعبير والنقصان ، والدهر هو كل يشتت الجماعات وإحرام الشمل^(٣) وتقلب الدول
والأمل طويل ، والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور

وحطب بعضهم فقال - يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به

(١) السرك موصع البروك جمعه سارك ، والنمرة - بالضم - السرجين .

(٢) العلقم : شجرة مروي قال للمنظلي .

(٣) اخترم القرن - ذهب وانقصى - واصل الخرم الشق .

فأنتم حمقى وإن كنتم تكذبون به فإنكم لهلكى .

و قال محمد بن الحسین . لما علم أهل العقل و العلم و المعرفة و الأدب أن الله عز و حل قد أهان الدنيا ، و أنه لم يرضاها لأوليائه ، و أنها عنده حقيرة قليلة ، و أن رسول الله ﷺ قد رهد فيها و حذر أصحابه من فتنها ، و قال « أكلوا منها قصداً و قدّموا فضلاً » أخذوا منها ما يكفي و تركوا ما يلهي ، لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، و أكلوا من الطعام أدبائهم بما يسدّ الحوعة ، نظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية و إلى الآخرة أنها باقية ، فتردّوا من الدنيا كراد الرأكب فخرّبوا الدنيا و عمّروا بها الآخرة ، و نظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعيهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم ، صرّوا قليلاً و نغمّوا طويلاً كل ذلك بتوفيق الله مولاهم الكريم أحسنوا ما أحبّ لهم و كرهوا ما كره لهم .

❖ بيان صفة الدنيا بالامثلة ❖

إعلم إن الدنيا سريعة الفناء قريضة الانقضاء تعدّ بالنقاء ثم تحلّ في الوفاء تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرّة و هي سائر سائر أعينها و مرتحلة إرتحالاً سريعاً ، و لكن الناظر إليها قد لا يحسّ بحركنها فيطمئن إليها و إنما ينحسر عند انقضائها ، و مثالها الظلّ فإنه منحرّك ساكن ، منحرّك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركنها بالبصر الطاهر بل بالبصرة الباطنة ، و لما ذكرت الدنيا عند بعضهم أنشد و قل .

أحلامٌ نَوْمٌ أو كَيْظٌ زائل ❖ إنّ النّيتَ بمنّلتها لا يُحْدَعُ

وكان الحسن بن عليّ عليه السلام يتمثل بهذا البيت :

يا أهل لدّات ديب لا بقاء لها ❖ إنّ اعترازا بطل زائل حمق
وكان يروى أنه له ، و يقال . إنّه نزل إعرابيّ يقوم فقدّموا إليه طعاماً فأكل ثمّ قام إلى ظلّ حيمة لهم فام هناك فاقنطروا الحيمة فأصابته لشمس و سبه و قام و هو يقول :

ألا إنّما الدنيا كظلّ ببيتة ❖ و لاند يوماً أنّ ظلك زائل

وكذلك قيل

وإن مرةً ديه أكرهه ٥ لمسته منها بحبل عرور

مثل آخر للدنيا من حيث التعرير حبيلات ثم الأفلاس منها بعد إفلاتها
يشبه حبيلات المدام وأصعب الأحلام قل رسول الله ﷺ . الدنيا حلم وأهلها
عليها محارون ومعاقون^(١)

و قل يونس بن عبيد ما شئت نفسي في الدنيا إلا كرحل نام فرأى في صممه
ما يكره و ما يحب فيها هو كذلك إذا انتبه فكذلك الناس نيام فإذا هانوا انتبهوا .
فد ليس في أيديهم شيء مما ركوا إليه و فرحوا به

و قيل لحكيم أي شيء أشبه بالدنيا ؟ فقال أحلام السيام .

مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لسبب

يعلم أن طمع الدنيا التلطف في الاستدراج أولاً والنوصل إلى الإهلاك آخراً
وهي كأمراء تترس للخطب حتى إذا سكتهم دبحتهم ، فقد روي أن عيسى عليه السلام

كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجود هنما^(٢) عليها من كل رينة ، فقال لها : كم بروح ؟
قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلمهم مات عث أم كلمهم طلعك ؟ قالت : بل كلمهم قتلت .

فقال عيسى عليه السلام : يؤسأ لأرواحك النقص كيف لا يعتدرون بأرواحك الماصي كيف
تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر

مثال آخر للدنيا في محالفة ما طمها لظاهرها

يعلم أن الدنيا مريسة الطواهر ، قبيحة السرائر وهي تشبه عجوراً منريسة
تتخذ لئس بظاهرها فإذا وقعوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم

قدئحها فدموا على اتساعها وحلوا من صعب عقولهم في الاعترار بظاهرها ، وعن
سعيد قال يؤتى الدنيا يوم القيامة في صورة عجود شمطاء ررقاء^(٣) أنيابها ياذية

مشوكة خلقها ، فيشرف على الحلاق فيقال لهم تعرفون هذه ؟ فيقولون نعم وربنا الله
من معرفه هذه ، فيقال هذه الدنيا التي تعاخرتم عليها ، وبها تقاطعتم الأرحام وبها

(١) قال العراقي لم أحمله أصلاً (٢) أي التي انكسرت نايابها من أصولها

(٣) بأنى منهاها .

بحاسدتم وتساءضتم واعتدروتم ، ثم بعدد بها في جهنم فتنادي أي رب أين أتباعي وأتباعي ، فيقول الله عز وجل الحقوا بها أسعها وأتباعها

وقال الفصيل بن عباس : يلعب أن رجلاً عرج يروح إلى السماء ، فإذا امرأة على قارعة الطريق ، عليها من كل ربة الحلي والنبات وإذا لا يمر بها أحد إلا أخرجته ، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس ، عجوز شمطاء ررق ، عشاء^(١) ، قال قلب : أعود بالله منك قالت : لا والله لا يعيدك الله مني حتى تمنعني الدرهم ، قال قلب : من أسأ؟ قالت أنا الدنيا مثل آجر للدنيا وغور الإنسان بها

إعلم أن الأحوال ثلاثة حاله لم يكر فيها شيئاً وهي ما قبل وجودك إلى الأزل ، وحالة لا تكون فيها مشاهداً للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد ، وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فاسطر إلى معد رطولك واسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من مرل قصير في سفر طويل ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : مهلي والدنيا إنيما مثلي ومثلي الدنيا كمثل رايك سار في يوم صائف ورفعت له شجرة فقال نحت ظلها ساعة^(٢) ثم راح وتركها^(٣) ، ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركس إلى الدنيا ولم يبال كيف انقصت أيامه في صرّ وصيق أو في سعة ورفهة ، بل لا يسي لسة على لسه ، توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبة على لسته ولا قصبة على قصبة^(٤) .

(١) لشطط مؤات أشطط ، وشطط - بالتحريك - حاد طباس شعر رأسه ووجهه .
والررقاء مؤات أروقي التي ظهرت بياض عيناها ، وله شفاء بياض صعب صرر ، مع سلان دمعتهما
(٢) قال « من القبلولة أي استراح وقصر .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٠٩ والترمذي والحاكم من حديث ابن مسعود ورواه أحمد وصححه الحاكم من حديث ابن عباس واجمع ، جميع الروائد ج ١٠ ص ٣٢٦

(٤) أخرجه ابن حبان في الثقات ولفظ الرازي في الاوسط من حديث عائشة سجد معف هكذا « من سأل عني أوسره أن يظفر إلى فليظفر إلى أشعث شاحب مشر لم يصع لسة على لبة - الحديث « ، الترغيب ج ٤ ص ١٨٧ .

و رأى ^{عليه السلام} بعض أصحابه ينيب بيتاً من حصن فقال « أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك » ^(١) و إلى هذا أشد عيسى ^{عليه السلام} حيث قال « الدنيا فبطرة فاعبروها ولا تعمروها » و هـ مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة والمهد هو المبدأ الأول على رأس القطرة ، واللحد هو المبدأ الثاني ، و بينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القطرة ، و منهم من قطع ثلثها ، و منهم من قطع ثلثيها و منهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة ، و هو عاقل عنها ، و كيف كان فلا بد له من العبور ، فالبناء على القطرة و تزيينها بأصناف الرِّينة و أنت عابر عليها عاية الجهل والخذلان مثال آخر للدُّنيا في ليل مورها و حشوة مصدرها

إعلم أن أوائل أمور الدنيا تبدو هيئة ليثة ، يظن العائض فيها أن حلاوة حوض كحلاوة البحوض فيها و هيهات فالحوض في الدنيا سهل والحوض منها مع السلامة شديد ، و قد كتب علي ^{عليه السلام} إلى سلمان الفارسي - رضي الله عنه - بمثلها أفضل مثل الدنيا مثل الحية يلبر مستها و يقتل سمها ^(٢) ، فأعرض عما يعجبك منها فالماء ما يصحبت منها ، و صبح عك ، همومها لما أيقنت من مراقبها و كن أسراً تكون من أحد ما تكون منها ^(٣) ، فإن صاحبها كلما أطمان منها إلى سرور شخصته عنهم كرهه والسلام » ^(٤) .

مثال آخر للدُّنيا و تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الحوض فيها .
قال النبي ^ﷺ : « إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع أن يمشي في الماء أن لا تبل قدماه » ^(٥) وهذا يعرف بحيلة قوم طسوا ، أنهم يحوضون في نعيم لدنيا بأندابهم و قلوبهم عنها مطهرة ، و عالياً عن بواطنهم مصفوعة ، و ذلك

(١) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٦٤٩ من حديث عبد الله بن عمرو أخرجه الترمذي وصححه

(٢) أورده السيد الشريف الرضي في السجق قسم الكتب منه تحت رقم ٦٨ هكذا

« ثين منها قاتل سمها » .

(٣) في السجق هكذا « و كن آس ما تكون بها أحد ما تكون منها » .

(٤) في السجق هكذا « كلما أطمان فيها إلى سرور شخصته عنه إلى معدود »

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد والبيهقي في الشعب في رواية العس ، (الزهد)

مكيدة الشيطان ، بل لو أحرحوا بما هم فيه لكانوا من أعظم المتفحّحين بمراقها ، فكما أن المشي في الماء يقتضي بلائاً لا محالة يلتزم بالقدم وكذلك ملازمة الدنيا بمنصبي علاقة وظلمة في القلب ، بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع خلاوة العادة قال عيسى عليه السلام : « بحق أقول لكم : كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعادة ولا يجد خلواتها مع ما يجد من حب الدنيا ، بحق أقول لكم : الدابة إذا لم تترك ولم تمتن بصعب وتغير حلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت وبصعب العادة تقسو وتغلط ، بحق أقول لكم : إن الرق مالم يحرق أو يفحل بوشك أن يكون وعاء غسل كذلك القلوب مالم يحرق الشهوات ، أو يدنسها الطمع ، أو يقصها النعيم ، وسوف تكون أوعية للحكمة ، وقال نبي الله ﷺ : إنما بقي من الدنيا بلاءٌ وفتنَةٌ وإنما مثل عمل أحدكم كممثل الوعاء ، إذا طاب أعلاه طاب أسفلُه وإذا حث أعلاه حث أسفلُه » (١)

مثال آخر بل بقي من الدنيا وقته بلا صافه إلى ما سبق

عن النبي ﷺ « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره وبقي متعلقاً بخيط في آخره فبوشك ذلك الخيط أن ينقطع » (٢)

مثال آخر لتأديبه عليق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام : « مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما أراد شرباً إرد عطشاً حتى يقتله »

مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ، والمصاراة أولها وحث عوقب

إعلم أن شهوات الدنيا في القلب لثديدة كشهوات الأطعمة في المعدة وبيحد بعد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهية والقتل والقبح ما يحدده لأطعمة اللديده إذا بلع في المعدة عايتها ، وكما أن الطعام كلما كان ألدّ طعماً وأكثر دسماً

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٩٤ من حديث معاوية ومثله لابن شعبة في الشعب

ص ٥٠٦ و ٥٠٧

(٢) أخرجه ابن حبان في التواب وأبو يعقوب في العللة والسبب من الشعب من حديث

أس سند ضعيف كما في المتن .

وأطهر خلوة كل رحيمة أقدر وأشد متناً ، فكذلك كل شهوة في لقلب هي أشهى وأشد وأقوى فسبها وكرهتها والنأدي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإب من بهت دمه وحدثه له وولده وماله فتكون مصيته وألمه وتفحته في كل ما فعمه بقدر لذته فيه وحسنه له وحرصه عليه ، فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند بعد أدهى وأمر ، وما للموت معنى إلا فقدا في الدنيا ، وقدر في أن لني عليه السلام قال للمصحاتك سعيان الكلاي : « ألسن تؤتى بطعامك وقدمك وقرح ، ثم تشرب اللبن عليه والماء ؟ قال بلى ، قال فإلى م يصير ؟ قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فإب الله عز وجل قد صرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم » (١).

وقال عليه السلام : « إب الله تعالى صرب الدنيا لمطعم من آدم مثلاً و صرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً فإب إلى ما يخرج من ابن آدم وأن فزحه وملحه إلى ما يصير » (٢) قيل : قد رأيتهم يطعمونها بالأقوية والطيب ، ثم يرمون به حيث رأيتم ، وقد قال الله عز وجل : « فليطير الإنسان إلى طعامه » (٣) قال ابن عباس : إلى رحيمة قبل لعصم . إذا قضى أحدهم حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه ؟ قال نعم إبل الملك ، ليقول له هداما بحلت به أنظر إلى ما إذا صار مثال آخر في سمة الدنيا إلى الآخرة .

قال رسول الله ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا كمنزل ما يجعل أحدكم أصبعه في المم فليطير به ترجع إليه » (٤) من الأصل (٥) مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وعلمتهم عن الآخرة وحسبهم

(١) أخرجه أحمد ج ٣ ص ٤٥٢ من حديثه بنحوه .

(٢) أخرجه ابن حبان والطبراني في الكبير من حديث أبي سعد حسن كما في الجامع

الصغير مع اختلاف في اللفظ .

(٣) عبس : ٢٥ .

(٤) أخرجه مسلم وأحمد ج ٤ ص ٢٢٩ من حديث المسوردين شد د

(٥) من الأصل « كذا في جميع النسخ التي كانت موجودة عندي وليس في الأحياء

العظيمة سببها

إعلم أن أهل الدنيا في عفتهم مثل قوم ركوا سعيه فأنهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالبحر لفضاء الحاجة و حذرهم المقام و حوَقهم مرور السفينة و استعجالها ، و فرَّقوا في نواحي الحرية فعصى بعضهم الحاجة و نادر إلى السفينة فصادف الممام حاليًا فأحد أوسع الأماكن و أليقها و أوفقها لمراذه ، و بعضهم توقف في الحرية ينظر إلى أرهاها و أنوارها العجيبة ، و عياصها الملتصقة ^(١) ، و نعمت بيورها الطيبة و ألحانها المورودة العريية ، فصار يلتقط من أحجارها و حواريها و معادنها المختلفة لألوان و الأشكال ، الحسنة المبطر ، المعينة النقوش ، السالبة أعين الباطرين بحسن ربحها و عجائب صورها ثم تنسج لحظرات فوان السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانًا ضيقًا حرجًا فاستقر فيه ، و بعضهم أكب على تلك الأصداف و الأحجار و أعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بما لها فاستنجدت بها فجعلت يحد في السعيبة إلا مكانًا صيقًا و راده ، فاحتمله من الحجارة صيقًا و صارت ثقلاً عليه و وبالاً ، فندم على أحدها ولم يقدر على رميها ولم يجد مكاناً لوضعها ، فحملها في لسفينة على عنقه و هو متأسف على أحدها ، و ليس ينفعه التأسف ، و بعضهم تولج في العياص و سبي المركب و بعد من متفرِّحه و متسرِّحه منها حتى لم يبلعه مداه الملاح لأشد له ما كل تلك الثمار و التشمم لتلك الأنوار و التفرُّج بين تلك الأشجار و هو مع ذلك حائف على نفسه من لسبَّاع و غير حال من السعطات و الكمات ، و لا ينفك عن شوك يشب بقيابه ، و عمن يحرق بدنه ، و حسكة تدخل في رجليه ، و صوت هائل يصرع منه ، و عوسج يحرق ثيابه و يهتك عورته ، و يعتقه من الأسراف لو أراد ، فلما بلغهم بقاء أهل السفينة ، صرف بعضهم مثقالاً بما معه ولم يجد في المركب موضعاً فبقي على شاطئ البحر حتى مات جوعاً ، و بعضهم لم يأبهم النداء و سارت السفينة ، فمهم من افترسته لسبَّاع و منهم من ماء على وجهه حتى هلك و منهم من مات في الأوجال ^(٢) و منهم من

(١) الأنوار جمع نور - ياتفتح - : الزهر . و النياس جمع العيشة و هي مجتمع

اشجر في مبيس الماء .

(٢) جمع الوحل وهو الطين الرقيق .

تهشته الحيات و تعرقوا كالجيف المنفنة و أقاموا وصل إلى المركب بنقل ما أخذوا من الأرهار والأحجار المبرحة فقد استرقته و شغله الحزن، يحفظها والخوف من فوتها ، و قد صيَّق عليه مكانه فلم يلبث أن بذلت تلك الأرهار و كمدت ألوان الأحجار و ظهرت رائحتها فصار مع كونه مضيقاً عليه متأدياً بنتنها و وحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر ، هارباً منها و قد أثر فيه ما أكل منها فلم يسنه إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه من الأسقام بثلك الروائح و بلغ سقيماً مدنقاً ، و من رحع قريباً ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استرح و من رحع أولاً و وحد المكان الأوسع و وصل إلى الوطن سالماً فهذا مثل أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحطوطهم الماحلة و سياهم موزدهم و مصدرهم و عملتهم عن عاقبة أمورهم ، و ما أقبح من يرغم أنه بصير عاقل أن تعرقه أحجار الأرض و هي الذهب والعصاة و هشيم البت و هي رينه الحياة الدنيا و شيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاً و وبالاً عليه و هو في الحال شاغل له بالخوف والحزن عليه ، و هذ هو حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل

مثال آخر لاعتزار الخلق بالدنيا و ضعف إيمانهم بقول الله تعالى في تحديده إياهم غوائل الدنيا :

روي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « إنما منلي و مثلكم و مثل الدنيا كمثل قوم سلخوا معارة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلخوا منها أكثر أو ما بقي ؟ أنفذوا الرءاد وحسروا الظهر وبقوا برؤسهم اني المعارة لأراد ولا حولة فأيقنوا بأهليكم فبيناهم كذلك إذ حرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف و ما جاءكم هذا إلا من قريب ، فلما انتهى إليهم قال : يا هؤلاء قالوا : يا هذا ، قال على م أنتم ؟ فقالوا : على ماترى ، قال : أرايتم أن هديتكم إلى ما ، رءاء ورياض حصر ماتعملون ؟ قالوا : لا نصيبك شيئاً ، قال : عهدكم و مواثيقكم بالله ، فأعطوه عهدهم و مواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً ، قال : فأوردكم ما ، رءاء ورياضاً خضراً فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال : يا هؤلاء ، قالوا : يا هذا ، قال : الرءاء حيل ، قالوا : إلى أين ، قال :

إني ما، ليس كما أنكم وإلى رياس ليست كرياضكم فقالوا أكثرهم - والله ما وحدا هذا حتى يبتدأ أناس لي بعده وما يصنع يعيش خير أم هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهدكم و موافيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً ؟ وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقكم في آخره فرأى من اتبعه وتحلف بعيتهم فندبهم عدواً فاصبحوا من بين أسير و قتل ، ^(١)

مثال آخر لنعم الناس بالدنيا ثم يفتنهم على فرأى
إعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هباً داراً و ربتها و هو يدعو إلى دمه على الشريب قوماً واحداً بعد واحد ، ودخل واحداً فهدم إليه طبق ذهب عليه بحور ورياحين ليشتمه ويتركه لمن يلجمه لا يملكه ويأخذه ، فحبل رسمه فطس ، أنه قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما طس ، أنه له ، فلما استرجع منه صخر و تعجس ، و من كان عالماً برسمه انتفع به و شكره وردّه بطيبة قلب و اشراح صدر ، فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار صابغة سبكت على المختارين لأعلى المفيين ليتروا منها و ينتفعوا بها فيها كما ينتفع المسافر بالعواي و لا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فرقها

فهذه أمثلة لدنيا وآفاتنا و عوائلها

أقول: وههنا مثال آخر أورده شيخنا الصدوق - رحمه الله - في كتاب إكمال الدين و إتمام النعمة ^(٢) بأقلا عن بعض الحكماء لا بأس بما يردده و هو هذا
مثال آخر ، ما أشبه حال الإنسان واعتراؤه بالدنيا وعمله عن الموت وما بعده من الأحوال و انهما كه في الدنيا العاحلة العاقبة الممترحة بالكدرات بشخص من الدنيا مشدود وسطه بحبل ، و في أسفل ذلك الشئ ثعبان عظيم متوحه إليه منتظر سمومه ، فاتح به لالتقامه ، و في أعلى ذلك الشئ حردان أبيض و أسود لا يزال يقرصان

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا بطوله - ولاحمد و لمراد والطبرسي من حديث

ابن عباس نحوه أخصر منه واسناده حسن (المنقذ)

(٢) المصدر ص ٣٢٧ أورده المؤلف نقلاً بالمعنى لا باللفظ

ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولا يعتران عن قرصه آناً من الآيات ، وذلك الشخص مع أنه يرى ذلك الثعبان و يشاهد انقراض الحبل آناً وآناً قد أقبل على قليل عسوف ، لطخ به حذار ذلك الشر و امتزج مترا به و اجتمع عليه دبابير كثيرة ، و هو مسعول بلطعه ، مسمك فيه ، ملتد بما أصاب منه ، محاصم لنلك الرابير عليه ، قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك ، غير ملتفت إلى ما فوقه وإلى ما تحته

فالشر هو الدنيا و الحبل هو العمر و الثعبان الفاتح فاه هو الموت و الجردس الليل و النهار القارصان للأعمار ، و العسل المحتلطة بالتراب هو لدن الدنيا الممرجة بالكدورات و الآلام و الرابير هم أساء الدنيا المتراحمون عليها و ما أشد انطلاق هذا المثل على الممثل له فمسأل الله الهداية و الصبر ، و يعود به من العفلة و العوايه

❖ بيان حقيقة الدنيا و ماهيتها في حق العبد ❖

إعلم أن معرفة دم الدنيا لا تكفيك عالم تعرف الدنيا المدمومة ما هي و ما الذي يسعى أن يحتب ، و ما الذي لا يحتب ، فلاند أن ينس الدنيا المدمومة المأموم باحتناها لكونها عدوة فاطعة لطريق الله ما هي ؟

مفعول ديباك و آخرتك عذرتان عن حالتين من أحوال قلبك و القريب بدائي منهما يسمى دسا و هو كل ما قبل الموت و المتراحني المتأخر يسمى آخره و هو بعد الموت ، فكل ما لك فيه حظ و عرس و نصيب و شهوة و ولد في عاجل حذر قبل الوفاة فهي الدنيا في حقت إلا أن جميع ما لك إليه ميل و فيه نصيب و حظ فليس بدموم بل هي ثلاثة أقسام

القسم الأول ما يصححت في الدنيا و يبقى معك ثمرته بعد الموت و هو شئان العلم و العمل فقط ، و أعني بالعلم العلم بالله و صفاته و أعماله و ملائكته و كتبه و رسله و ملكوت أرضه و سمائه و العلم بشريعة نفسه ، و أعني بالعمل العبادة الخالصة لوحه الله و قد يأمن العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألد الأشياء عنده فيحذر لنوم و المسكح و المظلم في لدته لأنه أشهى عنده من جميعها فقد صار حطة عجل في لدته

ولكن إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم بعددها من الدنيا أصلاً بل قلنا إنه من الآخرة ، وكذلك العابد قد يأس بعادته ويستلذها بحيث لو منعت عنه لكان ذلك عظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أضاف من الموت إلا من حيث أنه يحول بين وبين فيم الليل ، وكان آخر يقول اللهم ازرقني قوة الصلاة والركوع واستحود في الغبر ، فقد صارت الصلاة من حظوته العاجلة وكل خط عاقل واسم الدنيا يبطئ عليه من حيث الاشتغال من الدنيا ، ولكن لسنا يعني بالدنيا المذمومة ذلك ، وقد قال ^{في الحديث} وحب إلي من دياركم ثلاث لطيب والنساء وقرء عيني في الصلاة ، ^(١) فجعل الصلاة من حمله ملاذ الدنيا وذلك لأن كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو عالم الشهادة وهو من الدنيا ، والتلذذ بتحرير الجوارح بالسجود والركوع إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أن في هذا الكتب لسنا نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا .

القسم الثاني وهو المعامل للقسم الأول على الطرفين الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمره في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتعصم بالمباحات الرائدة على قدر الضرورات والحاجات الداحلة في حمله لرؤية والرتعوت كالشتم ، ساطر المقطر من الذهب والفضة ، والحيل المسومة والأنعام والحراث ، ولعلمي وجوري وحيول والمواشي ، والقصور والدور المشيدة ، ورويع الثياب ولذا أكد لأبعمه ، فحفظ العد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة ، وفيما بعد فصولاً أو في محل الحاجة نظر طويل .

القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على الأعمال الآخرة كقدر الموت من الطعام والقميص الواحد الحش وكل ما لا بد منه ليتأتى بالإسراع النفاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على القسم الأول وسيلة إليه ، فهما شاوله العد على

(١) أخرجه أحمد ج ٣ ص ١٢٨ ، والسائي ج ٧ ص ٦١ والعاكم والبيهقي في السنن

من حديث أسس سند حسن كفاي العام الصغير .

قصد الاستعانة على العلم والعمل لم يكن به متداولاً للدنيا ولم يصربه من أساء الدنيا وإن كان باعته الحظ العاجل دون الاستعانة على التعوى إلّ التحق بالقسم لثبتي وصد من حملة الدنيا ولا يبقى مع العدد عند الموت إلّا ثلاث صفات صماء القلب أعني طهارته عن أدناس الدنيا ، وأسسه بذكر الله ، وحبّه لله ، واعلم أن صماء القلب وطهارته لا تحصل إلّا بالكف عن شهوات الدنيا ، والأشئ لا يحصل إلّا بكثره ذكر الله والمواظبة عليه ، والحب لا يحصل إلّا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلّا بدوام الفكر ، وهذه الصفات الثلاث هي المنحيات المسعّدة بعد الموت ، وهي الباقيات الصالحات ، أمّا طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنحيات إذ تكون حصة بين العدد وبين عذاب الله كما ورد في الخبره أن أعمال العدد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من جهة واحدة جاء قديم الليل يدفع عنه وإداحة من جهة يديه جاء لصديقة تدفع عنه - الحديث - فأما الآس والحب فهم من المسعّدين وهما موصّلان للعد إلى لدّه اللّقاء ، والمشاهدة وهذه السعادة تنعزل عن الموت إلى أن يدحر الحنة فيسير القبر روضة من روض الجنة ، وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له إلّا محب واحداً وكاتب العوائق تعوقه عن الآس بدوام ذكره ومطالعة حماله فارتفعت العوائق ، وأقلب من لسحن وحلى بينه وبين محبوه فقدم عليه مسروراً سالماً من الموانع آمناً من المرق ، وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معدناً ولم يكن له محب إلّا الدنيا وقد عصب عنه وحيل بينه وبينه ، وسدّت عليه طرق الحيلة في الرّجوع إليه وقد قيل في ذلك ما حال من كان له واحد

ما حال من كان له واحد

عيب عنه ذلك الواحد

و ليس الموت عدماً إنّما هو فراق لمحب الدنيا وقدم على الله تعالي

فإذا سالت طريق الآخرة هو المواظ على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر

والفكر والعمل الذي يعظمه عن شهوات الدنيا ويعصم إليه مآلدها ويفطمه عيب

و كل ذلك لا يمكن إلّا بصحة البدن وصحة البدن لا يتأتى إلّا بالقوت والسكن

والسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب ، فالعدد الذي لا بد منه من هذه الثلاثة

إِدْ أَحَدُهُ اَبْعَدُ مِنَ الدُّنْیَا لِأَحْرَهُ لَمْ یَكُنْ مِنْ أَسْفَلِ الدُّنْیَا وَكَانَتْ الدُّنْیَا فِی حَفَّتِهِ
مَرْدَعَهُ الْآخِرَةَ ، وَ إِنْ أَحَدُ ذَلِكَ عَلِی قَصْدِ النِّعَمِ وَلِحِطِّ الدُّنْیَا صَارَ مِنْ أَسْفَلِ الدُّنْیَا
وَالرُّعْبِ فِی حِفْظِهَا إِلَّا أَنْ الرُّعْبَةَ فِی حِفْظِ الدُّنْیَا تَنْقَسِمُ إِلَى مَا یُعْرَضُ صَاحِبُهُ
بِعَذَابِ اللَّهِ فِی الْآخِرَةِ وَیَسْمَى ذَلِكَ حَرَاماً وَإِلَى مَا یَحُولُ بَیْنَهُ وَبَیْنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى
وَعَرَضُهُ لَطُولُ الْحِسَابِ ، وَ یَسْمَى ذَلِكَ حَلَالاً ، وَالصَّیْرُ یَعْلَمُ أَنَّ طَوْلَ الْمَوْقِفِ فِی
عَرَضَاتِ الْقِیَامَةِ لِأَحْلِلِ الْمَحْسَسَةَ أَيْضاً عَذَابٌ « فَمَنْ نَوَقَشَ فِی الْحِسَابِ عَذَابٌ » (۱)
وَبِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « حَلَالُ حِسَابٍ وَحَرَامُهَا عَذَابٌ » (۲) وَقَدْ قَالَ أَيْضاً
« حَلَالُهَا عَذَابٌ » إِلَّا أَنَّهُ عَذَابٌ أَحَدٌ مِنْ عَذَابِ الْحَرَامِ لَوْلَمْ یَكُنِ الْحِسَابُ لَكُنْ مَا
یَبُوءُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِی الْحِفَّةِ وَ مَا یَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ النُّحُوسِ عَلَى تَعْوِیْنِهَا
بِحِفْظِهَا حَفِیْرَةٍ حَسْبِهَا لَا یَبْقَاءُ لَهَا هُوَ أَيْضاً عَذَابٌ وَ فِی رِوَايَةٍ خَالِكٌ فِی الدُّنْیَا إِذَا نَظَرَتْ
إِلَى أَقْرَانِكَ وَقَدْ سَمِعَتْكَ بِسَعَادَاتٍ دُنْیَوِیَّةٍ كَیْفَ یَنْتَقِطِعُ قَلْبُكَ عَلَیْهَا حَسَرَاتٍ مَعَ عَامَاكَ
بِأَنَّهَا سَعَادَاتٌ مَصْرُوعَةٌ (۳) لَا یَبْقَاءُ لَهَا ، وَ مُنْقَصَةٌ بِكَدُورَاتِ لَاصِفَاءِ لَهَا ، فَمَا خَالِكٌ فِی
فُوتِ سَعَادَاتِ لَا یَحِیْطُ لَوْصَفِ بِعَظَمَتِهَا وَ یَنْقَطِعُ الْأَرْمَانُ وَالذُّهُورُ دُونَ عَیْنِهَا ، وَ
كُلُّ مَنْ تَنْعَمُ فِی الدُّنْیَا وَلَوْ سَمَاعِ صَوْتٍ مِنْ طَائِرٍ أَوْ بِالنَّظَرِ إِلَى حَضْرَةٍ أَوْ شَرِیةٍ
مِنْ بَارِدٍ هُوَ یَنْقُصُ مِنْ حِفَّتِهِ فِی الْآخِرَةِ أَصَافُهُ ، وَ النُّعْرُوسُ لِحَوَابِ السُّؤَالِ فِیهِ دَلٌّ
وَ حُوفٌ وَ حَظَرٌ وَ مَشْفَقَةٌ وَ اِنْتِظَارٌ وَ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْحِظِّ ، فَالدُّنْیَا قَلِیلُهَا وَ
كَثْرُهَا حَلَالُهَا وَ حَرَامُهَا مَلْعُوبَةٌ إِلَّا مَا أَعَانَ عَلَى تَعْوِیِّ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ لَیْسَ مِنْ
الدُّنْیَا ، وَ كُلُّ مَنْ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ أَقْوَى وَ أَتَقَنَّ كَانَ حَنْدَرُهُ مِنْ نَعِیمِ الدُّنْیَا أَشَدُّ ، حَتَّى
أَنَّ عِیْسَى عَلَیْهِ السَّلَامُ وَصَعَ رَأْسَهُ عَلَى حَجَرٍ لَمَّا نَامَ ثُمَّ رَمَى بِهِ إِدْ تَمَثَّلَ لَهُ إِبْلِیسُ وَ قَالَ .

(۱) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِیُّ ج ۸ ص ۱۳۹ ، وَمُسْنَدُ ج ۸ ص ۱۶۶ بَابُ اثْبَاتِ الْحِسَابِ .

(۲) أَخْرَجَهُ ابْنُ ابْنِ الدُّنْیَا وَ السَّهْقِ فِی شُبِّهِ الْإِیْمَانِ مِنْ طَرِیقَتِهِ مَوْقُوعاً عَلَى
بِإِیْ عَدَابِ اللَّهِ بِسَادِ مُنْقَطِعٍ وَجْهِ « وَ مَرَامُهَا اِثْنَانِ » وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ لَمْ أَجِدْهُ مَرْهُوماً .
أَتَوَلَّى : أَوْرَدَهُ الشَّرِیفُ الرَّصِیُّ فِی السَّهْجِ تَحْتَ رَقْمِ ۷۹ مِنْ خُطْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَكَذَا « فِی حَلَالِهَا
حِسَابٌ وَ فِی حَرَامِهَا عَذَابٌ » .

(۳) أَيْ مُنْقَطِعَةٌ .

اعت في الدنيا وحتى أن سلمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس من لدائد الأطعمة وهو يأكل من الشعر فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق اعتباراً وشدة فإن أصبر عن لديد، لأطعمه مع وجودها أشد، ولهذا روى الله تعالى الدنيا عن سيد المرسلين فكان يطوي ألباماً وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع^(١) ولهذا سأل الله الملك والمجن على الألب، والأول، ثم الأهل والأهل كل ذلك نظراً لهم واعتناء عليهم لينوفاً من الآخرة حظهم كما يسمع الوالد الشقيق ولده لديد العوا، كه ويرى ألم الصد والحكمة شعبة عليه وحاً له لا بحلاً عليه، وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا.

وإن قد فما الذي هو الله؟ أقول لأشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يعسر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التمتع في أمم حاشي هي الدنيا المحضة المذمومة، وفي الدنيا صورة ومعنى، ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لعبر الله وهو ثلاثة الفكر ولد كر والكف عن الشهوات، وهذه الثلاثة يدر حرب سر، ولم يكن عليها ناعت سوى أمر الله واليوم الآخر في الله وليس من الدنيا، وإن كان لعرض من الفكر طلب العلم للتشرف فيه وطلب القول بين أهلها بطلب راحة أو كان العرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة الدين أو الاشتغال بالرهد، فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وإن كان يطر بصورته أدته لله، ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يجعل معناه لله وذلك كالأكل والكسح وكل ما يربط به بقاءه وبقاء ولده فإن كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا، قال ^{عليه السلام} ومن طلب الدنيا حلالاً مكثراً معافراً لقي الله وهو عليه عشان د من طلبها استعفاً عن المسئلة وصانه لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر^(٢) وبطريق كيف احتلف ذلك بالقصد فأد الدنيا حظ نفسك العاجل الذي

(١) راجع الرغبة والرهبة ج ٤ ص ١٩٥. اب عيش النبي صلى الله عليه وآله

(٢) أخرجه أبو يعقوب في العتبة واليهي في الشعب من حديث أبي هريرة سند صحيح

كما في المعنى.

«لأنه إني لأمر لآخريه ويعترعه الهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى «وهي النفس
عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» (١).

«واعلم أن مجامع الهوى خمسة مؤ. وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله
«وإنما يحبوه الدنيا لعب» وهو ذرية ومجاهرة بسكم وتكاثر في الأموال والأولاد» (٢)
، لأعيان التي منها تحصل هذه الأمور الخمسة سعة بجمعها قوله تعالى «ويزين
للناس حب الشهوات من النساء، والسنن، والعناصر لمقطرة من الذهب والعصاة و
الجيل المسومة والأشياء والحر ثلث متاع الحياه الدنيا والله عنده حسن المنان» (٣)
فقد عرف أن كل ما هو لله ، فليس من الدنيا ، وقدر ضروره العون وما لا بد منه
من مسكن وملبس فهو لله إن قصد به وجه الله ، والاستكثار منه بغير الله
وبس لتعتم والضروره درجة يعترعها بحاجه ، وله طرق واسطة : طرف يعرف
من حد الضروره فلا يصرف فإن الاقتصاد على حد الضروره غير ممكن ، وطرف
يرحم حد التمتع و يعرف منه ويعني أن يحدد ، وبسهما وسائط عشائريه «وهو
حرم حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ونحرم في الحدد والتموى والتعريف من حد
الضروره ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء ، كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضروره
حتى أن أويسا القرني كان يطرأ أهله أنه محزون لشده بصيفه على نفسه فسواله
بنا على باب دارهم بياتي عليه السنه والسنتين والثلاث ما يرون له وجها وكان يخرج
أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى
وكلما أصاب الحشف حياها لا يقطره ، وإن أصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى
وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يلفظ
بني المراءيل فيلتقط قطع الأكسية فيعسلها في العراب ويلتقط بعضها إلى بعض
ثم يندسها وكان ذلك لبسه ، وكان ريقا مر بالصفين فيرمونه و يظنون أنه
محزون فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم مرموني فارموني بأحجار صغار يأتي

أحاف أن تدموني فيحصر وقت الصلاة ولا أُصيب المذبة^(١)، وهكذا كانت سيرته ولهذا عظم رسول الله ﷺ أمره فقال : «إني لأحد نفس الرحمن من حب اليمن»^(٢) إشارة إليه، ومنا ولي عمر بن الخطاب قال : يا أيها الناس من كان منكم من أهل العراق فليعم فقاموا ، قال : احلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فاحلسوا ، فقال : احلسوا إلا من كان من مراد^(٣) فاحلسوا ، فقال : احلسوا ، إلا من كان من قرن فاحلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً فقال له عمر : أقرني أمي ؟ قال : نعم ، فقال : أتعرف أويس بن عامر القرني فوصفه له فقال : نعم و ما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين والله ما أحب أحق منه ولا أحسن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه ، فكفى عمر ثم قال : ما قلت إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يدخل في شعاع من ربيعة ومصر»^(٤) فقال هزم بن حنين : لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب وجدت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويساً القرني وأسأل عنه حتى سقط عليه فوجدته حالماً على شاطئ العرات نصف البهارينوصاً ويمسل ثوبه ، قال : فعرفت بالنعمة الذي نعت لي فإد رجل لحيم ، شديد الأدمة ، مخلوق الرأس ، كث اللحية ، عليه راز من صوف ورداء من صوف ، منغير اللون حداً ، كزبه لوحه منهيب المطر ، قال : فسكنت عليه فرد علي ونظر إلي ، فحبب ففعلت : حيثما كان الله من

(١) هذه العرافة وما شابهها من الاساطير والاختلافات التي كستها يد الاوهام الباطلة وبالحرى أن تكن في مبدور القصاصين ، أسعى على هذا لأبذل القيم للحجم ، يعنوي أمش هذه العرافات دون أي ذكر أو غيرة . ولقد كان ويس رجلاً الهياً مقدماً لم يخطأ طاريء الحق والاعتدال شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام صفين وغاز بالثهادة كما نمت عليه جميع من الاعلام كالنحاشي وغيره .

(٢) قال العراقي : لم أجده أصلاً .

(٣) قال الجوهرى : مراد . أوقية من البس ، وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان اسماً ويعمل كان اسمه بعدد - كمهاجر - فتد فسمى مراداً ، وهو مال علي هذا لقول

(٤) راجع رجل الكشي من ٦٥ حديثاً طويلاً فيه قال النبي صلى الله عليه وآله إن يوم لا يصعاه : «أشروا رجل من أمي يقال له : أويس القرني فإنه يشمع ليل ربيعة ومصر»

لحديث ومثله في الاحتجاج من ٧

رجل ، ومذنب يدي لأصاحبه فأتى أن يصافحي ، فقلت رحمت الله يا ويس وعمر لك كيف أنت رحمت الله ؟ ثم حقتني العبرة من حبي إياه ورفني عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى ، ثم قال وأنت فحبه الله ياهر من حبان كيف أب يا أخي ومن ذلك علي ؟ قال قلت لله ، فقال لا إله إلا الله سبحانه الله ، إن كان وعد ربنا لمعمولاً ، قال فتعصت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رأيته ، فقلت من أين عرف اسمي واسم أبي وما رأيته قبل اليوم ؟ قال أتاني لعليم الخير ، عرف روحي روح حين كلمت نفسي بعسك إن لأرواح لها أنف كأنفس لأحساد وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ، يتعارفون ويتكلمون وإن أت بهم الدار وتقربت بهم المنازل ، قال قلت حدثني رحمت الله عن رسول الله ﷺ حديثاً سمعته منك ، قال : نبي لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحة نبي ومي رسول الله ﷺ ولكن رأيت رجلاً قد صحوه وبلغني من حديثه بحوثاً بلغك ولسب أحب أن أفصح هذا لك على نفسي أن أكون محدثاً أو ممتثلاً أو قاصباً ، في نفسي شغل شغل عن الناس ياهر ابن حبان ، فقلت : يا أخي اقرأ علي آية من القرآن أسمعها منك ودع لي بدعوات وأوصي بوصية أحفظها عنك فأتى أحبك في الله حباً شديداً ، قال فقام وأحد بيدي على شاطئ العرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ، ثم قال قال ربي - والحق قول ربي وأصدق الكلام كلامه - ثم قرأ « وما خلقت السموات والأرض وما بينهما لأعبد ما خلتها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله - إنه هو العزيز الرحيم » فشق شقة طبت أنه قد عشي عليه ، ثم قال : يا ابن حبان مات أبوك حين ويوشك أن تموت أنت فإني إلى الجنة وإني إلى نار ، ومات أبوك آدم ، ومات أمك حواء ، ومات نوح ، ومات إبراهيم خليل الرحمن ، ومات موسى نبي الرحمن ، ومات داود خليفة الرحمن ، ومات محمد ﷺ وهو رسول رب العالمين ، ومات أبوبكر ومات عمر ، ثم قال واعمره ، قال فقلت رحمت الله إن عمر لم يمض ، قال قد نعاه إلي ربي وبني إلي نفسي ، ثم قال أنا وأنت

في الموتى كَأَنَّهُ فِدَاكَ ثُمَّ صَلَّى عَلَى لِسَى ^{مُحَمَّدٍ} ثُمَّ دَعَانِي بِدَعْوَاتِ حَبِيبَاتٍ ثُمَّ قَالَ
هَذِهِ وَصَّتْنِي إِلَيْكَ يَا هَرَمُ بْنُ حَبِيبَانَ كَمَا بَلَغَ اللَّهُ وَبَهَّجَ الصَّالِحِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ بَعِثْتَ إِلَيَّ نَفْسِي
وَنَفْسَكَ عَلَيَّ بِدَكْرِ مَلُوبٍ لَا مَعَادَ وَفِيكَ طَرَفٌ عَنِ مَا يَغِيبُ وَأَنْتَ دَقُومُكَ إِذَا رَحِمْتَ إِلَيْهِمْ
وَبَصَحَ لِلْأُمَّةِ جَمِيعاً وَإِنَّا نَكُ أَنْ نَعْرِقَ الْجَمَاعَةَ قَدْ شَرَّ فِيمَا رَقِثَ دِينُكَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ
فَتَدْخُلُ الدَّيْرُومَ لَمِيعَةً أُدْعَى لِي وَلِنَفْسِكَ ثُمَّ قَالَ . اللَّهُمَّ إِنْ هَذَا يَرِغَمُ أَنَّهُ يَحْتَسِبِي
فِيكَ وَرَبِّي مِنْ أَحْلَاكَ فَعَرَفْتَنِي وَحَبَّ فِي الْحَبَّةِ . وَأَدْخَلَهُ عَلَيَّ فِي دَرَكٍ دَارِ السَّلَامِ ،
وَحَفَظَهُ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا حَيَّةً حَيْثُمَا كَانَ وَصَمَّ غَايَةَ صَبْعِي وَأَرْصَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِالنَّسِيرِ
وَمَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ الدُّنْيَا فَيَسِّرَ لَهُ نَسِيرَهُ وَحَفَظَ لِي أُعْطِيَتْهُ مِنْ بَعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ
وَاحْرَهُ عَشِي خَيْرَ الْخِرَاءِ . ثُمَّ قَالَ . أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ يَا هَرَمُ بْنُ حَبِيبَانَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ
وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، لَا أُرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ حَتَّى أَتِيَّ لَاطِلِي فَأَتِيَّ أَكْرَهُ الشَّهْرَ وَلَوْ حَذَنَ
أَحَبُّ إِلَيَّ ، إِنِّي كَثُرَ إِلَيْهِ شَدِيدُ الْعَمِّ مَعَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ مَا دَمَتْ حَيَّةً فَلَا تَسْأَلُ عَنِّي
وَلَا تَطْلُبْنِي وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَتِي عَلَى بَالٍ وَإِنْ لَمْ أُرَاكَ وَلَمْ تَرِنِي فَاذْكُرْنِي وَأَدْعُ بِي
فَأَتِيَّ سَادَكُوكَ وَأَدْعُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَطْلُقُ أَبَ هِبَا حَتَّى يُطْلُقَ أَبَا هِبَا . وَحَرَصَ
أَنْ أَعِيشِي مَعَهُ سَاعَةً فَأَمَرَنِي عَلِيٌّ وَفَرَّقَنِي فَبَكَي وَأُبْكَايِي وَحَمَلْتُ أَنْظُرَ فِي قَعَاءِ حَتَّى دَخَلَ
بَعْضُ السَّكَّكِ ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَا وَحَدَنِي أَحَدًا يَحْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
وَنَعَرَ لِي ^(١) .

فهكذا كانت سيره أثناء الآخرة . المعروض عن الدنيا وقد عرفت تمامه في
بيان دَمِ الدُّنْيَا ومن سيره لأبيه والأولياء أن حدَّ الدنيا كلُّ ما أطلَّته الحضرة
وأقلَّته العراء . إلّا ما كان لله عزَّ وجلَّ من ذلك . وصدَّ الدُّنْيَا لآخرة وهو كلُّ ما
أريد به الله عزَّ وجلَّ ممَّا يؤخَّرُ بقدر الضرورة من الدُّنْيَا لِحُلِّ قُوَّةِ طَاعَةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ
فذلك ليس من الدُّنْيَا ، ويبيِّنُ هَذَا بِمَثَالٍ وَهُوَ أَنَّ الْحَاجَّ إِذَا حَلَفَ أَنَّهُ فِي طَرِيقِ
الْحَجِّ لَا يَشْتَعِلُ بِعَصَا لِحَجٍّ يَلْ يَنْتَحِرُّ دَلَهُ ثُمَّ اشْتَعَلَ بِحِفْظِ الرِّادِ وَعَلَفَ الْحِمْلَ وَحَرَدَ
الرُّأُويَةَ وَكُلَّ مَا لَابَدَّ لِلْحَجِّ مِنْهُ لَمْ يَحْتَسِبْ فِي يَمِينِهِ وَلَمْ يَكُنْ مَشْعُولاً بِغَيْرِ الْحَجِّ .

(١) هَذَا الْكَلَامُ بِطَوِيلِهِ نَصَّةٌ حَرَّافِيَّةٌ سَجَّهَا مِنَ الصَّوْفِيَّةِ .

وكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافه لعمر فبعد السن ماتمعي به قوته على سلوك الطريق للعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم إذا قصد بلذو لبدن وتعممه بشي من هذه الأسباب كان منحرفاً عن الآخرة ويحشى على قلبه القسوة .

قال الطائفي . كنت على باب بي شبه في لمسجد الحرام سمع أيتام طائفة يسمعون في الليلة الثامنة مبادياً وأنا بين البيضة واليوم . يقول ألا إن من أحد من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عينه ، فهذا بيان جميعه لدنيا

❖ (بيان ماهية الدنيا في نفسها) ❖

❖ (وأفعالها التي استقرت همهم الخلق حتى ألتهم أنفسهم) ❖

❖ (وخالفهم وموردهم ومصدرهم) ❖

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعين موحوده وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحه شغل فهذه ثلاثة أمور قد يطرأ أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك مما لا عيان الموحودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها ، فإن الله تعالى : « يا بني جعلناك على الأرض دينة لها لسؤلهم أيهم أحسن عملاً » ، والأرض مرسى للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر ، وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومسكن ، ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان ، وأما المعدن فيطلبها الآدمي للآلات والآواني كالنحاس والحديد كالذهب والفضة وغير ذلك من المعادن ، وأما النبات فيطلبها الآدمي للآفتان والندوي ، وأما الحيوان فيقسم إلى لابس والبهيمة ، أما البهيمة فيطلب لحومها للمأكل وظهورها للمركب والريشة ، وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالعلماء أو ليتمتع بهم كالحواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها ويعرس فيها التعظيم والأكرام وهو الذي يعمر عنه بالجنة إذ معنى الحياة مدك قلوب لآدميين فهذه هي الأعيان التي يعترعها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله « ريس للناس

حُبُّ الشُّوَبِ مِنْ نَسَبٍ، وَلَيْسَ «^١» وَهَذَا مِنَ الْأَسْرِ «^٢» وَالصَّاطِرِ الْمُتَنَزِّهِ مِنْ
 لَدُنْهُ وَلِغَصَّةٍ «^٣» وَهَذَا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَمِنْ نَسَبُهُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ اللَّائِي
 وَالْيُوقِيَةِ «^٤» وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ «^٥» وَهِيَ السَّهَائِمُ وَالْحَيَوَانَاتُ «^٦» وَالْحَرِثُ «^٧» وَهُوَ
 السَّاتِ وَالرَّرْعُ فَهَذِهِ هِيَ أَعْيُنُ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ لَهَا مَعَ الْعَيْنِ عِلَاقَةٌ مَعَ الْعَلْبِ
 وَهُوَ حُبُّهَا وَحُطُّهَا مِنْهَا وَابْتِرَافُ حَمَتِهَا إِلَيْهَا حَتَّى يَصِيرَ قَلْبُهُ كَالْعَيْنِ أَوْ لِحُبِّ
 الْمُسْتَهْتَرِ بِالْدُّنْيَا وَيَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْعِلَاقَةِ جَمِيعُ صَعَتِ الْعَلْبِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْدُّنْيَا كَالْكِبَرِ
 وَلَعَلٍّ وَلِحَسَدٍ وَاسْتِرْيَاقٍ وَالسَّمْعَةِ وَسُوءِ الْفَنِّ وَالْمَدَاهِنَةِ وَحُبِّ النِّسَاءِ وَحُبِّ التَّكَاثُرِ
 وَالتَّفَحُّرِ فَهَذِهِ هِيَ الدُّنْيَا السَّاطِئَةُ وَمَا ظَاهِرَةٌ فِي الْأَعْيُنِ لَتِي ذِكْرُهَا وَالْعِلَاقَةُ
 الثَّانِيَةُ مَعَ الْبَدَنِ وَهُوَ اشْتِدَالُهَا بِإِصْلَاحِ هَذِهِ الْأَعْيُنِ لِیُصْلِحَ لِحُظُوظِهَا وَحُطُوظِهَا وَهِيَ
 حَمَلَةُ الصَّعَابِ وَالْحُرُوفِ الَّتِي الْحَاقُّ مَشْعُورٌ بِهَا وَالْحَلْقُ بِهَا سَوَاءٌ أُنْفَسَهُمْ وَمَتَّعَهُمْ
 وَمَقْلَبُهُمْ سَهَائِمِ الْعِلَاقَةِ الْعِلَاقَةُ الْعِلْبُ بِالْحُبِّ وَعِلَاقَةُ الْبَدَنِ بِالشَّغْلِ وَلَوْ عَرَفَ نَفْسُهُ
 وَعَرَفَ رَبَّهُ وَعَرَفَ حِكْمَةَ الدُّنْيَا وَسِرُّهَا عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَعْيُنَ لَتِي سَمَّيْنَاهَا دُنْيَا لَمْ
 تَخْلُقْ إِلَّا لِعَلْبِ الدَّائِمَةِ الَّتِي نَسَرَّ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَعْيَى بِالْدَّائِمَةِ الْبَدَنَ وَتَهُ لَا يَبْقَى إِلَّا
 بِمَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنِ، كَمَا لَا يَبْقَى إِلَّا فِي طَرِيقِ الْحَجِّ لَا يَلْبَسُ وَمَاءً وَحَلَالًا،
 وَمِثَالُ الْعَبْدِ فِي سَيَابِنِهِ نَفْسُهُ وَمَقْصِدُهُ مِثَالُ الْحَاجِّ الَّذِي يَفْعُ فِي مَنَازِلِ الطَّرِيقِ وَلَا
 يَرِئَالُ يَلْبَسُ سَفَقَةً وَيَتَعَبَّدُهَا، وَنَطَقُهَا وَيَكْسُوها أَلْوَانُ لُثْيَابٍ وَيَحْمِلُ إِلَيْهَا أَوْعِ
 الْحَشِيشِ وَيَسِرُّ لَهَا أَمْرًا بِالتَّلَجِّ حَتَّى تَمُوتَ الْقَافِلَةُ وَهُوَ عَافِلٌ عَنِ الْحَجِّ وَعَنِ مَرُورِ
 الْقَافِلَةِ وَعَنِ بَقَائِهِ فِي الدَّرِيَةِ قَرِيبَهُ لِسَبَاحٍ هُوَ وَبَقِيَّتُهُ، وَالْحَاجُّ لِيَصِيرَ لَا يَهْتَمُّ مِنْ
 أَمْرِ الْحَمْلِ إِلَّا الْقَدْرَ الَّذِي يَعْوِي بِهِ عَلَى الْمَشْيِ فَيَتَعَبَّدُهَا وَقَبْلَهُ إِلَى لِكْعَةٍ وَالْحَجِّ
 وَإِتْمَانِ لِنَفْسِهِ إِلَى السَّافَةِ بَعْدَ الصَّرُورَةِ، وَكَذَلِكَ الصَّيْرِ فِي سَفَرِ الْآخِرَةِ لَا يَشْتَمَلُ نَتِجَتَهُ
 الْبَدَنُ إِلَّا بِالصَّرُورَةِ كَمَا لَا يَدْخُلُ يَبِيبُ الْمَاءِ إِلَّا لِلصَّرُورَةِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ دُخَالِ الصَّعَمِ
 فِي الْبَطْنِ وَبَيْنَ إِحْرَاجِهِ مِنَ الْبَطْنِ، وَأَكْثَرُ مَا شَغَلَ النَّاسَ عَنْ اللَّهِ هُوَ الْبَطْنُ وَفِيهِ لَقُوتُ
 صَرُورِيٍّ، وَأَمْرُ الْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ أَهْوَى وَلَوْ عَرَفُوا سَبَبَ الْحَاجَةِ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ

وقصر واعليها لم يستعرقهم أشغال الدنيا فاستمعرفتهم بحيلهم بالدنيا وحكمته
وحطوطهم منها ونكسهم حولوا وعملوا وضاغت أشغال الدنيا واتصلت بعصب وتداعت
إلى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الأشغال وسوا معصودها وبحسن تدكير تفاصيل
أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيف غلط الناس في مصادها حتى
يتضح لثمن أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف أنستهم عاقبة مواردهم
فنقول الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق
مكسرين عليها ، وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطرب إلى ثلاث لغوب وامسكن
وامسكن القوت للعناء والبقاء ، والميلس لرفع الحر ولبرد وامسكن لذلك ولدفع
أسباب الهلاك عن أهل المال وام يحلوا الله القوت وامسكن وامسكن مصلحاً بحيث
يستغني عن صنعة الإنسان فيه نعم خلق الله ذلك للناس فإن الناس يعندي الحيوان
من غير طبع ، والحر والبرد لا يؤثر في أديابهم فتستغني عن الماء ويقع بالصحراء
وليسها شعورها وحلودها فتستغني عن اللبس ، والإنسان ليس كذلك ، فحدثت
لحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية
وهي العلالة والرعاية والاقتصاد والحماكة والماء ، أما الماء فلامسكن ولحاجة
وما يكتنفهم من العزل ، والحياطة فلامسكن ، والملاحة فلامسكن ، والرعاية للمواشي
والحبل وهي أيضاً المنعم والمركب ، والاقتصاد يعني به بحصيل ما خلقه الله من صيد
أو معدن أو حشيش أو حطب ، فالملح يحصل من الماء ، والرعي يحفظ الحيوانات
يستنتجها ، والمفتمن يحصل من استنتاج من غير صنعة آدمي وكذلك يأخذ
من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ويعني بالاقتصاد ذلك ويدخل تحته
صناعات وأشغال عدة ثم هذه الصناعات تنمقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والملاحة
والماء والاقتصاد ، والآلات إنما تؤخذ إما من لسان وهو الأحشاش أو من المعادن
كالحديد والرصاص وغيرهما أو من حلود الحيوانات ، فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع
أحر من الصناعات الحارة والحدادة والحرر وهؤلاء هم عمال الآلات ويعني بالبحار
كل عامل على حشب كيفما كان ، وبالحداد كل من عمل على حواهر المعادن

حتى لحسن الأبري وغيره ، وعرض ذكر الأحاس فأما أحاد الحرف فكثيرة
وأما الحرف فبعضه كل على جنود الحيوانات وأحرفها هذه "مئات الصاعته
ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى اجتماع مع غيره من أبناء
جنسه وذلك بسببين أحدهما حاجته إلى لسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك
إلا اجتماع لذكر والأنثى وعشرهما ، والثاني التعاون على تهيئة أسباب المطعم
والملبس ولتربيته لولد فإن الاجتماع يعني إلى مولد لا محالة والواحد لا يستقل
بحفظ الولد وتهيئة أسباب القرب ، ثم ليس بكيفية الاجتماع مع الأهل والولد في
المسكن بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تحتضع طائفة كثيرة لينتقل كل واحد
بصدقة من لشخص الواحد كيف ينو لي العلاج وحده وهو محتاج إلى الآلات ،
ويحتاج لآلة إلى حد ، ويحتاج الطعام إلى طحين وخبز ، وكذلك كيف
ينتقل للحصول للملبس وهو يفتقر إلى حرثة الفطن وآلات لحياكة ولحياطة وعمل
كثيرة ، ولذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدث الحاجة إلى الاجتماعات ثم
لوا اجتماع في صحراء مكشوفة لتأذي بالحر والبرد والمطر واللصوص وفتقروا إلى أبنية
محكمة ومدار ينترد أهل كل بلد به ، ثم مع من الآلات والأثاث والمنازل تدفع
الحر والبرد وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها ، ولكن جمع المنازل قد تقصده
جماعة من اللصوص خارج المدار ، فيفسد أهل المنزل إلى التنصرو لتعاون والتحصن
سور يحيط بجميع المدار ، وحدثت البلاد لهذه الضرورة ، ثم مهما اجتماع الناس
في البلاد وازدادوا تعاملوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رئاسة وولاية للروح
على البرحة ، وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف محتاج إلى قوام به ، ومهم
حصلت الولاية على عادل أقمى إلى الخصومة بخلاف الولاية على الهائم إذ ليس له
قوة محصنة وإن ظلمت وأما المرأة فخاصم الروح ، والولد يخاصم الأبوين هذا
في المسكن ، وأما أهل البلد أيضاً فيتعاملون في الحاحات ويتسارعون فيها ولوتركو
كذلك لتقتلوا وهلكوا ، وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي
والأراضي والمياه وهي لا تنمي بأعراسهم فيتسارعون لاحتالة ثم قد يعجز بعضهم عن

للفلاحة والصناعة بمعنى أو مرص أو هرم أو تعرض عوارض مختلفة لو ترك صايعاً لهلك
ولو وكل تفقده إلى الجميع لتحادلو، ولو حصَّ واحد من غير سبب يحصّه لا يدعن
به (١) فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخر فمنها
صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكّن القسمة بينهم بالعدل ومنها
صناعة الحديدية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم و
التوسط بينهم لفصل الخصومة ومبى الحاجة إلى لقيه وهو معرفة القابول الذي
يسمى أن يضبط به الخلق ويلزموا، الوقوف على حدوده حتى لا يكثر البراع وهو
معرفة حدود الله في المعاملات وشروطها، وهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشتغل
به إلا مخصوصون بصناعات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية وإدا اشتغلوا بها لم يتفرغوا
لصناعات أخر ويحتاجون إلى المعاش ويحتاج أهل البلد إليهم إدا اشتغل أهل
البلد بالحرب مثلاً مع الأعداء تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح
بالصناعات لطلب الموت تعطلت البلاد عن الحرّس واستصر الخلق فمست الحاجة
إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الصايعه التي لا مالك لها إن كانت أو
تصرف إليهم الغنائم إن كانت العدو مع الكفا، وإن كانوا أهل دينه ورع فنعوا
بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسع فتمسّ الحاجة لا محالة إلى أن
يعدّهم أهل البلد بأموالهم ليعدّوهم بالحراسة فحدثت الحاجة إلى الخراج ثم يتولّد
بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة إلى صناعات أخر إدا يحتاج إلى من يوظف
الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفي منهم
الرقق وهم الحجابة (٢) واستخرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة
وهم الخزان وإلى من يرقق عليهم بالعدل وهم العارض للعساكر (٣) وهذه الأعمال
تتولّاها عدد لا يجمعهم رابط اتحرم الظلم فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبّرهم .

(١) ادعن له حصص ودن وأقر واسرع في الطاعة والعدل .

(٢) الحجابة هم الذين جمعوا الخراج من أطراف البلاد

(٣) في الداموس عرس لحد عرس عيب أمرهم عليه وبطرح حالهم .

وأمر مطاع يعين لكل عمل شحصاً ، ويختار لكل واحد ما يليق به ، ويراعى النصفة في أخذ الجراح وإعطائه واستعمال الحمد في الحرب وتوزيع أمانتهم وتعيين جهات الحرب ، ونصب الأمير والعائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك ، فتحدث من ذلك بعد الحشد الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكائنة^(١) ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والحرب ، الحسان والحياة والعمال ، ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى المعيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف ، فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الجراح وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاثة طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون ، والثانية الحديدية الحماة لهم بالسيف ، والثالثة المترفون من الطائفتين في الأحد والإعطاء ، وهم العمال والحياة وأمثالهم فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة الموت والمسكن والملبس وإلى ما دأبته ، وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه عشرة أبواب أخرى وهكذا تنتهي إلى غير حد محصور وكأنتها هاوية لا نهاية لعمقها ومن وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي ، فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات فالمال عمدة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينفع بها وأعلامها ، الأعدية ، ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور ثم الأمكنة التي يسمي فيها للتعيش كالخواب والمزارع ، ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد ، والفر آلة الجرائد ، والفرس آلة لركوب الحرب ، ثم يحدث من ذلك حاجة لبيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحديد والخار يسكن قرية لا يمكن فيها الزراعة ، وبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إليه فيحتاج أحدهما إلى الآخر بمدد ما عنده للآخر حتى يأخذ منه عرصه وذلك بطريق المعاوضة إلا أن الخار مثلاً إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى الآلة فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من الخار لم يطعم ربها كان عنده طعام في ذلك الوقت

(١) من كلامه أي حفظه واحترسه .

ولا يحتاج إليه فتعوز الأعراس فاصطروا إلى حانوت تجمع آلة كل صعة يترصد
 بها حمها أرباب البعاج . إلى أسار يجمع إليها ما يحملها الفلاحون فيشتريه منه
 صاحب الأوب . ويرصد به أرباب البعاج . فتظهر لذلك الأسواى والمجانين فيحمل
 أهلاً - لحبوب في الم يصادف محتاجاً بأعني شمس . حينئذ من الباعة فيجرى بها
 رصف . البعاجات طمعاً في الربح وكذبت في جميع الأمتعة والأموال . ثم يحدث
 رعدة من اللاد والعري برؤد فيتردد الناس بشرون من العري الأتعة ومن
 اللاد آلات ويسفلون ذلك فيتعدشون به لنسظم أمور الناس في اللاد بسببهم إذ كل
 سبباً لا يوجد فيه كل آلة . وكل فريه لا يوجد فيه كل طعام فالعصر يحتاج
 إلى لعصر فحوج إلى العقل فحدث البعد . امتكفولون . لعقل وباعثهم عليه حرص
 جمع مال فيعبرون حول الكليل . المهار في الأسف لأعراس عيرهم . بعبهم منها جمع
 المال الذي يأكله لأخاذه عيرهم . قاطع صابون . بتا سلطان طلم ولكن جعل الله
 في عقولهم وحبالهم بطعاماً للبلاد ومصلحة للمعادل جميع أمور الدنيا انشطمت بالفعلة
 وحساسة الهمة . لو عقل الناس . بعف همتهم لرعدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك
 لظلت المعاش ولو بطلب لهلكوا . ولهدت لرعد أيضاً . ثم هذه الأموال التي سفل
 لا يبعد الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها . وصاحب المال قد لا يملك
 الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة بمعنى الإجازة ويصر الكرا بوعاً
 من الأكسبات أيضاً . ثم تحدث بسبب البعاجات ^(١) الحاجة إلى الثقلين فإن من
 يريد أن يشتري طعاماً ثوب فمن أين يندى أن المعدار الذي يساويه من طعام كم
 هو والمعاملة تحري في حاس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان ثوب . وهذه
 أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل ينوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر
 فطلب بذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بعاءه لأن الحاجة
 إليه سوز وأبغى الأموال المعادن فاتحدت النقود من الذهب والفضة والحاس ثم
 سبب الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة إلى دار الضرب وإلى

(١) الباعة بالكسر - البعة جمعها ببيعات - (القاموس) .

الصياغة وهكذا، تندعى، لأشعل والأعمال يعصها إلى بعض حتى ينهي إلى ما نراه
فهذه أشعل الخلق وهي معاشهم في شيء من هذه الحرف لا يمكن مباشره الأسوع
تعلم وتعب في الابتداء، في الناس من يفعل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل بدو
يمنعه عنه ما يعنى عاجراً عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج إلى أن يرى كل
شيء ما سعى فيه عجزه، فتحدث منه حرقان حساس اللصوصية والكدية^(١) إذ يجمعهم
أنهم يأتون كلان من سعى غيرهم، ثم إن الناس يحتررون عن اللصوص والمنكدرين
و يحفظون منهم أموالهم وفقرهم، إلى صرف عملهم إلى استمساك الحيل والتدبير
أما اللصوص فبعضهم من يطلب أعواناً ويكون في مدينه شوكة وقوة فيجتمعون و
يكاثرون ويقطعون لطرق كالأعراب والأكراد وأما الصغار منهم فيمروءون في
الحيل إما بالغش أو التسلق عند اسفار فرصة العيلة^(٢) وإما بأن يكون طرّاً أو
سائلاً^(٣) إلى غير ذلك من أنواع البصاة الحادثة بحسب ما استجته لأفكار المصروف
إلى استمساكها، فأما المنكدر في قوله إذا طلب ما سعى فيه غيره فينبى له التعب
عمل كما عمل غيرك فمالك والبطله فلا يعطى شيئاً ويفتقروا إلى حيلة في استخراج
الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم في اسطالة واحتالوا للتعلل بالعجز بما يلحقه
كجماعة يعملون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعتدوا بالعمى فيعطون، وإما بالعمى
والتفالج والتحاس والتمازج وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بينة ذلك
حكمة أصاب من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرخوة، وجماعة يلتصقون أفعالاً و
أقرباً يتمتعون الناس منها حتى تنسبط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسبحوا برفع

(١) الكدية - بالضم - شدة الجوع، ولارس العليظة، و لبعاء العظيمة، والشدة
والشيء الصلب بين العجدة والطن، وما جمع من طعام أو شرب حصل كشة وأما
الاستعطاء وحرفة التمل الملح والبراد معنى الأخير

(٢) تسلق الجدار صعود عليه، و انتهر الفرصة عسها

(٣) قال العبومي - طررته طراً من باب قتل شقيقه ومنه الطرار وهو الذي يقطع
الصفعات ويأخذها عنى عنة من أهلها، وسل السيف من باب قتل وسلت الأشياء أخذ
ولسة - بالفتح - السرقة وهي اسم من سلكت سلا من باب قتل اذا سرقتها

اليَد عن قليل من المال في حل التعصّب ، ثم قد يندم بعد روال التعصّب ولا يبيع
 سبب وذلك فديكون بالتسحر والمحاكاة والشعيرة والأفعال المصحكة مثل لوارح
 ولعجائب وقد يكون بالأشعار العريضة أو الكلام المنثور المسجّع مع حسن الصوت
 وشعر المودود أشدّ تأثيراً في النفس لا سيما إذا كان فيه تعصّب يتعلّق بالمذهب
 كأشعار مهابت الصحابة وفصائل أهل البيت عليهم السلام أو الذي يحرّك داعية العشوّ من
 أهل المحاربة كصنعة البطالين في الأسواق أو تسليم ما يشبه العوص وبس بعوص كبيع
 تعويدات والحشايش إلى من يحيل به أنّها أدوية فيجدها بها الصبيان والجهال
 كأصحاب لفرعة ولعال ولرحر من المحتمين ويدخل في هذه لجنس الوعاقد
 المكذّور على رؤوس المسابر إذ لم يكن وراءهم طائل علميٌّ وكان عرضهم اسمالة
 فلوب لعوام وأخذ أموالهم وأنواع الكذبة يريد على الألف بوع والألفين وكن ذلك
 بسببه بدقيق الفكر لأجل امعيشه ، وهذه هي أشغال الحلق وأعمالهم التي أكتوا
 عليها وحرّهم إلى ذلك كلّها الحاجة إلى القوة والكسوة ، ولكن سواي أثناء ذلك
 أنفسهم ومقصودهم ومنفلهم ومآلهم فضّلوا وتاهوا وسحب إلى عقولهم الصعيفة بعد
 أن كدرتها رجة أشغال الدنيا حبالاً فاسدة ، فانقسمت مذاهبهم واحتلقت آراؤهم على
 عدة أوجه فطائفة علب عليهم الجهل والعمل فلم تنفع أعينهم للبطر إلى عديمة أمرهم
 فقالوا ، المقصود أن نعيش أيتاماً في الدنيا فيجهد حتى نكسب القوة ثم نأكل
 حتى نعوى على الكسب ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ويكسبون
 ليأكلوا ، وهذه مذاهب العلاحين والمحنزين ، من لبس له تنعم في الدنيا ولا قدم في
 الدّين فانه يتعب بهراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهراً وذلك كثير السواي ^(١)
 فهو سفر لا ينقطع إلّا بالموت .

وطائفة أخرى رعموا أنفسهم تغفطوا الأمر وهو أن ليس لمقصود أن يشع
 لا بس بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في أن يعضي وطرد من شهوات

(١) السواي جمع السانية وهي الناضجة النافة التي يستقى عليها وهي المثل « السبر

السوي سفر لا ينقطع » (مختار الصحاح)

الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لا طائفة نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى تسريح
السوار وجمع لذائد الأطعمة يأكلون كما تكل الأنعام ويطسّون أنفسهم إذا دأبوا
ذلك فقد أدرّكوا عايات السعادات فشدّ عليهم ذلك عن الله تعالى واليوم الآخر
وطائفة طمّوا أن السعادة في كثرة المال والاستعلاء بكر الكنوز فأسهبوا سبهم
ونهارهم في الجمع فهم يتعمون في الأسفار طول الليل والنهار وينردون في الأعمى
الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قنّدر للضرورة شحاً وبحلاً عبيهاً أن
تمقص هذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحرّكتهم إلى أن يبدّ كهم المطوب فسقى تعب
الأرض أو يظهر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للحجامع معه وودعه
للاكل لذته وحسانه ثم إنّ الذين يجمعون ينطردون إلى أمثال ذلك في أشباعهم
وأمثالهم ولا يعتبرون .

وطائفة طمّوا أن السعادة في حسن الاسم والطلاق لألس بشماء وامدح
بالتجمل والمردّة فهو لا يتعمون في كسب المعاش ويصنعون على أنفسهم في المطعم
والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب العجيبة ويرحروا
أبواب الدور وما يقع عليه أنصار الناس حتى يعقل إنبه عبي وإنبه ذو ثروة و
يطسّون أن ذلك هو السعادة فهم متهم في ليلهم ونهارهم في تعبد موقع بطر لخلق
وطائفة أخرى طمّوا أن السعادة في الحياء والكرامة بين الناس والنسب
الخلق بالنواصع والموفير ، صرفوا هممتهم إلى استعزاز الناس إلى الطاعة بطلب
الولايات وتعلد الأعمال السلطانية ليسعدو أمرهم بها على طائفة من أساس ويرون
أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقاد لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وإن ذلك
عاية المطلب ، وهذا أغلب الشهوات على قلوب المتعالمين من الناس فهو لا شغلهم
حبّ تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم
و وراء هؤلاء طوائف بطول حصنها تريد على بيت وسعر ورفقة كلهم صلّوا وأصلّوا
عن سواء السيد ، وإتباعهم إلى جمع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فسوا
ما تراد له هذه الأمور الثلاثة والقنّدر الذي يكفي منها واحترت بهم أو ايل أسباب

إلى أو حرها ، وندعت بهم إلى مهاوي لم يمكنهم الرقي منها ، فمن عرف وجهه
بحاجته إلى هذه الأساب والأشغال و عرف غايه المعصود منها فلا يخوض في شغل
و حرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحفظه و بصدقه منه ، وإن غايه مقصوده
يعتمد يده بالعباد والكسوة حتى لا يهلك و ذلك إن سلك فيه سبيل التقليل بدفعت
لأشغال عنه و فرغ القلب و علب عليه ذكر الآخرة و نصرت لهمة إلى الاستعداد له
، إن بعدى به قدر الصرورة كثرت لأشغال و تداعى العصب إلى العصب و تسلسل
إلى غير نهاية فشعبت به لهوم ، و من شعبت به لهوم في أوديه الدنيا فلا يزال الله
في أيّ واد أهلكه ، فهذا شأن المهملين في أشغال الدنيا

ونسبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا و حصدتهم الشيطان فلم يتركهم وأضلهم
في لأعر من إيصال حتى انغمسوا إلى طوائف فطئت طائفة أن الدنيا دار بلاه و محنة
و أن الآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء يعتمد في الدنيا أو لم يعتمد ،
و أن الصواب في أن يفتنوا أنفسهم للحلاص من محنة الدنيا و إليه ذهب طوائف
من عماد الهمم فهم ينجحون على الدار و يقتلون أنفسهم بالآجرائ و يطمنون أن
لث حلاص منهم من محنة الدنيا ، و طئت طائفة أخرى أن القتل لا يحصل بل
لأب أو لا من مائة الصعاب الشريفة و قلعبا عن العصب بالكلية و أن السعادة في
قطع الشهوة والعصب ، ثم أقبلوا على المجاهدة و شددوا على أنفسهم حتى هلك
بعضهم بشدة الرياسة و بعضهم فسد عمله و حزن ، و بعضهم مرهم و اسدت عليه
طريق العادة ، و بعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فطن أن ما كلمه لشرع محال
و أن لشرع تلبس لا أصل له فوقع في الإلحاد والريدة ، و طهر لبعضهم أن هذا
التم كلفه الله و أن الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تريده عبادة
عبد ، فعادوا إلى الشهوات و سلكوا مسلك الإباحة فطوا بسط الشرع والأحكام
و رموا أن ذلك من صفاء توحدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد ،
و طئت طائفة أخرى أن المعصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى
معرفة الله فإذا حصلت المعرفة فقد وصل و بعد الوصال يستعني عن الوسيلة والحيلة ،

فتركوا السعي وعبادة ودرعوا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتنعوا
 بالتكاليف وإسما التكليف على عوام الخلق ، و وراء هذا مذهب باطله وصلاته هائلة
 وحيالات فاسدة يطول إحصاؤها إلى أن يبلغ يتعاضد سبعين فرقة وإنما الساعي منها فرقة
 واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا
 بالكلفة ولا يجمع الشهوات بالكلفة أما الدنيا فيؤخذ منها قدر الراد ، وأما الشهوات
 فيجمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ، فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل
 شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا ،
 بل يعلم مقصود كل ما يخلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من الفوت
 ما يقوى به البدن على العبادة . من المسكر ما يحفظ به من اللصوص والحرار
 لرب و من الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله سبحانه
 همه واشغل بالذكر والعكر بول العمر وفي ملازمة لسياسة الشهوات ومراقباتها
 حتى لا يجاوز حدودها . لو راع النفوس ولا يعلم بمصبل ذلك إلا بالافتداء بالفرقة السابعة
أقول: وقد عرف معنى العلم في السابعة في كتاب قواعد العفائد من ربيع
 العبادات .

قال وقد كانوا على السبيل القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل
 في أنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين . وما كانوا يترهبون ويهتفون
 الدنيا بالكلفة وما كان لهم في الأمور تعريض ولا إصرار بل كانوا أمرهم بين ذلك قوام
 وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله كما سبق ذكره في
 موضع و لله المستعان لا رب سواه و صلى الله على محمد وآله أجمعين

هذا آخر كتاب دم الدنيا من ربيع المهديات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء
 و يملوه إن شاء الله كتاب دم المال والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً و صلى الله
 على محمد وآله .

كتاب ذم المال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مستوحب الحمد برقة المسود ، وكاشف العر بعد العوط ، لذي
حق لحلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العاطل أضاف الأموال ، وانفلاهم فيها
سلك الأحوال ، ورددهم من بين العر والسر ، والمعنى والعمر ، ولطمع واليأس ،
والثروة والأفلاس ، والعجز والاستطاعة ، والحرص والعساة ، ولجمل والحدود ، و
نرح بسوحد ، والأسف على المعقود ، والإيثار والإيق ، واسوسع والإملاق ،
والتمديد والتفتير ، ولرصابا لعليل ، وستهفاد لكنير كل ذلك ليلوهم أنهم أحسن
عمال ، ويطر أنهم آثار الدنيا على الآخرة بدلا ، وتعنى عن الآخرة عدولا وحولا ،
وسجد الدنيا دحيره وحولا

وإصالة على عهد الذي سح بملكه مللا ، وطوى بشرعته أديانا وبحلا ، و
عنى آله وأصحابه الذين سلكوا سبل رتبهم دللا وسلم كثير

أما بعد فإن قدر الدنيا كثيرة الشعب والأطراف ، واسعة الأرحاء والأكناف
وسكن الأموال عظم فسب وأظم تحجب وأعظم فتنه فيها ، ته لاعنى لأحدعها ، ثم قد وجدت
فلا سلامة منها ، فإن فقد فقد حصل منه العر الذي يكاد أن يكون كعرا ، وإن وجد
حصل منه الطعير الذي لا تكون عاقبة أمره إلا حسرا ، وبالجملة فهي لا تخلو من
لغوئ والآفات ، وفوائدها من المنحيات وآفات من المهلكات وبمير حيرها
عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الذين من العلماء
الراستخين ذوو المترسمين المغترئين ، وشرح ذلك مهم على الانفراد فإن ما ذكرناه
في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاص بل في الدنيا عاقبة إدالها تناول

كلَّ حظٍّ عاجلٍ و المال بعض أحرار الدنيا ، والحد بعضه ، واتساع شهوة البطن و
الفرح بعضه ، و تشغبي العبط بحكم العصب والحسد بعضه ، والكبر و طلب العلو
بعضها ، ولها أبعاد كثيرة و يجمعها كل ما للإنسان فيه حظٌ عاجلٍ ونظرنا الآن
في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وعوائل وللإنسان من فقهه صفة العمر
و من وجوده صفة العنى ، وهما حالتان يحصل بهما الاحتيال والامتحان ، ثم للمفرد
حالتان القساعة والحرص وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة ، وللحريص حالتان
طمع فيما في أيدي الناس أو تشمّر للحرف والصاعات مع اليأس عن الخلق والطمع
شر الحالتين ، وللواحد حالتان إمساك بحكم الحول والشح وإعناق ، وإحدهما
مذمومة والأخرى محمودة ، وللمسقى حالتان تسدير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد ، و
هذه أمور متشابهة وكشف العطف عن العموس فيها مهم فشرحته في فصول ، و هي
أربعة عشر فصلاً وهو بيان دم المال ، ثم مدحه ، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ،
ثم بيان دم الحرص والطمع ، ثم علاج الحرص والطمع ، ثم فصله السحابة ، ثم
حكايات الأسحباب ، ثم دم الحول ، ثم حكايات المحلّاء ، ثم الإيثار وفصله ، ثم حكاية
السحابة والحول ، ثم علاج المحلّ ، ثم مجموع الوطائف في المال ، ثم دم العنى و
مدح العقر .

﴿ بيان ذم المال وكراهة حبه ﴾

قال الله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَنْ كَرِّ
اللَّهِ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »^(١)
وقال الله تعالى « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ »^(٢)
وقال تعالى « مَنْ كَانَ يَرْيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِيدَتْهَا الْآيَةُ »^(٣)
وقال تعالى : « الْهَيْكَمُ التَّنَكُّرُ »^(٤)
وقال رسول الله ﷺ « حُبُّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ يَمْنَسُ الْعَاقِلَ كَمَا يَمْسُ الْمَدُّ »

(١) المنافقون : ٩ .

(٢) التباين : ١٥ .

(٣) هود : ١٥ .

(٤) التناكر : ٢ .

المقل « (١) .

وقال عليه السلام : « ما دئاس صاويان أرسلا في ربيعة عنم بأكثر فساداً من حبّ الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم » (٢) .
وقال عليه السلام : « هلك الأكرهون مالا إلاّ من قاله في عدا الله هكذا وهكذا وقليل ما هم » (٣) .

وقيل : يا رسول الله أيّ أمتك شرّ ؟ قال : « الأغنياء » (٤) .
وقال عليه السلام : « سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطائب الطعام وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ، ويلبسون ألين الثياب وألوانها ، ويركعون فروع الحبل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تنزع ، عكفن على الدنيا يعددون ويروحوون إليها ، اتحدوها آلهة من دون إلههم وربّاً دون ربهم ، إلى أمرها يذهبون ولهاهم يتبعون ، فعريمة من تحبس عدا الله لمن أدرك ذلك الرّمان من عقب عصفكم وحلف حلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرصاهم ولا يتّسع حوائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام » (٥) .

(١) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وذكره سنداً يعطى الجاه بدله الشرف .
(٢) أخرجه الترمذى ج ٩ ص ٢٢٣ من حديث مالك الأسدي وصححه وفيه « الشرف » وأيضاً « جامان » بدل « صاويان » ورواه أسامى في السنن الكرى هكذا لكن ليس فيها « في ربيعة » وللطرايى في الأوسط من حديث أبي سعيد « ما دئاس صاويان في ربيعة فمن الحديث » وفي سننه خالد بن يزيد العمرى وهو كذاب ورواه سند آخر جيد عن أبي هريرة بأدنى اختلاف كما في مجمع الروائد ح ١٠ ص ٢٥١ .
(٣) راجع صحيح البخارى ج ٨ ص ١١٦ ومسنده أحمد ح ٢٣ ص ٤٢٨ وح ٣ ص ٥٢ .
(٤) ما عثرت عليه بهذا اللفظ في أصل .

(٥) أخرجه الإراد عن أبي امامة هكذا « سيكون رجال من امتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشقون في الكلام فاولئك شرار امتي الذين غدوا بالنميم ويبست عليه أجسامهم » وفي طريقه عبد الرحمن بن زياد بن سم الأرميى وهو صيف في حفظه كما قاله ابن حجر وقوتى والجمهور على تضمينه كما في مجمع الروائد ح ١٠ ص ٢٥٠ . ولم أجده لبقية الحديث أصل .

و قال عليه السلام : «دعوا الدنيا لأهلها من أحد من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أحد حنقه وهو لا يشعر» ^(١)

و قال عليه السلام : «يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما صدقت فأمصبت ، أو أكلت فأمصبت ، أو لبست فألبست» ^(٢)

و قال رجل : «يا رسول الله مالي لا أحبُّ الموت ؟ فقال : هل معك من مال ؟ قال نعم يا رسول الله ، قال : قدّم مالك أمامك فإن قلب المؤمن مع ماله ، إن قدّمه أحبُّ أن يلحقه وإن خلّعه أحبُّ أن يتخلّف معه» ^(٣)

و قال عليه السلام : «أحباّ ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه ، والثاني إلى قبره ، والثالث إلى عشره فالذي يتبعه إلى قبض روحه ماله ، والذي يتبعه إلى قبره فاهله ، والذي يتبعه إلى عشره فعمله» ^(٤)

و قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام : مالك تمشي على الماء ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم : «ما منزلة الدنيا والدّرعهم عندكم ؟ قالوا : حسن ، قال : لكنّهما عدي والمدرسوا»

و كتب سلمان إلى أبي الدرداء : يا أخي إنيك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدّي شكره فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يحا ، يصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلّما تكفّأ به الصراط قل له ماله امض فقد أدّيت حقّ الله في» ، ثمّ يحا ، يصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلّما تكفّأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أدّيت حقّ الله في» ، فما يزال كذلك حتّى

(١) أخرجه أبو بكر بن لال من حديث أسد ضعيف كما في الجامع الصغير ج

٢ من ١٦ ورواه الرار وقال لا يروى إلا من هذا الوجه كما في الترغيب ج ٤ من ١٦٠

(٢) دو • لحاكم ج ٤ من ٣٢٢ من المستدرک والنرمي ج ٩ من ٢٠٧ وقد تقدم

(٣) قال العراقي : لم أقف عليه .

(٤) رواه الطبراني في الكبير بإسناد أحدها صحيح ورواه في الاوسط للطبّ آخ

راجع الترغيب ج ٤ من ١٧١ ومعجم الزوائد ج ١٠ من ٢٥١ و ٢٥٢ .

يدعوا بالنبور والويل»^(١).

وكل ما أوردنا في كتاب الرُّهْد والعَر في دم العبي ومَدَح المقر يرجع جمعه إلى دم المال فلا يطول تكريره وكذا كل ما ذكرناه في دم الدنيا فينبأول دم المال بحكم العموم ، لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنما يذكر الآن ما ورد في أعمال خاصة

قال **الشيخ** «إدامات العتقات الملائكة مدفوم» وقال الناس ما حلف^(٢) .
وقال **الشيخ** «لا تتخذوا الضيعة فتحتسوا الدنيا»^(٣).
وروي أنه وضع علي عليه السلام درهماً على كتفه ، ثم قال «أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعي»

وقيل : إن أول ما ضرب الدنيا والدَّهرهم رقعتهما إبليس ثم وسعهما على حبهته ، ثم قبَّلهما وقال من أحسكما فهو عندي حقاً
وقال يحيى بن معاذ الدَّهرهم عمرٌ فإن لم يحسن رقبته فلا يأخذه فإنه إن لدغك قنلك سمه ، قيل ما رقبته ؟ قال أحداه من حلقه ووضع في حقه
وقال : أيضاً مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما في ما له عند موته ، قيل : وماهما ؟ قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله
وقيل ما أعزَّ الدَّهرهم أحدٌ إلا أدَّله

وقال العلاء بن رباب : مثَّلت لي الدنيا وعلمت من كنز ربه ، فقلت ، أعوذ بالله من شرِّك ، قالت : إن سرُّك أن يعيدك الله من شرِّك فأعصِ الدَّهر والدَّهرهم وذلك لأنَّ الدَّينار والدَّهرهم هي الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصناف ومن صرَّ عنهما صرَّ عن الدنيا ، ولذلك قيل

- (١) قال العراقي : ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء وأنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال يند «لدينا» «المان» وهو منقطع
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة مستضيف كتابي الجامع الصغير
(٣) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢٠١ من حديث أبي مسعود وهو «فترعوا في الدنيا»

إني وجدت فلا تظنوا غيري ❖ إن التورع عند هذا الدرهم
فإذا قدرت عليه ثم تركته ❖ فاعلم بأن تفك تقوى المسلم
و قال غيره

لا يفر بك من الحر . قميص رقعته ❖ أو ر ر فوق عظم لساقه رقعته
أو حين لاح فيه أثر قد حلعه ❖ أره الدرهم فابطرحه أو وعه

❖ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم ❖

إعلم أن الله سبحانه قد سمى المال خيراً في مواضع فقال « إن ترك خيراً
لا يهـ »^(١) وقال رسول الله ﷺ « نعم المال الصالح للرجل الصالح »^(٢) وكل
ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال فلا يمكن الوصول إليهما إلا به و
قال تعالى « ويستحرجا كبرهما رحمة من ربك »^(٣) وقال تعالى « تمتد على عبده
« ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً »^(٤) و قال
ﷺ « كاد لفقرا أن يكون كفرا »^(٥) وهو ثناء على المال ، ولا تعف على وحدها جمع
بين المدح والذم إلا بأن تعرف حكمه المال ومقصوده وآفاته وعوئله حتى يسكنه
لث أنه خير من وجه وشر من وجه ، وأنه محمود من حيث هو خير ومدموم من حيث
هو شر فإنه ليس هو بخير محض ولا هو شر محض ، بل هو سبب للأمرين جميعاً
وما هذا وضعه فيمدح لأجل أنه تارة ويدم أحرى ولكن المصير أمدته يذكرك أن
لمحمود منه غير المدموم و بيانه بالاستعداد كما ذكرناه في كتاب الشكر من سائر
الخيرات وتفصيل درجات النعم ، والعدد لمضع فيه هو أن مقصد الأكياس و رب
النصائر سعادة الآخرة التي هي السعي الدائم وأملك المقيم والقصد إلى هذا رأ

(١) أسقرة ١٨٠ (٢) قال المرقى أخرجه أحمد والطبراني في الكبير

و لا وسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح سقط « وما » ودلا « للبر »

(٣) الكهف : ٨٢ .

(٤) نوح ١٢

(٥) أخرجه أبو يعقوب في العلبة من حديث أس بسند ضعف كما في الجامع الصغير .

الكرام والأكياس ، إذ قيل لرسول الله ﷺ من كرم الناس وأكرمهم ؟ فقال : أكثرهم للموت ، كراماً وأشدّهم له استعداداً ، ^(١) وهذه السعادات لا تنال إلا بثلاثة وسائل في الدنيا وهي العوائل النفسية كالعلم وحسن الخلق ، والعوائل البدنية كالصحة والسلامة ، والعوائل الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأغلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية ، والخارجة أحسنها ، والمال من جملة الخارجات وأدناها ، والدّرهم والدّينار فإتبعهما خدماؤه ولأحاديثهما ويراد أن لغيرهما ولا يراد أن لغيرهما إلا النفس هي الجوهر النقيس المطلوب سعادتها وأتبعها بخدم العلم والمعرفة ومكلام الأهل لائق لتحصلها صفة في دأبها ، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء ، والمطاعم والملابس تخدم البدن .

وقد سبق أن المقصود من لمطاعم إبقاء البدن ومن المذكّح إبقاء النسل ومن أسكن بكميل النفس ونزكيتها وزيادتها بالعلم والخلق ، ومن عرف هذا انشرب وقد عرف قدر المال وجه شرفه وأتته من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خيرٌ ومن عرف فائدة الشيء وعائنه ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتاً إليها غير يس لها وفداً حسن واسع وكل ما يحصل العزم بمحوداً في حقّه ، فيدر لئال آله وسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح أن يتحدّ آله ووسيلة إلى مقصود فاسد وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسدّ سبيل العلم والعمل ، فهو إذاً محمود مذموم ، محمود بالإضافة إلى المقصود محمود ومذموم بالإضافة إلى المقصود المذموم . فمن أخذ من الدنيا أكثر ممّا يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ، ولما كانت الطماع مائلة إلى اتساع الشهوات العاطفة لسئل الله وكان المال سهلاً لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يريد على قدر الكفاية واستعداد لأنبياءه من شرّه حتّى قال سيّدنا ﷺ : اللهم اجعل موت آل محمد كموافاً ^(٢) فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحصّ حيره ، وقال : اللهم

(١) روه ابن أبي الدنيا في الموت بسند جيد كما في المعنى

(٢) متفق عليه وأخرجه ابن ماجه تعديهم ٤١٣٩ من حديث أبي هريرة .

أحسني مسكياً وأمنني مسكياً» (١)

«سعد بن إبراهيم صلوات الله عليه وقال : « واحسني ونسي أن بعد الأصنام» (٢)
وفي بعض التفسير أنه عني به هذين الحجرين لذهب والفصة إد رتبة النسوة أحل
من أن يحشى عليها أن تعتقد الآلهة في شيء من هذه الحجارة ، إذ قد كفي قبل
لنسوة عبادتها مع لصع وإنما معنى عبادتهما حبسهما والاعتزاز بهما والركون
إليهما ، قال سيبويه « ونس عن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر
وإد اشيك فلا تنفش » (٣) « فس أن حبسهما عند لهما و من عند حجره وعاد صم
بل كن من كان عبد الله فهو عابد صم ، أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء
حقه فهو كعابد صم ، وهو شرك إلا أن الشرك شر كان شرك حقيقي لا يوجب الخلود
في النار وقلما ينفع عنه المؤمنون فإنه أحصى من ديب النمل و شرك حلي يوجب
الخلود في النار ،

٥ (بيان تفصيل آفات المال و فوائده)

إعلم أن المال مثل حبة فيها سم و ترياق ففوائده ترياقه و غوائله سمومه
فمن عرف غوائله وفوائده أمكه أن يحترق من شره و يستند من حيره
أما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية ، وأما الدنيوية فلا حاجة إلى
ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على
طلبها ، وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع :

النوع الأول : أن ينفعه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة ، أما

(١) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢١٣ أبواب الزهد في حديث من أس وقال هذا

حديث قريب وابن عاصم تحت رقم ٤١٢٦ .

(٢) إبراهيم ٣٥

(٣) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٤١ و ٤٢ في حديث عن أبي هريرة ، وقوله « تمس »

أي عثر واسكب وجهه وهو دعاء عليه بالهلاك . ونوله « واستكس » أي انقلب على رأسه

وهو دعاء عليه بالخيبة ، لأن من استكس في أمره فقد حاب وحسر ، وقوله : « إذا شئت فلا

تنفش » أي إذا شئت شوكة فلا تقدر على انتقامها و هو إخراجها بالمناقش . (النهاية)

كثيرة ولو بولأها بنفسه صاعت أوقاته و بعدد عليه سلوك سبيل الآ حرم بالعكر و
الذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ، ومن لأهل له فيفسر إلى أن يتولى بنفسه
خدمة نفسه من شراء الطعام و طحنيه و كس الدب حتى يسح الكتاب الذي يحتاج
إليه و كل ما يتصور أن يقوم به عيرك و يحصل به عرصك فأب متعوب إذا اشتعل
به إد عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا تتصور أن يقوم به عيرك فتضيع
الوقت في غيره خسرون

النوع الثالث ، ما لا يصرفه إلى إسان معتبر ولكن يحصل به خير عام كساء المسجد
والقناطير والرباطات و دار المرضى و نصب الحمام في الطرق وغير ذلك من الأوقاف
المرصده للخير ت ، وهي من الحيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجيلة بركة
أدعية الصالحين إلى أوقات متتالية ، وبها يك به خيراً فهد حملة فوائد المال في الدارين
سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من التخلص من دل السؤال وحقارة الفقر والوصول
إلى العز و امحدبين الحلق و كثرة الأحوال والأعوام والأصدق ، والوقار والكرامه
في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية

وأما الآفات : فدينيته و دنيويته أما الدينيته فتلاشه

الأولى أنه يحرق إلى المعاصي فإن الشهوات متفاصلة والعجز قد يحول بين
المره و بين المعصية و من العصمة أن لا يقدر ، و مهما كان الإنسان آيساً عن نوع من
المعصية لم تنحرك داعيته إليها فإذا استشعر القدرة عليه أبعثت لدأعية ، والمال
نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكك العجز فإن اقتحم ما اشتهاه هلك و
إن صبر وقع في شدة إذا الصبر مع القدرة أشد و فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء ،

الثانية أنه يجرد إلى النعم في المباحات و هذا أوّل الدرجات فمتى يفقد
صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير و يلبس الثوب الحش و يترك لذائذ الأطعمة
كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فأحسن أحواله أن يسمع بالدنيا ويمرر
عليه نفسه ، فيصير النعم مأثوفاً عنده و محبوباً لا يصبر عنه و يجرد البعض منه
إلى البعض ، و إذا أشد أسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال

فيقتحم الشبهات ويحوص في المزاينة والمدسعة والكذب والتفلق وسائر الأخلاق
التردية ليستظم له أمر دنياء ويتيسر له تنعمه ، فإن من كثر ماله كثر حاجته
إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فإن
سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الخطوط فلا يسلم عن هذه أصلاً ، و
من الحاجة إلى الخلق تنور لعدوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد وبرياء
وبكر والكذب والغيبة والمبغدة وسائر المعاصي التي تحصن القلب واللسان ولا يخلو
عن التعدي أيضاً إلى سائر الحوارح ، وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى
حفظه وإصلاحه .

الثالثة هي التي لا يملكها أحدٌ وهو آفة يليه إصلاح ماله عن ذكر الله
تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو حسران ، ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال
الآفات أربع أن يأخذه من غير حيلة فقبل ، أن يأخذه من حيلة ، قال : يصعه في غير
حيلة ، فقبل ، أن يصعه في حيلة ، فقال : يشغله إصلاحه عن الله ، وهذا هو الداء
لعصا ، فإن أصل العبادات ومحبتها وشرها ذكر الله تعالى والتعكر في جلاله وذلك
يستدعي قللاً فارعاً وصاحب الضيعة يمسي ويصبح منهكراً في حصومة ، لعلاج ومحاسنة ،
وحصومة الشركا ، ومساغرتهم في الماء والحدود ، وحصومة أعوان السطوط في الجراح ،
وحصومة الأحرار في التقصير في العمار ، وحصومة العلائق في حياتهم وسرقتهم ،
وصاحب التجارة يكون منهكراً في حياته وشريكه وعرده بالربح وتقصيره في العمل
ويصعبه للمال ، وكذلك صاحب المواشي ، وهكذا سائر أصناف الأموال ، وأبعدها
عن كثرة الشغل البعد المكمور تحت الأرض ولا يزال بالعكر متردداً فيما يصرف إليه
في كهيته حفظه ، وفي الخوف تمن يعثر عليه ، وفي دفع أطماع الناس عنه ، وأودية
فكار أهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة
الآفات الدنيئة سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحر والعم
لهم ولتعب في دفع الحساد وتعشيم المصاعب في حفظ الأموال وكسب ما ين
يريد لمال أحد الموت وصرف الباقي إلى لحيثاب وما عداه سموم وآفات

✽ (بيان ذم الحرص والطمع) ✽

✽ (ومدح القناعة والياس مما في أيدي الناس) ✽

إعلم أن الفقر محمودٌ كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن يسعى أن يكون
الفقر قابلاً منقطع الطمع عن الحلق ، غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على
اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقع بقدر الضرورة من المظعم والمجلس ،
و يقتصر على أقله قدرأ وأحسه نوعاً ، ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره ، ولا يشعر
قلبه بما بعد الشهر فإن تشوقه إلى الكثير أوطول الأمل فاته عن القناعة وتدنس
لامحالة بالطمع وذل الحرص ، و حره الحرص و الطمع إلى مساوي ، لأحلاق و
ارتكاب المنكرات الحارقة للمرؤات و قد حبل آدمي على الحرص والطمع و قلّه
القناعة ، قال رسول الله ﷺ « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا تنمي وردهما
ثالثاً ، ولا يملأ خوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب » (١) .

وعن أبي وافر اللبني قال . قال رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيماء يعلم
بما أوحى إليه فحنته ذات يوم ، فقال - « إن الله عز وجل يقول : إنا أبررنا مال
لأقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون إليه
الثاني ، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث ، ولا يملأ خوف ابن آدم
إلا التراب و يتوب الله على من تاب » (٢)

و قال النبي ﷺ « من هوام لا يشعاع : منهوم العلم و منهوم المال » (٣)
و قال ﷺ « يهرم ابن آدم و يشب معه اثنتان الأمل و حب المال أو كما
قال » (٤) .

(١) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١١٥ . (٢) أخرجه أحمد في مسنده

ج ٥ ص ٢١٩ ولان ماجه نحوه عن أبي هريرة تحت رقم ٤٢٣٥

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير بسند ضعيف من حديث ابن مسعود بلفظ آخر كما

في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣٥

(٤) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١١٥ نادى اختلاف في اللفظ والساني واحد أيضاً

من حديث أنس بسند صحيح .

و لما كانت هذه جليلة لآدمي مضلة ، و غريزة مهلكة أئتمى الله تعالى ورسوله
على القساعة ، وقال عليه السلام : « طوبى لمن هدى للإسلام و كان عيشه كفافاً و قمع به »^(١)
و قال عليه السلام : « ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي
قوتاً في الدنيا »^(٢) .

و قال عليه السلام : « ليس العنى عن كثرة العرض ، إنما العنى عن النفس »^(٣)
و سبى عن شدة الحر و الممالة في الطلب فقال : « ألا أيها الناس احملوا في
طلب فائتة ليس للعبد إلا ما كتب له ، و لن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب
له في الدنيا وهي راعمة »^(٤)

و روي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال : « أي عبادك أغني ؟ قال أقنعهم
لأعطينه ، قال : فأيتهم أعدل ؟ قال : من أصب من نفسه ، »

و قال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي
إن نساء لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و أحمّلوا في الطلب »^(٥)
وعنه عليه السلام : « إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف و كور من ماء و على الدنيا
الدمار »^(٦) .

و عنه عليه السلام : « كن ورعاً تكن أعبداً للناس ، و كن قانعاً تكن شاكراً للناس ، و
حب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً »^(٧) .

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٩ ص ٢١١ و قال : حسن صحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٤٠ بأساده عن يعقوب بن س ، و قال السيوطي :
هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات وأعله ببيع فانه مترك ، و هو مخرج في
مسند احمد وله شاهد من حديث ابن مسعود أخرجه الخطيب في تاريخه

(٣) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١١٨ من حديث أبي هريرة

(٤) أخرجه نحوه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤ . و السبكي في لسن ج ٥ ص ٢٦٤ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤ و ابن أبي الدنيا في القساعة

(٦) أخرجه ابن عدى والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة بسند ضعيف كما في الجامع الصغير

(٧) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢١٧ من حديث أبي هريرة بسند حسن .

و بهی رسول الله ﷺ عن لطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابياً
 أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عطي وأجر ، فقال : يا صليبت فصل صلاه
 مودع ، ولا تحدث بحديث نعتد منه عدأ ، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس ،^(١)
 و قال عوف بن مالك : كذا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة
 فقال ألا تسمعون رسول الله ؟ قلنا أو ليس قد بايعكم يا رسول الله ؟ ثم قال : لا
 نسمعون . رسول الله ؟ فسطا أيديهم فبايعهم ، و قال قتيل م : قد بايعكم فعلى
 ماذا بيعت ؟ قال : ن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصدقات الخمس ، و
 تسمعوا وطيعوا ، وأسر كلفه حقيقته . ولا تسألوا الناس شيئاً قال : ولقد كان
 بعض أولئك العرب يسقط سوجه فلا يسأل أحداً أن يسأله شيء .^(٢)

الاثار قبل لبعض الحكماء ما المعنى : قال : فله بمسئتك ورسالك ، ما يكفياك
 و قال بن مسعود : ما من يوم إلا ومئت بيدي يا من آدم فذيل يكفياك حبه
 من كثر يطعبك

و قيل لحكماء ما مالك ؟ قال : لنحمل في أطاير ، و لعصدي الناس ، و
 اليأس مما في أيدي الناس .

و يروى أن الله عز وجل قال : يا آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك
 منها إلا الفوت فإذا أنا أعطيتك منها العوت و جعلت حسابي على عريك فذا إليه
 محسن

و قيل لبعض الحكماء أي شيء أسر للعدل ، وأيتها أعور على دفع الحر ؟
 قال : أسرها إليه ما قدم من صالح العمل ، وأعوها له على دفع الحر أسرها محتوم
 لمدد

و قال من الحكماء وحب أطول الناس عملاً لحسود ، و أهنأهم عيشاً
 القموع ، و أصمرهم على لا رأى الحريص إد طمع ، و أحفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا ،

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٧١ وللحاكم ح ٤ ص ٣٢٦ نحوه من حديث سعد بن

أبي وقاص . (٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٨٦٧

أعظمهم ندامة العالم المعرط . وقد قيل :

أرفه بال في أمسى على ثقة ○ إن الذي قسم الأوراق يردقه

والعرض منه مصون لا يدنسه ○ والوجه منه حديد ليس يحلعه

ر المصاعه من يحلل ساحتها ○ لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه

و غاب أعرابي أحده على الحرص فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلت
لأموته وتطلب أنت ما قد كفيته ، وكل ما قد عاب عليك قد كشف لك وما أنت فيه

قد نعتت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصاً محروماً وراهداً مهروفاً ، وقيل

أرك يريدك الإثراء حرصاً ○ على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوماً ○ إليها قلت حسبي قد رصبت ؟

وقال الشعبي حكى أر رجلاً صد فسرة قال ماتريد أن تصعب بي ؟ قال
دبحك وأكلك ، قال ، والله ما أشفي من قرم^(١) ولا أشع من جوع ولكن علمت

ثلاث حصل هي حررتك من أكلتي أما واحدة فأعلمك وأنا في يدك ، وأما الثانية
وبدا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فإذا صرت على الحمل ، قال : هات الأولى

قال لا تلهمن على مافات ، فحلاها فلما طارت على الشجرة قال هات الثانية
قال لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الحمل و قالت

يا شعبي لو دبحني لأحرق من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً ،
ف فعض على شعبيه ولبثت وقال هات الثالثة ، فقالت أتب قد سيب لثنتين

فكيف أحرك بالثالثة ألم أفرك لا تلهمن على مافات ولا صدقن ما لا يكون ألا
إن لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درتان

في كل واحدة عشرون مثقالاً ، ثم طارت وذهبت ، وهذا مثال لمعرط طمع الآدمي^(٢)
فإنه يعميه عن درك الحق حتى يعدر ما لا يكون أنه يكون .

وقال عبدالله بن سلام لكعب ما ينهب العلم من قلوب العلماء بعد إدعوه
وعنده ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج ، فقال رجل للفصيل ، عسر لي

بول لكعب ، قال : يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه ، و شره النفس
(١) القرم - بالتحريك - : شهوة اللحم .

في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يعوتها شيء ، ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة ، فإذا قضاه لك حرم أمك وقادك حيث شاء ، واستمكن منك وحصعت له ، فمن حيث للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض ، لم تسلم عليه الله تعالى ولم تعده الله فلو لم تكن لك إليه حاجة كان حيراً لك ، ثم قال هذا خير لك من هائلة حديث عن فلان وفلان .

وقال بعض الحكماء ، من عحيب أمر الإنسان أنه لو بودي بدوام النعماء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقه من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الرؤال

وقال عبد الواحد بن زيد ، مررت براهب فقلت له من أين تأكل ؟ فقال من بيدر اللطيف الحبير الذي خلق الرحي يأتيها بالطحين ، وأوماً بيده إلى رحي أضراسه .

❦ (بيان علاج الحرص والعطع) ❦

❦ (والدواء الذي يكتسب به صلة القناعة) ❦

اعلم أن هذا الدواء مرگت من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور :

الأول وهو العمل . الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإيقاق فمن أراد عز القناعة فيبغى أن يسد على نفسه أبواب الجراح ما أمكه ويرد نفسه إلى ما لا بد له فإن من كثر حرجه واتسع إيقاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فيبغى أن يرفع بنوب واحداً وحشناً ، ويقمع بأي طعام كان ، ويعمل من الآدام ما أمكه ، ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد منهم إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الإحمال في الطلب . والاقتصاد في المعيشة هو الأصل في القناعة وبعني به الرفق في الإيقاق وترك الخرق فيه

قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » (١)

(١) متفق عليه وقد تقدم .

و قال عليه السلام : « ما عال من اقتصد » ^(١)
 و قال عليه السلام : « ثلاث منجيات : حشية الله في السر والعلانية ، و التقصد في
 معنى والفقر ، والعدل في الرضا والعض » ^(٢)
 و روي أن رجلاً أصر أن الدرداء يلتقط حباً من الأرض و يقول : إن من
 فقهك رفعتك في معيشتك
 و قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « الاقتصاد و حسن السم و الهدي
 لصالح حره من بصع و عشرين حره من السوء » ^(٣)
 و في الخبر « التدبير صب المعيشة » ^(٤)
 و قال النبي ﷺ : « من اقتصد أعماه الله ، و من بذر أفقره الله ، و من ذكر
 الله عز وجل أحببه الله » ^(٥)
 و قال عليه السلام : « إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك رجلاً و
 عرجاً » ^(٦) و التؤدة في الإيقاع من أهم الأمور .

- (١) أخرجه أحمد في مسند عده بن مسعود سند حسن كما في الجامع الصغير
 (٢) أخرجه ابوالشيخ في التويع و الطبراني في الاوسط من حديث أس سند
 ضعيف كما في الجامع الصغير .
 (٣) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٤٨ عن ابن عباس و قيل في معناه : ان الطريقة الصالحة
 و حسن الهيئة و سلوك القصد في الأمور هي التي معها الله تعالى يساهم (ع) فاقتموا بهم فيها
 و تاعوهم عليها . و ليس معنى الحديث أن السوء تنجز ولا أن من جمع له هذه الخصائص
 كان فيه جرم من السوء فان السوء غير ممكنة ، و انما هي كرامة من الله لمن أراد اكرامه
 به من صاده و قد ختمت محمد صلى الله عليه وآله وسلم و الحار رواه أيضاً الطبراني
 في الكبير من ابن سرجس سند حسن كما في الجامع الصغير بتقديم وتأخير في كلاهما
 (٤) أخرجه الدبلي في العردوس من حديث أس سند حسن كما في الجامع الصغير .
 (٥) أخرجه البزار عن طلحة بن عبيد الله دون قوله « و من ذكر الله أحبه الله » سند
 ضعيف كما في الجامع الصغير .
 (٦) رواه ابن المبارك في البر و الصلة كما في المعنى و أخرجه الضارفي في الادب
 اسعد و البيهقي في الشعب عن رجل سند ضعيف كما في الجامع الصغير

الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما سكره فلا يسمى أن يكون شديداً لاضطراب لأجل الاستقبال ، وبعبارة أخرى دلت قصير الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه ، فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق ، بل يسمى أن يكون وانما بوعده الله تعالى إذ قال : « وما من دابة في الأرض إلا على الله روقها » (١) وذلك لأن الشيطان بعده العفر ويأمره بالعشواء ويقول إن لم تحرص على الجمع والأدخار فربما يمر من وربما تفقر ونحتاج إلى احتمال الدل في السؤال ، فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من التعب ويصحح عليه في احتمال التعب نقداً مع العقل عن الله لتوهم بعبه في ثاني الحال وربما لا يكون ، وفي مثله قيل :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ○ مخافه فقر ولآدي فعل العسر
وقد دخل ابن خالد على رسول الله ﷺ فقال لهما : « لا تباي من الرزق ما تهرأت رؤوسكما فإن الإبلان نلن أمة أحمر ليس عليه قشر ، ثم يروقه الله تعالى » (٢).

ومر رسول الله ﷺ بالناس مسعود وهو حزين فقال له : « لا تكثر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتيك » (٣).

وقال ﷺ : « ألا أيها الناس أحملوا في الطلب ، فإنه ليس بعد إلا ما كتب له ولن يذهب عند من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راعمه » ولا يبعث إلا بسان عن الحرص إلا بحسن ثقة بتدبير الله في تقدير أرزاق العباد وإن ذلك يحصل لامحالة مع الإحمال في الطلب ، بل يسمى أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر ، قال الله تعالى : « ومن يشق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه »

(١) هود : ٦ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تيمت رقم ٤١٦٥ وابن ماجه له وسواء .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث خالد بن رافع كماله المتن .

(٤) تقدم قبل من العاكم وغيره .

من حيث لا يحتسب ، ^(١) فإذا انسدت عليه بابُ كل ينظر الرزق منه فلا يسعى أن يضطرب قلبه لأجله ، قال عليه السلام : «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب» ^(٢) .

وقال بعضهم : اتق الله فما رأيت نبياً محتاحاً أي لا يترك التقي فاقداً لصورته بل يلقي الله في قلوب المؤمنين أن يوصلوا إليه رزقه .

قال الفضيل : قلت لأعرابي : من أين معاشك ؟ قال : ندد الحاح . قلت : فإذا صدروا ؟ فبكى وقال : لولم نعش إلا من حيث ندرني لم نعش .
وقال أبو حارم : وجدت الدنيا شئتين شيئاً مهما هو لي فإن أعجلته قبل أحله لا يصبر ولو طلبته بقوة السماوات والأرض ، وشئاً مهما هو لغيري فذلك لم أمله فيما مضى ولا أرحوه فيما بقي ، يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ، وفي أي هدين أفنى عمري ؟ فهذا دواء من حبة المعرفة لا بد منه لدفع تحويم الشيطان وإنذاره بالفقر .

الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستعانة وما في الطمع وحرص من الدل فإذا تحقق له ذلك انبعث رغبته إلى القناعة لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من دلّ ولمس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والعقول وهدم ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الويال والآن ثم يعومر النفس والفكرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداينة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عرس العسر على شهوة البطر فهو ركبك العقل ناقص الإيمان ، قال النبي صلى الله عليه وآله : «عر المؤمن استعاؤه عن الناس» ^(٣)

(١) الطلاق . ٣ .

(٢) أخرجه ابن حبان في الضعفاء وقال المقدسي : رواه أحمد بن داود وفيه عبد الغفار

كان يضع الحديث راجع تذكر الموضوعات ص ٨ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣٢٥ وصححه استاذه وأبو الشيخ في كتاب

لنواب وأبو يعقوب في العلية كلهم من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي (ص) في —

ففي القناعة الحرمة والعز^١ ولذلك قيل : استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره .
الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقاء من الأكراد والأعراب ومن لادين لهم ولا عمل ، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الصحابة^(١) والتابعين ويستمتع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويحير عقله بين أن يكون على مشابة أراذل الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز^٢ أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تنعم في البطن والجمار أكثر أكلاً منه ، وإن تنعم في الوقاع والحزير أعلى رتبة منه ، وإن تزيّن في الملابس والحيل ففي اليهود والنصارى من هو أعلى رتبة منه ، وإن قمع بالقليل و رصي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء .

الحامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والصباغ وما في حلول اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقع بما يكفيه التحق برمة الأغنياء وأخرج من حريضة الفقراء ويشم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من هو دونه في الدنيا لا إلى من هو فوقه فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من هو فوقه فيقول : لم تفر عن الطلب ؟ وأرايا الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف بطره في الدين إلى من هو دونه فيقول : ولم تضيق على نفسك وتحاف الله ؟ وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم ؟ قال أبو ذر^٣ : أوصاني حليبي^٤ وأبى بكر^٥ : أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقني^(٢) أي في الدنيا .

إثناء حديث وفيه مرين سليمان من معدن عينة وكلاهما مختلفيه وجمله انقصامي من مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وآله كما المعنى .

(١) الست : هيئة أهل الخير .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ١٥٥ .

و عنه عليه السلام : « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فليُنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه » ^(١) فهذه الأمور يفقد على اكتساب خلق القناعة و عماد الأمر الصبر و قصر الأمل و أن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل ليتمتع دهرًا طويلاً فيكون كالمرس الذي يصير على حرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

❦ (بيان فضيلة السخاء) ❦

إعلم أن المال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطاع المعروف والنساع من الشحّ والخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من أصول السخاة و عنه عليه السلام : « حيث قال : السخاء شجرة من شجر الجنة أعصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ منها عصاً قاده ذلك العص إلى الجنة » ^(٢)

وقال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « قال حبرئيل : قال الله تعالى : إن هذا دين ارتضيناه لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق . فأكرموه بهما ما استطعتم » وفي رواية : « فأكرموه بهما ما صحتموه » ^(٣)

وعنه عليه السلام : « ما حصل الله أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق » ^(٤) وعن جابر قال قيل : يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال « الصبر والسماحة » ^(٥) . وعنه عليه السلام : « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل وخلقان يحبهما الله عز وجل فحسب الخلق والسخاء ، وأما اللذان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله عز وجل واما اللذان يبغضهما الله عز وجل »

(١) أخرجه أحمد والطبراني ومسلم بسند صحيح عن أبي هريرة كما في الجامع الصغير

(٢) أخرجه الدارقطني في الأفراد ، والبيهقي في الشعب عن علي بن الحسين وابن عدي

عن أبي هريرة وأبو يعقوب في العلبة من جابر والخطيب عن أبي سعيد وابن عساكر عن أسد ولديلي في الفردوس عن معاوية بسند حسن كما في الجامع الصغير

(٣) رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٠

(٤) رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب كما في الترغيب ج ٢ ص ٣٨٣ .

(٥) رواه البيهقي في الزهد بإسناد صحيح بزيادة كما في المنى .

عن رُوَيْلٍ بنِ مَرْثَدَةَ، عن الحُلُقِيِّ والحِجَلِيِّ، أنهما إذا أراد الله يعبد خيراً استعماله في قضاء حوائج الناس. (١)

و روى المقدم من شريح عن أمه عن حذو قال قلت يا رسول الله دلفي علي
عمل يدحلي الحمة قال «إن من موحبات المعسر» بذل الطعام وإفشاء السلام
حسن الكلام» (٢٧).

وَعَنْهُ ^{الْبَرُّ} يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اظْلُوهَا لَعَلَّكُمْ تَرْجَعُونَ اظْلُوهَا مِنْ عِبَادِي تَعِيشُوا فِي أَكْثَادِهِمْ وَأَنْتِي جَعَلْتُ فِيهِمْ رُوحِي ، وَلَا تَظْلُمُوهَا مِنَ الْعَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَأَنْتِي جَعَلْتُ فِيهِمْ سَخَطِي (٢٣).

عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « يحافوا عن دس السحي فإر »
 لله أحد يده كلما عشر »^{١٠}

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الرِّزْقُ إِلَى مَطْعَمِ الطَّعَامِ أَسْرَعَ مِنَ السَّكَنِ إِلَى دَرَاهِمِ السَّعِيرِ» ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعَالِي لِيُنَهِيَ مَطْعَمَ الطَّعَامِ الْمَلَائِكَةَ ، ^(١٥)
وَاللَّهُ ﷻ : «إِنَّ اللَّهَ يُعَالِي خَوَادُّ يَحْبُ الحُودِ ، وَيَحْبُ مُعَالِي الْأَحْلَاقِ
وَيُكْرَهُ سَعَايَهَا» ^(١٦)

(۱) رَوَاهُ الْأَصْحَبِيُّ مَوْضِعًا عَلَى نَسْرِ عُمَرَ وَرَوَاهُ الدَّبْلِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَسْنٍ هَكَذَا «إِذَا ارْتَدَّ بَعْدَهُ حَيْثُ صِيرَ خَوَارِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ» كَمَا فِي لِحَامِ الصِّغَرِ وَقَالَ لِمِرْقَاسٍ : فِي سَنَةِ ثَمَانِيٍّ مِنْ شَيْبٍ مَعَهُ الْبُرْجَانِ

(۲) أخرجه الطبري بسند حسن كما في مجمع الرواة ج ۸ من ۲۹.

(۳) آخره بحر نظمی می مکارم لاحلاق عراقی سپید بند صغیر کما فی الجامع البدر

(٤) أخرجه إنداد قطلى في الأعراد والصرى وروىهم والبيهقى عن ابن مسعود

٢٨ . ونظرة « اجزوا » .
 سمع « تجاوزوا » سيد صيف كـ في الجامع تصغير . ورواه الكبيري في الكافي ج ٤ ص

(۵) أخرجه ابن ماجه تصحیح رقم ۳۳۵۷ دون قوله : « و ان الله الح » من حديث

بن عباس، ولم احده عن حديث ابن مسعود.

(٦) أخرجه نسفي في الشعب عن طلحة بن عبد الله وأبو ميمون عن النخلة عن جابر

ابن عباس بسند حسن كافي الجامع الصغير .

و قال أنس « إن رسول الله ﷺ لم يسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه
فأما رجل فسأله فأمر له بشئ، كثره من حبل من شئ، الصدقة فرجع إلى قوم
فقال « قوم أسلموا فإني أعطيت عطاء، من لا يحشي لذة »

وعنه الشيخ « إن الله عداً يخصهم بالعطاء فمن رجل مثلك
المذبح على العدد نقلها الله عنه وحوّلها إلى غيره »^{١٢}

وعن الهاللي قال « أبي رسول الله ﷺ دساري من بني لعل فأمر بقتلهم
و فرد منهم رجلاً فقال علي بن أبي طالب عليه السلام يا رسول الله إنك « أحد الذين
« حد هذا مال هذا من بينهم » فقال النبي ﷺ « بل عليّ حبرئيل عليه السلام
« قبل هؤلاء ودرأ هذا فأبى الله شكر له سبحانه »^{١٣}

و قال رسول الله ﷺ « إن لكل شيء ثمة » ثم « لمعروف تعجيل
السراح »^{١٤} . وعنه الشيخ « طعام الحوائر » و « طعام لجعل د »^{١٥}

وقال الشيخ « من عظم بركة الله عليه عظم مؤثره الذي عليه فمن لم يحتمل
ذلك المؤثره من تلك البركة للرب »^{١٦}

(١) تقدم في المجلد الرابع في خلاصه على قوله و « مسم ح ٧ من ٧٤ .
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط وأبو نعيم وفيه معتمد بن حسان لم يمتد
رواه ابن ووثقه ابن معين يرويه عن شيخه أبي عثمان عبد الله بن زيد العنسي صفة لا روى
كافي مجمع الزوائد ج ٨ من ١٩٢ .

(٣) شبه العلامة السجسي - رحمه الله - في سحر الحر، الثاني من المجلد الخامس
عشر من ٦١ من فقه الرضا مرسل .

(٤) قال لمراقى ولم يجد له خلافاً فهو رواه الكشي في الكافي ج ٤ من ٣٠
و لسراج - في المهمات - الإرسال والخروج من الأمر سرعة وسهولة وهي لبث السراح
من السراح » يعني إذا لم تغدر على قضاء حاجة أحد فسهو ذلك من الأسف

(٥) كتاب الإمامة والتبصرة كما في المجلد الخامس عشر من سحر الحر، الثاني

من ٦١ وأخرجه ابن عدي و لدر قطبي في غريبه مالك وأبو علي الصدي في عواصمه

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث عائشة والسفي في لشب

من حديث معاذ بن عبد الله في الجامع الصغير ولعظه « ما عظمت بركة الله » الحديث

وقال عيسى عليه السلام : « استكثروا من شيء ، لاتأكله النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المعروف » .

وعنه عليه السلام : « الجنة دار لأصحاب » ^(١)
وعنه عليه السلام : « إن السحي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، وإن البحيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ، وحامل سحي أحب إلى الله من عالم بحيل وأدوم الداء البخل » ^(٢)
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله وإن أصبت أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » ^(٣)

وقال عليه السلام : « إن بدلاء أمتي لم تدخل الجنة بسلامة ولا بصيام ولكن دخلوها سحاة الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين » ^(٤)

وعنه عليه السلام : « إن الله عز وجل جعل للمعروف وحوها من خلقه حسب إليهم ، والمعروف وحسب إليهم فعالة ووحه طلاب المعروف إليهم ويستمر عليهم إعطائه كما

(١) أخرجه بن عدي والدارقطني في المستعاد سند ضعيف كما في المتن ومنقول في جامع الاحاديث ص ١١٦ مرسل .

(٢) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ١٤٠ من حديث أبي هريرة . وقال : هذا حديث غريب .

(٣) أخرجه الدارقطني في المستعاد من حديث جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه

عن جده مرسل ورواه الكليني من حديث عليه السلام في الكافي ج ٤ ص ٢٧ تحت رقم ٦ و ٩ .

و أخبر معقول عن أبيه ما إذا لم يعلم قطعا أنه ليس من أهله ومن حاله مجهول عنده ثلاثا في

ما رواه الكليني مسند عن الصادق عليه السلام قال للمصل : « إذا اردت أن تعلم أشقى الرجل

أم سيده ؟ فاطرسبه [أي عطائه] ومعرفة إلى من يصنع ، فإن كان يصنعه إلى من هو

أهله فاعلم أنه إلى خير وإن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنه ليس له عداقة خير » . وقال

في حديث آخر : « إذا اردت أن تعلم إلى خير يعبر الرجل أم إلى شر انظر أين يصنع

معروفه فإن كان يصنع معروفه عداقه فاعلم أنه يصير إلى خير ، وإن كان يصنع معروفه عند

غير أهله فاعلم أنه ليس له في الآخرة من خلاق » راجع الكافي ج ٥ ص ٣٦ .

(٤) أخرجه أبو بكر بن لال في الكاظم والدارقطني في المستعاد من حديث أس

سند ضعيف كما في المتن .

يسر العيث إلى اللدة الحدة فيحييها ويحيي بها أهلها^(١).

وقال عليه السلام : « كل معروف صدقة ، و كل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتبه صدقة ، وما وقى المرء به عرضه فهو صدقة ، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها »^(٢).

وقال عليه السلام : « كل معروف صدقة ، والدال على خير كعامله ، والله يحب إعانة اللهمان »^(٣).

وقال عليه السلام : « كل معروف فعلته إلى عني أو فقير صدقة »^(٤) .
وروي أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام : « لا تقتل السامري » فأنه سخي .
وقال حمير : بعث رسول الله عليه السلام نعتاً عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله عليه السلام بذلك فقال : « إن الجود لمن شيمة أهل دلت البيت »^(٥).

وقال علي عليه السلام : « إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تنفي وإدا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى ، وأشد :

لا تحل بدنيا وهي مقبلة • ليس ينقصها التبذير والسرف
فإن تولت فأحرق أن تجود بها • فالحمد منها إذا ما أدبرت حلف
وسأل معاوية الحسن بن علي عليه السلام عن المروءة والجمدة والكرم فقال : أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرره نفسه وحسن قيامه بضيافته وحسن المنازعة والاقدام

(١) أخرجه الدار قطني في المستجد ورواه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣٢١ من حديث علي عليه السلام وصححه ، ورواه الكليني في الكافي ج ٤ ص ٢٥ تحت رقم ٢ .

(٢) أخرجه ابن عدي والدار قطني والحرطلي والبيهقي في الشعب من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) رواه الكليني في الكافي ج ٤ ص ٢٧ تحت رقم ٤ ، والدار قطني في المستجد .

(٤) أخرجه الخطيب في الجامع من حديث جابر والطبراني عن ابن مسعود بنده ضعيف كافي الجامع الصغير .

(٥) أخرجه الدار قطني عن أبي حمزة العميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

في الكراهية ، وأما النجدة فالتب عن الحار والصبر في المواقف ، وأما الكرم فالشروع بالمعروف قبل السؤال ، والأطعام في المحل ، والرأفة بالسائل مع بذل المائل ^(١)

ورفع رجل إلى الحسن بن علي عليه السلام رقعة فعال ، حاجتك مقضية ، فقيل له . يا ابن رسول الله لو نظرت في رفعته ثم رددت الحواب على قدر ذلك ؟ فقال يسألني الله تعالى عن دلّ مقامه بين يدي حتى أمرأ رفعته

وقال علي بن الحسين عليه السلام من وصف بذل ماله لطلابه لم يكن سحياً وإنما السحى من يتنذى بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنارعه بعسه إلى حبّ الشكر له إذا كان ثقتة بشواب الله تاماً .

وقال جعفر الصادق عليه السلام : لا مال عود من العمل ، ولا مصيبة أعظم من الجهل ، ولا مظاهرة كالمشورة ^(٢) ، ألا وإن الله عز وجل يقول : إني حواد كريمة لا يحاورني لئيم ، واللوم من الكفر ، والكفر في النار ، والحدود والكرم من الإيمان والإيمان في الجنة .

وقال الأصمعي : كنت الحسن بن علي إلى الحسين بن علي عليه السلام يمشي عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه خير المال ما بقي به العرم .
و تمثل متمثل عند عبدالله بن جعفر بهذين البيتين

إن الصبيحة لا تكون صبيحة حتى يصاب بها طريق المصع
و إذا اصطنعت صديعة فاعمد بها لله أو لدوي القرابة أودع
فقال عبدالله بن جعفر : إن هذين البيتين ليس حال الناس ولكن أمطر المعروف مطراً فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً وإن أصاب اللئام كنت أنت له أهلاً
وقال حديفة رب فاحر في ديبه أحرق في معبشته يندحل الحنة بسماحته .

(١) تصف العقول ص ٢٢٥ وحلية الأولياء لابن سيم ج ٢ ص ٣٦ و اصول المهمة لابن صناع ص ١٦٤ والبدابة والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٣٩ وفي جميع هذه المصادر هذه السائل سألها أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن الحسن عليه السلام .
(٢) إلى ها روى الكيسى في الكافي ج ١ ص ٢٩ نحوه .

و رأى الأحنف بن قيس رجلاً وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم ؟ قال :
لي ، فقال أما إنه ليس لك حتى تحرجه من يدك ، وفي معناه قيل :
أنت للمال إذا أمسكته ❖ فإذا أضعفته فإلما لك
و سمي واصد من عطاء العرب لأنّه كان يحلّس إلى العرب الين فإذا رأى امرأة
ضعيفة أعطاها شيئاً .

وقال من السماك : عجت لمن يشتري المماليك بما له ولا يشتري الأحرار بمعرّوفه
وسئل بعض الأعراب وقيل من سيّدكم ؟ فقال من احتمل شتماً ، وأعطى
سائلنا ، وأغضى عن جاهلنا .

وقال بعضهم بدل المحمود في بذل الموحود منتهى الحدود
وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس إليّ ؟ قال من كثرت أيادي عندي ،
قيل فإن لم يكن ؟ قال من كثرت أيادي عنده .
وقال بعضهم إذا الرّجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فبده
عندي مثل يدي عنده .

❖ (حكايات الاسخياء) ❖

قيل - بكى عليّ عليه السلام يوماً فقبل له ما يسكنك ؟ قال - لم يأتيني صيب منذ
سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاسني
وسأل رجل الحسن بن عليّ عليه السلام حاجة فقال له - يا هذا حقّ سؤالك إيتاي
يعظم لديّ ، ومعرّفتي بما يحب لك يكبر عليّ ، ويدي تعجز عن سلك بما أت أهله
والكثير في ذات الله تعالى قليل ، وما في ملكي وفاء لشكرك ، فإن قلب الميسور
ورفعت عشي مؤونة الاحتمال والاهتمام بما أتكلف من واجب حمتك فعلت ، فقال : يا ابن
رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعد على المنع ، فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل
يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال - هات العاقل من الثلاثمائة ألف درهم فأحصى
خمس ألفاً ، قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال ؟ هي عندي ، قال : أحضرها
فأحضرها فدفع الدنانير و الدرهم إلى الرّجل وقال - هات من يحملها لك فأتاه

جئت لى ودفع إليه الحسن عليه السلام رداه لكرامه الحمالين فقال له مواليه والله ما عنده درهم فقال ولكني أرحو أن يكون لى عند الله أحر عظيم ^(١)

وقال أبو الحسن المدائني . خرج الحسن والحسين وعند الله من جمع حجاجاً وعتبتهم أثقالهم فباعوا وعطشوا فمر بهمجور في حياء لها فقالوا هل من شراب ؟ قالت نعم فأباحوا إليها وليس لها إلا شوبه في كسر رحيمه فقالت احملوهوا واعتدقوا لها ، ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام ؟ قالت لا إلا هذه الشام فلبديحها أحدكم حتى أهيتي ، لكم ما تأكلون فقدم إليها أحدهم فديعتها وكشطها ثم هبت لهم طعاماً فأكلوا ودموا حتى أوردوا ، فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من فريش يريد هذا الوجه فأدركنا سائرين فأهتينا فابت صاعون بك خيراً ثم راحلوا فأفل روحها فأحمرته بحر الغيوم ولشدة فغص لرحل وقل ويلك تدحين شاتي لغوم لا تعرفهم ثم تعولين نمر من فريش قال ثم بعد مدته ألحأتها الحاجة إلى دخول المدينة ودخلها وحملها يفلان لمر إليها وبيعها ويعيشان بنممة فمررت العجور في بعض سكك المدينة فأدركنا الحسن بن علي عليهما السلام حاسب على باب داره فعرفت العجور وهي له منكرة فبعت الحسن علامة ودعا بالعجور فقبل لها : يا أمه الله أتعرفيني ؟ قالت لا . قال أما صيغت يوم كذا وكذا . قالت العجور نبي أس وأهتي أس هو ؟ قال نعم . ثم أمر الحسن فاشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار ، وبعث بها مع علامة إلى الحسن عليه السلام فقال لها الحسين

(١) ما عثر عليه من أى اصل من الاصول المعتبرة الاعلى ما أورده الارناؤى في كشف العلة نقلاً عن الشيخ الكوفي صاحب مطالب السؤول مرسلات و لمعجب من اى حاكم حيث نقل هذا الكلام مصعب بن الزبير قال : حج معاوية فلما انصرف من المدينة فقال لعيسى بن عيسى لاجه الحسن عليهم السلام لا تنقه ولا تنلم عليه فلب خرج معاوية فارق الحسن بن عيسى ديناً فلما كان من أيامه فركب في أثره ولحقه دهم عليه وأحمره بدنه فمر وعطشه سخطى عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا ونظف عن الابل وقوم يسوقونه ، ففعل معاوية معهما ، وذكره قال : اصبروه ب عليه إلى أنى محمد انتهى فليست شعري كيف توافى هاتان العتبتان

بكم وصلتك أخي؟ فقلت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ثم بعث بهما مع علامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال: بكم وصلت الحسن والحسين؟ قالت: بألفي شاة وألفي دينار، فأمر لها عبد الله بن جعفر بألفي شاة وألفي دينار وقال لها: لو بدأت بي لاتعنتهما، فرحب العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة^(١)

واحتج قراء الصرة إلى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا: لك حارسوؤام قوؤام ينمى كل واحد مما أُلِيك من مثله وقد روج سنه من ابن أخيه وهو فقير وليس عندهما يحترهما به، فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقاً فخرج منه سببدر فقال: اعملوا وحملوا فقال ابن عباس ما نفعنا ما أعطيت ما يشعل من ميامه وقبمه وارجعوا بنا بكن أعوانه على تعهر ما فليس للدنيا من الفدر ما يشعل به مؤمناً عن عبدة ربه وما ن من الكفر ما لا يخدم أولياء الله، ففعل وفعلوا.

وكان أبو طاهر بن كثير شيعياً وقال له رجل: نحو علي بن أبي طالب لم وهب لي بخلت بموضع كذا، قال: قد فعلت وحقه لأعطيتك ما يليها وكان ذلك أصعاف ما طلبه الرجل.

وكان أبو مرشد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيت ولكن قد مني إلى العاصي وأدع علي عشرة آلاف درهم حتى أفر لك بها ثم أحسني وإن أهلي لا يتركوني محسوساً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرشد من لحس.

وكان معن بن رائدة عاملاً على العراقيين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدحول على معن فلم ينهياً له فقال يوماً لمعن خدم معن: إذا دخل الأمير البصرة فمر فمي، فلما دخل أعلمه فكذب الشاعر بنتاً على حشمة وألقاها في الماء، ألذي يدخل بستان معن، وكان على رأس الماء فلما نصر بالحشمة أحندها وقرأها

(١) مطالب لسؤوزاب جوده وكرمه ١٩٩٦ ص ٦٦. وهي كشف لعمه ص ١٦٦

فأدا فيها مكتوب

أيا حود من صاح معنا نحاحتني ٥ فعالي إلى معن سواك شفيع

قل : فقال من صاحب هذه ؟ فدعا بالرجل فقال له كيف قلت ؟ فقال له : فأمر له بعشرة ، سدراً فأحدها و وضع مع الحشوة تحت ساطه فلما كان اليوم الثاني حرجهم من تحت الساط وقرأ ما فيها و دعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم ، فلما أخذها الرجل تفكر و خاف أن يأخذ منه ما أعطاه ، و حرج فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها و دعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن : حق علي أن أعطيه حتى لا يسعي في بيت مالي درهم ولا دينار

و حرج عبد الله بن عمر بن كريب من المسجد يريد منزله و هو وحده ، فقام إليه غلام من ثعيب فمشى إلى حاسه فقال له عبد الله ألتك حاجة ؟ قال صلاحك و فلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أفيث بنفسي و أعود بالله أن يطراً بصاحاك مكرهه ، فأخذ عبد الله بيده و مشى معه إلى منزله ثم دعا له بألف دينار فدفعها إليه و قال استعق هذا فعم ما أربك أهلك

و حكى أن قوماً من العرب جاؤوا إلى قبر به من أسحيائهم للزيارة فبرلوا عند قبره و قد جاؤوا من سفر بعيد فأتوا عند قبره فمرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر و هو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك بنحبي . و كان قد خلف الميت نجياً معروفاً به و كان لهذا الرجل بعير سمين . فقال نعم و باع في اليوم بعيره بنحبيه فلما وقع بينهما العقد عند هذا الرجل إلى بعيره فحز في النوم فانتبه لرؤس رجل من رومه فأدا ينح الدم من بحر بعيره فقام و حزه و قسم لحمه فطحوه و قضاوا حاجتهم ثم رحلوا و ساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم ؟ - باسم ذلك الرجل - فقال أما ، فقال هل بعث من فلان شيئاً ؟ - و ذكر الميت صاحب القبر - قال : نعم بعث منه بعير بنحبيه في النوم و ذكر القصة فقال حد هذا بحيه ، ثم قال هو أبي و قد رأيته في النوم و هو يقول : إن كنت أبي فأدفع بنحبي إلى فلان بن فلان و سماء

و قدم رجل من قریش من سعر فمرّ برجل من الأعراب على قارعة الطريق
وقد أقعد الدّهر وأصره المرض فقال له يا هذا أعبّ على الدّهر فقال الرجل
لعلامة ما بقي من السمقة فادفعه إليه فصبّ العلامة في حجر الأعرابي أربعة آلاف
درهم فذهب بهنّ فلم يقدم من الصّف وسكى فقال الرجل ما يبكيك لعلك استقلت
ما أعطيك ؟ قال لا ولكن ذكرت ما ما كل الأرض من كرمك فأبكاني

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي مبيط داره التي في السوى
يتسمين ألف درهم فلما كان الليل سمع نكاح آل خالد فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا
يبكون لدارهم ، قال يا علام انتم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً

وقيل بعد هارون الرشيد إلى مالك بن أنس خمس مائة دينار فبلغ ذلك الليث
ابن سعد فبعد إليه ألف دينار فصعب هارون وقال أعطيه خمس مائة وتعطيه ألفاً وأب
من رعيتي فقال يا أمير المؤمنين إن لي في كل يوم من عتني ألف دينار و استحبيبت
أن أعطي مثله أول من دخل يوم ، وحكي أنه لم يحب عليه الرّكاة مع أن دخله كل
يوم ألف دينار .

وروي أن امرأة سألت الليث شيئاً من عمل فامر لها مرق فقبل له ؛ إنها
كانت تقع بأف من هذا ، فقال إنها سألت على قدّها وتعطيا على قدر النعمة عليها .
وكان الليث بن سعد لا يشكّل كل يوم حتى ينصدّق على ثلاثمائة وستين مسكيناً .
وقال الأعمش اشتكت شاة عندي و كان حينئذ من أبي عبد الرحمن يعودها
بالعادة و لعشيّ ويسألني هل استوفيت عليها و كيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبها
و كان تحني لمد أحلس عليه فابدا حرج قال . حذ ما تحت اللبد ، حتى وصل إليّ
في علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من مرّة حتى تمتّيت أن الشاة لم تترأ .

وقيل مر من قيس بن سعد بن عباد فاستقطأ أخوانه فقيل له إنهم يستحبون
تملك عليهم من بدّين فقال . أخرى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر منادياً
ينادي من كان عليه لقيس حق فهو منه في حلّ قال فكثرت درخته بالعشي لكثرة
من رآه وعده .

و قال الشَّح أبو سعد الحر كوشي النيسابوري* سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشَّعبي المَخْزُومِي يقول كان بمصر رجلٌ عرف بأَن يجمع للعقراء شيئاً فولد لِعَصْمٍ ولدٌ قال فحُثَّتْ إليه وقلبه ولد لي مولودٌ وليس معي شيء ، فقام معي و دخل على جماعة فلم يفتح له شيء ، فحجَّ إلى قبر رجل كان يعرفه و جلس عنده و قال رَحِمَ اللهُ كَيْسَ نَعْمَلُ وَنَصْنَعُ وَ إِنِّي ذَرَبْتُ الْيَوْمَ وَ كَلَّفْتُ حَمَعةً دَفْعَ شَيْءٍ ، لَمَوْلُودٍ فَلَمْ يَتَقَوَّ لِي شَيْءٌ ، قَالَ ثُمَّ قَامَ وَأَخْرَجَ دِينَاراً فَكَسَّرَهُ بِتَصْفِينٍ وَ دَوَّلِي نَصْفَهُ وَقَالَ هَذَا مِنْ عِلَّتِي أَلَيْسَ يَفْتَحُكَ شَيْءٌ ، قَالَ ، فَخَذْتُهُ وَانصَرَفْتُ فَأَصْدَحْتُ مَا يَقُولِي بِهِ ، قَالَ وَرَأَى ذَلِكَ الْمُحْتَسِبُ بِلَاكَ اللَّيْلَةِ ذَلِكَ الشَّحَّصَ فِي مَامِهِ فَقَالَ سَمِعْتُ جَمْعَ مَا قُلْتَ ، لَيْسَ لَنَا إِذَنْ فِي الْحَوَابِّ وَلَكِنْ أَحْصِرْ مِرْلِي وَ قُلْ لِأَوْلَادِي يَحْمَرُوا مِثْلَ الْكَأْبِ وَ يَحْرَحُوا قَرَابَهُ فِيهَا حَمَمَتُهُ دِينَارٌ فَاحْمِلُهَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ، قَالَ فَلَمَّا ذَاكَ الْعَدَمُ دَخَلَ مِرْلِي طَائِبٌ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَعَالَوْاهُ مِرْلِي ، وَحَفَرُوا لَهُ صُحْباً وَأَحْرَحُوا الدَّيَّانَةَ وَحَوَّوْا بِهَا وَوَضَعُوهَا فِي يَدَيْهِ فَقَالَ هَذَا مَا لَكُمْ ، لَيْسَ لِي رُؤْيَايَ فِيهِ حُكْمٌ فَعَالُوا ، هُوَ يَسْحَتِي مَتْنًا وَ يَحْرُ لَا يَسْحَتِي أَحْيَاءُ فَلَمَّا أَتَوْا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيَّانَةِ وَحَاجَّ إِلَى الرَّجُلِ صَحْبُ الْمَوْلُودِ وَذَكَرَ لَهُ الْقِصَّةَ قَالَ فَأَخَذَ مِنْهَا دِينَاراً فَكَسَّرَهُ بِتَصْفِينٍ فَأَعْطَاهُ لِنَصْفِ أَدِي أَفْرَصَهُ وَ حَمْلَ لِنَصْفِ الْآخَرِ ، وَ قَالَ يَكْفِي هَذَا بَدَقَ بِهِ عَلَى لِقَاءِهِ ، فَقَالَ أَبُو سَعْدٍ ، فَلَا أُدْرِي أَيُّهُمَا هُوَ أَشْحَى

وَ أَمَّا رَجُلٌ صَدِيقٌ وَقِيَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ لِمَ حُثِّمْتِي ؟ قَالَ عَلَيَّ أَرْبَعُمِائَةٍ دِينَارٌ دِينًا ، فَأَوْسَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَأَحْرَحْتُ إِلَيْهِ وَعَادَ يَسْكِي فَقَالَتْ أُمُّهُ لِمَ أُعْطِيتَ إِذْ شَقُّ عِلَّتِكَ ؟ فَقَالَ إِنَّمَا أَتَيْتُ لِمَ أُعْطِيَ حَالَهُ حَتَّى احْتَاجَ إِلَى مَعَانِيَتِي بِهِ .

❖ (بيان دم البعوض) ❖

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « مَنْ يَمُوتْ شَحًّا نَفْسُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَمْلُوحُونَ » (١) .
و قَالَ تَعَالَى « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ مِمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ حَيْرٌ أَلَمْ

بل هو شرٌّ لهم ميطوَّقون بما صخلوا به يوم القيامة ۝ (١).

و قال تعالى « ليس مخلوق » فهو ليس بالحي والخل و كقول ما أتيهم
 الله من فضله » (٧).

و قال رسول الله ﷺ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّهُ أَهْلُثَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »^١
على أن سمعوا دماءهم و مسحوا بها عنهم »^٢

وَقَالَ بَلَّغْهُ وَلَا تَدْرُ احْتِمَالَهُ بِحِيلٍ وَلَا حُسْنٍ وَلَا حُرْمٍ وَلَا سُبْحٍ اَمَّا كَذِبُهُ
وَقِي رَوَيْتُهُ وَلَا حُسْنٍ رُوِيَ عَنْهُ وَلَا سُبْحٍ^{١٢}

۹ فاب، مکتوبه و ملاک هر یک از شیخ محمد و شوی متبع و و اعلا ابهر.

و قال بطليموس : إن الله يعطي ثلاثة الشجر ابراهيمي ، و الجدل لمبار
و المعيل المختار ، (٦).

وقال **عليه السلام** : « مثل شفق الحمل كمثل حلو علمها حقيق من حديد من بدن نديها ما ابي اقمها فقد لمسه فلا يرضى الا تسب او يورث علي حانه حتى يرضى ربه . » ثم ابحل ولا يرضى شئ الا فليس وارث كل حبه مكاب حتى احسن بر ابيه فهو يومئذ يرضى عنه . »

(۱) آیه عمران ۱۷۷ (۲) ۱۷۸

(٣) أخرجه أحمد بن محمد وأبو حنيفة في الموطأ ومسلم في صحيحه والبيهقي

من حوادث حاصر من عبد الله في حديث كذا، في الدرر المشهور ج ٦ ص ١٩٦

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، بنحوه، ورواه غيره، قاله «ولا مانع» والترمذي

ج ٨ ص ١٤١ و ١٤٢ وفيه من ان جماعة تحت رقم ٣٦٩١ > لا تدخل اربعة سبي.
الملكة >

(٥) تقدم غير مبررة .

(٦) ما عثرت عنه في أي أصل إلا أن للطبراني في الأوسمة من حديث أبي

وَدَنَّ اللَّهُ لِعَيْنِ الصَّلَوةِ وَالشَّحْخُوشِ وَالْمَثَلِ الْمَحَالِ ۝ كَمَا فِي إِحْدَاهُمُ الْعَيْنِ

(٧) منعوه في المصححين البخاري ج ٢ ص ١٤٣ و مسند ج ٣ ص ٨٩ باحادي

في المجلد رقم ٢ من ٢٥٦ و ٣٨٩ و ٥٢٢ من حديث أبي هريرة

و قال ﷺ «حصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحل وسوء الحل»^(١).
و قال ﷺ «أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُكَ مِنَ الْحَلِّ ، وَأَعُوذُكَ مِنَ الْحَنْ ، وَأَعُوذُ
بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعَمْرِ»^(٢).

و قال ﷺ «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِيَّاكُمْ
وَالْمَعْشَى فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمَآخِشَ وَلَا الْمَمْعَشَتِشَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ فَإِنَّهَا أَهْلَتْ
مَنْ كَانَ قَلْبُكُمْ الشَّحَّ ، أَسْرَهُم بِالْكَدْبِ فَكَدَبُوا ، وَأَمْرَهُم بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا وَأَمْرَهُم
بِالْقَطْبَةِ فَقَطَعُوا»^(٣)

و قال ﷺ «شَرُّ مَا فِي الرَّحْلِ شَحٌّ هَالِعٌ وَحَسٌّ حَائِعٌ»^(٤)
و قُتِلَ شَهِيدٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُتِبَتْ بَاكِبَةٌ وَفَالَتْ وَاشْهَدَاهُ ، فَقَالَ
السِّيُّ ﷺ : «وَمَا يَنْدُرُكَ أَمَّا شَهِيدٌ فَلَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَحِبُّهُ أَوْ يَخْلُ بِنِسَاءٍ
لَا يَنْفُسُهُ»^(٥)

و قال حَبِيسُ مَطْعَمٍ بَيْنَا بَحْنٌ بَسِيرٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ الْبَسْمُ مَقْعَلَةٌ
مَنْ حَبِيسٍ عُلِقَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطُرَّوهُ إِلَى سَمَرَةٍ
فَحَطَمَتْ رِدَاهُ فَوَقَفَ فَقَالَ : «أَعْطَوْنِي رِدَائِي فَوَأْتِدِي بِنَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ عِنْدَ هَذِهِ
الْعِضَاءِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَحْدُونَنِي بِحَيَلٍ وَلَا كُدُوبًا وَلَا حِدَابًا»^(٦).

وَقَالَ مَرَّ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا فَعَلَتْ عَيْرُهُوْلَاءُ كَانُوا أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ فَقَالَ
«إِنَّهُمْ يَحْبِصُونَنِي بَيْنَ أَنْ يَسْأَلُونَنِي بِالْمَعْشَى أَوْ يَحْلُونَنِي وَلَسْتُ بِسَاحِلٍ»^(٧)

(١) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ١٤٦ من حديث أبي سعيد و قال عريب

(٢) أخرجه النسائي ج ٨ ص ٢٥٦ من حديث سعد و متفق عليه .

(٣) أخرجه الحاكم ج ١ ص ١١ باختلاف في النسخ من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ١٢ والبيهقي ، ذوالهلع ، وهو الصرع والغالب أي
الشديد ، كأنه يطلع فؤاده من شدة خوفه .

(٥) أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند صحيح . و قد تقدم ، و أخرجه

البيهقي من حديث أسد باختلاف يسير ك في الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٦

(٦) أخرجه البعاري و قد تقدم والنسائي ج ٦ ص ٢٦٣ .

(٧) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٠٣ من حديث عمر .

وقال أبو سعيد . دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسالاهما ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلعسهما عمر بن الخطاب فأثريا و قالا معروفاً وشكر أما صنع بهما ، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأحسره بما قالا ، فقال له رسول الله ﷺ لكر فلا مأ أعطسنة ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك ، إن أحدكم ليسألني فينطلق فيمسأله يتأسطها وهي نار ، فقال عمر : فلم تعطهم ما هو بار ؟ فقال : يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي الحل ، (١).

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ . « الحود من حود الله تعالى فحوتوا يجد الله تعالى لكم ، ألا إن الله خلق الحود فجعله في صورة رجل و جعل ألسنة راسخاً في أصل شجرة طوبى و شد أعصابها بأعصاب سدة المنهى و دلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق ببعض منها أدخله الجنة ، ألا إن السخاء من الأيمان و الأيمان في الجنة وخلق الحل من مقته و جعل ألسنة راسخاً في أصل شجرة الرقوم و دلى بعض أعصابها إلى الدنيا فمن تعلق ببعض منها أدخله النار ، ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار » (٢)

وقال رسول الله ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي ، و البخل شجرة تنبت في النار ولا يلج نار إلا بخل » (٣).

وعنه رسول الله ﷺ : أنه قال . « من سيدكم يا بني سلمة ؟ قالوا : سيدنا حد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل » . فقال النبي ﷺ . « وأي داء أدوى من البخل ولكن

(١) أخرجه أحمد وأبو موسى والزارعوه . ولم يغل أحد بهما «سألاه ثمن بعير» . و روى الرازم رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أساءتهم ثقات (المثنى) وقال في النهاية : فيه « أما والله إن أحدكم ليخرج سألته من هدى يتأسطها » أي يجعلها تحت إبطه .
(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس ولم يعرجه ولده في مستدرك الفردوس (المثنى) وكنوز العقاب للمناوي .

(٣) تقدم نحوه و ذكره صاحب الفردوس بلفظه من حديث علي بن فضال . ولم يعرجه ولده في مستدرك (المثنى) و أخرج نحوه البيهقي من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٧ .

سَدَّكُمْ عَمْرٍو مِنَ الْحُمُوحِ» ^(١)

و فِي رُوَيْهِ «إِنَّهُمْ قَالُوا سَدَّكُمْ حَدُّ بْنُ قَبَسٍ فَقَالَ بِمَ تَسُدُّوهُ؟ قَالُوا
إِنَّهُ أَكْثَرُ مَا لَا دِيْنًا عَلَيَّ ذَلِكَ لِسَهْمٍ دَخَلَ، فَقَالَ عليه السلام فَأَيُّ دِيْنٍ مِنَ
الْحِلِّ، لَيْسَ ذَلِكَ سَدَّكُمْ قَالُوا فَمَنْ رَدَّ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ سَدَّكُمْ بَشَرُ
ابْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ» ^(٢)

و قَالَ عَلِيُّ عليه السلام «وَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله «إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَدِّ فِي حَيْثُ السَّحْيِ
عَبْدُ مَوْهٍ» ^(٣)

و عَنْهُ عليه السلام «السَّحْيُ الْجَهْلُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْعَدْلِ لِحَسَنِ» ^(٤)

و عَنْهُ عليه السلام «لَا يَجْمَعُ الشَّعْ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ عِنْدَ» ^(٥)

و قَالَ عليه السلام أَيْضًا «حَصْلَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مَوْءٍ مِنَ الْحَدِّ وَسُوءُ الْخَلْقِ» ^(٦)

و قَالَ عليه السلام «لَا يَسْعَى لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ حَيْلًا وَلَا حِيَانًا» ^(٧)

و قَالَ عليه السلام «يَقُولُ وَبَلَّكُمْ الشَّعْجُ أَعْدَمُ لَطَائِمَ» أَيُّ مُلِمٍ طَلِمَ عِنْدَهُ

مِنَ الشَّعْجِ حَلَبُ آتِهِ نَعْرَتُهُ وَعَظْمَتُهُ وَحَلَالُهُ لَا يَدْخُلُ لِحَسَنِهِ شَيْءٌ وَلَا يَحِيلُ» ^(٨)
و رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَطُوفُ بِأَسْبَاقِ رَحْلٍ يَنْتَقِلُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ

(١) أخرجه الصرامي في الأوسط وفيه أبو لرسع السمان وهو ضعيف كما في مجمع

الزوائد ج ٣ ص ١٢٦ .

(٢) أخرجه سعدكم ج ٣ ص ٢١٩ نافعا وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

و رواه الكليني في الكافي ج ٤ ص ٤٤

(٣) أخرجه يعقوب في تاريخه كما في تكملة الصغير

(٤) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ١٤٠ هكذا «بجاهل سعى أحب الحديث»

(٥) أخرجه الحاكم وصححه وأيضاً ابن أبي شبة والنسائي وأبو عبيد في الثمب

من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٦

(٦) أخرجه «رمسى ج ٨ ص ١٤١ وقد تقدم وهو مكرر في الباب

(٧) من لم يدر في له أصلاً وأقول وقد مر معصومه سابقاً

(٨) روى الكلبي نحوه في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام ج ٤ ص ٤٤

وهو يقول . بحرمة هذا البيت إلا عفرت لي نبي قال رسول الله ﷺ : وما ربك
صفه لي ، قال هو أعظم من أن أصفه لك . قال ويحك ذك أعظم أم الأرضون ،
قل بل دسي يا رسول الله ، قال ويحك ذك أعظم أم الحمار ؟ قال بل دسي يا
رسول الله ، قال فذك أعظم أم الحمار ؟ قال بل دسي يا رسول الله قال فذك
أعظم أم السماوات ؟ قال بل دسي يا رسول الله . قال فذك أعظم أم العرش ؟ قال بل
دسي يا رسول الله . قال فذك أعظم أم الله ؟ قال بل الله أعظم وأعلى وأجل ،
قال . ويحك صف لي ذك ، قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من مال ومن
السائل لندسي ليسألني فكأنما يستغنى بشعلة من نار فقال رسول الله ﷺ :
إليك عني لا تحرقني سداً فوالذي بيدي يدي و لكرامة لو قمت من أركم
و المعام ثم صلبت ألقى ألف عم و مكنت حتى تحرق من دموعك لأمر و نسقى
بها الأشجار ثم من و ثاب لثم لا كنت الله في ليد ، ويحك أم علم أن الحسن
كهر و ن ، الكهر في ليد ، ويحك أبا علم أن الله يقول « ومن يحل في ثما
يحل عن بعضه » « من يوق شح نفسه فأثبتت له أجره »

وقال علي عليه السلام في خطبه « أنه سألني لئلا يري أن عبوس بعض الموسر
على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى « ولا تسوا الغصن بينكم »^١
وقال عليه السلام . « ما استقصى كريم حقه قط » قال الله تعالى « عرف بعضه و عرس
عن بعض »^(٢)

الانوار قول ابن عباس لما خلق الله ما في حقه عدس قال له نبي

- (١) سورة محمد ٤٠ ، والعشر ١٠ من لير في هو هو لا أصل له
- (٢) ليس هذا الكلام من خطبه عليه السلام هو من حكمه وقد رى كلامه عليه السلام أوردته برص
رحمة الله في السج باب المختار من حكمه تحت رقم ٤٦٨ والنصوص - مع -
لتدبير والموسر العبي ، ومن على ما في يده أي بسكه ، ولا على خلاف ما أم الله
في قوله « ولا تسوا الغصن بينكم » أي الاحسان ك في هاشم السج والآله في سورة
القرة ٢٣٨٠

(٣) التحريم : ٤

فتركت ثم قال لها أطهري أنهارك فأظهرت عين السلسيل و عين الكافور و عين
التسنيم فتفجر منها في الحضر أنهار الحمر وأنهار العسل واللبن ، ثم قال لها أطهري
سررك و حذالك و كراسيك و حليك و حللك و حور عيك ، فأظهرت فطر إليها
فعال . تكلمي فقلت طوبى لمن دخلني فعال الله تعالى و عرني و جلالي لأسكنك
حبيلاً

و قيل لو كان النخل قميصاً ، لسته ، ولو كان طريقاً ماسلكه
و قيل ورد على أنوشروا حكم الهند و فيلسوف الروم فقال للهندي تكلم
فقال . خير الناس من أسمى سحماً ، و عند الغضب و قوداً ، و في القول متأنياً ، و في
الرقة متواضعاً ، و على كل ذي رحم مشفقاً . و قام الرومي فقال : من كان حبيلاً
ورث عدوّه ماله ، و من قل شكره لم ينل النجح ، و أهل الكذب مدمومون ، و أهل
النميمة يموتون فقراً ، و من لم يرحم سلط الله عليه من لا يرحمه
و قال الضحك في قوله تعالى **وَأَنبِئْهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ** (١) قال لأهل
النخل أمسك الله تعالى أيديهم عن المعصية في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى
و قال كعب ما من صابح إلا وقد وكل به الله ملكين يباذيان اللهم أجعل
للممسك تلعاً و للمنفق حلعاً

و قال الأصمعي سمعت أعرابياً و قد وصف رجلاً فقال لقد صغر فلان في
عيني نعطم الدنيا في عنقه و كأنما يرى السائل إدراة ملك الموت إذا أمه ،
و قال الجاحظ : ما بقي من الملمات إلا ثلاث . دمّ الجحلا ، و أكل القديد ،
و حنك الحرب

و قال بشر بن الحارث المحجل لأعبيته قال النبي ﷺ : **إِنَّكَ إِذَا الْخَيْلَ** (٢) .
و مدحت امرأة عبد النبي ﷺ فقالوا **صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ إِلَّا أَنْ فِيهَا بَخْلًا**
قال . و فما خيرها إذا (٣)

و قال بشر المظر إلى الخيل يعسي القلب ، و لقاء البخلاء كرب على قلوب

المؤمن

وقال يحيى بن معاذ - يأبى القلب للأسحيد - إلاً حباً ولو كانوا فجاراً وللحلال
إلاً بغضاً ولو كانوا أبراراً

وقال ابن المعتز - أبخل الناس بماله أخودهم بعرضه
ولقي يحيى بن زكريا ^(١) إبليس في صورته فقال له يا إبليس أحرمني
بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك؟ قال أحب الناس إلي المؤمن الحجيل،
وأبغض الناس إلي العاسق السحي، قالاه. لم؟ قال لأن الحجيل قد كفاني بخله.
و العاسق السحي أحاف أن يطلع الله عليه في سعائه فمعله، ثم وتي وهو يقول
لو لا أنك يحيى لما أخبرتك.

❖ (حكايات البخلاء) ❖

قيل كان بالنصرة رجل موسر يحبل فدعاه بعض حيرائه وقدم إليه طباهجة
ببيض ^(١) فأكل منها فأكثر وحمل يشرب الماء فاسفج بطنه وورل به الكرب والموت
فجعل يلتوي ^(٢) فلما أحده الأمر وصف حاله لطبيب، فقال لا بأس عليك ثقياً
ما أكلت، فقال هاه أنقبو طبهجة ببيض؟ أموت والله لأنتميتو طباهجة ببيض.
وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين فمطى التين بكسائه فجلس
الأعرابي، فقال له الرجل هل تحسن شيئاً من القرآن؟ قال نعم وقرأ
« والريثون وطور سين » فقال أين « والتين »؟ قال هوتحت كسائك.
ودعا بعضهم أحاً له ولم يطعمه إلى العصر شيئاً حتى اشتد جوعه وأخذ من
الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي أي صوب شتهي أن أسمعك؟
قال : صوت المقلبي.

ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخیلاً قبيح البخل فسئل

(١) الطماح - متح لها - طعام من نعم ويس قال الكرخي ولا يكون طيخاً

لان الطيخ ماله مرق وبه لحم أو شعير وأما الفلية اليابسة وبعوها فلا (المغرب)

(٢) لواء قتله و تناء و عطف بعبه على بعض.

سبب له كان يأنه - عه وقال له قائل صد لي مائتة فقال هي فتروا وصحبه
مفقورة من حب - بحشاش قال فمن يحصرها؟ قال الكرام الكائنون، قال
فيا كرم مع أحد؟ قال - بل الذئاب. فقال سوءه لك أنت حصنك وشوك
عرق؟ فقال إني والله ما أقعد على إبرة أحيط بها، فقال ألا استعرت منه؟
قال ولو مدت يدي من بعدد إلى النوبة مملؤاً إيراً ثم جاء حبرئيل وميكائيل
ومعهما يعقوب ^{عليه السلام} يصمرون عه إبرة ويسألونه أعربا إيتاها لتحيط به فمد يوسف
الذي قد من دبر ما فعل.

ويقول كان مروان بن أبي حفصة بحبلاً لا يأكل اللحم بحلاً حتى يعمر (١)
إليه فإدا فرم أرسل علامه فاشترى له رأساً فكله فقبل له برأه لا يأكل إلا لرؤوس
في الصيف والشتاء فلم يخبر ذلك؟ قال نعم الرأس أعرف سعره فأمن حياته العلام
ولا يستطيع أن يعصي فيه وليس بلحم يطبخه العلام فيفند أن يأكل منه إن مس
عباً أو أدناً أو حراً أو وقع على ذلك، وكان كل من ألواناً آكل عينه لوناً وأدنه
لوناً وعلصته لوناً - دماغه لوناً ولسانه لوناً وأكفي مؤونة طمحه فقد اجتمعت لي
فيه مرافق - وخرج يوماً يريد الحديقة لمهدي فقلت له امرأة من أهله مالي عليك
إن رجعت بالحيثرة؟ قال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهماً فأعطي ستين ألفاً
فأعطها أرملة - ووافق (٢) واشترى مرء لعماً بدرهم فدعا صديق له فرد اللحم إلى
القضات بضعمان دابق وقال أكره الإسراف.

وكان للأعشى حمار كان لا يزال يعرض عليه الممرل فيقول لو دخلت فأكلت
كسرة وملحاً فيأني عليه الأعشى فيعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعشى فقال
سرب ودخل ممرله فمررت إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له رب الممرل: بورك
فك فأعاد عليه المسئلة فقال له - بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له إذهب وإلا
والله حارحت إليك بالعصا قال فناداه الأعشى فقال إذهب ويحك فلا والله مارأيت
أحداً أصدق مواعده منه هو بعد مدة يعادني على كثره وملح فلا والله مارأيت عليهما

(١) أي شبيهه والقرم - بالحرث - شدة شهوة اللحم وقد تقدم.

(٢) الدائق - يتبع النون - سدس الدرهم خمسة دوايق -

❖ (بيان الايثار وفضيلته) ❖

اعلم أن السخاء و الحل كل واحد منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجات
لسخاء الايثار ، وهو أن يحود بالعدل مع الحاجة إليه وإنما لسخاء عبارة عن بدل ما
لا يحتاج إليه لمحتاج أولعير محتاح و العدل مع الحاجة إليه أشد و كما أن السخاء
قد ينتهي إلى أن يسحو الإنسان على غيره مع الحاجة والحل قد ينتهي إلى أن
يحل على نفسه مع الحاجة ، و كم من يحل بمسك المال و يمرض فلا يتدوى ، و
يشتهي الشهوة فلا يصعه مبه إلا الحل بالثمن و لو وحدها محتاجاً لأكلها فهذا يحل
على نفسه مع الحاجة و ذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاح إلى ذلك .
فاطر ماس الرحلين فارس الأخلق عطايأ يصعها الله حيث يشاء ، و ليس بعد الايثار
درجة في السخاء و قد أثنى الله تعالى على الصلحة فقال « و يؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة » (١)

و قال ﷺ « أيتها امرئ، اشتهى شهوة فرد شهوة و آثر على نفسه
عمر له » (٢)

و قالت عائشة ما شعر رسول الله ﷺ بثلاثة أيام متوالية حتى فرق الدنيا
ولو شئت لشعنا ولكنا كنا يؤثر على أنفسنا » (٣)

و برل برسول الله ﷺ صيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدحل عليه رجل من
الأصهار فذهب به إلى أهله فوضع بين يديه الطعام و أمر امرأته باطعام السراح
و جعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الصيف الطعام ، فلما
أصبح قال له رسول الله ﷺ . لقد عجب الله من صبيعتكم إلى صبيعتكم البارحة ووزلت
« و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (٤) فالسجاء خلق من أحلاق الله تعالى

(١) البخر ١٠٠

(٢) أخرجه ابن حبان في الضعفاء و أبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عمر و قد

(٣) تقدم كراوة

تقدم

(٤) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٨٠ .

والإيثار أعلى درجات السخاء و كان ذلك من دأب رسول الله ﷺ حتى ساء الله تعالى عظيماً فقال تعالى : « وإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ »^(١)

وقال سهل بن عبد الله - قال موسى عليه السلام : يا رب أرني بعض درجات مجدك وعظمته قال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك لكنني أراك منزلة من منازل جليلة عظيمة فصلته بها عليك وعلى جميع خلعي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت أن تلتف نفسه من أنوارها وقربها من الله عز وجل فقال : يا رب بما دابلت به إلى هذه الكرامة ؟ قال : يخلق اختصاصه به من بينهم وهو الإيثار . يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحيته من محاسنه و هو أنه من حسني حيث يشاء .

وقيل - خرج عبد الله بن جعفر إلى صيغة له فمرل على تحيل قوم وفيها علام أسود يعمل فيها إذ أتى الملام بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الملام فرمى إليه الملام بقرص فأكله ثم رمى إليه بالنامي والثالث فأكله وعبد الله ينظر فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت به هذا الكلب ؟ قال : ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة حائماً فكرهت رده . قال : فما أنت صانع اليوم ؟ قال : أطوي يومي هذا . فقال عبدالله بن جعفر الملام على السخاء إن هذا الملام لأسحى مني واشترى الحائط والعلام وما فيه من الآلات وأعتق الملام ووجه له .

وقيل أهدى إلى الرحل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث إليه به فلم يرل يبعث به الواحد إلى الآخر حتى تداولته سبعة أبيات حتى رجع إلى الأول

وبات علي بن أبي طالب عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله تعالى إلى حننيل وميكائيل عليهما السلام : إنني آحيت بيكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأينكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة وأحبها . فأوحى

الله إليهما أفلا كتما مثل علي بن أبي طالب . إني آخيت بينه وبين سيبي عهد فبات علي فراشه يعديه نفسه و يؤثره بالحجارة ، اهبطا إلى الأرض و حفظاه من عدوه . فكان حبرئيل عند رأسه و ميكايل عند حليده و حبرئيل سادي يح من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ، فنزل الله تعالى : « ومن لاس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤوف بالعباد » (١) .

و عن أبي الحسن الأبطاكي أنه اجتمع عنده سبع و ثلاثون نفساً و كانوا في قرية بقرب الرمي و لهم أربعة معدودة لم تشع جميعهم فكسروا الرعاف و أطفؤوا السراح و جلسوا للطعام . فلما رفع الطعام في ذا الطعام بحاله و لم يأكل أحد منهم شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه . و روي أن شعبة جاءه سائل و لم يكن عنده شيء فمرع حشنة من سبف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه .

و قال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي و معي شيء من ماء و أنا أقول : إن كان به رمل سقينه و مسح به وجهه فإذا أنا به و به رمل فقلت : أسفيك فأشرك إلي أن نعم فإذا هم أن يشرب فإذا رجل يقول : آه فأشار ابن عمي إلي أن اطلق إليه به فحشنته فإذا هو هشام بن العاص فقلت : أسفيك فسمع به آخر فقال : آه فأشار هشام أن اطلق به إليه فحشنته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات .

و قال عمار بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها لا يشرب الحارث فإنه أثناء رجل في مرضه فشكى إليه الحاجة فزرع قميصه فأعطاه و استعار ثوباً فمات فيه .

(١) لاية في سورة لقمة ٢٠٣ و الحصر رواه الثعلبي في تفسيره و ابن عفة في مصبته و أبو السعادات في مسائل العشرة و جماعة من أصحابنا كابن بابويه و الكليني و الشيخ الطوسي و ابن عفة و الرقي و ابن عباس و المذكي و الصعوي و الثقفى بإسنادهم عن ابن عباس و أبي رافع و هند بن أبي هالة . راجع تفسير الرهان دليل الاية و أشار إليه ابن سعد في الطبقات ج ١ ص ٢٢٨ طبع بيروت ١٣٧٦ .

وعن بعض الصوفية قال كتب بطرسوس واجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب
الجهاد فسمعنا كلب من البلد قلمًا يلعب باب الجهد إذا نحن ندأمة ميتة فصعدنا
إلى موضع عال وقعدنا قلمًا بطر الكلب إلى الميتة ورجع إلى البلد ثم عاد بعد
ساعة ومعه مقدار عشرين كلبًا فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقع الكلاب على
الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعدٌ ينظر إليها حتى أكلت لحمه ومضيت العظام
ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل ما بقي على
العظم قليلًا ثم انصرف وقد ذكرنا حله من أحوال الأيتام وأحوال الأولاد في
كتاب الفقر والزهد فلا نعيده (١).

(٢) بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لذلك يقول قد عرف شوهد الشرع أن المحل من المهلكات ولكن ما حد
البخل ؟ وما ذا يصير الإنسان بخیلاً ؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيًا
وربما يراه غيره بخیلاً ، وقد يصدر فعل من إنسان فيحسب ليس فيه فيقول قوم
هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من المحل ، وما من إنسان إلا ويحد في نفسه
حدًا للمال ولا حله يحفظ المال ويمسكه فإن كان يصير بإمساكه المال بخیلاً
فإن لا يبعث أحدٌ عن المحل ، إذا كان الإمساك مطلقاً لا يوجب المحل ولا معنى
للمحل إلا الإمساك فما معنى المحل الذي يوجب الهلاك ، وما حد السخاء الذي
يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها .

فقول : قد قال قائلون حد المحل مع الواجب وكل من أدى ما يجب عليه
فليس بخیل وهذا غير كاف فإن من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب ولا يحسن إلى
الخباز يمتنعان حبة أو نصف حبة فإنه يعد بخیلاً بالاتباع وكذلك من يسلم إلى
عياله الفدر الذي يقرضه القاضي ثم يضايقهم في لعة رادوا عليها أو تمرة أكلوا من ماله
عد بخیلاً ، ومن كان بين يديه رعين فحصر من يطن أنه يأكل معه وأحماء عد

(١) كذا والصحيح أن يقال « ولا تعرض لذكرها » لأن كتاب الفقر والزهد يأتي
بعد ، ومن هاهنا أن المؤلف صنف كتاب الفقر والزهد فلا ولي الترتيب جعله كتاب
الرابع من ربح النجيات .

بخيلاً وقال قائلون . البخيل هو الذي يستصعب العطية ، وهو أيضاً قسراً في ربه
 إن أراد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحنة
 وما يقرب منها ويستصعب ما فوقها وإن أراد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من
 حود إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستعز جميع ماله أو المال العظيم وهذا
 لا يوجب الحكم بالبخل .

و كذلك تكلموا في الحود فقبل . الحود عطاء بلا منة وإسفاف من غير
 روية ، وقبل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التعليل ، وقبل الحود السرور
 بالسائل والفرح بالعطاء بما أمكن ، وقبل الحود عطاء على رؤية أن المال لله
 تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عند الله مال الله على غير رؤية العقر ، وقبل من أعطى
 البعض وأبقى البعض فهو صاحب السخاء ومن بدل الأكر وأبقى لنفسه شيئاً فهو
 صاحب حود ، ومن قاسى العسر وآثر غيره باللمعة فهو صاحب إيثار ، ومن لم يبدل
 شيئاً فهو صاحب بخل ، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والحود بل
 نقول . المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه
 عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بدله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف
 إليه ، ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث
 يجب البذل ، فالإمساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الإمساك
 تبذير ، وبينهما وسط وهو المحمود ، و ينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه
 إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء ، وقيل له : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
 ولا تنسطها كل البسط » ^(١) وقال تعالى . « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
 وكان بين ذلك قواماً » ^(٢) فالجود وسط بين الإقتار والإسراف وبين البسط والقبض
 وهو أن يقدر بدله وإمساكه بعذر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بحوارحه ما
 لم يكن قلبه طيباً به غير منازع له فيه فإن بدل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه
 وهو يصارحها فهو منسحق وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال

إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه

فإن قلت قد صار موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي يجب بدله ؟ فأقول
الواجب قسمين واجب بالشرع و واجب بالمرؤة و العادة ، و السحى هو الذي
لا يصنع واجب الشرع و لا واجب المرؤة ، فإن منع واحداً منهما فهو بحيل ،
ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبطل كالذي يمنع أداء الزكاة و يمنع أهله و عياله
المعقة أو يؤدّيها ولكن يشق عليه فإنه بحيل بالطبع و إنما ينسحق بالتكليف أو
الذي يتبسم العنيت من ماله و لا يطيب له أن يعطي من أطيب ماله أو من وسطه ،
فهذا كله بطل ، و أمّا واجب المرؤة فهو ترك المصايفة و الاستقصاء في المحفّرات فإن
ذلك مستقيم و استقبح ذلك يحتل في الأحوال و لأشخاص فمن كثر ماله يستفصح
منه ما لا يستفصح من الغنم من المصايفة و يستفصح من الرجل من المصايفة مع أهله
و أقاربه و عديقه ما لا يستفصح مع الأخت ، و يستفصح من الجار ما لا يستفصح مع
العبد ، و يستفصح في المصايفة من المصايفة ما لا يستفصح من ماله في المديعة ، المعاملة و يختلف
ذلك بمافي من المصايفة في صياغة أو معاملته و بما به المصايفة من طعام أو ثوب إذ يستفصح
في لأطعمه ما لا يستفصح في غيرها ، و يستفصح في شراء الكهن مثلاً أو شر ، لأصحية أو
شراء حنبر الصدقة ما لا يستفصح في غيره من المصايفة و كذلك يختلف من ماله المصايفة
من صديق أو زوج أو قريب أو روجه أو ولد أو أخت ، و بمن ماله المصايفة من صبي أو امرأة
أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير ، فالبحيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن
لا يمنع إمّا بحكم الشرع و إمّا بحكم مرؤة و ذلك لا يمكن التخصيص على مفاداره
ولعلّ حدّ البخل هو إمساك المال عن عرس ذلك لعرض هو أهم من حفظ المال
فإن صبيبة الذين أهم من حفظ المال ، فمائع الزكاة و المعقة بحيل و صياغة المرؤة
أهم من حفظ المال و المضايق في الدفايق منع من لا تحسن لمصايفة معه هاتك ستر
المرؤة لحب المال فهو بحيل ثم تنهى دمه أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدّي
الواجب و يحفظ المرؤة ولكن معه مال كثير فدفعه وليس يصرفه إلى الصدقات وإلى
المحتاجين فقد تقابل عرس حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان و عرس

لثواب ليكون رافعاً لدرجته في الآخرة فيمسك المال عن هذا لعرض يحصل عند
الأكبر وليس يحصل عند عوام الخلق وذلك لأن بطر العوام مقصور على خطوط
الدنيا فيرون بمسأكه لدفع نوائب الدنيا مهماتاً وربما يظهر عند العوام أيضاً سعة
يحل عليه إن كان في حوزة محتاج فمعه وقال قد أدت الركة الواحة وليس
علي غيرها ويختلف استفساح دلت باختلاف مدارماله و باختلاف شدة حاجة المحتاج
و صلاح دينه و استحقاقه فمن أدنى واجب الشرع و واجب المروءة اللاتفة به
فقد تراء من الحل ، نعم لا يتصف بصفه لحدود و السخاء ما لم يبدل زيادة على
ذلك لطالب الفصيلة و بيل الدرجات ، و إذا اتسع نفسه لنذل المال حيث لا يوجب
الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في لعدة فهو حود بعد ما تتسع له نفسه من قليل
أو كثير و درجات ذلك لا تحصر و بعض الناس أحوود من بعض ، فاصطاع المعروف
ور ، ما توجه لعدة ، و المروءة هو الحود ولكن بشرط أن يكون عن طيبة نفس
ولا يكون عن طمع و رحمة ، حذمه أو مكافأه أو شكر أو ثناء ، فإن من طمع في الشكر
و اشياء فهو باع وليس بحود فإياه يشتري المدح بماله و المدح ليد و هو مقصود
في نفسه و الحود هو بذل الشيء من غرور ، هذا هو الحفصة ولا يتصور ذلك إلا
من الله تعالى فمما آدعى فاسم الحواد عليه محار إذ لا يبدل الشيء ، إلا لعرض ولكن
إذا لم يكن غرضه إلا لثواب في الآخرة أو اكتساب فضله الحود و تطهير النفس
عن رذاله المحر فيسمى حواداً فإن كان الماعث عليه الخوف من الهج ، مثلاً أو من
ملامة الخلق أو ما يتوقعه من سخط يئله من المسم عليه فكل ذلك ليس من الحود
لأنه مضطر إليه هذه الموائع و هي أعوان معجلة له عليه فهو معاصر لا حواد
كما روي عن بعض المنعشات أنها وقعت على حسان بن هلال و هو حالس مع
أصحابه فقال ، ما السخاء عندكم ؟ قالوا - لطاء و البدل والإيثار ، قالت هذا
السخاء في الدنيا و السخاء في الدين ؟ قالوا - أن يعبد الله تعالى سحابة بنفسه غير
مكرهة ، قالت فتر يدون على ذلك أحرأ ؟ قالوا - نعم ، قالت ولم ؟ قالوا - لأن الله
وعدت بالحسنة عشر أمثالها ، قال سبحان الله فإذا أعطيت واحدة و أحدثت عشرة

فأي شيء يستحبتم عليه ؟ قالوا لها فما السجاء عندك يرحمك الله ؟ قالت: السجاء عندي من تعبد الله متبعين مثلك من بطاعته غير كارهين لا يريدون على ذلك أحرأحتي يكون موليكم بفعلكم ما يشاء ألا يستحبون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم بها أنكم تريدون شيئاً بشيء ، إن هذا في الدنيا لصحيح ، وقالت بعض المعتدات : أيجب أحدكم أن السجاء في الدرهم والدينار فقط ؟ قيل نعم ؟ قالت : السجاء عندي في امهح ، وقال المحاسني السجاء في الدين أن تسحو بعسث ثملها لله عز وجل ويسحو فذلك بدل مهجتك وإهراق دمك لله عز وجل سماحة من غير إكراه ولا ترديد بذات ثواباً عاجلاً ولا آخراً ، وإن كنت غير مستعني عن الثواب ولكن يعطى على طاعتك حسن كمال السجاء ترك الاحتبار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك .

❖ (بيان علاج البخل) ❖

اعلم أن البخل سبعة حب أحل ولحب المال سببان أحدهما حب لشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل ، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب ، وإن كان قصير الأمل ولكن كان له ولاد قام له الولد مقام طول الأمل فإنه يعدد بعباءهم كنفاء نفسه فيمست لأحلامهم ، ولذا قال **الشيخ** « الولد محلة محزنة مجهلة » ^(١) فإذا أضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمحيي الرزق قوي البخل لأحالة

السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه أبقيته عمره إذا اقتصر على ما حرت به عادته بنفقته وتفصل آلاف وهو شيخ ولا ولد له ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الركة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محباً للديار عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أويأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه أن يأكل منها

(١) أخرجه أبو يحيى من حديث أبي سعيد سعد ضعيف كما في الجامع الصغير

لي الآن بدله ولم آمن على نفسي أن تتغير . ولا يرول صفة الجحل إلا بالبدل
تكلماً كما لا يرول العشق إلا بمعارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر
و فارق تكلماً و صر عنه مدة تسلى عنه فله فكذلك الذي يريد علاج الجحل ينبغي
أن يفارق المال تكلماً بأن يذله ، بل لو دماه في الماء كان أولى به ^(١) من إمساكه إياه
مع الحب له ، و من لطائف الحيل فيه أن يحدد نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسحاب
فيبدل على قصد الرّيا ، حتى يسمح نفسه بالبدل طمعاً في حشمة الحود فيكون قد
أزال عن نفسه حيث الجحل ، اكتسب لها حيث الرّيا ، ولكن يعطى بعد ذلك على
الرّيا ، و يزيله بعلاجه ، و يكون طلب الاسم كالسلبية للسفر عند فطامها عن المال
كما قد يسلى الصبي عبدالمعظم عن الندي بالندي بالعصب بالعصاير وغيرها للجحل والألم
ولكن لينعك عن الندي إليه ثم ينتقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الحديثة
ينبغي أن يسلب بعضها على بعض كما تسلب الشهوة على العصب و تكسر سوادته بها
و يسلب العصب على الشهوة و تكسر دعوتها به إلا أن هذا معقد في حق من كان
الجحل أغلب عليه من حبّ الحياء و الرّيا ، فيبدل الأقوى بالأضعف ، فإن كان الحياء
محبوباً عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علته ويريد في الأخرى مثلها إلا أن
علامة ذلك أن لا يثقل عليه البدل لأجل الرّيا ، فذلك يتبين أن الرّيا ، أغلب عليه
فإن كان البدل يشق عليه مع الرّيا ، فيدعي أن يبدل فإن ذلك يدل على أن مرض
الجحل أغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقل من أن الميقت
تسحيل جميع أحرائه دوداً ثم يأكل بعض الديدان العصب حتى يقدر عندها
و يكرون ثم يأكل بعضهم بعضاً حتى يرجع إلى اثنين قوتين عظيمين ثم لا ير الآن
يتقاتلان إلى أن يعلب أحدهما الآخر فيأكله ويسمن به ثم لا يرال يبقى وحده حائماً
إلى أن يموت فكذلك هذه الصفات الحديثة يمكن أن يسلب بعضها على بعض حتى
يقمعها فيجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع العناية
بمحوها وإدابتها بالمجاهدة ، و هو مع القوت عبي ، و مع القوت عن الصفات
المدمومة أن لا يعمل بمقتضاها فإنها تقتضي لا محالة أعمالاً ودا حولت خدمت

(١) غير أنه حرام شرعاً .

الصعات وماتت مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صعة البخل وصار صعة البذل طعماً وسقط التبع فيه ، فإذن علاج البخل يعلم وعمل ، العلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ، والعمل يرجع إلى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يُعْمَى ويُصْمُ فيمنع تحقيق المعرفة بآفته وإدالته يتحقق المعرفة لم يتحرر الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة هزمنة كالمرس الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت ، ومن عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنهم من الاجتناس بزواياهم فكان إذا توهّم في مريد فرجه زأوته وما فيها نقله إلى زاوية غيره ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه ، وإذا رأى يلتفت إلى ثوب حديد يلبسه أو سحادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوباً خليقاً لا يميل إليه قلبه ، فهذا وبحوه تتجافى القلوب عن مناع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس الدنيا وأحبها فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ، ولذلك إذا سرق كد واحد منه أملت به مصيبة تقدر حبه له فإذا ماتت نرات به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه كل هو في حياته على حطر المصيبة بالعقد والهلاك

حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالحواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء عنده ، كيف ترى هذا قال : أراه مصيبة وفقر ، قال : كيف ؟ قال : إن كسر صارت مصيبة لا جبر لها ، وإن سرق صارت فقيراً إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر ، ثم اتفق أن كسر يوماً وعظمت مصيبة الملك فيه فقال : صدق الحكيم لينه لم يحمل ليناً وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار ، وعدوة لأولياء الله إذ تمنعهم بالصبر عنها ، وعدوة لله إذ تقطع طريقه على عباده ، وعدوة نفسها فإنه تأكل نفسها ، فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس ، والحرائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بدل الدراهم

والدَّ مانير قائِل يَأْكُل بَعْسَهُ وَيَضَادُّ دَانَهُ حَتَّى يَفْهَى وَ مِنْ عَرَفِ آفَتِ الْمَالِ لَمْ يَأْسَ بِهِ وَ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ وَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ إِلَّا قَدْرَ حَاجَتِهِ ، وَ مِنْ قَسَعِ بَقْدِ الْحَاجَةِ فَلَا يَحْتَلِ لِأَنْ مَا أَمْسَكَهُ لِحَاجَتِهِ فَلَيْسَ يَحِلُّ وَمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَلَا يَتَعَبُ بَعْسَهُ بِحِفْظِهِ وَبِذَلِّهِ ، بَلْ هُوَ كَالْمَاءِ عَلَى شَطِّ دَحْلَةٍ إِذْ لَا يَحِلُّ بِهِ أَحَدٌ لِقَاعِهِ النَّاسُ مِنْهُ بِمِقْدَارِ الْحَاجَةِ

❦ (بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله) ❦

اعلم أنَّ المَالَ كَمَا وَصَفَهُ حَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ وَ شَرٌّ مِنْ وَجْهِهِ وَ مِثَالُهُ مِثَالُ حَيَّةٍ يَأْخُذُهَا الرَّاقِي وَيُسْتَجْرَحُ مِنْهَا النَّبِيْقُ وَ يَأْخُذُهَا الْعَاقِلُ وَيَقْتُلُهُ سَمُّهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَنْدَرِي ، وَلَا يَخْلُو أَحَدٌ عَنْ سَمِّ أَحَدٍ إِلَّا بِالْمَحَافِظَةِ عَلَى حِمْسِ وَطَائِبِ الْأُولَى - أَنْ يَعْرِفَ مَقْصُودَ الْمَالِ ، - أَنَّهُ مَا دَاخِلِي ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْتَاجْ إِلَيْهِ حَتَّى يَكْتَسِبَ ، وَلَا يَحْفَظُ إِلَّا قَدْرَ حَاجَتِهِ ، وَلَا يَطْبِقُ مِنْ هِمَّتِهِ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّهُ

الثَّانِيَةُ أَنْ يَرَاعِيَ حَبْهَ دَخَلِ الْمَالِ وَحَسَبِ الْجَرَامِ الْمَحْضِ وَ مَا الْعَالِمُ عَلَيْهِ الْحَرَامُ كَمَا لَ السَّلَاطِينُ ، وَحَسَبِ الْأَجْزَاءِ الْمَكْرُومَةِ ، وَالدَّخْلَةِ فِي الْمَرْوَةِ كَالْهَدَايَا الَّتِي فِيهَا شَوَائِبُ الرُّشُوءِ وَكَالسُّؤْلِ الَّذِي فِيهِ لَذَنُوعٌ هَبْهُ إِذْ هُوَ مَا يَجْرِي مَحْرَامُ الثَّالِثَةُ - فِي الْمَقْدَارِ الَّذِي يَكْتَسِبُهُ فَلَا يَسْكُنُهُ هَدٌّ وَلَا يَسْعُلُ بَلِ الْقَدَرُ الْوَاحِدُ وَ مَعْيَارُهُ الْحَاجَةُ وَ الْحَاجَةُ مِلْسٌ وَ مَسْكَنٌ وَ مَطْعَمٌ وَلَكِنْ وَاحِدٌ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ أَدْنَى وَ أَوْسَطُ وَ أَعْلَى وَ مَا دَامَ مَائِلًا إِلَى حَبْهِ حَاسِبِ الْقَلَّةِ وَ مِقْدَارًا مِنْ حُدِّ الصَّرُورَةِ كَانَ عَقْدًا وَ يَحْبِيهِ فِي حِمْلَةِ الْمُحَقِّقِينَ فَإِنْ حَادَّوْهُ لَمْ يَوْعِ فِي مَاهِيَّةِ لَا أَحْرَ لِعَمَلِهَا ، وَوَدَّ دَكْرُ تَا تَفْصِيلِ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ فِي كِتَابِ تَرْهُدِ

الرَّابِعَةُ - أَنْ يَرَاعِيَ حَبْهَ الْمَجْرَحِ وَيَقْتَصِدَ فِي الْإِبْقَاءِ عَنِ مَسَدِّهِ وَ لَامَقَرَّتْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَضَعُ مَا أَكْتَسَبَهُ مِنْ حِمْلِهِ فِي حَقَّتِهِ ، لَا يَضَعُهُ فِي غَيْرِ حَقَّتِهِ ، فَإِنْ لَاقِيَ فِي الْأَخْذِ مِنْ غَيْرِ حَقَّتِهِ وَ الْوَضْعِ فِي غَيْرِ حَقَّتِهِ سَوَاءً

الْحَامِصَةُ - أَنْ يَصْلَحَ نَفْسُهُ فِي الْأُحْدِ وَالْبَرْكِ وَالْإِبْقَاءِ وَالْإِمْسَاكِ وَيَأْخُذَ مَا يَأْخُذُ لَيْسَتَبِي بِهِ عَلَى الْعِمَادَةِ ، وَ يَتْرَكَ مَا يَتْرَكَ رَهْدًا فِيهِ وَ اسْتِحْفَازًا لَهُ وَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّ وَ حُودُ الْمَالِ وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَحَدَ شَيْءٍ مَا فِي

الأرض وأراد به وجه الله فهو راهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله وليس
براهد، فلتكن جميع حرركاتك وسكناتك لله مقصورة على العبادة أو على ما يعين على
العبادة فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وفصل الحاجة وهم، معس على
العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار تاعده في حقك وكذلك يسعى أن يكون
بيتك في كل ما يحفظك من قميص وإراد و فراش وآية لأن كل ذلك مما قد
يحتاج إليه في الدين وما فصل من الحاجة يسعى أن يقصده أن يتفعله عند من عده
الله فلا يسمعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أحد من حبه أهل جوهرها
و تزيانها وانتهى سمتها ولا تضره كثرة المال ولكن لا يأتى ذلك إلا لمن رغب في
الدين قدمه وعظم فيه علمه ولعمري إذا شبه بالعالم في الاستكثار من المال ورغم
أنه يشبه الأغنياء من الصحابة وشبه شأن الصبي الذي يرى لمعلمه العزف فيأخذ
الحية وينصرف بها ليخرج تزيانها فيعتدي به وهو بطن أنه أحدها مستحسن
صورته وشكلها ومستلياً جلدها فأخذها أودب به فقتله في الحال إلا أن قيل
الحية يدري أنه قتل وقيل المال قد لا يعرف، وفي شبه الدبيب بالحية وقيل
هي دنيا كحبه تمت له ثم وإن كان المحسنه لآب

وكما يستحيل أن ينشئه الأعمى بالسير في المحض في الحال وأطرف
النهار والطرق المشوكة فمحال أن يشبه بعمى بالعلم الكامل في سائر المال

❦ (بيان ذم الغنى و مدح الفقر) ❦

إعلم أن الناس قد اختلفوا في تعجيل العني الشاكر على العني السامر .
وقد أوردنا ذلك في كتب الفقر والرشد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكن في
هذا الكتاب بدل على أن الفقر أفضل وأعلى من العني على الجملة من غير التفات
إلى تفصيل الأحوال فيه ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره حارث المحاسبي رحمه
الله . في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأعيان الصحابة
و بكثرة مال بعضهم وشبهه بعمى بهم ، والمحاسبي له قدم في علم المعاملة وله سبق
على أكثر الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأعوار العادات وكلامه

حديثاً بأن يحكى على وجهه و قد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء
 بلعنا أن عسى صلوات الله عليه قال : يا علماء السوء، تصومون وتصلون وتصدقون
 ولا تفعلون ما تؤمرون و تدرسون ما لا تعملون فباسوء ما تحكمون تتوبون بالقول
 و الأماهي و تعملون بالهوى ، و ما يعني عكم أن نقوا خلودكم و قلوبكم دسة ،
 بحق أقول لكم . لا تكونوا كالمجمل يجرح منه الدقيق الطيب و يبقى فيه النجاسة
 كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم و يبقى العلم في صدوركم ، يا عبيد الدنيا
 كيف يدرك الآخرة من لا يقضي شهوته من الدنيا و لا ينقطع منها رغبته . بحق أقول
 لكم : إن قلوبكم سكي من أعمالكم ، حملتم الدنيا تحت ألسنتكم و العمل تحت
 أقدامكم ، بحق أقول لكم أقصدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصالح الدنيا أحب
 إليكم من صلاح الآخرة ، فأي الناس أحسر منكم لو تعلمون ، ويلكم حتى منى
 نضعون الطريق للمدحجين و يقيمون في محل المتحشرين كأنكم تدعون أهل الدنيا
 ليتروكوها لكم مهلاً مهلاً ويلكم ما دأبني عن السئ المظلم أن يوضع السراح فوق
 ظهره و حوفه و حشر مظلّم ، كذلك لا يعني عكم أن يكون نور العلم بأفواهكم
 و أحوافكم منه و حشة معطلة ، يا عبيد الدنيا لا كعمد أتعاب ، ولا كأحرار كرام توشك
 الدنيا أن تلعنكم عن أصولكم فتلعنكم على وحوهكم ثم تكسكم على مباحركم ثم
 تأخذ خطاياكم بمواصبيكم ثم يرفعكم العلم من حلمكم حتى يسلمكم إلى الملك
 الديان عراة فرادى^(١) فوفقمكم على رؤاكنم ثم يحزبكم بسوء أعمالكم

ثم قال الحادث : إخواني هؤلاء علماء السوء شياطين لا يس و فتنة على الناس
 رعبوا في عرص الدنيا و رفعتها و آثروها على الآخرة و أدلوا الذين للدنيا فهم في
 العاجل عار و شر و في الآخرة هم الحاسرون أو يغفوا الله الكريم فصله ، و بعد فاني
 رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره مروح بالتعويض فيمتجّر عنه أنواع الهموم و همون

(١) أورده ابن شعبة في التلخيص باختلاف وفيه « حتى يسلمكم » أي الخطايا آخذة

بالتواصي ، و العلم رافضاً من الحلف يسلمكم الى ...

المعاصي وإلى التلف و النوار عصيره ، فرح الهالك برحائه فلم تنق له ديباه و لم
يسلم له دينه ، حسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين ، فيها من مصيبة
ما أقطعها ، و رزية ما أجلها ، ألا فراقوا الله إخواني ولا يمرتكم الشيطان و أولياؤه
من الإيس بالاحتجاج الداحضة عند الله ، فإنتهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلون
لأنفسهم المعادير و الاحتجاج ويرغمون أن أصحاب محمد عليه السلام كانت لهم أموال فيتريش
المعزورون بذكر الصحابة ليعندهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان و ما
يشعرون ، ويحك أيها المعنون متى رعت أن جمع المال الحلال أعلى و أفضل من
تركه فقد ازدريب محمد عليه السلام و المرسلين و سنتهم إلى قلة الرعة و الرهد في
هذا الخبر الذي رعت فيه أنت و أصحابك من جمع المال ، و سنتهم إلى الجهل إد لم
يجمعوا المال كما جمعت ، و متى رعت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد
رعت أن رسول الله عليه السلام لم ينصح للأمة إد نهاهم عن جمع المال الحلال ، و قد
علم أن جمع المال خير للأمة فقد عشتهم برعت حين نهاهم عنه كدست و رب السماء
على رسول الله عليه السلام لقد كان للأمة ناصحاً ، عليهم مشفقاً و بهم رؤوفاً ، و متى زعمت
أن جمع المال خير لهم ، أو رعت أن الله عز و جل لم يعلم أن الفصل في الجمع
ولذلك نهاهم عنه و أنت علم بما في المال من الخير و الفضل و لذلك رعت في
الاستكثار كأنك أعلم بمواضع الفصل و الخير من ربك تعالى الله عن جهلك ، أيها
المعنون بدتر ما دهالك به الشيطان حين ريت لك الاحتجاج بمال الصحابة و يحك
و ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف فلعل و د ابن عوف في القيامة أنه
لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً و لقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف ^(١) قال
ناس من أصحاب رسول الله عليه السلام يا نوحى على عبد الرحمن فيما ترك فقال
كعب سبحان الله و ما يحافون على عبد الرحمن كسب طيباً و أنفق طيباً و ترك
طيباً ، فبلغ ذلك أباذر - رضي الله عنه - فخرج معصاً يريد كعباً فمر بعظم لحي
يعبر فأخذه بيده ثم أطلق يطلب كعباً فعلم لكعب : إن أباذر يطلبك فخرج هارباً

حتى انتهى إلى عثمان يستعيث به وأحضره العبر ، فأقبل أودر - رحمه الله - يقتصر
 لأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف
 عثمان هاربة من أبي ذر ، فقال له أودر : هيه يا ابن اليهودية ترعم أن لا بأس بما
 ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً نحو أحد وأنا معه
 فقال : يا أبا ذر فقلت : لبيك يا رسول الله ، فقال : «الأكثر من هم الأقلون يوم
 القيمة إلا من قل هكذا وهكذا عن يمينه و شماله و قدأمة و خلفه و قليل ما هم
 ثم قال : يا أبا ذر قلب ، نعم يا رسول الله ما بي أنت و أمي ، قال : ما يسرني أن
 لي مثل أحد ذهبا أضعه في سبيل الله أموت يوم أموت و أترك منه قيراطين قلب أو
 قيراطين يا رسول الله ؟ قال : بل قيراطان ، ثم قال : يا أبا ذر و أنت تريد الأكثر
 و أما أريد الأقل ؟ فرسول الله ﷺ يريد هذا و أنت تقول : يا ابن اليهودية -
 لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ، كذبت و كذب من قال بقولك ، فلم يرد
 جواباً حتى خرج ^(١) و بعد فالعجب كل العجب لكل ممقون يتمرغ في محاليل
 الشهوات و السخب و يتكالب على أوساخ الدس و هو يتقلب في الشهوات و الرينة
 و لمباهاه و يتقلب في فتن الدنيا ، ثم يحتج بالصحة و لعمرى لقد كانت لبعض
 الصحابة أموال أرادوا بها التعفف و الدل في سبيل الله فكسبوا حلالاً ، و
 أنفقوا قصداً ، و قدموا فصلاً ، و لم يسمعوا من حفاً ، و لم يتخلوا بها ، لكنهم
 حادوا الله بأكثرها و حاد بعضهم بعضهم ، و في الشدة آثروا الله تعالى على
 أنفسهم كثير أفي الله أكدلت أنت إياك لبعيد التشبه بالقوم و بعد فإن أخيار الصحابة
 كانوا للمسكنة محبين و من خوف الفقر آمسين و بالله في أرزاقهم و اتقين و بمقادير الله

(١) قال لمراقى : الحديث متفق عليه و قد تقدم دون هذه الريادة التي هي أوله
 من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف «كسب طيباً و ترك طيباً» و انكار أبي ذر عليه
 السلام أفت على هذه الزيادة إلا في قول العارث المسامى بلعني كما ذكره المصنف (يعني
 أما حماد) و قد رواها أحمد و أبو علي أحضر من هذا و لعل كعب إذا كان قضى به حق الله
 فلا بأس به فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً و قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله
 يقول : «ما أحب لو كان هذا البعيل لي ذهناً» الحديث «و فيه من لبيمة» .

مسرورين ، و في اللأه راصين ، و في الرُحاه شاكِرين ، و في الصرَّاء صابرين ، و في
 السرَّاء حامدين ، و كانوا لله مواضعين ، و عن حبِّ العلوِّ و التكاثر ورعين ، لم يبالوا
 من الدُّنيا إلَّا المباح لهم ، و رضوا بالبلغة منها ، و رَحُّوا الدُّنيا ^(١) و صبروا على
 مكارهها ، و تجرَّعوا مرارتها ، و رَهَّدوا في بعيها و رَهْرَها ، فإلله أكَدْلِك أُنْت ؟ و بقَد
 بلعنا أنهم كانوا إذا أُقْبِلت الدُّنيا عليهم حاربوا و قالوا دَبُّ عَجَلْت عقوبته من الله
 و إذا رَأَوْ العقر مغبلاً قالوا مرحباً بشعر الصالحين ، و بلعنا أن بعضهم كان إذا أُصْحِج
 و عند عياله شيء أصبح كئيباً حزيناً و إذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً
 ففيل لهم إنَّ الناس إذا لم يكن عندهم شيء حاربوا و إذا كان عندهم شيء فرحوا
 و أنت لست كذلك فقال إِيَّيْ إِيَّيْ إذا أُصْحِجَت و ليس عندي شيء فرحاً إذا كانت لي
 بمحمد ^{صلى الله عليه و آله} أسوة و إذا كان عند عيالي شيء اعتممت إذا لم يكن لي بآل محمد ^{صلى الله عليه و آله}
 أسوة ، و بلعنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرُّحاه حاربوا و شفقوا و قالوا : ما لنا
 و للدُّنيا و ما يراد بها ، فكأنهم على حاسح خوف ، و إذا سلك بهم سبيل اللأه
 فرحوا و اسبشروا ، و قالوا ، لآلِ تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف و نعمتهم
 و فيهم من لفضل أكثر ممَّا وصفا ، فإلله أكَدْلِك أُنْت ؟ إِيَّاكَ ليعيد التشبه بالقوم
 و سأصِف لك أحوالك أيُّها المعتون صدقاً لأحوالهم و ذلك أنت تطعني عند العنى ،
 و تنظر في الرُّحاه ، و تمرح عند السرَّاء ، و تفعل عن شكر البعاه ، و تقبض عند الصرَّاء ،
 و تسخط عند اللأه . و لا ترصى بالقضاء ، نعم و تفض العقر و تأنف من المسكنة ،
 و ذلك فخر المرسلين و أنت تأنف من فقرهم و تدحر المال و تجمعهم خوفاً من الفقر
 و ذلك من سوء الظنِّ بالله تعالى و قلَّة اليقين بضعائه و كفي به إثماً ، و لعلَّك تجمع المال
 لبعيم الدُّنيا و رَهْرَها و شهواتها و لذَّاتها و لعلَّك أن رسول الله ^{صلى الله عليه و آله} قال . « شرار
 امتي الذين غدوا بالبعيم و تبت عليه أحسامهم » ^(٢) و بلعنا أن بعض أهل العلم قال
 ليحيى يوم القيامة قوم يطلبون حسناهم فيقال لهم . « أذهبتم طيباتكم في حياتكم

(١) ذبحه أي طمته . و بالشيء : رمى به .

(٢) أخرجه الحاكم بسند صحيح وقد تقدم .

الدُّنيا واستمتعتم بها ، وأنت في عملة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا
 وبإلها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والعز والرياسة في
 الدنيا وقد بلغنا أن من طلب الدنيا للتكاثر بها أوللتها حرق لقي الله وهو عليه عصار ،
 وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين أردت التكاثر والعلو ، نعم وعساك
 المكث عندك في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى حوار الله وأنت تكره لقاء الله والله
 للمقاتك أكره وأنت في عملة ، وعساك تأسف على ما فاتك من عرص الدنيا وقد بلغنا
 أن رسول الله ﷺ قال : « من أسف على دنياه اقترت من النار مسيرة سنة » (١)
 وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تفرح من
 دينك أحياءاً لتوفير دنياك وتفرح لإقبال الدنيا عليك وتترجح لذلك سروراً بها
 وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب الدنيا وسر بها ذهب حوى الآخرة
 من قلبه » (٢) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : إياك محاسب على الحزن على ما
 فاتك ومحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت تفرح بدنياك وقد سلطت
 الخوف من الله تعالى ، وعساك تعي بأموال دنياك أصعاف ما تعني بأموال آخرتك ،
 وعساك أن مصيبتك في معاصيتك في انتقام دينك أهون من مصيبتك في انتقام
 دنياك ، نعم وخوفك من دهاب مالك أكثر من خوفك من الدُّنْيَا ، وعساك تبدل
 للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرُفعة في الدنيا ، وعساك ترضى المخلوقين
 بمساحط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ، ويحك ! فكأن احتقار الله لك في القيامة أهون
 عليك من احتقار الناس إياك ، عساك تحمي من المخلوقين مساويك ولا تكترث بإطلاق
 الله عليك فيها فكأن النفسيحة عند الله أهون عليك من النفسيحة عند الناس ، وكان
 العبيد أعلى عندك قدراً من الله تعالى ، الله عن جهلك ، فكيف تنطق عند ذوي الأبواب
 وهذه المثالب فيك ، أوف لك تلووث في الأقدار تحتج بمال الأبرار ؟ هيهات ما
 أبعدك عن السلف والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل الله لهم أزهدهمكم فيما حرم

(١) أخرجه الرازي في مشيخته عن ابن هرو سدد ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٢) لمعارث بن أسد المعاصبي كما ذكره المصنف

عليكم إن^١ لّدي لا بأس به عندكم كان كالموبعات^(١) عندهم و كانوا للرّثة الصغيرة
أشدّ استعظاماً منكم لكناثر المعاصي فليتب أطيب مالك وأحلّه مثل شهاب أموالهم ، و
ليتّك أشعفت من سبقتك كما أشعفوا على حسباتهم أن لا نعل ، ليت صومث على مثل
إفطارهم ، وليت أحسادك في العدة على مثل فنورهم ونومهم ، وليت جمع حسباتك مثل
واحدة من حسباتهم ، وقد بلغني عن بعض الصحابة أنّه قال : عبيمة الصدّيقين ما فاتهم
من الدنيا وبهمهم^(٢) ما روي عنهم منها ، فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا
ولا معهم في الآخرة ، فسبحر الله كم بين العريض من التفاوت ، فريق حيار الصحابة
في العلوّ عند الله و فريق أمثالكم في السعالة أو يعقو الله الكريم بعصله ، وبعد فإن
رعمت أمّك متأسّ بالصحابه بجمع المال للتعقّف والبدل في سبيل الله فتدبّر أمرك
ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو حسب أمّك محتاط
في طلب الحلال كما احتاطوا ، لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كتما بدع سبعين ياباً
من الحلال محافة أن يقع في باب من الحرام ، أفنطمع من بعض في مثل هذا الاحتياط
لا وربّ الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأهل الرّثّة
مكيدة من الشيطان ليوقعك مسب الرّثّة في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت
و الحرام ، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « من اجتراً على الشبهات يوشك
أن يقع في الحرام »^(٣) أمّا المعروف أما علمت أن حووث من افتتاح الشبهات أعلى
و أفضل و أعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات و بدائها في سبيل الله و سبيل
الرّثّة ، بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهماً واحداً محافة أن لا يكون
حلالاً خير لك من أن تتصدّق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا ، فإن
رعمت أمّك اتقى و أوردع من أن تتلبس بالشبهات و إنما تجمع المال برعمث من

(١) أي المهلكات . (٢) أي مرط شهورتهم .

(٣) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٧٠ في حديث هكذا : « ومن اجتراً على ما يشك فيه
من الأثم أوشك أن يواقع ما استبان والمعاصي حتى أتى الله من يرتع حول المعنى يوشك أن
يوقعه » وأخرجه مسلم ج ٥ ص ٥٠ هكذا : « من اتقى الشبهات استراأ لدينه وعرضه ومن
وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » .

الحلال للذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما دعت بالعلم في الورع فلا تنزع من الحساب فإن خيار الصحابة حافوا المسائلة ، وبلغنا أن بعض الصحابة قال : ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشعلني الكسب عن صلاة الجماعة ، قالوا : ولم ذلك رحمت الله ؟ قال : لأنني عني عن مقامي يوم القيامة فيقول : عسدي من أين اكتسبت وفي أي شيء أنعمت . هؤلاء المنفقون كانوا في جنة الإسلام والحلال موحود لديهم تركوا المال وحلاً من الحساب مخافة أن لا يقوم حور المال شره وأنت من نعاية الأمة^(١) والحلال في دهرك مفعود ، تنكأ على الأوساخ ثم ترعم أنك تجمع المال من الحلال في دهرك ، ويحك أين الحلال فتجمعه ، وبعد فلو كان الحلال موحوداً لديك أما تخاف أن يتعبر عند العبي قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يعسد قلبه ، أفنطمع أن يكون قلبك أبقى من قلوب الصحابة فلا يرول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك لئلا طمنت ذلك لقد أحسنت الظن بعسك الأمارة بالسوء ، ويحك إنني لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلعة من العيش ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تنزع من الحساب فإنه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من نوقش الحساب عذب »^(٢) وقال ﷺ : « يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام فأنتفه في حرام فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفق في حرام فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حرام وأنفق في حلال فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى برجل جمع مالاً من حلال فأنتفه في حلال فيقال له : قب لعلك أصررت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها أو فرطت في شيء من ركوعها وسجودها وضوئها ، فقال : لا يارب كسبت من حلال وأنفق منه في حلال ولم أصيب شيئاً مما فرضت علي ، فيقال لعلك احتلت في هذا المال في شيء من مركب أو توب ناهيت به فيقول : لا يارب لم أحتل ولم أباه في شيء فيقال : لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى

(١) أي خبتها . (٢) متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم كراد .

والمساكين وابن السبيل؟ فيقول لا يا رب كسبت في حلال وأعقت في حلال ولم أصنع شيئاً مما افترضته عليّ ولم أحذل ولم أباذ ولم أصنع حق أحد أمرتي أن أعطيه قال فيحيي أولئك فيحاصمونه فيقولون : يا رب أعطينه وأعنيته وجماعته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا ، فإن كان أعطاهم وما يصنع مع ذلك شيئاً من العرائض ولم يحتل في شيء فيقال ، هب الآن هات شكر كل نعمه أنعمتها عليك من أكلة أو شرية أو لقمة أو لذة فلا يزال يسأل ^(١) ويحث فمن ألدي يتعز من لهذه المسائلة التي كانت لهذا الرجل ألدي يتقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدّى العرائض بحدودها حوسب بهذه المحاسبة فكيف تراه يكون حال أمثالك العرقى في فئ الدُّنيا وتحاليطها وشبهاتها وشهواتها وريشها ، ويحك لأجل هذه المسائلة يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدُّنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع الرِّث من كسب المال فلك ويحك هؤلاء الأخيار أئمة ، فإن أبيت ذلك ودمت أنك طليغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال إلا من حلال برعمت للتعقّب والبدل في سبيل الله ، ولم تنفق شيئاً من الحلال إلا بحق ، ولم يتعبّر بسبب المال قلبك مما يحب الله ، ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلايتك ، ويحك فإن كنت كذلك - ولست كذلك - فقد ينبغي لك أن ترعى بالبلغة وتعتبر بدوي الأموال إذا وقعوا للسؤال وتسق مع الرعيل الأول في زمرة المصطفى عليه السلام لا تحس عليك للمسائلة والحساب فاقاً سلامة وإما عطب قابله بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يدخل صعاييك المهاجرين الجنة قبل أغنيائهم بحمسمائة عام ^(٢) يا قوم فاستبقوا السباق مع المحققين في زمرة المرسلين وكونوا وحليين من التحلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما وحل المنقون ، ويحك فإن تحلّمت في القيامه عن المصطفى لنظر إلى أهوال حزعت منها الملائكة والأنبياء ، ولئن قصرت عن الساق فليطولن عليك اللحاق ، ولئن أردت الكثير

(١) قال العراقي : لم أقف له على أصل .

(٢) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢١٣ وابن ماجه تحت رقم ٤١٢٣ و ٢٤ من حديث

أبي سعيد وابن عمر بن الخطاب «مقرأ» مكن «صعاييك» .

لتصيرن^١ إلى حسب عسير . ولئن لم تقنع بالقابل لتصيرن^٢ إلى وقوف طويل وصرح
وعويل ، أما علمت أن برك لاشتغال المال و فرغ القلب بالذكر و التذكّر والمكر
و الاعتبار أسلم للذين و أسير للحساب و أحب للمسائلة و آمن من روعات يوم
القيامة و أحرل للثواب و أعلى لعندك عند الله ، أروح لبدنك و أقل لتعبك و أعم
لعيشتك و أرحي لبالك و أقل لهمومك . فما عندك في جمع المال ، أنت بترك المال
أفضل ممن طلب المال لأعمال البر^٣ . نعم شعلتك بذكر الله أفضل من بدل المال في
سبيل الله فاحمض لك^٤ أحة الدحل مع السلامة و الفصل في العاجل و بعد ولو كان
في جمع المال فصل عظيم لو حب عليك في مكلام الأخلاق أن تنأسي سبتك^٥ والتعبد
وترضى بما احتار لنفسه من محاسبة الدنيا و يحك تدبر بما سمع و كن على يقين^٦
السعادة والعور في محاسبة الدنيا فسر مع لو . المصطفى عليه السلام ساء إلى حصة الأدنى
فإنه بلغا أن رسول الله ﷺ قال : « سادات المؤمنين في لحمة من إدا ، بعدى لم
يحد عشاء ، و إذا استقر من لم يحد قرصاً و ليس له فصل كسوه إلا ما يواريه » لم يقدر
على أن يكتسب ما يعبه يمسى مع ذلك و يصح رصياً عن^٧ به و فأوتيك مع آدين
أنعم الله عليهم من المستر والصد يقو و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً^(١)
ألا يا أحي فمضى جمعت المال بعد هذا البيان فأنت مطلق فيما أدعيت أنك بلس^٨
و الفصل تحمعه لاولكتك خوفاً من الفقر بجمعه و التمتع والرؤية و الفجر و لتكثر
و العلو و الرية و السمعة و التعظم و التكرم بجمعه . ثم برغم أنك لأعمال البر^٩
تجمع المال و يحك راقب الله و استحي من دعواتها المعرور و يحك إن كنت معتوقاً
بحب الدنيا فكأن مفرراً^{١٠} الحير و الفصل في الرضا بالبلعة و محاسبة العصول ،
نعم و كن عند جمع المال مردياً على نفسك^(١١) . معبراً بآياتك ، و خلا من الحساب ،

(١) الآية في سورة النساء ٧٠ و لعبر غراء صاحب مسند الفردوس للطبراني

من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصراً لمعط « سادة الفقراء في الجنة العديد » و

قال العراقي : و لم أراه في معاجم الطبراني

(٢) من أزدى يزدى أى موهناً غشك .

فذلك أبحى لك وأقرب إلى الفصل من طلب الصحيح لجمع المال ، وقد بصحت
لكم إن قلتم ولعلهم لم يداق قليل ، وفقه الله وإياكم لكل حرره رحمه آخر كلامه
وفيه كفاية في إظهار فصل العقر على العبي ولا يريد عليه ، ويشهد لذلك جميع
الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب العقر والرهد ، ويشهد له
أيضاً ما روي عن أبي أمامة الساهلي أن ثعلبة بن حاطب^(١) قال : يا رسول الله ادع
الله أن يرزقني مالا قال : يا ثعلبة قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه ،
قال : يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا ، قال : يا ثعلبة أمالك في أسوة ؟
أما ترعى أن تكون مثلي ، أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الحال
دهماً وفضة لسارت ، قال : والذي بعثت بالحق نبياً لئن دعوت الله لي أن يرزقني
مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا فعلن ولا فعلن ، قال رسول الله ﷺ :
واللهم ارزق ثعلبة مالا ، فاتحد عنماً فميت كما يسمو الدود فضاقت عليه المدينة
فتنحى عنها فرل ودياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة
ويدع ما سواهما ، ثم مات وكثرت فتحن حتى ترك الصلاة في الجماعة إلا الجمعة
فسمى كما يسمي الدود حتى ترك الجمعة وطعن بلقي الرث كان يوم الجمعة فبستهم
عن الأخبار وسأل رسول الله ﷺ فقال : ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فعيل يا رسول
الله اتحد عنماً فصاقت عليه المدينة وأحضر يأمره كله ، فقال : يا ويح ثعلبة ، يا ويح
ثعلبة ، قال : وأمر الله تعالى : وحد من أموالهم صدقة تطهرهم وترزقهم بها وصل
عليهم إن صلوات سكرتهم^(٢) ، وأمر الله تعالى فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله
ﷺ رجلاً من حبيبه ورجلاً من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتاباً بأخذ
الصدقة وأمرهما أن يحرجا فيما حدا الصدقة من المسلمين وقال : مرأيت ثعلبة بن حاطب

(١) أخرجه العمري والدارودي وابن قانع وابن السكيت وابن شاهين عن أبي أمامة عن ثعلبة
ابن حاطب بسند صحيح كما في الجامع الصغير ج ٢ ص ٨٨ وأخرجه العسقلاني وابن السكيت
وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال وابن مده وأبو ميم في معرفة الصحابة وابن
مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي أمامة راجع الدرر المشهور ج ٣ ص ٢٦٠
(٢) التوبة ١٠٥ .

و بعلان رجل من بني سليم وحدا صداقتهما ، فخر حاجتي أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرءاه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما هذا إلا حريقا هذا الأحرية ما هذه إلا أخت الجرية ، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي ، فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام إلى حيدار أسار يبله فعزلهما للصدقة ثم استقلهما بها فلما رأوها قالوا لا يحب عليك هذا و ما يريد أن يأخذ هذا منك ، فقال : بلى خذوها نفسي بها طيبة وإنما هي لتأخذوها ، فلما فرعا من صداقتهما رجعا حتى مرّا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما فطرهيه فقال : هذا أخت الجرية انطلقا حتى أرى رأيا فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فلما رأهما قال : يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا لاسلمي ، فأخراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي ، فأمر الله تعالى في ثعلبة ومهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن^(١) ولنكوس^(٢) من الصالحين^(٣) فلما آتاهم من فضله يحلوا به و تولوا وهم معرضون فأعقبهم بفاقاً في قلوبهم إلى يوم ياقوم به ما أخلعوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون^(٤) ، و عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أمر الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة ، فقال : لا أم لك يا ثعلبة قد أمر الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى رسول الله ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال : إن الله معي أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله ﷺ هذا عملك أمرتك فلم تطعني ، فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله فلما قيس رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر فأبى أن يقبلها منه ، و جاء بها إلى عمر فأبى أن يقبلها و توفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان ، وهذا صبيان المال و شومه و قد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشوم العي أثر رسول الله ﷺ العقر لنفسه ولأهل بيته حتى .

روي عن عمر بن الخطاب بن حصين أنه قال : كانت لي من رسول الله ﷺ منرلة وحاه فقال يا عمر إن بن حصين إن لك عندنا منرلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ؟ فقلت : نعم بأبي أمت وأمي ، فقام وقمت معه حتى وقف بباب منزل

فاطمة و فرع الباب فقال السلام عليكم أأدحل؟ قالت: ادخل بأبي أبي وأمي^(١) يا رسول الله، قال: أباً وعن معي؟ قالت: ومن معك يا رسول الله قال قالت: والذي بعثك بالحق نبيّاً ما عليّ إلاّ عبادة قال: اصمعي بها هكذا وهكذا - وأشار بيده - فقالت: هذا حسدي قد وارىته فكيف برأسي فألقى إليها حلاّة كانت عليه حلقة فقال:

شدّي بها على رأسك ثم أدت له ودخل فقال: السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت؟ فقالت أصبحت والله وحة و رادي و حماً على ما بي أبي لست أقدر على طعام أكله فقد أحهدني الجوع، فكى رسول الله ﷺ فقال: لا تحرعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكمّي أثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: ابشري فوالله إنك لسيّدة نساء أهل الحّة، فقالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ فقال: آسية سيّدة نساء عالمها، ومريم سيّدة نساء عالمها، وحديجة سيّدة نساء عالمها، وأبي سيّدة نساء عالمك إنك في بيوت من قص لا أدى فيها ولا صاحب، ثم قال لها: اصمعي يا بن عمك فوالله لقد روحتك سيّداً في الدنيا وسيّداً في الآخرة^(٢)،

فاطر الآن إلى حال فاطمة وهي بصعة رسول الله ﷺ كيف أثرت الفقر وترك المال، ومن راقب أحوال الأنبياء ﷺ وأقوالهم وما ورد من أحبارهم وآثارهم لم يشك في أن وعد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الحيرات إد أقل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقّي من الشبهات والصرف إلى الحيرات اشتغال لهم بإصلاحه وإصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع العراع ولا عراع مع اشتغال البال.

وقد روي عن جرير عن ليث قال: صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال: أكون معك وأصحبك فاطلقا حتى أتيا إلى شاطيء نهر فجلسا يتقدّيان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلتا رغبين وبقي رغب فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع

(١) كذا (٢) أخرجه أحمد ج ٥ ص ٢٦ من حديث مفضل بن يسار باحتصار.

وقال العراقي: لم أجده من حديث عمران.

فلم يجد الرعيف فقال للرجل حل من أخذ الرعيف فقال - لا أدري فاطلق ومعه صاحبه
 ورأى طيبة و معها خشعار لها ^(١) فدعا أحدهما فأناه ودحجه فاشتوى منه فأكل هو
 وذلك الرجل ثم قال للحنثف قم ياد الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك
 بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرعيف ؟ قل لا أدري ، قال ثم انتهب إلى وادي
 ماء فأخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل حل فمشى على الماء فلما حذورا قال أسألك بالذي
 أراك هذه الآية من أخذ الرعيف ؟ قال : لا أدري ، قال - فانتبها إلى معارة فحلسا
 فأخذ عيسى صلوات الله عليه يجمع تراباً أو كئناً ثم قال كن دهاً بدين الله فصار
 دهاً فقسّمه ثلاثة أثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرعيف قال
 فإنا أخذت الرعيف ، قال فكلمه لك وفارقه عيسى عليه السلام ، وانتهى إليه رحلان في
 المعارة ومعه المال ، فأراد أن يأخذاه معه ويعتلاه فقال هوبيسا أثلاثاً ، فابعثوا
 أحداًكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاماً قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأني
 شيء أقاسم هؤلاء في هذا المال لكسي أصعب في هذا الطعام سمّاً فأقتلها فآخذ المال
 وحدي قال : ففعل وقال ذلك الرجل رحلان لأني شيء ، فجعل لهما ثلثاً ولكن إدرجع
 قتلاء واقتسماه المال بين ، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا
 فبقي ذلك المال في المعارة وأولئك الثلاثة فملى عنده ، فمر بهم عيسى صلوات الله
 عليه على تلك الحال فقال لأصحابه هذه الدنيا فحذروها

وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يستمتع
 به الناس من دنياهم قد احتفروا قبوراً فإدا أصبحوا تعبدوا تلك القبور وكسوها
 وصلّوا عندها ورعوا القبل كما ترعى البهائم وقبض الله لهم في ذلك معاش من نبات
 الأرض ، فأرسل ذوالقرنين إلى ملكهم فقال له أحب الملك ذا القرنين فقال مالي
 إليه حاجة ، فأقبل إليه ذوالقرنين فقال له : أرسلت إليك لتأتينني فأبيت فما أنا
 قد حثت ، فقال : لو كانت لي إليك حاجة لأنتك ، فقال له ذوالقرنين - مالي أراكم
 على الحالة التي لم أر أحداً من الأمم عليها ؟ قال - وما ذلك ؟ قال : ليس لكم

(١) الحنثف شملت النعام المسحمة . ولد الطي أول ما يولد

دينار ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة واستمتعتم بهما ؟ قالوا . إنما كرهناها لأن أحدًا لم يؤت منها شيئاً إلا تأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه ، فقال : ما لكم قد احقرتم فوراً فإذا أصبحتم تعاقد بموها فكستموها وصليتم عندها ؟ قالوا . أردنا إذا نظرنا إليها وأعلمنا الدنيا معتنا فوراً من الأمل ، قال . وأراكم لا طعام لكم إلا القل من الأرض أفلا اتخذتم الهائم من الأنعام فاحتلتموها وركبتموها واستمتعتم بها ؟ فقالوا . كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها ورأينا في سات الأرض بلاعاً وإتسا يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأن ما جاور الحنك من الطعام لم يجد له طعاماً كائناً ما كان من الطعام ، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال . يا ذا القرنين أتدري من هذا ؟ قل لاومن هو ؟ قال . ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض وعشم^(١) و ظلم و عتا فلما رأى الله ذلك منه حسمه بالموت فصار كالبحر املقى فقد أحصى الله عليه عمله حتى يحزبه به في آخرته ، ثم تناول جمجمة أخرى نالية فقال . يا ذا القرنين هل تدري من هذا ؟ قال . لاومن هو ؟ قال : هذا ملك ملكته الله بعدة قد كان يرى ما يصع الذي قبله بالناس من العشم و الظلم و التحسر فتواضع و حشع الله عز وجل و أمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يحزبه به في آخرته ، ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال : وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين . هل لك في صحتي فتحدثك أحاً و وريراً و شريكاً فيما آتاني الله من هذا المال ؟ قال : ما أصلح لنا وأنت فيمكن ولاأر نكون جميعاً ، قال ذو القرنين : ولم ؟ قال . من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق ، قال . ولم ؟ قال . يعادونك لما في يديك من الملك و المال و الدنيا ، ولا أحد أحد يعاديني لرفضني لذلك ولما عدي من الحاجة و قلة الشيء ، قال . فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومدحظاً به

فهذه الحكايات تدل على آفات الغنى مع ما قدمنا من قبل ، و الله الموفق

(١) غشه أى ظلمه والعاشم . الظالم والتاسب .

لا رى^١ غيره ولا معبود سواه .

هذا آخر كتاب ذم المال من ربح المهلكات من المحبة البيضاء في تهذيب الإحيا ، و يتلوه إن شاء الله كتاب ذم الجاه والرياء ، و الحمد لله أولاً و آخرأ .

كتاب ذم الجاه والرياء

و هو الكتاب الثامن من ربح المهلكات من المحبة البيضاء في تهذيب الإحيا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله علام العيوب ، المطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كباثر الذنوب ، العالم بما تجتبه الضمائر من حفايا العيوب ، الصير بسرائر الميئات وحفايا الطوئيات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل و وفى ، و حلص عن شوائب الرياء و الشرك و صفا ، فإنه المنفرد بالملكوت و الملك ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، و الصلاة والسلام على نبي و آله و أصحابه المبرزين من الحيانة و الإفك و سلم تسليمأ كثيراً

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ «إن أحوف ما أحاف على أمتي الرياء و الشهوة الحفيفة»^(١) و الرياء من الشهوة الحفيفة التي هي أخفى من ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء و لذلك عجز عن الوقوف على عوائلها سما سره العلماء فصلا عن عامة العباد و الأتقياء و هو من أواخر غوائل النفس و بواطن مكائدها ، و إنما يبتلى بها العلماء و العباد المشغرون عن ساق الجدد لسلوك سبيل الآخرة ، فإنهم مهما قهروا أنفسهم و جاهدوها و فطموها عن الشهوات و صانوها عن الشبهات و حلوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الحوارح فطلت الاستراحة إلى التظاهر

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٠٥ وفيه «الشرك» بدل «الرياء» وصره بالرياء

بالخير وإظهار العمل والعلم فوحدت محلاً من مشقة المحاهدة إلى لذّة القول عند الحلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم ، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصّلت إلى اطلاع الحلق ولم تمنع بإطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقع بحمد الله وحده ، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وموقية الشهات وتحمله مشاق العبادات أطلعوا ألسنتهم بالمدح والثناء ، وبالعوا في التعريظ والإطراء ، ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام ، ونسّوا كوا مشاهدته ولقائه ، ورفضوا في بركة دعائه ، وحرصوا على اتساع رأيه ، وفاتحوه بالخدمة والسلام ، وأكرموا في المحافل عاية الأكرام ، وسامحوا في البيع والمعاملات ، وقدموا في المجالس ، وآثروا بالمطاعم والملابس ، وتماعروا له متواصين وانفدوا له في أغراضه موقرين فصابت النفس في ذلك لذّة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات واستحقرت فيه ترك المعاصي والهوان واسلات حشونه المواظبة على العبادات لا دراكهافي الباطن لذّة اللذات وشهوة الشهوات فهو يطن أن حياته بالله وعبادته المرضية وإتمام حياتها بهذه الشهوة الحبيبة التي تعمى عن دركها العقول النافذة القويّة ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومحتجب لمحارم الله والنفس قد أنطمت هذه الشهوة تريياً للعباد وتصنّعاً للحلق وفرحاً بما نالت من المنزلة والوقار وحسن الحال والاقبال ، واحبط بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال وأثمت اسمه وحريدة المذققين وهو يطن أنه عند الله من المقربين ، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ، وهواه لا يرقى منها إلا المعتبرون ، ولذلك قيل : آخر ما يحرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة ، وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شكة للشياطين وحب شرح القول في سببه وحقيقته ، ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته ، والحد منه ، ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان دَمَّ الشهرة وانتشار الصيت ، وبيان فضيلة الخمول ، وبيان دَمَّ الجاه ، وبيان معنى الجاه وحقيقته ، وبيان السبب في كونه محبوباً حباً أشدّ من حب المال ، وبيان أن الجاه كمال وهمي

وليس بكمال حقيقي ، وبيان ما يحمده من حبّ الجاه و ما يذمّ ، وبيان السبب في حبّ المدح والشاء و كراهية الذمّ ، و بيان العلاج في حبّ الجاه ، و بيان علاج حبّ المدح ، و بيان علاج كراهية الذمّ ، و بيان اختلاف أحوال الناس في الذمّ و المدح ، فهي اثنا عشر فصلاً منها تتشأ معاني الرياء فلا بدّ من تقديمها

❖ (بيان ذمّ الشهرة وانتشار الصيت) ❖

اعلم أنّ أصل الجاه هو انتشار الصيت و الاشتهار و هو مدموم بل ماحمود الغمولى إلا من شهره الله لشرف دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال : أنس قال رسول الله ﷺ : «حسب امرء من الشرّ أن يشير إليه بالأصابع إلا من عصمه الله» ^(١) و قال جابر بن عبد الله : قال رسول الله ﷺ : «يحسب المرء من الشرّ إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه و دنياه ، إن الله لا ينظر إلى صوركم و لكن ينظر إلى قلوبكم و إلى أعمالكم» ^(٢) و لقد ذكر الحسن للحديث تأويلاً لا بأس به إدرى هذا الحديث ف قيل له : يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال : إنّه لم يعن هذا إسماعى به المستدع في دينه و العاسق في دنياه .

و قال عليّ بن الحسين عليه السلام : «تبدّل ولا تشهر ، ولا ترفع شححك لتذكر وتعلم ، و اكنتم و اصمت تسلم تسرّ الأمرار و تعيط الفجار»

و قال إبراهيم بن أدهم : ما صدّق الله من أحبّ الشهرة و قال أيوب : والله ما صدّق الله عندئذ إلا سرّاً أن لا يشعر بكمائه و عن خالد بن معدان أنّه كان إذا

(١) أخرجه الطبراني في الاوسط سند به عبد العزيز بن حصيب و هو ضعيف كما

في مصبغ الرائد ج ١٠ ص ٢٩٦ و أخرجه البيهقي في الشعب كما في مشكلة المصايح ص ٤٥٥ و في المصايح للنقوى ج ٢ ص ١٨١ بأدنى اختلاف .

(٢) قال الترمذي هو غير معروف من حديث جابر أساه هو معروف من حديث أبي -

هريرة رواه الطبراني في الاوسط و البيهقي في الشعب سند به ضعف مقتصرين على أوله و رواه مسلم مقتصراً على الزيادة التي في آخره .

كثرت جلسته قام محافة الشهرة . وعن أبي العالية أنّه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . وعن الحسن قال حرج ابن مسعود يوماً من منزله فتبعه أناس فالتفت إليهم فقال عليّ م تنعوبني فوالله لو تعلمون ما أعلق عليه بأبي ما أتعنوني منكم رحلان . وقال الحسن إنّ حقيق النعال حول الرّجال قلّم عليه قلوب الحمقى ، وروي أنّ رجلاً صاحب عير في سعر فلما فارقه قال أوصني ؟ قال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشي إليّك وتسال ولا تسأل فافعل . وحرج أيّوب في سعر فتبعه ناس كثير فقال لولا أنّي أعلم أنّ الله يعلم من قلبي أنّي لهد كاره لحشيت المقت من الله . وقال معمر عاتقت أيّوب على طول قميصه . فقال إنّ الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره . وقال الثوري . كما واكرهون الشهيدين الثياب الحبيدة و الثياب الرديّة إذا الأبصار تمتدّ إليهما جميعاً . وقال رجل لشر بن الحارث أوصني فقال أحمل ذكرك ، وطيب مطعمك ، وكان حوشب يبيكي ويقول : بلغ اسمي مسجداً جامع وقال بشر : ما أعرف رجلاً أحبّ أن يعرف إلاّ ذهب ديبه و انتصح . وقال أيضاً لا يحد حلاوة الآخرة رجل يحبّ أن يعرفه الناس

٥ (سان فضيلة الحمل) ٥

قال رسول الله ﷺ : ربّ أشعث أغردي طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره . منهم البراء بن مالك (١)

وقال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : ربّ ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره . لو قال : اللهمّ إنّي أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٣٦ و ١٣٤ من حديث أبي هريرة : ربّ أشعث مدبوع دالا واب لو أقسم على الله لأبره . ولصحاكم ربّ أشعث أغردي طمرين نسوة أهل الناس لو أقسم على الله لأبره . وقال صحيح الاساد و لا يبي يم من العلية من حديث أس بنند صعب : ربّ ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند العاكم نحوه هذه الرّبادة و قال صحيح الاساد و قال المراقى في المسمى بل ضيعه

من الدنيا شيئاً» (١).

وقال عليه السلام : «ألا أدلكم على أهل الجنة؟ - كل ضعيف منضع لو أقسم على الله لأبره» ، وأهل النار كل متكبر جواط» (٢).

وعنه عليه السلام : «إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا نساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم ينصت لقولهم ، حوائج أحدهم تتلحح في صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم» (٣).

وقال عليه السلام : «إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ولو سأله درهماً لم يعطه إياه ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاه إياه ، ولو سأل الدنيا لم يعطه إياها ، وما منعها إياه إلا لئوانها عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره» (٤).

وعنه عليه السلام : «إن اليسير من الرياء شرك ، وإن الله يحب الأتقياء الأخفاء الذين إن عابوهم ينفذوا وإذا حصروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ينحون من كل غيراء مظلمة» (٥).

وقال محمد بن سويد : قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد رسول الله عليه السلام فبيناهم في دعائهم إدعاءهم رجل عليه طمران خلقتان فصلى

(١) راجع مجمع الروايات ج ١٠ ص ٢٦٤ وقار العراقي - أخرجه أبو مسعود الدبلي

في مسند الفردوس سند ضعيف .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٥٤ من حديث حارثة بن وهب ورواه الطبراني في

الوسط عن شيعه عداقه من محمد بن أبي مريم وهو ضعيف .

(٣) تقدم صدره وما عثرت على ذيله في أي أصل .

(٤) رواه الطبراني في الاوسط ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الروايات ج

١٠ ص ٢٦٤ .

(٥) أخرجه الطبراني والحاكم واللعط له وقال صحيح الاسناد وأخرجه ابن ماجه

تحت رقم ٣٩٨٩ وفي اسناده عداقه بن لبيبة وهو ضعيف .

ركعتين أو حرّ وفيهما ثمّ سبط يديه فقال : يا ربّ أفسحت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يردّ يديه ولم يقطع دعاءه حتّى تعشت السماء بالغيث وأمطروا حتّى صاح أهل المدينة من خوف العرق فقال : يا ربّ إن كنت تعلم أنّهم قد اكتبوا فادفع عنهم فسكّر ، وتمعّ محمد بن سويد صاحب المطر حتّى عرف منزله ، ثمّ بكّر عليه وخرج إليه فقال : إنّي أتيتك في حاجة ، فقال : ماهي ؟ قال : تحصّني بدعوة ، قال : سبحان الله أنت أمت و تسألني أن أخصّك بدعوة ، ثمّ قال ما الذي بلغك ما رأيت قال : أطعت الله فيما أمرني وبهاهي فصألت الله فأعطاني

و قال ابن مسعود : كونوا يتابع العلم ، مصابيح الهدى ، أحلاس البيوت ، سرج الليل ، حدد القلوب ، خلقا الثياب ، تعرفون في أهل السماء وتحفون في أهل الأرض .

و قال أبو أمامة : قال رسول الله ﷺ : وإنّ أغبط أوليائي عدو من حبيب الحاذق ووحط من صلالة أحسن عبادة ربّه وأطاعه في السرّ [والعلانية] و كان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع وصبر على ذلك ، قال : ثمّ نقر رسول الله ﷺ بيده فقال : عجلت منيته و قلّ ترائه و قلّت بواكيه ، (١) .

و قال العنبري : بلغني أنّ الله تعالى يقول في بعض ما يعنّ به على عبده . ألم أنعم عليك ؟ ألم أسرك ؟ ألم أحمل ذكرك ؟ .

وكان الحليل بن أحمد يقول : اللهمّ أحملني عندك من أرفع خلقك ، واحملني عند نفسي من أوضع خلقك ، واجعلني عبد الناس من أوسط خلقك

فهذه الأحبار والآثار تمرّ فك مدّة الشهرة وفضيلة الحمول و إنّما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزل في القلوب وحبّ الجاه هو منشأ كلّ فساد . فإن قلت : فأيّ شهرة تريد على شهرة الأنبياء ﷺ و أئمة العلماء ، فكيف فاتهم فضيلة الحمول ؟

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١١٧ و رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ١٤١

تحت رقم ٦ باختلاف فيه .

فاعلم أن المنعوم طلب الشهرة وأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد وليس بمنعوم ، نعم فيه فتد على الضعفاء دون الأقوياء ، وهو كالعريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإتهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم و أما القوي فالأولى أن يعرفه العرقى لينتلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

❦ (بيان دَمُ حُبِّ الجاه) ❦

قال الله تعالى . « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً » ^(١) جمع بين إرادة الفساد والعلو و بين أن الدار الآخرة للحالي عن الإرادين جميعاً ، وقال تعالى . « من كان يريد الحياة الدنيا و ريشها نوفاً إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبحسون » أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون » ^(٢) و هذا أيضاً متناول بعمومه لحُبِّ الجاه فإتد أعطى لذته من لذات الحياة الدنيا و أكثر رغبة من ريشها وقال عليه السلام . « حُبُّ الجاه و المثل يسنان المعاق في القلب كما يسن المني البقل » ^(٣)

و قال عليه السلام : « ما ذئبان ضاريان أرسلا في رغبة غنم بأكثر فساداً من حُبِّ الجاه و المال و الشرف في دين الرُّحْل المسلم » ^(٤) و قال عليه السلام . « إنما هلك الناس بتساع الهوى و حبِّ النساء » ^(٥) أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن عبدالله بن مسكن قال . سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول . « إيتاكم هؤلاء الرؤسا ، الذين يتراأسون هؤلاء ما

(١) القصص : ٨٣ . (٢) هود : ١٥ - ١٦ .

(٣) تقدم أول هذا المخطوط ص ٤٠ .

(٤) تقدم ص ٤١ و رواه الكليني في الكافي ح ٢ ص ٢٩٧ .

(٥) قال العراقي : لم أوه بهذا اللفظ .

خفقت النعال خلف رجلٍ إلّا هلك وأهلك » (١)

وعنه عليه السلام قال : « ملعونٌ من ترس ، ملعونٌ من همٌ بها ، ملعونٌ من حدث بها نفسه » (٢).

وعنه عليه السلام : « من أراد الرئاسه هلك » (٣).

و عن أبي الربيع الشامي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قول ، لي ويحدث يا أبا الربيع لا تطلب الرئاسه ولا تكن دئماً ولا تأكل من الناس ويفعرك الله ولا تقل فينا ما نقول في أنفسنا في نك موقوف ومستول لامحالة في كنت صادقاً صدقناك وإن كنت كاذباً كذبناك » (٤).

و عن محمد بن مسلم قال : سمعت أن عبد الله عليه السلام يقول : « أتراني لا أعرف خياركم من شراركم ؟ بلى والله وإن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه إنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي » (٥).

وفي الصحيح عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه ذكر رجلاً فقال له : « إنه يحب الرئاسه فقال : « ما دئان ساريان في عم قد نترق دعاؤها بأمر في دين المسلم من الرئاسه » (٦).

❖ بيان معنى الجاه وحقيقته ❖

إعلم أن الجاه والمال هما ركبا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها ، وكما أن العبي هو الذي يملك

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٩٧ وحق الارض كله صرب وكل صرب شيء هرب من خلق ، و يقال لمن ارتكب أمراً عظيماً : هلك - من باب التصيل - وأهلك (٢) الي (٤) المصدر ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٥) المصدر ج ٢ ص ٢٩٩ وقال المؤلف في الوافي أي من أحب أن يوطأ عقبه لابد أن يكون كذاباً أو عاجز الرأي لأنه لا يعلم جميع ما يسأل عنه ، فإن أجاب عن كل ما سئل فلا بد من الكذب وإن لم يجب عما لا يعلم فهو عاجز الرأي ، أو المعنى أنه لابد من الارض من كذاب يطلب الرئاسه و من عاجز يتبعه .

(٦) أخرجه الكشي راجع رجاله ص ٣١٣ .

الدَّيْمِزْ وَاِنْ رَأَاهُمْ أَي يَقْدِرُ عَلَيْهِمَا لِتَوْحِيدِهِمَا إِلَيْهِ لِأَعْرَاضٍ وَلِطَعْدٍ وَفَضْلٍ
الشَّهَوَاتِ؟ سَأَلَتْ حُطُوطُ لَيْسَ فَكَيْدُكَ وَهِيَ هِيَ الَّذِي يَمْلِكُ قُدُوبَ إِلَهٍ أَيْ
يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِ لِيَسْعَمَلَ بِوَسْطِهِ النَّاسُ فِي عُرْصَةٍ مَازِيَةٍ وَكَمَا أَنَّهُ
يَكْسِبُ الْأُمُورَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحَرْفِ وَالصَّاعِي فَكَيْدُكَ يَكْتَسِبُ قُلُوبَ الْحَقْلِ بِأَنْوَاعٍ
مِنَ الْمَعْمُولَاتِ وَلَا يَصِيرُ الْقُلُوبُ مَسْجُورَةً إِلَّا بِمَعَارِدِهَا وَالْعَفَاءُ فَكُلٌّ مِنْ أَعْتَقَدَ
الْقَلْبُ فِيهِ صَغِيرًا مِنْ أَوْصَافِ الْكَمَالِ يَفَادُ لَهُ وَيَسْتَحْزِرُهُ بِحَسَبِ قُوَّتِهِ وَمَعَارِدِهِ وَبِحَسَبِ
دَرَجَةِ كَمَالِهِ إِنَّهُ لَنْ يَنْبَغِيَ لَهُ شَرْطٌ أَنْ يَكُونَ أَوْصَفَ كَمَالًا فِي نَفْسِهِ مِنْ يَكْفِي
أَنْ يَكُونَ كَمَالًا عِنْدَهُ فِي أَعْيَادِهِ وَقَدْ يَعْصِيهِ إِلَهٌ كَمَالًا كَمَالًا وَيَدْعُو قَلْبَهُ
لِلْمَوْصُوفِ بِهِ أَنْ يَسْرُوقَهُ بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ فَإِنْ يَفَادُ الْقَلْبُ حَوْلَ الْقَلْبِ وَأَحْوَالُ
الْقَلْبِ بِمَعْنَى الْأَعْمَادِ لِلْقُلُوبِ وَعُلُومِهَا وَتَحْتَ أَلْفِهَا وَكَمَا أَنَّ مَحَبَّ الدِّينِ يَطْلُبُ مَلِكًا
لَا قِيَامًا بِأَعْيَادِهِ وَلَا يَسْرُوقُهُ إِلَّا حَرِيرًا وَيَسْتَعِيدُهُمْ وَيَمْلِكُ رَقَبَتَهُمْ
يَمْلِكُ قُلُوبَهُمْ ، بَلْ لَرُقُّ يَدِي يَطْلُبُهُ بِحَسَبِ إِيَّاهِ أَعْظَمُ لِأَنَّ الدِّينَ يَمْلِكُ الْعَبْدَ
وَهَرَأَ وَالْعَبْدَ مَنَاقِبَ طَبْعِهِ وَبِوَحْلِي وَرَأْيِهِ أَسْرَعَ عَنِ الطَّاعَةِ وَحَسْبُ الْحَدِّ يَطْلُبُ
الطَّاعَةَ لِمَا عَمَّا يَمْنَعِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا حَرِيرًا عَمِيدًا بِطَبْعِهِ وَالطَّوْعُ مَعَ الْفَرْحِ بِالْعَبْدِيَّةِ
وَالطَّاعَةِ فَمَا يَطْلُبُهُ طَالِبُ الْحَدِّ فَوْقَ مَا يَطْلُبُهُ مَالِكُ الرُّقِّ بِكَثْرٍ فَإِذَا مَعْنَى الْحَدِّ
فَدَمَ طَبْعُهُ فِي قُلُوبِ لَيْسَ أَيَّ اعْتِقَادِ الْقُلُوبِ لَيْسَ مِنْ نَعْوَتِ الْكَمَالِ فَمَنْ يَفَادُ
مَا يَمْتَدُونَ مِنْ كَمَالِهِ تَدْعُو لَهُ قُلُوبُهُمْ وَيَقْدِرُ إِذْ عَنِ الْقُلُوبِ يَكُونُ فَمَنْ يَدْعُو عَلَى أَرْبَابِ
الْقُلُوبِ يَقْدِرُ قُدْرَتُهُ عَلَى الْقُلُوبِ يَكُونُ فَرَحُهُ وَحَسْبُ لِحَدِّهِ فَمَنْ يَدْعُو عَلَى أَرْبَابِ
حَصْرَتِهِ وَلَهُ ثَمَرَاتُ كَالْمَدْحِ لَا يَطْرَافُ مِنَ الْمُعْتَقِدِ لِلْكَمَالِ لَا يَسْكَبُ عَنْ كَرَمِهِ يَعْتَقِدُهُ
وَيَسْبِي عَلَيْهِ وَكَالْحَدِّ مَعَهُ لَا يَدْعُو بِهِ لَيْسَ يَحْتَلِ سَبِيلَ نَفْسِهِ فِي طَاعَتِهِ بِمَعَارِدِهِ وَيَكُونُ
سَحَابًا يَمُوتُ أَعْبَدُ فِي أَعْرَاضِهِ وَكَالْأَشْرَارِ تَرَاهُ الْمُدْرِعَةَ وَالْتَعَظِيمَ وَالنُّوْقِيرَ الْمَفْتَحَةَ
بِالسَّلَامِ وَبِالسَّلَامِ لِيَصْدُقَ فِي لِحَدِّ قَلْبٍ وَتَقْدِيمِ فِي حَمِيصِ الْمَصْدَقِ فَمَنْ يَدْعُو عَلَى أَرْبَابِ
الْحَدِّ فِي الْقَلْبِ وَمَعْنَى فَمَنْ يَدْعُو فِي الْقَلْبِ اشْتِمَالُ الْقُلُوبِ عَلَى اعْتِقَادِ صِفَاتِ الْكَمَالِ
فِي الشَّخْصِ إِذَا يَعْلَمُ أَوْ عَادَةً أَوْ حَسَنَ خُلُقٍ أَوْ سَبَبَ أَوْ وَلايَهُ أَوْ حَمَلًا فِي صُورَةٍ أَوْ

قوة في بدن أو شيء مما يعتقد الناس كملاً فإن هذه الأوصاف كلها يعظم محلها في القلوب فتكون سبباً لقيام الجاه.

❖ (بيان سبب كون الجاه محبوباً بالطبع) ❖

❖ (حتى لا يخلو عنه قلب الانسان في المجاهدة) ❖

إعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوباً هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوباً بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في المقدار وهو أن تعلم أن الدرهم والدينير لا عرس في أعينهما إذا لا تصلح لمسكح ولا لمطعم ولا لملبس وإنما هي والحصى بمثابة واحدة ولكنها محبوبة لأنها وسيلة إلى جمع المحبات ودرية إلى قضاء الشهوات ، وكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك للعلوب وكما أن ملك الذهب والفضة بعيد فقدم ينوصل الإنسان به إلى سائر أغراضه وكذلك ملك القلوب الأحرار والقدرة على استبحارها بعيد فقدم على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ، وملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه الأول أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه وللعالم أو الرأى الذي تعرّض له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال يتيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للعلوب ومندولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الحسبي الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كبراً ولم يكن له جاه يحفظ ماله وإذا أن ينوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فإن الجاه آلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال أيضاً ، ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال ولذلك صار الجاه أحب.

الثاني هو أن المال معرض للبلوى واختلف لآفته يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراسة والجرائن ويتطرق إليه أخطار كثير وأما القلوب إذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات ، فهي على التحقيق حرائن

عقيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي العصب وأثبت الأموال العفاد ولا يؤمن فيه العصب والظلم ولا يسعى عن المرافعة والحفظ ، وأما حرائر القلوب فهي محمومة بأنفسها وذو الحياه في أمن وأمن من العصب والسرقة فيها ، نعم ، إنما تعصب القلوب بالنصرى وتضييع الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محذره فعله

الثالث أن ملك القلوب يسري وسمو ويريد من غير حاجة إلى نفع ومعاملة لأن القلوب إذا أدعت لشخص و اعتقدت كمانه تعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقد له غيره ويعتقد ذلك لقلب أيضاً له ولهذا المعنى يجب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا سخط في لأقطار قنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والعظيم فلا يزال يسري من وحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين ، ومما المال فمن ملك منه شيئاً فهو مالكه فقط ولا يعدد على اسمائه إلا نفع ومعاملة والحياه أبدأ في النفع بنفسه ولا مرد لنفعه ، والمال واقف ولهذا يعظم الحياه وادشر الصب واطلب الألسنة بالثب استحضرت الأموال في معاملته

فهذه مجاميع رحيحات الحياه على المال وإذا فصلت كثرت وحجوه الترحيح فإن قلب ولاشكال قائم في المال والحياه جميعاً فلا يسعى أن يحب إلا بسان المال والحياه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى حب المال ودفع المصالح معلوم كاللجوح إلى المجلس والمسكن والمطعم أو كالمجلى بمرس أو عمومة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال وحياه فحبه للمال والحياه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكسر الكنوز وادحار الدخائر واستكثار الحرائر وراء جميع الحاجات حتى لو كان ثامناً وادبان من ذهب لا تسعى وراءه مماثلثاً ، وكذلك يحب الإنسان اتساع الحياه وانتشار الصب إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعاً أنه فقط لا يظوها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليمسروه بمال أو ليعبوه على عرس من أعراضه ومع الناس من ذلك فاته يلتذ به عية الالتداد وحب ذلك ثابت في الطبع

و يكاد يبين أن ذلك جهل فإنه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة
فبقول نعم هذا الحب لا يبعث عنه القلوب وله سببان أحدهما حلي تدركه
انكافة والآخر حمي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأحماهما وأبعدهما عن
أفهم الأدكيا، فضلا عن الأعباء، وذلك لاستمداده من عرق حمي في النفس وطبيعة
مستكنة في الطمع لا يكاد يف يف عليها إلا المواقف، فاما السبب الأول فهو دفع ألم
الحواف لأن الشقيق بسوء الظن مولع والإسار وإن كان مكتنبا في الحال فإنه
طويل الأمل و يحظر سائله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره
فإذا خطر ذلك سائله حاج الحواف من قلبه ولا يدفع ألم الحواف إلا الأمل من الحصول
بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال حادثة فهو أبدا لشغفه على نفسه
وحبه للحياة بعد طول الحياة و يفقد محوم الحاجات و يفقد إمكان تطرق
الآفات إلى الأموال و يستشعر الحواف من ذلك فيطلب ما يدفع حوفه و هو كثرة
المال حتى إن أصيب بظائفة من ماله استعنى بالآخرى و هذا حوف لا يوقف له
عدد مقدار مخصوص من المال فلدن لم يكن لميله موقف إلى أن يملك جميع ما في
الدنيا ولذلك قال و لا يرضى «مسيومان لا يشعان مسهوم العلم ومسيوم المال»^(١) ومثل
هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة و العناء في قلوب الأعداء عن وطنه وبلده فإنه
لا يحلو عن تقدير سبب يرجعه عن الوطن أو يرجع أولئك عن أوطانهم إلى وطنه
و يحتاج إلى الاستعانة بهم و مهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا
بحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام العناء في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا
الحواف ، و أما السبب الثاني و هو الأقوى أن الروح أمر رباني وضعه الله تعالى
يد قال «و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي»^(٢) ومعنى كونه ربانيا
من أسرار علوم المكاشفة ولا رحصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله ﷺ ولكنك
قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمية كالأكل والوقوع ، و إلى

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وقد تقدم في العلم

(٢) الإسراء : ٨٨ -

صفات سعيته كالعتل والصرب والإيذاء ، و إلى صفات شيطانية كالسكر والحديعة
والإعواء ، و إلى صفات ربوبية كالسكر والعز والتعزير و طلب الاستعلاء ، وذلك
لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الأمر الرباني
يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرّد بالوجود على
سبيل الاستقلال فصا الكمال من بعوث الإلهية و صار محبوباً بالطبع للإنسان
والكمال في التفرّد بالوجود ، فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة ، فكمال
الشمس في أنها موحودة وحدها فلو كانت معها شمس أخرى كان ذلك نقصاً في
حقيقتها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرّد بالوجود هو الله تعالى
إذ ليس معه موحود سواء وإن مساواة من آثار قدرته لا قوام له بداته بل هو قائم به فلم
يكن موحوداً معه لأن المعية بوح المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان
في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته ، وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار
الآفاق ليس نقصاً في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوحود
شمس أخرى مساوية في الرتبة مع الاستعلاء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم
يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون داعياً فلا يكون مستعاً فإدأ معنى الربوبية
التفرّد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فاته بطبعه حب لأن يكون هو التفرّد
بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من إنسان إلا وفي ناطقه ما صرح به
فرعون من قوله «أنا ربكم الأعلى» ولكنه ليس بخدله محلاً ، وهو كما قال فإن
لعبودية فخر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ودئت للنفس لربانية التي
أوعا إليها قوله تعالى «قل الروح من أمر ربي» ولكن لما تجرت النفس عن درك
مستهى الكمال لم تستطع سبورها للكمال فهي تحته للكمال ومشتبهه له و ملتذة به
لدائه لا تسعى حر وراء الكمال فكل موحود فهو محب لدائه و لكمال دائه
ومعص للهلاك الذي هو عدم دائه أو عدم صفات الكمال من دته ، وإنما الكمال
بعد أن لم يسلم التفرّد بالوجود في الاستعلاء على كل الموحودات ، فإن أكمل
الكمال أن يكون وجود غيرك منك فإن لم يكن منك فإن تكون مستولياً عليه وصار

الارتملاء على لكل مخلوق بالطلع لانه يوح كماله كرم هو حور يعرفه فانه
 يحب دانه ويحب كماله به يندم بها إلا أن الاله يلا على شيء ليعرفه على
 لثبته فيه وعلى تعبيره بحسب الإله وكونه مسجداً لثبته به كتب ساء فأحب
 لا يسأل أن يكون به لاسيلاء على الأشياء ابو حور معه إلا أن الموحو يصعبه
 إلى ما لا يقبل البعبع في نفسه لانه يثق وبقائه في ما يقبل للغير ولكن لا يسوولي
 عليها قدومه الجمل كالأقلاق استواء كتب في مذكوب اسمه وان وهو في الملايكة
 وانحن و الساجد و ذلعيق و ايدج ما يحب التحمل و ليعبر إلى ما يقبل
 ليعبته قدره بعد كالأص و أخرائه ما يقدر من المعدن الذهب و ليعبر
 من جعلها قلوب الناس فاني فانيه للثبات العبر من حسرتهم و أحساد
 لحيوانات فإذا بصفت الموحودات إلى ما يقدر لانه على الصلوة و كالأرتملاء
 و إلى ما لا يقدر ان الله تعالى و الملايكة و السجود و حب أن يستولي
 على السماوات بالعلم و الإجابة و لاطلاق على ما يقدر و كالأرتملاء
 إذ المعلوم انهم به كالأهل من انهم و انهم لا يسوولي عليه فانيه
 أن يعرف الله و الملايكة و الأوتار و لكوا ذلك و حرم على الله و ملايكة
 الدمار و ليعبر ما لا أن لثبته يوح استواء عبيد لاسيلاء يوح كمال و همد
 به هي شفيق من عجز عن صفة عجيبة إلى ما يقدر به بق اصغره فمن كمن يعجز عن
 صنع الشطر يوح فانيه قد شتبه أن يعرف اللقب به و ان كلف و مع و ان يرى
 صفة عجيبة في الالهة أو السعد أو الفيل أو النمل أو ما يشاء في و ملايكة
 ليعبر والقصور عه لكته يشاء إلى ما يقدر كانه فهو متكلم بسبب ليعبر و مثله
 بكمال العلم إن علمه

و أمّا القسم الثاني وهو الأصناف التي يقدر الإنسان عليها فانه يحب
 بالطلع أن يسوولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كما يريد و هي قسمان أجساد
 و أرواح و لأحساد الدراهم و الدناير و الأصغرة فحب أن يكون قادراً عليها
 يفعل فيها ما يشاء من الرقع و الوضع و التسليمه شئ فاني ذلك قدرة و القدرة

كمال ، والكمال من صفات الربوبية ، و الربوبية محبوبة بالطبع ، ولذلك أحب الأموال و إن كان لا يحتاج إليها في ملسه و مطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر و العلة حتى يتصرف في أحسادهم وأشخاصهم بالاستحار و إن لم يملك قلوبهم فإنها رسمالم تعتقد كماله حتى يصير محبوباً لها و يقوم المهر منزلة فيها فإن الحشمة القهرية أيضاً لذينة لما فيها من القنطرة .

القسم الثالث نفوس الآدميين و قلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء و قنطرة عليها لتكون مسخرة له منصرفه تحت إشارته وإرادته لما فيها من كمال الاستيلاء ، والنشبة بالصفات الربوبية ، والقلوب إنما تتسحر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فإن كل كمال محب لأن الكمال من صفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان و هو الذي لا يلبس الموت فيبعده و لا يتسلط عليه التراب فيأكله لأنه محل الإيمان و المعرفة ، و هو الواصل إلى لقاء الله و الساعي إليه ، فإذا معنى الجاه تسحر بالطلوب و من تسخرت العلوب له كانت له قنطرة واستيلاء عليها والقنطرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فإذا محبب القلب بطبعه الكمال بالعلم و القنطرة ، و المال والجاه من أسباب القنطرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات و مادام يبقى معلوم أو معذور فالشوق لا يسكن و النقص لا يزول فلذلك قال **وَاللَّهِ** : « منهومان لا يشعان » فإذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقنطرة ، و تفاوت الدرجات فيه غير محصور ، فمرور كل إنسان و لذته بقدر ما يدركه من الكمال ، فهذا هو السبب في كون العلم و المال والجاه محبوباً ، وهو أمر وراء كونه محبوباً لأجل التوصل به إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات ، بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يبعث عليه جملة من الأغراض و الشهوات ولكن الطبع يتقاصى طلب العلم في جميع العجائب و المشكلات لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال

الذي هو من صفات الربوبية و كان محبوباً بالطبع ، إلا أن في حب كمال العلم و القدرة أغاليط لا بد من بيانها .

*) بيان الكمال الحقيقي و الكمال الوهمي الذي لاحيقه له (

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملنس بالكمال الوهمي و بياحه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه ؛ أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فإنه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العدد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى

والثاني من حيث تعلّق العلم بالمعلوم على ما هو به و كون المعلوم مكشوفاً به كشفاً تاماً فإن المعلومات مكشوفة لله سبحانه بأنهم أنواع الكشف على ما هي عليها ولذلك مهما كان علم العبد أوضح و أتقن و أصدق و أدق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى .

الثالث من حيث مقام العلم أبداً بحدّ لا يتغيّر ولا يبرول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغيّر و يبرول و كذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التعمّر والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى ، والمعلومات قسمان متغيّرات وأزليات أمّا المتغيّرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فإنه علم للمعلوم ولكنه يتصور أن يحرح زيد من الدار و يبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلاً فيكون نقصاً لا كمالاً فكأن ما اعتقدته اعتقاداً موافقاً و تصوّر أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصد أن يعلم كمالك نفساً ويعود علمك جهلاً ، ويلتحق بهذا المثال جميع متغيّرات العلم كعلمك مثلاً بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال و القراسح و سائر ما يذكر في المسالك و الممالك و كذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغيّر بتغيّر الأعصار و الأمم و العادات فهذه علوم معلوماتها مثل الريق يتغيّر من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال و لا يبقى كمالاً في القلب ، و المسم الثاني هي المعلومات الأزلية و هو جواز الحائزات ، و وجوب الواحات ، واستحالة المستحيلات ، فإن هذه معلومات أزلية

أندية إذا لا يسبحيل الواحد قط حائر ولا الحائر محالاً ولا المحال حياً وكل هذه الأقسام ، حله في معرفه الله تعالى وما يحب له وما يسبحيل في صفاته و يحور في أفعاله فالعلم بالله تعالى و صفاته و أفعاله و حكمته في ملكوت لسماء و الأرض و ربسب لدنيا و الآخرة و ما يتعلق به عو الكمال الحقيقي الذي يعرف من يتصف به من الله تعالى و يبقى كمالاً للنفس بعد الموت و يكون هذه المعرفة نوراً للمعارف بعد الموت يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أئمن لنا نوراً أي يكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف عالم يكشف في الدنية كما أن من معه سراح حقي فإنه يحور أن يصير ذلك سماً لريده النور سراح آخر يفتن من يكمل النور بذلك النور لحقي على سبيل الاستتمام و من ليس معه أصل السراح ولا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفه الله سبحانه لم يكن له مطمع في هذا النور فسمى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لحتي يمشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فإذا لا سعادة إلا في معرفة الله تعالى فاما ما عدا ذلك من المعارف فمما مالا فائدة فيه أصلاً كمعرفة الشعر و أسب العرب و غيرها و مما ماله منفعة في الإعادة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والعقد و الأحبار ، فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ، معرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كبريائه العبادات و الأعمال التي تعبد تر كية النفس ومعرفة طريق تر كية النفس يعيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله تعالى كما قال الله عز وجل « قد أفلح من ركبها » ^(١) قال « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ^(٢) فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تخليق معرفة الله تعالى وإسماء كمال في معرفة الله ومعرفة صفاته و أفعاله ، و يطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالوجودات و الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله و من حيث أرسطط بالقدرة و الإرادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم

[illegible]

بالشهوات و عدم الانقياد لها كمالاً ككمال العلم و كمال الحرّية و أعني به عدم
العبوديّة للشهوات و إرادة الأسباب الدنيويّة و كمال القدرة للعبد طريق إلى
اكتساب كمال العلم و كمال الحرّية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة المأقمة
بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال و على استحجار العلوب و الأبدان تنقطع
بالموت و معرفته و حرّيته لا تعتمدان بالموت بل تميّنان كمالاً فيه و وسيلة إلى
القرب من الله تعالى .

فانظر كيف انقلب الجاهلون و اكسوا على وجوههم انكباب العميس فأقبلوا
على طلب كمال القدرة بالمال و الحاء و هو الكمال الذي لا يسلم و إن سلم فلا
بقاء له و أعرضوا عن كمال الحرّية و العلم الذي إذا حصل كان أدبيّاً لا انقطاع
له و هؤلاء هم الذين اشترىوا الحياة الدّنيا بالآخرة فلا حرم لا يحدّث عنهم العذاب
ولا هم ينصرون ، و هم الذين لم يفهموا قوله تعالى « المال و السور رتبة الحسنة
الدّنيا و المآقيات الصالحات خيرٌ عند ربّك » (١) فالعلم و الحرّية هي المآقيات
الصالحات التي تسعى كمالاً في النفس ، و المال و الحاء هو الذي ينقص على القرب
و هو كما مثله الله تعالى حيث قال : « إنّما مثل الحياء الدّنيا كماء أنزلناه من
السماء فاحتلظ به نبات الأرض » الآية . (٢) و كلّ ما تدور به الرّياح بالموت فهو
زهرة الحياة الدّنيى ، و كلّ ما لا يقطع الموت فهو من المآقيات الصالحات ، و قد
عرفت بهذا أنّ كمال القدرة بالمال و الحاء كمال ظنيّ لا أصل له و أنّ من قصر
الوقت على طلبه و ظنّه مقصوداً فهو جاهل إلا فند البلية منها إلى الكمال الحقيقي .

❦ بيان ما يحمد من حبّ الحاء و ما يذم ❦

و مهما عرفت أنّ معنى الحاء ملك العلوب و القدرة عليها و حكمه حكم ملك
الأموال و أنّه عرس من أعراض الحياء الدّنيا و ينقطع بالموت كالمدل ، و الدّنيا
مردعة الآخرة ، و كلّ ما خلق الله من الدّنيا فيمكن أن يتزوّد منه إلى الآخرة ،
و كما أنّه لا بدّ من أدبى مال لصورة المطعم و الملبس فلا بدّ من أدبى حاء لصورة

المعيشة مع الخلق ، والاإن كما لا يستغني عن طعام يتأوله فيجور أن يحب الطعام أو المال الذي يتنازع به الطعام فكذلك لا يحلو عن الحاجة إلى خادم يحضه ، ورفيق يعينه ، وأستاذ يرشده ، وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار ، وصبي لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمدموم ، وحنه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مراقبته ومعاونته ليس بمدموم ، وحنه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمدموم ، وحنه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمدموم ، فإن الحاء وسيلة إلى الأغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المدل والحاء في أعينهم محبوبين بل يبرل ذلك منسلة حب لا يسر أن يكون في داره بيت ماء لأنه يضطر إليه لقضاء حاجته ويؤد أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس محباً لبيت الماء ، فكل ما يراد به للتوصل إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه ، وندرك التعرّف بمثال وهو أن الرّاحل قد يحب روحته من حيث أنه يدفع بها صلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء صلة الطعام ولو كفي مؤونة الشهوة لكن يهجر روحته كما لو كفي قضاء الحاجة لكن لا يدخل بيت الماء ولا يدور به ، وقد يحب روحته لذاتها حب لعشق ولو كفي الشهوة لمهي منسحباً لسكاتها ، وهذا هو الحب دون الأول ، وكذلك الحاء والمدل قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل إلى مهمات البدن غير مدموم وحبهما لأعيانهما فيما يحاور ضرورة البدن وحاجته مدموم ولكنّه لا يوصف صاحبه بالعشق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل به إلى اكتسابه بكنف وخذاع وارتكاب محظور ، وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة ، فإن التوصل إلى المال والجاه بالعبادة حناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي

فإن قلت طلب الحاء والمدر له في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه

و من يرتفع به ثمرة مدح على الإطلاق كسما كان أو مباح إلى حد مخصوص أو على وجه مخصوص ؟ فقيل : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه ، وحيث مباح مدح ووجه منها محظور ، أو المحظور وهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو معكث عنها مثل تعلم و الورع والسب فظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهؤلاء يكون كذبهم في ذلك مباحاً ، ثم لا تفسد كذب إيماناً بالقول وإقائاً بالفعل ، ومما أحاد المباحين وهو أن يطلب المنزلة بصفة مدحها مع أنها كقول يوسف عليه السلام : اجعلني على خزائن الأرض حتى أحفظ علمي ، في تلك المنزلة في قلبه يكونه حفظاً عليماً وكان تحت حجاب الله ، كان صامداً فيه ، أنه يرى أن يطلب إحصاء عيب من عيوبه و معصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا يزال منزلته في هذا أيضاً مباح لأن حفظ السر على الفصح حائر ولا يجوز عيب السر ، بل هو القبح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سد الطريق العلم بما لا فائدة في تعلمه به ، لأنه يحمي عن السلطان أنه بشر لجهنم ولا يلتقي إليه أنه ورع فإن قوله : إني في عيب ليس وعدم إقراره بالبشر لا يوجب اعتقاده الورع بل يسمع العلم بالشرب ومن هذه المحظورات تحسن الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده ، في ذلك ياء وهو ملتس إذا جحد إليه أنه من المحلصين لخاصة الله وهو مرائي بما يفعله فكيف يكون محصياً فطلب الجاه بهد الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره بلبس في غوس أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه شريراً و حذاع فإن ملك العلوب أعظم من ملك الأموال

❦ (بيان السبب في حب المدح والثناء) ❦

❦ (وارتياح النفس به وميل الطباع إليه ونفضها للدم ونفرتها منه) ❦

اعلم أن المدح والثناء ليس مدحاً بل هو السبب الأول وهو لا قوى .
شعر النفس بالكمال في تباين أن الكمال محبوب وكل محبوب فإدراكه لذنه
فمن شعرت أنشئ كماله أو أحسنه اختبرت ولذته ، والمدح يشعر نفس الممدوح

بكمالها فإن لوصف الذي به مدح لا يحلو إما أن يكون حلياً ظاهراً أو يكون مشكوكاً فيه فإن كان حلياً صاعراً محسوساً كانت اللذة فيه أقل ولكنه لا يحلو عن لذة كائنه عليه أنه طويل العمه أبيض اللون ، فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تعجز عنه فتحلوعن لذته فإذا استشعر به لم يحل حدوث الشعور عن حدوث اللذة ، وإن كان ذلك الوصف مما يتلوه وإنه الشئ واللذة فيه أعظم كائنه عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق ، فإن الإنسان ربما يكون شاكياً بكمال حسه وفي كمال علمه و كمال ورعه ويكون مشتاقاً إلى روال هذا الشئ بأن يصير مستيقظاً لكونه عديم النظر في هذه الأمور إذ تظمئ نفسه إليه فإذا ذكره غيره أورت ذلك طمأنينه وسكواً وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإن تم تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الشئ من صير بهذه الصفات حير بها لا يحارفي في القول إلا عن تحفيق وذلك كمرح التلميذ بشئ أستاذة عليه بالكفاية والذكاء و عراة لفصل فإنه في غاية اللذة فإن صدر من يحارفي في الكلام أو لا يكون بصيراً في ذلك الوصف ضعفت اللذة ، وهذه العلة يعجز الدم أيضاً ويكرهه لأنه يشعري بفصص في نفسه و الفصص صد لكمال المحبوب فهو عمقوت و الشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الدم من عصر موثوق به في ذلك كما ذكرناه في المدح السبب الذي أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للمدوح وأنه يريد له ومعنقه فيه ومسحتر تحت مشيته ، وملك العلوب محبوب و الشعور بحصوله لديد و بهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الشئ ممن تتسمع قدرته و يتمتع باقتناص قلبه كالمملوك و الأكبر ، ويصعب مهما كل المشي ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فإن الصدرة عليه بملك قلبه قدره على أمر حبيب فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة و بهذه العلة أيضاً يكره الدم وشكهم به لعل ، وإذا كان من الأكبر كانت نكاته أعظم لأن الغائت به أعظم .

السبب الثالث أن شئ المشي ومدح المدح سبب لاصطياد قلب كل من سمعه لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتصق إلى قوله ويعبد بشائه ، وهذا يحتص بشئ يقع

على الملاء فلا جرم كلما كان الجمع أكثر و المنهي أجند بأن يلتفت إلى قوله كان المدح أذًا و الذم أشد على النفس

السبب الرابع أن المدح يدل على حشمة الممدوح و اضطراب المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع و إما عن قهر فإن الحشمة أيضاً لديدة لما فيها من القهر و القدرة و هذه اللذة تحصل ، إن كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطراً إلى ذكره نوع قهر و استيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمتع المادح وقوته فيكون لذته ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد ، فهذه الأسباب الأربعة قد يجتمع في مدح مادم واحد فيعظم به الالتداد ، وقد تفرق فتنقص اللذة به أم العلة الأولى و هي استشعار الكمال فتدفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق في مدحه كما إذا مدح بأنه نسب أو سحر أو عالم يعلم أو متورع عن المحظورات و هو يعلم من نفسه ضد ذلك فنزول اللذة التي سببها استشعار الكمال و تبقى لذته الاستيلاء على قلبه و على لسانه و بنية اللذات ، فإن كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله و يعلم بخلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية و هو استيلاؤه على قلبه و بقيت لذته الاستيلاء و الحشمة على اضطراب لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلاً لذة لفوات الأسباب الثلاثة ، فهذا ما يكشف العطاء عن علة التذاد النفس بالمدح و تألمها بسبب الذم و إنما ذكرناه ليعرف طريق العلاج لحب الجاه و حب المحمدة و خوف المدة ، فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض .

(بيان علاج حب الجاه) *

إعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصوراً لهم على مراعاة الحلق ، مشغولاً بالتودد إليهم و المراية لأجلهم ، و لا يزال في أقواله و أفعاله و أعماله ملتفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم و ذلك بذن النفاق و أصل العساد و يحرق ذلك لاهالة إلى التساهل في العبادات و المراية بها ، و إلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتباس

القدوس ولذلك شبه رسول الله ﷺ حب الشرف و المال وفسدهما للذين يندسبون صاريين و قل « و به يستب الصديق كذا يست الماء العذب » ^(١) إذ الصديق هو محلة الظاهر للباطن بالمول أو الفعل و كل من طلب المصلحة في قلوب الناس فيضطر إلى الصفاق معهم و إلى لتظاهر بحصول حميدة هو حال عبها ، وذلك هو عين الصفاق ، فحب الحياء إذاً من المهلكات فيجب علاجه وإزالة عنه لعل في ربه طبع حمد عليه العلب كما حبل على حب أهل وعلاجه مر كب من علم وعمل ، أمّا العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب إليه وهو كمال العبد على أشخاص الناس وعلى قلوبهم ، وقد بينّا أن ذلك ير صفا وسلم في حرة ملوت ، فليس من لائقات الصالحات . بل هو سجد لك كل من على وجه الأرض من لمشرق إلى المغرب و إلى حمس سة لا يبقى الساحد ولا لمسجوده وتكون حالت كحال من مات فدفن من ذوي الحياء مع متواضعين له ، فهذا لا ينبغي أن يترك به لدن الذي هو الحياء الأبدية التي لا انقطاع لها ، ومن فهم الكمال الحقيقى و لكمال الوهمى - كما سبق - صغر لجه في عينه ، إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها و يستحضر العاحلة ويكون ملوت كالحاصل عنده ، وأما أكثر الخلق صغيره معصورة على «عاحلة لا يمتد» نورها إلى مشهده العواصف و لدن قال تعالى « بل يؤثرون الحيوه الدني و الآخرة خير و أبقى » ^(٢) وقال تعالى « كلا بل تحبون لعاحلة » و تذرون الآخرة ^(٣) إلى غيرها من الآيات ، فمن هذا حده فيسبب أن يعالج قلبه في حب الحياء بالعلم بالآفات العاحلة و هو أن يتفكر في الأخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا ، فإن كل ذي حياء محسود و مقصود بالأيدي و حائف على الدوام على حياءه و محتر من أن تتغير منزلته في لعلوب و القلوب أشد تعبيراً من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال و الإعراس ، فكل ما ينسب على قلوب الخلق يضاهي ما يسي على أمواج البحر و به لاثبات له ، و الاشتغال

(١) تقدم آنفاً .

(٢) القامة : ٢٢ و ٢٣ .

(٣) الأعلى : ١٦ .

بمراعاة القلوب و حفظ الحاء و دفع كيد الحساد و منع أدى لأعداء اشتعال عن الله
و تعرض من ملقته في العاحل والآحل ، كل ذلك عموم عاحلة مكذبة للذة الحاء ، فلا
يفي في الدنيا أيضاً مرحوها بحقوق فضلاً عما يعوت في الآخرة ، فهذا يسعى أن
تعالج البصيرة الضعيفة ، و أما من بعد بصيرته وقوي إيمانه لم يلتصق إلى الدنيا ،
فهذا هو العلاج من حيث العلم .

و أما من حيث العمل فإسقاط الحاء عن قلوب الخلق مباشرة أفعال يلام
عليها حتى يسقط من أعين الخلق و تعارقه لذة لقول و يأنس بالحمول و يرد
الخلق ويقع بالنول من الخلق ، وهذا هو منهاج الملامية إذا اقتحموا العواش
في صورتها لبسقطوا أنفسهم من أعين الناس فبسلموا من آفة الحاء و هذا غير حائر
لمن يقتدى به فإنه يوهن لدين في قلوب المسلمين ، و أما الذي لا يعتدى به فلا وجود
له أن يقدم على عطور لأجل ذلك بل له أن يعمل من المباحات ما يسقط قدره عند
الناس كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الرُهد فامت علم بمره منه استدعى
طعاماً وبعلاً و أحد يأكل بشره و يعظم اللثم فلهذا نظر إليه الملك سقط من عيه
و انصرف ، فقال الرُهد : الحمد لله الذي صرفك عني ، و منهم من شرب شراً باحلالاً
في قدح لونه لون لحمر حتى يطرأ به أنه يشرب الحمر فيسقط من الأعين ، وهذا
في حواره نظر من حيث العقبة إلا أن أرباب الأحوال ربما يعملون أنفسهم بما
لا يفتني به العقبة مهما رأوا إصلاح قلوبهم ، ثم يقدار كون مفرط منهم فيه من صورة
التقصير كما فعل بعضهم فإنه عرف الرُهد و أقبل لباس عليه قدحاً تماماً ولبس
ثوب غيره و حرج و وقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه و ضربوه و استردوا منه
الثياب و قالوا : إنه طرأ و هجره ، و أقوى الطرق في قطع الحاء الاعتزال عن الناس
و الهجرة إلى موضع الحمول ، فإن المعتزل في بيته في ليلته التي هو بها مشهور
لا يخلو عن حب المسرلة التي ترسج له في القلوب بسبب عزلته وربما يطرأ أنه
ليس محباً لذلك الحاء وهو معروف ، وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظهرت بمعصودها
و لو تغير الناس عما اعتقدوا فيه و دموه أو سموه إلى أمر غير لائق به حرعت نفسه

وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإمالة ذلك العباد عن قلوبهم ،
وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبس ولا يبالى به وبه يتبين بعد
أنه محب للجاه والمنزلة ، ومن أحبّ الجاه والمنزلة فهو كمن أحبّ المال بل هو
شر منه فإنّ فتنه الجاه أعظم ، ولا يمكنه أن لا يحبّ المنزلة في قلوب الناس مدام
يطمع في الناس ، فإذا أحرر قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس
رأساً أصبح الناس كلهم عنده كالآرادل ، فلا يبالى أكانت له منزلة في قلوبهم أو لم تكن
كما لا يبالى ذلك في قلوب الدين هم منه في أقصى الشرق لأنّه لا يرهم ولا يطمع
فيهم ، ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالفصاحة ، فمن قمع استغنى عن الناس ، وإذا
استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك
الجاه إلا بالفصاحة وقطع الطمع ويستغنى على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذمّ
الجاه ومدح الخمول ، والدّل مثل قولهم : « المؤمن لا يحلو من دلة أو علة أو قلة »
وينظر في أحوال السلف وإثارة الدّل على العزّ ورغبتهم في ثواب الآخرة .

❦ (بيان وجه العلاج لحب المدح وكرهه الذم) ❦

إعلم أنّ أكثر الخلق إنما هلكوا بحوف مدح الناس وحبّ مدحهم فصارت
حر كاتهم كلّها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوف من لدم ، وذلك
من المهلكات فيجب معالجته وطريقة ملاحظة الأسباب التي لا حلّها يحبّ المدح
ويكره الذم .

أما السبب الأوّل . فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه
أن ترجع إلى عقلك وتقول لعسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متّصف
بها أم لا ؟ فإن كنت متّصفاً بها فهي إما صفة تستحقّ بها المدح كالعلم وإما صفة
لا تستحقّ بها المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية ، فإن كان من الأعراض
الدنيوية فالعرج بها كالعرج ببيات الأرض الذي يصير على القرب هشياً تذروه
الرّياح ؛ وهذا من قلة العقل ، بل العاقل يقول .

أشدّ الغمّ عندي في سرور تبقيّن عنه صاحبه ارتحالاً ❦

فلا يسعى أن يفرح إلا بسان معرض الدني ، وإن فرح فلا يسعى أن يفرح
بمدح المادح به بل بوجودها و المدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت بصفة
ثم يستحق العرج بها كالعلم و الورع فيسعى أن لا يفرح به لأن الخاتمة غير
معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يفترى عند الله العلى ، حضر جدته ناول ،
وفي الحروف من سوء الخاتمة شعر عن الفرح مكلّم في الدنيا بل لدنيا دار أحرار
و عموم لأد فرح و سرور ثم إن كتب بفرح به على راحة حسن اخاتمة فيسعى
أن يكون فرحت بمصر الله عذات بالعلم و تقوى لا بمدح المادح به بل في
استشعار انكماش و لكتك موحور من فعل الله لأن المدح و المدح تابع له فلا
يسعى أن يفرح بمدح و بمدح لا يريد وصالاً وإن كان أحسنه التي مدح به
أنت حال عدم فرحت بمدح عاية لجهل ، ومثالث مثال من يهرؤ في إسان ويقول
لدي سحر الله ما أكثر العطر أدبي في أحسنه ، ما أطيب الرّيح أتني هوج منه
إذا قضى حاجته ، وهو يعلم ما تشمل عليه أفعاله من لأودر الأتس ، ثم يفرح
بذلك ، وكذلك إذا أنشوا عليه بالصالح الورع في حبه و الله مطلع على حمائث
باطلث و عوائل س يرتك و أقدار صفاتك كاللث من عاية الجهل ، فإد المادح إن
صدق فليكن فرحت بصفاتك التي هي من فضل الله عليه ، إن كتب فيسعى أن
يفعمك ذلك ولا تفرح به .

وأما السبب الثاني و هو دلاله المدح على تمجّد قلب المادح و كونه سبباً
للسحير قلب آخر فهذا يرجع إلى حبّ الحياء و المنزلة في القلوب و قد سبق و قد
معالجته ودلت بقطع الطمع عن الناس و طله المنزلة عند الله و بأن يعلم أن طلك
لمنلة في قلوب الناس و فرحتك به يسقط من ردت عند الله فكيف يفرح به ؟
وأما السبب الثالث و هو حشمة أني اضطرب امدح إلى امدح فهو أيضاً
يرجع إلى فدره عارصه لأتسبب ولا تستحق العرج بها ، بل يسعى أن يعصم مدح
المدح وتكرهه وتعصب به كما فعل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح
عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفة الناس ، قال بعض السلف من فرح بمدح فقد

أمكن الشيطان من أن يدخل في قلبه

و قال بعضهم إذا قيل لك نعم الرّحل أنت ، فكان أحب إليك من أن يقال لك بشئ الرّحل أنت ، فأنت والله بشئ لرّحل

و روي في بعض الأحبار ما لو صحّ فهو قصم للطهور : إن رجلاً أثنى على رجل حيراً عند رسول الله ﷺ فقال : لو كان صاحبك حاصراً فرصي بالذي قلت فمات على ذلك دخل النار (١).

و قال ﷺ مرّة للمداح : ويحك قطعت طهره ولو سمعت ما أفلح إلى يوم القيامة (٢).

و قال ﷺ : ألا لا مدحوا ، وإذا رأيتم أحدًا حين فاحتوا في وجوههم لثواب ، فلهذا كان الصّحابة على وجل عظيم من المدح وقتدته ، وما يدخل على أغلب من السرور به ، وإنما كرهوا المدح حسبه من أن يعرضوا بمدح الخلق وهم مغمومون عند الخلق وكان اشتغال قلوبهم بأحوالهم عند الله ينعص إليهم مدح الخلق لأن المدح على الحقيقة هو المعرّب إلى الله والمندحوم بالحقيقة هو المبعد عن الله انقلب في الدار مع الأشرار ، فهذا المدح إن كان عند الله من أهل الدار فما أعظم حمله إذا فرح بمدح غيره ، وإن كان من أهل الحنة فلا يسمى أن يعرج إلا بفضل الله وثأته علمه إذ لبس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الآجال والأوراق بيد الله تعالى قل الثمّاته إلى مدح الخلق ودقمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتعل بما يهيمه من أمر دينه .

❖ (بيان علاج كراهة الدم) ❖

قد سبق أن العلة في كراهة الدّم هو ضدّ العلة في حبّ المدح ، وعلاجه أيضاً

(١) قال العراقي : لم أجده أصلاً .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢٢٧ واستغنى ج ٨ ص ٢٢ بالمعنى المختلفة وقد تقدم .

(٣) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير دون قوله : « إلا لامتداد حوا »

و رجاله رجال الصحيح من حديث ابن عمر وقد تقدم .

يعلم منه و انقول الوحى فيه أن من دمك لا يحلو من ثلاثة أحوال
 إما أن يكون قد صدق فيما قال و قصده الصبح و الشفقه و إما أن يكون
 صادقاً ولكن قصده الايداء و النعمت ، أو يكون كاذباً
 فإن كان صادقاً و قصده الصبح فلا ينبغي أن تدعه و تغضب عليه و تحقد
 سببه ، بل ينبغي أن تتفقد منته ، فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى
 اهلك لك حتى تشفيه ، فيسعي أن تفرح به و تشتغل بإزالة الصفة المنمومة عن
 نفسك إن قدرت عليها ، فأما اعتماث سببه و كراهتك له و دمك إيماء فإنه غاية
 الجهل و إن كان قصده النعمت فانت قد انتفع بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن
 كنت جاهلاً به ، أو دكرتك عيبك إن كنت عافلاً عنه ، أو قبضه في عينك ليدعك
 حرصك على رزقه إن كنت فداستحسنه ، و كل ذلك أساس سعادتك وقد استغنته
 منه فاشغل بطلب السعادة فقد أتيج لك أسبابها سبب ما سمعته من المدقة ، فمهما
 قصدت الدحول على ملك و ثوب ملوثة بالعذرة و أنت لا تدري ولو دخلت عليه
 كذلك لحقت أن يحرق ريفك لثوبيك مجلسه بالعذرة فعاد لك قاتل . أيتها الملوثة
 بالعذرة طهر نفسك ، فيسعي أن تفرح به لأن تمتبك بقوله عيبه ، و جمع مساوي
 الأخلاق مهلكة في الآخرة و إلا يسان إيماناً يعرفها من قول أعدائه فيسعي أن تغتنم .
 فأما قصد المدوة النعمت فحداية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فليس تغضب
 عليه بقول انتفعت أنت به ونصره هو به

الحالة الثالثة أن يفترى عليك بما أنت بريء منه عمداً فيدعي أن لا تكره
 ذلك و لا تشتغل بدمه بل تتمكّر في ثلاثة أمور . أحدها أنت إن خلوت من ذلك
 العيب فلا تحلو عن أمثاله و أحواله وما ستر الله من عيوبك أكثر فاشكر الله إذ لم
 يظلمه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء منه ، والثاني أن ذلك كقذارات
 لثيبة مساويك ودنوبك ، و كأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرتك من دنوب أنت
 ملوثة بها ، و كل من اعتابك فقد أهدى إليك حسناته و كل من مدحك فقد قطع
 طهرتك ، فما بالك تفرح بقطع الطهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقرّ بك إلى الله

وأنت ترفع أمك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن المسكين قد حصى على دينه حتى سقط من غير الله حدٌ وعزٌّ وأهلك نفسه بـ فرائد وعرّض لعقابه الأليم فلا يسعى أن تعصب عليه مع عصب الله عليه فشمت به الشيطان وتقول . « اللهم أهلكه » بل يسعى أن يقول « اللهم أصلحه » اللهم رب عليه . اللهم ارحمه » كما قال ^(١) إذ قل « اللهم أعمر لقومي فيهم لا تعلمون » ^(٢) لما أن صربوه ، ودعا إبراهيم من أدهم لمن شج رأسه طمعه ، وقيل له في ذلك ، فقل : علمت أنني مأخور سببه وما دلي منه إلا خير . فلا أرى أن يكون هو معاقباً سببي . ومما يهون عليك كراهة المذقة قطع الطمع ، فإن من استعصب عنه مهما دنا لم يعظم أثر دنا في قلبك وأصل لذات القناعة وما يقطع الطمع عن الحاء والمال . ودارم لطمع قائماً كان حب الحاء والمدح في قلب من طمعت فيه عالماً وكانت همتك في تحصيل المزية في قلبه مصروفة ، لا يسأل ذلك إلا بهدم الدين . فلا يسعى يطمع بذلك المال والحاء ومحب المدح ومبعض الدائم في سلامة دينه فإن ذلك بعيدٌ جداً .

❦ بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والدم ❦

إعلم أن الناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدائم والمادح
الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويعصب من الدائم ويحقد على الدائم ويكافئه أو يحب مكافئته . وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب .

الحالة الثانية أن يستعص في الناطق على الدائم ولكن يمسك لسانه وحوارجه من مكافئته . ويرح باطنه ويراح المادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور ، وهذا من النقصان لا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال .

الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يسئوي عنده دائمه ومادحه ولا تنفقه

(١) أخرجه البيهقي في دلائل السوء والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وآله

قال حكاية عن نبي من الأنبياء صلى الله عليه وسلم قومه (البيهقي)

المذممة ولا تسره المدحه . وهذا قد يطمئنه عص العناد بنفسه و يكون معروراً إن لم
 يمتحن نفسه بعلاماته ، و علاماته أن لا يجد في نفسه استقلالاً للدّاء عند تطويله
 لجلوسه عنده أكثر مما يحده في المادح . و أن لا يجد في نفسه زيادة هرّة^(١) ونشاط
 في قضاء حوائج المادح فوق ما يحده في قضاء حاجة الدّاء ، وأن لا يكون انقطاع الدّاء
 عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح . وأن لا يكون موت المادح المطري له أشدّ
 نكابة في قلبه من موت الدّاء ، وأن لا يكون عمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائهم أكثر
 مما يكون بمصيبة الدّاء ، و أن لا تكون دله المدح أحفّ على قلبه و في عيه من زلة
 الدّاء . فمهما حفّ الدّاء على قلبه كما حفّ المادح و استويا من كل واحد فقد نال
 هذه المرتبة و ما بعد ذلك و ما أشدّه على القلوب ، و أكثر العناد فرحهم بمدح
 الناس لهم مستنطق في قلوبهم و هم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات
 وربما يشعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الدّاء ، والشيطان يحسن له ذلك
 و يقول له : الدّاء قد عصى الله بمدحتك و المادح قد أطاع الله بمدحك ، فكيف تسوي
 بينهما فإتعا استقلالك للدّاء من الذين المحض ، وهذا محض التلبس ، فإن العابد
 لو تفكّر علم أن في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي أكثر مما ارتكبه الدّاء
 في مدحته ، ثم إنه لا يستفعلهم ولا يعبر عنهم ، ويعلم أن المادح الذي مدحه لا يحلو عن
 مذمّة غيره و لا يجد في نفسه نوره عه بمذمّة غيره كما يجد لمذمّة نفسه ، والمذمّة
 من حيث أنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره ، فإدأ العابد المغرور
 لنفسه يعضب ولهاواه ينغص ، ثم الشيطان يحبّل إليه أنه من الذين حتى يعتره
 على الله بهواه فيريده على ذلك بعداً من الله ، و من ثم يطلع على مكائد الشيطان
 و آفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضايغ يعوق عليه الدّنيا ويحسره في الآخرة
 وفيهم قال الله تعالى : « قل هل تبتئسكم بالآحسرين أعمالاً الذين صلّ سعيهم في الحياة
 دنأ و هم يتحسنون أنهم يتحسنون صنعاً »^(٢)

(١) الهزة - بكر الهاء - : النشاط والارتياح .

(٢) الكهف : ١٠٣ .

الحالة الرابعة وهي الصدق في العادة أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمه للطهر مصر له في الدّين ويحب الدّائم إذ يعلم أنه مهد إليه عيوبه ومرشده إلى مهمته ومهد إليه حسناته وقد قال عليه السلام «رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبرّ والتقوى» ^(١) وقد روي في بعض الأحاديث ما هو قاصم لظهور أمثال إن صحّ إذ روي أنه عليه السلام قال «ويل للصائم وويل للقاتل» وويل لصاحب الصوف إلا من قيل يا رسول الله إلا من؟ فقال: إلا من سرّعت نفسه عن الدنيا وأبغض المدح واستحب المدح ^(٢) وهذا شديد جداً، وغاية أمثاله لطمع في الحالة الثابتة، وهو أن يضم المرح والكرامة على الدّائم والمادح ولا يظنّه بالقول والعمل.

فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المدح والدّائم فلسنا نطمع فيها، ثم إن طالما عسا بعلامة الحالة الثانية ما وفّت بها لأدبها لاند وأن تتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته وتتناقل عن إكرام الدّائم والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا يفد على أن سوي بينهما في الفعل الطاهر كما لا تقدر عليه في سريرة القلب وعن قد على التسوية بين المادح والدّائم في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتحدّ قدوة في هذا الرّمان إن وجد فهو الكريم الأحرر يتحدّث به ولا يرى فكيف بما بعده من امرتين، وكل واحد من هذه الرّتب فيها درجات أمّا الدّرجات في المدح فهو أن من الناس من يمتدّ المدح والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى بلها بكلّ ممكن حتّى يرأى بالعبادات ولا يبالي بمعارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا حرف هار فانها به «ون» حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب و حدود الأعمال لا يمكنه أن يسطها فيوشك

(١) قال العراقي: لم نجد له أصلاً.

(٢) قال العراقي: لم أجده هكذا وذكره صاحب الفردوس من حديث أسد وويل

لس لس الصوف وغالب قلة قوله « ولم يضرجه ولده في مسده

أَنْ يَصْعَ قِيمًا لَا يَحُلُّ لَهُ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى بَيْلِ الْحَمْدِ ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْهَالِكِينَ حَدًّا
وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَرِيدُ مَدْحَةً وَلَا يَسْعَى لَطْلِبِهَا وَلَكِنْ إِذَا مَدَحَ سَبَقَ السُّرُورُ إِلَى قَلْبِهِ
فَإِذَا لَمْ يَغَابِرْ ذَلِكَ بِالْمُحَادَّةِ وَلَمْ يَتَكَلَّفْ لِكِرَاهِيَةِ مَهْوُفَرِّبٍ مِنْ أَنْ يَسْتَحِرَّهُ قَرِيبُ
السُّرُورِ إِلَى الرُّتْبَةِ الَّتِي قَلْبُهَا ، وَإِنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ وَكَلَّمَ قَلْبَهُ الْكَرَاهِيَةَ وَبَغَضَ
السُّرُورَ إِلَيْهِ بِالْتِمَكُّرِ فِي آفَاتِ الْمَدْحِ فَهُوَ فِي حَظَرِ الْمُحَادَّةِ ، فَتَارَةً تَكُونُ الْيَدُ وَ
تَارَةً تَكُونُ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا سَمِعَ الْمَدْحَ لَمْ يَسْرُتْهُ وَ إِذَا سَمِعَ الذَّمَّ لَمْ يَغْتَمُّ وَ
لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِ وَهَذَا عَلَى حَيْرٍ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ بَغِيَ عَلَيْهِ نَقِبَةٌ مِنَ الْإِحْلَاصِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَكْرَهُ الْمَدْحَ إِذَا سَمِعَهُ وَلَكِنْ لَا يَنْتَهِي بِهِ إِلَى أَنْ يَغْضَبَ عَلَى الْمَادِحِ وَيَنْكَرَ عَلَيْهِ
وَأَقْصَى دَرَجَاتِهِ أَنْ يَكْرَهُ وَيَغْضَبُ وَيُظْهِرُ الْعَصَبَ وَهُوَ صَادِقٌ فِيهِ ، لَا أَنْ يَظْهَرَ الْعَصَبُ
وَقَلْبُهُ مَحَبٌّ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى الْعَاقِ لِأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْ نَفْسِهِ الْإِحْلَاصَ وَالصَّدْقَ
وَهُوَ مَعْلَى عِنْدَ وَكَذَلِكَ بِالْعَدُوِّ مِنْ هَذَا تَتِمُّونَ الْأَحْوَالَ فِي حَقِّ الدَّاءِ ، وَأَوَّلُ
دَرَجَاتِهِ إِطْهَارُ الْعَصَبِ وَآخِرُهَا إِطْهَارُ الْفَرْحِ ، وَلَا يَكُونُ الْفَرْحُ وَإِطْهَارُهُ إِلَّا تَمَّ فِي
قَلْبِهِ حَقُّقٌ وَحَقْدٌ عَلَى نَفْسِهِ لِنَمَرُودَها عَلَيْهِ وَلِكثْرَةِ عُيُوبِهَا وَمَوَاعِيدِهَا الْكَادَةِ
وَقَلْبِيَّاسَاتِهَا الْحَبِيثَةِ فَيَعْصَبُا بِغَضِّ الْعَدُوِّ ، وَالْإِنْسَانُ يَفْرَحُ مِمَّنْ يَذُمَّ عَدُوَّهُ ، وَهَذَا
شَحْصُ عَدُوِّهِ نَفْسَهُ فَيَفْرَحُ إِذَا سَمِعَ دَمْنَهَا وَيَشْكُرُ الدَّاءَ عَلَى ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُ قَطْعَهُ
وَدَكَاهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى عِيُوبِهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ كَالْتَشَقُّقِ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَكُونُ عِيْمَةً عِنْدَهُ
إِذَا صَارَ بِالْمَدْحَةِ أَوْضَحَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَتَّى لَا يَنْتَلِي نَفْسَةَ النَّاسِ ، وَإِذَا سَيَفَتْ إِلَيْهِ
حَسَنَاتُ لَمْ يَنْصَبْ فِيهَا فَعَسَاهُ يَكُونُ جَبْرًا لِعِيُوبِهِ الَّتِي هُوَ عَاجِزٌ عَنْ إِطْمَاتِهَا وَلَوْ جَاهَدَ
أَمْرِيْدُ نَفْسِهِ طَوْلَ عَمْرِهِ فِي هَذِهِ الْحَصْلَةِ الْوَاحِدَةِ وَهُوَ أَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ دَمْنُهُ وَمَادِحُهُ
لَكَانَ لَهُ شَعْلٌ شَاعِلٌ فِيهِ لَا يَنْتَمِرُّعُ مَعَهُ لَعِيرُهُ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّعَادَةِ عَصَبَاتٌ كَثِيرَةٌ هَذِهِ
إِحْدَى ثَلَاثِ الْعَقَبَاتِ ، وَلَا يَنْفَعُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِالْمُحَادَّةِ الشَّدِيدَةِ فِي الْعَمَلِ الطَّوِيلِ .

❦ (الْفُطْرُ الثَّالِي مِنَ الْكِتَابِ فِي طَلَبِ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ بِالْعِبَادَاتِ وَهُوَ الرِّيَاءُ) ❦

وَفِيهِ بَيَانُ دَمِّ الرِّيَاءِ ، وَبَيَانُ حَقِيقَةِ الرِّيَاءِ وَمَا يَرَاهِي بِهِ ، وَبَيَانُ دَرَجَاتِ
الرِّيَاءِ ، وَبَيَانُ الرِّيَاءِ الْحَقِيقِيِّ ، وَبَيَانُ مَا يَحْطُ الْعَمَلُ مِنَ الرِّيَاءِ وَمَا لَا يَحْطُ ،

و بيان دواء الرياء ، و علاجه ، و بيان الرخصة في إظهار الطاعات ، و بيان الرخصة في كتمان الذنوب ، و بيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء ، و الآفات ، و بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ، و بيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها . وهي أحد عشر فصلاً

❦ (بيان ذم الرياء) ❦

إعلم أن الرياء حرام و المرائي عند الله ملعون^١ و قد شهدت لذلك الآيات و الأخبار والآثار .

أمّا الآيات فعوله تعالى : « قويل للمصلين ❦ الذين هم عن صلاتهم ساهون ❦ الذين هم يراؤون ❦ ويمنعون الماعون »^(١)

و قوله تعالى : « و الذين يمحرون السيئات لهم عذاب شديد و مكر أولئك هو يبور »^(٢) و قال مجاهد هم أهل الرياء .

و قال تعالى : « إنا ما نعلمكم لوحه الله لا يريد منكم حرام ولا شكوراً »^(٣) فمدح المحلصين سقي كل إرادة سوى وجه الله ، و الرياء هو صده .

و قال تعالى : « ومن كان يرحو لقا ، ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً »^(٤) ، بل ذلك فيمن يطلب الآخر و الحمد بعباداته و أعماله و غير ذلك

و أمّا الأحاديث فقد قل عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله : فيم النجاة ؟ فقال : « ألا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها النجاة »^(٥) وفي حديث الثلاثة - المقتول

(١) الباهون ❦ الى ٨ .

(٢) طاهر ١٠ و يبور ❦ اي يكدر وجه و يهلك . (٣) الانسان . ١٠ .

(٤) الكهف ١١٠ وهو حديث أخرجه عبدالرزاق و ابن ابي الدنيا في الاحلام

و ابن أبي حاتم والطبراني والمعجم ج ٤ ص ٣٣٠ عن طاووس والبيهقي في شعب الايمان موصولاً عن طاووس عن ابن عباس . راجع الدر المنثور ج ٤ ص ٢٥٥ .

(٥) لم أجده أصلاً الا ما رواه الصدوق - رحمه الله - في أماليه عن رسول الله صلى الله عليه

وآله « أنه سئل فيما النجاة غداً ؟ فقال : « اما النجاة في أن لا تغادروا الله فيحدثكم فانه

من يغادروا الله يخدعه و يضل عن الايمان و منه يحدروا لو يشر فليل له . وكيف يغادروا ❦

في سبيل الله والمتصدق بماله والقارى، لكتابته كما وردت في كتب الإخلاص - فإن
الله تعالى يقول لكل واحد منهم «كذب بل أردت أن يقال فلان شجاع، كذب
بل أردت أن يقال فلان حواد» كذب بل أردت أن يقال فلان قارى، فأحذر رسول
الله ﷺ أنهم لم يثنوا «و أن رياء هم هو الذي تحبط أعمالهم» (١)

«عنه ﷺ» من رأى رأى الله به ومن سمع سمع لله» (٢)

وفي حديث آخر طويل «إن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا لم يردني
بعمله فاجعلوه في سجين» (٣)

وقال ﷺ «إن أخوف ما أحوف عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما لشرك
الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء يقول لله تعالى يوم القيامة إلهي اهدني
إدعوه إلى الدين كنتم «أول في الدُّب فاطيروا هل تجدون عندهم لخراب» (٤)

وقال ﷺ «استعدوا بآفة من حبّ الحزن فيل و ما هو يا رسول الله
قال وادي حرمتم عند الغبراء لمرائي» (٥)

وقال ﷺ «يقول الله تعالى من عمل عملاً أشرك منه عيري فهو له كلف
وأب منه بريء وأنا أعي الأعباء عن الشرك» (٦)

«الله؟ بل عمل بما أمر الله ثم يريد غيره، يدعوا الله واجسو الرياء فانه شرك بالله،
ان المرأى يدعى يوم القيامة درجة اسماء يا كاهر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر حبط
عملك و بطل أجرك ولا حلاق لك اليوم فليس أجرك مثلك عمل له» انتهى

(١) أخرجه مسلم و لسانى و الترمذى ح ٩ ص ٢٣٠ وحسنه و ابن حبان في صحيحه

ودرجع الترغيب ح ٦ ص ٥٢

(٢) أخرجه البخارى ح ٨ ص ١٣٠ من حديث جندب و به «يرأى»

(٣) أخرجه ابن لسانى في الزهد من طريقه ابن أبى الدنيا في الإخلاص و ابوالشَّيخ
في كتاب العظيمة من رويته حمزة بن حبيب مرسلًا (لمعنى) ورواه الكليني في الكافي ح ٢ ص
٢٩٤ تحت رقم ٧ كما يأتي مع بيان له.

(٤) أخرجه أحمد ح ٥ ص ٤٢٨ من حديث مصدق بن لشد

(٥) أخرجه الترمذى ح ٩ ص ٢٣٠ وقال هذا حديث حسن عريب

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٠٣ من حديث ابن سعيد الخدري

وقال عيسى صلوات الله عليه « إذا كان يوم صوم أحدكم وليدخلكم رؤسهم
ولحيثهم ويمسح شعنتهم لئلا يرى الناس أدب صائم وإذا أعطى يمينه فليحلف عن شماله
وإذا صلى فليرح ستر رايه فإن الله يقسم لئن كما يقسم الرب »

وقال سفيان ثقة « لا يعمل الله عملاً يفيد مصداقاً من ربه »^(١)
وعنه ثقة « أدبى برؤيه شرك »^(٢)

« قال ثقة « أخوف من أخاف عليكم الرب ، والشهوة الخفية »^(٣) وهي
أيضاً ترجع إلى خفايا الرياء ودقائقه .

« قال ثقة « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رحلاً صدق يمينه
فكاد يحلفها عن شماله »^(٤) .

ولذلك ورد « أن فصل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفاً »^(٥)

« قال رسول الله ﷺ « إن المرأى يمدى عليه يوم القيامة باحراً يا عاذر
يا مرأى صل عملك وحطط أحرك ، إذهب فعد أحرك تن كبت بعمل له »^(٦)

« قال شداد بن أوس . رأيت رسول الله ﷺ يسكي وعلم ما يسكيث ؟ قال
« في نحو وف على أمتي الشرك أنه . بهم لا يعدون صماً ولا شمس ولا قمر ولا حجراً
ولكنهم يراؤون بأعمالهم »^(٧)

(١) قال العراقي : لم أجده هكذا .

(٢) أخرجه الحاكم ج ٣ ص ٢٧٠ و صححه ورواه البيهقي في الشعب عن معاذ بن
حذاف . سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول في حديث له « إن بيناً من الرياء
شرك . الحديث » وأجمع العز المثنوي ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٣) أخرجه بن ماجة وقد قدم آثر الكتاب .

(٤) أخرجه مسلم ج ٣ ص ٩٣ في حديث عن أبي هريرة

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب عن حديث أبي الدرداء باختلاف ومضمونه واحد

(٦) قال العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا عن روية حفلة النخعي عن صحابي سم
يسم وراود « كافر باحاسر » ولم يقل « بامرئى » واستاده صحيحه « أئول وقد مر
مضمونه في الهامش آنفاً .

(٧) أخرجه الحاكم ج ٤ ص ٣٣٠ باختلاف ، و بن ماجة تحت رقم ٤٢٠٥ نحوه .

وقال رسول الله ﷺ . ولما خلق الله الأرض ملئت بأهلها فخلق الجبال قصيرها أو تاد الأرض فقالت الملائكة . ما خلق ربنا خلقاً هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبل ، ثم خلق النار فأذاب الحديد ، ثم أمر الله تعالى الماء بإطفاء النار وأمر الرّيح فكندت الماء ، فاختلفت الملائكة فقالت . نسأل الله تعالى فقالوا . يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى . لم أخلق شيئاً هو أشد من [قلب] ابن آدم حين يصدق بيمينه بصدقة فيجمعها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته . (١)

و روى عبد الله بن المبارك بسأده عن رجل أنه قال لمعاد . حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قال . فكى معاد حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ، ثم قال . سمعت رسول الله ﷺ قال لي يا معاد ، قلت لبيك بأبي أنت وأمي قال : إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته نعمك وإن أنت صيغته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة . يا معاد إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات والأرض ثم خلق السماوات ، فجعل لكل سماء من السعة ملكاً بواباً عليها قد جعلها عظماً تصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى أن أمسى ، له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا ركنه فكثرت فيقول الملك للحفظة : اضر بوا هذا العمل وحده صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من أعمال العبد فتمتر فيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية : قفوا و اضر بوا هذا العمل وحده صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرس الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يحاورني إلى غيري إنه كان يفتح حربه على الناس في محالهم ، قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد يتهج نوراً من صدقة و صيام و صلاة قد أعجب الحفظة فيحاورون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم

(١) أخرجه الترمذي ج ١٢ ص ٢٦٣ نادى اختلاف . وقال غريب لا نعرفه الا

الملئك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني
 ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، أنّه كان يتكبر على الناس في محاسنهم ،
 قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد يرهز كما يرهز الكواكب الدّريّة له دوي من
 سبيح و صلاة و حجّ و عمرة حتى يجاوزوا به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك
 الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، اضربوا به ظهره ويطيه أنا صاحب
 المعجب أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، أنّه كان يدا عمل عملاً
 أدخل المعجب في عمله ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد يجاوزوا به إلى السماء
 الخامسة كأنّه العروس المرفوقة إلى معلميها فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا
 واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد ، أنّه كان يحسد
 الناس من يتعلّم ويعمل بمثل عمله و كل من كان يأخذ فصلاً من العبادة يحسد هم
 ويعجب فيهم أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، قال : وتصعد
 الحفظة بعمل العبد من صلاة و زكاة و حجّ و عمرة و صيام فيجوزون به إلى السماء
 السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنّه
 كان لا يرحم نساءً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر بل كان يشمت به أنا ملك
 الرّحمة أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد
 إلى السماء السابعة من صوم و صلاة و نعمة و زكاة و احتشاد و ورع له دوي كدوي الرّعد
 و صو كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم
 الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به حوارجهم
 واقفلوا على قلبه ، إني أحببت عن ربّي كل عمل لم يرد به وجه ربّي ، أنّه أراد بعمله
 غير الله تعالى ، أنّه أراد رفعة عند الفقهاء ، و ذكرأ عند العلماء ، وصيّتها في المدائن
 أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، و كل عمل لم يكن لله حالصاً فهو رياء
 ولا يقبل الله عمل المرائي ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة و زكاة و صيام
 و حجّ و عمرة و حلق حسن و صمت و ذكر الله و تشييعه ملائكة السماوات حتى يقطعوا
 به لحجب كلّ إلى الله تعالى فيقفون بين يديه و يشهدون له بالعمل الصالح المختص

لله قال . فيقول الله لهم أنتم الحطة على عمر عبيدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به عيري فعليه لعنتي ، فنقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتك ، و تقول السماوات كلها : عليه لعنة الله ولعنتها ، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن قال معاد . يا رسول الله أنت رسول الله وأما معاد ، قال اقتدي بي وإن كان في عملك نقصير يا معاد حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة لقرآن واحمل ديويتك عليك ولا تحملها عليهم ، ولا ترك نفسك بنفسيهم ولا ترفع نفسك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحدد الناس من سوء خلقك ، ولا سماح رحلا وعدك آخر ، ولا تتعظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ، ولا تمرق الناس فتصرف كلاب الاريوم القيامة في النار قال الله تعالى : «والشطايت شطاء»^(١) لندي من هن يا معاد قلب ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال كلاب في النار بسط اللحم والعظم ، قلت نأني أنت وأمي يا رسول الله فمن يطيق هذه الحصال ومن يحومنها ؟ قل يا معاد إنه ليسير على من يسره الله عليه ، قل : فما رأيت أحدا أكثر تلاوة للقرآن من معاد للحدود مماي هذا الحديث^(٢) .

وقال علي عليه السلام : « للمعاني ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، ويشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أشي عليه ، وينقص إذا دم »^(٣) أقول و من طريق الحاصه ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « قال الله تعالى : أنا خير شريك من أشرك معي عيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي

(١) النازعات : ٢ .

- (٢) أخرجه بطوله ابن المبارك في الرهد عن رجل لم يسمه عن معاذ و رواه ابن حبان في غير الصحيح والحاكم وغيرهما ونقله المنذرى في الترغيب ح ١ ص ٦ وقال : آثار أوضح ظاهرة عليه في جميع طرقه وجميع أفعاله ، ورواه ابن الجوزي في أسوعدة أيضا (٣) رواه الكشي في الكافي ح ٢ ص ٢٩٥ وفيه : « ويعب أن يعبد في جميع أمور » بدل قوله : « ويتقن إذا دم » . وسيأتي عقريب .

خالصاً» (١).

وعنه عليه السلام قال «وَلِي سُبُلِ اللَّهِ مَبْرُورٌ سَأَلَنِي سُلَيْمٌ لِمَ هَذَا تَحِيثُ فِيهِ سِرَائِرُهُمْ ، وَحَسَنَ فِيهِ عِلَالِيَتُهُمْ جَمَعًا فِي الدُّنْيَا لَا يَرِيدُونَ بِهِ مَاعِدَ رَبِّهِمْ ، يَكُونُ دَسَمُ رِيَدِهِ ، لَا يَجَالِطُهُمْ حَوْفٌ ، يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ آتَهُ يَمُوتُونَ فِيَدْعُوهُ دَعَا الْعَرَبِ فَلَا يَسْتَعِيزُ بِهِمْ» (٢).

وعنه عليه السلام قال «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الْمَلِكَ لَيُصْعَدُ بِعَمَلِهِ أَمْعَدُ مُسْتَحَقًّا بِهِ فَإِذَا صَعِدَ بِحَسَنَاتِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : جَعَلُوهَا فِي سَجَّتِي إِيَّاهُ لَيْسَ إِيَّايَ أَرَادَ بِهَا» (٣).

وبإساده قال قال أمير المؤمنين عليه السلام «ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ لِلْمُرَائِي يَنْشُطُ إِذَا رَأَى النَّاسَ ، وَيَكْسِلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ ، وَيَحِبُّ أَنْ يَحْمَدَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ» (٤).

وعنه عليه السلام قال : «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ، أَحْشُوا اللَّهَ حَشِيَّةً لَيْسَ بِتَعْدِيرٍ وَاعْمَلُوا لَهُ فِي غَيْرِ رِيَاءٍ ، وَلَا سُمْعَةٍ ، فَإِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ لِعِزِّ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى عَمَلِهِ» (٥).

وعن أبيه الباقر عليه السلام قال «الْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ ، قِيلَ : وَمَا الْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ ؟ قَالَ : يَصِلُ الرَّحْلُ حُلَّ بَصْلِهِ ، وَيَبْقَى نَفَقَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لِأَشْرَيْتَ لَهُ فَكُنْتَ لَهُ سِرًّا ، ثُمَّ يَذْكُرُهَا فَتُكْتَبُ لَهُ عِلَالِيَّةٌ (٦) ثُمَّ يَذْكُرُهَا فَتُحْضَى وَتُكْتَبُ لَهُ

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٩٥ تحت رقم ٩.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٢٩٦ تحت رقم ١٤.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٢٩٥ تحت رقم ٧ ، والإسهاب السرور وقوله «يُصْعَدُ بِعَمَلِهِ أَمْعَدُ» أي يشرع في الصعود وقوله «عَادَ أَمْعَدُ» أي ثم صموده ووصل إلى موضع يبرس فيه الأعمال على الله تعالى وقوله : «حَسَنَاتُهُ» من قيل وضع الطهر موضع ليعبر ، مصرحاً بأن العمل من جنس الحسنات وقوله «جَعَلُوهَا فِي سَجَّتِي» أي اثبتو تلك الأعمال ، أو التي ترفعون أنها حسنات في ديوان العباد التي هو في سبعين كتاباً في قوله تعالى «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْعِبَادِ لَمُنِي سَجِينَ» .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٢٩٥ تحت رقم ٨.

(٥) المصدر ج ٢ ص ٢٩٧ تحت رقم ١٧.

(٦) أي يصير ثوابه أخف

رياء (١)

وعن الصادق عليه السلام أنه قال لعبد من كثير العبادة في المسجد «ويدع يا
عبد إيتك والرياء فإنه من عمل لغير الله» كلفه الله إلى من عمله (٢)
وعنه عليه السلام «جعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فإنه ما كان لله فهو لله
وما كان للناس فلا يصعد إلى الله» (٣)

وعنه عليه السلام «كل رياء شرك» فإنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن
عمل لله كان ثوابه على الله» (٤)

وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل «ومن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» (٥) قال «لو حل يعمل شيئاً من لثواب لا يطالب
به وجه الله إنما يطلب تر كمة الناس» يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشركه
بعبادة ربه، ثم قال: «ما من عبد أمرٌ خيراً فذهب لأتاه أذى حتى يظهر الله له
خيراً» وما من عديسرٌ شراً فذهب لأتاه حتى يظهر الله له شراً» (٦)

وعنه عليه السلام قال «ما يصع أحدكم أن يظهر حسناً ويُسِرَّ سيئاً» أليس يرجع
إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول «بل الإنسان على نفسه بصيرة»
في السريرة «ما صحت قلوب العالمة» (٧)

وعنه عليه السلام قال «من أراد الله بالعلل من عمله أظهره الله له أكثر مما أراد
ومن أراد الناس بالكثير من عمله في بيت من بدنه وسهر من ليله أبى الله إلا أن يقلله
في عين من سمعه» (٨)

وعن الرضا عليه السلام قال لمحمد بن عرفة «ويحك يا بن عرفة اعملوا لغير رياء»

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٩٦ تحت رقم ١٦ .

(٢) إلى (٤) المصدر ج ٢ ص ٢٩٣ تحت رقم ١ و ٢ و ٣ .

(٥) الكهف : ١١٠ (٦) الكافي ج ٢ ص ٢٩٣ تحت رقم ٤ .

(٧) المصدر ج ٢ ص ٢٩٥ تحت رقم ١١ .

(٨) المصدر ج ٢ ص ٢٩٦ تحت رقم ١٣ .

ولاسمعة فابته من عمل لعن الله وكله الله إلى ما عمل ، ويحك ما عمل أحد عملاً إلا رداه الله به ، إن حراً فحير وإن شراً فشره ^(١) .

قال أبو حامد وأما الآثار رأى أبو أمة رجلاً في المسجد يمكي في سجوده فقال : أنت أنت لو كان هذا في بيتك

وقال رجل لعباده من الصامت : أقتل سبيعي في سبيل الله أريد وجه الله وحمده الناس قال لا شيء لك فأسأله ثلاث مرّات كل : لك يقول : لا شيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول : أنا أعنى الأعباء عن الشرك - الحديث -

وقال الحسن لقد صحت أفواماً إن كان أحدكم لعن من له الحكمه لو بطق بها لمعنه ونعت أصحابه وما يسمه منها إلا محافة الشبهة وإن كان أحدكم ليبر ويرى الأذى في الطريق فما منعه أن يحثبه إلا محافة الشبهة ، ويمال إن المرائي يادى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا عاذر يا فاجر يا خاسر أذهب فجدد أحوالك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا .

وقال الفضيل : كانوا يراؤون بما يعملون وصادروا ، يوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة : إن الله يعطي العبد على بيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لاريا ، فيها

وقال الحسن المرائي يريد أن يعلى قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو صالح وكف يقولون وقد حل من ربه محل لاريا ، فلا بد للعالم المؤمنين أن تعرفه .

وقال قتادة إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبيد يستهن بي وقال مالك بن دينار المرء ثلاثة قراء : الدنيا وقرأه الملوك وقرأه الرّحمن وقال ابن المبارك : أن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بحراسان ، فقيل وكيف ذلك ؟ قال يحب أن يذكر أنه محاور بمكة .

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٩٤ تحت رقم ٥ و قوله عليه السلام : « رداء » أى السه لرداء يعنى ببسه الله تعالى ذلك العمل كالرداء .

و قال إبراهيم بن أدهم - ماصدق الله من أراد أن يشهر

❖ (بيان حقيقة الرّياء وما يراعى به) ❖

إعلم أنّ الرّياء مشتقّ من الرّؤية ، والسمعة مشتقة من السماع وإدما الرّياء أصله طلب للمرلة في قلوب اسر بيرائهم حصل الخير لا أنّ الحياء والمصلحة تطلب في القلب بعمل سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرّياء مخصوص بحكم اعادة بطلب المنزلّة في القلب بالعبادات وإطهرها ، فحده الرّياء هو رده المرلة بطاعة الله تعالى والمرئي هو العابد والمرأي هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المرلة في قلوبهم والمرأي به هي الحصول التي قصد امرائي يطهرها والرّياء هو قصده إظهار ذلك والمرأي به كثيرة وتجمعها خمسة أقسام وهي مجامع ما يترتب به العبد للناس وهو لبس والرّي والعول والعمل والأبغ ولا شيء الدارحة وكذلك هل الدنيا براؤوس بهذه الأسباب الخمسة إلا أنّ طلب الحياء وقصد الرّياء بأعمال ليس من جملة لطاعات أهون من الرّياء بالطاعات .

لنقسم الأوّل - الرّياء في الدّين من جهة لبس وذاك يطهر النحول ولصغار ليومهم بذلك شدّة الاحتجاج وعظم الحرص على أمر الدّين وعلية خوف الآخرة ولبدل بالنحول على قلة الأكل وبالصغار على سهر اللّيل وكثرة الاحتجاج وعظم الحرص على الدّين وكذلك يرأى بشعبث الشعر ليدلّ به على استغراق لهم بدّين وعدم التفرّع لتسريح الشعر ، وهذه الأسباب مهما طهرت استدلّ الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس إلى إظهارها لبيل تلك الرّاحة ويفرب من هذا حفص الصوت وإعارة العيين ودبول الشعنين لبستدلّ بذلك على أنّه موافق على الصوم وأنّ وقار الشرع هو الذي حفص من صوته أوصعب جوع هو الذي صعب قوّته وعن هذا قال عيسى عليه السلام - إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجش شعره ويكحل عينيه وذلك كلّه لما يحذف عنه من نزع الشيطان بالرّياء ولذلك قال بن مسعود - أصبحوا صياماً مدهنتين ، فهذه مراعاة أهل الدّين في اللبس وأما أهل الدنيا فيراؤون بإظهار السمن وسماء اللّون واعتدال القامة وحسن الوجه وطفة اللبس

و قوة الأعصاب و مناسبها

الثاني الرّياء بالرّياء والهيئة أمّ الهيئة هي شعث شعر الرّأس وحلق الشارب وإطراق الرّأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف و تشميرها إلى قريب من نصف الساق و تقصير الأكمام و ترك تنظيف الثوب وتركه محرقاً . كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه و مقتدر فيه بعباد الله الصالحين ، ومنه لبس المرقع والصلاة على السجادة ولبس الثياب الرقيقة تشبهاً بالصوفية مع الإفلاس عن حقائق التصوف في الباطن ومنه التمسك بالإزار فوق العمامة ليري به أنه انتهى بمشغله إلى الجدد من عمار الطريق ولتنصرف إليه الأعيان بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدّراعة و الطيلسان يليسه و هو حال من العلم ليوهم أنه من أهل العلم

والمرأؤون بالرّياء على طعاعات منهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح بإظهار الرّهد ولبس الثياب المحرقة الوسخة القصيرة الملبطة ليرائي بعلطها وقصرها ووسجها و تحرقها ، ولو كلف أن يلبس ثوباً وسطاً بطبعاً مما كان السلف يليسه لكان عنده بمنزلة الدّبح و ذلك لحوفه أن يقول الناس قد بداله في الرّهد و رجع عن تلك الطريقة و رعب في الدّنيا و طمقة أخرى يطلعون العبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدّنيا من المملوك والتخار ، ولولبسوا الثياب العاجزة ردّهم الثّراء ولولبسوا الثياب المحرقة السارلة ردّتهم أعيان المملوك والأغنياء ، فهم يريدون الجمع بين قول أهل الدّين و الدّنيا ولذلك يطلعون الأصواف الدّقيقة والأكيسة الرقيقة و المرقعات المصنوعة والموط الرقيعه فيلبسونها ، ولعل قيمة أثوابهم قيمة ثياب الأغنياء ، وهيئته ولولبسوا ثياب الصلحاء ، فيلمسوا العبول عند العريقين ، وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب حش أو وسج لكان عندهم كالدّبح خوفاً من السفوط من أعيان المملوك والأغنياء ، و لو كلفوا لبس ثوب الدّيفي والكتان الرقيق الأبيض أو المعصّب المعلوم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفاً من أن يقول أهل الصلاح قد دعوا في رياء أهل الدّنيا و كل طمقة منهم رأى منزلته في رياء مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى

مادونه أو ما فوقه وإن كان مباحاً خيفة من المنة و أما أهل الدّنا فمراهم بالثياب
المعبسة و المراكب الرّفعة و أنواع التوسّع و التّخمل في الملبس و المسكن و أثاث
البيت و فرة الحيل و بالثياب المصعقة و لطبايسة المعبسة و ذلك طاهر بين الناس ،
فإنّهم يلبسون في بيوتهم الثياب الحشنة و يشتدّ عليهم لو برروا للباس على تلك الثياب
عالم يبالغوا في الرّية

الثالث الرّياء بالقول و رياء أهل الدّين بالوعظ و التّدكير و النطق بالحكمة
و حفظ الأخبار و الآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة إظهاراً لعرارة العلم و دلالة
على شدّة العناية بأحوال السلف الصّالحين و تحريك الشّعنين بالدّكر في محصر
الناس و لأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بمشهد الحقّ و إظهار إعصا للمنكرات ،
و إظهار الأسف على معارفه الدّار بالمعاصي و تصعيب السّوء في الكلام و ترفيق
صوت مقرّاء القرآن ليدلّ بذلك على الحرّ و الخوف ، و ادّعاء حفظ الحديث
ولقاء الشيوخ و الدّوّ على من يروي الحديث من غير صحیح أو غير صحیح لإظهار الفصل فيه و
بأنّ حديثه و إسناده إلى أنّ الحديث صحیح أو غير صحیح لإظهار الفصل فيه و
استحالة على قصد إضحام الخصم ليظهر للناس قوّته في علم الدّين و الرّياء بالقول
كثير و أنواعه لا تحصر ، و أمّا أهل الدّنا فمراهم بالقول بحفظ الأشعار و الأمثال
و لتعصّب في العبارات و حفظ النحو العربي للإعراب على أهل الفصل و إظهار التودّد
إلى الناس لاستمالة القلوب

الرابع الرّياء بالعمل كمرأاة المصلّي بطول العيام و مدّ الطهر و تطويل
السجود و الرّكوع و إطراق الرّأس و ترك الالتفات و إظهار الهدوء و السكون
و تسوية المذمين و المذنبين و كذلك بالصوم و العز و الحجّ و بالصدقة و بإطعام
الطعام و بالأجتناب في المشي عند اللّقاء كأرجاء النّحوم و تسكيس الرّأس و الوقار
في الكلام حتّى أنّ المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته فإذا طلع عليه أحد
من أهل الدّين رجّع إلى الوقار ، و إطراق الرّأس خوفاً من أن يمسسه إلى العجلة
و قلّة الوقار ، فإنّ عاب الرّجل عاد إلى محلّته فإذا رآه عاد إلى خشوعه و لم

يحصره ذكر الله حتى يكون يحدُّ الحشوع له بل هو لا يطأ لأع يسر عليه يحشى
أن لا يعهد فيه أنه من اعتاد الصلح : منهم من إذا سمع هذا استحيى من أن
يحالف مشبهه في الخلوة مشبهه بمراى من الناس فيكذب نفسه المشبه الحسه
في الخلوة حتى إذا أه لاس لم يفتر إلى التعيير ومن أنه يحلص به عن
الرَّيَا : وقد تصاعف به ربأؤه فابته ص : في خلوته أيضا مراتباً وبته إنما يحسن
مشبهه في الخلوة ليكون كذلك في أملاً لا لحوف من لله : حيث منه : وأما أهل
الدُّنيا فمراءتهم باسحتر والاحتشاش : وحرث لمدس : فغريب الحط والآخر
بأطراف الدُّين وإداره لعظمى يسألوا بدت على احده : الختمه

احد من المراءه بالأصحاب والرائرين بالمخاطير كالذي يسكنهم أسير
عظماء من العلماء ليقال : إن فلاناً قد فلاناً : أو يدعى من اعاد المراء إلى أهل الدُّين
يسمى "كون بريرة" : يسكنهم إليه : وملكه : فلو أن أحد من عمال لسلطان
ليقال : إنهم يسكنهم "كون به لعظم ربه في الدُّين" : فأندي يكتر : كراشيوخ لبري
أنه لفي شيوخاً كثيره واسمه : منهم فسهي شوحه : مشبهه : مرأته برشتج
منه عند محاصمته : ويقول لعجم : من لفس من اشيوخ : وأر قد لفس : فلاناً
و فلاناً و درت البلاد : حاصب اشيوخ : وقد بدت محرم : فهذه مجامع مد يراني
به المراءون وكلمهم يطلبون به الحده والمبر له في قلوب اعبار : ومنهم من يسمع
بحسن الاعتناء به : فكم من راهب برزى إلى ديره سس كثيره وكم من عند
عزل إلى فله حين مد مدته : إنهم حمانه من حيث علمه بغير حاهه في قلوب
لخلق ولو عرف أنهم بسوء : سى حرمه في ديره أو صومعه لدشوش فله ولم يقع
بعلم الله برأوه ساجنه بل يشفق لذلك عده : سعى بكل حيلة في رد له ذلك من
قلوبهم مع أنه قطع طمعه من أموالهم : لكنه يحب محر د الحده في به لديد كما
ذكره في أسده فبه نوع قنده و ستيلا : و كمال في الحال وإن كان سريع الرُّوال
لايعتر به إلا الجهمال ولكن أكثر الناس جهال : ومن المراءين من لا يسمع بغيره مرلته
بل يلتبس مع ذلك إطلاقاً للسان بالثناء والحمد : ومنهم من يريد انتشار الصيت في

البلاد لكثرة الرِّياء حلة إليه . ومهم من يريد الاشتهاد عند الملوك لتقل شعاعته و تنجر
الجوائح على يديه فيقوم له به حاء عند العامة ، ومهم من يعصد التوصل بذلك إلى
جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال البتامي وعردك من الحرام وهؤلاء
شرط طعنات المرائي الذين يراؤون بالأسباب التي ذكرناها . وهذه حقيقة الرِّياء وما
به يقع الرِّياء .

﴿ فصل ﴾

فإن قلت فالرياء حرام ؟ أو مكروه ؟ أو مباح ؟ أو فيه تعصيل ؟
وأقول . فيه تعصيل فإن الرياء هو طلب الحاء وهو إما أن يكون بالعبادات
أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب
منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسيب محظورة وكذلك
الحاء وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل
من الحاء وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال
« إِنِّي حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ » وكما أن المال فيه سمٌ نافع وترياق نافع وكذلك الحاء وكما
أن كثير المال يلهى ويطغى ويسى ذكر الله والذِّار الآخرة فكذلك كثير الحاء بل
أشدُّ وفتنة الحاء أعظم من فتنة المال وكما أننا لا نقول تملك المال الكثير حرام
فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على
مباشرة ما لا يجوز ، نعم انصراف الهم إلى سعة الحاء منه الشرور كانصراف الهم إلى
كثرة المال ولا يتدحج الحاء والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها وأما
سعة الحاء من غير حرص مث على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن رآه فلا ضرر
فيه فالحاء أوسع من حاء رسول الله ﷺ ومن بعده من علماء الدين ولكن انصراف
الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين
الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرأاة وهو ليس بحرام لأنه
ليس رياء بالعبادة بل بالدُّنيا وقس على هذا كلَّ تحمّل للناس وتزيّن لهم والدليل

عليه ما روي عن عائشة أن رسول الله ﷺ أراد يوماً أن يجرح على أصحابه فكان يطر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال نعم وإن الله يحب من العبد أن يترين لآخوانه إذا خرج إليهم^(١)، نعم هـ، كان من رسول الله ﷺ عادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترعيمهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ، ولو سقط من أعينهم لم يرعوا في اتساعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم من محاسن أحواله لكيلا يرد ربه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد صدقه أن يحسن نفسه في أعينهم حذراً من دمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيهم واحترامهم كان قد قصد أمراً مباحاً إذ للإنسان أن يحترس من ألم المذمة ويطلب راحة الأنس بالآخوان ومهما استنقلوه واستعدروه لم يأثم بهم ، فإذا المראה بما ليس من العبادات قد تكون مباحاً وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب العزم المطلوب بها ولذلك يقول الرّجل إذا أبق ماله على جماعة من الأعياء لاني معرض العادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مرأاه ليس بحرام وكذلك أمثاله

أمّا العبادات كالصدقة والصلاة والنحو والحق فلم يراني فيه حلتان إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الآخر وهذا يطل عبادته لأن الأعمال بالمبانيات وهذا ليس بقصد العادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى نقول : صار كما كان قبل العادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الأحاديث والآيات ، والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعادة وهو التلبس والمكر لأنه حيل لهم أنه محلس مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك ، والتلبس في أمر الدنيا أيضاً حرام حتى لو قضى دين جماعة وحيل إلى الناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم بذلك لما فيه من التلبس وتملك العلوب بالجداع والمكر ، والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة : إذا رأي العبد قال الله تعالى ملائكتك - انظروا إليه كيف يستهزئ بي - ومثاله أن تمثل بين يدي

(١) قال العراقي أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث عائشة .

ملك من الملوك طول النهار كما حرت عدة الخدم وإسماء وقوفت لملاحظتك حارية
 من حوارى الملك أو علامة من علمائه فإن هذا اسهرء بالملك إذا سمع تقصد التفرغ
 إلى الملك بخدمته بل قصد به عداً من عبده وأنى استحقار يريد على أن يقصد
 العبد بطاعة الله مرأاه عند ضعيف لا يملك له صراً ولا مفعلاً وهل ذلك إلا أنه طرأ
 أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذ
 أثره على ملك الملوك فعمله معصود عبادته وأنى اسهرء يريد على دفع العبد فوق
 المولى؟ فهذا من كمائر المهلك ولهذا سمى رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} ~~والمؤمنين~~ والشرك لأصغر ^(١)
 نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سأتنبه به في درجات الرياء ولا يحلو شيء
 منه عن أتم عليظ أو حبيب بحسب ما به المراءة ولولم يكن في الرياء إلا أنه يسجد
 ويركع لغير الله لكان فيه كعبه فيه إذ لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله
 ولعمري لو قصد غير الله بالسجود لكفر ككفر أجليب إلا أن الرب هو الكفر الحقي
 لأن المرأى عظم في قلبه الناس فاقصب تلك العظمة أن يسجد ويركع لهم فكل
 الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي
 تعظيم الخلق كان ذلك قريئاً من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده
 بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركاً حقيقاً لا شركاً حليماً وذلك
 عاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من حده الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من
 نعمه وضره ورفه وأجله ومصلح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل
 بوجهه عن الله تعالى إليهم فأقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله
 إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنعه وإن العباد كلهم عاجزون
 عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم صراً ولا نفعاً فكيف لغيرهم وهذا في الدنيا فكيف في
 يوم لا يحري والد عن ولده ولا مولود هو خدر عن والده شيئاً بل يقول الأندياء فيه
 نفسي نفسي فكيف يستمدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل العرب عبد الله ما يرثه
 بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا يسعى أن يشك في أن المرأى بطاعة الله في

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٤٢٥ من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم

سخط الله من حيث النقل والعقل جميعاً ، هذا إذا لم يقصد إلا حراًفاً إذا قصد إلا حراً
والحمد جميعاً في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يقص ، لا خلاص وقد ذكرنا
حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما قلناه في الآثار كلها على أنه لا حراً فيه أصلاً

❖ بيان درجات الرّياء ❖

علم أن بعض أبواب الرّياء أشدّ وأعظم من بعض وحتلافة باختلاف أركانه
وتفاوت الدّرجات فيه وأركانه ثلاثة المرائية ، وإيماني لأجله ، وبمن قصد الرّياء
التركن الأول بمن قصد الرّياء ودبت لا يحلو بما أن يكون محرّراً دون
إرادة عبادة الله والشّوق وإما أن يكون مع إرادة الثّواب فإن كان كذلك لا يحلو
إما أن تكون إرادة الثّواب أقوى وأغلب أو ضعف أو مساوية لإرادة العبادة فيكون
الدّرجات أربعاً ،

الدّرجة الأولى وهي أعظم أن لا يكون مراده الثّواب أصلاً كالذي يصلي
بين أظهر النّاس ولو اعترد لكل لا يصلي ، بل رتباً يصلي من غير طمأنينة مع النّاس فهذا
حرد قصده إلى الرّياء فهو المحقوت عند الله ، وكذلك من يحرص لصدقة خوفاً من
مدقة النّاس وهو لا يقصد الثّواب ولو خلا نفسه لما أداه فهد من الدّرجة العليا
من الرّياء

الدّرجة الثانية أن يكون له قصد الثّواب أيضاً ولكن قصده ضعيفاً بحيث لو
كان في الخلوة لكن لا يفعله ولا يحمله ذلك المقصد على العمل ولو لم يكن قصد الثّواب
لكان قصد الرّياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائنة قصد
ثواب لا يستقلّ بحمله على العمل لا يسعى عنه ابعت والإثم

الدّرجة الثالثة أن يكون قصد الثّواب وقصد الرّياء متساويين بحيث لو كان
كذلك واحد حالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل فلمّا اجتماعا استغش الرّعة ، أو كان
كل واحد منهما لو اعترد لاستقلّ بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فمحو
أن يسلم رأساً برأس لاله ولا عليه ، أو يكون له من الثّواب مثل ما عليه من العقاب
وطواهر الأخبار تدلّ على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص ،

الدرجة الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرححاً ومقوياً لنشاطه ولولم يكن
لكان لا يترك العادة ولو كان قصد الرياء وحده . لا أقدم عليه والذي بظنه . والعلم
عند الله . أنه لا يحيط أصل الثواب ولكنه ببعض منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء
ويثاب على مقدار قصد الثواب ، وأما قوله **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَمَا أُغْنِي الْأَعْيُنَ عَنِ
الشَّرِكِ » ^(١) فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح .

الركن الثاني المرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات
وإلى الرياء بأوصافها .

القسم الأول وهو الأغلب الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات :
الدرجة الأولى الرياء بأصل الإيمان وهو أغلظ أبواب الرياء وصاحبه محمد
في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة و باطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرأى
بظاهر الإسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله : « إِذَا حُكِمَ
الْمُنافِقُونَ قَالُوا شَهِدَ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ » ^(٢) أي في دلائلهم بقولهم على صمائرهم

وقال تعالى : « وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ يَخْشَى اللَّهَ يَأْكُلْ آلِهَتَهُمْ الْأَوْثَانَ وَالشَّيَاطِينَ الرَّجِيسِينَ قَائِلِينَ بِمَا عَمِلُوا مِنْ كِبَرٍ »
وما في قلبه وهو ألد الحصام « وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ الْأُتَى » ^(٣)
وقال تعالى : « وَإِذَا لَفَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَظِيمًا »
من الغيظ ^(٤)

وقال تعالى : « يَرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » ^(٥) والآيات
فيهم كثيرة وكان السائق يكثر في ابتداء الإسلام ثم يدخل في طاهر الإسلام ابتداء
لغرض وذلك مما يقع في زمانه ولكن يكثر بقاء من يسئل من الذين باطناً فيحدث
الحنة والنار والدأر الآخرة ميلاً إلى قول الملحده أو يعتقد ظمي ساط الشرع و

(١) أخرجه ابن ماجة ، بعد رقم ٤٢٠٥ وقد تقدم . وأخرجه أحمد ورجال رجال الصحيح .

(٢) السافون ٢ (٣) البقرة ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٤) آل عمران : ١١٦ . (٥) النساء : ١٤٢ .

لأحكام مسلّا إلى أهل الإباحة أو يعتد كمرأ أو بدعة وهو يظهر خلافه هؤلاء من المدققين والمرائين المحتلّدين في النار وليس وراء هذا لرياء رياء ، و حال هؤلاء هو أشدّ من حال لكفّار المجهريين لأنّهم جمعوا بين كفر الدطن وبفاق الظاهر الدّرجة الثانية لرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدّين وهذا أيضاً عظيم عدائه ولكنّه دون الأوّل بكثير ومثله أن يكون مال الرّجل في يده غيره فبأمره بإخراج الرّكاه خوفاً من دمه والله يعلم منه أنّه لو كان في يده لما أخرجهما أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع فبصليّ معهم وعدته ترك الصلاة في الحلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشهي حلوة من الخلق ليمطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لاحوف المذمّة لكن لا يحصرها ، أو يصل رحمه ويسرّ والديه لا عن رغبة في الثواب ولكن خوفاً من الناس أو بغر أو يوحّ كذلك فهذا المرائي معه أصل لا إيمان بالله يعتد أنّه لا معبود سواه ولو كلّف أن يعبد غيره أو يسجد لغير الله لم يفعل ولكنّه يترك العبادات المكمل ويشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحبّ إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعة لناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمديتهم أشدّ من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل ، وما أحذر صاحبه بالمرء وإن كان غير مسلم عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد

لدرجة الثالثة أن لا يرائي بالإيمان ولا بالعرائض ولكنّه يرائي بالنوازل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنّه يكسل عنها في الحلوة لغنور رغبته في ثوابها ولا يثار لدّة الكسل على ما يرحي من الثواب ، ثمّ يعنه الرّياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتّباع الحضارة وغسل الميت وكأنّه يحدّ بالليل وصيام يوم عرفة وبحود ذلك ، فعند فعل المرائي حلة ذلك خوفاً من المذمّة أو طلباً للمحمدة ، ويعلم الله تعالى أنّه لو حلا بنفسه لما راد على أداء العرائض ، فهذا أيضاً عظيم ولكنّه دون ما قبله فإنّ الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق ، وهذا أيضاً قد فعل ذلك واتقى دمّ الخلق دون دمّ الخالق فكأنّ دمّ الخلق أعظم عنده من عقاب الله تعالى ، أمّا هذا فلم يفعل ذلك لأنّه لم يحفّ عقاباً على ترك

المفلة لوس كها وكأته على الشطر من الأوّل وعقابه نصف عقابه . وهذا هو الرّياء بأصول العبادات

القسم الثاني الرّياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهي أيضاً على ثلاث درجات :
 الدرجة الأولى أن يراني يفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي عرصه أن يحقّف الرّكوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الرّكوع والسجود وترك الالتفات وتمم العهود بين السجدين . وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه أي أنه ليس يبالي باطّلاع الله عليه في الحلوة فإذا اطلع آدمي عليه أحسن الصلاة . ومن جلس بين يدي إنسان مترعاً أو متكئاً ودخل علامه فاستوى وأحسن لحسه كان ذلك تقديماً للعلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملاء دون الحلوة . وكذلك الذي يصاد إحراج الرّكعة من الدّائير الرّديّة أو من الحبّ الرّديء فإذا اطلع عليه غيره أحرّحها من لحيت خوفاً من مدّته . وكذلك الصائم يصوم صومه عن العيبة والرّفث لأجل التحلق لا إكمالاً لعبادة العتوم خوفاً من المنفعة فهذا أيضاً من الرّياء المحظور لأن فيه تقديماً للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرّياء بأصول النطوءات .
 فإن قل المرائي إنما فعلت ذلك صيانة لأنفسهم عن العيبة فإنهم إذا رأوا تخفيف الرّكوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللّس بالذّم والعيبه فإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلجيس وليس الأمر كذلك فإن صررك من نقصان صلاتك وهي حزمة منك لمولاك أعظم من صررك من غيبة عيرك . فلو كان معتك الدين لكان شغفتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال منه ولا به يتلقاها فيهديها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان الملك وحده وإذا كان عنده بعض علمائه امتنع خوفاً من منة علامه وذلك محال بل من يراعي حاسب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائي فيه حالتان إحداهما أن يطلب بذلك المصلحة والمحمدة عند الناس . وذلك حرام قطعاً . والثانية أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الرّكوع

والسجود ولو حققت كل صلاتي عند الله فاقصة وآداني الناس بدقتهم وعيبتهم وأستعبد
بتحسين الهيئته دفع مدقتهم ولا أرجو عليه ثواباً فهو خيرٌ من أن أترك تحسين الصلاة
فيعوت الثواب وتحصل المنة . فهذا فيه أدبٌ مطر والصحيح أن الواجب عليه أن
يحسن ويخلص فإن لم يحصره المنة فيسعي أن يستمر على عادته في الحلوة فليس
له أن يدفع الدَّم بالمرأاة بطاعة الله فإن ذلك استهزاء كما سبق

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ أن يرى فعل ما لا يعصا في تركه ولكن فعله في حكم
التكمله ولتتمتع لعبادته كالإطويل في الركوع والسجود ومد الفيام وتحسين الهيئته
ورفع اليدين والمدايرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة
على السورة ، طعنه وكذلك كثرة الحلوة في شهر رمضان وطول الصمت واختيار
الأحود على الجيد في الركاة وإعناق الرقة العالية في الكفارة وكل ذلك مما لو حللي
وبعته لكل لا يقدم عليه

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ أن يرى في رياضات حدرجه عن بعض المواقف كحضوره الجماعة
قبل القوم وقصده الصف الأول ونوحته إلى يمين الإمام وما يجري محراه وكل
ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بعنه لكل لا يبالي أين وقف ومنى يحرم بالصلاة
فهذه درجات الرِّياء ، بالاصافة إلى ما يرائي به وبعنه أشد من بعض والكل المدعوم .
الرَّكْنُ الثَّالِثُ المراءى لأجله فإن للمرائي معصوداً لا محالة فإبصاره يرائي
لا يدرك مال أو عرس من الأعراض لا محالة ، وله أيضاً ثلاث درجات

الدَّرَجَةُ الْأُولَى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصده التمسك من معصية
كالذي يرائي لعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة المواقف والامتناع من أكل
الشبهات وعرضه أن يعرف بالأمانة ، فيؤتي القضاء والأوقاف والوصايا أو مال الأيتام
فيأخذها ، أو تسلم إليه ترقية الرُّكوات أو الصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها ،
أو يودع لودائع فيأخذها ويبيحها ، أو سأم إليه الأموال التي تنعق في طريق
الحج فيحترل بعضها أو كلها ، أو يتوصل بها إلى استتباع الحجاج ويتوصل
بقوتهم إلى مقاصده العاسدة في المعاصي ، وقد يظهر بعضهم رياء التصوف وهيئة الخشوع

وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإثما قصده التحصن إلى امرأة أو اعلام لأجل المحور ، وقد يحضرون في محال العلم والتذكير وحيان القرآن يظهر من الرقة في سماع العلم والقرآن وعرضهم ملاحظة النسوان والصبيان أو يجرح إلى الحق ومقصوده الظفر بمن في الرقة من اعلام أو امرأة وهؤلاء أبعص المرائين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة رتبهم سلماً إلى معاد ، واتحدوه آلة ومنحرج أو بضاعه لهم في فسهم ، و يهرب من هؤلاء . وإن كان ذنوبهم - من هو مقتوف بجريمة اتهم بها وهو مصر عليها و يريد أن يسمي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لمعي التهمة كالتذيي ححد وديعة وانهم الناس بها فتصدق بالمال ليعال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من يذهب إلى محور امرأة أو اعلام ويدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهاره التقوى .

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ أَنْ يَكُونَ عَرَصَهُ بَيْلُ حِفْظٍ مباح من حظوظه الدنيا من مال أو نكاح امرأة حميلة أو شريعة كالتذيي يظهر الحر والنكاح ويشتمل بالوعظ والتذكير لتبدل له الأموال ونزع في نكاحه النساء ، فيعصم ما امرأة بعينها ليسكنها أو امرأة شريعة على الحملة ، كالتذيي يرفع في أن يتزوج بنت عالم أو عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في برويحه ابنه فهذا رياء محظوظ لأنه طلب بطاعة الله منافع الدنيا و لكسبه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ أَنْ يَعْصِدَ بَيْلَ حِفْظٍ و إدراك مال أو نكاح ، ولكن يظهر عبادته حيفة من أن يطر إليه عين النقص ولا يبعد من العاصمة والرهاتاد و يعتقد أنه من حملة العامة ، كالتذيي يمشي مستعجلاً فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كبلال يقال : إنه من أهل اللهو والسهول من أهل الوقار ، وكذلك يسبق إلى الضحك أو يبدد منه امرأح فيحاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالإستغفار وتقمس الصعداء وإظهار الحر و يقول : ما أعظم عجلة الآدمي عن نفسه ، والله يعلم منه أنه لو كان في حلوه لما كان يفعل عليه ذلك ، وإثما يحاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لابعين انوفير ، كالتذيي يرى جماعة يصلون النوافل ويتحدثون أو يصومون التطوع

وَيَقْصِدُ قَوْسَ قِيَمِهِمْ حَيْثُ لَا يَنْسِي إِلَى الْكُفْرِ وَبِحَقِّهِ عَوْمٌ وَلَوْ جَازَا بِمَنْسَةِ بَكَانٍ
لَا يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْهُ ، كَأَنَّهُ يَعْطِشُ فِي لَيُومٍ تَدِي يَصْنَعُ فِيهِ طَبَقاً وَلَا يَشْرَبُ خَوْفاً
مَنْ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ عَرَضَتْ فِيهِ طَبَقَاتُ بَدَنِ الْعُيُومِ لَمَنْعَ عَنْ الْأَكْلِ لِأَحَدِهِمْ وَ
يَدْعِي إِلَى طَعْمٍ فَيَمْسُحُ لِيَصِلَ إِلَيْهِ وَفَدَّ لِيَصِلَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ حَتَمٌ وَلَكِنْ يَقُولُ لِي
عَنْدِي ، هُوَ جَمْعٌ مِنْ حَتَمٍ فِي تَهْ يَرِي أَنَّهُ حَتَمٌ هُوَ فِي أَنَّهُ مَحْضٌ لَيْسَ بِمَرَاءٍ
وَيَسْتَحْضِرُ مَنْ أَنْ يَذْكُرَ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ فَيَكُونُ مِنْ تَهْ يَرِي أَنْ يَذْكُرَ لِنَفْسِهِ فِيهِ عَدُوٌّ
لِعِبَادَتِهِ ، ثُمَّ إِنْ اضْطُرَّ إِلَى شَرَبٍ لَمْ يَصْرَفْ عَنْ أَنْ يَذْكُرَ لِنَفْسِهِ فِيهِ عَدُوٌّ بِسَرِجَةٍ
أَوْ تَعْرِيفَةٍ أَنْ يَفْعَلَ بِمَنْ يَمْنَعُ يَمْنَعُ فِي الْعَدَشِ وَ يَمْنَعُ مِنَ الصُّومِ أَوْ يَقُولُ أَفْطَرْتُ
تَطْيِيباً لِقَلْبِ فَلَانٍ ثُمَّ قَدْ لَا يَذْكُرُ دَيْتَ مَتَصِلاً بِشَرْبِهِ كَيْلَا يَطْنُ بِهِ أَنْ يَعْتَدِرَ رِيَاءَ
وَلَكِنَّهُ يَصْرَفُ ، ثُمَّ يَذْكُرُ بَدْرَهُ فِي مَعْرِضِ حِكَايَةِ عَرَضاً مِثْلَ أَنْ يَقُولَ : إِنْ فَلَانٌ
مَحَبٌّ لِلْإِحْوَانِ شَدِيدٌ لِرُغْبَةٍ فِي أَنْ يَذْكُرَ الْأَسْبَابَ مِنْ مَدَامَةٍ وَ قَدْ أَلْحَ عَلَيَّ أَيُّومٍ
وَلَمْ أَحْدِثْ مَدَامَةً مِنْ بَطِيْبٍ فَلَهُ ، وَ مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ أُمِّي ضَعِيفَةُ الْقَلْبِ مُشْفَقَةٌ عَلَيَّ
تَعْنِي أَنْتِي لَوْ صَبَّحْتُ يَوْماً مَرَضاً فَلَا تَدْعُنِي أَنْ أَصُومَ ، فَيُذَكِّرُ مَا يَجْرِي مَجْرَادَ سَلَامَاتٍ
الرَّيَاءَ ، فَلَا يَسْقِي إِلَى النَّاسِ إِلَّا لِرُسُوخِ عَمَلِهِ فِي الرِّيَاءِ فِي النَّاسِ ، وَأَمَّا لِمَحْلَصٍ فِي رِيَاءِهِ
لَا يَلْبِثُ كَيْفَ يَطَّرُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الصُّومِ وَ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ
فَلَا يَرِيدُ أَنْ يَفْتَقِدَ غَيْرَهُ فِيهِ مَا يَحْتَفِ عِلْمُ اللَّهِ فِيهِ فَيَكُونُ مَلَسَماً ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ رَغْبَةٌ
فِي الصُّومِ لَمْ يَمْسُحْ بِلَهْ وَلَمْ يَشْرِكْ فِيهِ غَيْرَهُ ، وَ قَدْ يَحْضُرُ لَهُ أَنْ فِي إِدْبَارِهِ أَفْتَدَاهُ
غَيْرَهُ بِهِ وَ تَحْرِيكَ رَغْبَةِ النَّاسِ فِيهِ ، وَفِيهِ مَكِيدَةٌ وَغُرُورٌ وَ سَبَبٌ فِي شَرْحِ ذَلِكَ وَشَرْوْطُهُ
هَذِهِ دَرَجَاتُ الرِّيَاءِ وَ مَرَاتِبُ أَصْنَافِ الْمَرَاتِبِ ، وَ حَمِيمُهُمْ نَحْتُ مَقْتِ اللَّهِ وَ غَضَبِهِ
هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْمُهْلِكَاتِ وَ إِنْ مِنْ شِدَّتِهِ أَنْ فِيهِ شَوَائِبٌ هِيَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلَةِ كَمَا
وَرَدَ فِي الْحَمْرِ^(١) ، يَرَلُ فِيهِ فَحَوْلُ الْعُلَمَاءِ فَصَلاً عَنِ الْعِبَادَةِ الْحَقِّ بِأَقَاتِ التَّقْوَى
وَ عَوَائِلُ الْقُلُوبِ .

(١) رَوَاهُ الْبَرَاءُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَالطَّرَائِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى وَابْنِ جَبَلٍ فِي

الصَّغَاءِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ رَاجِعِ الصَّنِىِّ وَ مَجْمَعِ الرُّوَاثِ ج ١٠ ص ٢٢٢ .

❖ (بيان الرِّياءِ الحمي الذي هو أخفى من ديب السَّم) ❖

إِسمُ الرِّياءِ حميٌّ وحميٌّ فالحميُّ هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه
 بولا فصد لنواب دعو حلاله وأحمى منه فبالأهو ما لا يحمل على العمل بمحرده
 إلا أنه يحقق لعمل الرِّياء به وجه شه كآتي بعد التمهيد كل ليلة ويشق
 عليه فإذا دحر عليه انصرفت شظ له وحف عليه وعلم أنه لو أرخاه أثوب لكان
 لا يصني لمحرده أصغر وأحمى من ذلك ما لا يؤت في العمل ولا يتسبب والتجفيف
 يحد ولكنه مع ذلك مستطلي في صعب ومهم لم يؤثر في أدته إني بعمل لم يمكن
 أن يعرف إلا بالعلامات وأحمى علامته سر ساء الألاع اس على طاعته قرب عند
 محاصر في عمله لا يفتد لرياء يك عده ويرده وينضم العمل كدك ولكن إذا
 انقطع عنه ليس ساء دله ورماح له وروح لث عن فله شدقة العادة وهذا
 اسرور يس على رياء حمي منه يبرئح لشرور ولولا لفت القلب إلى الناس
 لما ظهر سروره عند اضلاله ليس فلعذ كان لرياء مسكناً في اعبد استنكر
 لشار في الحجر فأظهر منه طلال يحرق أثر لفرح ولسرور ثم إذا استشعر
 دة اسرور بالاضلاله يبرئح دك سكر هبه ويصير ذلك قوفاً وعده للعرو
 احمي من رياء حتى يتحرك على نفسه حر كه حفيته فيصمى تقاصياً حفيماً
 أن تنكث ساء يطلع عليه دله يص وإعلاء الكلام عريضة وإن كان لا يدعو إلى
 التصريح وقد يحمي فلا يدعو إلى لا يظهر بسطى يعريماً وصريحاً ولكن بالشعائل
 كاطهر لجوهر الصغار حفص السور ينس الشمس وحرف الربق وثنا الدُموع
 وعليه لعاس الدس على طول التجهيد وأحمى من ذلك أن يحمي بحيث لا يريد
 الاضلال ولا يبر بطهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس حب أن يندوه
 بالسلام وأن يعبلوه بانديشه والتوفير وأن يتنوا عليه وأن يشطوا في قضاء
 حوائجه وأن يسامحوه في السع والشراء وأن يستعملوه في أماكن وإن قصر فيه
 معصراً ثقل على قلبه وحد لذلك استبعاد في نفسه كأن نفسه يتقاصى الاحترام
 على لطاقه التي أحدها مع أنه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة

لما كان يستبعد تقصير الناس في حقّه . ومهم ما بكر وجود لعباده كعدمها في كثر ما يتعلق بالحلق لم يكن قد وقع يعلم الله تعالى . و لم يكن حالياً عن شوب حفي من الرّيب . أحصى من ديبالمدن وكل ذلك بوشث أن يحبط الآخر ولا يسلم منه إلا الصّدّيقون وقد روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال : « إن الله عز وجل يقول للمرء يوم القيامة ^(١) ألم يكن يرخص عليكم السر » ألم يكونوا تبدؤون بالسلام ؟ ألم يكن نفصى لكم الحوائج ، وفي الحديث الآخر : « لأحرلكنم قد استوفينم أحواركن »

وقال عبدالله بن اسدك روي عن وهب بن وهب : « إن رجلاً من السواح قال لأصحابه : إنا إنما قد الأموال والأولاد مخافة اطعمس ومخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر ممّا دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدهم إذا بقي أحب أن يعطى لمكان دينه . وإن اشترى شيئاً أحب أن يرحس عليه لمكان دينه . وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه . فبلغ ذلك ملكهم من في موكنه من الناس فإذا السهل والحل قد مثلاً بالناس . فقال السائح ما هذا فيل : هذا الملك قد طلث . فقال للعلام : نسي طعام فأناه سفل وريب وقلوب الشجر فحمل يحشو شدقه واكل أكلاً غمماً . فقال الملك أين ساحكنم ولوا هذا قال كيف أنت ؟ قال كالدس . وفي حديث حر - يحيى . فقال الملك ما عند هذا من حر فسرى عنه . وقال السائح الحمد لله أندي صرفك عني وأسالي دام . فلم يرل المحلصون حائض من الرّيب . الحق يحسدون لذلك في محارعه لس عن أعماهم الصّالحة يحرصون على إحتياط أعظم من بحر من الناس على إحتواء واحشيم كل ذلك رجاء أن تحلص أعماهم فيحاربهم الله في عسفة بخلاصهم على ملا من الحلق يدعلموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الحالص و علمو شدة حاجتهم و فاقنهم في الميامة و أنّه يوم لا يسمع فيه مال ولا نور ، ولا يجري و الدعس وله . و يشتعل الصّدّيقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي . فصلاً عن غيرهم فكانوا كروار بيب الله إذا موحتوا إلى مكّة فإتهم يستمجنون مع أنفسهم الذهب امعربي الحالص

لعلمهم بأن أرباب البوادي لا يروح عندهم الزمان ، و لحاجة تشد في لماديه ، ولا وطن يفرع إليه و لا حيم يتمسك به ، فلا يحكي إلا الحاصل من النعم . وهكذا يشهد أرباب القلوب يوم القيامة والرؤا الذي يتروونه له التقوى و قد شوائب الرؤيا ، الحمي كثيرة لا تنحصر ومهم أدرك النفس نغرة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعة من الرؤيا ، فإنه لما قطع طمعه عن الهائم لم يبال حصره لهائم أو الصبيان الرضع أو عبادوا اطلعوا على حركته أو لم يطلعوا ، ولو كان محلاً قديماً علم الله لاستحضر عقلاء العباد كما استحق صبيانهم و محتايهم ، و علم أن العقلاء لا يقدرون له على ريق ولا أحل و زيادة ثواب و نقصان عقاب ، كما لا يقدرون عليه ابهائم و الصبيان والمحتايين . فإذا لم يجد ذلك ففيه شوب رياء حمي ولكن ليس كل شوب محبطاً للأجر و مفسداً للعمل بل فيه تفصيل

فإن قلب فمادري أحداً يبعث عن السرور و عيوب طاعة و السرور معدوم كله أو بعضه محمود ؟ فنقول أولاً لا كل سرور فليس بمدموم بل سرور مسمم إلى محمود و مدموم ، فأما المحمود فأربعة :

الأول أن يكون قصده إجماع الطاعة و لا حلاس لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله اطلعهم عليه و أظهر الحميل من أحوالهم فيستدل به على حسن صديق الله به وطره له و الطاعة به فإنه يستر الطاعة و المعصية ثم الله يستر عليه المعصية و يظهر الطاعة ، فلا لطف أعظم من ستر القبيح و إظهار الحميل ، فيكون فرحه بحميل نظر الله به لا بحمد الناس و قيم المصلحة في قلوبهم ، وقد قال الله تعالى « قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا »^(١) و كأنه طهر له أنه عند الله معقول و فرح به .

الثاني أن يستدل بإظهار الله الحميل و ستره الصبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ « ما ستر الله على عبد دساً في الدنيا

إلا ستر عليه في الآخرة»^(١) فيكون الأول فرحاً بالوصول في الحال من غير ملاحظة المستعمل وهذا لتفات إلى المستعمل

لثالث أن يظن رغبة المطلقين على الاعتداء به في لطاعة فيتضاعف بذلك آخره فيكون له آخر العالوية بما ظهر آخراً وآخر السر بما قصده أولاً ، ومن اقتدى به في طاعته فله آخر أعمال المقتدين به من غير أن يفص من أخورهم شيء ، و بوقع ذلك حدير^١ أن يكون سبب السرور ، فإن ظهور محائل الربح للذيد^٢ وموجب^٣ للسرور لا محالة .

الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيعرج بطاعتهم لله في مدحتهم وبحبهم للمطيع ، و بميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمته ويحسده أو يدقه و يهره به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه ، فهذا فرح بحسن إيمان عباده الله ، وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إتياء .

وأما المدحوم فهو الخامس وهو أن يكون فرحه لمبايعة مرلته في قلوب الناس حتى يمدحوه و يعظموه و يقوموا بفضا حوائجه و يقابلوه بالأكرام في مصادره و موارد فهدا مكروه .

❖ (بيان ما يحبط العمل من الرياء الحفي والجلبي وما لا يحبط) ❖

منقول إذا عقد العبد العيادة على الإخلاص ثم ورد ورد الرياء فلا يحلوا إتمام أن يرد بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد^١ بظهور من غير طهار فهذا لا يحبط العمل إذ العمل قد تم^٢ على نية الإخلاص سلباً عن الرياء فما يطرأ بعده فرحو أن لا يعطى عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ، ولم ينص ذكره و إظهاره ولكن اتفق ظهوره بظهار الله إتياء ولم يكر منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه

أقول ، ويدل على هذا ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن

(١) أخرجه مسلم ج ٨ من ٢١ من حديث أبي هريرة .

أمر أن يعمل لشيء من الخير فراه إنسان فيسرة ذلك؟ قال لا تأمر به إلا وهو يحسن أن يظن الله له في الناس الخير، ثم يمكن صنع ذلك ذلك .
وقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : رسول الله أأمر بعمل لا أحب
أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه فسرني؟ قال لا أحب أن أحرأسره و
بغلاسة (١)

رواه أبو حامد في موضع آخر . قال هـ نعم لو نمت لعمل على الإخلاص
من غير عذر، ولكن ظهر له بعده عنه : الإظهار فحدثت به أظفر . فهذا
مخوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه محبط . فقد روي عن من مسعود أنه
سمع رجلاً يقول : قرأت إحدى سورة أمته في ذلك حفظه منها
و روي من سورة التين أنه قال : حررت لـ من لذهار بالرسول
فدل له : «ما صمت ولا أظفر» . فقال بعضهم : فما بالك لا تتركه . وقيل
هو إشارة إلى كراهة الصوم لذهار . وكتب كان فحينئذ يكون ذلك من رسول
الله ﷺ ومن ابن مسعود استدل على أن قوله عند إيمانه به عن عقداً بآية
وقصد به لما ظهر منه لحدث به إذا سعد أن يكون ما يطمأ بعد لعمل مطلقاً
للثواب بل الأقرب أن يقال : به عذاب على عمله تدي مضي ومعه فب على مرأته
بطاعته أنه بعد له مع منها بخلافه لو تغير عقده إلى أن يتركه . فدل على
ذلك مطلقاً . وأما إذا ورد برأيه فدل أنه مع من لصلاته مثلاً وكان قد عذله

(١) المصدر ج ٢ ٢٩٧ تحت رقم ١٨ .

(٢) قال العراقي : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من روي به ذكره عن من مسعود
وروي الترمذي ج ٩ ص ٢٣١ من حديث أبي هريرة قال رجع رسول الله ﷺ إلى مكة
لعمل فيسره فدا طلع عليه أعنه ذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «له
أجران أخر السر وأخر بغلاية» . وروى هذا حديث حسن عريب .

(٣) أخرجه الترمذي ج ٣ ص ٢٩٧ عن أبي قتادة قال قال رسول الله ﷺ كيف بمن
صام لدهر؟ قال لا صام ولا أظفر . أولم يصم ولم يعضر . وقال العراقي لم أجده بنقل
الخطاب .

الإخلاص ولكن ورد في ثواب وارر الرأى فلا يحلو قدا أن يكون محسراً. سرور
لا يؤثر في العمل، لأنه أن يكون به باعثاً على العمل في كل باعث على العمل
وحتم العمل به حط آخره ثم أنه أن يكون في صفة به حط آخره لا يحصر
مذنب من مذنب وهو يشتهي أن يطير به أنه مذنب سائر سائر ماله وهو سائر
يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة وتسميها خوفاً من منعة الناس فقد حط آخره
وعليه لا عاده من كل في فريضة ورد في سريره والعمل كالوعاء في إصاب آخره طلبة
أوله (١) أي النظر إلى خاتمته.

ورد في من رأى بعمله ساعة حسنة ثم أنه كان قبله وهو مبرور على
لصلاة في هذه الصورة لأعلى الصدقة والأعلى السراية. من أن حرم من منعه
وما يطرأ يقصد له في ذلك ما حصى به صورة الخلق من فعل الصلاة وأما إن كان
وارد الرأى به حط آخره من فساد الإيمان لأجل الثوب. أنه لو حصر حذره في
أثناء الصلاة. وما يحصره من عهد به. وقد بعث في الصلاة لأجل ذلك. كان
لولا حصره من كان به من أضافه. وقد أثر في العمل به. على أن كان
فإن غلب حتى انتهى معه الإحسان يقصد له حذره في الثوب وقد بعث له حذره
معهم. وقد أتى به يعني أن عهد له من عهد له من عهد له. كما هو على هذا
الوجه. لأن يكفي ما عينه لساعة عهد الإحسان بشرط أن لا يطرأ عليها ما يعظم
ويعمرها. ويحتمل أن يقال لا يقصد له حذره من حاله العهد وإليه أنه أصل قصد
الثوب. وإن ضعف به حصره قصد هو أغلب منه

ولأنفس أن هذا القدر إذا لم يقصر أثره في عمل به بقي العمل صادر عن
باعث لذتين. وإذا تصدى إليه سرور بلا طلاح فلا يقصد العمل لأنه لم يعد
به أصل بتمه ونقيب تلك بتمه بعثه على العمل وحمله على الإيمان

(١) أخرجه ابن ماجه بحث رقم ٤١٩٩ من حديث مدوية بن أبي سعيد بنه وسنده

ضعيف كما في الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٢.

(٢) قال العريفي سم أحمد بهذا المعنى وشيخ من حديث جديده من سمع سبع

لله. ومن رأى ربه الله به. وهو مسلم من حديث ابن عباس وقد تقدم

أقول . وقد أسلفنا ما يدل على ذلك من النص

قال (١) أما الأحبار آتوا وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الحلق ، وإما ما ورد في الشريعة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساوياً لعقد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان ضعيفاً بالإضافة إليه فلا يحط بالكلية ثواب الصدقة و سائر الأعمال ولا يسمى أن يعقد الصلاة ، ولا يعد أيضاً أن يقول : إن الذي أوجب عليه صلاة حاله لو حده الله والحال ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤدياً للوحد مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه ، وقد ذكرنا في (كتاب الإخلاص) كلاماً أوفى مما أوردناه الآب فليرجع إليه بهذا حكم الرياء الطاريء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعده .

القسم الثالث ، الذي يعارض حال العقدين ينسب الصلاة على قصد الرياء فإن تم عليه حتى يسلم فلا خلاف في أنه يعصي ولا يعتد بصلاته ، وإن يدم عليه في أثناء ذلك واستعمر ورجع قبل التمام فعيناً يلزمه ثلاثه أوجه ، قالت فرقة : لم تعتد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف ، وقالت فرقة : يلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود ويعد أفعاله دون بحرمة الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يحرر التحريم عن كونه عقداً ، وقالت فرقة : لا يلزمه إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الإخلاص والبطر إلى حاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالإخلاص وحتم بالرياء لكن يعد عمله .

وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطح به حماره عارضة فإذا أزيل العارص عاد إلى الأصل ، فقالوا : إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ، ولو سجد لعير الله لكان كافراً ، ولكن قد اقترن به عارص الرياء ثم إن زال بالدم والثوبة وصار إلى حالة لا يبالي بحمد الناس ودمهم فتصح صلاته ، ومنهجه العريقين الآخرين خارج عن قياس العقه حدّاً خصوصاً من قال : يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالاً رائدة في الصلاة فتبطل

الصلاة ، وكذلك قول من يقول لو ختم بالاحلاص صحّ نظراً إلى الآخر فهو أيضاً
صحيح لأنّ الرّيا يفتح في البيّة وأولى الأوقات بمراعاة الأحكام البيّة حل
الافتتاح والذي يستقيم على قياس العقه هو أن يقال إن كان باعته محرّك الرّيا
في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم ينقصد فتتاحه ولم يصح ما بعده ،
وذلك في من إذا خلا بنفسه لم يصلّ ولمّا رآه الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو
كان ثوبه أيضاً نجساً كان يصلّي لأجل الناس فهذا صلاه لبيّة فيها إدا البيّة عمارة عن
إحابة باعته الدّين ، وههنا لا باعته ولا إحابة . فأمّا إذا كان بحيث لولا الناس أيضاً
لكان يصلّي إلّا أنّه ظهرت له الرّغبة في المحمّدة أيضاً فاحتجّ لباعثان ، فهذا إمّا
أن يكون في صدقة أو امرأة وما ليس فيه تحليل ونحرّم أو في عقد صلاة وحجّ ،
فإن كان في صدقة فقد عصى بإحابة باعته الرّيا ، وأصاح بإحابة باعته الثواب ، ومن
يعمل مثقال ذرّة خير أيره ، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ، فله ثواب بقدر قصده
الصحيح وعقاب بقدر قصده العائد ، ولا يحيط أحدهما الآخر ، وإن كان في صلاة
تقبل العائد بتطرق حلّ إلى البيّة فلا يحلو إمّا أن تكون بفلاً أو فرصاً ، فإن
كانت بفلاً فحكمها أيضاً بحكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذا احتجّ
في قلبه الباعثان ، وأمّا إذا كان في فرص واجتمع الباعثان وكان كلّ واحد منهما
لا يستقلّ وإتّما يحصل الباعث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأنّ الإيجاب
لم ينتهض باعثاً في حقه بمحرّكه واستقلاله ، وإن كان كلّ باعث مستقلاً حتّى لو
لم يكن باعته الرّيا لأدّى العرض ، ولو لم يكن باعته العرض لأشأ صلاة بطوعاً
لأجل الرّيا ، فهذا في محلّ النظر ، وهو محتمل حدّاً ، فيحتمل أن يقال ، إن
لواجب صلاة خالصة لوحده الله ولم يؤثّر الواجب الحاصل ، ويحتمل أن يقال ، الواجب
امتنال الأمر ساعت مستقل بعينه وقد وجد ، فاقتران غيره به لا يجمع سقوط العرض
عنه كما لو صلّي في دار مقصورة فإنّه وإن كان عاصياً بما يقع الصلاة في الدار مقصورة
فإنّه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للعرض عن نفسه ، وتعارض الاحتمال في تعارض
البواعث في أصل الصلاة ، أمّا إذا كان الرّيا في المبادرة مثلاً دون أصل الصلاة ، مثل

من يادر بالصلاة في أوّل الوقت لحضوره عند الويل حالاً لا يحترها إلى وسط الوقت
ولو لا انقراض لكل لا يبتدىء صلاة لأجل الرّياء فقد تمّ يعطع بصحة صلاته وسقوط
الفرس به لأنّ باعث أصل الصلاة من حيث هو لا لم يعاصه غيره بل من حيث
تعيين الوقت ، فهذا أعده عن لعدج في الدّعة ، هـ في ما يكون باعثاً على العمل
وحاملاً عليه ، فأتمّ محرراً السّرو ، باطلاغ الدّس عليه باسم يبلغ أثره إلى حيث يؤثّر في
العمل فتعبد أن يفسد الصلاة فهذا ما يرمي لأفناً به يوم القمّة ، و المسألة عمنه من
حيث إنّ الفقه لم يتعرّضوا له في فنّ القمّة ، الذين حصوا فيها وتصرفوا في
يلاحظوا قواين الفقه ، ومقتضى ما يدرى لعمقه في صحة الصلاة ، فسادها ، أن يحلّم
الحرص على تصفية القلوب و طلب لا خلاص على فساد العبادات بتدني الخواطر
وما ذكرناه هو الأقصد وما يراه والعلم عند الله تعالى فيه

(بيان دواء الرّياء وطريق معالجة القلب فيه)

لقد عرفت ممّا سبق أنّ الرّياء محطّ للأعمال وسبب للمفكّ عبد الله وآله
من كبائر المهلكات ، وما هذا وصفه وحديث بالتشمر عن ساق الحدّ في ذلك ولو
بالمجاهدة وتحمل المشاق ، فلاشكّ إلّا في سبب الأذية المبرّة البشعة ، وهذه مجاهدته
يصطرّ إليها العباد كلّهم ، إذ الصّبيّ يحلّق بعبث العقل ، الممير تمتدّ العين إلى
التخلق ، كثير اطمع فيهم ، يرى الدّس ينصنع بعضهم لبعض فعلت عليه حبّ
النصنع بالضرورة ويتبرّح ذلك في نفسه وإسم يشعر بكون ذلك مهلكاً بعد كمال
عقله وقد اعرض الرّياء في قلبه وترسّح فيه فلا يبعد على فمعه إلا بمجاهدة شديده
ومكابدة لغوّه الشهوات فلا يملك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكونها شقّ
أولاً وتحت آخراً وفي علاجه مدام أحدهم قطع عروقه وأصوله التي منها
اشعابه ، والذي دفع ما يحظر منه في الحال

المقام الأوّل في قطع عروقه وتنصلّ أصوله ، وأصوله حبّ المنزلة
والجده ، وهذا فصل رجح إلى ثلاثة أصول وهو حبّ الدّعة المحمّدة والفرار من ألم
المدّة والطمع في أيدي الدّس ، ويشهد للرّياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي

ماروى أبو موسى أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل حمة ومعه أخته ياتفأ يفهر أو يدم بأخته معبوز معلو [وقال والـ] يقاتل ليري مكانه وهذا هو طلب لده لجاه والعز في القلوب والرجح به من لدن كـ وهذا هو لحمد باللسان [فقال رسول الله ﷺ] من قبل لتكون كلمة لله هي العليا فهو في سبيل الله .

وقال من مسعود: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لئن لم ألتكف فكنتوا الناس على من سيم فلا يقاتل لذكر . و قال ربة بل للملك والملك للملك إشارة إلى لطمع في الدنيا .

وقال ﷺ: من عدا لاسعي لا عملاً فله عابوى ، ^{١٢} وهذه إشارة إلى انطباع ، وقد لا تشبهي لحمد ولا لطمع فيه ولكن يحدد من ألم لدم كالجيل بين الأسجيد وهم ينشد قوس سلال الكثر فإنة يصدق بعليل كيلا يخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سمع غيره . كالجيل من لشعاع لا يفر من ارتح حوى من لدم وهو لا يطمع في الحمد . وقد فهم عه . على صفة لعدل ولكن إذا يس من لحمد كـ . لدم . وكالرجل بين قوم يصلون جمع اللذ فصلتي كعات معددة كيلا يدم بالكسل وهو لا يطمع في لحمد وقد يقرر لآسان على العصر عن لده الحمد ولا يقرر على العصر على لدم . وكذلك قد يترك السؤال عن علم وهو محتاج إليه حيفة من أن يدم بالجه وبقي غير علم ويدعي العلم بالحدث وهو به جاهل وكذلك ذلك حدد من الـ فهد لأمور الثلاثة هي التي تحرره طرئي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة

ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء ، وليس يحق أن الإنسان إنما يقصد

(١) أخرجه مسلم ج ٦ من ٤٦ هكذا : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يقابل في سبيل الله عروحين فقال : الرجل يقابل عساً ومعد حمة ، قال : فرفع رأسه له ومارفع رأسه إليه لا أنه كان قائماً فقال من فأن لتكون كلمة الله هو العليا فهو في سبيل الله .

(٢) أخرجه السنن ج ٦ من ٢٤ من حديث عباد بن صامت

الشيء ويرغب فيه لطمه أنّه حرّ له و باع . لذيد رياء في العمل و يما في العمل ،
 في علم أنّه ذئب في العار ولكنّه صار في المال سهل عليه قطع الرّغبة عنه كمن
 يعلم أنّ العسل لذيد ولكن إذا بان له أنّ فيه سمّاً أعرض عنه ، فكذلك يترك قطع
 هذه الرّغبة أن يعلم ما فيها من المصرة ، ومهما عرف العبد مصرة الرّياء وما يفوته
 من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق في الآخرة من مسرلة عدلته
 وما يتعرّض له من لعنات عظيم والمغب الشديد ، الحري الظاهر حيث ينادى به
 على رؤوسهم : يا فاجر ، يا عاذر ، يا مرائي ، فما استحسب إذا اشترت بطاعته الله
 عرض الدّنيا رافض قلوب العباد و سبها من مطر الله تعالى ، و يحسب إلى العبد
 بالنقص إلى الله و تزييت لهم ناشين عدلته و يقرّب إليهم بالمعنى من الله و
 يحسب إليهم بالندم عدلته . وطلب رضاءهم بالتعرّض لسخط الله أمّا كان أحد
 أهون عليك من الله ، ومهما تمكّر بعد في هذا الحري و قابل ما يحصل له من بعد
 وابتدئ لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة ، و ما يحبط عليه من ثواب الأعمال
 مع أنّ العمل الواحد قد يترجّح به ميران حسنة لو خلص في راسد بالرّياء ،
 حوّل إلى كفة السيئات و ترجّح به وبهوي إلى النار ، فلو لم يكن في الرّياء إلا إحباط
 عبادة واحدة بكل ذلك كافياً في معرفة ضرره وإن كانت مع ذلك سائر حسنة واحدة
 فقد كان يسأل منه بحسنة علو الرّنة عدلته في رمة النّبيين والصدّيقين وقد حطّ
 عنهم بسب الرّياء وردّ إلى صفّ البغال من مراتب الأَوْلِياء هدامع ما يتعرّض له في الدنيا
 من تشنّج الهمّ بسب ملاحظة قلوب الخلق ، فإنّ رضاء الناس عاية لا تدرك ، فكلّ
 ما يرضى به فريق يسخط به فريق ، و رضاء بعضهم في سخط بعضهم ، ومن طلب رضاءهم
 في سخط الله سخط الله عليه و أسخطهم أيضاً عليه ثمّ أيّ غرض له في مدحهم و إيذار
 دمّ الله لأجل حمدهم ولا يريد حمدهم رزقاً ولا أحلاماً ، ولا يبعه يوم فقره وفاقته ،
 وهو يوم القبضة ، أمّا الطمع بما في أيديهم فبأن يعلم أنّ الله تعالى هو المستحتر
 بالملوك بالملع والإعطاء ، وأنّ الخلق مصطرون فيه ولا رابق إلا الله و من طمع في
 الخلق لم يحل من الدّل والحيه ، وإن وصل إلى المراد لم يحل عن المنة والمهانة

وكيف يترك ما عند الله برحمة كاذب و وهم فاسد ، قد يصيب و يخطئ و إذا أصاب فلا
تفي لذته بألم مدته و مدلته و أمّا دمه فلم يحدد منه ولا يريده دمه شيئاً ما لم يكنه
الله عليه ولا يجعل أحله ولا توحّر ررقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل
الجنة ولا يقتصه إلى الله إن كان محموداً عند الله ، ولا يريده مقناً إن كان محموداً عند
الله ، فالعبد كلهم محروقة لا يملكون لأنفسهم شيئاً ولا ينفق ولا يمكنون موتاً ولا حياة
ولا مشوراً ، فإدھر في قلبه آفة هذه الأسس و صبرها و قرب رغبته و قبل على
الله قلبه ، و إن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره و يندر نفعه و يكفّر أن الناس لو
عدموا ما في باطنه من قصد الرئى ، و يتم الإخلاص لمقتوه و سيكشف الله عن سره
حتى يقتصه إلى الله و يعرفهم أنه من ربي و محبوب عند الله ، ولو خلاص الله لكشف
الله لهم إخلاصه و حسنه إليهم و سحرهم له و أطلق ألسنتهم بحمده و أشاء عليه ، مع
أنه لا كمال في مدحهم ولا بعد في رثمهم كما قال شاعر من بني نمير : إن مدحي
رب و إن دعي شيء فقال له رسول الله ﷺ : كذب ذلك الله الذي لا إله إلا
هو ،^(١) إلا لا بين إلا في مدحه ولا شيء إلا في رثمه فأبى خير بك في مدح الناس و أنت
عند الله مذموم و من أهل النار ، و أي شر لك من دم الناس و أنت عند الله محمود و
في رثمه المعتبرين ، فمن أحصى في فيه الآخرة و يعيم المؤبد و اندر الرقيقة
عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق أيام حياته مع ما فيه من لكدورات و المنة
و المنقصات و حتمت همه و يعرف إلى الله قلبه و تحلّص من مدله أبرّاء و معاساة
قدوب لخلق و اعطى من إخلاصه أنوار على قلبه يشرح به صدره ، و يفتح به له من
لطائف المكشوف ما يريد به نفسه ناقة و وحشة للخلق و استحقاقه لذتها و استعطائه
للآخرة و سقط محل الخلق من قلبه و نحن عنه داعية الرياء ، و بدّل للمسيح لإخلاص
فهذا و ما قدّمناه في الشطر الأوّل هي الأوديد لعلمه لتعالفه مع الناس برّاء ،

(١) أخرجه أحمد ح ٣ ص ٤٨٨ من حديث الأوزاعي عن حماد بن عمار ، وهو قول مالك بن نويرة ،
وقال العراقي : وجهه نقار لأنه روى عن الأوزاعي ، وسمي من عند الرخص و يعرف به معناه
عن الأوزاعي و رواه الترمذي من حديث البراء و حديثه معطى و قول رجل : بن حماد ،

و أمّا الدّواء العملي فهو أن يعود نفسه إحصاء العبادات وإعلاء الأثواب
 و هو بها كما يعلق الأبواب دون العواحي حتى يسمع قلبه يعلم الله واطّلاعه على عبديته
 لا يسارعه النفس إلى طلب علم غير الله به ، و قد روي أنّ بعض أصحاب أبي حفص
 جدّ آدم دم الرّياء و أهلها قول له أبو حفص أظهرت ما كان سبيلك أن تحفيه لا
 تبا بعدد ، فلم يردّ في طهر هذا العدول لأنّ في صوم دم الرّياء بعض دعوى
 بعد فيها فلا دواء للرّياء مثل الإحصاء و ذلك يشقّ في مدّيه المحمّدية و إذا صر
 عليه مدّة بالكلّيّة سقط عنه ثقله و هان عليه ذات سوسل أظاف الله و ما يمدّ به
 ناره من حسن النّوامة و التّأييد و لكن الله لا يغيّر ما يقوم حتى يعتزّوا بما بأنفسهم
 فمن بعد المحمّدية و من الله الهداية و مر العذرة و من الله فتنع الباب
 الله لا يصعب آخر لمجسبي و ربّك حسنة يصاعقه و يؤب من لديه أحرأ عطيماً
المقام الثاني في دفع الغش من منه في أثناء العادة و ذلك لا بدّ من تعلّمه أيضاً
 من حاشد نفسه و قلع معر الرّياء من قلبه بالمدّة و قطع الطمع و أسقط
 عنه من أعين المخلوقين و اسحق مدح المخلوقين و دهم و لشيطان لا يتركه في أثناء
 عذرة بل يعارضه بحضرة الرّياء و لا تنقطع عنه مرعاته ، و هو النفس و ميلها لا
 يمحى بالكلّيّة فلا بدّ من دشمته لدفع ما يعبر من حاطر الرّياء و حواطر الرّياء
 ثلاثة قد تحظر دفعه واحدة كالحاطر الواحد و قد بر ادق على التّدمج فالأوّل العلم
 بالتّلاع الحلق و حاشا لأعهم ، ثمّ يتلوهم معجّل الرّوعة من النفس في حمدهم و حصول
 المنزلة عندهم ، ثمّ يتلوهم معجّل الرّوعة في قبول النفس له والرّاء كونه إليه و عهد الصّميم
 أي بحقيقته فالأوّل معرفة ، والثاني حاله سمّي الشهوة و الرّوعة ، والثالث فعل يسمّى
 دم و يصمم البعد ، و إمّا كمال لمؤنة في دفع الحاطر الأوّل و ردّه قبل أن
 يسوءه الشّائي ، و قد حطّره معرفة الطّلاع الحلق و رجاء الطّلاعهم دفع ذلك من قال
 نفسه مالت وللخلق علموا ، أو لم يعلموا ، و الله عالم بحالك ، و أيّ فائدة في علم
 غيره فإن هاجت الرّوعة إلى لدّة الحمد تدكّر ما رشح في قلبه من قبل في
 آفة الرّياء و يعرفه للمقت عبد الله تعالى في لقبمة وحيته في أحوح أوقاته إلى أعماله

فكما أنّ معرفه اطلاع ، ساس تثير شهوة و رعه في لرّياء ، و معرفة آفة الرّياء أيضاً تثير كراهة له فتميل تلك الشهوة ، ويتنكر في تعرّضه لمع الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول ، والكراهة تدعوه إلى الإباء . والبصر تطوع لا محالة أقواهما وأعلمهما ، في ذن لا بدّ في ردّ الرّياء من ثلاثة أمور : لمعرفة ، والكراهة ، والإباء . وقد يشرع العبد في العبادة على عزم لا خلاص ثم يرد خاطر الرّياء فيقلبه ولا تحصره المعرفة ولا الكراهة لأنّي كان الصمير مطبوعاً عليها ؛ وبما سبب ذلك امتلاء القلب بحوى الدّم وحبّ الحمد واسباب الحزن عليه بحيث لا يبقى في القلب متنفس لغيره فيعرب عن القلب لمعرفة سابعة ما فات الرّياء و شؤم عاقبته ، فلم يبق موضع في القلب حال من شهوة الحمد و حوى الدّم وهو كالتّي يحدث نفسه بالحلم و دمّ العبد يعم على المحلّم عند حريان سبب الغضب ، ثمّ يهري من الأساب ما يشتدّ به غصه فتمسى بسوق غرمة ويمتلي قلبه غيباً يمسح من تدكّر آفة الغضب و يشتعل عنه فكذلك خلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرآة الغضب وإليه أشار خابر بقوله : « يا أيّها رسول الله ﷺ تحب الشجرة على أن لا يعرف » ولم سابعة على الموت فأسيبها يوم حين حتى يودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا ^(١) و ذلك لأنّ العلوب اعتلّاب بالخوف فسيب العبد لسابق حتى ذكروا ، وأكثر الشهوات التي بهم فحاة هكذا يكون إدنسى معرفة مضرتّه الدّاحلة في عهد الإيمان ، ومهما سبي لمعرفة لم تطهر الكراهة فإنّ الكراهة ثمرة المعرفة وقد يندكّر فيعلم أنّ الذي خطر له هو خاطر الرّياء الذي يعرضه لسخط الله ولكن يستمرّ عليه لشدة شهوته فيعلب هواه عقله ولا يعبر على ترك لدّة الحال ، فيسوّف بالتوبة أو بمشاعل عن التفكّر في ذلك لشدة الشهوة ، وكم من عالم يحصره كلام لا يدعوه إلى ذكره إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمرّ عليه فتكون عليه لحجة أو كد يد قبل داعي الرّياء مع علوه بعائلته وكونه مدعوماً

(١) أخرجه السيوطي ج ٧ ص ١٤٠ دون قوله : « فأسيبها يوم حين » فرواه

عندائه ولا تمنعه معرفته إذ حلت المعرفة عن الكراهة ، وقد تحصر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ، ويعمل به لكون الكراهة صعبة بالإضافة إلى قوة الشهوة ، وهذا أيضاً لا يمنع بكراهته ، إذ العرس من الكراهة أن تصرف عن الفعل فإذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإباء ، فالأب ، ثمرة الكراهة ، والكراهة ثمرة المعرفة ، وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان وبور العلم ، وصعب المعرفة بحسب العقلة وحب الدُّب وبيان الآخرة وقلّة لتفكير فيما عند الله وقلّة لتأمل في آفات الحياء الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعص ذلك يستح بعضاً ويثمره وأصل ذلك كلّ حبٍّ اندبياً وعبدة الشهوة ، وهو رأس كلّ خطيئة ومسح كلّ دُب ، لأنَّ حلاوة حبِّ الحياء والمصلحة ونبذ الدُّب هي التي تغمر القلب وتميله وتحول يمينه وبين التفكير في العاقبة والاستنباط سور الكذب والسنة وأنوار العلوم

فإن قلت : فمن صدق من نكسه كراهة بالرياء وحملت الكراهة على لا بد . ولكن مع ذلك غير خال عن ميل الطمع إليه وحبّه له وصدارته يّاه لا أنه كاره لحيته وقليله إليه وغير محتبّ إليه ، فهل يكون في رمره اسرائين ؟ فاعلم أن الله تعالى لم يكلّف العبد إلا ما يطيق ، وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن ترعاته ولا قمع لطمع حتّى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما عاينته أن يعادل شهوته بكراهة استثارها من معرفه العواف ، وعلم الدّين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو العاية في آداء ما كلف به ويدلّ على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله ﷺ شكوا إليه وقالوا تعرض لعلوب أشياء لأن نجر من السماء فتخططنا الطير أو تهوي بن الرّيح فيمكن سحيق أحب إلينا من أن ينكلم بها ، فقال : أو قد وحدثموها ؟ قالوا نعم ، قال : ذلك صريح الإيمان ^(١) ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال : أراد

(١) أخرجه مسلم ح ١ ص ٨٣ مختصراً من حديث ابن مسعود ورواه أحمد ج ٦ ص

١٠٦ أيضاً من حديث عائشة . ورواه أبو علي والزار ورجالهم كما في مجمع الزوائد

بصريح الإيماء الوسوسة فلم يبق إلا حملها على الكراهة المساوقة للوسوسة والرّياء
وإن كان عظماء قوم ودور الوسوسة في حق الله تعالى إذا اندفع صرر الأتباع بالكراهة
فإن يدفع بها صرر الأصغر أولى . وكذلك يروى عن النبي ﷺ في حديث ابن
عبّاس أنه قال « الحمد لله الذي ردّ كيد الشيطان إلى الوسوسة »^(١)

وقل أبو حاتم ما كان من بعض فكرهته بعضك لبعض فلا يصرك ما هو
من عدوك . وما كان من بعض فرصته بعضك لبعض فعاتبها عليه . فإن وسوسة
الشيطان ومعرفة النفس لا تصرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة . ولحواطر
التي هي لعلوم والتدكرات والتجملات لأنساب المهيتحة للرّياء هي من الشيطان
والرّعة والميل بعد تلك الحواطر من النفس والكراهة من لا يمين ومن آثار لعن
إلا أن للشيطان هب مكيدة وهو أنه إذا عجز عن حملها على قول الرّياء حين
إليه ن صلاح قلبه في الاشتغال بمحاذلة الشيطان ومطاولته في الردّ والجدال حتى
يسلبه ثواب الإحسان وحضور القلب لأن الاشتغال بمحاذلة الشيطان ومداغمة
بصرف عن سرّ . لما حاه مع الله عزّ وجلّ فيوجب ذلك بعضه في ميراثه عند الله .

و لما تحلّص من الرّياء في دفع حوائج الرّياء على أربع مرات .
الأولى أن يردّه على الشيطان مكذّبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمحاذلة
و يطيل الجدال معه لئله أن ذلك أسلم للقلب وهو على التحقيق نقصان لأنّه
اشتغل عن مباحاة الله وعن الخير الذي هو بصدده . انصرف إلى قتال وطاع بطريق
و التعرّيج على قتال قطع الطريق نقصان في الصاوك . الثانية أن يعرف أن القتال
و الجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكديسه و دفعه ولا يشتغل بمحاذلة
الثالثة أن لا يشتغل بتكديسه أيضاً لأن ذلك وقته ويزن قلبه بل يكون قد فرّج
في عدم صممه كراهة الرّياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستقصاً
للكراهة غير مشغل بالتكديس ولا بالمحاصم . الرابعة أن يكون قد علم أن

(١) أخرجه أحمد ج ١ ص ٢٣٥ من حديث ابن عباس ، وأيضاً أبو داود ج ٢ ص

لشيطان سيحسده عند حريان ساب لربنا، فيكون قد عزم على أنه مها نزع
 لشيطان راد فيه، هو فيه من الإخلاص والاشغال لله عز وجل ورحمة، اصدفه
 و لعمدة عطفاً للشيطان، وذلك هو الذي يعيط، للشيطان ويعمعه ويوحى بأنه
 وفوضه حتى لا يجمع، ويرى عن القليل من عزمه أنه قين به إن فلاناً
 ذكر كسوه، قال والله لأعطى من أمره، قيل ومن أمره؟ قال الشيطان،
 ثم قال «اللهم، عذره» أي لأعطيه بأمر أطيع الله فيه، ومهما عرف الشيطان من
 عند أعداء هذه العدة كتب عنه حبيبه من أن يريد في حسده، وقال إبراهيم لتيمة
 إن الشيطان ليدعو العبد إلى الدن من لا ثم فلا يطعه، ولحدث عند ذلك حيراً،
 في داراه كدك نر كه، وقال أيضاً إنا رآك، للشيطان مترد طمع فيث و إد،
 رآه مداوماً ملك وفلاك^(١)

و صرح الحارث المحمسي^(٢) لهنه لأربعة مثالا أحسن فيه فقال مثاليهم
 كثر بعة قعدوا مجلساً العلم والحديث لعلوا منه فائدة وهداية وشد، وحسدهم
 على ذات صال مسدع، حاف أن يعرفوا الحق، فعدم إلى واحد منهم ومنعه
 وصرفه عنه و دعاه إلى مجلس صلال فأبى فلما عرف إباءه شعله بالجداله فاشعل
 معه ليرد صلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو عزم اتصال ليعرف عليه بقدر
 تأخره، فلما مر الثاني عليه بهاء و سنوقفه فوق فودع في بحر لصال ولم يشعل
 بالقتال واستعمل فخرج منه صال بعد توفقه للدفع فيه، و مر به الثالث فلم
 يلتفت إليه ولم يشتعل بدفعه ولا يقاتله بل استمر على ما كان فحاف به رحاؤه
 بالكلفة، و مر الرابع فلم يتوقف له وأرد أن يعبطه فراد في عجلته وترك
 التأني في المشي فبوشك في عاده و مر وأعليه مرة أخرى أن يعاود الجمع إلا
 هذا الأخير فإنه لا يعاوده حبيبه من أن يرداد فائدة يستعمله

(١) من يمل أصابه للال، تغلب مرضاً أو عماً وليس، ليس.

(٢) هو أبو عبد الله الحارث بن اسد الحماسي صاحب كتاب «الرعاة الخفوق

له» وهذا الكتاب طبع لمين وهذا الكلام فيه من ١٠٩ مبراجع

فإن قلت : والشيطان إذا كان لا يؤمن برعائه فهل يجب الترسد له قبل
حضوره للحدود منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له ،
أو يجب الاشتغال بالعبادة والمعة عنه ؟

قلنا : احتلب الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة إلى
أن الأقوياء قد استمعوا عن الحدود من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشغلوها
بحبه واعتزلهم الشيطان ، فأيس منهم وحس عنهم كما آيس من ضعفه العباد في
الدعوة إلى الأحمر والرتبي فصارت ملاذ الدنيا وإن كانت مباحة كالخمر والحزير
عندهم ، ويدخلوا من حبها بالكلية لم يسق للشيطان إيتهم سبيل فلا حاجة بهم
إلى الحدود وذهب فرقة من أهل الشام إلى أن الترسد للحدود منه إنما يحتاج
إليه من قل يقينه ونقصه ، وتكلمه فمن أيقن بأن لأمره الله في دينه ولا يحد غيره
ويعلم أن الشيطان ديبيل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما رآه الله تعالى فهو
الضار والسفع ، والعارف مستحي منه أن يحد غيره ، وليقين بالوحدانية يعصيه
عن الحدود وفات فرقة من أهل العلم لاند من الحدود من الشيطان وما ذكره
المصريون من أن الأقوياء قد استمعوا عن الحدود وحلب فلوهم عن حب الدنيا
بالكلية وهو وسيلة للشيطان ، كما يكون عروراً إذا أنبأ ^{بأنه} لم يتخلصوا من
وساوس الشيطان وبعثته ^(١) فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس للشيطان من
الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله وأسمائه وفي تحصيل البدع والاصال وغيره
ولا يحو أحد من الحدود فيه ، والعرا من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان
فكيف يدعى الأمن منه ، وأحد الحدود منه حدث أمر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال
بحب الله تعالى فإن من الحب له أمثال أمره وقد أمر بالحد من العدو كما
أمر بالحد من الكفار ، فقال تعالى : « ولما أخذوا حذرهم وأسلحتهم » ^(٢) وقال تعالى
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الجيوش ترهبون بعدو الله وعدوكم » ^(٣)

(١) لولا عصمهم الله سبحانه .

(٢) الاقبال : ٦٣ .

(٣) النساء : ١٠٣ .

فإدأ لرمك بأمر الله الجدد من العدو الكافر وأنت براهم فإن يلزمك الجدد من
 عدو يراك ولا تراه أولى ، وأدلت قبل صيد تراه ولا يراك يوشك أن يطهر به ،
 وصديراك ولا تراه يوشك أن يطهر بك وأشار إلى السدط فكيف وليس في العمله
 من عداوة الكافر إلا قدر هو ش . ه . في إجمال الجدد من الشيس المعروض للقتل
 و . لعقاب الألم ، فلس من لا شعاع منه إلا عراض عن حد الله عنه . و به سطل
 مذهب المعروفه لشيء في طهرهم أن ذلك ف . ح . في التوكل فإن أحد السرس والسلاح
 وجمع الجدد . ح . الجدد م يمدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يمدح
 في التوكل بحروفه . ح . حروف الله به والجدد من أمر الجدد منه . و قد كرم في
 كتب التوكل ما ينبغي غلط من من أن معنى التوكل لبروع عن لأسباب دلالكليه
 و قوله نبي . ه . ه . لهم استدفعهم . ه . قود . ه . راط الجدد . لا بد من امتثاله
 التوكل . ه . اعتمد القلب أن نصار . و دفع . المحمي و ادست هو الله فكذلك
 بجدد الشيطان ويعتمد أن اصل . و الهدي هو الله ، و بين لأسباب وسائط مسخره
 كما ذكرناه في كتاب التوكل .

و هذا ما أحياه المحسني وهو الصحيح آدي يشهد له نور لعلم و ما قبله
 يشبه أن يكون من كلام لعناد آدين لهم ، مرد علمهم ويطشون أن ما يهجم عليهم من
 الأحوال في بعض الأوقات من الاستعراق بالله يستمر على لدوام وهو بعيد
 ثم احتلف هذه المرقه على ثلثه ووجد في كيميئه الجدد فعال قوم . إدأ حد . ه .
 الله تعالى العدو فلا يسعى أن يكون شيء أغلب على قابوب من ذكره والجدد منه
 و الترسد له في تباين عهدا عنه لحظه قبوشك أن يهلكا ، و قال قوم إن ذلك
 يؤدي إلى حلول القلب عن : كراته و اشعل أهم كنه الشيطان و ذلك مراد
 الشيطان من بد شعل بد كراته تعالى ولا يسي الشيطان و عداوته و الحاجة إلى
 الجدد منه و جمع بين الأمرين ، فإنا إن سينا رتعا عرض من حيث لا يحتسب
 . إن بحر دنا لذكره كتب قد أهملنا ذكر الله تعالى ولجمع أولى . و قال العلماء
 ملحوقون غلط لسريقان فتما الأول . وقد تجرد لذكر الشيطان و سي ذكر

الله تعالى فلا يحمي غلظه . **باب ثمر** . فالجسد من الشيطان كما لا يصدنا عن ذكر
فكيف يجعل . كره أغلب لأشياء على قلوبنا . هو صهي صري . لعدو . ثم يؤدي
ذلك إلى حله . لقلب عن نور . ذكر الله تعالى . فإذا وجد الشيطان مثل هذا
. ليس فيه نور . ذكر الله وقوة الاشتغال به فمؤثرات أن يطع به . لا يقوي على دفعه
فلم أمرنا بطرد الشيطان . لأن يصرر كره . والله قد اثابه بعد شاركت
الأولى . جمع في القلب من كره الله والشيطان . بقدره . يشغل القلب بذكر
الشيطان يهوس من ذكر الله . وقد أمر الله لخلق بذكره . سيان ما عده . يخلص
وعنه . ولحمي . أن يلزم العدو فبما الجسد من الشيطان . يصرر على نفسه عداوته
وإذا اعتدته . صدق به وسكن الجسد فيه فيتشقق بذكر الله . ويكف عديه بكن
أهمه . ولا يحظر به له . ثم انشغل . وقد إذا اشغل بذلك بعد معرفه عداوته ثم
حضر الشيطان له . فبما الله . عند الله . يشغل بدفعه . الاشتغال بذكر الله لا يسمع
من التيقظ عند رعه الشيطان . بل الرّحل بتمام وهو حائب على أن يفوه مهم عند
صلوع . يصح فيلزم نفسه الجسد . يوم على أن يبدئه في ذلك الوقت فينبه في الليل
مرّ . قبل أو به . لا اسكر . في قلبه من الجسد . مع أنه بالسوم عاقب . منه واشتغاله
بذكر الله كيف يسمع بمتبه . ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو وإذا
كل اشتغاله بذكر الله تعالى . أمام منه . أبوى وأخفى فيه نور العون . ونعلم
وأما عن صلاه الشهوات . فأهل المصير . أشعروا قلوبهم عداوة للشيطان . برصده
وألرموها لجدر . ثم لم يشعروا بذكره . بل بذكر الله . دفعوا بالتذكر شر العدو
و ستنصروا بنور الذكر حتى أنصروا حواظر العدو . ومثل القلب مثال شر أريد
تطهيرها من الماء القدر لتتحرر منها الماء الصافي . فاشغل بذكر الشيطان قد ترك
فيها الماء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وبين ذكر الله قد روح الماء القدر من
حائب ولكنه بركه حارياً . ليمن من حاسب آحر فبطول تعبه ولا تحف الشر عن الماء
القدر . والمصير هو الذي جعل لمجري الماء القدر . وأما الماء الصافي فإذا جاء
الماء القدر دفعه بالسكر والسد . من غير كلفه ومؤونة وزيادة تعب

*) بيان الرخصة في قصد اطهار الطاعات (١)

إعلم أن في إسرار لأعمال فائدة الإحسان من غير رياء، وفي الإظهار فائدة الاقتداء، وترغب الناس في الخير ولكن في غير وجهه، قال بعض السلفين: «من علم المسلمون أن السرُّ أحرى العملين ولكن لا يظهره صافئته، لذلك أثنى الله تعالى على السرِّ والعلاية فقال: «وإن صدقاتكم صاعاً هي، وإن يحموها وتؤبونها الفقراء، فهو خير لكم»، «والإظهار قسمان أحدهما في نفس العمل، والآخر في التحدث به عمل»

الاسم الأول إظهار، نفس العمل كالصدقة في المال، ليرغب الناس فيها كما روي عن الأنصاري أنه إذا دعا له صدقة، قال: «من بالعطية سارأوه»، فقال النبي ﷺ: «من سارأه حسنة فعمل به كالأجر»، وأخر من أبعده، «ثم نجري سائر الأعمال من المحجور من الصلاة والصوم والحج والعمرة، ولكن الاقتداء على التساع في الصدقة أعذب، نعم العدي إذا دعا به روح فاستعد وشد الرجل قبل لغوم بحر يمسأ لهم على البحر، فذلك أوصافه لأن أعمرو في ضله من عمل بالعلاية لا يمكن إسراره والمداقة إليه نفس من الإحسان من هو بحر من محارم، وكذلك الرجل قد يرفع موبه في الصلاة بالليل، وقد حرمه وأهله فيعصى به، ولكن عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد، والجمعة والأعياد، والصدقة، وإظهار الرخصة فيه بالتحريض بشرط أن لا يكون فيه شيئا من المحرمات، وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي احتصاداً عليه ويرغب الناس في الصدقة، وليس أفضل لأن الإبداء حرام، فإن لم يكن فيه إبداء، فقد اختلف الناس في الأفضل فدل قوم السرُّ أفضل من العلانية وإن كان في العلانية عدوه، وقال قوم: السرُّ أفضل من العلانية لا عدوه فيها، أما العلانية للقدوة فهي أفضل من السرِّ، ويدل على ذلك أن الله تعالى أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء، وحصلهم بمصعب النبوة

(١) البقرة: ٢٧٦.

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٦٦ من حديث جرير بن عبد الله

ولا يجوز أن يظن أنهم تشبهوا بفصل العملين ، يدل عليه قوله ~~في قوله~~ «أخرها وأخر من عمل بها» وقد بقي في بعض الحديث «عمل ليس يصاعف على عمل العلابية بسعين صعباً» يصاعف عمل العلابية ، ليس عمله على عمل ليس بسعين صعباً ، «أ» وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما اختلف القلب عن شوائب الرياء ، وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقصد به أفضل لأخائه ، إنما يحرف من ظهور الرياء ، ومهما حصلت شائبة الرياء ، لم يتفحش اقتداء غيره ، وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه

ولكن على من يظهر العمل وطبق إحدهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقصده ، أو يظن ذلك طمأً ، وربما رجل يقصده بأهله دون خيرا به ، وربما يقصده به خيرا به دون أهل السوق ، وربما يقصده به أهل محبته ، وإنما العالم المعروف هو الذي يقصده به الناس كافة ، فعمل العالم إذا أظهره بعض الطاعات ، إنما يستلزم الرياء ، ولما لم يقصده به فليس له الإظهار من غير فائدة ، وإنما يصح الإظهار بغير قصد ، ثم هو في محض القصد على من هو في محض الاقتداء به

والشبهة أن يراه قلبه فإنه لم يكن فيه حب الرياء الحسي فيدعوه إلى الإظهار بعد الاقتداء ، وإنما ظهور الحمل بالعمل وسكوته مقصود به ، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء ، لمخلصين وقليل ما هم ، فلا ينبغي أن يحدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك ، وهو لا يشعر ، فإن الضعيف مثاله مثال العريق الذي يحسن سباحة صعيقة ، فيطر إلى جماعة من العريقين ورحمهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا ، وهلك والعرق بالماء في الدثيب أنه ساعة وبس كان الهلاك للرياء ، مثله

(١) أخرجه الشيخ في إختص من حديث أبي الدرداء معتصراً على لشطر الأول سعوه ، وإن هذا من إرادة من شيوخه المجهولين وقد تقدم وله من حديث ابن عمر «عمل السر أفضل من عمل العلابية» والعباسة أصل ليس أراد لاقتداء ، «وقال قد مرده بقية عن عبد الملك بن مهران» وله من حديث عائشة «فصل» يصاعف لذكر العبد الذي لا يسمه الحفظة على لذي تسمه سمناً صعباً ، «وقال» تفرده معاونة من يعين لصدمي وهو ضعيف ، (المقني)

لا بل عذابه مدّة مديدة وهذه مرّة أقدام العباد والعلماء ، فإنّهم يشعرون
بلا قويا ، في لا يظهر ولا يقوى قلوبهم على لا إحلاص وحفظ أجودهم بالرتيا ،
و استعطش لدات عامص . و محث ذلك أن يعرض على نفسه أنّه لو قيل له حب
العمل حتّى يقتدي الناس بعاده آخر من أقرئك ويكون لك في لست من آخر
الإعلان . فإن مال قلبه إلى أن يكون هو لمقتدى به وهو المطهر للعمل فدعته
الرتيا ، دون طلب الآخر وإفداء الناس به و رعيهم في الخير فإنّهم قد رعو في الخير
بالطهر إلى غيره و آخره قد موثر عليه مع إسرائه فما دل قلبه يميل إلى لا يظهر
لولا ملاحظته لأنّ الحلق و مرأيتهم ، فلجحد العبد حذع النفس في النفس
حدوغة و الشيطان من صعد و حب الخاء على القلب عالت و فلما سلم لأعمال
الظاهره عن الآف ولا يدعى أن يعدل بالسلامة شتأ و السلامة في الإحفاء ، وفي
الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالا فالجحد من الإظهار أولى به و بجميع
الضعفاء .

المسم الثاني أن يحدث بما فعله بعد العرع و حكمه حكم إظهار العمل
نفسه و الخطر في هذا أشدّ لأنّ مؤونة النفس حصة على اللسان و قد تجري في
الحكاية زياده و مبالغة و للنفس لدّة في يظهر الدّاعي عظيمه إلا أنّه يوظف في إبيه
الرتيا ، ثمّ يؤثر في فساد العادة المصيبة بعد الفراع منها ، فهو من هذا الوجه أهون
فالحكم فيه أن من قوي قلبه و تمّ إحلاصه وصغر الناس في عينه و استوى عنده
مدحهم و ذمهم و ذكر دات عند من يرحو لإفدائه به و لرّعه في الخير سببه وهو
حائر بل مندوب إليه إن صعب البينة و سلمت من جميع الآفات لأنّه ترعيب في
الخير والترعيب في الخير خير ، وقد نقل ذلك عن جماعة من السلف لأقويا ، فلا
يسعى أن يستبأب إظهار لأعمال ، و الطاع محاولة على لتشبهه والافتد . بل إظهار
لمرئي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنّه ريا ، به خير كثير للناس ولكّنه شرّ للمرئي
فكم من محاص كان سبب إحلاصه لإفداء من هم مرأ عبد لله تعالى وقدروي أنّه كان
يحتار الإنسان في سكك الصرة عند الصبح فسمع أصوات المصليين بالمرآن من الديوت

فصنّف بعضهم كتاباً في دَمَّ الرِّياء، فبركوا ذلك و ترك الناس الرِّياء فيه فكانوا يقولون لعدد من الكتاب لم يصنّف في ظهار المرائي فيه حير كثير لغيره إذا لم يعرف رياءه، ^١ والله يؤيد هذا الدّس بالحل الماحر وبأقوام لاحلاق لهم كما ورد في الأحبار ^٢ وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

❖ (بيان الرّحمة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع)

❖ (الناس عليها وكراهة ذمهم لها)

اعلم أن الأصل في الإخلاص استواء السرير والعلانية، كما قال بعضهم عليّك بعمل العلانية قول وما عمل العلانية؟ قال ما إذا اطلع عليّك لم تستحي منه؟ قال آخر ما عملت عملاً أني أن يطلع الناس عليه إلا إنني أهلي والمول والعاطل إلا أن هذه درجة عظيمة لا يملكها كل أحد ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بحوارجه وهو يحجبها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تحتلج به الحواطر في لشهوات ولأهوائ وشه مطمع على جميع ذلك، فإرادة العبد إخفاءه عن العبيد ربما يطن أنه رياء محطور، وليس كذلك بل المحطور أن يستر ذلك ليرى الناس أنه وع أنه حائف من الله مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي، أمّا الصادق الذي لا يراني فيجود له ستر المعاصي، ويصح قصده فيه، ويصح عدمه باطلاع الناس عليه من ثمينة أوجه

الأول هو أن يعرج بستر الله عليه وإذا افتضح اعتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنباً ستر عليه في الآخرة ^(١) وهذا عم ينشأ من قوة الإيمان الثاني - أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما

(١) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٥٥، وأبو عوانة ج ١ ص ٤٦ من مسنده، واحد

في مسنده ج ٢ ص ٣٠٩، والدارمي ج ٢ ص ٢٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢١ وقد تقدم.

قال **الشيخ** : من ارتكب شيئاً من هذه المقادير فليست له ستر الله تعالى ، ^(١) فهو
 وإن عصى الله بالدنس فلم يحل قلبه من محبة ما أحبه الله ، وهذا بشراً من قوّة
 لا يمان لكرهه الله لظهور المعاصي ، وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الدنس من غيره
 أيضاً ويعتم بسببه

الثالث أن يكره دم الناس له به من حيث أن ذلك يعمّه ويشتمل قلبه وعمله
 عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالدم و يمارع العقل و يشتمل عن الطاعة
 وهذه العلة يدعي أيضاً أن يكره الحمد الذي يشتمل عن الله تعالى و يستغرق قلبه
 و يصرفه عن الذكر وهذا أيضاً من قوّة الإيمان إذا صدق الرخصة في وراغ القلب
 لأجل الطاعة من الإيمان .

الرابع أن يكون ستره و رغبته فيه لكرهه لدم الناس من حيث يتأذى
 طبعه به فإن دم مؤتم للقلب كما أن الدنس مؤلم للنفس و تألم القلب بالدنس
 ليس بحرام ولا الإضرار به عاص و إنما يعصي إذا حارب نفسه من دم الناس
 و دعت إلى ما لا يحور حدى من دمهم و ليس يجب على الإنسان أن لا يعتم بدم
 الحلق و لا يتألم به نعم كمال الصدق في أن يرول عنه رؤيته للحلق فيستوي عنده دمه
 و مادحه لعلمه أن أضراراً و النافع هو الله و أن العدد كلهم عاحرون ، و ذلك قليل
 حدى و أكثر الطبع تتألم بالدم لما فيه من الشعور بالعصا ، و رب تألم بالدم
 محمود إذا كان الذم من أهل البصيرة في الدين فإنتهم شهداء الله و دمهم يدل على
 دم الله تعالى و على نقصان في الدين فكيف لا يعتم به ، نعم العم المذموم و هو أن
 يفتن لفوات الحمد بالتورع كأنه يجب أن يحمد بالورع و لا يحور أن يجب أن
 يحمد بطاعة الله و يكون قد طلب بطاعة الله ثواباً من غيره ، فإن وجد ذلك في نفسه
 وحب عليه أن يعايله بالكرهه و الرد ، و أما كراهة الدم بالمعصية من حيث
 الطبع فليس بمذموم فله الستر حدى من ذلك و يتصور أن يكون العدد يحدث

(١) أخرجه الحاكم لم يعط آخر في الاستدراك ج ٤ ص ٢٤٤ وقال صحيح عسى

شرط الشيعين ولم يخرجاه .

لا يحب الحمد ولكن بكرة الدّم وتما مردد. أن يتركه لباس حمد ودمًا فكم
من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الدّم. إنا الحمد يطلب للذة وعدم اللذة
لا يؤلم وأما الدّم فإنه مؤلم. فحب الحمد على الطاعات طلب ثواب الطاعة في الحال.
وأما كراهة الدّم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشعده عمته
باطلاع الحلق على دمه عن طلاع له. فإن ذلك عيبه القصاص في الدين. بل
يسمي أن يكون عمة بطلاع الله ودمه له أكثر. وقد يكره الدّم من حيث إن
لدّم قد عصى الله تعالى به وهدى عن الأيمان. وعلامة أن يكسر دمك لغيره أيضا
فهذا التوجس لا يفرق دمه وبن غيره بخلاف التوجس من جهة الطمع
الحامس أن يدرك ذلك لا يفسد ما إذا عرف دمه وهذا هو ألم الدّم
وإن الدّم مؤلم من حيث يشعر القلب بدمه وخصته. وإن كان ممن يؤمن
شره. وقد يحب شئ من طلع على دمه سبب من الأسباب فممن يسر ذلك
جنداً منه

السادس محرر دماء الحياة فإنه نه ح لم يراه ألم الدّم. لعدم الشر. والحمد
هو خلق كريم يحدث في أوّل المسامحة أشق عليه به. بعد فسخي من الفسخ
إذا شوهدت منه وهو وصف محمود. إذ قال رسول الله ﷺ: «الحمد خير كذا»^١
وقال: «الحياة شعبة من الإيمان»^٢. وقال: «الحياة لأبي إلا بالحجر»^٣
وقال: «إن الله يحب الحيّ الحليم»^٤. قال النبي: «سقى ولا يلقى بأن يظهر نفسه»^٥
للناس قد جمع إلى المسقى التهنيت والوفقة ووقع الحياة. فهو أشدّ حالاً ممن يعسو
فيستره ويسمحي إلا أن الحياة مخرج من شدة عظمته من من ينطق
له. ويدعي كل مرآة أنه مسحي. أن سبب تحميمه للمعادن هو الحياة من

(١) أخرجه مسلم ج ١ ص ٤٧ من حديث عمران بن حصين

(٢) أخرجه البخاري ج ١ ص ٩ من حديث أبي هريرة

(٣) أخرجه مسلم ج ١ ص ٤٦ من حديث عمران بن حصين ولبخاري ج ٨ ص ٣٥

من حديث عمران أيضاً

(٤) قال العراقي أخرجه الطبراني من حديث فاطمة عليها السلام.

ليس وذلك كذب بل الحياء خلق يستعش من الطمع الكريم و يهبج عفيه داعيه
الرّياء و داعية الإخلاص و يتصور أن يحصل معه ويتصور أن يرثي معه و يبايه
أن الرّحل يطلب من صديقه فرصاً و نفسه لا تسجو بافراسه إلا أنه يستحي من
ردّه و يعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي و لا يقرص رياء و لا لطلب
ثواب فله عند ذلك أحوال أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يوالي فيسب إلى
قلّة الحياء ، و هذا فعل من لا حياء له فإن المستحي إما أن يتعلل أو يعرض ، فإن
أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال أحدها أن يمرح الرّياء بالحياء بأن يهبج الحياء
فيصيح عنده الرد فيهبج خاطر الرّياء ، و يقول : ينبغي أن تعطي حتى ينمي عليك
و يحمذك و يشر اسمك بالسحاب ، أو يسعى أن تعطي حتى لا ينمك ولا يمسك إني
المحل ، فإذا أعطى على هذه الصفة فقد أعطى بالرّياء ، وكان المجرّد للرّياء هو
هيجس الحياء الثّاني أن يتعدّر عليه الرّياء بالحياء و يسمي في نفسه المحل و يتعدّر
الإعطاء فيهبج باعث الإخلاص و يقول له : إن الصدقة واحدة و القرص ثمانية
عشر فميه أحر عظيم و إدخال السرور على قلب صديق و ذلك محمود عند الله و قد سجو
للمس بالاعطاء لذلك ، فهذا محلص يهبج الحياء باخلاصه الثالث أن لا يكون له
رغبة في الثواب ولا خوف من منمته و لا حب لمحمدته لأنّه لو طلبه مراسلة لكان
لا يعطيه ، فأعطاه محلص الحياء و هو ما يحده في قلبه من ألم الحياء و هو لا الحياء
لردّه و لو حابه من لا يستحي منه من الأحاب أو الأراذل لكان يردّه وإن كثر
الحمد والثواب فيه فهذا محرّ الحياء و لا يكون هذا إلا في القبيح كالمحل و مقدرة
النوب و المرثي يستحي من المباحات أيضاً حتى أنه يرى مستعجلاً في المشي
فيعود إلى لهدو أو صاحكاً و يرجع إلى الانساص و برعم أن ذلك حياء و هو عن
الرّياء ، وقد قيل إن بعض الحياء ضعف و هو صحيح والمراد به الحياء تماماً ليس
نقيض كالحياء من وعظ الناس و إمامة الصلاة و هو في الصّين و النساء محمود و في
العقلاء غير محمود ، و قد يشاهد معصيه من شيخ فبسدحي من شينته أن يسكر عليه
لأنّه من إحلال الله إحلال دي الشبهة المسلم و هذا الحياء حسن و أحسن منه

أن يستحي من الله فلا يصنع إلا أمره بالمعروف ، والقوي يؤثر الحية من الله على الحية من الناس ، واضعيف قد لا يفكر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يحور لأجلها ستر القبائح والدنوب

السابع أن يحاف من إظهار دمه سقوط وقع المعاصي من الناس وحرأته عليها فإن ، بنفسه متى ألفت ظهور الدنوب ، زاد أهمها كفاً واسترسلت في شهواتها الثامن أن يحاف من ظهور دمه أن يستحريه عليه غيره ويفتدي به ، وهذه العلة الواحدة هي الحارية في إظهار الطاعة وهي القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو من يفندي به وبهذه العلة يسعى أن يحفي العاصي أيضاً معصيته من أهله ولده لأنهم يتعلمون منه

فهي ستر الدنوب هذه الأعداد الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا أحد العدد الواحد ، هما قصد ستر المعصية أن يحتجب إلى الناس أنه ورع كان مرئياً كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة .

وإن قلت فهل يحور للمعد أن يحب أحد الناس له لصالح وحتهم إياه بسببه ، وقد قال رجل للنبي ﷺ دلتني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال : « ردد في الدنيا يحبك الله ودد إليهم هذا الحطام يحبوك » ^(١) ، فمقول حجت أحب لباس لك قد يكون مباحاً وقد يكون محمداً وقد يكون مدموماً ، فالمحمود أن تحب ذلك تعرف به حب الله لك فأنت تعالى إذا أحب عبداً أحسنه في قلوب عباده ، والمدموم أن يحب حقتهم وحمدهم على حجت وعزرك وصلاته وعلى طاعة بعينه ، فإن ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلاً سوى ثواب الله ، والمباح أن تحب أن يحبوك لصغات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحجت ذلك كحجت المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٠٢ من حديث سهل بن سعد وفي إسناده خالد بن عمرو ، اتفقوا على صحته و تهم بالوضع إلا أن النووي قال رواه ابن ماجه وغيره بإسناد حسنة .

١٠ بيان ترك الطاعات خوفاً من الرّياء ودخول الآفات

إعلم أنّ من الناس من يترك العمل خوفاً من أن يكون مرئياً به وذلك غلط وموافق للشيطان بل الحقّ فيما يترك من الأعمال وما لا يترك لحوق الآفات ما يذكره وهو أنّ الطاعات تنقسم إلى ما لالدّة في عيها كالصلاة والصوم والحجّ والعروية فيها معصاه ومعهذات ، وما يصير للدّعة من حيث أنّها توصل إلى حمد الناس ، وحمد ليس بديدٌ وذلك عند اطلاع الناس عليه و إلى ما هو لديد وهو أكثره لا يقتصر على الناس بل يتعلّق بالحلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسنة وإمامة الصلاة ، والذكر والتدريس و يعاق المذل على لحلق وغير ذلك ممّا تعظم الآفة فيه اتعلّقه بالحلق ولما فيه من اللدّة

لنعم الأوّل الطاعات الدّائمة للناس لئلي لا تتعلّق بالغير ولا الدّة في عيها كالصلاة والصوم والحجّ وخطرات الرّياء فيها ثلاث

أحداها ما يدخل من عمل فيبعث على الاستداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدّين ، فهذا ممّا يسعى أن يتركه لأنّه معصيه لا طاعة فيه ، و أنّه تذرع بصوره الطاعة إلى طلب الممرّة^(١) فإن فسد لا يسأل على أن يدفع عن نفسه باعث الرّياء وسحب النفس ويقول لم ألتصحيب من مولاك لا تسحو بالعمل لأجله وتسحو بالعمل لأجل عاده حتى يدفع باعث الرّياء وسحب النفس بالعمل لله تعالى عفوة للنفس علم خاطر لرّياءه كفارة عليه ليشتغل بالعمل

الثانية أن يبعث لأجل الله ولكن يعرض الرّياء مع عهد العادة وأوّلها فلا يسعى أن يترك العمل لأنّه وجد مائناً دينياً فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرّياء وتحصيل الإخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرّياء والإباء عن القبول .

الثالثة أن يعتقد على الإخلاص ثمّ يطرأ الرّياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد

(١) تذرع بتدبيرة أي نوسل بوسنة . و ربما يفهم من هذا السج [تذرع] بالان

لهيلة و ذرع الرجل في سير أي تقدم . وبالمعجزة أسب .

في لدفع ولا تترك العمل لكي يرجع إلى عقد الإخلاص ويرد نفسه إليه وهرأ
حتى يتم لعمل ، لأن الشيطان يدعوك أولاً إلى ترك العمل فإذا لم تجبه
وشعلت في دعوك إلى الرياء ، فإذا لم تجب ودفعته يعني يقول لك هذا العمل ليس
بحسن وأنت مرأء ومالك صانع فأنت فائدة لك في عمل الإخلاص فيه حتى يحمده
بذلك على ترك العمل ، فإذا سر كنه فقد حصلت عريضة ، ومثل من يترك العمل
لخوفه أن يكون مرئياً كمن سلم إليه موله حيلة فيها نراة وقال له حلتها من
لنراة وبها سعيه نالعة ، فيترك أصل العمل ويقول أحرف إن شعلت به لم يخلص
إخلاصاً صافياً بعباً ، فيترك العمل من أصله هو ترك الإخلاص مع أصل العمل فلا
معنى به ، ومن هذا العمل أن يترك العمل خوفاً على الناس أن يقولوا بدته مرأء
فيعصرونه به ، فهذا من مكائد الشيطان لا تدأ ولا أساء الطر بالمسلمين وما كان
من حقه أن يطر بهم ذلك ، ثم إن كان فلا يصرفه قولهم ويعونه ثواب العباد و ترك
يعمل خوفاً من قولهم بدته مرأء ، هو عن الرياء ، ولولا حسه لمحمدتهم وخوفه من
دعهم فماله ولقولهم قالوا بدته مرأء أو قالوا بدته مخلص ، وأي فرق بين أن يترك
لعمل خوفاً من أن يقال إنه مرأء ، وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال ،
إنه عاقل مقصّر ، بل ترك العمل أشد من ذلك ، فهذه كلها مكائد للشيطان على
لعبت داعجته ، ثم كيف يطمع في أن يخلص من لشيطان بأن يترك العمل والشيطان
لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال : إنك مخلص
لا يشتهي لشهرة فيصطرك بذلك إلى أن تهرب في هرب ودخلت سرباً تجب
الأرض التي في قلبك خلاوة معرفة الناس لرهك وهربك منهم وتعظيمهم لك بسلوهم
على ذلك ، فكيف تتخلص بل لا نجاة منه إلا أن تلم قلبك معرفة آفة الرياء ،
وهو أنه صرر في الآخرة ولا يقع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والآباء قلبك وتستمر
مع ذلك على العمل والاتسالي ، وإن برع العدو مارع الطمع ، فإن ذلك لا يقطع
وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الحيرات فما دمت تجد باعاً
ديبياً على العمل فلا تترك العمل وحاهد حاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله

إذا دعيت نفسك إلى أن تستبدل بجمعه ضد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ، ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد خدعهم لمفتوك ، بل إن قدرب على أن تريد في العمل حياة من ربك و عقوبة لنفسك فافعل ، فإن قال لك الشيطان أنت مرء فاعلم كذبه لما تصادف قلبك من كراهة الرياء وإيائه و خوفك منه و حيائك من الله ، و إن لم يجد في قلبك له كراهية و منه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فترك العمل عند ذلك ، وهو بعيد من شرع في العمل لله تعالى فإنه لا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب .

فإن قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل بحافة الشهر قلنا ، هذا يعارضه ما ورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى ، و بالحيلة ترك ، نوافل حائز و الكلام في الأفضل و الأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء ، فالأفضل أن يتم العمل و يجهد في الإحلاس و لا يتركه ، و أرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بحالاف الأفضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء .

القسم الثاني ما يتعلق بالخلق و تعظم فيه الآفات و الأخطار ، أعظم الخلاف ثم القصاص ، ثم لتذكير و التنديس و الفتوى ، ثم إيقاع المال .

أمّا الخلاف والإيمارة فهي من أفضل لعباد إذا كانت مع العدل و لا إحلاس ، و قد قال عليه السلام : « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده سنين عاماً » ^(١) فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة سنين سنة

و قال عليه السلام : « أول من يدخل الجنة ثلاثة ثلاثة الإمام المقسط أحدهم » ^(٢)

و قال عليه السلام : « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العدل » منهم ^(٣)

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والوسط ، وإسناد الكبير حسن كما في الترغيب والترهيب للمندري ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٥٩ من حديث عياض بن حماد المصاشمي في حديث طويل هكذا وأهل الجنة ثلاثة دوسلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعصف متعفف ذو عيال . الحديث .

(٣) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ١٧٥٢ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العدل ، والعائم حتى يعطر ، و دعوة المظلوم يرفعها الله دون العمام يوم القيامة » . الحديث .

و قال **الشافعي** : « أقرب الناس مني مجلساً يوم القضاة إمام عادل » ^(١).

أقول لما كانت لخلافة عبدنا إنما تكون مستوصة من الله عز وجل ،
مخصوصة بالإمام المعصوم المطهر من الرأى و شوائب النفس ، التي هي تهيج الرأى ،
ولا يدعها بعده إلا المشرع ، الذي أحبط بشره جمع أعمال بره رأساً فلا حاجة بما
يسى الكلام فيه ، من حديث بطريق الرأى ، إلب فليطوه ، وقد نقل أبو حامد عن شيخه
في هذا المقام من القول و الفعل ما نقل .

قال وأما القضاء فهو وإن كان دور الخلافة والإمارة فهو في معناه ، وإن كل
دي ولاية أمر أي له أمر مود ، والإمارة محبوبة بالسمع والثواب في القضاء عظيم مع
اتداع الحق ، و العتاب فيه أيضاً عظيم مع العدول عن الحق .
و قد قال **الشافعي** : « العصة ثلاثة ، و حد في الجصة و اثان في النار » ^(٢).

و قال **الشافعي** : « من استعصى فقد دبح بغير سكين » ^(٣) فحكمه حكم الإمارة
يمضي أن يترك الصعاء و كل من للدينياً و لدنياً و ن في عبه ، و ليستأه الأقبوا .
لدين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، و مهما كانت السلاطين ظلمة و لم يقدروا القاضي على
القضاء إلا سداهينهم و إهمان بعض الحقوق لأجلهم و لأجل المنعقلين بهم ، إذ يعلم
أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه . فليس له أن يتفكك القضاء ، و إن
يفككه فعليه أن يطالبهم بالحقوق و لا يكون خوف العزل عند مرجحاً له في الإهمال
أصلاً ، بل إذا عرس سقطت لعمدة عنه ، فيسعى أن يعرج بالعزل إن كان يقضي الله
و ن لم تسمح نفسه بذلك وهو من يقضي لآساع الهوى و الشيطان فكيف يرتقب عليه
ثواباً وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار

- (١) أخرجه **الترمذي** ج ٦ ص ٧٠ من حديث أبي سعيد الخدري هكذا إن أحب
الناس إلى الله يوم القيامة وادناهم من مجلس إمام عادل و من الناس الحديث .
(٢) أخرجه **ابن داود** من حديث ابن ربيعة ج ٢ ص ٢٦٨ ، و هذا أصح شيء .
فيه - من حديث ابن ربيعة القضاء ثلاثة - و روى ابن ماجه ج ٢ ص ٢٣١٥
(٣) أخرجه ابن ماجه ج ٢ ص ٢٣١٨ و فيه « من جعل قاضياً بين الناس فقد دبح
بغير سكين » من حديث أبي هريرة . أخرجه **ابن داود** ج ٢ ص ٢٦٨

أقول: ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال «اتقوا الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في مسلمين لنبي» أو وصي «نبي»^(١) .
وعنه عليه السلام قال «قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي»^(٢) .
وعنه عليه السلام قال «القضاء أربعة ثلاثة في النار واحد في الجنة رجل قضى بحدود وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بحدود وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة»^(٣) .

قال أبو حمزة «وما ألوعط وأسفوى والتنديس ورواية الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسمة الجاه ويعظم به العدد فأفنه أيضاً عظيمه مثل آفة الولاية وقد كان الحدوث من السلف يتدافعون العتوى ما وحدوا إليه سبيلاً وكانوا يقولون «حدثنا» باب من أبواب الدنيا من قال حدثنا فقد قال أو سعوالي

أقول: وقد أسلفنا كلاماً عن مولانا الصادق عليه السلام في العتوى في كتاب العلم من ربيع العبادات

(١) المصدر ج ٧ ص ٤٠٦ وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - لا يحتمل أن هذه الاخبار تدل على عدم جواز القضاء لغير المعصوم عليه السلام ولا ريب أنهم عليهم السلام يفتنون الفضاة إلى البلاد ، فلا بد من حملها على أن القضاء بالاصالة لهم ولا يجوز لغيرهم تصدي ذلك إلا نادهم وكذا في قوله في الخبر الثاني «لا يجلسه إلا نبي» أي الإصالة والعامل أن العصر اصافى بالنسبة إلى من جلس فيها سيرادهم ومنهم عليهم السلام

(٢) المصدر ج ٧ ص ٤٠٦ وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - يحتمل أن يكون المرص بيان صفة القضاء وأنه لغير المعصوم عالياً يسلم الشعاء أو بيان أنه من رضى النبي صلى الله عليه وآله إلى هذا لزمان ما جلس فيه إلا هذه الثلاثة الاصناف وبؤيده ما في كتاب «من لا يجلسه الفقيه» «ما جلس» .

(٣) المصدر ج ٧ ص ٤٠٧ باب اصناف القضاء .

قال ، ^(١) و الواعظ يحد في وعظه و تأثر قلوب الناس به و تلاحق بكنهم و رعباتهم ^(٢) و إقبالهم عليه لذنه لا نوازيها لذنه فادأ علب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مرخوف يروّج به عند العوام و إن كان باطلاً و يفر عن كل كلام يستثقله العوام و إن كان حقاً ، و يصير مصروف الهمة بالكليته إلى ما يجرّك قلوب العوام و يعظم ممراته في قلوبهم فلا يسمع حديثاً و حكمة إلا و يكون فرحه به من حيث أنه يصلح لأن يذكره على رأس المسر ، و كان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث أنه عرف طريق السعادة و طريق سلوك سبل الدّين لعمل به ، و لا ، ثم يقول إذا أكرم الله عليّ بهذه النعمة و بعني بهذه لحكمه فأوصيها ليشركني في نعمها إخواني المسلمون ، فهذا مما يعظم فيه الخوف و الغنى و حكمه حكم الولايات ، فمن لا باعث له إلا طلب النجاة و المصلحة و الأكل بالدين و التّعاضر و التكاثر ، فيدعي أن يتركه و يحالف الهوى فيه إلى أن ترمص نفسه و تقوى في الدّين عدّيته و يأمس على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه .

فإن قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم و اندرست و عمّ الجهل كافة الخلق ؟

فيعول قد نبى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة و توعد عليها ^(٣) حتى قال : إنكم تحرصون على الإمارة و إنشأ حسره و ندامة يوم القيامة إن لم تأخذها بحفظها ، و قال : سمعت المروعة و بنيت العاطمة ، ^(٤) و معلوم أن السلطنة و الإمارة لو تعطلت لظل الدّين و لدنيا جميعاً و ثار القتال بين الخلق و زال الأمن و خربت البلاد و تعطلت المعاش فلم نبى عنها مع ذلك ، فأما قول القائل نبيك عن ذلك

(١) بنى أمّاحمد (٢) جمع الزخفة و هى الصيحة .

(٣) أخرج مسلم والنخارى ج ٩ ص ٧٩ ما سادهم عن عبد الرحمن بن مسرة قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ديا عند الرحمن لا سأل الإمارة فابت أن أعطيتها عن مشقة و كلفت إليها ، و أن أعطيتها عن غير مشقة اعت عليها . الحديث .

(٤) أخرجه البخارى أيضاً ج ٩ ص ٧٩ هكذا من حديث أبي هريرة (إنكم ستعصرون عصى الإمارة ، و ستكون ندامة يوم القيامة ، سمعت المروعة و بنيت العاطمة) .

يؤدّي إلى اندراس العلم وهو غلط إذ ينبغي رسول الله ﷺ عن القصة، لم يؤدّ إلى تعطيل القصة. ^(١) بل الرّئاسة وحسبها يضطرّ الحلق إلى طلبها وكذلك حب الرّئاسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والأغلال عن طلب العلوم التي فيها القول والرّئاسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى أن يؤمّد هذا الدّين بأقوم لا خلاق لهم، فلا نشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يصيهم، وانظر لعسك، ثم إنني أقول مع هذا إذ كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلاً فلنفس في السهي عنه إلا امتناع بعضهم ولا فيعلم أن كلّهم لا يمتنعون ولا يتركون لدّم الرّئاسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الطاهر وتحصيله إلى العوام أنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدّين ومعرض عنه ولا يصنع عنها ونقول له اشتغل واحده نفسك، فإن قال لسب آمن على نفسي فمقول: اشتغل واحده لأنما يعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلّهم إذ لا قائم به غيره، وبوظايب وغرضه الحاء فهو الهالك وحده وسلامه دين الجميع أحبّ عبدا من سلامة دينه وحده فنجعله فداه للموم وفول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ وإن الله يؤمّد هذا الدّين بأقوام لأخلاق لهم، ^(٢) ثم الواعظ هو الذي يربح في الآخرة ويرهد في الدّنيا بكلامه وظاهر سيرته فأما ما أحدثه الوعظ في هذه الأعصار من الكلمات المخرفة والألغاط المسحقة المقرّنة بالأشعار بما ليس فيه تعظيم لأمر الدّين ولا تحوير للمسلمين بل فيه الترحية والتجريح على المعاصي بطيئات النكث فيجب إخلاء الملاد منهم فأبهم بواب الدّخال وحلفاء الشيطان، وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الطاهر يبطن في نفسه حب القول ولا يقصد غيره، وقدما أوردناه في كتاب العلم من الوعد الوارد في حقّ علماء السوء ما يبين

(١) بويه صلى الله عليه وآله عن القصة أخرجه مسلم ج ٦ ص ٧ من حديث أبي در

« لا تأمن على اثنين ولا تولين مال يتيم » .

(٢) حديثه تقدم آتفاً من مصادر عدة .

لروم الحذر من قتن العلم وغوائله .

ولقد قال عيسى عليه السلام : يا علماء السوء ، صدمون و تصلون و تنصّدون ،
ولا تعملون ما تؤمرون ، يدسون ما لا تعملون فيسوء ما تحكمون ، تتوبون بالقول
و لا ماسي و تعملون بالهوى و ما يعني عنكم أن تفعلوا خلودكم و قلوبكم دسة ،
بحق أقول لكم لا تكونوا كالمحل يحترج منه الدقيق الطيب و تبقى فيه المحالة
كذلك أنتم تحرجون الحكم من أفواهكم و يبقى العلّ في صدوركم ، يا عبد الدنيا
كيف يدرك الآخرة من لا يمسى من الدنيا شهوته ، ولا تنقطع منها رغبته ، بحق
أقول لكم إن قلوبكم سكي من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحب أن تستكم و العمل
تحب أن تهاكم ، بحق أقول لكم أفسدتكم آخركم و صلاح الدنيا أحب إليكم من
صلاح الآخرة ، فأي الناس أحسن منكم يو علمون ، ويلكم حتى متى تصفون
، لطريق للمدخلين ، يقيمون في محلة المتحشرين ؟ كنتم تدعون أهل الدنيا
لتمزكوهاكم ، مهلاً مهلاً ، ويلكم عداي عن الدين المظلم أن يوضع السرح
فوق ظهره و خوفه و حزن مظلم ، كذلك لا يعني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم
و أخوافكم منه و حشة معظلة ، يا عبد الدنيا لا كعبد أتقيا ، لا كحرار كرام ،
يوشك الدنيا أن تعلمكم عن أصولكم فتلصكم على وحوهكم ثم تكتكم على
مناحركم ، ثم تأخذ حظاياكم تنواصيكم ، يدفعكم العلم من حلقكم ثم يسلمكم
إلى المثلث الدار حقاء عراه ، و أدى فيه قفكم على سواتكم ثم يجريكم سوء أفعالكم
و قد روى البخاري المحدث في هذا الحديث في بعض كتبه^(١)

ثم قال هؤلاء علماء السوء ، شياضي الأيس و فئة على الناس ، رغبوا في عرض
الدنيا و رفعت ، و آثروها على الآخرة و أدلوا الذين للدنيا فهم في العاجل عار
و شين و في الآخرة هم الخاسرون .

(١) قد مر أنه روى الحسن بن علي بن شعبة الخراساني في تحف العقول بأدبي اختلاف

ولم أجد في كتاب لرعاية لعقود الله و إظهاره به معول من كتاب آخر له - رحمه الله - .

﴿فصل﴾

فإن قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رعائب كثيرة حتى قال رسول الله ﷺ «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من لدنيا وما فيها» (١) وقال ﷺ «أيتما داع دعا إلى هدى واتسع عليه كل له أحرى وأحر من اتسعه» (٢)

إلى غير ذلك من فصائل العلم . فيسعي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم و اترك مراعاة الخلق كما يفعل من حاله الرّياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك .

فاعلم أن فصل العلم كبير وخطره عظيم كفصل الخلافة و الامارة ولا نقول لأحد من عباد الله . ترك العلم إدليس في نفس العلم آفة إنما الآفة في إظهاره للتصدي بالوعظ والتدريس ورواية الأحاديث ولا نقول له أيضاً اتركه ما دام يجد من نفسه باعثاً دينياً محرراً باعث الرّياء ، وأما إذا لم يحركه إلا الرّياء ، وترك الإظهار أضع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تحرّج فيها باعث الرّياء ، وحب تركها ، أما إذا خطر له وسوس الرّياء في أثناء الصلاة وهو له كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرّياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمصائب الكبيرة كالعلم و بالحملة والمراتب ثلاث

الأولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفاً من الآفة .

الثانية الصلاة والصوم والحج والصدقة وقد تعرض لها أئمة السلف

(١) أخرجه البخاري ج ٦ من ٢٣ من حديث سهل بن سعد ديل حديث اعطائه (ص) الراية لملي رحمته الله وساق الحديث إلى أن قال : « قال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلاً » فقال . أبعث علي رسلك حتى يثرب ساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام واحرمهم بما يجب عليهم من حق الله فوافقه لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر لعم .
(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٠٥ برناده في أوله . وليس بم نحو مختصراً .

و صعاؤهم : لم يؤثر عنهم لتترك لحروف الآفة و ذلك لضعف الآفة الداحلة فيها
و لقدرة على دفعها مع إمام العمل لله أدنى قوة

امرية الثالثة : هي موصوفة بين الرنتين و هو التصدي لمصب الوعظ
و القوى : لرواياه و لتدريس و الآفات فيها أقل مما في الولايات و أكثر مما في
الصلاة ، و صلاة يسعي أن لا يتركها الضعيف و القوي ولكن يدفع حاطر الرياء
و الولايات يسعي أن يتركها الصعاب رأساً دون الأقوياء و ماصب العلم بينهما و من
حرر آفات مصب العلم علم أنها بالولايات أشبه و أن الحد منها في حق الضعيف
أسلم و الله أعلم

و هي رتبة رابعة وهي جمع المال و أحده للنفقة على المستحقين فإن في
الإيقاق و إفسار السعيا استجلاباً للشاء و في إدخال السرور على قلوب الناس لذّة
للنفس والآفات فيها أيضاً كثيرة.

و قد اختلف العلماء فعلى قوم إذا طلب الدنيا من الحلال و سلم منه و تصدّق
به فهو أفضل من أن يشتغل بالعادات و النوافل لأنّه حرّ متعباً كالنكاح و قال قوم
الجلوس في دمام ذكر الله أفضل و الأحد و الإعطاء يشغل عن ذكر الله و قد قال
عيسى عليه السلام : « يطالب الدنيا لتترّبب » سر كث لها أثر » و قال قوم : أقل ما فيه
أنّه يشغله إصلاحه عن ذكر الله و ذكر الله أفضل و أكثر ، و هذا فيمن سلم من
الآفات فأنما من يتعرّض لآفات الرياء ، فيتركها أثر و الاشتغال بالدكر لا خلاف
في أنّه أفضل .

و بالحيلة ما يتعلّق بالحلق و للنفس فيه لذّة فهو منار الآفات والأحبات أن
يعمل و يدفع الآفات فإن عجز فلينظر و ليحتشد وليستقم قلبه و ليرى ما فيه من
الحير بما فيه من الشرّ و لمفعّل ما يدلّ عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع
و بالحيلة ما يحده أحفّ على قلبه فهو في الأقلّ أضرّ عليه لأنّ النفس
لا تستلذّ إلا بالشرّ و قلما تستلذّ الخير و تميل إليه ، و إن كان لا يبعد ذلك أيضاً في
بعض الأحوال ، وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات وهو مو كقول

إلى اجتهد القلب ليطهر فيه لديه " يدع ما يريده إلى ما لا يريده ثم قد ... لا حلال
عزور للجاهل فيمست المال " لا ينفقه حقه من الآفة " هم عين الجاهل " لا حلال
في أن تفرقة المال في المباحات فصلاً عن الصدقات أفضل من أمه " إنهما الحلال
فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل ترك الكسب " لا ينفق والجره للدكر
الكسب من الحلال وإنفاقه في الجاهل " ذلك ما في الكسب من الآفة " أمه العدل
الحاصل الحلال وتفرقة أفضل بكل حال من إمساكه

فمن قلت " وأي علامة تعرف لعالم " لو علم أنه ما في شخص في وعظه غير
مريد رثاء الناس ؟

فاعلم أن " لذلك علامات إحداهما أنه لو ظهر من هو " حسن منه وعظاً وأمر
منه علماً والناس له أشد قبولاً فروح به ولم يحسبه " نعم لأن " منة " هي أن يتمنى
نفسه مثل علمه " والأخرى أن " الأكار " " حله " " حله " لم يفسد كلامه بل
يسقى كما كان عليه فيعلم إلى الخلق من " أحد " " الأخرى أن لا يفت " اتع
الناس له في الطريق " أمشي حله في الأرواح " لذلك علامات " يطول
حصاؤه

ثم (بيان ما يصح من نشاط العبد لمساعدة نقيب رؤية الخلق وما لا يصح)
إعلم أن " الرجل قد يندب مع قوم " موضع مضمون المتجه " أنه يقوم
بعضهم فيصلون الليل كله أو نصفه " هو من يقوم في سائر عده " له " أنهم
اتبعوا نشاطه للموافقة حتى يريد على " كان يصعد " أنه يصلي مع أنه كان لا يفت
أصلاً " وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع " مع " في الصوم
ولولا هم " اتبعوا هذا النشاط " فهذا " من آفة " " أن " " له " " له
وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل " لأن " مؤمن " في " له " في
قيام الليل وصيام النهار " ولكن قد يعوقه العوائق " بعضه " " مع " " من
من الشبهات أو يستبويه العقل " فربما يكون مشاهد " مع " " من
أو تدفع العوائق " لأشعل في بعض المباح " سمعت له " " " " " "

في منزله فتقطع له أسبب عن لم يجد مثل نمكته من اليوم على فراش وشر أو نمكته
من لمتنع بروخته أو ما حدثه مع أهله وأقاربه و الاشتغال به لأجله و مطالعته حساب
له مع معامليه ، و إذا وقع في منزل غرب مدفعتعه هذه اشواغل لبي فتر عنه عن
خير و حصل له أسبب باعثة على الخير مشاعده إيتهم : و أقبلوا على الله عز
وجل و أعرصوا عن الدنيا فاته سطر إليهم فيناقضهم و يشق عليه أن يسبقوه
بطاعة فتجرك داعية للذين لا لاد : أو ربما يفارقه أسوم لانسكاه لموضع
و صب آحر فيعتمد رول لوم و في منزله : ثم يعطيه لوم و رعايته ف إسه أيق
رله على لذوام ، والعس لا سمح سمجد دائما و إنما يسمح بالجد وقتا
قليلاً فيكون ذلك سبب هذا الشاهد مع اندخ سائر العوائق : قد يعسر عليه
الصوم في منزله و معه أكل الأطعمة و شق عليه لصبر عنها : أو عودته إلى ملك
الأنعمة لم يشق عليه الصوم فسمع داعية ابتل للصوم في الشهور الحرمه
عواقب و ذواقع تغلب باعث اندخ : فإذا سلم منها قوي لئاءت هه و مثله من
الأسباب ينصور وقوعه و يكون الصبر فيه مشهده الس و كونه معهم ، والشيطان
عند ذلك ربما صد عن العمل : يقول لا تعمل فإنت تكون مرأى : و كتب
لا تعمل في بيت ولا ترد على جلاله اذعتاره ، و قد تكون رغبه في إرثه لأجل
رؤيتهم و خوفهم من دمهم و سببهم إيتاه إلى الكسل : لاسيما إذا كانوا يظنون به
أنه يقوم الليل في نفسه لا سمح : أن تسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته
و عند ذلك قد يقول الشيطان صل : أنت تخلص و لست تصلي لأجلهم من الله وإتمه
كتب لا تصلي كل ليلة لكثرة عوائق : ثم اعين لروا هوئلا لا صلاحهم
و هذا أمر مشته ، إلا على ذوي البصائر : و يعرف أن ما جرك هو لرياء فلا
يمعني أن يريد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة : لأنه يعصي الله بطلب محبة الناس
بطاعه لله تعالى ، و من كان دعائه لدفع العهني و تحريك العطفه : طبقة سبب
تتم فلوفاق : و علامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه رأى هؤلاء يصنئون من

(١) أعوده المطلوب : أعجزه و صعب عليه قيله .

حيث لا يرويه بل من ذرا حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كان يحس نفسه بالصلاة وهم لا يرويه ، فإن سجدت نفسه لم يوصل فإن ناعته الحق ، وإن كان ذلك يفعل على نفسه لو عاب عن أعينهم فليترك ، فإن ناعته المرئية ،

وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجمع من نشاط أصلاً ، لا يرويه كل يوم ، ويمكن أن يكون ذلك بحسب حدهم ، ويمكن أن يكون بحسب نشاطه سبب نشاطهم ، وإلا فقلته بسبب إقبالهم على الله تعالى ، وقد يحدث أن يندب ناعث الدارين ويعبره روع النفس إلى حب الحمد ، فمهما علم أن الله لا يرويه فقلته إرادة الدارين فلا يسعى أن يترك العمل لما يحده من حب الحمد ، بل يسعى أن يرد ذلك على نفسه بالكرهية و يشتغل بالمعاده ، وكذلك قد تمكّي جمعة فيمطر إليهم فيحصره المكاء خوفاً من الله لا من الرياء ، ولو سمع ذلك لكلام وحده لم يكمي ولكن مكاء الناس يؤثر في تزييق القلب ، وقد لا يحصره المكاء فيتمكّي بآله للرياء ، ونادى مع الصديق لا يحشى على نفسه قساوة القلب حين يكون فلا يندفع عنه فيما كفي تكلفاً ، وذلك محمود ، وعلامة الصديق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع مكاءهم من حيث لا يرويه هل كان يحاف على نفسه القساوة فيما كفي أم لا ؟ فإن لم يجد ذلك عند تقدير الإحتفاء عن أعينهم وإنما خوفاً من أن يفسد إيمانه فاسي القاب فيسعى أن يترك المكاء كفي

قال لقمان عليه السلام لا تربي لسانك أنتك يحشى الله ليكرهه وقد قلت فاحر وكذلك الصلحه ، لستس ، لأن من عند القرآن أو الذكر أو بعض محاري لأخوانه تكون من الصديق ، الحزن ، والخوف ، والدمع ، والتأسف ، وارة يكون بمشاهده حزن غيره ، فسادوه فقلته فيتكأ في النفس ، والأنس وينحاز وذلك محمود ، وقد تقتصر الرعيه فيه دلالة على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تحرفت هذه الداعيه فهي لئيمه ، وإفهام بداعيه الحزن فإن أنها ولم يفعلها وكرهاها سلم بكأؤه ونكبه ، وإن قبل ذلك ركن إليه فقلته خط آخره وصاع سعيه ، يعرض لسطح الله به ، وقد يكون أصل الأنس من الحزن ولكن مدته ويريد

[illegible]

ومن ذلك الاستعفار والاستعارة بالله من عباده وعصمه فإن ذلك قد يكون
لحظر خوف وبدن وبسبب عليه وقد يكون للمراعاة هذه خواطر ترد على
القلب متصدرة مترادفة متقاربة ، وهي مع تقاربها متشابهة ، فراقب قلبك في كل ما
يحظر لك وانظر ما هو ومن أين هو ؟ فإن كان لله فعصمه ، واحذر مع ذلك أن

(١) قال الم في أخرجه السهمي في الشعب من حديث أبي بكر وفيه اختلاط بين علماء

لاماری صمدہ احمد و ابن مہدی

يكون ود حفي عليك شيء من الرّياء، الذي هو كديب العمل، وكن على وحل من
عبادتك أهني مقوله أم لا، لحدوثك على الإخلاص فيها، وحدث أن يتحدث لك خاطر
الرّكوب إلى جدهم بعد لشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر حدثاً، فإذا خطر
بك فمكّر في ثلاث الله حدثت معه ذلك، وذاكر ما قاله أحد الثلاثة الصّراطين
حدثوا أنبوباً قلوباً أنبوباً أمد علمت أن العبد تصب عنه غلابته التي كان
يتجادع بها من نفسه فيحرق سريره، و يقول بعضهم: أعوذ بك أن يرى لباس أنبي
أحشاء وأنت في عاوب، وكان من عاوب على من أحسن عطاءاً، اللهم إني أعوذ
بك أن تجلس في لامة لعبور غلابتي وتفتح لك فيما أحلو سريري عافلاً على
رئاء، لباس من عسي ومصنفاً ما أت مطلع عليه متى، أندي لباس أحسن أمري
وقصي إليك بأسوء عملي، فمرّناً إلى لباس إحسانتي، ووراداً منهم إليك سيئتي
فيحذر بي معك، يحب عليّ عصاك، أعدي من ذلك يا رب العالمين، وقد قال
أحد الثلاثة: لا يذهب ^{الرياء} يا أنبوب أتم تعلم أن الذين جعلوا غلابتهم
وأصاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرّحم من سود وحوهم بالردّ فهدم
حل آفات الرّياء، فدير أوب العبد فله ليفت عليها، وفي لحر وأن للرياء سمع
باباً،^(١) وقد عرفت أن بعضهم أنعم من بعض حتى أن بعضه مثل ديب الممل
وبعضه أحقى من ديب الممل، كتب يدرك ما هو أحقى من ديب الممل، لا بشدة
المراعاة والتفقد، وليس يدرك إلا بعد بدل المحمود^(٢) فكيف يطمع في إدراكه
(١) قال لمر في هكذا ذكر لبعض هذا الحديث ما و كانه تصعب عليه أو عسى
من نقيه من كلامه أنه «الرياء» بالمشاة واسا هو «الرياء» بالوحدّة والرسوم كتابته
بالواو، ولحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة عطف «الرياء» هو أسرها
أن يسبح الرجل أمه «وفي أساده» ومشرّد اسمه صحيح صحيح فيه، وروى ابن ماجه
أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله «الرياء» باللاته وسمون
بانا «واساده» صحيح هكذا ذكر ابن ماجه حديث في باب النجارات وقد روى
حديث ابن مسعود بطرف «الرياء» وضع وسمون بانا والشرك مثل ذلك، وهذه الرّيادة
قد بسن بها على أنه «الرياء» بالمشاة لا بغيره مع الشّرّ والله أعلم
(٢) في الإحياء «وليت أدرك بعد بقل المحمود»

من غير تفقد للقلب و امتحان للنفس و تفتش عن حديق

*) بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم قلبه قبل العمل وبعده وفيه :

إعلم أن أولى ما يلزم المرید قلبه في سائر أوقانه لسانه بعدم الله في جميع طاعته ، ولا يقيم يعلم الله إلا من لا يحرف إلا الله ولا يرحم إلا الله ، فمما من خاف غيره و ارتجاه اشتبهى اطلاعاً على محسن أحواله ، فإن كان في هذه الرتبة فليعلم قلبه كراهه ذلك من جهة العمل و الأيمان لما فيه من خطر ، وعرص للموت و ليراف قلبه عند الطعاب العظيمة لشاؤه أن لا يعدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تعلو حرصاً على الإقضاء و يقول : مثل هذا العمل العظيم و الخوف العظيم أو انكسر العظيم لو عرفه الخلق منكم لحدوا بهت فما في لحوق من يعدر على مثله فكيف يرعى به جفائه فيجعل الناس محذرت ، و يسكرون فديرك ، و يجرمون الافتداء بهت ؟ فهي مثل هذا الأمر يسعى أن ينشأ قدمه و يمدّ في معاملته عظم عمله عظم ملك الآخرة و يعيم الجنة و دوامها أند الآباء و عظم عصب الله في معيته على من طلب بطاعته ثواباً من عباده ، و يعلم أن إنبهارة لغيره محبت إليه و سعوط عند الله و إحباط للعمل العظيم ، فيقول : وكيف أبيع هذا العمل بحمد الخلق و هم عاجزون لا يفتدرون لي على رزق ولا أجل ، فليزم ذلك قلبه و لا يسعى أن يئأس عنه ويقول إنما يفتد على الإخلاص الأقوياء فمما المحلطون فلس ذلك من شأنتهم فترك استجاده في الإخلاص ، لأن المحلط إلى ذلك أخوح من المتقي ، لأن المتقي إن فسدت و قلبه بعيت فرائضه كاملة تامة ، و المحلط لا يحلو فرائضه عن النقص و الحاجة إلى الحرمان بالوافد فإن لم تسلم صار مأخوذاً بغير فرائض و هلك به ، فالمحلط إلى الإخلاص أخوح ، و قد روى نعيم الداري عن النبي ﷺ أنه قال : يحاسب العبد يوم القيمة فإن بعض فريضة قبل انظروا هل له من تطوع ، فإن كان له تطوع أكمل به فريضة ، و إن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألمي في المارة ^(١) فمأني المحلط يوم القيمة و فريضة بعض و عليه ديون كثيرة ، فاجتهاده في

(١) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٢٠٠ وابن ماجة تحت رقم ١٤٢٥ مع اختلاف يسير .

حسن العرائض و تكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بحلول الوافين ، وأما المنتقى
 وجهه في زيادة الدُّجى و من حط بطوعه يعني من حسنه ما يترجح به على
 سيئاته فيدخل الحفة

فإن يسعى أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لنصح موافقه ، ثم يلزم
 قلبه ذلك بعد ذلك ، حتى لا يتحدث به ولا يظهر ، فإذ فعل جميع ذلك ويسعى
 أن يكون وحلاً من عمله حائلاً أنه قد أحله من الرِّياء الحقي ما لم ينف عليه
 فيكون شاكاً في نفسه ، فلهذا منحو رأياً يكون الله قد أحصى عليه من بستانه جميعه
 ما يقفه بها ورد عمله مستقيم ، يكون هذا الشك ، لخوف في دوم عمله وبعده إلا في
 الله ، بعد أن يسعى أن يكون غشياً في الابداء أنه محلص ما يريد بعمله إلا
 الله حتى يصح عنه في السعي ، مصنف خطه يمكن فيها لعقله و لسياسه كان
 الخوف من لعنه عن شانه حفة أحطط عمله من ربه أو عجب أولى به ، ولكن
 يكون حاشاً أعلم من خوفه لأنه استعمل أنه دخل بالاحلاص و شك في أنه هل
 أفسده برياء ، فيكون دجى القول أعدب ، بدت عظم لذنه في السحابة و الطاعات
 والاحلاص يمين ، لربوبه ، شك ، و خوفه لأن ذلك الشك أحذر بأن يكفر
 خاطر الرِّياء ، إن كان قد سبق ، هو عاقل عنه

الذي يهرب إلى الله بالسعي في جوائح الدس و فقه العلم يدعي أن يلزم
 نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قصي حاجته فقط ، و رجاء
 الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط ، و شكر ومكافأة و حمد و ثناء من المتعلم
 والمعلم عليه ، فإن ذلك يحبط الآخر ، فهم توقع من المتعلم مساعدة في شغل
 و خدمة أو مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر بابضاعه ، أو تردأ منه في حاجته
 وقد أحد آخره فلا ثواب له غيره ، نعم إن لم يتوقع هو و لم يقصد إلا لثواب على
 عمله بعلمه الذي علمه ليكون له مثل آخره ولكن خدمه التلميذ بعينه فقبل خدمته
 فترجو أن لا يحبط ذلك آخره ، إذ كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستبعد منه لو
 قطعه ، ومع هذا فقد كان العلماء يحدرون ذلك حتى أن بعضهم وقع في شر فحاش

قوم وأدلوها حبلاً ليرفعوه فحلب عليهم أن لا يغف معهم من قرأ عليه آية من كتاب الله أو سمع منه حديثاً حمداً من أن يحط به آخره . فإذن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب لثواب من لله في هذا . أساس به فقط . ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ومن أمر له عبده لا عند المعلم وعند الخلق . وربما يظن أن له أن يرثي بطاعته لئلا عند المعلم دية فتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته غير الله بطاعته حسراً في الحال . والمعلم رباً يعينه وربما لا يعينه . فكيف يحسر في الحال عملاً بعداً على توهته علم وذلك غير حاسر . بل يسعى أن يتعلم الله تعالى ويعبد الله تعالى ويخدم المعلم لله لا يكون له في قلبه مزية . بل كان يريد أن يكون تعلمه طاعة . فإن العباد أمره بأن لا يعبد إلا الله ولا يربوا بطاعتهم غيره . وكذلك كل من يخدم أنوبه لا يسعى أن يخدمها لطلب لمصلحة عندهما إلا من حيث أن رضا الله في رضا الوالدين لا يجوز له أن يرثي بطاعته لينال بها مصلحة عند الوالدين فإن ذلك معصية في الحال . وسيكتب الله تعالى عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضاً .

وأما برأهد المبرور عن الناس فيسعي له أن يلزم فنه ذكر الله والثناء بعلامه . ولا يحظر قلبه معرفة الناس بعده . استعظامهم محله . فإن ذلك يعرض الرِّياء في صدره حتى تنبأ بعينه . عند ذلك في خلوة به . وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله . وهو لا يدري أنه اجتمع للعمل عليه .

وقال إبراهيم بن دهم . تعلمت لمعرفة من ذهب يقال له سمعان . دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان مد كم أب في صومعتك هذه ؟ فقال منذ سبعين سنة فقلت فما طعامك ؟ فقال يا حبيبي وما دعاك إلى هذا ؟ قلت أحببت أن أعلم . قال . في كل ليلة حمصة . قلت وما الذي يبيع في قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟ قال . ترى الدَّير الذي بحدائك ؟ قلت نعم قال إنهم يأتوني في كل سنة يوماً واحداً فيريسون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني . فكلمنا تشاقلت نفسي عن العبادة ذكرتني عرق تلك الساعة فإن احتمل حمداً سنة لعز ساعة .

فاحتمل يا حبيبي جهد ساعة لعرّ الأبد ، فوقر في قلبي المعرفة ، فعلم حسنت
 وأريداه ؟ فقلت بلى ول أنزل عن الصومعة فسرلت فأدلى لي ركوبه فيها عشرون
 حمّده وقال لي دخل لي لذّير فقد رأوا أدليب إليك فلما دخلت لذّير
 احببت لبصارى عليّ فمالوا يا حسبي ما آذي أركلي إليك لتبيح قلب من قومه
 قالوا وما سمع به ونحن حقّ به ثمّ قسوا يوم قلب عشرون ديناراً ، فأعطوني
 عشرين ديناراً ، فرحب بي الشيخ فعلم يا حبيبي ما تبي صعب ؟ قلب بعته
 منهم ، قال بكم ؟ قلب عشرين ديناراً ، قال أحطّ لبوب ومنهم عشرين ألف
 دينار ، فأعطوك ، هذا عرّ من لا بعدد وبصر كعب يكون عرّ من تعدده ؟ يا حبيبي
 قبل على آت ذراع الذهب والفضة

مفتودان استعجب سعي عرّ لعظمة في لغوب يكون عرّ في الحلوة ، وقد
 لا يشعر العبد به فسمعي أن يلزم نفسه الخدمة وعلاجه سلاسته أن يكون الحلق
 عنده واليهام بمضنة واحدة فلو يعبرو له من اعتمادهم له لم يجرع ولم يصبق به درعاً
 إلا كراهية ضعيفة من وحدها في قلبه ففروا في الحال بعمله وإيمانه فانه لو كان
 في عسره فاطلع الناس كآتهم عليه لم يردده ذلك خشوعاً ، ثم يداخله سرور وسير
 اطلاعهم عليه ، وفي دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن يد قمر على ربه
 بكماله العمل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يعمل ذلك الشرور ، بل كونه إليه ويرحى
 له أن لا يحب ضعفه إلا أن يريد عند متهدبهم في الخشوع والافتقار كيلا يسيطروا
 إليه ، فذلك لا بأس به ولكن فيه عرور وإلحاح قد يكون شوبها الحقيقة إظهار
 الخشوع وتعلل بطلب الافتقار فليطلب في دعواه قصد لا يناصر بموثق من الله عبط
 وهو أنه وعلم أن افتقارهم عنه إنما حصل بأن يعدو كثيراً أو يصحك كثيراً أو يكل
 كثير فسمح نفسه بذلك فإذا لم يسمح به وسمح بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها
 المبر له عندهم ولا يحو من ذلك إلا من تفرّ في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله
 تعالى ، فيعمل عمر من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمل به ، فلا يلتفت قلبه
 إلى الخلق إلا خضوعاً ضعيفه لا يشق عليه إزالتها ، فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدته

الحلق ومن علامات الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما عني^١ والآخر
 فقير^٢ فلا يحدد عند يقال العني ريادة حرّة في نفسه لا كراعه إلا إذا كان في العني^٣
 ريادة علم أو ريادة ودع فيكون مكرماً له لذلك الوصف لا بالعني ، فمن كان
 استروح إلى مشاهدته الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء
 يريد في رغبة لآخرة ويحبب إلى القلب المسكنة ، و لنظر إلى لأغنياء بخلافه
 فكيف استروح إلى العني أكثر مما استروح إلى الفقير ، نعم لك ريادة إكرام
 لعني إذا كان أقرب إليّ أو كان بينك وبينه حق و صداقة سابقة ، ولكن يكون
 بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم العني عليه في إكرام و توقير
 المنة ، فإن الفقير أكرم على الله من العني فإنت رذك له لا يكون إلا طمعاً في عبده و رياء
 له ، ثم يدسّون بينهم في المحالسه فيحشئ عذث أن تظهر الحكمة و الحشوع
 للعني أكثر مم تظهره للفقير ، و تتم ذلك لرياء حمي^٤ و طمع حمي^٥ كما قال ابن
 السكيت^٦ لحريه له ، مالي يد أنيت بعداد فتحب لي الحكمة ، قال الطمع يشحد
 سائت^٧ و قد صدقت فإن اللئس يطلق عند العني بما لا ينطلق به عند الفقير ،
 و كذلك يحصر من الحشوع عنده ما لا يحصر عند الفقير و مكائد لنفس
 و حمديها في هذا الفن لا تنحصر ، و لا ينحك منها إلا بأن يحرج ما سوى الله من
 قلبك و تتجرّد بالشغفة على نفسك بغيره عرك^٨ و لا ترصى لها بالبار بسبب شهوات
 منغصة في أيام متقاربة منغصة ، و يكون في الدنيا كملت من ملوك الدنيا قد
 أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ، ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه
 في كل ساعه لو اتسع في الشهوات و علم أنه لو احتشى و حاهد شهوته عاش و دام
 ملكه ، فمما عرف ذلك حالى الأطباء و حارب الصادقة ، و عود نفسه شرب
 لأذية المرأة فصر على شاعها^٩ و هجر جميع اللذات و صبر على مفارقتها ،
 فبده كل يوم يردد بحولاً لقلّة أكله ، و لكن سقمه كل يوم يرداد بقصاً بالكثرة

(١) شغل السكين ونحوه : أحده .

(٢) لئس المر .

كتاب دمّ الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من المحطة البعداء في مذهب الإحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الخالق الباري، المصور، بغير كبير احتار، ابتكر، العلي الذي لا يضعه عن محله، واضع، ابتكر، أي كل حيلة له دليل حاصع، وكل متكبر في حساب عرته مسكن منواعم، فهو الفاهر الذي لا يدفعه عن مراده دفع، العبي الذي ليس به في ملكه شريك، ولا مدبر، القادر الذي بهر^(١) أنصار الحلائق خلالاً وهداه، وفهر العرش لمحيده سموؤه واسعاؤه وسبلاؤه وحصر أنس النبيين وصفه وشاؤه، وارتفع عن حد فدرتهم احصاؤه وسعفاؤه، واعترف بالعجز عن صفة كنهه خلالاً ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الأنكسرة عرته وعلاؤه وقصر أيدي المياصرة عظمته وكسريائه، فالعظمة إراده والكمية ردؤه، ومن دأبه فيهما قصمه مداه الموت فأعجبه دوؤه، حلّ خلالاً، وتعدّست أسماؤه والصلاة على محمد الذي، برل معه المورد المقتشر صباؤه، حتى أشرقت سورة أكف العالم وأرحاؤه، وعلى آله وأصحابه الذين هم أحبّ الله وأوياؤه، وحرته وأصفيائه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ: «يعول الله تعالى العظمة إراري والكسرية ردائي فمن دأبه فيهما قصمته»^(٢)

وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وخواهي متبغ، وإعجاب المرء

(١) أي علب وفاق وفضل

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٦١ دون ذكر «العظمة» وقال: صحيح

على شرط مسلم.

بنفسه ^(١) فالكبر والعجب داء مهلك ، والمنكسر والمعجب سقيم مريض ،
وهما عند الله ممفوتان نعيضان ^(٢)

و إذا كان القصد في هذا الرُّبْع من الكتاب شرح المهلكات وحب إيضاح الكبر
والعجب في تبهما من قبائح المردية ، ونحن سنقصي بهما من لكتاب في شطرين ،
شطر في الكبر ، و شطر في العجب إن شاء الله تعالى

الشطر الأول من الكتب في الكبر ، وفيه بيان ذم الكبر ، و بيان ذم
لاحتيال ، و بيان فضيلة التواضع ، و بيان حقيقة التكبر وآفته ، و بيان من ينكسر
عليه ، و درجات الكبر ، و بيان ما به الكبر ، و بيان الواعث على لتكسر ، و بيان
أحلاق المتواضعين وما فيه يظهر لكبر ، و بيان علاج لكبر ، و بيان إمتحان
النفس في خلق الكبر ، و بيان المحمود من خلق التواضع و المدموم منه

❖ (بيان ذم الكبر) ❖

قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه و ذم كل حمار متكبر فقال
تعالى « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » ^(٣)
و قال تعالى « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر حمار » ^(٤)
و قال تعالى « واستغفروا وحاب كل حمار غنيد » ^(٥)
و قال تعالى « إنه لا يحب المتكبرين » ^(٦)
و قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من
خردل من كبر ، و لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان » ^(٧)

(١) تقدم مرات عديدة

(٢) البعير الشديد العسر ، تقول « ما أضغاضه إلى » تضرأه منقص عندك ، بمعنى صار
عداؤه ميقوضاً .

(٣) الاحزاب : ١٤٣ .

(٤) المؤمن : ٣٨ .

(٥) ابراهيم : ١٩ .

(٦) النمل : ٢٦ .

(٧) أخرجه مسلم ج ١ ص ٦٥ من حديث عداة بن مسعود

و عنه عليه السلام : يقول الله تعالى : الكرماء ردائي والعظماء إراري فمن راعني واحداً منهم ألقبته في جهنم ولا أبالي ^(١)

و قال عليه السلام : لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الحساب ، فيصيبه ما أصابهم من العذاب ^(٢)

و قال سليمان بن داود عليه السلام : يوماً للمظير والحر والانس والبهائم وأخرجوا وجرحوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الحر ، ورفع حتى سمع رجل الملائكة بالتسبيح في السماوات ثم حمص حتى مسّت قدماء في الحجر فسمع صوتاً يقول : لو كان في قلب صاحبكم مثقال درهم من كسر لحسفت به أُنعمت ما رفعتهم

و قال عليه السلام : « يخرج من النار عتق له ، دنان يسمعون وعيان يسمعون ولسان يطق يقول : وكلت بثلاثة بكر حمار عبيد ، ومكّن من دعا مع الله لها آخر ، والمصورين » ^(٣)

و قال عليه السلام : « لا يدخل الجنة حمار ولا بجيل ولا سبي ، الملكة » ^(٤) .
و قال عليه السلام : « تجاوزت الجنة والنار ، فعلمت النار ، أثرت باهتكسرين والمنحصرين ، وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا معطاء لباس وسقطهم وعجزهم ، فقال الله تعالى للجنة : إنما أنت رحمتي أرجمك من أش من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعدت لك من أش ، ولكل واحدة منكما ملؤها » ^(٥)

و قال عليه السلام : « شئ العبد عند تحنن واعتيدي وسي الحساب إلا على شئ

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٧٤ ، و ابو داود ج ٢ ص ٣٨٠ سقط قدوته في النار .

(٢) أخرجه الترمذي في ذيل حديث عن سمية عن الاكوع عن ابيه عن النبي (ص) و حسنه .

(٣) أخرجه الترمذي ج ١٠ ص ٤٤ من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح وهكذا رواه النسائي في المصايح ج ٢ ص ١٣٠ وقد رواه حمصهم عن عطية عن أبي سعيد الخدري .
(٤) تقدم سابقاً .

(٥) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٥١ وفيه « وسقطهم وعجزهم »

لعمد عند تحجر و احتار و سبي الكبر لمفعول ، نسي العمد عند فعل ؛ بها و لها
 و سبي المقدر و البلى ، نسي العمد عند عفا و عفى و سبي لمسته و امتنهي ^(١)
 و عن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل : يا رسول الله ما أعظم كبر فلان ، فقال
 « أليس بعده الموت » ^(٢)

و عنه ^{رواه الشيخان} « أن رجلاً حلف بحضرة الوفاء دعا ابنه فقال : يا بني آمر كما
 أأمر ، و أمها كما أمر عن لشرك و الكبر ، و أمر كما لا إله إلا الله ، فإن السموات و
 الأرض و ما فيهن ، و وضعت في كفة لميزان و وضعت « لا إله إلا الله » في الكفة
 الأخرى فكانت أرجح منهما ، و أن السموات و الأرض و ما فيهن كانتا خلفه
 و وضعت « لا إله إلا الله » عليها لمصمب ، و أمر كما يسجد لله و يحمده فأتبعها
 صلاة كل شيء ، و به يروى كل شيء » ^(٣)

و قال عيسى عليه السلام « طوبى من علمه الله كتابه ثم لم يمت حسباً »
 و قال ابن مسعود ^{رواه الشيخان} « أهل الباء كل حفيظي و كل خوط مستكبر جمع
 متاع ، أهل الحاء الصائم ، اعلمون » ^(٤)

و قال ^{رواه الشيخان} « إن حنككم إلبا و أقركم متي الآخرة أحاسكم أخلاقاً
 و إن تعمكم إلبا و أهدكم متي الآخرة ثروتاً و إن اعتشدقون المتفقهون ،
 و لو أني رسول الله قد علمنا ثروتاً بين ملتشدق ، فمن المتفقهون ، قل
 لمكثرون » ^(٥)

(١) أخرجه لمعوى في تصحيح ج ٢ ص ١٦٨ تقديم وتأخير و قال عرب ضعيف .

(٢) قال العراقي أخرجه السهقي في الشبه هكذا مرسلًا بلعط « تجبر » .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ١٧٠ من حديث ابن عمر

(٤) أخرجه الحاكم ج ١ ص ٦١ من حديث حرافة بن مالك بسند صحيح تقديم و

تأخير وفيه « المعلومون » مكان « المعلوم » و دون ذكر « جامع جامع » و لم يطرأ :
 العليظ المتكبر (النهاية) .

(٥) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ١٧٥ من حديث جابر و الثوري هو لكثير الكلام

تكلفاً ، و البششق هو المسكلم سله شذقه نفاصحاً و تعاطياً و استعلاء على غيره و هو
 معنى المفيق أيضاً .

١٠ قال عليه السلام : من سجد العدة في مثل عود لدهن يطهرهم
 المص : في مثل عود : من سجد العدة في مثل عود لدهن يطهرهم
 في حرمهم : من سجد العدة في مثل عود لدهن يطهرهم

الناس لهم انهم على الله تعالى، (٢)

یوسف (ع) نے دیکھ کر کہا کہ "اے اللہ! میری قوم نے مجھے یہاں تک پہنچا دیا ہے کہ میں
 بسکون فیہ کل جبار" (۳)۔

[illegible]

الكبير ، والدّين ، والغلول ، (٦).

[illegible]

(١) أخرجه أحمد ج ٢ ص ١٧٩.

(۶) آخرچہ: ایک اعلیٰ درجہ کا پھل جس کا نام (جبار) ہے۔

(۳) آخر جہ ۱ صفحہ کم می اسدیر نا ج ۲ ص ۵۹۷ و سیدہ مصطفیٰ

(۴) قال الامام ابي احمد رحمه الله عن شهاب الزيات عن عبد الله بن مسعود قال: «تورست»

مکمل دہائی، وہی «دعوت» مکمل دہائی، وہی ایمان کی عیاشی دہائی

(۵) داعیہ توحیدی حلقہ لا علی ما اخرجہ من مدحہ فی کتاب (قامہ الصلاوات)

الإسلامة في الصلاة (رقم ٨٠٧ في حديث > مهم في عودتكم من شيطان الرجيم ، من

همزة وعينه هـ وفاء عمرو همزة الحوية ، و يفتح الشعر ، وعينه اسكر (انتهى)

وادیة، و غمر، جدوں و نصر تم بحری لاسان، خدا اہا وعدہ کہہ گا، لہذا کاسیکر

(۶) آخر حه ابر. مباحه بحت دفع ۲۴۱۲ م. حدیث تو باں اُدوں قول نعمی : رواه

د. الهادي وجامعة البصرة د. بدر قصبي قال بها هو لسكر (سليون والري)

مكة: ٢٠١٢م. وكتبك أيضاً ذكره في مدونه الحدث عن مصر وولدي يكترون انهم

والقيمة ،

أقول: ومن صحت بحضرة ما رواه أبي عن أبي حمزة يعني قال
والكبر رداء الله والمتكبر يتادع الله (١)

وعنه الشيخ: «يعرف رداء الكبر إرادته» فمن رداً سداً منه كنه الله في
حرمته (٢)

وعنه وعن أبي حمزة يعني: «وإذا دخل الجنة من في قلبه مثل داء
من كبر» (٣)

وعن محمد بن مسلم عن حماد بن عيسى عن زرارة عن رجل قال: قال
قلبه مثل داء من حبل من الكبر. فاسترحب من رداء الله استرحب
قلت: ما سمعت ذلك. قال: ليس حيث داء إمامي الحق. إنما هو
الجحود» (٤)

وعن أبي عبد الله يعني: «والكبر من داء من داء الجحود»
وعنه يعني: قال: «والرسول في طوره إن أعياه الكبر عمن الجحود
سعه الحق» قال: قلت ما عمن الجحود سعه الحق؟ قال: يجعل الحق يطعن
على أهله. ومن فعل ذلك فقد نازع الله رداً» (٥)

وعنه يعني: قال: «إن في جهنم داءً لم يكترين يقال له سحر، شكاً إلى
الله شدة حره وسأله أن يدرى له أن يفسد، فتمس فخر في جهنم» (٦)
وعنه يعني: «ولكن المنكرين يجعلون في مود لذراً يوطئهم الدس حتى
يفرق الله من الحساب» (٧)

وعن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «سبي آكل الطعام الطيب
وأشم لريح الطيب» وأركب الدابة العارضة ويسمعي العلام فتري في هذا شيئاً

(١) أبي (٦) المصدر باب كبر ج ٢ ص ٣٠٦ تحت رقم ٤ و ٣ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩

و يسمي - داء الجحود ثم له من لاجتماع واستصغار و السه الجحود و أصله لثقة
و بطش، و مسمى سعه الحق الاستعفاف و أن لا يركب على ما هو عليه من الرخا و لمرارة

(٧) و (٨) لكافي ج ٢ ص ٣١٠ تحت رقم ١٠ و ١١

من العجب فلا أفعله ، فأمر أبو عبد الله (عليه السلام) ثم قال : « إنما الجحش للمعوس
من عمص الدس ، وخيل الحق » قال عمر بن الخطاب : « الحق » فلا خيلة ، واعمص لا
أدري ، « عمو » قال : « من حقر الناس وحقّر عليهم فذلك جحش »^(١)
وعنه **تفسيره** : « يا يوسف ، تخرج لما أقدم عليه الشيخ يعقوب **تفسيره** دخله
عمر للملك فلم قال : ليعصط عليه حمرئيل فقال : يا يوسف أسقط راحتك () وخرج
مها بوسائع وصار في حق السوء فقال يوسف : « حمرئيل هذا المورد الذي خرج
من راحتك » قال : برعت الموهبة من عصمت عقوقه لما لم يعرف إلى الشيخ يعقوب فلا
يكون من عصمت سي »^(٢)

وعنه **تفسيره** قال : « عام من عند الأولي رأسه حكمه »^(٣) ملك يمسك فإدا
تكثر قال له : اصنع وصنعك الله فلا يزال أعظم الناس في نفسه وهو أصغر الناس
في أعين الناس ، فإدا بواضع روم الله ثم قال له : « معش بعثت الله »^(٤) فلا يزال
أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس^(٥)
وعنه **تفسيره** قال : « ما من أحد بقية »^(٦) لا من دته يجدها في نفسه ، وفي لفظ

(١) لعل امرأته وسكونه **تفسيره** الاشعار بأنها في محل الخطر والمترقة لتكر

(١) الكافي ج ٢ ص ٣١١ تحت رقم ١٣ (ب) اربعة ، من لكف

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣١١ تحت رقم ١٥ . و ليرول اما عن لذة وعن السرير وكلاهما

مرويان ويسمى حمه على ما دخله لم يكن بكراً ، وحقر لوالده لكون الاسماء مراهين

عن ، مثل ذلك ، بل روى في المصلحة لعمد عرقته عند عامة الناس سمكه من سياسة

الحق وترويح الدس اذ كان يرول الملك عندهم لغيره موجب لذلك وكان رعاية الادب للاب

مع نموته ومفاضة الشدة له لجه أهم واولى من رعاية تلك البصعة ، فكان هذا منه **تفسيره**

تركأ بالاولى ، فله عوتب عليه وخرج نور لسوء من صفه ، لانتهم لرفعة شأنهم وعلو درجتهم

يعانسون بأدب شيء ، فهذا كان شهما بالتكبر ولم يكن تكبرا ، وقوله : « مصار الى حواله »

أي استقر هناك أو أزعج الى الساء ، قاله لعلامة المجلس - رحمه الله - في مرآة العقول

(٣) الحكمة - معركة : - اللحد وما لحاط عكبي العرس من لحداء وفيها المدبران

(٤) أي ارتفع ذمك الله والامر فيه وفي « اصنع » تكوسى و تشريعى

(٥) الكافي ج ٢ ص ٣١٢ تحت رقم ١٦ (٦) أي ما ينكر

آخر « ما من أحد تكبر أو تحتر إلا لدله وحده في نفسه »^{١١}

و عن أبي جعفر عليه السلام قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم شح دان وملك حنار ومقل عتال »^(١٢).

*) يار ذم الاختيال واطهار آثار الكبر في المشى و جر الثياب (١٣)

قال السيوطي رحمه الله « لا ينظر الله إلى رجل يحتر برأيه بطراً »^(١٤)

و قال رحمه الله « بينما رجل يسبح في برده وقد أعجبه نفسه حسف الله به الأرض فهو يتحلجل فيها إلى يوم انقيامه »^(١٥)

و قال رحمه الله « من حرّ إرأه حيلاه لم ينظر الله إليه يوم القيامة »^(١٦)

و قال رحمه الله « دامشاق متي المطيطه وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض »^(١٧) قال ابن الأثيراني هي مشبه فيها حتيال

و قال رحمه الله « من يعظم في نفسه واحداً في عيشه يمي الله وهو عليه عسان »^(١٨)

و روي أن عمر بن عبد العزيز حجّ فقل أن يستحلف فطر بيه طاؤوس و هو

(١) المصدر ح ٢ ص ٣١٢ تحت رقم ١٧ و انتهى و أصبح ي ما تكبر من الناس

أحد إلا من أبقى صفت أودلة كاسة في نفسه ولذلك ينكر بكى يحتره و يدفع عن نفسه
بنت العفة والدلة ويحصل أن يكون اللام لام لعنه ورو أو الدلة سب للتكبر

(٢) الكافي ح ٢ ص ٣١١ تحت رقم ١٤ والمعنى لعنه والمعسر المتكبر

(٣) أخرجه مسلم ج ٦ ص ١٤٧ ورواه المعوى في المصاحح ح ٢ ص ١١٩ ولفظ له

(٤) أخرجه أبو يعلى واطهراني وبرز من حديث الناس عن عبد مطيط ومنع

عليه في الصحيحين من حديث أبي هريرة

(٥) أخرجه المعوى في المصاحح ح ٢ ص ١١٩ ولفظ له من حديث ابن عمر

(٦) أخرجه سمرقندي ح ٩ ص ١١٨ ورواه المطيطاه وفي النهاية « مطيطاه »

وذكر آيب بالمدو لعنه وهي مشبه بها يحتر ومدالدين

(٧) أخرجه أحمد وبخاري في الأدب المفرد من حديث عبدالله بن عمر بن عبد حسن

كما في الجامع الصغير

يحتال في مشيته فعمد حسه فأصعده ثم قال ليست هذه مشية من بي بطنه حره فقال عمر كالمعتد يا عم لقد صرت كل عصفور مني على هذه المشية حتى تعلمتها و يروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى طهلب وهو يسخر في حبة حره فقال له يا عبد الله هذه مشية يعصها الله ورسوله ، فقال له اجعلها أما نعرفي ؟ فقال بلى أعرفك أولئك بطنه مدره^١ ، وأحرك حبيبه قدره ، ونحمل بين حنبيك أبعدره ، فمضى الطهلب و ترك مشيته تلك

و قال محمد بن قزوه تعالى « ثم ذهب إلى أهله يتمطى » أي يتمسح و إد ذكر ما دم الكرم والاحتيال فلندكر قصيده لتواضع

(٥) بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله ﷺ « ما زاد الله عبد بعفو إلا عزاً^١ ، و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (٢).

و قال رسول الله ﷺ « ما من أحد إلا و معه ملك و عليه حكمة بمسكاته^٢ ، و ان هورفع نفسه حذاها ثم قال اللهم سمعه ، و ان وضع نفسه قال اللهم ارفعه » (٣) و قال رسول الله ﷺ « طوبى لمن تواضع في غير مسكته ، و أهوى مالا جمعه من غير معصية ، و رحم أهل الدلالة و المسكنة ، و حادط أهل السعة و الحكمة » (٤).

و عن أبي سلمة المديني ، عن أبيه ، عن حمزة قال كان رسول الله ﷺ عندما يقف ، و كان صائماً فأنتسأه عند إبطائه بقدر من لبن و جعلوا فيه شيئاً من غسل فلما رفعه فداقه و حذفيه خلاؤه العسل ، فقال ما هذا ؟ قل يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً

(١) البدور : القاسد والخيب . (٢) أخرجه مسلم ج ٨ من ٢١ من حديث أبي هريرة

(٣) قال العراقي : أخرجه العقيلي في الصغاه و السبعي في الشعب من حديث أبي هريرة و أيضاً من حديث ابن عباس و كلاهما ضعيف انتهى ، اقوى رواه الطبراني و الزرعي و نحوه من حديث أبي هريرة و اسنادها حسن كما في الترغيب للبخاري ج ٣ من ٥٦١ و مرعي الكافي آنفاً بسند حسن

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ و البيهقي و دارودي و ابن قانع و الطبراني في الكبير و البيهقي في الشعب من ركب المصري بسند حسن كما في الجامع الصغير

من غسل ، فوصعه ، وقال : أما إني لا أحرّمه ، ومن تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وصعه الله ، ومن اقتصد أعياه الله ، ومن بدّر أعمره الله ، ومن أكثر ذكر الله أحسنه الله ، (١)

وروي أن النبي ﷺ كان في سفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه دمانه يسكره بها ، فأذن له فلما دخل أحلّسه رسول الله ﷺ على فحده ثم قال له : اطعم ، وكان رجل من قریش اشأأ منه ويكرهه فقامت دلت الرجل حتى كانت به دمانه مثلها (٢)

وقال النبي ﷺ : « خير بي ربي من أمرين : أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيتهما أختار وكل صفتي من ملائكة حبرئيل رفعت رأسي فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً » (٣)

وأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ : « إنما أقل صلاة من تواضع لعظمي ، ولم يتعاطم على خلقي ، وألم قلبه خوفاً وقطع النهار بذكره وكفّ نفسه عن الشهوات من أحلي »

وقال النبي ﷺ : « الكرم المعوى ، والشرف التواضع ، واليقين العنى » (٤) .
وقال عيسى ﷺ : « طوبى للمتواضعين في الدنيا بهم أصحاب المناظر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا بهم الذين يرضون المرءوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا بهم الذين يسطرون إلى الله عز وجل يوم القيامة »

(١) أخرجه ترمذي من رواية طائفة من عباد الله عن أبيه عن جده طائفة مذكور سحوة الأتولة « ومن أكثر ذكر الله أحسنه الله » ولم يقل نقاه قال الذهبي إنه خبر متكرر (المعنى) وأخرجه الكلبي ج ٢ ص ١٢٣

(٢) قال العراقي لم أجده أصلاً والموجود حديث أكنه مع المجنون رواه أبو داود والترمذي ج ٨ ص ١١ من حديث جابر وقال الترمذي : غريب

(٣) أخرجه أبو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف اسد كما في المعنى ، وأخرجه الكلبي ج ١ ص ١٢٢ تحت رقم ٥

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المعنى عن يحيى بن أبي كثير من سلاكم في الجامع الصغير .

و قال بعضهم . يا معني أن النبي ﷺ قال « إذا هدى الله عبداً للإسلام و حسن صورته و جعله في موضع غير شائن له و رقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله » (١).

و قال النبي ﷺ « أربع لا يعطيهن الله إلا لمن رزقها : الصمت وهو أول العادة و لتوكل على الله ، و التواضع ، و الرُّحمة في الدنيا » (٢).

و قال ابن عباس قال النبي ﷺ « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » (٣).

و قال النبي ﷺ « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله » (٤).

و روي أن رسول الله ﷺ كان يطعم فحاً ، رجل أسود به جُذري قد تنفَّس ففعل لا يجلس ، لي حسب أحد الأقام من حبه فجلسه النبي ﷺ إلى جنبه (٥).

(١) أخرجه الطبراني موقوفاً على ابن مسعود نحوه و فيه السمودي مختلف فيه (المعنى) .

(٢) ما عثرت على أصل له سم روى الحاكم و الطبراني من حديث أسد أربع

لا يمس لأصحاب : الصمت و أول العادة ، و التواضع ، و ذكر الله ، و قلة شيء ، و صحته و لهاكم لكن أورده المقدسي في تذكرة الموضوعات و قال هو من كلام الحسن البصري و فيه الموام بن جويرية و قال ابن حبان يروي الموضوعات

(٣) أخرج السهقي في الشعب نحوه و فيه رزمة بن صالح صحبه الجمهور كما في المعنى .

(٤) كذا و أخرجه ابن أبي الدنيا في دم الصب و فيه « يرممكم الله » و هكذا رواه

الكشي في الكافي ج ٢ ص ١٢١ .

(٥) تقدم أن المرافي قال ، لم أجده هكذا و المعروف أنه مع المبحر و رواه أبو داود

و الترمذي و قال عريب و ابن ماجة من حديث جابر ، و الجندي - بالغم - و لفتح لغة فيه -

مقال له في العارسية آله و هو شور يظهر على البدن لدفع من الطبيعة البدرة لبدن الإنسان

وصلات طنية منشأة في البدن عن اعتدائه بها ولذلك قيل أن هذا المرس لابد أن يعرض

لكل شخص غير أن تلك وصلات تبقى في البدن إلى حين يحصل لمحرك فيبهر القوة

الدائمة لدفعها و من الناس من يحد مرتين ولذلك عتد من لم يقو الطبيعة على دفع المادة

في من العبي بل يبتلى شيء منها ثم يتفق أسباب مسخنة مرطبة لمحرك المادة و يحرك

الطبيعة لدفعها مرة ثانية (بحر البواهر) .

وقال عليه السلام : « إنه لعجبي أن يحمل الرُّحْلُ حُلَّ الشَّيْءِ في يده فيكون مهبة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه » (١).

وقال عليه السلام لأصحابه : « مالي لا أرى عليكم حلاوة العباد ، قالوا : وما حلاوة العباد ؟ قال : التواضع » (٢).

وقال عليه السلام : « إذا رأيتم المتواضع من أمتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبر من فكبروا عنهم فإن ذلك لهم مدالة وصار » (٣).

أقول : ومن طريق لخاصة ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « أرسل الحاشي* إلى جعفر بن أبي طالب (٤) وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على الدراب* وعليه حلقة شيب ، قال : فقال جعفر : فشفف منه حين رأيته على تلك الحال ، فإني رأيته وعبّر وحوه قال : الحمد لله الذي نصر محمد* وأقر عيبه ألا أشرككم ؟ فقلت : بلى أيها الملك فقال : إنه حامي الساعة من نحو أرضكم عين* من عومي هناك فحبري أن الله تعالى قد نصر محمد* عليه السلام وأهلك عدوه وأسرفل* وفلان* لسفوا بواد فعل له بدر ، كثير الأراك* لكأني أسرفل* إليه حيث كتب أزعى لسبدي هناك وهو رجل من بني صمرة فقال له جعفر : أيها الملك فما لي أراك جالسا على الدراب* وعليك هذه الحلقة ؟ فقال : يا جعفر إنا نجد فينا أنزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله تعالى على عباده أن يحدثوا له تواضعا عندما

(١) و (٢) قال العراقي : كلاهما غريب .

(٣) كذا فيه .

(٤) الحاشي* صحاح لكون وتغيب الجيم المعجمة لقب منك العشة والبرادها الذي أسلم وآمن بالنبي (ص) واسمه أصخبة بن بحر ، أسلم قبل الفتح ومات قبله صلى عليه النبي (ص) لما جاءه حرمون* وجعفر بن أبي طالب هو أخو أمير المؤمنين عليه السلام وكان كرمه شرسين وهو من كبار الصفاة ومن الشهداء لأولي وهو صاحب البهريتين العشة وهجرة المدينة واستشهد يوم مؤتة سنة ثمان وله إحدى و أربعون سنة فوجد فينا أقبل من جده سمون صرة مابين طمة برمج وضرة سيف وقطعت يده في الحرب فأعطاه الله جناحين يطير بهما في الجنة فلقب ذو الجناحين

يحدث لهم من نعمه . فلما أحدثت به لي نعمه تجي ^{عليه} ^{عليه} أحدثت لله هدا ، التواضع ،
 ولما دلع اسبي ^{عليه} ^{عليه} وال ر الصدقة يريد ، حيا كثره قصدوا ير حكم الله
 وإل التواضع يريد صاحبه معه فواضعو بر فحكم الله ، وإل العفو يزيد صاحبه
 عر^١ فاعفو يعرفكم الله^٢ .
 وعنه ^{عليه} ^{عليه} وإل في لسماء ، ممكن هو كلس ، لعدد فمن تواضع رفعا ، ومن
 تكبر وضعاء^٣ . (٢) .

وعنه ^{عليه} ^{عليه} قال أظفر رسول الله ^{عليه} ^{عليه} عشية حموس في مسجد فدا ، فقال
 هل من شرب فدا ، فوس رحولي لأنا بي نعم محيص (٤) نعم ، فلما وضعه
 على فيه نجاه ثم قال شربا بكفى أحدهما من صاحبه لأشربه ولا أحر^٥ مه
 ولكن تواضع لله فإنته من تواضع لله رفعة الله ، ومن تكبر حفضه الله ومن فتنه
 في معشته رفعة الله ومن بدر حرمة الله ، ومن أكثر ذكر الله أحب الله^٦ .
 وفي رواية^٧ من كثر ذكر الله أظله الله في حبه^٨ .

وعن أبي جعفر ^{عليه} ^{عليه} أنه أتى رسول الله ^{عليه} ^{عليه} مذك وقال إن لله تعالى
 يحيرك أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً رسولاً^٩ . قال فطار إلى حمز بن عبد الله
 أوأما أمده^{١٠} أن تواضع . فقال عبداً رسولاً . فقال الرسول^{١١} مع أنه لا يفضله
 من عند ربك شيئاً قال ومعها معانيج حرز لآرس^{١٢} . (٧)
 وعن أبي عبد الله ^{عليه} ^{عليه} قال : وأوحى الله تعالى إلى موسى ^{عليه} ^{عليه} أن يا موسى

(٥) المر - بالصم - لقدح ، والحصص - برى الذي يؤخذ من اللس .

(٦) إلى (٤) الكافي ج ٢ ص ١٢١ و ١٢٢ .

(٥) كانه يستخره وهذه الحلة وما فيها مبرضة ولهد لم يقل « فأوما » .

(٦) بنى قال الملك .

(٧) يعنى قارا وجعفر ^{عليه} ^{عليه} ، وكان مع الملك عند تسليم هذه الرسالة المعانيج ويعمل

أن يكون صبر « قال » راجع إلى الملك ومعون لقول معصوماً ، والو ومي قوله « ومع »

للعلى قال ذلك ومعها المعانيج ، وقيل راجع إلى الرسول ي قال صلى الله عليه وآله

لأفضل وإن كان معه المعانيج ولا يخفى ما فيه والخبر في الكافي ج ٢ ص ١٢٢

أتدري لم اصطفيك بكلامي دون خلقي ؟ قل : يا رب ولم دأله ؟ قال : فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني قلت لعبادي طهراً لظن فلم أحد فيهم أحداً أدل لي بفساً منك ، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب - أو قل على الأرض ^(١) .
وعنه عليه السلام قال : « مر علي بن الحسن عليه السلام على المحرمين وهو راكع حماره وهم يتعدون ، فدعوه إلى العدا ، فقال : أما إني لولا أني صائم لفعلت ، فلمّا صار إلى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يدوّقوه ، ثم دعاهم فتعدوا عنده وتعدّى معهم » ^(٢) .

وعنه عليه السلام : « أنه نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله فلمّا رآه لرجل استحى منه فقال له أبو عبد الله عليه السلام : شترينه لعيالك و حملته إليهم ، أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشترى لعيالي لشيء ثم أحمله إليهم » ^(٣) .

وعنه عليه السلام قال : « فيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود كما أقرب الناس إلى الله المتواضعون كذلك أبعاد الناس من الله المتكبرون » ^(٤) .

وعنه عليه السلام : « من التواضع أن ترعى بالمجلس دون مجلس ، وأن تسلم على من تلقى وأن تترك المراءاة وإن كسب مهجراً ولا تعجب أن تحمد على التقوى » ^(٥) .

وعنه عليه السلام : « إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه » ^(٦) .

وعن أبي بصير قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قص فيها أبو عبد الله عليه السلام فقلت له : جعلت فداك رجعت كمثلاً وجر فلان بدنة ^(٧) ؟ فقال : « يا أبا عبد الله إن نوحاً كان في السفينة وكان فيها مائة ، الله وكانت السفينة مأمورة فطاف لبيت وهو طواف النساء ، وحلّى سبلها نوح فأوحى الله تعالى إلى الجبال أني واصع سفينة نوح عدي على جبل مسكن فتطاوت وشمخت و تواضع الحدودي »

(١) و (٢) الكافي ج ٢ ص ١٢٣ تحت رقم ٧ و ٨ و توقفوا أي تكفوا

(٣) إلى (٦) المصدر ج ٢ ص ١٢٣ .

(٧) لبدة : الناقة أو الفرة ، والجمع بدن - بدنين - و بدن - ناسكال ابدال -

وهو حل عندكم فضربت السعينة بجؤجؤها الجبل ^(١) قال فقال نوح عند ذلك «يا ماري أتص» وهو بالسريانية رب أصلح، قال فطلب أن «أبالحسن عليهما السلام» عن ابن عباس ^(٢)

وعن أبي الحسن عليه السلام قال «التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه» ^(٣) وفي حديث آخر قال «التواضع درجات منها أن يعرف الرجل قدر نفسه فيبرأها من رتبته بقلب سليم لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل هايتي إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كظم العظم، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين» ^(٤) وفي كتاب مصباح الشريفة ^(٥) قال الصادق عليه السلام «التواضع أصل كل شرف عيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لطق عن حقايق ماني محمديان العواقب، والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر، ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين، قال الله عز وجل «و على الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم» ^(٦) وأصل التواضع من إحلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عادة يرصاها ويفعلها، لا وبائها التواضع ولا يعرف ماني حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته، قال الله عز وجل «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ^(٧) وقد أمر الله عز وجل حير خلقه وسيد بريته عبداً بنبيهم فقال عز وجل «واخفض منكم لعلك تتعبدون» ^(٨) والتواضع مرادة الخشوع والخضوع والحشية والحياء، وإتقن

(١) الجؤجؤ - كهيته - : الصدر

(٢) يعني أراد بهذه الحكاية أن يتبين أنه إذا تواضع بذبح الشاة دون أن ينحر الدابة ليبرأ الله تواضعه ذلك بالرخصة في نفسه في الدنيا والآخرة كما قاله المؤلف في الوافي، والخبر مروي في التكمي ج ٢ ص ١٢٤

(٣) و(٤) المصدر ج ٢ ص ١٢٤ (٥) الباب الثامن والخمسون

(٦) الأعراف : ٤٤ (٧) الفرقان : ٦٤

(٨) الشعراء : ٢١٥

لا يأمن إلا من ولا سلم القرب التام الحقيقي إلا للتواضع في دناؤه تعالى
 وفي تفسير الإمام أبي عبد الله الحسن بن علي العسكري عليه السلام وأعرف ليس
 جعوني إخوانه وأشدّهم قصداً لهم أعظمهم عبادة شأناً ، ومن تواضع في الذنوب لا حواءه
 فهو عبادة من الصديقين ، من شيعه علي بن أبي طالب عليه السلام حقاً ،
 وقيل ورد علي أمير المؤمنين عليه السلام حواء له مؤمنان أب وأب فقام إليهما
 وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه وحلّ بين أيديهما ثم أمر بطعام وأُحضِرَ كلاً
 منه ثم جاء فيه بطعام وإسريق حشّ ومديد ليس وما ، ليصب علي يدائل حل
 فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الإبريق ليصب علي يد برّ حل فتمرّغ برّ حل في
 القرب وقال يا أمير المؤمنين الله برّ بي وأب برّ علي يدي فإن أقعد وأغسل
 فإن الله عز وجل يراك وأحوث أدي لا يمتبر منك ولا يتغسل عبيث يريده لك
 في خدمته في الجنة مثل عشرة أسعد حل الذنوب وعلى حسب ذلك في مالكه فيه ،
 فبعد البرّ حل فقال علي عليه السلام فسمعت عليك بمقيم حقّي الذي عرفته وجلّته
 تواضعت لله تعالى حتى جازاه الله بأن يديني لما شرّك به من خدمتي لك لمّا غسلت
 مطمئناً لما سمعت بعض لو كان الصائب عليك فسر ، ففعل لبرّ حل ذلك فامة فرفع
 باول الإبريق فخرّس الحفصة ، وقال يا سيّ لو كان هذا الابن حصري روي فيه
 لصب علي يده لكن الله عز وجل بأنّي أن يساوي من ابن وأبيه دا جميعاً مكان
 لكن قد صاب الأب علي لأب فليصب الابن علي الابن ، وصبّ محمد بن الحنفية علي
 الابن ، قال الحسن بن علي عليه السلام من اتبع علياً عليه السلام فهو أشيعي حقاً

﴿فصل﴾

قال أبو حامد الآثار سئل الفضل عن التواضع فقال هو أن يحصع للحق
 و تعاف به ولو سمعته من صبي فليته منه ولو سمعته من أهل الدس فليته منه
 وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تصع نفسك عند من دونك في رتبة لذنا
 حتى تعلم أنّه ليس بك عليه بديك فصل أن يرفع نفسك عن هو فوقك في

لدينا حتى نعلمه أنه ليس له بدساة عليك فصل

و قال قتادة - من أعطى مالا أو حملا أو ثيابا أو علما ثم لم يواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة

و قيل - أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إذا أقمرك عليك نعمه وسعيتك بالاستكانة أتممتها عليك

وكان سليمان بن داود مثقالاً إذا أصبح بصفحة جوده الأعياء والأشراف حتى يحيى إلى المساكين فيعقد معهم ويقول - مكب مع ما كن
و قال بعضهم - كما تكره أن يراد الأعياء في الثياب فكذلك فأكروه أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة

و قيل - أرفع ما يكون العبد المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه

وعن أبي الفتح بن شعرف قال - رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال - ما أحسن التواضع بالأعياء في مجالس العمراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى وأحسن من ذلك بيه العمراء على الأعياء ثقة بهم بالله عز وجل

وقال أبو سليمان - لا يواضع العبد حتى يعرف نفسه

و قال أبو يزيد - ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فعبد متى يكون متواضعا فقال - إذا لم ير لنفسه معاملاً ولا حلالاً ، وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه

و قال عروة بن الورد - التواضع أحد مصاديق الشرف ، و كثر نعمه محسود عليها صاحبها إلا التواضع

و قال يحيى بن خالد البرمكي - الشريف إذا نسك تواضع والسفيه إذا نسبك

بما ظم

و قال يحيى بن معاذ - التكبر على ذوي التكبر عليك بما له تواضع و يقال - التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأعياء أحسن ، والتكبر في

الحلق كلهم فيبيع وفي الغمراء أقبح

ويقال - لا عرٍّ إلا لمن تذلل لله عرٍّ وجل ولا رفعة إلا لمن تواضع لله ، ولا أمر إلا لمن حاف الله ، ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عرٍّ وجل

وعن عمرو بن شبة قال : كنت بمكة في الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكناً بعلقة و بين يديه غلمان وإداهم يعتقون الناس ، قال - ثم عدت بعد حين فدخلت بعداد فكنت يوماً على الحصر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأنامله فقال لي مالك تنظر إلي ؟ فقلت له شئت بك برجل رأيت بمكة و وصفت له الصفة ، فقال أنا ذلك الرجل . فقلت - ما فعل الله بك ؟ فقال - إنني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوصفي الله حيث يترقع فيه الناس

وتفاخرت قريش عند سلمان - رضي الله عنه - يوماً فقال سلمان - لكنتي خلقت من قطعة قنطرة ثم أعود حبة منسنة ثم آتي الميراث فإن ثعل فأنا كريمٌ وإن حافاً فأنا لثيم

❦ (بيان حقيقة الكبر وآفته) ❦

إعلم أن الكبر يتقسم إلى طاهر وباطن والباطن هو حلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالحلق الباطن أحق ، وأما الأعمال فبها ثمرات لذلك الحلق وحلق الكبر موجب للأعمال ولدات إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال - في نفسه كبر - فالأصل هو الحلق الذي في النفس وهو الاستدراج والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به ، وله يعمل الكبر عن العجب كما سيأتي فإن العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يحلق الإنسان إلا واحده بصور أن يكون معجماً ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال ، فعند ذلك يكون متكبراً ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبراً فإنه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحق غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو

رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل يسعى أن يرى لنفسه مرتبة و لغيره مرتبة ، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره ^(١) ، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد و همة و فرح و ركون إلى ما اعتقده ، و عز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهمة والركون إلى المعتقد هو خلق الكبر ، و لذلك قال النبي ﷺ : « أعود بك من بحة الكبرياء » ^(٢) و لذلك قال بعض حلفاء النبي ﷺ : أحسب أن تمنع حتى تبلغ الثريد ، للذي استأذنه أن يعط بعد صلاة الصبح و كأن الإيسار مهما رأى نفسه بهذه المي و هو الاستعظام كبر و انتعج و تعز ، فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ، و تسمى أيضاً عزة و تعظماً ، و لذلك قال ابن عباس في قوله تعالى : « إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه » ^(٣) فقال : عظمة لم يلعوها ففسر الكبر بذلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالاً في الظاهر والباطن هي ثمراته و يسمى ذلك تكبراً فإنه مهما عظم عنده قدر نفسه بالإضافة إلى غيره حقّر من دونه و ازدراء و أقصاه عن نفسه و أبعد و ترفع عن مجالسته و مواكلته ورأى أن حقه أن يعوم مثلاً بين يديه إن اشتد كبره ، و إن كان كبره أشد من ذلك استنكف عن استخدامه و لم يجعله أهلاً للقيام بين يديه و لا لخدمة عتبه فإن كان دور ذلك فيأب من مساواته ، و يتعذّم عليه في مضائق الطرق و يرتفع عليه في المحافل ، و انتظر أن يبدأ بالسلام ، و استبعد إن قصر في قضاء حوائجه ، و تعجّب منه ، و إن حاج أو ناظر أفا أن يرد عليه ، و إن وعظ استنكف من القول ، و إن وعظ عنف في النصيح ، و إن رد عليه شيء من قوله عص ، و إن علم لم يرفق بالمتعلمين و استذلّهم و انتهرهم و امنّ عليهم و استخدمهم ، و ينظر إلى العامة كأنه يطر إلى الحمير استحباً لأهلهم و استحقاراً ، والأعمال الصادرة عن خلق

(١) فيه نظر لانه يتامى ما قال الصادق عليه السلام : « ما من رجل نكر أو تجر الالة

وجدها في نفسه » .

(٢) المؤمن : ٥٨

(٣) تقدم سابقاً

الكبر كثيره وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فيها مشهوره وهذا هو الكبر وآفته عظيمة وعائلته هائلة، وفيه يهلك الحواس من الخلق، وقلما يبعث عنه العباد والرعايا والعلماء فصلاً عن عوام الناس وكيف لا نعظم آفته وقد قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » (١) وإنما صدر حجاباً عن الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعن النفس يعلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يعدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواصل وهو رأس أخلاق المتعبر وفيه لعز، ولا يقدر على كظم العبط وفيه العز، لا يقدر على ترك الحقد وفيه العز، ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز، ولا يقدر على ترك العصب وفيه العز، ولا يقدر على الصبح اللطيف وفيه العز، ولا يقدر على قبول الصبح وفيه العز، ولا يسلم من الإرداء بالناس ومن اعتناهم وفيه العز، ولا معنى للتطويل، فها من خلق دميم إلا وصاحب العز والكبر مصطراً إليه ليحيط به عز، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يعوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه والأخلاق الذميمة متلازمه والبعض منها داع إلى العصب لأعماله، وشر أبوع الكبر ما يمنع من ستعادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها دم المتكبرين قال الله تعالى « والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم إلى قوله » وكنتم عن آياته تستكبرون » (٢) ثم قال « ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثوى المتكبرين » (٣).

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن والاصمدي كما في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٦٦.

(٢) الاسام ٩٤.

(٣) البقر ٣١ وطاهر موله « ثم فاز » أنها هي سبب الإله السابعة لكن ليس كذلك وفي سورة البقر هكذا « الذين تتوكلونهم الملائكة طالبي أنفسهم قالوا السلام ما كنا بعد من سوء بلى إن الله علم ما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم - الآية » وهكذا فيما يلي.

ثم أحبر أن أشد أهل النار عذاباً أشدهم عتياً على الله فقال : « ثم لنزل عن كل شعبة أنهم أشد على الرحمن عتياً »^(١)

و قال : « فالذين لا يؤمنون بالآخرة فلوهم مسكرة وهم مستكرون »^(٢)
و قال : « يقول الذين استصعوا المدين استكروا لولا أنكم لكت مؤمنين »^(٣)
و قال : « إن الذين يستكرون عن عبادتي سيدخلون جهنم من ذريتهم »^(٤)
و قال : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق »^(٥)
قيل في التفسير : سأرفع فهم الغرار عن قلوبهم ، وفي بعض التفسيرات : سأحجب قلوبهم عن الملكوت و قال ابن حريج : سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ، و لذلك قال عيسى عليه السلام : « رب الرذع يست في السهل ولا يست على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب امتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر ألا يرون أنه من يتشمع برأسه إلى السقف شحته و من يطأطيء أطله وأنته » فهذا مثل صر به للمتكبرين و بهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله ﷺ حدود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته و قال : « من سمع الحق وعمص الداس »^(٦)

❦ بيان المتكبر عليه وأقسامه ودرجاته ونمرات الكبر فيه ❦

إعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر الخلق وقد خلق لا بسبب طلب ما يحب ولا فائدة يتكبر على الخلق ، و مرة يتكبر على الخالق ، فإذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام :

الأول : التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثله إلا الجهل لمحض والطغيان مثل ما كان من مرود فأنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء و كما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل

(١) مريم ٧٠ و لقي ههنا مصدر كالتمت وهو التبريد والعصار (المجم)

(٢) النحل : ٢٣ . (٣) البقرة : ٣٩ .

(٤) المؤمن : ٦٢ وفي القاموس دخر : مغرول .

(٥) الاعراف : ١٤٣ . (٦) مرآة .

فرعون وعمره ^١ أنه لتكبره قال : « أما ربكم إلا على » إذا سمكت أن يكون عبد الله
ولذلك قال تعالى : « أن الدين يسكر » عن عاصي سدخلوا جهنم داخرين .
وقال الله تعالى : « لن يستكبر المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقرَّبون
ومن يستكبر عن عبادتي ويسكر فسبحرهم إليه جميعاً » فأما الذين آمنوا و
عملوا الصالحات فيوفيتهم أجورهم و يريدون من فضله وأما الذين استكبروا و
استكبروا فيعد لهم عذاباً أليماً ولا يحدون لهم من دوزخه وليتاً ولا حياءً ^(١)
وقال تعالى : « وإذا قيل لهم اسجدوا للرب نحن قالوا وما الرب إلا
ما تأمرنا و رادهم بقوراً » ^(٢)

الفصل الثامن : لتكبر على الرسل من حيث تعزُّ النفس ويرى من لا يعاد
لبشر مثل سائر الناس وذلك بآفة يصرف عن الفكر والاستعداد وسمى في طلبة الجهل
بكبره فمنع عن الانقياد وهو طائر ^٣ أنه يحو فيه وآفة ^٤ مع مع المعرفة إذ لا
تطوعه نفسه للانقياد للحق والنواصيح للرشد لما حكى الله به لبيد في قولهم
« أنؤمن لبشرين مثله » ^٥ « وإن أنتم إلا بشر مثله » ^(٦) « ولئن أطعتم بشر مثلكم
إنكم إذا لحاسرون » ^(٧) وقال الدين لايرحون لقاء ما لو لا أنزل علينا الملائكة
أو يرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعنوا عتواً كبيراً ^(٨) وقالوا « لو لا أنزل
إليه ملك ويكون معه مديراً » ^(٩) وقال فرعون فيما أحمر الله عنه « أو جاءه
الملائكة معترفين » ^(١٠) وقال الله تعالى : « واستكبر هو و جنوده في الأرض معبر
الحق » ^(١١) فتكبر هو على الله تعالى وعلى رسوله جميعاً قال وهب : قال له موسى
عليه السلام يا فرعون آمي ولك ملكك . قال حتى أشاور هامان ، وشاور هامان
فقال له هامان بينما أنت رب تعبد إذ صرت عبداً نعبد واستكبر عن عبودية الله

(١) النساء : ١٧٢ و ١٧٣ .

(٣) المؤمنون : ٤٩ .

(٥) المؤمنون : ٣٦ .

(٦) الفرقان : ٢٢ .

(٧) الفرقان : ٨ .

(٨) الزخرف : ٥٤ .

(٩) القصص : ٢٩ .

(١٠) القصص : ٢٩ .

عر^١ وحل^٢ ومن انشاع موسى عليه السلام وقال فرش^٣ دلو لا يرل^٤ هذا يعا
 علي رحل من العرتين عظيم^٥ ^(١) قال قتاده عظيم القريش هو لوليد بن مع
 وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم^٦ دئاسه من السي^٧ ^(٢) ادقلوا علام^٨ يشد
 كيف بعث الله إلينا فقال تعالى وأهم يسمون رحمت ربك^٩ ^(٣) وقال يعز
 د ليقولوا أهؤلاء من^{١٠} الله عليهم من بينا^{١١} ^(٤) أي اسحق^{١٢} لهم واسبقوا لتعداهم
 وقالت قريش كيف نحلس^{١٣} إلهك وعندك هؤلاء^{١٤} أشاروا إلى ففرا^{١٥} أسلمين وردوا^{١٦}
 بأعسهم لفرهم^{١٧} ومكثوا عن محاسنهم فترل^{١٨} الله تعالى ولا طرد^{١٩} الذين بعده
 ربههم بالغداة والعشي^{٢٠} يريدون وجهه ما عدت^{٢١} من حسابهم من شيء^{٢٢} وما من حساب^{٢٣}
 عليهم من شيء^{٢٤} فطردهم فتكون^{٢٥} من الظالمين^{٢٦} ^(٥)

وقال ولا بعد غيبائك عنهم بر يد^{٢٧} به الخوة دئاسا^{٢٨} ^(٦)

ثم أحرأ^{٢٩} الله تعالى عن معجته^{٣٠} هم حين حلوا جهنم^{٣١} ولم يرو^{٣٢} آذين استر^{٣٣} لوهن^{٣٤}
 فقالوا^{٣٥} وما لا يرى رحلاً^{٣٦} كما بعدتهم من الأ^{٣٧} ^(٧) قال يعز^{٣٨} ع^{٣٩} أرا^{٤٠}
 بالآ وصبيأ^{٤١} والمعداد^{٤٢}

ثم^{٤٣} كان منهم من منعه الكبر عن العكر^{٤٤} والمعرفة^{٤٥} فجهل^{٤٦} كونه^{٤٧} ^(٨) معجته^{٤٨}
 ومنهم من عرف^{٤٩} ذلك ومنعه الكبر عن الاعراف^{٥٠} قال الله تعالى^{٥١} ^(٩) فله^{٥٢} أحاءهم ما عرفو^{٥٣}
 كفر^{٥٤} وابه^{٥٥} ^(١٠) وقال^{٥٦} ^(١١) وحججوا بها واستغنوا^{٥٧} بفسهم^{٥٨} بعلما^{٥٩} وعلوا^{٦٠} ^(١٢) وهذا الك^{٦١}
 قريب من التكثر^{٦٢} على الله^{٦٣} وإن كان دونه ولكذا^{٦٤} بكثر^{٦٥} عن قول^{٦٦} أمر الله^{٦٧} لرسوله^{٦٨}
 لرسوله^{٦٩}

القسم الثالث المكت^{٧٠} على العباد^{٧١} وحدث^{٧٢} بأن يستعظم^{٧٣} نفسه ويستعظم^{٧٤} غيره^{٧٥} فأنبي^{٧٦}
 نفسه عن الانقياد^{٧٧} لهم وتدعو^{٧٨} إلى^{٧٩} لث^{٨٠} قس^{٨١} عندهم^{٨٢} فير^{٨٣} ربههم^{٨٤} ويستعظم^{٨٥}هم^{٨٦} ويألف^{٨٧} من
 مساواتهم^{٨٨} وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم^{٨٩} من وحيين^{٩٠} أحدهم^{٩١}

(١) و (٢) الحرف ٣٢ و ٣٣ (٣) و (٤) لا عام ٥٤ و ٥٣

(٥) الكهف : ٢٩ (٦) سورة ص : ٦٢

(٧) البقرة : ٩٠ (٨) النمل : ١٤

أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك العادر فأما العبد المملوء الضعيف
 العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق به الكبر، ومهما تكبر العبد فغدر الله
 تعالى في صفة لا تليق إلا بحالائه ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على
 رأسه ويجلس على سريرته، وما أعظم استحقاقه للموت، وما أعظم تهدده للحرى
 والمكالم، وما أشد استخراؤه على مولاه، وما أفتح ما تعاطاه، وإلى هذا المعنى الإشارة
 بقوله تعالى «لعظمة إدري والكبرياء ردائي فمن نارعى فيهما قصمته» (١) أي
 أنه حاسر صفتي ولا يليق إلا بي والمدرع فيه مبارع في صفة من صفاتي وإذا كان
 الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد حصى عليه إذ الذي يستردل
 حواصن علمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويسأثر بما حق الملك أن يستأثر
 به منهم فهو مبارع له في بعض أمره، وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على
 سريرته والاستبداد بملكه، فالحلق كلهم عبادة الله وله لعظمة والكبرياء عليهم، فمن
 تكبر على عبده من عبادة الله فقد دبرع الله في حقه، نعم الفرق بين هذه المباراة وبين
 مناداة ممرود وورع هو ما هو الفرق بين مبارعة الملك في استصغار بعض عبده واستخدامهم
 وبين منادعته في أصل المملكة

الوجه الثاني الذي يعظم به رديله الكبر أنه يدعو إلى محالفة الله تعالى في
 أوامره لأن المنكبة إذا سمع الحق من عندهم عبادة الله استنكف من قبوله وتشتم
 لحجده، ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يرمون أنهم يباحثون عن أسرار
 الدين ثم إنهم يتفاجأون بتجاهد المنكبين ومهما انضح الحق على لسان واحد
 منهم ألف آحر من قبوله ويشتمر لحجده واحتال لدفعه بما يعذر عليه من التلبس
 وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين ودفعهم الله تعالى فقال «وقال الذين كفروا
 لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا أصه لعلكم تغفلون» (٢) فكل من يباظر للعبة والآفحام
 لا يسمع الحق إذا طهر به فقد شاركهم في هذا الحلق وكذلك يحمل ذلك على

(١) أخرجه العياكم في المسند ج ١ ص ٦٦ وقد تقدم

(٢) فصلت: ٢٦.

الأمة من قبول الوعظ كما قال تعالى «وإذا قيل له اتق الله أحدثه العزة بالإثم»^(١) وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثماً إذا قيل له اتق الله قال عليه بفساد

وقال عليه السلام لرجل «كل بميمك» فقال لا أستطيع، فقال النبي ﷺ لا أستطيع فما صنعته إلا كرهه فقبل ما روعها بعد ذلك^(٢) أي اعتلّب يده فادن تكبره على الخلق عظيم لأنه سدعوه إلى التكثر على أمر الله وإسما صرت إبليس مثلاً بهذا وما حكاه من أحواله لا يعبر به فإنه قال «أنا خير منه» وهذا الكبر بالنسب لأنه قال «حلفني من يار وخلقته من طين»^(٣) فجعله ذلك على أن يمنع من السجود الذي أمره الله تعالى به فكان مدوّه الكبر على آدم والحسد به حركه ذلك على التكثر على أمر الله فكان ذلك سبب هلاكه أبداً لا بد، وهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله ﷺ لكبر بهاتين الآيتين أسأله ثابت بن فيس بن شماس فقال يا رسول الله إني مرؤ قد كتب إلي من الصالحين «تري أومس الكبر هو؟» فقال ﷺ لا، ولكن تكبر من بطر الحق وعص لئس^(٤) أي إردأهم واستحققهم وجم عاداة أمثاله «مر منه» هذه آفة لأولي، قوله «سعه، الحق» هو رده به هي آفة لثنية فكل من «أي أنه خير» من أخيه واحتقر أخاه فازدراء وطر إليه يعني الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أتى من أن يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى والرسل

☆ (بيان ما به التكر) ☆

إعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظم إلا وهو يعتقد لها صفة

(١) البقرة ٢٠٦

(٢) أخرجه مسلم ج ٦ ص ١٠٦ وقال النووي هذا الرجل سر من داعي لعد

لاشمي كذا ذكره ابن مده (٣) الإعراب ١٢٠

(٤) تقدم غير مرة بلفظ «من سعه الحق».

من صفات الكمال و مجامع دلت يرجع إلى كمال ديني أو دسوي ، قال ديني هو العلم والعمل و الدنيوي هو النسب والجمال و العو و المال و كثرة الأنصار ، فهذه سبعة أسباب .

الأول . العلم و ما أسرع الكبر إلى العلماء ، ولذلك قال عليه السلام : آفة العلم الخيال ، ^(١) فلا يلدت لعالم أن يتعزّز بعز العلم و يستشعر في نفسه حال العلم و كماله و يستعظم نفسه و يستحضر الناس وينظر إليهم نظره إلى الهائم يستحلمهم ويتوقع أن يسدّوه بالسلام فإن بدأ أحداً منهم بالسلام أو ردّه عليه ببشر أو قام له أو أحال له دعوه رأى ذلك صيغة عده و يدأ عليه يلزمه شكرها ، واعتقد أنه أكرمهم و فعل بهم ما يستحقّون من مثله ، وأتته يسعى أن يرقّوا له ويحمدوه شكرآله على صيغته بل العالم أتهم يرويه فلا يبرهم ويردونه فلا يبرورهم ، ويعودونه فلا يعودهم ، و يستخدم من حالته منهم و يستحضره في حوائجه فإن قصر فيها استنكره كأنهم عبيده أو أحرّاءه و كأنّ يعلمه العلم صيغته منه إليهم و معروف لديهم و استحقاق حقّ عليهم . هذا فيما يتعلّق بالدنيا وأما في أمر الآخرة فنكسره عليهم بأن يرى نفسه عبداً لله أعلى و أفضل منهم فيحاف عليهم أكثر ممّا يحافه على نفسه و يرجو لنفسه أكثر ممّا يرجو لهم وهذا بأن يسمّي جاهلاً أوّلي من أن يسمّي عالماً بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف لا يمان به نفسه و ربه و خطر الخاتمة و حجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم و هذه العلوم تزيد خوفاً و تواضعاً و خشعاً ويفتضي أن يرى أن كلّ الناس خيرٌ منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم . فعصره في انعدام شكر نعمه العلم و لهذا قال أبو الدرداء : من ارداد علماً ارداد خوفاً وهو كما قال

(١) في المرامى هكذا ذكره المصنف والمعروف : آفة العلم النسيان و آفة الخيال الخلاء ، هكذا رواه بعض النسخ في مسند لشهاب من حديث علي بن مسعود ضعيف و روى عنه أبو منصور الدمشقي في مسند الفردوس : آفة الخيال الخلاء ، وفيه التحسين لعبد الكوفي لا يدرى من هو ، حدث عن أبيه حديث موضوع قاله صاحب الميزان انتهى

فان قلت . فما بال بعض الناس يرداد بالعلم كبراً وأمناً ؟ فاعلم أن له سببين أحدهما أن يكون شتعاله مديستى عدماً وليس يعلم حقيقته وإدما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر أمره في الله ، الله و الحجاب عنه ، وهذا يورث الحشبة و لتواضع دون الكبر والأمر قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا خَشِيَ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) فأما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجدلات فإذا بحر د الأيسار لها حتى اعتلأ به اعتلأ كبراً و بقاءاً وهذه بأن يسمى صاعداً أولى من أن تسمى علوياً بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث لتواضع عالياً

السبب الثاني أن يحوسر العبد في العلم وهو حدث لدخلة ردييه النفس سبباً ، لا خلاق فلم يشتغل أولاً بتهدب نفسه وبر كنه قلبه بأنواع المحاهدات ولم يرم من نفسه في عبادة ربه فبقي حيث الجوهر في خاص في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه مبرلاً حيث علم يطب ثمره ولم يطهر في الخير أثره و قد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال العلم كالغيث يرسل من السماء خلوا صافياً فتشربه الأشجار بعروقها فتحول له على قد صومها ، ويرداد المر مرارة واحلو خلوا . هكذا العلم يحفظه الر حال فتحول له على قد صومهم وأهوائهم ، فيريد المنكسر كبراً واحتواضع تواضعاً وهذا لأن من كاسب همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وحدهما يتكسر به فارداد كبراً ، وإذا كان الر حال حائفاً مع جهله فإذا ارداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه ويرداد خوفاً وإشفاقاً وتواضعاً ، ولعلم من أعظم ما يتكسره ومن أحل ذلك قال الله تعالى لبيته ﷺ : ﴿ وَاحْفَظْ حِمَاكَ لِمَا تَسْمَعُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَطْماً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَقُصُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٣) و وصف أوليائه فقال تعالى : ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَفٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٤) ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه العباس : ﴿ يَكُونُ قَوْمًا يَمْزُونَ الْقُرْآنَ لَا يَحْذَرُونَ حِمَا حَرَمَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ

(٢) النمر : ٢٦٥ .

(١) طاهر : ٢٨٠

(٤) المائدة : ٥٩ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

فرأى القرآن فمن أقرأ متاً ومن أعلم متاً، ثمّ انصب إلى أصحابه فقال: «ولئك منكم أيّها الأئمة، أرثتكم وفود السار»^(١)، ولذلك قيل: «لا تكونوا حباير العلماء، فلا يعي علمكم بحيلكم» و صلى حديقه بقوم فلما سلم قال: لتلتمس إماماً عيري أو لتصانّ وحداناً إني رأيت في نفسي أنّه ليس في العوم أفضل مني
فإذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأئمة فما أعرّ على بسيط الأرس عالم يستحقّ أن يقال: إنّه عالم، ثمّ إنّه لا يحركه عرّ العلم و حيلؤه فإنّ وحد ذلك فهو صدّيق زمانه، فلا يسعى أن يدارق بل يكون النظر إليه عادة فصلاً عن الاستعانة من أعباءه و أحواله، لو عرفها ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجا، أن شملنا بركنه و تسري إليها سيرته و سجيته و هيات فتنى يسمح آخر الرّما من يمثلهم فهم أرباب الإقبال و أصحاب الدّول و قد انقرصوا في القرن الأوّل و من يليهم بل يعرّ في زماننا عالم يحتلج في نفسه لأسف والحرن على فوات هذه الحصلة، فذاث أيضاً إماماً معدوم و إماماً عريراً و لو لا إشارة رسول الله ﷺ بقوله: «سيأتي زمان على الناس من تمسك بعشر ما أنتم عليه بها»^(٢) لكان حذيراً لنا أن نضحم - والعيادة - ورطة الناس والخطوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا و من أين لنا أيضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشرة، فسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهلّه و أن يستقر علينا قرائح أعمالنا كما يقتضيه فضله و كرمه

الثاني العمل والعبادة و ليس يحلو عن رذيلة العرّ والكبر و استمالة قلوب الناس الرّهبان والعتاد و يترشح الكبر منهم في الدّنيا والدّين أمّا الدّنيا فهو أتهم يرون غيرهم بربابهم أولى من أنفسهم بزيادة غيرهم و يتوقعون قيام الناس بعصا حوائجهم و توقيرهم والتوسّع لهم في المحال و ذكرهم بالورع والتقوى وتقديسهم على سائر الناس في الخطوط إلى جميع ما ذكرناه في حقّ العلماء و كأنهم يرون

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرفائق كما في المعنى

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥ ص ١٥٥ من حديث رجل من أبيه

عبادتهم مئة على الخلق ، وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين و يرى نفسه ناحياً
و هو الهالك تحقيقاً مهما رأى ذلك قال النبي ﷺ « إذا سمعتم الرّحمن يقول
هلك الناس فهو أهلكهم » (١) و قد قال : « لئن لم يهد الله العول يدن عليّ أنة
مردد لخلق الله ، معتز بالله ، أمن من مكره غير خائف من سطوته ، و كيف لا
يخاف ويكفيه شراً احتفاده لعدم » ، قال رسول الله ﷺ « كعب بن الأشجع ، شراً أن يحقر
أحد المسلم و كم من الفرق معه » من من يخش الله و يعظمه لعبادته و يستعظمه و
يرجو له ما لا يرجو لنفسه و لخلق يدر كبر الحياء متعظيمهم بربه ته فهم معاً يور
إلى الله بالدنو منه و هو يسمعت إلى لله بانشره و الله عند منهم ثابته مرفوع عن
محالستهم فما أحذرهم إذ أحذوا لصلاحه أن يعلمهم الله إلى درجته في العمل و ما
أحذره إذا ارتفع بهم بعينه أن يفعل الله إلى حد لا يعمل كما روي أن رجلاً في بني
إسرائيل - يقال له جليص بني إسرائيل لكثرة فساده من حد آخر يقال له عابد
بني إسرائيل و كان على رأس العابد عمامة بيضاء فلبس من الجليص فقال الجليص في
نفسه أنا جليص بني إسرائيل و هذا عابد بني إسرائيل فله جلس إليه لعل الله
يرحمني فجلس إليه فقال العابد في نفسه أنا عابد بني إسرائيل و هذا جليص بني
إسرائيل كيف يجلس إليّ فأبى منه و قال له قم عني فنهض حتى أتى إلى بني ذلك
الرّثاء من سرهما فليستأعنا العمل فقد عرفت بالجليص و أحبط عمل العابد و في حديث
آخر فنحوك العمامة إلى رأس الجليص و هذا يعرف أن الله تعالى إنما يريد من
العبد فلوهم ، فالجاهل العصي إذا تواضع و دلّ هبة ته و خوفاً منه فقد أطاع الله
فعله فهو أطوع لله من العالم المتكبر و العابد المتعجب و كذلك روي أن رجلاً في
بني إسرائيل أتى عابداً من بني إسرائيل فوطئ على رقبته و هو ساجد فقال له
إرفع فوالله لا يعرف الله لك و حتى إليه أيها المتألي عليّ بل أنت لا يعرف الله لك
و لذلك قيل و حتى أن صاحب الصوف أشد كبراً من صاحب المطرف الحر أي أن
صاحب الحرّ بدل لصاحب الصوف و يرى الفصل له و صاحب صوف يرى الفصل

لنفسه ، وهذه الآفة أيضاً قلما يفتش عنها العباد وهو أنه لو استجف به مستجف أو آدم مؤداس بعد أن يعبر الله به ولا يفتش في أنه صدق بموتاً عند الله ولو أدى مسلماً آخر لم يستنكر ذلك لاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاعتزاز بالله وقد ينتهي الحق والعدو لعصمهم إلى أن يتحدّى ويقول : سرور ما يحري عليه ، وإذا أصاب بكفة رغم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به إلا شفاء علة والاعتعام له منه مع أنه يرى طمقات من الكفار يستنون الله ورسوله عرف جماعة آدوا الأنبياء عليه السلام عليهم فمهم من صر بهم و منهم من قتلهم ، ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في ذلك بر دوماً سلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ، ثم إن الجاهل المعروف يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد اسعم له بما لا يسهم لأنبيائه ، ولعله في مص الله بأعجابه وكبره وهو عاقل عن هلاك نفسه فهذه عنده المعترس وأما الأكياس من لعبت فيقولون ما كان يقول له عظم السلمي حين كانت تهب ريح أو يصف صاعقه ما يصيب ليس ما يصيبهم إلا بسبي ولومات عظمه لاستراح الناس ، وما قاله الآخر بعد انصرفه من عرفات ، كنت أرحو الرحمة لجميعهم لولا كوني معهم ، فبطر إلى العرق بين الرحلين هذا ينتهي الله ظاهراً وباطناً وهو وحل على نفسه مردد لعمله وسعيه وذلك ربما يصمر من الرياء والكبر والحسد والعل ما هو صفة للشياطين به ثم إنه يمتزج على الله بعمله ، ومن اعتد حراماً أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط جهله جميع عمله فإن الجهل فحش المعاصي وأعظم شيء بعد العبد عن الله ، وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله تعالى « ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » ولذلك رد أن : « خلا دكر بحير للسبي » فقل دات يوم فقالوا يا رسول الله هذا السبي ذكرناه لك ، فقال : إني أرى في وجهه سعة من الشيطان فسلم ووقف على السبي عليه وآله وأصحابه ، فقال السبي عليه وآله : « أسألك بالله حدثك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك ؟ فقال : اللهم نعم » (١) فرأى رسول الله عليه وآله بدور النبوة ما

(١) أخرجه أحمد والنزاد والدارقطني من حديث أنس كما في المعنى

استكبر في قلبه سعة في وجهه وهذه آفة لا يفتك بها أحد من العباد إلا من عصمه الله
 لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات
 الدُّحَى الأولى أن يكون الكبر مستقرًا في قلبه يرى نفسه خيراً من غيره إلا
 أنه يحتد ويتواضع و يفعل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه وهذا قد رُسِجَ في
 قلبه شجرة الكبر و لكته قطع أعصابه بالكلية

الثانية أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران
 وإظهار الإكثار على من يعصر في حقّه و ذمّي ذلك في العالم أن يصغر حدة للناس
 كأنه معرض عنهم وفي العباد أن يعسر وجهه و يقطب حنيه كأنه متبرّك عن الناس
 مستقند لهم أو عصان عنهم . وليس يعلم المسكين أن الورع ليس في الحبهة حتى
 يقطبها ولا في الوحة حتى يعسر ولا في الحدة حتى يصغر ولا في الرقة حتى
 يظاهاً ولا في الدليل حتى يصم إنما الورع في العلوب قال عليه السلام «لنفوى ههنا»^(١)

و أشار إلى صدره ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكرم الخلق و أبعاهم و كان أوسعهم
 خافاً و أكثرهم بشراً و بسماً و انبساطاً و لذلك قال لحدث من حرة الربيدي
 صاحب رسول الله : يعصني من العرا ، كل تطبيق مصحك فمّا الذي تلقاه بمشرويلفك
 بعوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان آفة يرضى ذلك ما
 قال لبيته عليه السلام و و اعص حياض لم انتعت من المؤمنين^(٢) و هؤلاء .

الذين يظهرون أثر الكبر على شمائلهم و أحوالهم أحف حالاً ممّن هو في الرتبة
 الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعو إلى الدُّعوى والمعاخرة
 و المعاهدة و تركبة النفس و حكاية الأحوال و المعامات و تشهير لعله العير
 في العلم و العمل ، أمّا العابد فيّه يقول في معرض التعاخر لغيره من العباد من
 هو و ما عمله ؟ و من أير رده ، فيطيل اللسان فيهم بالنقص ثم يشي على نفسه و
 يقول إني لم أفطر مدكدا ولا أمام بالليل و أحتم القرآن كل يوم و فلان ينام
 سحراً ولا يكثر القراءة ، و ما يجري مجراه و قد يركي نفسه صماً فيقول قسديني

فلان يسوء فهدث ولده وأحد ماله أو مرس ، وما يحري محراء بعدا يدعي الكرامة
لنفسه ، وأما مساهاته فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان
يمشي ، وإن كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليعلمهم ويظهر لهم قوته
وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفاً من أن يعال غيره أعبد منه وأقوى منه في دين
الله ، وأما العالم فإنه يتفاخر ويقول أنا متفهم في العلوم ومطلع على الحقائق
رأيت من الشيوخ فلاناً وفلاناً ، ومن أبا ، وما فصلت ومن لقينه وما الذي سمعت
من الحديث ؟ كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه ، وأما مساهاته فهو أنه يحتند في المناظرة
أن يعلى ولا يعلى ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتحتمل بها في المحافل
كالمناظرة والجدل ونحوها وتسجيل الألفاظ وحفظ العلوم العربية ليغرب
بها عن القرآن ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث وألفاظها وأساسها حتى يرد على
من أخطأ فيها فيظهر فضله ومقامه أفر به ويصرح مبها أخطأ واحداً منهم ليرد عليه
ويسوء إذا أصاب وأحسن حيلة من أن يرى أنه أحسن منه وأعظم منه وهذا كله
أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يحلو عن جميع
ذلك أو عن بعضه ، يا ليت شعري من عرف عدداً من أخلاق من نفسه وسمع قول رسول
الله ﷺ « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » (١)
كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله ﷺ يقول عو من أهل النار
وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر ، والعالم
هو الذي فهم أن الله عز وجل قال له « إن لك عدداً قدراً ما لم تر لعبد قدراً
فإن رأيت لها قدراً فلا قدر لك عدداً ، ومن لم يعلم هذا من الذين فاسم العالم عليه
كذب ومن علمه لمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدراً فهذا هو التكبر بالعلم والعمل
الثالث التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له
ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً وعلماً وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له
موال وعبيد وأب من مجالستهم ومحالطتهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول

لعيره . يانبطي . ويا هندي . ويا رومي . مَنْ أنت ومن أبوك ؟ وأما فلان بن فلان وأنتي
لمنلك أن يكلمني أو ينظر إليّ ؟ ومع مثلي تتكلم ؟ وما يحري محراء . وذلك عرق
دهين في النفس لا ينمك عنه سبب وإن كان صالحاً أو عاقلاً إلا أنه قد لا يترشح منه
عند اعتدال الأحوال ، فإن عليه عصب أطعاً ذلك نور بصيرته و ترشح منه كما روي
عن أبي در أنه قال : قاوت رجلاً عبدالمسيّ عليه السلام : فقلت له : يا ابن السوداء فقال
النبي عليه السلام : يا أبا درّ طف الصّاع طف الصّاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء
فضل . قال أبو درّ : فاصطبجت و قلت للرجل . قم فطأ على حديّ . ^(١) فانظر
كيف سبه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه رأى بعسه فضلاً مكو به ابن بيضاء . وإن ذلك خطأ
وحمل فانظر كيف تاب وكيف قلع من بعسه شجرة الكبر بأحمص قدم من نكسر
عليه يد عرف أن المرء لا يقمعه إلا الدلّ

ومن ذلك ما روي أن رجلين تعاخرا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أحدهما
للآخر : أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أمّ لك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : افتخر
رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان حتّى عدت تسعة ، فأوحى
الله إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر كل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم . ^(٢)
و قال عليه السلام : . ليدعن قوم العخر بآبائهم وقد صاروا حجماً في جهنم أو
ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدف بآبائها القدر . ^(٣)

الرابع التعاخر بالجمال وذلك يحري أكثره بين النساء ويدعوك إلى
التنقص والثلب والعبية و ذكر عيوب الناس ، ومن ذلك ما روي عن عائشة أنها

(١) قال المراقى - أخرجه ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف ولا حد من
حديث أن النبي صلى الله عليه وآله قال له : انظر فإني لست بغير من أحمر ولا أسود
الامتضه بتقوى راجع مجمع الزوائد ج ٨ ص ٨٤

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في رواه السند من حديث أبي بن كعب سند موثق
كما في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٨٥ ، و رواه صاحب الصعريات دون ذكر موسى عليه السلام
ص ١٦٤ من حديث عيسى عليه السلام وفي الكافي ج ٢ ص ٣٢٩ من أبي عبد الله عليه السلام .

(٣) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٦٢٤ وأخرجه ابن ماجه أيضا .

قلت . دخلت امرأة على النبي ﷺ فلما حرحت فقلت بيدي . هكذا . أي أنها قصيرة ، فقال النبي ﷺ « قد اعنتها » ^(١) وهذا منشاؤه حمي الكبر لأنها لو كانت أيضاً قصيرة لما ذكرها بالقصر فكأنها أعجب بقامتها واستقصرت المرأة في حسب نفسها فقالت ما قالت

الحامس الكبر بالمال . ذلك يحري بين الملوك في الخرائس . و بين لتخار في بعائهم . و بين الدهاقين في أراضهم . و بين المنحتملين في لباسهم و حيولهم و مراكمهم فيستحفر العني الصغير ويتكبر عليه و يقول له أنت مكنت و مسكين وأنت لو أردت لا شترت مثلك و استخدمت من هو فوقك . و من أنت وما معك و أثاث بيني يساوي أكثر من جميع مالك . و أنا أنفق في اليوم مالا ما أكله في سنة و كل ذلك لاستعطامه للعني . و استحقاقه للفقر و كل ذلك جهل منه بآفة العني و قصده الفقر . و إليه الإشارة بقوله تعالى « فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا و أعز نفراً » ^(٢) حتى أحابه وقال « إن ترن ما أقل منك مالا و ولداً فمسي ربني أن يؤتين خيراً من حسنتك و يرسل عليها حساماً من السماء فنصبح صعيداً رلقاً و يصبح ماؤها عوراً فلن تستطيع له طلباً » و كان ذلك تكبراً آمنه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره . وهو قوله . « ياليتني لم أشرك بربني أحداً » ^(٣)

ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى « فخرج على قومه في ريشته حتى قال قومه « ياليت لنا مثل ما أوتي قارون . الآية » ^(٤) .

السادس الكبر بالعوة و شدة البطش والتكبر به على أهل الصعف السابع التكبر بالأشباع والأنصار و التلامذة والعلماء والعشيرة والأقارب والسين ويحري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالحنود و بين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين . و بالحملة فكل ما هو بعمه و أمكن أن يعتقد كملاً و إن لم يكن في نفسه كملاً أمكن أن يتكبر به . حتى أن المحقق لتكبر على أقرانه بزيادة قدرته ومعرفة

(١) تقدم في آفات اللسان .

(٢) و (٣) الكهف : ٢٣ و ٤٠ (٤) القصص : ٨٠ .

في صنعه المحتشين لأنه يرى ذلك كملاً فيعجب به وإن لم يكن فعله إلا تكلاً ،
وكذلك العاسق فيدعج بكثرة الشر وكثرة العجور بالسوان والعلماء ويتكبر
به لظنه أن ذلك كمال وإن كان معطئاً فيه

فهذه محامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه
على من لا يدلي به أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده ، وربما كان مثله أو فوقه
عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم
والحسن اعتقاده في نفسه

❖ (بيان البواعث على التكبر وأحبها له المهيبة له) ❖

إعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرتها
وتبعتها ويسمى أن سمي تكبراً ويحصى اسم لكبر بالمعنى الباطن الذي هو
استعظام النفس ورؤية قدرها قوى قدر الغير ، وهذا لباطن له موجب واحد وهو
العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سنبني معناه ، فإذ إذا أعجب بنفسه ويعلمه و
عمله أو بشيء من أسمائه استعظم نفسه ، يتكبر ، وأما الباطن الظاهر فأسببه ثلاثه
١ - في التكبر ، وسبب في التكبر عليه ، وسبب يتعلق بغيره ، أما السبب الذي
في التكبر فهو العجب ، والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد ، والذي
يتعلق بغيرهما هو الرياء ، فتنبه الأنساب بهذا الاعتبار أربعة : العجب والحقد و
الحسد والرياء .

أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن ينمى التكبر
الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال

وأما الحقد فإنه قد يحمل على التكبر من غير عجب ، كالذي يتكبر على
من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد عصب عليه بسبب قد سبق منه فأورثه العصب
حقداً ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده
مستحقاً للتواضع فكم من ردال لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الأكابر
لحقده عليه ولعصبه له ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاءه من جهة و على الأتفه

من قبول صحته و على أن يجتهد في التعمد عليه ، وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أنه لا يستحقه وإن ظلمه ، ولا يعتد إليه وإن حنى عليه ، ولا يسأله عما هو جاهل به .

و أما الحسد فإنه أيضاً يوجب الثم للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء . و سبب يعتني العصب و الحقد و يدعو الحسد أيضاً إلى حقد الحق حتى يجمع من قبول التصح و يعلم العلم ، فكم من جاهل يشق إلى العلم و قد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلد أو أقرابه حسداً و بعباً عليه ، فهو يعرض عنه و يتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع لفضل علمه ولكن الحسد يعنه على أن يعامله بأحلاق المتكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . و أما الرياء فهو أيضاً يدعو إلى أحلاق المتكبرين حتى أن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستعانة حيعة من أن يقول الناس : إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المحرر ، ولو خلا معه نفسه لكان لا يتكبر عليه ، و أما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فيتكبر أيضاً عند الحلوة به مهم لم يكن معهم ثالث و كذلك قد ينتمي إلى سبب شريف كادماً وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينسب إلى ذلك النسب و يترفع عليه في المجالس و ينتقد عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة و التوقير وهو عالم بباطل أنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفة أنه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين و كان اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الناطق صادر عن العجب والبطر إلى الغير بعين الاحتقار وهذا إن سمى متكبراً فلاجل التشبه بأفعال الكبر .

❦ (بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر) ❦
اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كعصر في وجهه ونظرة شرراً (١)

(١) صبر - كعلم - وجهه . مال إلى أحد الشقين مواءم . وشرو - من باب صرب - الرجل و إليه : نظر إليه بجانب عينه مع اهراض أو غضب .

وإطرافه رأسه وحلوسه متر بترأ أو متكتأ وفي أحواله حتى في صوته وبعينه وصيغته في الإيراد ، ويطهر في مشيته وسجته وقبمه وحلوسه و حر كاته وسكناته ، وفي تعاطيه لأفعاله ، وفي سائر تعلباته في أحواله وأقواله وأعماله ، فمن المتكسرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكسر في بعض ويتواضع في بعض فمما التكثر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي عليه السلام « من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليطير إلى رجل قاعد بين يديه قوم قيام » وقال أسلم لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك

ومنها أن لا يمشي إلا معه غيره يمشي حلفه قال أبو الدرداء لا يزال العبد يرداد من الله بعداً ما يمشي حلفه وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالبعد ثم يمشي في غمارهم ^(١) ومنها أن لا يروى غيره وإن كان يحصل من رياره خير لغيره في الدين وهو صد التواضع

ومنها أن يستسكف من حلوس غيره بالعرف منه لا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافة قال أسلم « كاتب الوليعة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ ولا يبرع يده منها حتى تذهب به حيث شئت » ^(٢)

ومنها أن يتوقى محادثة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم ، وهو كرم ، دخل رجل على رسول الله ﷺ وعليه جدي قد تقشر وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس عند أحد إلا قام من حبه ، فأجلسه لبيء ﷺ إلى حبه ^(٣) .

(١) أخرجه أبو مسعود الدبلي في مسند المردوس من حديث أبي مامة بسند ضعيف جداً أنه صلى الله عليه وآله يمشي إلى الصبح معه أصحابه عوفق وأمرهم أن يتقدموا و يمشي خلفهم فسئل عن ذلك فقال « بي سعت حق سالككم فاشقت أن يقع من يمشي شيء من لكره » وقال : هو منكرو فيه جمع من الضمياء .

(٢) تقدم مسأ ج ٤ ص ١٢٩ ورواه ابن ماجه تحت رقم ٤١٧٧ .

(٣) تقدم آنفاً .

و منها أن لا يعاضى بيده شعلاً في بيته والنواصع خلافه
و منها أن لا يأخذ متاعاً و يحمله إلى بيته . و هذا خلاف عادة لمو صعين كان
رسول الله ﷺ يفعل ذلك^(١) وقال علي عليه السلام لا يعص الرجل من كماله ما حمل
من شيء إلى عياله . و قال بعضهم أتت عبداً اشترى لحماً بدينهم فحمله في مدحفته
فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين ؟ قال « لأبوالعدل أحق أن يحمل »^(٢)
و منها للناس إذ يظهر به التكبر . لنواصع . و قد قال رسول الله ﷺ
« البدادة من الإيمان »^(٣) قيل هي الدون من الناس
و عوئ علي عليه السلام في دار مرفوع فقال « يقتدي به المؤمن و يحشع له
القلب »^(٤) و قال عيسى عليه السلام حودة لثياب حيلاء القلب
و قال رسول الله ﷺ « من ترك رينته لله و وصع ثياباً حسنة تواضعاً لله و
استعا و حبه كان حقاً على الله أن يدرج له عقري الجنة »^(٥)
و إن قلب و قد قل عيسى عليه السلام حودة الثياب حيلاء القلب . و قد سئل نبينا
ﷺ عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال « لا ولكن الكبر من سوء الحق »
و عص الناس^(٦) فكيف طريق الجمع بينهما ؟
فأعلم أن الثوب الحميد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل
(١) حدث حمزة المصاع إلى ست أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرايع
للراويل و حمله و قد تقدم في المجلد الرابع
(٢) البحار ج ٩ ص ٥٢٠ و فيه هكذا .
لا ينقص الكامل من كماله ✽ ما جر من مع إلى عياله
(٣) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة العارضي والحاكم في المستدرک
أيضاً سند صحيح كما في الجامع الصغير وأخرجه أبو داود وابن ماجه تحت رقم ٤١١٨
(٤) أورده الشريف الرضي في النهج أبو ب الحكم تحت رقم ١٠٣
(٥) أخرجه أبو سعد البالبي في مدد الصوفية ، و أوسم في لعلة من حديث
ابن عباس وفي استاده نظر كما في المصنف .
(٦) تقدم غير مرة وهو حديث ثابت بن قيس الاتي .

أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال: «إني امرؤ حَسْبُ إليَّ من الحمال ما ترى وعرفه أن ميله إلى النظافة وحمولة الثياب لا يكثر على غيره فإنه ليس من ضرورته أن يكون من الكرم ، وقد يكون ذلك من الكرم كما أن الرِّصا بالنوب الدَّون قد يكون من التواضع ، فإذا انقسمت الأحوال يرل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله : حنّاء القلب يعني قد بورث حنّاء في القلب ، وقول مينا عليه السلام : «إنه ليس من الكرم ، يعني أن الكرم لا يوحى ، ويحور أن لا يوحى الكرم ثم يكون هو مورثاً للكرم ، والحمله فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحمود الوسط من اللباس الذي لا يوحى شهره بالحدوده ولا لردده ، وقد قال عليه السلام : «كلوا واشربوا والبسوا ونصدّقوا في غير سرى ولا محيلة»^(١) «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٢) وقال بكر بن عبدالله المزني : السو ثمار الملوك وأمبتوا قلوبكم بالحشية ،

و إنما حاطب بهذا قوماً يطلبون الكرم ثياب أهل الصلاح
و قال عيسى عليه السلام : «مالك ما توبى و عليكم ثياب الرُّمّان و قلوبكم قلوب
الدُّنّاء الصّواري البسوا ثياب الملوك و أمبتوا قلوبكم بالحشمة ،
ومنها أن يتواضع بالاحتمال إذا سب أو ودي وأحد حقّه فذلك هو الأفضل
وفد أوردنا من نقل عن السلف من احتمال الأذى في كتاب الغضب والحسد ، وبالجملة
فمجموع حسن الأخلاق والنواضع سره رسول الله ﷺ فيه ، فيبهي أن يفتدى به
ومنه يسعي أن يتعلّم

وقد قل أنوسلمة قلب لأبي سعيد الخدري : ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس
و المشرب و المركب و المطعم ؟ فقال : يا ابن أخي كلّ الله ، و شرب الله ، و البس الله
و كلّ شيء من ذلك دخله رهو أو مائه أو رياء أو سمعة فهو معصية و سرف ، و عالج

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٦٠٥ والسنائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه

عن جده .

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقد جعل

في المتن هذين الحديثين حديثاً واحداً وهو الصحيح

في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله ﷺ يعالج في بيته كان يعلف الماشع ، ويعقل البعير ، و يقيم البيت ، و يحلب الشاة ويحصف الماعز ، ويرقع الثوب ، و يأكل مع خادمه ، و يطحن عنه إذا أعيا ، و يشتري الشيء من السوق و لا يمنع الحياه أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه فيقلب إلى أهله ، يصاح العني و الفقير والصغير والكبير و يسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير ، أسود أو أحمر ، حرراً أو عبد من أهل الصلاة ، ليست له حلة لمدخله و حلة لمخرجه ، لا يستحي من أن يحسب إدادعي و إن كان أشعث أعبر ، و لا يحمر مادعي إليه و إن لم يجد إلا حشف الدقن ، لا يرفع عداه لعشاء ولا عشاء لعداه ، هين المؤونة لبس الحلق كريم الطبيعة ، جميل المعاشرة طليق الوجه ، سآمأ من عبر صحك محروفاً من غير عبوس ، شديداً في غير عنف ، منواصفاً في غير مدالة ، حواداً من غير سرف ، رحيماً بكل ذي قرى ، قريباً من كل ذي حق و مسلم ، رقيق القلب ، دائم الإطراق ، لم يبشم قط من شمع ، و لا يمد يده إلى طمع . قال أنوسلمة قد حلت على عائشة فحدثتها كل هذا عن أبي سعيد ، فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إراد ما أحرك أن رسول الله ﷺ لم يمتلي قط شعراً ولم يبت إلى أحد شكوى و أن كانت العاقبة أحب إليه من اليسار والعسي و أن كان ليطل حائفاً يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الأرض و ثمارها و رغد عبسها من مشارقها ومقاربها لفعل ، و ربما يكتف رحمة له مما أوتي من الخوح فأمسح بطنه بيدي فأقول ، نفسي لك العدا لو تسلمت من الدنيا بعد ما يقوتك و يمنعك من الخوح ؟ فيقول ، يا عائشة إحيوني من أولى الحرم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم و قدموا على ربهم فأكرم مآبهم و أحل ثوابهم فأحدثني أستحي أن ترفقت في معبشتي أن يقصر بي دونهم ، فأصبر أيماناً بسيرة أحب إلي من أن يهضم حظي عدا في الآخرة ، وما من شيء أحب إلي من اللقوق يا خوامي و أحلاتي ، فقالت عائشة ، ووالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قضه الله تعالى ، ^(١)

(١) قال المراقى . لم أوف له على سداد أقول : يوجد من مصوله في الاختيار متفرقاً من غير أمي سلمة راجع المحدث الرابع و سن ابن ماجه كتاب الزهد و مجمع الروايد ج ١٠ ص ٣١٢ .

فما نقل من أخلاقه عليه السلام يجمع جملة أخلاق المتواضعين ، فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله عليه السلام ولم يرص نفسه بما رصي هو به وما أشد حبله فليقتد كان رسول الله عليه السلام أعظم حلو لله تعالى منصباً في الدنيا والدنْيَا ، ولا عر ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك لما عوت بعض الصحابة في زيادة هيئته قال : إنا قومُ أمرنا الله تعالى بالإسلام فلا يطلب العر في غيره .

وقد أبو الدرداء : أعلم أن لله عدداً يقال لهم - لا بدال ، حلف من الأنبياء ، هم أو تاد الأرض فلما انقضت السوء أبدل الله تعالى مكانهم قوماً من أمة محمد عليه السلام لم يفضلوا الناس بكثرة صلاة ولا صوم ولا حسن حبله ولكن بصدق الورع وحسن الليّة وسلامة الصدر لجميع المسلمين والصح لهم انتفاء مرصات الله بصر من غير تجسّن ، وتواضع في غير مدّة ، وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صدقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد أشتم من يحلفه واعلم يا أحيي أنهم لا يعلمون شيئاً ولا يؤدونه ولا يحفرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحداً ولا يحرصون على الدنياهم أطيب الناس حياءً ، وألينهم عريكة ، وأسحاهم نفساً ، علامتهم السجاء ، وسجيتهم الشاشة ، وصفتهم السلامة ، ليسوا اليوم في حشية وعداً في عملة ولكن مداومين على حالهم الطاهر ، وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تحركهم الرياح العواصف ولا الحبل المحرارة ، قلوبهم تصعد ارتياحاً إلى الله واشتياقاً إليه وقدماً في استباق الحيرات ، أولئك حرب الله ألا إن حرب الله هم المملحون ، فقال الرّواوي : فقلت : يا أبا الدرداء ما سمعت بصعة أشد عليّ من هذه الصعة وكيف لي أن أبلغها ؟ فقال : ما يبيك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تعص الدنيا ، فبك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا ، وقدر ذلك تبصر ما ينقك ، فإذا علم الله من عند حسن الطلب أفرغ عليه السداد ، واكتنعه بالعصمة ، واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله المنزل وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وقال يحيى بن كثير : فنظرنا في ذلك فما قلّدنا المتلذذون

يمثل حب الله تعالى وطلب مرضاه

❖ (بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع) ❖

علم أن الكبر من المهلكات ولا يحلو أحد من الخلق عن سيئه وإزالته
فرس عين ولا يرول بمجرد التمسك بل بالمعالجة وسعيا الأروية الموصلة له وفي
معاينته مع من أحدهما استئصال أصله من سحبه^١ وقلع شجره من معرسه في لعلب
والذي دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكسر الإنسان على غيره
لمقام لأدلى استئصال أصله وعلاجه علمي وعلمي ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما
أما العلمي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في إزاله الكبر في ربه
مهما عرف نفسه حقاً فاعرفه علم أنه أدل من كل دليل وأقل من كل قليل
بداية وأنه لا يلمق به إلا لتواضع ولدلة والمهابة وإذا عرف ربه علم أنه لا يلبق
العظمة والكبرياء بالله . أما مع ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو
منتهى علم الصديق أما معرفته نفسه وكذلك أيضاً يطول ولكن بذكر منه ما يمدح
في إثارة التواضع والمذلة وينكسه أن يعرف معنى آية واحدة من كتاب الله تعالى
ورب في القرآن علم الأوائل^٢ لأحريين من محب نصرته وقد قال وقس الإنسان
ما كرهه ❖ من أي شيء خلقه ❖ من بطنه خلقه فقد ربه ❖ ثم السبيل يستمر ❖ ثم أمانه
فأفقره ❖ ثم إداشاه^٣ نشره^٤ فقد أشد الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره
وإلى وسطه فليطوّر الإنسان ذلك فيفهم معنى هذه الآية أما أول الإنسان فهو أنه
لم يكن شيئاً مدكوراً وقد كان ذلك في كتم العدم وهو أدل لم يكن لعدمه أول
فأي شيء أحسن وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في العدم ، ثم خلقه
الله تعالى من أدل الأشياء ، ثم من أقدرها إذ خلقه من تراب ثم من بطنه ثم من
علقه ثم من مصعقة ، ثم جعله عظماً ثم دس العظام لحماً ، فقد كان هذا بداية
وجوده حيث صار شيئاً مدكوراً ، فما صار مدكوراً إلا وهو على أحسن الأوصاف
والعبود إذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً بل خلقه مجزأ ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس

ولا يتحرّك ولا يبطو ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم ، وقد يموت قبل حيويه ، و يصعقه قبل قوّته ، و يحمله قبل علمه ، و يعماه قبل بصره ، و يصممه قبل سمعه ، و يسكمه قبل نطقه ، و بضالّته قبل هداه ، و يعمّره قبل عده ، و يحجزه قبل قدره فهذا معنى قوله تعالى « من أيّ شيء خلقه » من نطفة خلقه فعذّره ، ومعنى قوله تعالى « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » إنّما خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج بنتليه ^(١) كذلك خلقه أولاً ، ثمّ امتنّ عليه فقال « ثمّ السبيل يستره » و هذه إشارة إلى ما تيسّر له في مدّة حياته إلى الموت و لذلك قال « من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سمياً بصيراً » إنّما هديناه السبيل ، و معناه إنّما أحياه بعد أن كان جهاذاً ميتاً تريباً أولاً و نطفة ثانياً و أسمعه بعد ما كان أصمّ و بصره بعد ما كان قد البصر ، و فوّاه بعد الضعف ، و علّمه بعد الجهل ، و خلق له الأعصاء بما فيها من المعائب والآيات بعد العقد لها ، و أعنّاه بعد الفقر ، و أنشعه بعد الجوع ، و كساه بعد العرى ، و هداه بعد الضلال ، و نظر كيف دبره و صوّره و إلى السبيل كيف يستره ، و إلى طعير الإنسان ما أكرهه ، و إلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال تعالى « أو لم ير الإنسان أنّما خلقناه من نطفة فإذا هو حصيم مهيأ » ^(٢) و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تعدّشرون ^(٣) فانظر إلى نعمه الله عليه كيف نفله من تلك العلة و الدّالة والحسنة والعدالة إلى هذه الرّفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم ، و حتّى بعد الموت ، و مطلقاً بعد السكّم ، و بصيراً بعد العمى ، و قوياً بعد الضعف ، و عالماً بعد الجهل ، و مهديّاً بعد الضلاله ، و قادراً بعد العجز ، و غنياً بعد الفقر ، فكان في رآته لاشيء ، و أيّ شيء ، و حسّ من لاشيء ، و أيّ علة أقلّ من العدم المحض ، ثمّ صار بالله شيئاً و إنّما خلقه من لثرب لدليل والنطفة القنطرة بعد العدم المحض ليعرفه حسنة داته فيعرف به نفسه و إنّما أكمل النعمة عليه ليعرف بهاربه ويعلم بهاعظمته و جلاله ، و أنّه لا يليق الكبرياء إلّا به و لذلك امتنّ

(٢) يس : ٧٧ .

(١) النحر : ١ و ٢ .

(٣) الروم : ٢٠ .

عليه فقال تعالى : « أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ الْجَدِيدِينَ » (١) وعرف حسنه أو لا فقال : « أَلَمْ يَكْ نَطْعَةً مِنْ مَنِي يَمْنِي ۚ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً - ثُمَّ دَكَّرْ مَسْتَعْلِيهِ فَقَالَ - فَخَلَقَ فُسْرَى ۚ وَجَعَلَ مِنْهُ الرُّوحَ حِينَ الدَّكَّرِ وَالْأَنفِ » (٢) ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداءً بالاختراع ، فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البظر والكبرياء ، والفجر والحيلاء وهو على التحقيق أحسن الأخصاء ، وأضعف الضعفاء نعم لو أكمله وفوس إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجار أن يطفى وينسى المبدء والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمرار الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المحتلفة والطابع المتصادمة من المرأة والبلغم والريح والدم يهزم العص من أحرائه العص شاء أم أبى ، رسي أم سقط ، فيجوع كرهاً ويعطش كرهاً ، ويمرض كرهاً ويموت كرهاً ، لا يملث لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا خيراً ولا شرّاً ، يريد أن يعلم الشيء فيجعله ، ويريد أن يذكر الشيء فينساه ، ويريد أن ينسى الشيء ويعمل عنه فلا يعمل عنه ، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيحول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملث قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ، ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه ، يستأنذ الأطعمة فتهلكه وترديه ، ويستنشع الأدوية وهي تمنعه ونحييه ، لا يمان في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته ، وتطلع أعضاؤه ، ويختلس عقله ، ويحتلظ روحه ، ويسلب جميع ما يهواه في دنياه ، فهو مضطرب دليل ، إن ترك ما بقي ، وإن احتلظ فنى ، عند ملوك لا يفقد على شيء من نفسه ولا من غيره ، فأى شيء أدل منه لو عرف نفسه وأنتى يلبق الكرم به لولا جيله ؟ فهذا أوسط أحواله فليتملله ، وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى : « ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ » ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحس إدراكه وحركته فيعود حماداً كما كان أوّل مرّة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لأحسن فيه ولا حركة ، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأوّل قطعة

مَدِيرَةٌ ثُمَّ تَبْلَى أَعْصَاؤُهُ وَصُورَتُهُ وَتَتَفَتَّتْ أَحْرَاقُهُ وَتَنْحَرَّ عَظَامُهُ ، فَيَصِيرُ رَمِيمًا وَرَفَاتًا ،
وَبِأَكْلِ الدُّودِ أَحْرَاهُ فَيَبْتَدِي بِحَدِّ قَتْنِهِ فَيَقْلَعُهَا ، وَيَخْدُ بِهَ فَيَقْطَعُهَا ، وَبِسَائِرِ
أَحْرَائِهِ فَيَصِيرُ رَوْنًا فِي أَحْوَابِ الدِّيْدَانِ ، وَيَكُونُ حَيْفَةً يَهْرَبُ مِنْهُ الْحَيَوَانُ وَيَسْتَقْنِدُهُ
كُلُّ إِنْسَانٍ ، وَيَهْرَبُ مِنْهُ لَشَدَّةُ الْإِنْسَانِ ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَمُودَ إِلَى مَا كَانَ فَيَصِيرُ
بَرَامًا يَعْمَلُ مِنْهُ الْكِبْرَانُ وَيَعْمَرُ مِنْهُ السِّيَابُ ، فَيَصِيرُ مَفْقُودًا بَعْدَمَا كَانَ مَوْجُودًا ، وَ
صَادِرًا كَمَا لَمْ يَمِنْ بِالْأَمْسِ حَصِيدًا كَمَا كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَمْدًا مَدِيدًا

وَلِيْتَهُ بَقِيَ كَذَلِكَ فَمَا أَحْسَنَهُ لَوْ تَرَكَ تَرَابًا لَا يَلُ بِحَيِيهِ بَعْدَ طَوْلِ السَّلَى لِبُعَاسِي
شَدِيدِ النَّارِ ، فَيُحْرَحُ مِنْ فَبْرِهِ بَعْدَ جَمْعِ أَحْرَائِهِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، وَيُحْرَحُ إِلَى أَهْوَالِ
الْقِيَامَةِ فَيَنْظُرُ إِلَى قِيَامَةِ قَائِمِهِ ، وَسَمَاءٍ مَعْرُوقَةٍ مَشْقُوعَةٍ ، وَأَرْضٍ مَدْلُوعَةٍ ، وَجِبَالٍ
مُسَبَّرَةٍ ، وَنَحُومٍ مَنَكَّدَةٍ ، وَشَمْسٍ مَسْكُوعَةٍ ، وَأَحْوَالٍ مَظْلُوعَةٍ وَعَلَائِكَةٍ عِلَاطٍ
شَدَادٍ ، وَحَجِيمٍ تَرَهَّرَ ، وَحَشَةٍ يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْمُحْرَمُ فَيَتَحَسَّرُ ، وَيَرَى صَحَائِفَ مَشْهُورَةٍ
فَيَقُولُ لَهُ : اقْرَأْ كِتَابَكَ ، فَيَعُولُ وَ مَا هُوَ ؟ فَيَعَالُ كَانَ قَدْ وَكَّلَ بِكَ فِي حَيَاتِكَ الْإِنِّي
كُنْتُ تَعْرِحُ بِهَا وَتَنْكُثُ سَعِيمَهَا وَتَعْتَحِرُ بِأَسَابِهَا مَلَكُنَ رَفِيسٍ يَكْتَسِبُ عَلَيْكَ مَا كُنْتُ
تَنْطَلِقُ بِهِ أَوْ تَعْمَلُهُ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ وَبَعِيرٍ وَقَطْمِيرٍ وَ أَكَلٍ وَ شَرَبٍ وَ قِيَامٍ وَ قُعُودٍ وَقَدْ
سَيِّئَ ذَلِكَ وَأَحْصَاهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَهَلُمَّ إِلَى الْحِسَابِ وَاسْتَعْدِدْ لِلْحَوَابِ أَوْ تَسَاقُ إِلَى دَارِ
الْعَذَابِ فَيَنْقَطِعُ فَلَهُ فِرْعَانٌ مِنْ هَوْلِ هَذَا الْحَطَابِ مِنْ قَدْرِ أَنْ تَنْشُرَ الصَّحُفَ وَيَشَاهِدَهَا فِيهَا
مِنْ مَخَارِيدهَا إِذَا شَاهَدَهَا قَالَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَعِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا ، هَذَا آخِرُ أَمْرِهِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « ثُمَّ إِذَا شَاءَ أُنْشِرَهُ » فَمَا لَمْ يَنْهَهُ
حَالَهُ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّعْظِيمَ ؟ بَلْ مَالَهُ وَلِلْفَرْحِ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ فَصَلَاةً عَنِ الطَّرِيقِ وَالتَّحَسُّرَ ،
وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ أَوَّلُ حَالِهِ وَوَسْطُهُ وَلَوْ ظَهَرَ آخِرُهُ . وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ . رَيْبًا احْتَارَ أَنْ يَكُونَ كَلِمًا
أَوْ حَزْنًا يَرَى لِيَصِيرَ مَعَ الْمَهَائِمِ بَرَابًا وَلَا يَكُونُ إِنْشَاءً يَسْمَعُ حَطَابًا أَوْ يَلْمِ عَذَابًا ، وَ إِنْ
كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مُسْتَحَقًّا لِلْمَادِ فَالْحَزْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَطْيَبُ وَأَرْفَعُ إِذَا أَوَّلَهُ التَّرَابُ وَ
آخِرَهُ التَّرَابُ وَهُوَ بِمَعْرَلٍ عَنِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ ، وَالْكَلْبُ وَالْحَصِيرُ لَا يَهْرَبُ مِنْهُ
الْخَلْقُ وَ لَوْ رَأَى أَهْلُ الدُّنْيَا الْعَبْدَ الْمُذْنِبَ فِي السَّارِ لَصَعَقُوا مِنْ وَحْشَةِ حَلْقَتِهِ وَ قَبِيعِ

صورته ، ولو وحدوا ريحه لما تواروا من نفته ولو وقعت قطرة من شرايه ألدي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنثى من الحيف فمن هذا حاله في العاقبة - إلا أن يعفو عنه و هو على شك من العفو - فكيف يعرج و يبطر ؟ و كيف يتكبر و يتجسر ؟ و كيف يرى نفسه شيئاً حتى يعتقد لها فضلاً ؟ وأيُّ عند لم يذنب دماً استحق به العقوبة إلا أن يعفو الكريم بعفوه ، أرايت من حنى على بعض الملوك فاستحق به ألف سوط فحس في السجن و هو منتظر أن يخرج إلى العرس و يقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يذري أي معنى عنه أم لا كيف يكون ذلك في السجن أترى أنه يتكبر على من معه في السجن ؟ و ما من عند مدب إلا والدنيا سحبه و قد استحق العفو من الله تعالى ولا يذري كيف يكون أمره فيكفيه ذلك حراً و خوفاً و إشفاقاً و مهابة و ذلاً فهذا هو العلاج العلمي العام لأصل الكبر

وأما العلاج العملي فهو التواضع لله تعالى بالعمل ولسائر الخلق بالمواظبة على أحوال المتواضعين كما وصفا و حكماء من أحوال الصالحين و من أحوال رسول الله ﷺ حتى أنه كان يأكل على الأرض ويقول : « إنما أنا عبد آكد كما يأكل العبد » (١) و قيل لسلام لم لا تلبس ثوباً حديداً فقال : إنما أنا عبد فإذا اعتقت يوماً لبس أشار به إلى العنق في الآخرة .

ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل و لذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله و رسوله بالإيمان و بالصلاة جميعاً و قيل : الصلاة عماد الدين و في الصلاة أسرار لأجلها كانت عماداً و من حملة ما فيها التواضع بالثول قائماً و بالرُّكوع و السجود ، و قد كانت العرب قديماً يأبسون من الاسخاء فكان ربما يسقط من يد أحد سوطه فلا ينحني لأحده ، و ينقطع شراك بعله فلا يسكن رأسه إلا صلاحه ، حتى قال حكيم بن حزام : بايعة رسول الله ﷺ على أن لا أحر إلا قائماً فبايعه النبي ﷺ على ذلك ثم فقه و كمل إيمانه بعد ذلك (٢) فلما

(١) تقدم في باب معرفته في الأكل و الشر و كتاب آداب البيعة

(٢) أمر به أحمد مقتضراً بنى إلى قوله : « أن لا أحر إلا قائماً » و فيه إرسال

حنى (المثنى) .

كان السجود عندهم هو منتهى المدّة والضعف أمروا به لتكسر بدلت حبلاؤهم ، و
يرول به كبرهم ، ويستقرّ النواصع في قلوبهم ، وأمر به سائر الخلق فإنّ الرّكوع
والسجود واسول قائماً هو العمل الذي يفتنيه النواصع ، فكذلك من عرف نفسه
فليُنظر كلّ ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواط على بقيتها حتى يصير النواصع
له حلقاً فإنّ القلوب لا تتخلّق بالأحلاق المحمودة إلّا بالعلم والعمل جميعاً وذلك
لضعف العلاقة بين القلب والحوارج وسرّ الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم
الملكوت ، وانقلب من عالم الملكوت .

المقام الثّاني فيما يعرض من التّكسر بالأسباب السّعة المدكورة ، وقد ذكرنا
في كتاب ذمّ الحياء أنّ الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأمّا ما عداه فمما يقضى بالظن
فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكسر ولكنا نذكر طريق العلاج
من العلم والعمل في جميع الأسباب السّعة

السبب الأوّل - النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليدأو فله
بمعرفة أمرين أحدهما أنّ هذا جهل من حيث أنّه تعرّف بكمال غيره ولدنّ قيل

لئن فحرت بآب ، ذوي شرف ، لقد صدق ولكنّ نُس ما ولدوا

فالتكسر بالنسب إن كان حسبياً في صفات ذاته فمن أين يحتر حسبه بكمال
غيره ، بل لو كان الذي ينسب إليه جيّاً لكلّ له أن يقول الفصل لي ومن أسب إنّما
أنت دودة حلق من بولي ، أفترى أنّ الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف
من الدودة التي من بول فرس ؟ هيئات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة

الثاني هو أن يعرف سببه الحقيقي فيعرف آباء و جدّه ، فإنّ أباه القريب
بطعة قدرة و جدّه البعيد نراب دليل وقد عرفه الله تعالى سبه فقال : « الذي أحسن
كلّ شيء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين » ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء
مهيّن ^(١) ومن أصله من التراب المهيّن الذي يداس بالأقدام ثمّ حمّر طينه حتى

(١) السّعة ٧٠ و ٨ والمهيّن الضعيف و « سبه » أي دريته بالنسل لا به نسل

منه أي تنفصل .

صار حمًا مسنونًا كيف يتكثر ، وأحسنُ الأشياء ما له منه يد يقال يا أذلَّ من
التراب ويا أنس من لحمًا ويا أقدر من لمضعه ، فإن كل كونه من أبيه أقرب من
كونه من التراب فتقول افتخر بالعريب دون العبد فاطمعة والمصغة أقرب إليه
من الأب فليخفف نفسه بهما ، ثم إن كان ذلك يوجب رفعه بالأب لقرنه فالأب
الأعلى من التراب فمن أين رفعته ؟ وإذ لم يكن به رفعة فمن أين حمه ؟ لرفعة
لولده فإن أصله من التراب وفصله من اسطفه فالأصل له ولا فصل له وهذه غاية
حسنة لسبب الأصل يظن ، لأنهم والعقل تغسل منه لأنا فإن هذا هو النسب
لحقيقى الإنسان من عرفه لم يتكسر نسب ، ويكون مثاله بعد هذه المعرفة
و يكشف لعطاء له عن حقيقته أصله كم حل لم يرل عند نفسه من مبي هشم وقد
أحمره بذلك والد ، فلم يرل فيه نحوه لشرف فبيعه هو كذلك إذ أحمره عدول لا
يشك في قولهم أنه ابن هندي حجة ، م يعنى العا ورت وكشفوا له وجه تلبس عليه
فلم ينق له شك في صدقهم أفترى أن ذلك سعى شيئاً من كسره لابل يصبر عند نفسه
أحمر ليس وأذلهم فهو من استعبد الحري لحسنه في شغل عن أن يتكسر على
غيره ، فهذا حال لصبر إذا تعكر في أصله وعلم أنه من الطمعة والمصعة والتراب ،
إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى بطل اسراب أو سعطى الدم بالحكمة أو غيرها لكل يعلم
به حسنة نفسه بمساة أعصاب أبيه للتراب ولدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من
التراب والدم والأشياء العذرة ، التي يسره عنها هو في نفسه

السبب الثاني الكرم بالجمال و دوؤه أن ينظر إلى باطنه بظر العقلاء ولا
ينظر إلى الظاهر بظر البهائم ومهما بظر إلى بطنه رأى من الفصائح ما يكدر عليه
التعذر بحمده ، فإنه وكل به إلا فدار في جميع أحواله لم جمع في أمعائه ، والمول
في مشائه ، والمحاط في أمعه ، والنصاف في فيه ، والوسج في دمه والدم في عروقه
والصديد تحت بشرته والصان تحت إبطه^(١) يعمل العاط كل يوم دفعة أو دفعتين بيده
ينثره إلى الجلاء كل يوم مره أو مرتين ليخرج من باطنه ما يور آء بعينه لاستغذره فصلاً

(١) الصان - نعم لصان المهمة - دمر الابط ، والتش عموماً .

عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك يعرف قدرته و دله هذا في حال بوسطه و في أول أمره خلق من الأقدار الشيعة الصور من المطة و دم الحص و أخرج من محاري الأقدار إحد حرج من الصلب ، ثم من الذك كرمحى البول ، ثم من الرحم مقيص دم الحص ، ثم حرج من محرى الصدر ، هذا أوله و وسطه و لو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعبد بها بالنسب و العسل لثلاث منه الأنتن و الأقدار و صار أقدر و أنس من الدواب المهمة التي لاتتعبد بمصها قط ، فإذا نظر أنه خلق من أقدار و أسكن في أقدار و سيموت فيصير حيفة أقدر من سائر الأقدار لم يقتجر بحماله الذي هو كحصراء الدمن و كلون الأرهاق في النودي ، و سما هو كدث إدا صار هشياً بدرره الرثياح ، كيف و لو كان حماله باقياً و عن هذه العناصير حالاً لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إحد لم يكن قبح القبيح إليه فيبعه و لا كان حمال الحميل إليه حتى يحمده عليه ، كيف و لا نقاء له بل هو في كل حال يتصور أن يرول يمرس أو حدرى أو قرحة أو سب من الأسباب فكمن من وجوه حميلة قد سمحت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالاحتمال لمن أكثر تعلمها

السبب الثالث التكثر بالقوة و الأيدي و ببعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل و الأمراض و أنه لو وضع عرق واحد من بدنه لصاد أعجز من كل عاقر و أدل من كل لبن ، و أنه لو سلط الدواب شئ لم يستقدمه منه ، و أن نعه لو دخلت في أنفه أو جملة دخلت في أذنه لقتلته ، و أن شوكة لو دخلت رجله لأعجزته و أن حمى يوم تحلل من قوته ما لا يحضر في مدته فمن لا يطيق شوكة و لا يقاوم بقية و لا يقدر على أن يدفع عن نفسه دابة فلا يسمي أن يقتجر بقوته ، ثم إن قوى الإنسان لا يكون أقوى من حمار أو فيل أو جمل أو بقرة و أي أفعار في صفة تسبب المهائم فيها

السبب الرابع و العجايب المعنى و كثرة الخيال و في معناه كثرة الاتعاب و الأنصار و التكثر بولاية السلاطين و التمكن من جهتهم ، و كل ذلك تكثر بمعنى حارج عن ذات الإنسان كالحمال و القوة و العلم ، و هذا أفصح أنواع الكبر فإن المتكبر بحاله كأنه متكبر بمرسه و داره و لومات فرسه و انهدمت داره لعاد دليلاً

والمتكبر يتصكين السلطان و ولايته لابضة في نفسه بى أمره على قلب هو أشد غلباً
من القدر فان تعبر عليه كان أدلّ الحلق و كل متكبر بأمر خارج من ذاته فهو
طهر الجهل كيف و المتكبر بالقى لو تأمل لرأى في اليهود من يريد عليه في العنى
و الثروة و التمثل ، فأفّ لشرف يسقط اليهود به ، و أفّ لشرف يأخذ السارق
في لحظه فيعود صاحبه دليلاً مفلساً ، هذه أسباب ليست في ذاته ، وما هو في ذاته ليس
إليه دوام وجوده وهو في الآخرة و مال و نكال فالتفاخر به غاية الجهل ، و كل ما
ليس إليك فليس لك و شيء من الأمور ليس إليك بل إلى واهبها^(١) إن أبقاها بقيت
وإن ستر جهاز التعمك و ما أنت إلا عتد مملوك لا تعد على شيء ، فمن عرف ذلك فلا بد
أن يروى كبره و مثاله أن يعجز العاقل بقوته و محاله و ماله و حرّيته و استقلاله
وسعة مداره و كثرة حيوله و علماته إذ شهد عليه شاهد عدل عند حاكم مدعى
بأنه رقيق لعلان و أن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك و حكم به الحاكم فحار
مالكه فاحده و أحد جميع ما في يديه وهو مع ذلك يحشى أن يعاقبه ويسكل به لتعريضه
في أمواله و تقصيره في طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ، ثم نظر العبد فرأى نفسه
محسوساً في منزل قد أهدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على
وحد من كل واحدة منها وقد يعي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقاً في الخلاص
لنفسه ، أفترى أن من هذه حاله هل يعتجر بقدرته و ثروته و ماله و قوته و كماله ؟
أم يدلّ في نفسه و يحضّج ؟ و هذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك
فانه لا يملك رقبته و يديه و أعضائه و ماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض
و أسقام هي كالعقارب والحيات يخاف من الهلاك ومن هذه حاله لا يتكبر بقدرته
و قوته إذ يعلم أنه لا قدره له ولا قوة

فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم
والعمل فإتبعهما كما لا في النفس حديران بأن يعرج بهما ولكن في التكبر بهما

(١) كذا والصواب راجع إلى الأمور و هي لأحياء « إلى واهبه » وكذا الصواب

التي تأتي .

أيضاً نوع من الجهل حفي كما سذكره

السبب السادس الكبر بالعلم وهذا أعظم الآفات وأعلب الأدور وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديده وحده جهده و ذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله ، عظيم عند الناس ، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهم بل لا قدر لهم أصلاً إلا إذا كان معهم عمل و علم ، و لذلك قيل للعلم طعنان كطعنان الماء ، و قيل العالم إذا دلّ دلّ برأيه عالم كثير . فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بـ لا إضافة إلى الجهل لكثرة ما ينطق لشرع بعضائل العلم ، و لن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد و أنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل غيره من العالم وأنه عصى الله عن معرفة وعلم وحياته أفحش إذ لم يقص حق نعمة الله عليه في العلم و لذلك قال رسول الله ﷺ « يؤننى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه وتدور بها كما يدور الحمار بالرّح فيطيف أهل السار ويقولون مالك ؟ فيقول كسب آسر بالحير ولا آتية و أنهى عن الشر و آتية ^(١) »

وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسدراً » ^(٢) أراد به علماء اليهود و قال تعالى في يعلم بن يعقوب « و انزل عليهم سائر الذي آتينا آياتنا فاسلح منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » و لو شئت لرفعه بها ولكنه أخلد إلى الأرض و اتبع هواه فمثل كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ^(٣) أي سواء آتيته بالحكمة أو لم آتته فلا يدع شهوته ، فيكفي العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته و أى عالم لم يأمر بالحير الذي لا يأتيه ، فمهما خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتذكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فإن خطره أعظم

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد من حديث اسامة بن زيد سقط « يجاء بالرجل

و تقدم في العلم .

(٢) الاعراف : ١٧٤ و ١٧٥ .

(٣) الجمعة : ٥ .

من خطر غيره كما أن فداء أعظم من قدر غيره ، فهذا بدلت ، وهو كالملاك المحاطر
 روحه في ملكه لكنه أعدائه فإنه إذا أحسوا قهر شتبه أن يكون قد كان قصير ، فكم
 من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهاد ، لعناد بالله فهذا لخطر يسمع لتكثر
 لأن الله ، كل من أهل النار والحرير ، أفضل منه فكيف ينكر من هذا حاله
 فلا ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة ؟ وقد كان بعضهم يقول :
 يا بني لم تلدني أمي ، يأخذ الآخرة من الأرض ، يقول يا بني كسب
 هذه الدنيا ، ويقول الآخرة ، يا بني كسب طيراً ، كل ذلك خوفاً من خطر العاقبة
 فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالاً من الطير ومن التراب ومهما أعدل فكره في الخطر
 الذي هو بصدده زال ذلك كله كبره ورأى نفسه كأنه شر لخلق ومثاله مثل
 عند أمره سيئته بأمر فشرع فيها ، بركة بعضها وأدخل البعض في بعضها وشك
 في بعضها أنه هل أراها كم يرتفع مولا أم لا فحسب محسباً أن مولا مرسل إليه
 سولاً يجرحه من كل ما هو فيه غريباً دليلاً ويلعبه على يده في الشمس والحر
 زماناً طويلاً حتى يدساق عليه الأمر ويلعب به لجهل أمر برفع حسابه وفنش عن
 جمع أعماله فليها ، كثيره ، ثم أمر به إلى محسب صيق وعذاب دائم لا يروح عنه
 ساعة ، وقد علم أن سيئته قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفى عن بعضهم وهو
 لا يدري في أي الغريمين يكون ، يد ينكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه
 وكبره وطهر حربه وخوفه ولم ينكر على أحد من الخلق بل يتواضع ، جاء أن يكون
 هو من شعائره عند برول العذاب ، فكذلك العالم إذا تفكر فيما صيغه من أوامر ربه
 بصايات على حوارجه وندوب في بطنه من الرزق ، والحقد والحسد والعصب
 والنفاق وغيره وعلم مما هو بصدده من الخطر العظيم ورفقه كبره لا محالة .

الأمر الثاني أن العالم يعلم أن الكبر لا يليق إلا بالله حق وعز وحده وأنه
 إذا نكسر صار معمولاً عند الله بعبداً وقد أحب الله منه أن يتواضع ، قال له إن لك
 عندي قدراً ما لم تر لعنك قدراً فإن رأيت لعنك قدراً فلا قدر لك عندي فلا بد أن
 يكلف نفسه ما يحب مولا منه وهذا يزيل النكسر عن قلبه وإن كان يستيقض أنه لا دسله

مثلاً إن تصو ذلك وبيدك أن الله من لأمنه يعلم أن من يارعه الله و ربه
الكبرياء قصمه وقد أرحم من يدينه أن يسمه حتى يعظم عبادته محلهم فهذا أخص
تدبيره على التواضع لأحواله

فإن قلب فكيف يتواضع للخلق من عجزه عشق و المستند ؟ وكيف يرى
نفسه ذليلاً ؟ هو عالم عظيم ؟ كيف يحل في عين العلم ؟ عجزه عبادته عز وجل ؟
وكيف يعينه أن يحل في عين العلم وهو يعلم أن خطه لفسق و المستند أكثر ؟
وعلم أن ذلك تمامه كبره في خط له بعد من لو يخط إلى كافر
لم يمكنه أن ينكسر عليه إلا يصو أن يسلم الكافر فيحتم به ، لا يسم و يصل هذا
العالم فيحتم له بالكبر والكبر هو كبر عبادته في الآخرة والكبر و الجبرير
أعلى رتبة من هو عبادته من أهله و هو الذي له في الدنيا فاعواظ مطوية عن
العباد ولا ينظر لعدول إلى له فيه و مع الصدق في الدنيا يتم به في المودة
فأدى من حق العباد أن لا يمكن على أحد من أن يخط إلى حاله قال : " نعم الله
يحل و أن يسم الله يعلم هو أن يسمي في خط به في العلم و هو في العلم
و هم أسلم فكيف أكون مثله و إن يخط إلى هو في العلم و هو في العلم
أطاع الله فلي فكيف أكون مثله و إن يخط إلى يسم الله في العلم و الله في العلم
فكيف أكون مثله و إن يخط إلى مستند أو كافر و إن يندبني لعله يحتم له
بالإسلام و يحتم لي به هو عليه لأن قلبه و هو الهادي إلي كما لم يكن استأذنه
إلي فما لاحظته لحاتم يقد أن يعني لكم عن نفسه و كل ذلك بأن يعلم أن
كمال في سعاده الآخرة والعجز من أنه لا يقيم بطهر في الدنيا بما لا يسم له و يعجز
هذا الخطر مشترك بين لمنكسر و المنكسر عليه ولكن حق على كل واحد أن
يكون مصروف إله إلى نفسه ، مشغول بقلب يحوفه لعدوته لا أن يشغل بحوف
غيره ، فإن الشقيق سوء لظن مولع وسفقة كل من على نفسه و إذا حتم جماعة
في حناية أو عدوا بأن يصر دقايم لم يتفرقوا لنكسر بعضهم على بعض و إن تمهم
الخطر ، إذ شغل كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات إلى هم غيره حتى كان كل

واحد هو وحده في مصبته و خطره

فإن قلب فكيف لأبعض المستدع في الله وأبعض العاسق وقد أمرت ببعضهما
ثم مع ذلك أتواصع لهما ، ولجمع بينهما مناقص ؟ فاعلم أن هذا أمر مشتبّه يلتبس
على أكثر الخلق إذ يصرح عصكته في إنكار استدعة والعسق بكسر العس والإدلال
بالعلم و لودع ، فكلم من عند جاهل و عالم معروف ، إذ رأى فاسقاً جلس بحبه
أرعه من عنده و مرءه عنه بكبر باطن في نفسه وهو طائر أنه قد عص الله كما وقع
لعابد بني إسرائيل مع حليمهم ، وذلك لأن الكبر على المطيع طاهر كونه شراً
و الحند عنه ممكن و الكبر على العاسق و المستدع يشبه العصب لله و هو خير فإن
العصيان أيضاً ينكسر على من عص عليه و المنكسر يعصب ، أحدهما يشمر الآخر
و يوحيه وهما متمر جان ملتهسان لا يميز بينهما ، إلا الموقعون ، و الذي يحلصك من
هذا أن يكون الحاصر على قلبك عند مشهدة المستدع أو العاسق إذا أمرها بما معروف
و نهيتها عن المنكر ثلاثة أمور :

أحدها التفاتك إلى ما سبق من ديويث و خطاياك ليصغر عند ذلك قدرك
في عيبك

و لثاني أن يكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم و اعتماد الحق والعمل
الصالح من حيث أنها نعمة من الله عليك وله المنة فيه لالتفتى ذلك منه حتى
لا تعجب بعصك و إذا لم يعجب لم تنكسر

و الثالث ملاحظة إبهام عاقبتك و عاقبته أنه ربما يحتم له بالخير و يحتم لك
بالسوء حتى يشعلك الخوف عن التكبّر عليه

فإن قلت فكيف أعضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول ، تعصب لمولائك و سيدك
إذ أمرك بأن تعصب لا لنفسك و أنت في عصك لا ترى نفسك نحيماً وصاحبك هالِكاً
بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من حمايا دنوبك أكثر من خوفك عليه
مع الجهل بالحاجة ، و أعرفت ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة العصب لله أن
تنكسر على المعضوب عليه و ترى قدرك فوق قدره ، فأقول ، إذا كان للملك غلام

وولد هو قرّة عينه وقد وكلّ العلام بالولد ليراقبه وأمره بأن يصربه مهما أساء أدبه ، واشتغل بما لا يليق به ويعصب عليه ، فإن كان العلام مطيعاً محباً لمولاه فلا يجد بداً من أن يفضّضهما رأى ولده قد أساء الأدب ، وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنّه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ، ولأنّه حري من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويعصب عليه من غير تكسّر له عليه بل هو متواضع له يرى فنده عند مولاه فوق قدر نفسه لأنّ الولد أعزّ له من العلام فإنّ ليس من ضروره العصب التكبّر وعدم التواضع ، وكذلك يمكن أن ينظر إلى المستدع والماسق وتطرّف أنّه ربما كان قددهما عند الله في الآخرة أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأول ولما سبق لك من سوء انقضاء في الأول وأنت عاقل عنه ومع ذلك فتعصب بحكم الأمر محبة لمولاه إذا حري ما يكرهه مع التواضع لمن يحور أن يكون عند الله أقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فيصمّ إليه الخوف والتواضع ، وأمّا المحرور فإنّه يتكسّر ويرجو نفسه أكثر مما يرحوه لغيره مع حبه بالعاقبة وذلك غاية المرور وهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبة بحكم الأمر .

السبب السابع التكبّر بالورع والمادة وذلك أيضاً فتنة عظيمة على العباد ، وسيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكسّر عليه كيف ما كان لما عرفه من فسيلة العلم وقد قال الله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ^(١) وقال رسول الله ﷺ : « فصل العالم على العابد كعصلي على أدنى رجل من أصحابي » ^(٢) إلى غير ذلك مما ورد في فصل العالم ، فإن قال : العابد ذلك لعالم العامل بعلمه وهذا عالم فاجر ؟ فيقال له : أما علمت أن الحسنات يذهبن السيئات وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فيمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لدنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت

(١) الزمر ٩٠

(٢) أخرجه الترمذي ج ١٠ ص ١٥٧ من حديث أبي امامة الساهلي وقد تقدم في

الأحاديث بما يشهد لذلك وإذا كان هذا الأمر عائماً عنه لم يحضر له أن يحتقر عبداً بل يجب عليه أن يتواضع له

فإن قلت فإن صح هذا فيسمى أن يكون لعالم يرى نفسه فوق العابد يقول رسول الله ﷺ « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » ؟ فاعلم أن ذلك ممكن لو علم العالم عاقبة أمره ، و خاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل العاصي لذنب واحد كان يحسبه هيناً وهو عند الله عظيم وقد معناه به وإذا كان هذا ممكناً كان على نفسه حائلاً فإذا كل واحد من العالم والعبد حائف على نفسه وقد كلف أمر نفسه لأمر غيره ، فيسمى أن يكون العابد عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره لرأاه وذلك يسمعه من التكبر بكل حال ، فهذا حال العبد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقّه إلى مستورين وإلى مكشوفين فيسمى أن لا يتكبر على مستور فلعلمه أقل منه ذنباً وأكثر منه عبادة وأشد منه حياءً وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تريد عليه ديوبك في طول عمره فلا يسمي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنباً لأن عدد ديوبك وذنوب عرك في طول العمر لا تعد على إحصائها حتى تعلم الكثرة من العلة ، نعم يمكن أن يعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والربا ، ومع ذلك فلا يسمي أن تتكبر عليه إذا ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والعلم واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتحبيل الخطأ فيه كل ذلك شديد عند الله ، وربما جرى علمك في باطنك من حمايا الذنوب ما صرت به عند الله مموتاً ، وقد جرى للعاصي الظاهر العسق من طاعات القلوب من حب الله وإحلاس وحواف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر بذلك سيئاته فيمكشوف العطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات ، فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريباً عندك ، وإن كنت مشغولاً على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لفيرك بل فيما هو مخوف في حقيقته فإنه لا ترد وازرة ودر حري و عذاب عيرك لا يخفف شيئاً من عذابك فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن

التكبر و عن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عدد حتى تكون فيه عشر خصال وعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بهاسد محده وبها علاذ كره أن يرى الناس كلهم حيراً منه وإتباع الناس عنده فرقان فرقة هي أفضل منه وأرفع و فرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعاً بقلبه إن رأى من هو خير منه سره و تسمى أن يلحق به . وإن رأى من هو شر منه قال . لعل هذا يسحو وأهلك أنا فلا يراه شراً منه حائماً من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك حره ، ولا أدري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله و يتوب عليه و يحتم له بأحسن الأعمال و برئي طاهر فذلك شر لي لا آمن فيه أظهر من الطاعة أن تكون دخلها الآفات فأحبطها ، ثم قل فحسب كمال عقله وساد أهل زمانه وهذا كلامه ، وبالجملة من حوّر أن يكون عبد الله شقيماً وقد سبق لفضاء الأثرلي بشقوته فماله سبيل إلى أن يسكن بحال من الأحوال ، نعم إذا غلبه الخوف رأى كل أحد حيراً من نفسه و ذلك هو الفصل كما روي أن عبداً أوى إلى جبل فقبل له في اليوم اثنتان فلائلاً لا سكاف فسه أن يدعو لك فناء فسأله عن عمله فأخبره أنه يعموم النهار و يكتسب و يصدق بعبه و يطعم عباله بعبه و يرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هد كالتغر ع لطاعة الله فأتى في اليوم ثانياً فقبل له اثنتان لا سكاف فقل له ما هذا السعار الذي بوحث فأتاه فسأله ، فقال له : ما رأيت أحد آمن للناس إلا وقع لي أنه سيسحو و أهلك أب . فقال العابد بهذه و الذي يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى « و الذين يؤتون ما آتوا

و قلوبهم و حلة » ^(١) أي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها .

و قال : « إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون » ^(٢)

و قال : « إننا كنا قبل في أهلنا مشفقين » ^(٣) وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم

عن الدُّبُوب و مواطنيتهم على العبدات على الدُّبُوب بالاشفاق فقال : « يستحون

(٢) المؤمنون : ٥٩

(١) المؤمنون : ٦٢

(٣) الطور : ٢٧

الليل والنهار لا يعرفون ، (١) « وهم من حشيتهم مشفقون » (٢) فمتى زال
الاشفاق والحدود مما سبق به القصص في الأول و ينكشف عند حاتمة الأجل علب
الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك ، فالكبر دليل الأمن
والأمن مهلك ، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فإذن ما يعسده العابد باصمار
الكبر واحترقار الحلق والتضرع إليهم يعني الاستنصار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال ،
فهذه معارف بها يرال داء الكبر عن القلب لأعير ، إلا أن النفس بعد هذه المعرفة
قد تصير التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت
النفس إلى طبعها وسيت وعدها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفي في المداواة بمحرّد
المعرفة بل ينبغي أن يكمل المعرفة بالعمل ويحرّب نفسه بأعمال المتواضعين في
مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه أن يمتحن النفس بحمس امتحانات هي
أدلة على استخراج ما في الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة

الامتحان الأول أن يباظر في مسأله مع واحد من أقرابه فإن طهر شيء من
الحق على لسان صاحبه فنقل عليه قوله والانتقاد له والاعتراف به والشكر له على
تسميته وتعريعه وإحراجه الحق فدلّ يدلّ على أن فيه كبراً دفيناً فليتنق الله
فيه و ليشغل بعلاجه إتما من حيث العلم فمن يدرك نفسه خسة نفسه و خطر عاقبته و
أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى ، وإتما من حيث العمل فإن يكلف نفسه ما ينقل
عليه من الاعتراف بالحق فيبطلق اللسان بالحمد والثناء ويفرّ على نفسه بالعجز
و يشكره على الاستعاده ويقول : ما أحسن ما قطعت له وقد كنت غافلاً عنه وحراك
الله خيراً كما ستهني له فالحكمة صالّه المؤمن فإذا وحدها ينبغي أن يشكر من دله
عليها ، فإذا واطب على ذلك مرّات متواليه صار ذلك له طمعاً وسعط ثقل الحق عن
فمه و طاب له قوله ، ومهما فعل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم فعليه كبراً فإن
كان ذلك لا ينقل عليه في الحلوة و يشغل في الملأ فليس فيه كبر وإتما فيه رياء
فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويدرك القلب بأن متعته

في كماله في ذاته و عدا الله لا عند الخلق ، إلى غير ذلك من أدوية الرّياء ، و إن ثقل عليه ذلك في الخلوة والملاّ جميعاً فمبه الكبر والرّياء جميعاً ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلّص من الثاني فليعالج كلا الدّاءين فإنّهما جميعاً مهلكان

الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحاول و يقدر مهمهم على نفسه و يمشي خلفهم و يجلس في الصدور تحتهم ، فإن ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواط عليه تكلفاً حتّى يسقط عنه ثقله فذلك يرأيه الكبر ، و ههنا للشيطان مكيدة و هي أن يجلس في صفّ النعال أو يحمل بينه و بين الأقران بعض لأردال فيظنّ أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإنّ ذلك يحفّ على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنّهم إنّما تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر ، ويكتمر بإظهار التواضع أيضاً ، بل ينبغي أن يقدر أقرانه و يجلس تحتهم ولا يحطّ عنهم إلى صفّ النعال فذلك هو الدّني الذي يجرّح حسّ الكبر من الباطن

الامتحان الثالث أن يحجب دعوه الفقير و يمرّ إلى السّوق في حاجة الرّفقاء والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإنّ هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها حزيل فنفور النّفس عنها ليس إلّا لحث في الباطن فليشتغل بإرائته بالمواظبة عليه مع تدكّر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تريل داء الكبر

الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله و رفقائه من السّوق إلى البب فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء ، فإن كان يشغل ذلك عليهم حلواً لطريق فهو كبر فإن كان لا ينقل إلّا عند مشاهدة الناس فهو رياء ، و كلّ ذلك من أمراض القلب و علله المهلكة له إن لم تتدارك .

أقول : ليس كلّ رياء مذموماً بل قد يكون مستحباً بل واجباً إذ يجب على المؤمن صيانة عرصه وأن لا يعمل ما يعاب عليه فلا يليق بدوي المروءات أن يرتكبا الأمور الحسيسة بأنفسهم عند مشاهدة الناس وإن حار لهم في الخلوة إلّا أن ذلك يختلف باختلاف الأزمنة والبلاد والأشخاص فلا بدّ من مراعاة ذلك روي في الكافي (١)

عن الصادق عليه السلام « آتته بطر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً و هو يحمله فلم يره » ثم حدثنا عن أبيه فقال عليه السلام « شريته لعيالك وحملته إليهم أما والله لو لا أهل المدينة لأحبب أن أشتري لعيالي الشيء ثم أحمله إليهم » أراد عليه السلام لو لا محافة أن يعسوا على ذلك ، مع أن حدثه أمير المؤمنين عليه السلام كان يفعل مثله إلا أنه لم يعسوا عليه بمثله في زمانه وفي شأنه حارله أن يرتكبه وكان منقمة له و تعليماً

قال أبو حامد و قد أعمل الناس طب العلوب واشتعلوا بطب الأحساد مع أن الأحساد قد كتب عليها الموت لا محالة والعلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إد قال الله تعالى « ولأمن أتى الله بقلب سليم » (١)

و يروى عن عبد الله بن سلام أنه حمل حرمة خطب فقبل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك و نبيك من يكفبك ، قال : أجل ولكن أردت أن أحرر نفسي هل تذكر ذلك ، فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأربعة حتى حررها فهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر « من حمل العاكبة أو الشيء فعد بئري من الكبر » (٢) الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً بدلة فإن نور العزم عن ذلك في الملأ رياء وفي الحلوة كبر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من اعتقل البعير و لبس الصوف فقد بئري من الكبر » (٣).

و قال عليه السلام « إنما أنا عبد آكل بالأرض و ألبس الصوف و أعمد البعير و ألق أصابعي و أجيئ دعوة المملوك فمن رعب عن سنني فليس مني » (٤)

(١) الشعراء : ٩٠٠

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي أمامة بسند صحيح كما في الجامع الصغير وفي لفظه « من حمل سلته » .

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة مريادة فيه وهي أساده القاسم البعري ضعيف جداً كما في الغنى .

(٤) مضمون مأخوذ من جملة من الأحاديث و ليس هو حديث واحد . راجع سنن ابن ماجه وغيره باب الكبر و باب الرهد وقد مر في كتاب أخلاق النبوة .

وهذه مواضع يجتمع فيها الرّياء والكبر فما يختص* بالملأ فهو الرّياء وما يكون في الحلوة فهو الكبر ، فليعرف فإنّ من لا يعرف الشرّ لا يتفّيه و من لا يدرك المرص لا يداويه

❦ (بيان غاية الرّياضة في خلق التواضع) ❦

علم أنّ هذا الحلق كپئر الأخلاق له طرفان و واسطة فطرفه الّذي يميل إلى الرّياضة يسعى تكثراً و طرفه الّذي يميل إلى النقص يسمى نجاساً و مدلّة والوسط يسمى تواضعاً والمحمود أنّ يتواضع في غير مدلّة و من غير نجاس ، فإنّ كلا لمرّي قصد الأمور دعيماً وأحبّ لأُمور إلى الله تعالى أوساطها فمن يتعدّم على أمثاله فهو متكبر و من يتأخّر عنهم فهو متواضع أي أنّه وضع شيئاً من قدره الّذي يستحقّه والعالم إذا دحّن عليه إسكاف فتحت له عن مجلسه وأجلسه فيه ثمّ نفذ مؤسوساً له نعله و عدا إلى الباب حلّعه فقد نجاس وتدلّل وهذا أيضاً غير محمود بل المحمود عند الله العدل و هو أن يعطي كلّ ذي حقّ حقه ، فسمي أن يتواضع بمثل هذا لأمثاله ولم يعرب منه درجته ، فأما تواضعه للسوقي فالقيم والشر في الكلام و الرّفق في السّؤال وإحابه دعوه و لسمي في حاجته وأمثال ذلك ، و أنّ لا يرى بعينه خيراً منه بل يكون على نفسه أحوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره و هو لا يعرف حكمة أمره و حاجته ، فإدس سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران و من دونهم حتّى يحسّ عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليرول به الكبر عنه ، فإنّ حقّ عليه ذلك فقد حصل له حلق التواضع وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلّف لا متواضع ، بل الحلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير رويّة ، فإنّ خفت ذلك و صار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتّى أحبّ التملّق والتجاسر فقد خرج إلى طرف النقص فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يدلّ نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الّذي هو الصراط المستقيم و ذلك عامص في هذا الحلق و سائر الأخلاق والميل عن الوسط إلى طرف النقص و هو التملّق أهون من الميل إلى طرف الرّياء بالتكبر كما أنّ الميل إلى طرف التّدينير في الميل أحمد عند

الباس من الميل إلى طرفي المخل ، فهية التنذير و نهاية البخل مدعومان و أحدهما أفحش من الآخر ، وكذلك نهاية التكبر و نهاية التمسك^(١) والتدلل مدعومان و أحدهما أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل و وضع الأمور في مواضعها ، و على ما يجب و على ما يعرف من ذلك بالشرع والعادة ولتقتصر على هذا من بيان خلق الكبر .

❖ (الشرط الثاني من الكتاب في العُجب) ❖

وفيه بيان ذم العُجب وآفته ، و بيان حقيقة العُجب والإدلال و حدّهما ، و بيان علاج العجب على الجملة ، و بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

❖ (بيان ذم العُجب وآفته) ❖

إعلم أن العجب مدحوم في كتاب الله تعالى و سنة نبه عليه ﷺ قال الله تعالى « و يوم نحسب إذا أعجبكم كثرتمكم »^(٢) و ذكر ذلك في معرض الإنكار و قال الله تعالى « و طسوا أقمم ما نعتهم حصونهم من الله فأنبيهم الله من حيث لم يحتسبوا »^(٣) فردّ على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم و قال تعالى « وهم يخسيون أنفسهم يخسئون صنعاً »^(٤) و هذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل و قد يعجب الإنسان بعمل هو عظمى فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه .

و قال النبي ﷺ « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه »^(٥) .

و قال ﷺ لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الأئمة فقال . و إذا رأيت شحاً مطاعاً و هوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك »^(٦)

(١) في الأحياء « نهاية التمسك »

(٢) العنبر : ٢ .

(٣) التوبة : ٢٦

(٤) قد مر عن البيهقي رواه في الشعب

(٥) الكهف : ١٤٠

(٦) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه و قد تقدم

وقال عليه السلام : « لو لم تدسوا الحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك » لعجب العجب ، ^(١)

وقال ابن مسعود : « لاله في اثنين العوض والعجب » و إنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والشمر ، ولما لم لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتد أنه قد سعد ، فمر مراده فلا يسعى والموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة في اعتداد المعجب حاصلة له و مستحصلة في اعتقاد القاطن فهذا جمع بينهما وقد قل تعالى : « فلا تگوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » ^(٢)

قال ابن حريج معناه : « عملت خيراً فلا فعل عملت » وقال ريدين أسلم لا ترهبوا أي لا تعتقدوا أنها بزه ، وهو معنى العجب

وقال تعالى : « لا تطلوا صدقاتكم بائس ولا ذي » ^(٣) والمسلم بقبحة استعظام الصدقة ، واستعظام العمل هو العجب فظهر من هذا أن العجب مدموم حد

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي بإساده عن أبي عبد الله عليه السلام قل : « إن الله تعالى علم أن الذنوب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً بذنوب أبداً » ^(٤)

وعنه عليه السلام قال : « من دخله العجب هلك » ^(٥)

وعنه عليه السلام قال : « إن الرجل ليدب الذنوب فيدم عليه ويعمل العمل فيستمر ذلك فيتراخي عن حاله تلك فلا يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه » ^(٦)

وعنه عليه السلام قال : « أتى عالم عبداً فقال له كيف صلاتك ؟ فقال مثلي يسأل عن صلاته ؟ وأنا أعبد الله مند كذا وكذا ، قال فكيف بكائك ؟ قال أبكي حتى يحري دموعي ، فقال العالم إن صحكت وأنت حائف أفضل من بكائك وأنت مدل

(١) أخرجه البراز وابن حبان في الصعاء و انتهى في الثم من حديث أس وقان

الرقى ، فيه سلام بن أبي الصفاء ، قال البخاري : منكر الحديث أقول وأورده الهينس

في مجمع الروائد وقان ، رواه البراز من حديث أس بأساد جيد

(٢) النجم : ٣٤ . (٣) البقرة : ٢٦٦ .

(٤) إلى (٦) المصدر ج ٢ ص ٣١٣ رقم ١ و ٢ و ٤ .

إِنَّ الْمَدْلُ لَا يَصْعَدُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ^(١) ،

و عن أحدهما عليه السلام قال : « دخل رجلان المسجد أحدهما عابداً والآخر فاسقاً
فخرج أحدهما من المسجد والعاسق صدق^(٢) والعابد فاسق ، وذلك أنه يدخل العابد
المسجد مدلاً بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة العاسق في الذم
على فسقه ويستعقر الله مما صنع من الذنوب ،

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بينما موسى عليه السلام جالس إذ أقبل
إبليس وعليه برس ذو ألوان فلعماً دما منه خلع الرس و قام إلى موسى عليه السلام
فسلم عليه فقال له موسى عليه السلام : من أنت فقال : أنا إبليس ، قل : أنت فلا قرب الله
دارك^(٣) قال : إني إنما جئت لأسلم عليك ملكك من الله تعالى قال فقال له
موسى عليه السلام فما هذا البرنس ؟ قال : أحتطف به قلوب بني آدم^(٤) فقال له موسى :
فأحسري بالذنب الذي إذا أدنه ابن آدم استحوذت عليه^(٥) فقال : إذا أعجنته نفسه
واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه^(٦) »

و قال : قال الله تعالى لداود عليه السلام : « يا داود بشر المدينين وأند الصدّيقين
قال : كيف أبشر المدينين وأند الصدّيقين ؟ قال : يا داود بشر المدينين أنني
أقبل النوبة وأعو عن الذنب ، وأند الصدّيقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد
أصه للحساب إلا هلك^(٧) »

(١) الكافي ج ٢ ص ٣١٣ تحت رقم ٥ والمدل المبسط المسرور الذي لاحوف

له من التقصير في العمل .

(٢) أي مؤمن صادق في إيمانه كثير الصديق والتصديق قولاً وعلاً و الضر في

الكافي ج ٢ ص ١١٤ رقم ٦ .

(٣) أي لا قريك الله تعالى منا أو من أحد .

(٤) أي استلب به قلوب الادميين وكان الالوان في البرنس كانت صورة شهوات

الدنيا و رؤيتها .

(٥) اسحواد الشيطان على بني آدم حسنة واستمالته الى ما يريد منه

(٦) و (٧) الكافي ج ٢ ص ٣١٤ تحت رقم ٨

وفي مصباح الشريعة ^(١) قال الصادق عليه السلام : والعجب كل العجب من يعجب بعمله وهو لا يدري بما يحتم له فمن أعجب بنفسه وعمله فقد ضل عن بهج الرشاد و ادعى ما ليس له والمدعى من غير حق كاذب وإن حمي دعواه و طال دهره فإنه أولى ما يفعل بالمعجب درع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز فقير و يشهد على نفسه لتكون الحجة عليه أو كد كما فعل إبليس ، والمحبينات حبها الكفر ، وأرضها النفاق ، وماؤها النمي ، وأعضائها الجهل ، و ورقها الضلالة و ثمرها اللئنة و الحلود في النار فمن احتار المعجب فقد ندد الكفر و درع النفاق ، ولا بد من أن يثمر .

❦ (بيان آفات المعجب) ❦

إعلم أن آفات المعجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسانه كما ذكرناه فينولد من المعجب الكبر و من الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع إبعاد فائت مع الله تعالى فالمعجب يدعو إلى سبيل الدثوث وإهمال قبصر ديوه لا يذكرها ولا يتفقد لها لظنه أنه مستغن عن بقدها فيسأها و ما يتدكره منها فيستصغر و لا يستعظمه فلا يحتمل في تداركه و تلافيه ، بل يطن أنه يعمر له و أمّا العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتحج بها ويمس على الله بعملها ، و ينسى نعمة الله عليه بالتوفيق و التمكين منها ، ثم إذا أعجب بها هي عن آفاتها ، و من لم يتفقد آفات الأهمال كان أكثر سعيه صايعاً ، فإن الأهمال الطاهرة إذا لم تكن حائلة بقيتة عن الشوائب قلما تنفع و إنما تنفقد من يعلب عليه الإشفاق والحواف دون العجب و المعجب يعتز بنفسه و بربه و بأمر مكر الله وعذابه و يطن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله مئة و حقاً بأعماله التي هي نعمة من نعمه و عطية من عطاياء ، ويحرجه العجب إلى أن يثني على نفسه و يحمدها و يركبها ، فإن أعجب برأيه و علمه و عقله منعه ذلك من الاستعادة و من الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه و برأيه و يستكف من سؤال من هو أعلم منه ، و ربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه

(١) الباب الأربعين .

من خواطره ولا يفرح بحاضر غيره فيصّر عليه ولا يسمع بصح باصح ولا وعط و عط
بل ينظر إلى غيره بعين الاستحجال و يصّر على خطئه فإن كان رأيته في أمر دنيوي
فيحقق فيه وإن كان في أمر ديني لا يستما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ، و
لو أنهم بعينه ولم يثقف برأيه واستضاءه سور القرآن ، واستعان بعلمه الدّين ، و
واظب على مدارسة العلم ، و تدبّر سؤال أهل البصره كان ذلك يوصله إلى الحقّ
فهذا ، أمثاله من آفات لعجب فلذلك كل من لم يهلك به من أعظم آفاته أن يفتري
السعي لطلبه أنّه قد فاز واستعفى وهو الهلّال بصرى لذي لا شبهة فيه

❖ بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما ❖

إعلم أنّ العجب إنّما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه
في علم وعمل و مال وعبره حالتان إحداهما أن يكون حائفاً على ربه ، مشعفاً على
بكدّه أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب ، والأخرى أن لا يكون حائفاً من ربه
لكن يكون فرحاً به من حيث أنّه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى
نفسه وهذا أيضاً ليس بمعجب ، وله حالة ثالثة هي العجب وهو أن يكون غير حائف
عليه بل يكون فرحاً به مطمئناً إليه و يكون فرحاً به من حيث أنّه كمال ونعمة
ورفعة و خير لا من حيث أنّه عطية من الله تعالى و نعمة منه فيكون فرحاً به من
حيث أنّه صفته و مديون إليه بأنّه له لا من حيث أنّه مديون إلى الله بأنّه منه
فمهما غلب على قلبه أنّه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه ،
فإن العجب هو أعظام النعمة والرّكون إليها مع بسياها إضافتها إلى المديون فإن
انضاف إلى ذلك إن غلب على نفسه أن له عند الله حقاً وأنّه منه يمكن حتى يتوقع
بعمله كرامة له في الدّنيا واستبعد أن يحري عليه مكروه استبعاد يريد على استعداده
ما يحري على التفتاق سمي هذا إدلالاً بالعمل فكأنّه يرى لنفسه على الله دالة
وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه و يصّر عليه فيكون معجباً فإن استجده أو
اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تحلّله عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه

قال قتادة في قوله تعالى «وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَثِرَ» ^(١) أي لا تتدل بعملك و
في الجبر «أَنْ صَلَاةَ الْمَدَنِيِّ لَا تَرْفَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ» ^(٢) ولأن تصحك وأنت معترف
بملك حبر من أن يسكي وأنت مدلل بعملك، والإدلال وراء العجب فلا مدلل إلا
وهو معجب، ورب معجب لا يدل. العجب يحصل بالاستعظام وسيان التعمق دون
توقع حراء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع حراء، فإن توقع إحاطة دعوته و
استبكر ردها ساططه وعجب منها كان مدلاً بعلمه فإنه لا يتعجب من رد دعاء
الفساق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من
مقدمات الكبر وأسبابه.

أقول: وفي لكافي عن علي بن سويد عن أبي الحسن عليه السلام قال سأله عن
العجب الذي يقصد العمل فقال «العجب درجات منها أن يرى للعبد سوء عمله
ويراه حساً ويعجب أنه يحسن صعباً، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمن على الله
و الله عليه فيه المنّة» ^(٣).

✽ (بيان علاج العجب على الجملة) ✽

إعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بصددها وعلة العجب الجهل المحض
وعلاجه المعرفة بالمصادفة لذلك الجهل فقط، فليعلم من العجب بفعل داخل تحت اختيار
العبد كالعبادة والصدقة والعرو وسياسة الخلق وإصلاحهم، فإن العجب بهد أغلب
من العجب بالجمال والقوة والسبب ومالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه
فتقول الورع والقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إما أن يعجب به من حيث
أنه فيه وهو محله ومجراه أو من حيث أنه منه وسببه وقدرته وقوته فإن كان
يعجب به من حيث أنه فيه وهو محله ومجراه، يخبري فيه وعليه من جهة غيره فهذا
جهل لأن المحل مسخر ومجري لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب

(١) الدرر : ٧

(٢) قال المرافي لم أجده أصلاً وفي نهاية «مدلأى مسطاً لا خوف عليه»

(٣) المصدر ج ٢ ص ٣١٣.

بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث هو عنه وإليه و باختياره حصل وبقدرة
 وقوته تم ، فيسعي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسان التي بها
 تم عمله أنها من أين كانت له فإن كان علم أن جميع ذلك نعمة من الله عليه من
 غير حق سبق له و من غير وسيلة يدلي بها فيسعي أن يكون إعجابه بحود الله تعالى
 وكرمه وفعله إذ أقص عليه ما لا يسحفه وأثره به على غيره من غير سابقه ووسيلة
 فهم برد الملك لعلما به و نظر إليهم وحلج من حملهم على واحد منهم لالصفة فيه
 والوسيلة والاحمال والخدمة فيسعي أن يعجب لمعم عليه من فضل الملك وحكمه
 وإثاره له من غير استحقاق في إعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا يسعي أن يعجب هو
 بنفسه نعم يحور أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا بظلم ولا يعدم ولا يؤخر
 إلا لسبب فلولاً نية نطق فيجعة من الصفات المحمودة الناطقة ما اقتضى الإتيار بالخدمة
 لما آثرني بها فيعال و تلك الصفة هي أيضاً من خلعة الملك و عطية التي حصصك
 بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره ، فإن كانت من عطية الملك أيضاً لم يكن
 لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرساً فلم تعجب به فأعطاك علماً فصرت
 تعجب به و تقول إني أعطاني علماً لأنني صاحب فرس و أما عيري فلا فرس له ،
 فيقال وهو الذي أعطاك العرس ، فلا فرق بين أن يعطيك العرس و العلام معاً أو
 يعطي أحدهما بعد الآخر ، فإذا كان الكل منه فيسعي أن يعجبك حوده و فعله
 لا بسبب ، وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن يعجب بتلك الصفة وهذا
 ينصور في حق الملوك ولا ينصور في حق الحار ملك الملوك ، المسترد باحترار
 الجميع ، المتعبد بإيجاد الموصوف و الصفة ، فإتيك إن أعجبت بمادتك و قلت
 وفقني للمعبدة لحسن له فيعال ومن خلق الحب في قلبك ؟ فستقول : هو ، فيعال ،
 فالحب و العادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من حيثك
 إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بحوده إذ أنعم بوحودك و وجود صفاتك
 و بوحود أعمالك و أسان أعمالك فإذا لا معنى لعجب العابد بعبادته ، وعجب العالم
 بعلمه ، وعجب الحميل بحماله ، و عجب العني بعناء لأن كل ذلك من فضل الله

وإنما هو محلّ لعيسان فضل الله وجوده و المحلّ أيضاً من حوده و فضله
فان قلت لايمكسي أن أحول أمالي ؟ و بتي أنا عملتها و إنني أنتظر عليها
ثواباً و لولا أنها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل
الاحتراع فمن أين لي الثواب و إن كانت الأعمال مني و قد تتي فكيف لا أعجب بها ؟
فاعلم أن جوابك من وجهين أحدهما وهو صريح الحق و الآخر فيه مسامحة
أما صريح الحق فهو أنت و قدرتك و إرادتك و حركتك و جميع ذلك من خلق الله
و احتراعه فما عملت إذ عملت و ما صليت إذ صليت ، قال الله تعالى « و ما رميت
إذ رميت ولكن الله رمى » ^(١) هذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة
أوضح من إِبصار العين ، بل خلقك ، و خلق أعضائك ، و خلق فيها القوة و القدرة
و الصحة ، و خلق لك العقل و العلم ، و خلق لك الإرادة و لو أردت أن تنفي شيئاً
من ذلك عن نفسك لم تنفد عليه ، ثم خلق الحركات في أعصائك مستبداً باحتراعه
من غير مشاركة له من جهتك معه في الاحتراع إلا أنه خلقها على ترتيب فلم يخلق
الحركة مالم يخلق في العضو قوة و في القلب إرادة و لم يخلق إرادة مالم يخلق
علماً بالمراد ، و لم يخلق العلم مالم يخلق القلب الذي هو محلّ العلم فتدريخه في
الحلق شيئاً عسفي هو الذي حيل إليك أنت أو حدث عملك و قد علمت ، و إيضاح
ذلك و كيميّة الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب الشكر فانّه
أليق به فارجع إليه و نحن الآن نريد إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما .
وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك و لا يتصور العمل
إلا بوجودك و بوجود علمك و إرادتك و قدرتك و سائر أسباب عملك و كل ذلك
من الله تعالى لا منك ، فان كان العمل بالقدرة و القدرة معناه و هذا المفتاح بيد الله
تعالى و مهمال يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل ، فالعادات خرائن بها يتوصل إلى
السعادات و معانيها القدرة و الإرادة و العلم و هي بيد الله لا بحالة ، أرايت أنت لورايت
خرائن الدنيا مجموعها في قلعه حصينة و مفتاحها بيد خازن و لو جلست على بابها

و حول حطابها ألف سنة لم يمكث أن تنظر إلى ديارها فما لو أعطاك المفتاح
لأحدثته من قرب من تسيطر بك إليه فتأخذه فقط فإنا أعطاك الحارس المفتاح وسلطت
عليه ومكثت معها فمدحت اليد وأخذها أكل إعجابك بإعطاء الحارس المفتاح أو بما
إليك من هذا اليد إليه وأخذه ؟ فلا تثق في تلك ترى ذلك نعمة من العازن لأن
المؤونة في تحريك اليد إليه لأحد المال قرية وإدما الشان كله في تسليم المفتاح
وكذلك مهم حلقب القعدة وسلطت الإرادة لحارمة و حر كب الدواعي و البواعث
و صرفت عنك المواعع والصورف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك
والعمل هين عليك ، وتحريك البواعث و صرف العوائق و تهينة الأسباب كلها من
الله تعالى ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب ممن إليه
الامر كله ولا تعجب بحدوده و فصله و كرمه في إثارة إيتاك على العساق من عباده
يدسلط دواعي العساد على العساق و صرفها عنك وسلط أقران السوء و دعة الشر
عليهم و صرفهم عنك و مكثهم من أسباب الشهوات و اللذات و رواها عنك و صرف
عنهم بواعث الخير و دواعيه و سلطها عليك حتى تيسر لك الخير و تيسر لهم الشر
فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا حرمة سابقة من العاسق العاصي
بن أثرك وقد كنت واسطعائك بعصله وأبعد العاصي و أشقاء بعدله فما أعجب إعجابك
ببعضك إذ عرف ذلك فإذن لا تصرف فندرت إلى اعتدرك إلا بتسليط الله عليك داعية
لاتجد سبيلاً إلى محالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كسب فاعلاً تحقيقاً
وله الشكر والمنة لآلث و سباني في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل لأسباب
والمسببات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه ، و العجب ممن يتعجب إذا
ردقه الله عقلاً و أقره ممن أفاض الله عليه المال من غير علم بمقول كيف منبغي
قوت يومي و أمّا العاقل الفاضل وأفاض الله عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل العاقل حتى
يكاد يرى هذا ظلاً ولا يدري المعرور أنه لو جمع له بين العقل و المال جميعاً لكان ذلك
باطلماً أشبه في طهر الحال فيقول الجاهل العقير يارب لم سمعت له بين العقل والغنى
و منفعتي و حرمتي معها ؟ فهلا جمعتها لي ؟ و هلا رزقني أحدهما ؟ و إلى هذا

أشار علي عليه السلام حيث قيل له : ما بال العقلاء قراء ؟ فقال : « إن عقول الرُّحل محسوبة عليه من رزقه ، والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الحاهل العبي أحسن حالاً من نفسه ولو قيل له : هل تؤثر حبله وعناه عوضاً من عملك وفقرك لا منفع عنه فإذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم ينعجب منه والمرأة الحسنة الفقيرة ترى الحلي والحواهر على الدُّميمة الفضيحة فتتعجب وتقول : كيف يحرم مثل هذا الجمال من برّية ويخصّص به مثل هذا القبيح ولا تدري المضرورة أن لجمال محسوب عليها من درقها وأنها لو حُيرت بين الجمال مع الفرو بين القبيح مع العبي لآثرت الجمال فإذ نعمة الله عليها أكبر . وقول الحكيم العاقل الفقير بعلمه يارب لم حرمتمني لذات وأعطينتها الجمال كقول من أعطاه الملك فرساً فيقول أيها الملك لم لا تعطيني العلام ، أنا صاحب فرس فيقول : كنت لا تمنعك من هذا لولم أعطك العرس فبأنتي ما أعطيتك فرساً أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحنة تطلب بها نعمة أخرى فهذا أوام لا تحلو الجهال عبا ومنشؤ جميع ذلك الجهل ويرال ذلك بالعلم المحقق برّ العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتدأ بها قبل الاستحقاق وهذا ينمي العجب ولا دلال ويورث الحسوع والشكر والخوف من روال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك لم تتكبر أصحاب رسول الله ﷺ يوم حبر على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم قالوا : لا عجب اليوم من قلة . وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى « ويوم نحسبكم كثرتم فلم تمنعنا منكم شيئاً وصاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (١).

وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال : إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي أمر إلا آثرت هوائك على هواي فنودي من عمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أنتي لك ذلك ؟ أي من أين لك ذلك . قال . فأخذ رماداً فوضعه على رأسه وقال : « منك

(١) الآية في سورة التوبة ٢٦ وأخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع أن رجلاً

قال : يوم حين لي تطلب من قلة مثق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر الله

عز وجل . « ويوم نحسبكم كثرتمكم » راجع إلى السنود ج ٣ ص ٢٢٤ .

يَا رَبُّ مَتَّ يَارَبُّ « فرجع عن سياحه و أضاف ذلك إلى الله تعالى و لهذا قال الله تعالى « ولولا فضل الله عليكم و رحمته ما ركنى منكم من أحد أبداً » (١).

و قال النبي ﷺ لأصحابه « ما منكم من أحد يحب عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله » قال « ولا أنا إلا أن يتعمدني الله برحمته » (٢) فإذن هذا هو العلاج الفطاع مادّه العجب من القلب و مهما غلب ذلك على القلب شعله حوى سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها فكم من مؤمن قد ارتدّ و مطيع قد فسق و حتم له بالسوء و هذا لا يبقى معه عجب بحال

❖ (بيان أقسام ما به العجب و التفصيل علاجه) ❖

إعلم أن لا يسار قديمحب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه و قد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يريه له بعقله فما به العجب ثمانية أقسام الأول أن يعجب ببدنه في حاله و هيئته و صحته و قوته و تماسك أشكاله و حسن صوته و بالحيلة تفصيل خلقه فبلغت إلى حال نفسه و يسي أنه نعمة من الله و هو معرضة للروال في كل حال و علاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال و هو التّعكّر في أقدار باطنه و في أوّل أمره و آخره و في الوجود الحميلة و الأبدان النعمة أسبها كيف تمرّفت في التراب و أنتت في القصور بحيث استغند بها الطّاع ، الثاني القوة و البطش كما حكى عن قوم عاد حين قالوا - فيما أحمر الله عنهم - من أشدّ من قوّه » (٣) و كما استكل عوج على قوته فأعجب بها فاقنلع جبلاً ليطنفه على عسكر موسى ﷺ فنسف الله تعالى تلك القطعة من الجبل حتى صارت في عنقه و قد يتكل المؤمن أيضاً على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام أنه قال لا طوقر الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة علامة الحديث (٤) ولم يقل إن شاء الله فحرم ما أراد من الولد

(١) النور : ٢١ .

(٢) أخرجه البخاري و مسلم ج ٨ ص ١٤١ من حديث عائشة

(٣) فضلت : ١٥

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة .

و يورث العجب بالعبودية الهجوم في الحروب و إلقاء السيف في استهلكه و اساده بر
الصرب و القتل لمن قصده بالسوء و علاجه ما ركب ما و هو أن يعلم أن حتى يوم تصف
قوته و آتته إذا أعجب بهادما سلبها الله تعالى في آفة لا يظلم عنه

الثالث العجب بالعمل و الكدسة و لتعطس لدون لا مور من مصالح الدين
و الدنيا و ثمرته الأسعد بالبرقي و براه استوره و استجواب الناس من العجب
و لرأيه و يخرج إلى قلعه لا يصعب إلى أصل يعلم به أصلاً عدم لا يسهل بالبرقي
و العمل و استغفار آلهم و بهانه و علاجه أن يذبح الله على ربه من العجب و ينسب
أنه بأدبي مرض يصيب دماغه كذا يوسوس و يحرق جده يصح أن لا يسهل به
بأنه أن يسلط عقله إن أعجب به و به يقم شدة و لا يستبعد عقله و عدمه و يعلم
أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً و من تسع طلبة العلم ما حجبته ثم عرفت أن الله
تعالى علمه فكيف يعلم به و من علم به و من علم به و من علم به و من علم به
لحمي كيف يعجزون بفعلهم و يستعدون بهم فيهم فيهم فيهم فيهم فيهم فيهم
لا يندري فإن قاصر لعقله فقط لا يعلم فهو سفيه و من علم به و من علم به
غيره لا من نفسه و من أمته لا من نفسه و من علم به و من علم به و من علم به
عجلاً وهو لا يظن نفسه إلا الخير و لا يقبل به و من علم به و من علم به و من علم به

الرابع لعجب بالفساد الشرية العبد لا يشمتة حرو فيهم فيهم فيهم فيهم
يمحو سبب شرف منه و بحال آتته معقولة و يستعمل بعضهم أن جميع
الخلق له مول و عند علاجه أن يعلم أنه مهمل حسب بانه في واهم و أخلاقهم
فقط أنه ملحق بهم فقد جهل و إن الله قد قال من أحادهم استعمل
الخوف و الأزاء على النفس و استعظام يحيى و مودة النفس و لقد شرعوا بالعبادة
و العلم و الحصول المحمود لا يأنس فليشر في بما شرعوا به و قد ساء لهم في استسب
و شاركهم في لقائل من لم يؤمن بالله فكلوا عذبه ثم آثم لكلال و أحسن در
الحنانير ، و لذلك قال الله تعالى و يا أيها الناس يت حلفكم من ذكر و أنتم
أي لاتعاون في أنسابكم لاحتماكم في أصل واحد ، ثم ذكر فائدة السبب فصل

« بعدكم شعوباً وقبائل لتعرفوا » ثم بين أن الشرف بالمعوى لا بالنسب فعاد
 « أكرمكم عبدالله أتبعكم » ^(١) وثبت قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس ؟
 من كرس الناس ؟ لم يقل من ينمي إلى سبي ولكن قال « أكثرهم للموت ذكر »
 « شدّهم له استعداداً » ^(٢) وإما برز هذه الآية حين أدن بال يوم الفتح على
 كعبه فعاد الحادث من هشام ؛ سهيل بن عمرو وحالد بن أسد هذا العدد الأسود
 يؤذن فعدن علي « من أكرمكم عبدالله أتبعكم » ^(٣) .

وقال النبي ﷺ « من أتته فدأذهب عنكم غمينة الجاهلية . أي كرها
 كلكم سو آدم و آدم من راب » ^(٤)

« من ﷺ ويامعشر عرش يأتي الناس بالأنمال يوم القيامة وتأتوني بالذبا
 يحملونها على رقاسكم وتقولون يا عذ يا عذ فأقول هكذا » ^(٥) أي أعرض عنكم
 فمنا أنهم أن هالوا إلى لذنا لم ينعمهم بسب قرش
 « منا برز قوله علي « وأندعشيرتك الأقربين » نداهم بطناً بعد بطن حتى

(١) العجرات ١٣

(٢) أخرج ابن ماجة في السنن بعد رقم ٤٢٥٩ سند مجهول عن ابن عمر أنه
 قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فعاه رجل من الأنصار مسلم علي النبي
 صلى الله عليه وآله ثم قال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقاً »
 « أي أي المؤمنين كرس ؟ قال « أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً »
 وثبت لا كراس ، وهذه الريادة رواء من أبي الدنيا في ذكر الموت آخر الكتاب

(٣) أخرج ابن المنذر و من أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن أبي مليكة
 عن علي بن الحسن بن علي بن مازن فأن علي الكعبة فقال بعض الناس هذا العدد الأسود
 يؤذن على ظهر الكعبة قال بعضهم ان يسقط لله هذا العدد فزلت « ما أبها الناس -
 الآية - » راجع البدو المشهور ج ٦ ص ٩٨ .

(٤) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٦٢٤ والبيه - كاسية - الكرم والجوه والعج

(٥) أخرجه نصراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال « يامعشر بني هاشم »

و سنده ضعيف

(٦) بشره ٢١٧

قال . يا فاطمة بنت محمد يا صغيتي بنت عبد المطلب عمته رسول الله ﷺ لا أعني عنكما من الله شيئاً ^(١) .

فمن عرف هذه الأمور و علم أن شرفه بعدد دعواه وقد كان من عادة آباءه التواضع فإن اقتدى بهم في التقوى والتواضع و إلا كان طاعة في سبب من حاله مهما انتمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والاحوف والاشفاق فإن قلت . فقد قال رسول الله ﷺ بعد قوله لفاطمة وسيفه ^(٢) .

لا أعني عنكما من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سألبها سلالها ^(٣) و و سري ^(٤) .
« أترجو سليم شعاعتي و لا يرحوها بنو عبد المطلب » ^(٥) و ذلك يدل على أنه سيخص قرائنه بالشعاعة فاعلم أن كل مسلم منظر شعاعه رسول الله ﷺ و السبب أيضاً حد ير بأن يرحوها ولكن شرط أن يشفي الله ^(٦) و أن يعصم عليه فلا يأذن لأحد في شعاعته فإن الذنوب منسمة إلى ما يؤمن ^(٧) .
فلا يؤذن في الشعاعة فيه و إلى ما يعنى عنه بسبب اشعاعة كالذنوب عند منوال الذنوب فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشعاعة في من اشتد عليه عند الحدث فمن الذنوب ما لا يحي منه الشعاعة و عنه العار ببقوله تعالى « ولا تشعرون إلا ما أنزلتسى » ^(٨) و بقلوله « من ذا الذي يشفع عنده إلا بدينه » ^(٩) و بقلوله « لا يسمع الشعاعة إلا من أدن له الرحمن و رضى له قولاً » ^(١٠) و بقلوله « فم سمعهم شعاعة الشافعين » ^(١١) و إذا انصرفت الذنوب إلى ما يسمع فيه و إلى ما لا يسمع فيه و حب

(١) أخرجه أحمد و مسلم و الترمذي و ابن جرير وابن مردويه عن عائشة و جمع

الدوالشور ج ٥ ص ٩٥ .

(٢) قوله « سألبها سلالها » أي أصلكم من لدن ولا أعني عنكم من الله شيئاً واللال جمع سل وهيل : كل ما مل الحنق من ماء أو من أو غيره (نهاية) وهذا تمة الخبر السابق .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن حديث محمد بن جعفر (المسمى)

(٤) لانساء : ٢٩ . (٥) الفراء : ٢٥٧ .

(٦) طه : ١٠٨ . (٧) المدثر : ٥٠ .

ولا عشير ، فيسلمونه إلى السلى و إلى الحيات و العقارب و الذئبان ولا يعمون عنه شيئاً وهو أوح أوقاتة إليهم و كذلك يهربون منه يوم القيامة و يوم يقر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبيه لكل أمره منهم يومئذ شأن يعنيه^(١) فأبي نخير فبمن يمارقك في أشد أحوالك و يهرب منك و كيف يعجب ولا ينعفك في السر والقيامه و على الصراط إلا عملك و فصل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا يعصك و تنسى نعم من يملك صررك و يعصك و مونك و حياتك^{١٢}

السابع العجب بالذل كما قال الله تعالى إحدراً عن صاحب الحسنيين إذ قال «أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً» و رأى رسول الله ﷺ رجلاً غيباً جلس بحضرة فقير فانقض عنه و جمع ثيابه فقال ﷺ «أحسيت أن يعدوا لك فرء»^(٢) وذلك للعجب بالعسى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال و كثرة حقوقه و عظم عوائله و إلى فصلة الفراء و سقهم إلى الحصة في القيامة ، و إلى أن المال عاد و رائج ولا أصل له ، و إلى أن في اليهود من يريد عليه في المال ، و إلى قوله ﷺ «بيما رجل ينحتر في حلقة له قد أعجسته نفسه إذ أمر الله الأرض فأحدثه فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(٣) أشار به إلى عموية إعجابه بماله و نفسه ، و جميع ما ذكرناه في كتاب الرهد و كتاب ذم الدنيا و كتاب ذم المال بين حقارة الأعيان و شرف الفقراء عند الله ، فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته ؟ بل لا يحلو المؤمن من الحروف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أحده من حله و وضعه في حقه ، و من لا يفعل ذلك فمسيره إلى الحري والنوار فكيف يعجب بماله^{١٤}

الثامن العجب بالرأي الخطأ قال تعالى «أقم روتين له سوء عمله قرآه حسناً»^(٤) وقال «وهم يحسون أنهم يحسنون صنأ»^(٥)

(١) عس ٣٥

(٢) رواه أحمد في الزهد .

(٣) أخرجه مسلم ح ٦ ص ١٤٨ من حديث أبي هريرة

(٥) الكهف ١٠٤ .

(٤) طاهر ٩ .

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة و بذلك هلك
الأُمم السالمة، وافتقرت فرقاً^(١) وكل معجب برأيه وكل حرب بما لديهم ورحون وجميع
أمر البدع والصلال إتماصراً وعليها يعصمهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان
ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقاً وعلاج هذا العجب أشد من غيره
لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه، ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي
لا يعرف، والجاهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جداً لأن العارف يقدر على أن يبيّن
للجاهل جهله ويريله عنه إلا إذا كان معجباً برأيه و جهله فإنه لا يصح إني لعارف
وسنبهة فقد سلط الله عليه بليّة تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف
يطلب الهرب ممّ هو سبب سعادته في اعتقاده وإتما علاجه على الحملة أن يكون
منهم لرأيه أنداً لا يعترّبه إلا أن يشهد له قاطع من كتب الله أو سنة أو دليل عقلي
صحيح جامع لشروط الأدلة، و لن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها
ومكامن الخلط فيها إلا بقريحة نعمة وعقل ثاقب وحنّ وتشمّر في الطلب وممارسة للكتاب
و السنة ومحالسته لأهل العلم طول العمر ومدارسه العلوم، ومع ذلك فلا يؤمن
عليه لخلط في بعض الأمور والصواب لمن لم يتعرّع لاستعراق عمره في العلم أن لا يحوص
في المذاهب ولا يصمى إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله واحد لا شريك له وأنه
ليس كمثله شيء، وهو السميع الصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة
السلف.

أقول بل يدع سنة أئمة الهدى من أهل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليه
وعليهم خاصة دون غيرهم من السلف كما عرفت غير مرة

قال - ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش وسؤال
عن تفصيل بل يقول آمناً وصدقاً ويشتمل بالتقوى واحتساب المعاصي وأداء الطاعات
و الشفقة على المسلمين وسائر الأعمال، فإن حاض في المذاهب والبدع والتعصّب
في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتمل في عمره بشيء.

(١) تقدم كراراً وهو جزء من حديث أبي ثعلبة « إذا رأيت شعاً مطعاً الحديث »

غير العلم

فما الذي عزم على التحرُّد للعلم فأول مهمَّ له معرفة الدليل و شروطه
و ذلك ممَّا يطول الأُمر فيه ، و الوصول إلى المعرفة والنعم في أكثر المقاطع شديداً
لا يفتد عليه إلا الأقوياء، المؤيَّدون سور الله تعالى وهو غير الوجود حدّاً

فسأل الله تعالى العصمة من الضلال و يعود به من الاعتزاز بحيالات الجهل

هذا آخر كتاب دم الكبر و العجب من ربع المهلكات من المنححة البيضاء

في تهذيب الأحياء و ينلوه إن شاء الله كتاب دم الغرور منه .

والحمد لله أولاً و آخراً و مآخراً و باطناً

كتاب ذمّ الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من انجحة المبصّر في نهديب الإجماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بيده معاليد الأمور وبقدره مفاتيح الحير و الشرور .
 مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه و رطات العرور والصلاة على
 محمد مخرج الخلائق من الديحور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تعرفهم الحياء الدنيا
 ولم يعرفهم بالله العرور ، صلاة توالى على مرّ الدهور و كثر الساعات و الشهور
 أمّا بعد فمعناج السعادة ، لنبيقظ و العطفه و مسع الشقاوة العرور و العفلة فلا
 نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان و المعرفة و لا وسيلة إليه سوى إرشاح الصدر
 سور البصيرة و لا نعمة أعظم من انكسر و المعصية و لا داعي إليهم سوى عمى القلب بظلمة
 الحباله فالأكبس و أرباب المصائر قلوبهم « كمشكاة فيها مصباح المصباح في راحة
 الرخاحه كآنها كو كبري يوقد من شدة مباركه ريتونه لأشرفيّة و لا عربيّه
 يكاد ريتنه يضيء . ولولم يمسسه نور نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » و المغترّون
 قلوبهم « كظلمات في بحر لحي يمشاه موح من فوقه موح من فوقه سحاب طلعات
 بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها و من لم يجعل لله له نوراً فما له من
 نور » و الأكياس هم الذين أراد الله تعالى أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام و الهدى ،
 و المغترّون هم الذين أراد أن يضلّهم فجعل صدورهم صيقاً حرجاً كأنما يصعد
 في السماء ، و المعروف هو الذي لم يفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً و بقي
 في العمى فاتحد الهوى قائداً و الشيطان دليلاً « و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة
 أعمى و أضل سبيلاً » و إذا عرف أن العرور هو أمّ الشقاوات و منع المهلكات فلا بد
 من شرح مداحله و محاربه و بعصبل ما يكثر وقوع العرور فيه لتحذره المرید بعد

معرفة فيتفيه فلو وقى من العاد من عرف مداحل الآفات و الفساد فأحد منها
حفذه ، و بنى على الحزم و الصيرة أمره .

و نحن بشرح أحاسن محادي الغرور و أوصاف المعترّين من العلماء و الصالحين
الذين اعترثوا بصادي الأمور الحميلة طوهرها ، لصفحة سرورها ، و نشر إلى
وجه اعتبارهم بها و عفلتهم عنها فإن ذلك وإن كان أكثر من أن يحصى ولكن يمكن
التنبية على أمثله معنى عن الاستقصاء . و فيرى المعترّين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة
أصناف الصف الأول من العلماء ، لصف الثاني من العلماء ، الصف الثالث من
المتصوفة ، الصف الرابع من أرباب الأموال و المعترّون من كل صف و في كثيرة
و حفات غرورهم محلله فمهم من رأى المسك معرفة فأكد أي يتحد المساحد و يرحلها
من المال الحرام ، و منهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه و بين ما يسعى فيه لله
كالواعظ الذي عرّضه القبول و الحاء ، و منهم من يترك الأهم و يشتغل بغيره ، و منهم
من يترك العرس و يشتغل بغيره ، و منهم من يترك اللب و يشغل بالقشر كالذي
يكون همه في الصلاة مقصوراً على تصحيح محارج الحروف ، إلى غير ذلك من
المداحل التي لا تنصّح إلا تفصيل العرق و ضرب الأمثلة و لست ، و لا تذكر غرور
العلماء ولكن بعد بيان دم الغرور و بيان حقيقته و أمثله

❖ (بيان دم الغرور و حقيقته و أمثله) ❖

إعلم أن قوله تعالى « فلا تعزّونكم الحيوة الدنيا ولا يعزّونكم بالله العزور »^(١)
وقوله عز وجل « ولكم فتنتم أنفسكم و تربصتم و انتبتم و عزّتكم الأماني »
حتى جاء أمر الله و عزّكم بالله العزور »^(٢) كاف في دم الغرور
وقد قال النبي ﷺ « حنّذا يوم الأكياس و فطرهم كيف يعبون سهر
الحمقى و اجتهدهم ، و لمثال درة من صاحب تقوى و يقين أفضل من ملء الأرض
من المعترّين »^(٣) .

(٢) الصديد : ١٤ .

(١) لقمان : ٣٣ .

(٣) أخرجه أبي أيوب لساناً في كتاب البقن من قول أبي الدرداء نحوه و في بعض
الروايات أبي الورد موصح أبي الدرداء و قال العراقي ثم أجده مرفوعاً .

وقال عليه السلام والكَيْس من دان نفسه وعمل له بعد الموت ، ولاحق من أتبع نفسه هواه وتمسّى على الله الأماني ^(١) .

وكل ماورد في فصل العلم ودمّ الجهل فهو دليل على دمّ الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ، ويراه على خلاف ماهو به ، و لغرور هو الجهل إلا أن كل جهل ليس غرور بل يستدعي الغرور معروفاً فيه مخصوصاً ، ومعروفاً به وهو الذي يعرفه ، فمهما كان المجهول المعتقد شيئاً يوافق الهوى وكان السبب الموحج للجهل شبهة و تحيله فاسده يظن أنها دليل ولا يكون دليلاً سميّ الجهل الحاصل به غروراً ، فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى و يميل إليه الطبع عن شبهة و خدعة من الشيطان . فمن اعتقد أنه على خير مما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو غرور . وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم محطون فيه فأكثر الناس إذاً مغرورون و إن اختلفت أصداف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر و أشدّ من بعض ، و أظهرها و أشدّها غروراً غرور الكفار و غرور العصاة و العساق ، فورد ههنا أمثلة لحقيقة الغرور

المثال الأول غرور الكفار فمهم من عرفته الحياة الدنيا و منهم من عرفه بالله لغرور ، أمّا الذين عرفهم الحياء الدنيا فهم الذين قالوا البعد خير من السيئة و الدنيا بعد و الآخرة سيئة فادن هي خير فلا بد من إظهارها و قالوا : اليقين خير من الشك و لذات الدنيا يعين و لذات الآخرة شك فلا يترك اليقين بالشك فهدم أقبسه فاسده يشبه قياس إبليس حيث قال : أنا خير منه خلقتني من نار و خلقتة من طين ، و إلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى : فأولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يحقق عنهم العذاب ولا هم يضرّون ^(٢) . وعلاج هذا الغرور إمّا بتصديق الإيمان و إمّا بالبرهان ، أمّا التصديق بمجرّد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله

(١) أخرجه الترمذي والمحاكم وأحمد وابن ماجه تحت رقم ٤٢٦٠ من حديث شداد

ابن اوس سند صحيح

(٢) لقعة ٨١

« ما عندكم يبعد وما عندنا باق »^(١) وفي قوله . « وما عند الله خير » وأبقى^(٢)
 وقوله . « والآخرة خير وأبقى »^(٣) وقوله . « وما الحياة الدنيا إلا متاع
 العرور »^(٤) أو قوله . « فلا يضرّكم الحياة الدنيا ولا يضرّكم بالله العرور »^(٥)
 وقد أحرر رسول الله ﷺ ضوائف من الكفّار بذلك فقلّدوه وصدّقوه وآمَنُوا
 به ولم يطالبوه بالبرهان^(٦) ومنهم من قال : شدتلك الله أبعثك الله رسولا فكل يقول
 نعم فيصدق^(٧) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من العرور ويبرل هذا مبرلة
 تصديق الصبي والدّه في أن حضور المكب خير من حضور الملعب مع أنّه لا يندري
 وجه كونه خيراً وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس
 الذي نظم في قلبه الشيطان فإن كل معرور ولعروره سب وذلك السب هو دليل
 وكل دليل فهو نوع قدس يقع في المعنى ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه
 لا يشعر به ولا يتقدّر على نظمه بألفاظ العلماء ، فالعباس الذي نظم الشيطان فيه أصلاً
 أحدهما أن الدنيا بقدر الآخرة سيئة ، وهذا صحيح ، والآخرة أن البعد خير
 من السيئة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان المقدّم مثل السيئة
 في المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقلّ منها فالسيئة خير فإن الكافر المعرور
 يبدل في تجاربه درهماً لأحد عشرة سيئة ولا يقول البعد خير من السيئة ولا
 أتركه ، وإذا حدّره الطبيب بعواكه ولذائذ الأطعمة تركها في الحال خوفاً
 من ألم المرض في المستقبل وقد ترك البعد ورصي بالسيئة ، والتجّار كلهم يركون
 المحار ويتعمون في الأسفار بعداً لأجل الراحة والريح سيئة ، فإن كان عشرة
 في ثاني الحال خير من واحد في الحال فأسبب لدّه الدنيا من حيث مدتها إلى مدة
 الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشر حره من ألف ألف

(١) النحل : ٩٩ .

(٢) القصص : ٦١ .

(٣) الأعلى : ١٨ .

(٤) آل عمران : ١٨٣ .

(٥) ماطر : ٦ .

(٦) كايان الاصدار و جله اهل المدينة

(٧) كايان صام من تمة أخرجه احمد ح ١ ص ٢٦٤ و راجع اسد الشافعة ج ٣ ص ٤٣

حره من الآحره ، فكأنه ترك واحداً لأحد لب ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ، ولا
 حدٌ وإِنْ نظر من حيث النوع رأى لذات المدبها مكثرة مشوبة بأنواع المنعصبات ،
 ولذات الآخرة صافية غير مكثرة ، فإِنْ قد عطف في قوله « لقد حير من السبيته »
 وهذا غرور منشؤه قبول لمط عام مشهوراً أطلق وأريد به حاس ، ففعل العرور عن
 خصوص معناه فإن من قال « لقد حير من السبيته » أراد به حير من سبيته هي
 مثله وإن لم يصريح به ، وعند هذا يفرغ الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن
 البعبع حير من الشك « الدب بعين والآحره شك » ، وهذا لقياس أكثر فساداً من
 الأول لأن كلاً صلبه باطل إذ البعبع حير من شك إذا كان مثله وإلا فالتحرر
 في بعبه عني يعني في . بعبه على شك والمنعقة في حنطه على يعني في إدراكه
 به العلم على شك ، والصياد في برودة في امتصاص على يعني في اقتناصه الطير
 بالصيد على شك ، وكذلك الحرم دأب عملاً ، لا يعاقب وكل ذلك ترك للمعبر
 ، « لكن » الباحر يقول إني إن لم أتحرك بعب حائناً وعظم سروري وإن
 تحركت كان يعني قلباً ، ورحي كثيراً وكذلك المريض يشرب الدواء الشبع الكربة
 وهو من الشفاء على شك ، ومن مراره الدواء على يعني ولكن يقول سرر مراره
 لدواءه قبل ، بالإضافة إلى ما أخافه من امرس واموت ، وكذلك من شك في الآحره
 فواحب عليه بحكم الحرم أن يقول أنام ، المصق قلائد وهو منتهى العمر بالإضافة
 إلى ما يفعل من أمر الآحره ، فإن كان ما قيل فيه كذباً فما يقوطني إلا التمتع أيام
 حياتي وقد كتب في العدم من الأزل إلى الآن لا أنعم فأحبب أني يقب في العدم
 وإن كان ما قيل صدقاً فأبغى في المأرأه لأباد وهذا لا يطاق ، ولذلك قل علي
^{عليه السلام} لبعض الملحدين « إن كان ما قلته حقاً فقد تحلصت وتحلصا وإن كان ما
 قلناه حقاً فقد تحلصا وهلك » ^(١) وما قال هذا عن شك منه في الآحره ولكن
 كلف الملحدين على قنن عقله وبيّن له أنه وإن لم يكن متيقناً فهو معرور ، وأما
 الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآحره شك فهو أيضاً خطأ بل ذلك يقين عند

(١) رجع الكافي ج ١ ص ٢٨ مررى نحوه عن الصادق والرضا (ع) جونا للزبدنيق

مؤمنين و لبعضه مدركان أحدهما الإيمان و لتصديق تقليد الأتباع و لعلماء و
 ذلك أيضاً يريد لعرود و هو مدرك بعض لعموم و أكثر الحواس و مثاهم مثال
 مريض لا يعرف دواء علقته و قد اتفق الأطباء و أهل الصنعة من عند آحادهم على
 أن دواءه الذهب فعلاقي و به علمت نفس المريض إلى تصديقهم و لا يطاعهم تصحيح
 ذلك بالبراهين بل يثق بقولهم و يعمل به لو بقي سوذي أو معنوه بكت بهم في
 ديت و هو يعلم بالنواير و هرائس الأحوال أنهم أكثر منه عدد و أغر منه فصلاً
 و علم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كدبه بقولهم و لا يعتمد كدبهم بقونه
 ولا يعتمد في علمه بسببه الواعده على قوته بل في قول الأطباء كار معنوها معرو .
 وكذلك من نظر إلى المغان بالآخرة والمحسرين عيب و القائن بن لتقوى
 هو الذوق النافع في المعصية إلى سعدية و حدهم حر خلق الله و سلامهم به في
 البصرة و لمعرفة و عمل . فهم لأنفسهم و لأولياء و الحكماء و العلماء و أنفسهم عليه
 الخلق على أوصافهم و شدتهم من البطالين علب عليهم لشهوه و علب
 موسمهم إلى لمتنع . فاعظم عليهم . إذ الشهوات عظم عليهم الاعتراف بأنهم من
 أهل النار و فجدوا الآخرة و كذبوا الأنبياء فكما أن قول النبي قول سوذي
 لا يريد ضمانته بقلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا النبي الذي
 سترفته الشهوات لا يشك في صحة أقوال الأنبياء و العلماء . وهذا لعدو الإيمان
 كافي بحمده الخلق و هو يفسد حرام مسنحت على العمل لا محالة والعرود يروى به
 وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي . لإلهام والوحي للأنبياء و
 الإلهام للأولياء و لا تظن أن معرفة النبي لأمر الآخرة و لأمر الدين تقليد
 لغيره بل بالسمع منه كما أن معرفتنا تقليد للنبي ﷺ و حتى نكون معرفتنا كمعرفته
 و إنما يختلف المقلد فقط . و هبت في التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح
 و الأنبياء عارفون و معنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليه و
 شاهدوها بالبصرة الماطة كما شاهدت المحسوسات بالصر الظاهر فيجبرون عن
 مشاهدة لا عن سماع و تقليد و ذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح و أنه من

أمر الله وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذي يقدر المتبهي لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد به الأمر الذي هو الشئ حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عدم في جميع المخلوقات ، بل العالم عالم من عالم الأمر وعالم الخلق ، والله الخلق والأمر والأجسام ذات لكمية والمقادير من عالم الخلق ، إذ الخلق عبارة عن التدبير في وضع اللسان ، وكل موجود مره عن لكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر ، و شرح ذلك يستدعي كشف سر الروح و لارحمة في ذكره لاستصراد أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي مع من إفشائه ، فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه ، وإداعرف نفسه فقد عرف ربه وإداعرف نفسه و ربه عرف أنه أمر ربّي طبعه و فطرته ، وأنه في العالم الجسماني عريب ، و أن هبوطه لم يكن بمقتضى طبعه في دانه بل بأمر عارض عريب من داته وذلك العارض العريب ورد على آدم عليه السلام وعثر عنه بالمعصية و هي التي حطته عن الجنة التي هي أليق بمقتضى داته فإتها في حوار الرب تعالى وأنه أمر رباني و حنيه إلى حوار الرب تعالى له طبعي ذاتي إلا أن تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم العريب من داته فيبسى عند ذلك نفسه ورفه و مهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه بذيول له « ولاكمومو » كالذين نسوا الله فأنسيهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، أي الجاحزون عن مقتضى طبعهم و مظنة استحقاقهم يقال . فسقت الروح طه عن كمامها إذا حرجب عن معديها العطري وهذه إشارة إلى أسرار يهتر لاستنشاق روائحها العارفون ويشمتر من سماع ألعاطف القاصرون فإتها مضربهم كما تضرب رياح الورد بالجعل ، ونهر أعينهم الضعيفة كما تنهر الشمس أبصار الجفايش . وانفتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة و ولاية ، ويسمى صاحبها ولياً و عارفاً و هي منادي مقامات الأنبياء و آخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء ، ولترجع إلى العرس فالحق صود أن عرور الشيطان بأن الآخرة شك ، يدفع إثمًا بيقين تقليدي و إثمًا بصيرة و مشاهدة من حبة الناطق ، والمؤمنون بالسستم و بعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله و هجروا الأعمال الصالحة و لا بسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون

للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ، نعم و أمرهم أحق لأن أصل الإيمان يعصمهم عن عقاب الأند فيحرجون من النار ، و لو بعد حين و لكنهم أيضاً معرورون فإنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا و لكنهم مالوا إلى الدنيا و آثروها و مجرد الإيمان لا يكفي للمعور قل الله تعالى « و إني لعقار لمن تاب و آمر و عمل صالحاً ثم اهتدى » ^(١) و قال « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ^(٢) و قال النبي ﷺ للأعرابي : « لا حسان أن تعد الله كأنك تراه » ^(٣) و قال تعالى : « والعصر إن الإنسان لعمى حسرته إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ^(٤) فوعد الموعظة في جميع كتاب الله منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعاً لا بالإيمان وحده فهو لا ، أيضاً معرورون أعني المطمئنين إلى الدنيا ، العرجين بها ، المتفرقين ببعضها ، المحتنين لها ، الكارهين للموت خيفة فوات لدات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده ، فهذا مثال المعرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعاً و لندكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فتما غرور الكفار بالله فمثله قول بعضهم في أنفسهم و بالسنهم أنه إن كان الله من معاد فحق أحق به من غيرنا وحق أوفر حظاً فيه وأسعد حالاً كما أحس الله تعالى عنه من قول الرّجلين المتحاورين إذ قال « و ما أظن الساعة قائمة و لن رددت إلى ربّي لأجدن خيراً منها منقلباً » ^(٥) وحملة أمرهما كما نقل في التفسير أن الكافر منهما بنى قصرأ بألف دينار واشترى بستاناً بألف دينار ، واشترى حديقاً بألف دينار و تزوج امرأة على ألف دينار و في ذلك كله يعظه المؤمن و يقول : اشترى قصرأ يحرب و يعنى ألا اشترى قصرأ في الحنة ، و اشترى بستاناً يحرب و يعنى ألا اشترى بستاناً في الحنة لا تفنى ، و حديقاً لا يعنون و لا يموتون ، و راحة من الحور العين لا تموت ، و في كل ذلك يرد عليه الكافر و يقول : ما هناك شيء و ما قيل من ذلك فهو أكاذيب و إن كان

(١) طه : ٨٥ .

(٢) الاعراف : ٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٦ ص ١٤٤ وقد تقدم في المجلد لادل

(٥) الكهف : ٣٥ .

(٤) العصر : ١ إلى ٣ .

ولم يكون لي في الآخرة خير من هذا . كذلك وصف الله قول العاص بن وائل (١)
 فيقول « لأوتين مالاً وولداً » وقال الله تعالى رداً عليه « أطلع ليعيب » ثم اتخذ
 عند الرحمن عهداً كلاًه .

وروي عن حنبل بن الأزارق (٢) أنه قال كان لي على العاص بن وائل دين

(١) عاص بن وائل السهمي فهو الشقي الأسير شديده السبي (س) لدى برات فيه و ان
 شائت هو الأسير و هو من المعبدين لدى صلى الله عليه و له وانسبهم بينه و هو لدى
 وحبى الإسلام بالشر فهو « سموت هذا الأسير عدا قطع ذكره » يسي رسول الله
 صلى الله عليه وآله و هو من الذين روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في
 هودجهم حتى يحميت حسنت فمات معه (س) نسيم وهو أبو عمرو بن العاصي المعروف
 لدى كشم من سوءته و هو صفي و كفى آية بعد الأسير عجر و بالمعكس أيضاً .

(٢) حنبل - كشداد بن الأرب - روى عنه نسيمه والباء لشاة اشده . و هو
 روى من فضلاء صحاب بن الأولى ، شهد براء و ما رواه من المشاهد مع رسول الله صلى الله
 عليه وآله ، و كان قد سمى بالإسلام من عقب في الله و صبر على ما روى الكوفة و مات بها سنة ٣٧
 أو سنة ٣٩ روى أن فرات أوفد له نازحاً من بني علفاهم أصفاءها إلا ذلك صهره ، و كان
 أبه البزار مظهراً عنه في جسده و لما رأى عمر صهره و ما رأيت بأسوه ظهر رجل مثله
 و في أسداله . ثم لبسوه الدرع الحديد و صهره في سجين و باع منه العهد و لم يفت
 الكفار ما سألوه . و روى أن فيه و في سجين و أبي ذر و عمار أرب الله تعالى و لا
 يتردد الدين بدعوى منهم بالمعصية و التي يردون وجهه . و عن بن عبد البر في الاستيعاب
 و بن أبي الحديد في شرح صحيح أبي شهاب صفي و سهر و ان يكن يظهر من صهر من صهر
 أنه لم يشهد صفي و لا السهر و ان مات بالكوفة و أمر المؤمنين ^{١٩٩} كان صفي و
 رجع من صفي رأى صهره بظاهر الكوفة و روى أنه كان في سمرقند سنة إلى سبي
 صلى الله عليه وآله عاد الحق ، في سبي صلى الله عليه وآله السبي شوه لكم و معج
 به على صهره فكانت تدر لي بصراف حنبل و كان الطبرسي كان حنبل رجلاً عيباً
 و به على العاص بن وائل دين و ما يتعاضد فقال لا قصص حتى كفر معصه
 قال لي أكرهه حتى موت و بعث و في المصنف ناع حنبل بن لارت سبوحا من
 العاص بن وائل و ما يتعاضد معن أسير برعم معصه أن في الله ما انتهي أهلها
 من ذهب و فضة و ثياب و حرم ؟ قال سبي ، قال « فأظهرني أقصيت هناك حدث فوالله لا
 تكون هناك و أصعبت عند الله أكثر مني فبرت » ثم رأيت لدى كفر ما سأله إلى قوله .

هَجَّتْ أَعْيَاضَهُ فَلَمْ يَعْصِ لِي فَعَلْتُ إِنِّي أَحَدُ فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ لِي بِصُرْتُ
فِي الْآخِرَةِ فَإِنِّي لِي هَذَا وَلَدًا وَعَلَّاقُ قُصِدْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا رَبُّكَ الَّذِي
كَفَرَ بِآبَائِنَا وَقَالَ لِأَوَّلَى مَلَأَ وَوَدَّ أَنْ لَا يَبْ ، هَذَا اللَّهُ تَعَالَى وَوَلَّى
أَذْقَاهُ رَحِمَهُ مِنْهُ بَعْدَ صَرْ ، هَسْتُمْ لِيَقُولَ هَذَا لِي هَذَا أَطْرُقُ لِسَاعَةِ قَائِمِهِ وَكُنْتُ
رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي - الْآيَةُ - (١)

و هَذَا كُلُّهُ مِنَ الْغُرُورِ وَهُوَ وَسِعَهُ قَبْرُهُ هَذَا أَقْبَسَهُ إِبْرَاهِيمُ هَذَا كَيْفَ لَا تَهْمُ
بِطُرُونِ مَرْءٍ إِلَى نَعْمِ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا فَعَدَّ هَذَا سُبْحَ نَعْمِهِ الْآخِرَةِ هَذَا يَصْرُفُونَ
إِلَى تَأْخِيرِ اللَّهِ لِعَذَابِ عَنْهُمْ فَيَقْبَسُونَ عَلَيْهِ عَذَابَ الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى هَذَا
يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُ هَذَا هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْبَصَرَ (٢)

— هَذَا هُوَ فِي إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَهُوَ مَتَّوَسِدٌ بَرْدٍ وَهُوَ فِي حُلٍّ بَكْمَةٍ وَهُوَ لَقَبٌ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ ، وَقَالَ الْإِسْلَامُ
اللَّهُ ، فَقَعْدَ وَهُوَ مَحْبَرٌ وَجْهَهُ فَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ بَكَمَ الْبُكَامُ بِشَاخِ حَدِيدٍ مَدُونٍ عَطَاهُ
مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ دَيْتُ عَنْ دَيْتِهِ ، وَهُوَ مِصْبَحُ الْحَمْدِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِأَنَّهُ دَيْتُ الْبُكَامِ
مَا يَصْرِفُهُ دَيْتُ عَنْ دَيْتِهِ ، وَهُوَ مِصْبَحُ الْحَمْدِ لَأَمْرٍ حَتَّى يَسْتَرْجِعَ مِنْهُ مِنْ صَدَقَ بِي عَصْرُ مَوْتٍ
مَا يَصْرِفُهُ لَأَلَّهِ أَوْ لَدُنِّي عَنْ عَمَلِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [ج ٥ ص ٥٦] وَهُوَ مِنْ أَمْرِ الْبُكَامِ
حَابٍ مِنْ قَرَأَ لِسَانَهُ وَحَادَهُمْ وَكَانَ فِي حُجْرَتِهِ فَتَمَلَّكُ لِسَانُهُ هُوَ دَيْتُ الْإِسْلَامِ
انْتَهَى وَهُوَ كَانَ عَمَلٌ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ حَتَّى كَانَ لَعَنَ بِي رَوَاهُ الْإِسْلَامُ أَحَدُتْ كَفَارُ
فَرِيضُ أَمْوَالِهِ هَذَا بَدِيهِ وَهَاجَرُ أَمْرِ أَحَدِهِ نَصَرَهُ هَذَا الْإِسْلَامُ وَجَعَلَ نَفْسَهُ الْبُكَامِ
ج ١ ص ٣٧٢ رَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ مَنْ بَكَمَ لَعَنَ الْبُكَامُ هَذَا دَرْسِي
عَوَفٌ مَرَأَى مَوْرَأَ سَعَةِ أَوْ نَمَايَةِ نَعْمٍ مَا هَذَا يَقُولُ ؟ فَقَالَ بِي حَسْبُ الْإِلَاحِ تَوْفِي
بِهِ مَحْرَجُكَ فَأَوْصَى أَنْ يَدْعُوَ فِي الظُّهْرِ وَكَانَ لَدُنْهُ مَدُونٌ فِي دَوْرِهِمْ وَاسْتَهْمُ قَدَحُ
الْبَاسِ إِلَى جَنَّةٍ ، فَقَالَ دَرْجَمُ عَنْهُ عَدْنًا فَقَدْ أَسْلَمَ طَلَمًا وَعَاشَ مَحْدَةً وَبَلَى فِي جَسَدِهِ
أَحْوَالًا وَلِي يَصْبِحَ اللَّهُ أَجْرٌ مِنْ أَحْسَنِ عَمَلٍ ، ثُمَّ حَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَنْهُمْ وَقَالَ ، (إِسْلَامُ
عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّينِ اجْعَلُوا وَالتَّعَدُّ بِقَعْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى آخِرِ مَا قَدْ عَلَّمَكُمْ -

(١) مَرْيَمَ ٨٠ ، وَالْبُخَارِيُّ ج ٦ ص ١١٩

(٢) الْمَجَادِلَةُ : ٩ .

(٣) فَصَلَتْ : ٥٠ .

و مرءه يطررون إلى الموت و هم فعراء شعث عرء ، فيردون بهم ويستحقرونهم
 فيقولون : أهؤلاء من الله عليهم من بينا ؟^(١) أو يقولون : لو كان خيراً ما سفقوا
 إليه ؟^(٢) و رتب انتباه الذي ينظم الشيطان في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن
 الله إلينا نعمه الذئب و كل نحس فهو نحس و كل محب و كل محب فإنه يحسن في المستقل .
 أيضاً كما قال الشاعر :

كما أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي

فإنما يعسر المستعمل على الماضي برابطه لكرامة والحب إذ يقول لولا أنني
 كريم عند الله و محبوب لما أحسن إلي ، و اللئيم يحب طمأنينة أن كل محسن محب لا بل
 تحب طمأنينة إبعاده عنه في الدنيا إحسان ، فعداً عثر بالله إذ يطمأن أنه كريم عنده بدليل
 لا يدل على الكرامة بل عند ذوي الصائر يدل على الهوان ، ومثاله أن يكون عبد الرُّحل
 عبداً صغيراً يبعث أحدهما و يحب الآخر فيأتي بحسنه يسمعه من اللئيم و يكرمه المكنت
 و يحسنه فيه لعلامة الأدب و يمنعه من المواقه و ملاذ الأطمع التي تضره و يسقيه
 الأدوية التي تنفعه ، والذي يبعث بهمله لتعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكنت
 و يأكل كل ما يشتهي فيطمأن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه
 مكنته من شهوانه و لذاته و ساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه و لم يحجر عليه ،
 و ذلك محض لعمور ، و هكذا نعم الدنيا و لذاتها فإنتها مهلكات و مبعثات من الله
 تعالى وإن الله يحمي عبده من الدنيا و هو يحسنه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام و
 الشراب و هو يحسنه ههنا و ردي الحصر^(٣) و كان أرباب الصائر إذا أقبلت عليهم
 الدنيا حرموا و قالوا : مست عجلت عقوبته و رأوا ذلك أماره الخف و الإهمال ، و
 إذا أقبل عليهم لعمر قالوا مرحباً بشعار الصالحين ، والمعروفون إذا أقبلت الدنيا
 عليهم طمأنوا أنها كرامه من الله و إذا صرعتهم طمأنوا أنه هوان كما أحسن الله تعالى
 عبد قال : فإمّا إلا يسان إذا ما تلبسته فأكرمه و نعمه في يقول ربّي أكرم من

(١) الاتمام : ٤٣ - (٢) الإخفاف : ١٠ -

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه و إسناده صحيح ٣٠٩ و صححه من حديث قتادة بن العباد .

وأما إذا ما ابتلي به فقد علمه رزقه ^(١) فيقول ربني أهاس - فأوحى الله عن ذلك - كذا ^(٢) .
 بين أن ذلك عرورٌ ، قبل - كذا بهما جميعاً بقوله « كذا » يقول ليس هذا
 بكرامتي ولا هذا بهو بي ولكن الكريم من أكرمه بطاعتي عيباً كان أو فعيماً .
 والمهين من أهنته بمعصيتي عيباً كان أو فعيماً وعد العرور علاجه معرفة دلائل الكرامة
 والهوان ، إتما بالصبره ، وإتما بالتقليد ، إتما بالصبره فمأن يعرف وجه كونه الانتفاع
 إلى شهوات الدنيا معداً عن الله تعالى ، وجه كونه التساعد عنها معرفاً إلى الله
 تعالى ، ويدرك ذلك بالألهم في مسائل العرفين والأولياء ، و شرحه في حملة علوم
 انكاشفه ولا يليق بعلم المعاملة و قامة فيه طريق لتفليد و لصديق فهو أن يؤمن
 بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله ^(٣) ، فقد قال تعالى « يا حييرون أتأما بمداهم
 به من مال و بين ^(٤) سارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ^(٥) »

و قال تعالى « سستندحهم من حيث لا يعلمون ^(٦) » و قال « فتخاضع عليهم
 أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذهم بغتة و داهم مبلسون ^(٧) »
 وفي تفسير قوله « سستندحهم من حيث لا يعلمون » تبهم كلمه أحدثوا دنياً
 أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم .

و قال تعالى « إنما مولي لهم ليردادوا ^(٨) » و قال تعالى « ولا تحسن
 الله عاقلاً عما يعمل الظالمون إنما تؤخرهم ليوم تمشح فيه لأبصار ^(٩) مهطعين
 مقمعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ^(١٠) » إلى غير ذلك مما ورد في كتاب
 الله تعالى و سنة رسول الله ^(١١) ، فمن آمن به حلس و بحاس هذا العرور و من
 مشأ هذا العرور الجهل بالله وبصغاته ، فإن من عرفه لا يأمس مكره ولا يعترف بأمثال
 هذه الحيلال الفاسدة و يطر إلى فرعون وقارون وإلى ملوك الأرض و كيف أحسن
 الله إليهم ابتداء ثم دمرهم بدميراً ، وقد حذر الله مكره و سستداحه فقال « ولا

(٢) المؤمنون : ٥٨ .

(١) الفجر : ١٥ إلى ١٨ .

(٤) الاسام : ٤٤ .

(٣) الاعراف : ١٨٢ .

(٦) ابراهيم : ٤٥ .

(٥) آل عمران : ١٧٣ .

يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا لِقَوْمٍ أَجْسَرُونَ^(١)

وقال بدلي «و مكر و امكر و مكر بامكر آوهم لا شعرون»^(٢) وقال
«و مكر و مكراته و الله حرم لما كرين»^(٣) او قال «و انهم يكبدون كيداً و كيد
كيداً و فمهن بكافرين أمهلهم و يدا»^(٤)

و كما لا يخفى ليعبد لهم أن يسئل به عيان لسيّد إيتاء و سكبته من المعص
على حبّ السيّد بن يعقوب أن يحدد أن يكون ذلك مكرآ منه ، مع أن السيّد لم
يحدّره مكر نفسه من أن يحبّ ذلك في حقّ الله مع يحدّره باستدراج اولي قار من
أمن مكر الله وهو معتزّ و مشوّع عبد الله و الله استدللّ بعين لدّيب على أنّه كريم
عبد المصم ، و حصل أن يكون ذلك دليل لهوان و سكر ذلك لا احتمال لا يوافق
الهوى فاشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافق و هو لصديق بدلائله
على الكرامة و هذا هو حدّ العزور .

الفصل الثاني هو عزور لعصاة من المؤمنين بالله بقولهم إن الله كريم وإنا
مرحون عنه و إنك اللهم علو ذلك و إهمالهم لأعمال و بحسن ذلك بتسمينهم
بمعصيتهم و معتزّهم رحمة و عطيتهم إسرّحاء معصم محمودي لدين ، فإن
نعمة الله و سعة و رحمته شاملة و كرمه عظم ، و أن معاصي لعصاة في بحر رحمته و
إنا موحّدون مؤمنون و مرحون بوسيلة الإيمان و رتبا كان حسنة رحمتهم التمسك
بصلاح الآله و علو رتبتهم كاعتراف العلوية بتسميتهم و محالفتهم سيرة آباءهم في لحوق
و التقوى و الورع ، و طسّم أنفسهم أكرم على الله من آباءهم إدا باؤهم مع غاية الورع
و التقوى كانوا حائضين و هم مع عيه انفسق و العجور آمنون^(٥) او ذلك نهاية الاعتراض

(٢) التل: ٥٢ .

(١) الاعراف: ٩٩

(٤) الطارق: ١٧ .

(٣) آل عمران: ٤٨ .

(٥) روى الصدوق - رحمه الله - في عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناد عن الوشاء

قال كنت بخراسان مع علي بن موسى عليه السلام في محله و ريد بن موسى حاصر قد أقبل

على جماعة في المجلس ففتح عليهم و يقول « نحن و نحن هؤلاء » أو بالعكس عليه السلام

فصل على قوم بحدّتهم فسمع مدّة ريد فاستأله و قال يا ريد أفرك قول ما نقلت

بالله تعالى ، فقيس الشيطان للعلوثة أن من أحب إنساناً أحب أولاده ، وأن الله قد أحب آباءكم فيحكم فلا يحتاجون إلى الطاعة ، ويسى المعروران بوحاصلوا ب الله عليه أراد أن يستحب ولده في السعية فقال « رب إن أبي من أهلي » فقال « إنني ليس من أهلي إني عمل عرس صالح » وإن إبراهيم استعمر لأبيه فلم يبعه ذلك وهذا نصاً اعتراف الله لأن الله تعالى يحب المطيع ويعص العاصي فكما أنه لا يعص الأب المطيع بعصه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحسه للأب المطيع ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأشثن يسري لعص أيضاً بل الحق أن لا ترورارة ورر حوى ، ومن من من نه سحو سموى نه كان كمن طر الله يشمع بأكل أبيه ، ويروى شرب أبيه ويصير علماً معلماً به ويص إلى الكعبة ويأراه بمشي أبيه فالتعوى فر من عي فلا يحري فيه والد عن ولده شيئاً وكذا العكس ، وعبد الله حراً ، التقوى يوم يعرف المرء من أحبه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه ، إلا على سبيل الشعاع من لم يشد عص الله عليه فمدر في الشعاع له كما سبق في كتاب الكبر والعجب .

باب قلب فأن لعلط في قول العصاة والمختار « إن الله كريم وإنا مروحو

، لكوفة « ان عاطية حبست فرجها صرم الله درسها على النار فو لله ما دأب إلا للعص والمعين وولد نبطها حاصلة فاما أن يكون موسى بن جعفر عبيها السلام بطيع الله و يهوى بهاره و يعوم ليله ، و تعبه أبت تم بحسن يوم العصابة سواه لايت اعز عسى الله عز وجل مه ، ان عسى بن الحسين عبيها السلام كان يعون « ليعسا كملان من لاجر و لميتا صعبان من العذاب » قال الحسن الوشاء تم التفت لى وقال لى يا حسر كيف تقرؤون هذه الآية « قال يا نوح انه ليس من أهلي نه عمل عرس صالح » فقل من الدس من يقرء « انه عمل عرس صالح » [على صفة المصدر] و منهم من يقرء « انه عمل غير صالح » [على صيغة عمل لمدسى] من قرء « انه عمل عرس صالح » [على صيغة المصدر] فقد نفاء عن أبيه ، فعن ~~الشيخ~~ كلاً لعد كان انه ولكن لما عصى الله عز وجل نفاء عن آبه ، كذا من كان لما لم يطع الله عز وجل فليس ما وأبت اد اطعت الله عز وجل فأبت ما أهل البيت .

مغفرته ورحمته « وقد قال - « أنا عند طي عدي بي فليطن بي حيراً » ^(١) فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب

واعلم أن الشيطان لا يعوي إلا إنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ، ولو لاحسن طاهره لما احدثت به العلوب ولكن النبي ﷺ كشف ذلك فقال « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، و الأحمق من أتبع نفعه هواها وتمنى على الله » ^(٢) وهذا هو النسبي على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال ، وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجو رحمة الله » ^(٣) يعني أن الرجاء بهم يليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أحر وأجود على الأعمال قال تعالى « رجاء بما كانوا يعملون » ^(٤) وقال تعالى « إنما توفون أحروركم يوم القيامة » ^(٥) أفترى أن من استؤجر على إصلاح أوان و شرط له أجرة عليها وكان الشارط كريماً يعني بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يريد فحماً الأجير وكسر الأواني وأفسد جميع ثم جلس ينتظر الأجر ويرغم أن المستأجر كريم أفيراه العتلاء في انتظاره متمنياً معروراً أوراخياً ، وهذا للحجل بالعرق بين الرجاء والغربة ، فإن من رجاً شيئاً طلبه ومن حاف شيئاً هرب منه ^(٦) . وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولداً وهو بعد لم يكح أو

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو سم في العلبة من حديث واثلة بن الأسقع

سند صحيح هكذا « ان الله يقول أنا عند طي عدي بي ان حيراً مضير و شرأ مشر »

(٢) رواه ابن ماجه في السنن تحت رقم ٤٢٦٠ كما تقدم .

(٣) البقرة : ٢١٦ . (٤) الواقعة : ٢٤ .

(٥) آل عمران . ١٨٣ .

(٦) في الكافي مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قيل له : قوم يسألون بالمعاصي ويقولون

مرجو فلا يرالون كذلك حتى يأتيهم الموت فقال « هؤلاء قوم يرجعون في الآماني »

كذبوا ليسوا راجين ، ان من رجاً شيئاً طلبه ومن حاف من شيء هرب منه » وفيه أيضاً قيل

له عليه السلام : ان قوماً من مواليك يملون بالمعاصي ويقولون مرجو ، فقال : « كذبوا ليسوا لما

سؤال ، اولئك قوم ترجعت بهم الآماني ، من رجاً شيئاً عمل له و من حاف من شيء

هرب منه » .

كسح ولم يخامع أو خامع ولم يزل فهو معنوه ، فكذلك من رح رحمة الله وهو سم
يؤمن أو آمن ولم يعمل له لئلاً أو عمل ولم يترك لمعاصي فهو معرور ، وكما أنه إذا
كسح ووطى ، وأنزل بقي مبرداً في الولد يحف ويرحو فصل الله في حلقه الولد
ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كمنس فكذلك إذا آمن وعمل
الصالحات ، ترك سبباً ، بقي مبرداً من الحروف ، الحرف ، يحف أن لا يعمل
منه وأن لا يثاب عليه وأن يحتم له بالسوء ويرحو من فصله أن يثبته بالقول أو الثابت
في الحجة الدنية في الآخرة ، يحفظ دينة من صواعق سكرات طوب حتى يموت
على الدوحيد ، يحرس قلبه عن العمل إلى الشهوات بمقتضى عمره حتى لا يعمل إلى
المعاصي فهو إدريس كيتس ، ومن عدا هؤلاء ، فهم المعرورون بالله ، سوف يعلمون حين
يرون العذاب من أصل سيلاً ، لتعلمن ساء بعد حين ، وعند ذلك يقولون كما
أحضر الله عنهم « ريتا أنصرا » ومعهم ، جمعاً بعمل صالحاً إن موفون ، ^(١) أي
علمنا أنه كما لا يولد ولد إلا بوقح وبكاح ، ولا يثبت رزق إلا بعد ثرة وثبات نذر ،
فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب ، حراً لا بعمل صالح ، فارجعوا بعمل صالحاً
فقد علمنا الآن صدقت في قولك « وأن ليس للإيسر إلا ماسى وأن سعيه سوف
يرى » ^(٢) « وكلما ألقى فيها قوح سألهم حزنهم ألم يأتكم نذير قلوا بلى قد
حاجنا نذير » ^(٣) أي ألم سمعكم سته في عبادة وأنه « توفى كل نفس ما كسبت »
وأن « كل نفس بما كسبت رهينة » فما الذي عرفكم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم ؟
« قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » فاعترفوا بنسبهم فسحقاً
لأصحاب السعير ^(٤) .

فإن قلب فاني مطقة الرُحمة ، وموضع محمود ؟ فاعلم أنه محمود في
موضعين ، أحدهما في حق المعاصي الممتهك إذا حطرت له الثوبة فقل له الشيطان : وأنتي
تقبل ثوبت ؟ فمطقة من رحمة الله ويحب عند هذا أن يقيم القنوط بالرحا ، ويندكر

(١) السجدة : ١٢

(٢) النجم : ٤٠

(٣) و (٤) الملك : ٨ و ١٠

أَلَّ اللهُ كَرِيمٌ يَغْفِرُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَأَنْ التَّوْبَةَ طَاعَةٌ بِكَفَرٍ الذُّنُوبُ قَالَ تَعَالَى
 « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
 جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْمُوا أَلَدًا ^(١) أَمَرَهُمْ بِالْإِيْمَانِ
 وَقَالَ « وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » وَأَمَّا بَابُ « آمَنَ » وَعَمَلُ صَالِحًا ثُمَّ أَهْدَى ^(٢) فِي دَا تَوَقَّعَ
 الْمَعْرِفَةَ مَعَ لَتَوْبَةٍ فَهُوَ رَجُوعٌ وَتَوَقَّعَ لِمَعْرِفَةٍ مَعَ لَا إِصْرًا فَهُوَ مَعْرِفَةٌ كَمَا أَنَّ
 مِنْ صَدَقَ عَلَيْهِ وَقَدْ جُمِعَتْ وَهُوَ فِي السُّبُوحِ فَخَطَرَ لَهُ أَنْ يَسْعَى إِلَى الْجَمْعَةِ فَقَالَ لَهُ
 الشَّيْطَانُ إِنَّكَ لَا تَذْكُرُ الْجَمْعَةَ فَأَقَمَ عَلَى مَوْضِعِكَ فَكُنْتُ الشَّيْطَانُ وَفَامَ يَعْنِي وَهُوَ
 بِرَحْمَةِ إِدْرَاءِ الْجَمْعَةِ فَهُوَ حَرْفٌ وَإِنْ اسْمُهُ عَلَى الْحَارَةِ وَأَحَدٌ بِرَحْمَةِ تَأْخِيرِ الْإِيمَانِ
 أَصْلَاهُ لَا حِلَّ لَهُ لِي وَسَطٌ لَوْ قُبِلَ لِأَحَدٍ عِبْرَةٌ وَلَسَبَّ مِنْ لَأَسَابِ لِّي لَا عَرَفَهُ
 فَهُوَ مَعْرِفَةٌ لَا عَمَالَةَ .

وَالثَّانِي أَنْ يَغْفِرَ نَفْسَهُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَيَقْتَصِرَ عَلَى الْفَرَائِضِ فَيَرْجُو
 نَفْسَهُ بِعَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ عَدْلُهُ بِالصَّالِحِينَ حَتَّى يَسْعَى مِنَ الرَّحْمَةِ شَاهِدَ الْعِبَادَةِ
 وَيَقْبِضَ عَلَى الْفَضَائِلِ وَيَذْكُرَ قَوْلَهُ تَعَالَى « وَقَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » الَّذِينَ هُمْ فِي
 صَلَاتِهِمْ حَاشِعُونَ . إِلَى قَوْلِهِ « أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ » الَّذِينَ يَرْتَوُونَ الْمَرْءَ دُونَ هُمْ فِيهَا
 حَاسِدُونَ ^(٣) فَالْرَّحَاءُ الْأَوَّلُ يَضْمَعُ الْمَوْضُوعَ الْمُنَافِعَ مِنَ التَّوْبَةِ : الرَّحَاءُ الثَّانِي يَضْمَعُ
 لِقَوْلِهِ الْمُنَافِعَ مِنَ التَّوْبَةِ وَالشَّيْطَانُ فَكُنْتُ تَوَقَّعَ حَتَّى عَلَى تَوْبَةٍ أَوْ عَلَى شَمْسَةٍ فِي
 لِعِبَادَةِ فَهُوَ رَجَاءٌ وَكُلُّ تَوَقَّعٍ أَوْحِبَ فَتَوَدَّ فِي لِعِبَادَةِ وَرَكُوبًا إِلَى لِبَدْلِهِ فَهُوَ عَرَفَهُ
 كَمَا إِذَا خَطَرَ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ الدُّنْيَا وَيَشْغَلَ بِالْعَمَلِ فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْطَانُ مَا لَكَ وَإِيْدَاءُ
 نَفْسِكَ وَتَعْدِيهَا وَلَيْتَ لَكَ كَرِيمٌ عَمُوا رَحِيمٌ فَيَقْتَرِدُ عَنْ لَتَوْبَةٍ وَالْعِبَادَةِ فِيهِ الْعَرَفَةُ
 وَعَدُّ هَذَا وَاحِدٌ عَلَى الْعَدَدِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْخَوْفَ فَيَحْذَرُ نَفْسَهُ بِعَيْنِ اللَّهِ وَعَظِيمِ عِقَابِهِ
 وَيَقُولُ إِنَّهُ مَعَ أَنَّهُ عَافٍ الذَّنْبَ وَقَابِلُ التَّوْبَةِ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ مَعَ أَنَّهُ كَرِيمٌ
 خَلَّدَ الْكُفْرَ فِي لَبَدٍ أَيْدِ الْآيَادِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَضُرَّهُ كُفْرُهُمْ بَلْ سَلَّطَ الْعَذَابَ وَالْمَحَنَ

(٢) طه : ٨٢ .

(١) الزمر ٥٣ و ٥٤ .

٣ الزمر ١ لى ١٢

و الأمراض و لعل و الفقر و الجوع على حلقه من عباده في الدنيا و هو قادر على
إدلتها فمن هذه سبته في عباده و قد حوطني عبده فكيف لأحافه و أعتربه ، و لحوف
و الرخاء قائدن و سائقن بعضن على العبد ، فما لا يبعث على العمل فهو من
و عرود ، و رخاء كافة الخلق هو سب فتورهم و سب إقبالهم على الدنيا و سب
إعراضهم عن الله و إهمالهم بسعيه للأحرار و ذلك عرود و قد أحسر النبي ﷺ و ذكر
أن العرود سعلت على أحر هذه الأمة ^(١) و قد كان ما وعد به ﷺ

فقد كان يس في لأعصار الأواء يوم اطمون على العذاب و يؤتون ما أنوا
و فاقهم ، حلة أديهم إلى رتهم راحوا ، يحافون على أنفسهم و هو طول اللبس و
لهم في طاعة الله سالعون في البقوى ، الحد من الشهوات ، الشهوات و يكون
على أنفسهم في الخلو و أقد لا فرى لليس أمير مسرور من مطمئن غير
حائب مع إكراههم على المعادى ، إكراههم في الله و إعراضهم عن الله تعالى
و أعرض أديهم ، انشغلوا بكافة و قصده راحوا لعنوا و معصية كآتهم يرعون
آتهم عرودا من كرم الله و فصله ما لم يده له ، لأديهم ، لسلف يصلحون في كان
هذا الأمر يدرك المني و سال بالهوى فعلى ، كان بكاء أهله ، حوهم و حوهم
و قد ذكر و تحقيق هذه الأمور في كتاب الرخاء ، و لحوف ، و قد قال رسول الله
ﷺ فيما رواه معمر بن يسار ، و نأتى على الناس زمانٌ يخلق فيه نمر آ في ولوب
الرخاء كما يخلق لثياب على لأديهم ، أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ،
إن أحسن أحدهم قال : ستمل متي ، إن أب ، قال يعفري ، فاحسر آتهم
بصعور لطمع موضع الخوف لجهلهم بتجويبات القرآن و ما فيه ، و يمثله أحرار عن
النصارى إذ قال : فحلل من بعدهم حلف و وثق ، لكنا (أي علماء) يأخذون
عرص هذا الأدي (أي شهواتهم من الدنيا خالاً أو حرماً) و يقولون سيعمر

(١) في حديث أبي نعيلة وقد تقدم

(٢) من لمرافى أحراره أو منصور ليسي في مسند العرود من حديث ابن

عاصم بن وهب ، و فيه حباله ، ولم أره من حديث معقل

لها^١، وفل يعالي ذلك من حاف معاني و حاف وعند^(٢)، والغرور أن من أوَّله
إلى آخره تحديق و تحوير لا يفتكر فيه منعكراً إلا و بطول حربه و يعظم حوجه
إن كان مؤمناً بما فيه و يرى الناس بهذا أنه هدأ، يخرجون الحروف من محار حها
و يتناطرون على رفقها و حفصها و نصها و كذاهم يعرفون شعر أ من أشعار العرب
لا يهتمهم، الالتفات إلى معاصيه و العمل بها فيه، هل في العالم غرور يريد على هذا؟
وهذه أمثلة لغرور الله وسان الغرور بين الرُّحاة و لغرور، ويعرب منه غرور و غرور
بهم طاعات و معاصي إلا أن معاصيهم أكثر و هم يتوقعون المعصية و يبطون أنه تتر حتح
كفاه حسمهم مع ن ما في كفاه السكت أكثر، هذا عينه الجهل فتري الواحد
يتصدق بدراهم معدودة من لالحلال و بحرام و يكون ما يتداول من أموال المسلمين
و اشتباه أصافه و لعل ما يصدق به من أموال المسلمين وهو يتشكل عليه و يطر
أن أكل ألف درهم حرام بموافقه لصدق عشرة من لالحلال أو الحرام و ما هو إلا
كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان و في الكفة الأخرى ألف و أراد أن يميل
الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل، نعم و منهم من يطر أن ساعاته
أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه و لا يتفقد معاصيه و يد عن طاعة حفظه و اعتد
بها كألدي يستعبر الله بلسانه أو يستح الله في اليوم مائة مرّة ثم يعتاب المسلمين و يمرق
أعراصهم و يتكلم بمال الله طول النهار عن غير حصر و عدد و يكون نظره إلى
عدد سبحته و أنه استعبر مائة مرّة و عد عن هديه طول بهاره ألدي لو كتبها لكان
مثل نسيجه مائة مرّة أو ألف مرّة و قد كتبه الكرام لكانون وأوعده الله العقاب على
كل كلمة و قال « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »^(٣) فهو أبداً يشغل في فضائل
التسبيحات و التهليلات و لا يلتفت إلى ما ورد في عقوبة المعاصي و الكذب و التسمين،
و الخافق يظهرون من الكلام ما لا يضره و إلى غير ذلك من آفات اللسان و ذلك يحص
الغرور و لغمره لو كان الكرام لكانون يطلون منه أ حرة النسخ لما يكنونه من هديانه

(٢) ابراهيم : ١٤

(١) الاعراف ١٦٦

(٣) سورة ن ١٧ .

الذي راد على مسيحه لكان عند ذلك بكت لسه حتى عن حمله من مهماته وما طوق به
في فتراته كان بعده و يخسه و يواريه بمسبحاته حتى لا يقصل عليه حرة نسجه ،
فيأعصا لمن يحاسب نفسه و محتاط خوفاً على قيراط يعونه في الأخره على المسح
ولا محتاط خوفاً من قوت نردوس الأعلی و نعمه ، ما هذه إلا مصنفه عظمه من
نمكر فيها وقد دفعنا إلى أمر من شككنا فيه كماً من الكفره الجاحدين وإن صدقوا
به كماً من الحمقى النعورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به المرآة و إن
سراً إني الله أن يكون من أهد الكفر فمسح من صدق عن التسه و اليسر مع
هذا البين و ما أخذ من يقدر على تسليط مثل هذه العمله و العرور على الملوك
أن يحشى و يتقي ولا يعثر به اتكلاً على أباطيل المني و تعديله لشيطان و لهوى

❦ (بيان أصناف المفترين و أقسام فرق كل صنف من الاصناف) ❦

الصف الأول أهل العلم والمعرفة من منهم فريق فرقة منهم أحكموا العلوم
الشرعية و العقلية و عمقوا فيها و اشتغلوا بها و أعملوا بعقد الخواص و حفظها
عن المعاصي و إلزامها الطاعات ، و عثروا بعلمهم ، و بنسوا أنهم عند الله مكان ،
و أنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يمدب الله مثلهم ، بل يقبل في الخلق شعاعهم
و أنه لا يطالبهم بدبوبهم و خطاياهم لكرامتهم على الله و هم معروفون فيهم لو
نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معامله و علم مكاشفه وهو العلم بالله
تعالى و صفاته المسمي بالعادة علم المعرفة ، و هذا العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال
و الحرام و معرفه أخلاق النفس المدعومه : المدعومه و كيفية علاجها و لزامها
فهي علم لا تراد إلا للعمل ولولا لحاحه إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة ، و كل
علم يراد للعمل فلا قيمه له دون العمل ، فمثال هؤلاء كمر يص به علة لا يزيلها إلا
دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا أحد في الأطباء فيسمى في طلب لطيب بعد
أن هجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء و فصل له الأخلاط
و أنواعها و مقاديرها و معادنها التي منها تختلف و علمه كيفية دق كل واحد منها
و كيفية الخلط والعجن ، فعلم ذلك منه و كتب منه نسخة حسنة بخط حسن و رجع

إلى بيته وهو يكرها و يقرؤها و يعلمها المرسى ولم يشغل بشرها و سعمالها ،
 أفترى أن ذلك يعني عنه من مر صد شيئاً عيباً عيباً لو كتب منه ألف نسخة وعلمه
 ألف مرص حتى شفى جميعهم و كرّره كل ليلة ثم لم يعبه ذلك من مرصه
 شيئاً إلا أن يرون له ذهب و شفاي له^(١) و يحفظه كما يعلم و يشربه و يصبر على
 مرارته و يكون شفاي و يفتنه بعد سديم لاجمه و جمع شروطه و إذا فعل جمع
 ذلك فله علم حذر عرشه فكيده^(٢) و به أصلاً فمبصر أن ذلك يكتبه
 و يشعبه فله طهر غروره و هكذا ستميه يدي أحكم علم الطب و لم يعلمه
 و أحكم علم المعاصي و لم يحسد^(٣) و أحكم علم الأخلاق و سموه^(٤) و به ردة و شبه
 منه و أحكم علم الأخلاق و سموه و لم يفتنه بها فله مع^(٥) و الله تعالى
 و قد أفصح من كتمانها^(٦) و لم يقل و أفصح عن علم كتمانها^(٧) و كتب عندها و
 علمه ليس^(٨) و عند هذا يقولون إنهم لا^(٩) و هذا المثال قال^(١٠) لعلم بالذو
 لا يري الأبرار و إنهم يطلبون الأبرار من شدة رغبته^(١١) و توبه و يعلم بحال الثوب
 و يملو عليه لا حذر لورده في فصل العلم قال^(١٢) كان السكك معوها^(١٣) و وافق
 ذلك مراده و هو و يفتنه^(١٤) و أهمل العلم و كان كتمان فيقول للشيطان
 أنكرني و قد نزل العلم و بسدي ما ورد في العالم له حذر^(١٥) أي لا يعمل بعلمه كقوله
 تعالى « فمثله كمثل هذا^(١٦) و حذر عليه يلهث^(١٧) » و كقوله تعالى « مثل الذين
 يحملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفار^(١٨) »^(١٩) أي حري أعظم من
 استمئيل بالكلب و الحمار^(٢٠) و قد قال النبي ﷺ « من أراد أن يعلم و هم يردون هدى
 لم يزد من الله تعالى إلا بعداً^(٢١) » (٢٢).

وقال عليه السلام « يلقى العالم في النار فيدلو أفتنه فيدور بها في النار كما
 يدور الحمار في الرحى^(٢٣) » (٢٤).

(١) الشمس ١٠ (٢) لا يعرف ١٧٦

(٣) الحمة ٥ (٤) تقدم في السبع الأول أبواب العلم

(٥) تقدم آتفاً عن أحمد و رواه في مسنده .

وقال **الشيخ** «شر الناس العلماء السوء» ^{١١} وقال **الشيخ** «وشر الناس عداً»
يوم القيامة عالم لم يسعه الله بعلمه» ^{١٢} وهذا أمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في
باب علامه علماء الآخرة أكثر من أن يحصى، لأن هذا عملاً لا توافق هوياً له لم العار
وما ورد في فصل العلم بواقعة فيمن الشخص قلبه إلى ما يهواه و ذلك عن العرور
فإنه ينظر بالصبره فمثله ما ذكره في نظر بعض الأبطال والذي أخرجه بمصيلة
العلم هو الذي أخرجه بدم لعلماء السوء، وأن حالهم عند الله تعالى أشد من حال المحتال
فبعد ذلك اعتقاده أنه على حرم مع تأكيد حجة الله عليه غاية العرور، وأما الذي
يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل ممن ويصير
أمر الله تعالى وحدوده وعززه أشد، ومثاله كمن أراد خدمة ملك فاعلمك وعرف
«خلاقه وأوصافه ونونه وشكله وطوله وعرضه وعدده ومحاسنه ولم يعرف ما حجة
ويكرهه وما يعصب عليه» ما يرضى به أو عرف به إلا أنه قد قصت خدمته وهو «الاس
بجميع ما يعصب به وعاطل عن جميع ما حجة من ربي وهيبته وكلام وحر كه وسكون،
وورد على ملك وهو يريد لتقرب منه والاحتصاص به منطلقاً بجمع ما يكرهه
ملك، عطلاً عن جميع ما حجة، متوسلاً إليه بعد فيه له في نفسه وسمه وبلده
وشكله وصورته وعاقته في سياسته علمه ومعاملة عبته وهذا معروف جداً في ديور
جميع ما عرفه واشتغل بمعرفة فقط معرفة ما حجة بكرهه لكان ذلك أقرب إلى
بلده لم يرد من قربه والاحتصاص به، بل يقصره في المعوى واتباعه للشبهات يدل
على أنه لم يكشفه من معرفته الله تعالى إلا لأسماء دون المعاني إذ لو عرف الله
بالحق معرفته لحشيه وتفاء قال الله تعالى «إنما يحشى الله من عباده العلماء» ^{١٣}
و «بحة الرثور» وأمر الحكمة خشية الله «وقال ابن مسعود «كفى بحشية الله

(١) أخرجه الرور من حديث معاذ بن عبد الله بن راس شرر لعلماء في الناس»

بمستاد حسن كما في الجامع الصغير وقد تقدم.

(٢) أخرجه الطبرسي في الصغير وفي عثمان لري فان لعلاس صدوق لكه

كثير القبط وصعبه أحمد و بسامي والد زقطي كما في مجمع الروايد ج ١ ص ١٨٥

(٣) فاطر: ٢٨.

علماً ، وكفى بلاغاً ، ان نالته جهلاً ،

فان لفيفه من فقه عن الله أمره . بهبه . فندم من معاقبه ما أحسنه وما كرهه ،
فهو العالم بالحققة ، ومن سر شته به خير بهقه في الدين ، ودا لم يكن بهذا
الصحة فهو من السعورين .

وهرة حري أحكموا لعلم ، لعن فواظنوا على الطعان اظاهره وبر كوا .
طعاصي لا أنتم لم ينفقوا فلوهم لمعوا عبي العفات لمدمومه عبد الله تعالى من
الكبر والحسد ، الرية ، طلب ان نسه والعلاء ، راره ، السوء ، الأقران ، النظراء ،
و طلب الشهرة في البلاد والعهد ، ثم لم يعرف بعضهم أن ذلك مدموم فهو مكب
عليه عن محرم عنها ولا يلعب إلى قوله عليه السلام : « ذم الرية ، شرك » ^(١) ، و إلى
قوله : « لا يدخل الجنة من في فقه معال دة من لبر » ^(٢) ، و إلى قوله : « الحسد
يكل الحسرات كما ، يأكل النار الحطب » ^(٣) ، إلى قوله : « حب اعدا والشرف
يسب البقا ، و القلب كما يلب الماء البعل » ^(٤) ، إلى غير ذلك من الأحكام التي
أوردناها في جميع رب المبلوك في الأخلاق المدمومة ، هؤلاء ، فواظنوا بهم وأهملوا
بواظنهم وسوا قوله عليه السلام : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما
ينظر إلى قلوبكم وعملكم » ^(٥) ، فتمتدوا الأعمال ، فتمتدوا القلوب ، والقلب هو
الأمر ، لا يحد ولا من أنى الله يعقب سليم . مثال هؤلاء ، كثير احش ظاهرها
حسن ، وبطنها شر ، أو كفو طوبى طاهره مريسة ، و بطنها حقة ، أو كيب مظلم
باطنه ووضع الساج على طاهره حتى اسبأ طاهره ، و بطنه مظلم ، أو كر حل قصد
صياقه المثلث إلى دارة فحصى باب دارة وترك المربايل في صدر دارة ، ولا يحصى أن
دبث عروذ بل قور مثال إليه ، حذر رج زعاً فب و نبت معه حشيش يفسده قأمر

(١) تقدم في كتاب دم العاه و الرياء .

(٢) تقدم في كتاب الكبر والعجب

(٣) تقدم في كتاب النصب والعقد والعسد .

(٤) تقدم في كتاب دم الدنيا

(٥) تقدم في كتاب عجائب القلب ظاهره

بنقمة الرُّع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يحرق رأسه وأطرافه فلا يزال يقوى
صله و يصب لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق النعمية في القلب فمن لا يظهر
لقلب منها لم تتم له الطاعات الطاهرة إلا مع الآفات الكثيرة بل هو كمرىص طهر
به الحرب وقد أضر بالطلاء : شرب الدواء ، فالطلاء ليريد ما على طهره و الدواء
ليقلع مادته من باطنه فقتل بالطلاء وترك الدواء و يعي يتناول ما يريد في المادة فلا
يرال يطلي الطاهر و الحرب دائم به يتفحتر من المادة التي في الباطن

و فرقة أخرى علموا هذه الأخلاق الساطنة ، وعلموا أنها منمومة من حبة
الشرع إلا أنهم لعنهم بأنفسهم يظنون أنهم معكفون عنها وأنهم أرفع عند الله
من أن يتنليهم بذلك وإنما يتنلي به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ، فأما هو
فأعظم عند الله من أن يتنليه ، ثم إذا طهر عليه محائل الكبر و الرئاسة و طلب لعلو
و الشرف قال : ما هذا كبراً وإنما هذا طلب عز الدين وإظهار شرف العلم وصرة
دين الله و إزعام أئمة المحالعين من المستدعين بما نبي لو لبست الدُّون من لثياب
وحلست في الدُّون من المحاليس لشمعت بي أعداء الذين وورحوانه وكان دلياً على
الإسلام و سبي المارور أن عدوّه الذي حذره مولاه منه هو الشيطان و أنه يفرح
بما يفعله ويسخر به ، و سبي أن النبي ﷺ بماذا يصير الدين و ماذا أرفع الكافرين ،
و نسي ما روي عن السلف من التواضع و التمدل و العساة بالعز و المسكة
حتى عوب بعضهم في زيادة ربه فعال إنا قوم أعرنا الله بالإسلام فلا نطلب
العز في غيره ثم هذا المارور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب
الدُّبني و الأبريسم ، المحرم و الحيول و المراكب و يرغم أنه يطلب به عز الدين
و شرف العلم و كذلك همما أطلق اللسان بحسد في أقاربه أو في من رد عليه شيئاً من
كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال : إنما هذا غضب للحق و رد على
لمس في عدوانه و ظلمه و لم يظن بنفسه أن ذلك من الحسد حتى يعتقد أنه لو
طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رئاسة و زوجه فيها هل كان غصه و
عداوته مثل غصه الآن فيكون غصه لله أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر و منع

رتبه يفرح به فيكون غصه نفسه ، حسده لأقربائه من حيث ناطقه و هكذا
 نبي دمه له و يعذبه ، و يحظر به ، و ان الله قال هيهات يا عاصي من
 يظهر العزم ، و من قتل رجلا يجرى يجرى بين الله و يتخلصوا من عقاب الله
 لا يتقربوا له ، و ليس يفرح و قداء الله به كما يفرح باقتنائهم به فلو كان
 عرصه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن به عند مرضى بر يدمع الحثيم
 لم يفرح من أن يحصل نعاؤهم على يده ، و أن على به طيب آخر ، و قدما يدكر هذا له
 و في حلقه الشيطان أيضا من يجرى ، و لا يتم إلا الله ، و لا كان الآخر و
 الدواب لي و إنما فرحي سواب الله ، و إلى دموع الحق هذا ما بطه نفسه ، و الله
 يطلع من صميمه على أنه يوأخذه من ثوبه في الدمار و إحداه العدم أكثر
 عن ثوبه في الإطهار ، و حسن مع ذلك في سخن و قد بالسلاسل لاحتال في هدم
 اسحق و حل السلاسل حتى جمع ، و هو سعة آتية به يظهر رؤسها من مدرس
 و عطف أو غيره ، و لا يدرك على بسطه و سورته إليه و نفي عليه و يتواضع
 ، و إذا جدد له أن الله له ، و لا يظفر بضمه حتى ، و قد له لستطال هيهات
 إنما ذلك عند التمتع في مديهم ، و الله ، و قد نكث المسلم و قد دفع الضرر
 بهم و دفع شأ أعذائهم عن نفسه ، و الله يعلم من ، و الله أنه أوسع لبعض أقربائه و هو
 و ذلك السلطان قص ، و الله في كبر مسدود حتى يذهب له ، و عن جميع المسلمين
 ثقل ديب عنه ، و لو قد على أن يفتح به عند ، و لطف فيه و يكذب عليه
 مل و كذبه قد ينهي عنه ، و الله يعلم ، و الله يأخذ من ما هم و إذا حطر به أنه
 أم قال به الشيطان ، و الله ، و الله له و هو لم ينج المسلمين ، و الله إمام المسلمين
 عالمهم و بيث قوام دين الله ، و لا يحرك أن تأخذ و قد حثت ، و فيهم بهذا التلخيص
 في ثلاثة أهور أحدها و الله ما لا لك له و الله يعرف أنه يأخذ ، و لرحاح من
 المسلمين و أهل لست و الأديين أحد منهم أحب ، و الله ، و ولادهم و ورثتهم أحباء ، و
 يهده الأمر و فوح لحظ في هو لهم و عن عصب مائة دية ، و عن عشرة أنفس و خلطها
 فلا خلاف في أنه سال حرام و لا يعال هو ما لا مالك له و يجب أن يقسم بين

العشرة وبرد إلى كن واحد عشر وبن كل من كن واحد قد حنطت من الآخر
 انشيت في قوته إني من مصلح مصلحهم في قيام الدنيا والهم أكبر قسم
 ديمهم واستحلوا أمور استألموا ورسم في صلب الدنيا لا في الدنيا ثمانية و
 الإعراس عن الآخرة سبعة أكثر من تين هذه في الدنيا ورحمةها وأقربوا
 على الله وبن علي لمحقق دحل الدنيا في قوته مصلح الدنيا لا في الدنيا
 الإمام هو الذي يقضي به في الدنيا من الدنيا في الدنيا على الله كالأمة و
 مناصبهم وانحل هو بني عرور في الدنيا في الدنيا لا في الدنيا على الله
 و لمن موت من هؤلاء أجمع المصالح في الدنيا في الدنيا في الدنيا و
 كما قال عيسى عليه السلام في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا هي
 شر الدنيا و لا هي شر الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا

و من عرور أهل الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير -

وفرقه أخرى أمور عدة في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 مظهر طبعي في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 واحمد في طلب الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 احببته الفوت في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 لشيطان و حمار حمار في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 إنما مثاله من يريد تنبيه لروح من الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 فعلمه إلا أنه لم يفتش عمالم يخرج منه من الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 ويرد ، وكان قدس من أصول الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 هو يضئ أنه قد اقتلعت في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 من حيث لا يدري ، فكذلك الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 والنفق الدقيق فنراه يسير لله في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا
 و جمع التصديق فيها هو يري في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا في الدنيا

و لعلّ باعنه الحمي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف و كثرة الرحلة إليه من الآفاق و إطلاق الألسنة عليه بالشا، والمدح والرّعد والورع والعلم والتقديم به في المهمّات وإثارة في الأغراض و الاجتماع حوله للاستفادة والتلذّد بحسب الأصحاء عند حسن اللّفظ والإيراد والتمتّع بحريك الرؤوس على كلامه والمكاشفة عليه والتعجب منه و الفرح بكثرة الأصحاب والمستفيدين و السرور بالتخصّص بهذه الخاصيّة من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الرّعد والتمكّن به من إطلاق لسان الطعن في الكافة المتقبلين على الدنيا لا عن تعجّب بمصيبة الدّين و لكن عن إدلال، التمييز و اعتداد بالتخصيص ، و لعلّ هذا المسكين المعروف حياته في الباطن بما انتظم له من أمر و إماره و عرّ و انقياد و توفير و حسن ثناء، فلو عبّرت عليه العلوب واعتقدوا فيه خلاف الرّعد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوّش عليه قلبه و يحتلط أواده و وطائعه ، و عساه يعتدّ بكلّ حيلة أنفسه وربما يحتاج إلى أن يكتب في عطية عبه و عساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الرّعد والورع و إن كان قد اعتقد فيه فوق قدره و يسوق قلبه عن عرف حدّ فضله و ورعه و إن كان ذاك على وفق حاله ، و عساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنّه يؤثره لتقدّمه في الفضل والورع وإتّما ذلك لأنّه أطوع له وأتّسع لمراده وأكثر ثناءً عليه وأشدّ أصحابه إصحاء، إليه و أحرص على خدمته ، و لعلّهم يستفيدون منه و يرفعون في العلم و هو يظنّ أنّ قبولهم لإخلاصه و صدقه و قيامه بحقّ علمه فيحمد الله تعالى على ما يترّ على لسانه من منافع جليلة ويرى أنّ ذلك مكفّر لدنوبه و لم يتفقّد مع نفسه تصحيح المسّه فيه ، و عساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إثارة الحمول والعزلة و إحصاء العلم لم يربح فيه لمقدّمه في العزلة والاحتفاء لدّة القول و عرّة الرّئاسة و لعلّ مثل هذا هو المراد بقول الشيطان : من رعم من ابن آدم أنّه بعلمه، متعّ متي فيجعله وقع في حائلي و عساه يصتفّ ويحتهد فيه ظانّاً أنّه يجمع علم الله ليتفعّ به و إتّما يريد استطارة اسمه بحسن التصديق فلو ادّعى مدّع تصديقه و عساه اسمه و نفسه إلى نفسه فعل عليه ذلك مع علمه بأنّ ثواب الاستعادة من

التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله عالم بأنه هو المصنف لا من ادّعه و لعلّه في
نصيبه لا يحلو من الثناء على نفسه إمّا صريحاً بالدّعاء الطويلة العريضة ، و إمّا
صماً بالطعن في غيره ليستبين من طعمه في غيره أنّه أفضل ممّن طعن فيه و أعظم به
علماً و لقد كان في غنية عن الطعن فيه و لعلّه يحكي من الكلام المرفيع ما يريد
تربيته فيعبره إلى فائله و ما يستحسنه و لعلّه لا يعبره إليه لظنّ أنّه من كلامه
فيقله بعينه كالسارق له أو يعبره أدنى تعبير كالذي يسرق فيصاً فيستحده فاه حتى
لا يعرف أنّه مروق و لعلّه يحتشد في تربيته لعاظه و تسجيها و تحسن نظمها كيلا
يسب إلى الركاكة و يرى أنّ عرصه ترويح الحكمة و تحسيسها و تريبها ليكون
أقرب إلى نفع الناس و عساه عاقل عما روي أنّ بعض الحكماء وضع ثلاثمائة وستين
مصحفاً في الحكمة فوحي الله إلى نبيّ رماه فل له و دملأ الأرض بفاقاً و إني
لا أقبل من بفاق شئناً و لعلّ جماعة من هذا الصنف من المعترّين إذا جتمعوا
ظنّ كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب العلوب و حماهاها ، فلو افترقوا و اتّسع
كل واحد منهم فرقة من أمحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يسهه و أنّه أكثر نفعاً
أم غيره فيعرض إن كان أتباعه أكثر وإن علم أنّ غيره أحقّ بكثرة الاتباع منه حسده ،
ثمّ إذا تمزّقوا واشتغلوا بالآفاده تعابروا و تحاسدوا و لعلّ من يختلف إلى واحد
منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه و وجد في نفسه بعره منه فبعد ذلك لا
يبتزّ باطنه لا كرامه و لا ينشمر لقضاء حوائجه كما كان ينشمر من قبل و لا يحرص
على الثناء عليه كما أثنى من قبل مع علمه أنّه مشغول بالاستفادة ، و لعلّ التحير
منه إلى فئة أخرى كان أنفع له في ديه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة
و سلامته منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تردّ البقرة عن قلبه ، و لعلّ واحداً منهم
إذا تحرّكت فيه مادي الحسد لم يقدر على إظهاره فعملّ بالطعن في ديه وفي ورعه
ليحمل غصه على ذلك و يقول : إنّما غضبت لدين الله لا لنفسي ، و مهمّ ذكرت
عيوبه بين يديه ربّما فرح به ، و إن أثنى عليه ربّما ساء و كرهه ، و ربّما قطن وجهه
إذا ذكر عيوبه يظهر أنّه كاره لعينة المسلمين و سرّ قلبه راض به و مرید له ، والله

مطلع عليه في ذلك . فقد و أمثاله من حفايا العيوب لا يعطى لها إلا الأكيس .
ولا يترد عنها إلا الأقوياء . ولا عظمع فيها لأعدائها من لصعه . لأن أقل الدرجات
أن يعرف الإنسان عيوب عه ويسوء ذلك . يكرهه . يحرم من على إصلاحه . فإذا
أراد الله تعالى بعد حراً أخته . يعيوب نفسه . ومن سره حسنة . ساءته سيئته
فهو مرحوم . الحار . و سره أقرب من المعروف المرقى . نفسه ائتمن على الله تعالى
بعلمه . عمله . لظن . ومن « ما حلفه في عورته من العفلة » لا عرار . ومن المعرفة
بحفاد العيوب مع الإحسان . و ما عر . الذين حصلوا العلوم المهمة . لكن
قصروا في إتمامها . فلم يكر الآخرة . كثير ففهموا من العلوم بما لا يفهم
و . كذا المهم . فهم معفو . إما لأضعائهم عن ضل . لعلم . وما لا يقصدهم عليه
فهمهم . و قد قرأ على علم الله في الحكومات والخصومات . فحصل
المعاملات . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
سوء الفهم . علم . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
يفقه ما أجود . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
عن المشي . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
والحسد . و سائر المهلكات . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
الآخر من حد . اعلم . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
المريض . اعلم . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
من به علة الموت . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
استعماله . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
لا يحسن . و لا يستحسن . لكن يقول ربما يقع علة الاستعاضة لامرأة وسألني عما
. و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
أشبهت . والحسد . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
فل التوبة . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .
اسلم . و قد قرأ على الله . و قد قرأ على الله .

سكنات الحص وهو لا يحتاج إلى شيء من تلك قط في عمره لنفسه وقد احتاج غيره
 كان في أمم كثيره فمشغل به في الحروب يستغل فيه من أحواله المال وأثر نفسه
 وقد دهاه الشيطان في يشغل به بطشه في نفسه أتم مشغول بقرص كفايه يسته
 وليس يدري أن الاشتغال به في ذلك قد ضل عن قرص الحق معصمه هذا لو
 كانت بدته صحيحة كما قل ٩ كان قد وجد نفسه في حبه لله تعالى في ربه وإن قصد
 وحده الله فهو ناشغل عنه مغرب عن حبه لله تعالى في حبه وحده فلهذا غروره من
 حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم فحدث نفسه على علم بشاري ومن أنه
 علم أدب في ذلك علم كتاب الله ٩ ربه بدته في نفسه على سجدتين وقال إنهم
 بقلة أحواله وحملة الله لا يعرفون ٩ أنقص علم بهد لا خلل ولا ترك العقبة
 عن الله بأدراك حاله ٩ عظيمة ٩ هو لعلمه الذي يورث بحوى إلهية والخشوع و
 بحمل على ٩ هو في الله أم من الله معبر ٩ به ما كالأعلى أنه لا بد وأن يرجمه
 فإنه قوم ربه وإنه لو لم يشتغل بالفتاوى لبعث لجلال ٩ الحزم وقد ترك العلوم
 الذي هي أهم ٩ هو في الله معبر ٩ به ما كالأعلى أنه لا بد وأن يرجمه
 ٩ لم يدرك ذلك لفقه هذه الفقه عن الله في معرفته به به رجوة ٩ وأمر حو
 ليستشعر العباد الخوف ويلزم الله تعالى إذ قال تعالى ٩ فلو أن من كل قرية
 منهم ذئبة لفتنهم في الدين ولستروا نومهم ٩ جعد إليهم ٩ الذي
 يحصل الأتداء غير هذا العلم ٩ معصوم ٩ هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات
 وحفظ الأبدن بالأموال وسوق لقلب وأجر أحوال ٩ المال في طريق الله تعالى
 آله والسن من كتب ٩ إنما العلم أهم ٩ هو معرفه سلوك الطريق وقطع عنفات لعل
 التي هي الصعاب المدهومة فهي لاجتباب بين بعدد من الله تعالى وإدابات مدهوش
 ثلث الصعاب كل محجوبة عن الله تعالى ٩ فمثلة في لأفصر على علم لفقه منا
 من أفصر من سلوك طريق ٩ يحج على علم حرر لرويه ٩ جعد ولا يشك ٩
 أنه لو لم يكن لنتهطل الحج ولكن المعتصر عليه ليس من محتاج في شيء ٩ وقد

ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافات ولم يهتمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم ودفع الحق لأجل العلبة والمهااة فهو طول الليل والسهر في التعيش عن مناقصات أرباب المداهاة والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التسيبات المؤدية ، و هؤلاء هم ساع الأيس طبعهم الإيداء وهمهم السعة ، ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم لمهااة الأقران . فكل علم لا يحتاجون إليه في المهااة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بسحو الصعات المدمومة و تبدلها بالمحمودة فإنهم يستحجرونه ويسمونه الترويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي بحري بين المتصارعين في الحدل و هؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين من قلمهم في علم العناوي لكن رادوا إذ اشتعلوا ، ما ليس من فروع الكفريات أيضاً بل جميع دقائق الحدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف . وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المداهاة وهو كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وهم معانيهما ، وأما حيل الحدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعديده فهي إنما أُنذعت لإظهار العلبة والإفحام وإقامة سوق الجدل بها ، فعرو هؤلاء أشد كثراً وأفسح من غرور من قلمهم .

وهرة أخرى اشتعلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالين وتنسج مناقضاتهم ، واستنكروا من معرفة المقالات المحتلعة واشتعلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإفحامهم و افرقوا في ذلك فرقاً كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بالإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم حدلهم وما يسمونه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصعاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يعتد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقان ضالة ومحقة ، والضالة هي التي تدعو إلى غير السنة ، والمحقة هي التي تدعو إلى السنة ، و الغرور شامل لجميعهم ، أما الضالة فلمعلتها عن صلالها وظنّها نفسها النجاة ، وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضاً وإنما است من حيث أنها لم تنهم رأياً ولم تحكم أولاً شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلاً والدليل شبهة ، وأما الفرقة المحقة

في ثَمَا اغترابها من حيث أنها طمست بالجدل أنه أهمّ، لأُمور وأفضل العربات في دين الله و رعت أنه لايسم لأحد دسه فلم يتحقق ولم يبحث وإن من صدق الله ورسوله من غير بحث و تحرير لئلا يفس مؤمن ولا يكمل ولا مقرّب عبد الله فلهذا الطر القصد ويطع أعماده في تعلّم الجدل في البحث عن الملال و هدايات المستندة و مناقضاتهم و أهدى نفسه في قلبه حتى عمى عليه ديوه و خطابه الطاهر و لسطه وهو بطر أن شعله بالجدل في « قرب عدا الله » فصل ولكنّه لا لئله « بعنه » ولا فحام ولذّة الرئاسة « غير الآلهة » إلى لذت عن من لله عصب بصره ولم يلتفت إلى القرن الأول وأنّ سيّئ تبيّح شهد لهم بأنهم حبر لخلق وأنهم قد أدركوا كثيرًا من أهل لدع و لأهواء فمجدوا أعمدهم « دينهم » من بالاحصومت والمحدلات وما اشغلوا بذلك عن بمقد قلوبهم و حوارهم و أحوالهم بل لم يتكلموا، فلهذا حدث دأوا، حاجه و توسعوا على من فكر و بعد الحاجة ما يدلّ الصل على صلاته، وإذا رآه مصرّاً على صلالة هجره وأعرضوا عنه وأنعصوه في الله ولم يلزموا الملاحه معه طول العمر بل قالوا « الحق هو الدّعوه إلى السّنة ومن السّنة نرك الجدل في الدّعوه إلى السّنة إدا رأى أنوأمه عن لسيّئ رآه أنّه قد « ما صل قوم قط بعد هدى إلا أتوا لجدل و حرموا لعمل »^{١١}

وخرج رسول الله ﷺ يوماً على أصحابه وهم يتجادلون و يحصصون فعصب عليهم حتى كادته فقى في وجهه حب الرّمات حمرة من العصب فقال « ألهذا بعثتم ألهذا أمرتم أن تصربوا كتاب الله بعصه بعض » اضطروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وإلى ما نهيتهم عنه فانشبوا »^{١٢}

فقد رجرهم رسول الله ﷺ عن ذلك وكانوا أولى خلق لله بالحجاج والجدال.

(١) أخرجه ابن ماجة بكت رقم ٤٨ و رواه أحمد و الترمذي و البخاري أيضا بكت

حسن وقد تقدم

(٢) أخرجه لبرار و الطبراني في الكبير نادى تدوت من حديث أبي سعيد بسند

صحيح وهي الاوسط من حديث أس و رجاله ثقات اتت كما في مجمع الروايد ج ١

ص ١٥٦ .

ثم إنهم رأوا النبي ﷺ وقد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس محادثة لإلزام وإفحام وتحقق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام ، فما حادلتهم إلا بتلاوة القرآن المبرر عليهم ولم يرد في المحادثة عليه لأر ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ، ثم لا يبعد على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن محادلتهم بالتفصيلات ودقائق الأقيسة ولم يعلم أصحابه كبيعة الحدل والإلزام

ولكن الأكياس وأهل الحرم لم يعترفوا بهذا وقالوا : نوحنا أهل الأرض وهلك لم تنفعنا بحاتمهم ، ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم ، وليس علينا في المحادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل ، وما ضيعوا العمر بتحرير محادلتهم فمالا يصيغ العمر ولا يصرفه إلى ما ينفع في يوم قمرنا وفاقنا ولم نحوس فيما لأمن على أنفسنا الخطأ في تعاضيله ثم نرى أن المشدع ليس يترك بدعته بحدالنا بل يريد التعتب والحصومة تشدداً في بدعته فاشتغالي بمخاصمته نفسي ومحاهدتها ومحادلتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لو كنت بم أنه من جدل والحصومة فكيف وقد نهيب عنه فكيف أدعوا إلى السنة بترك السنة فالأولى لي أن أعتقد نفسي وأنظر من صفاتها ما يعضه الله تعالى لأتبرأ عما يعضه وأنمسك بما يحببه .

وفرقة أخرى شغلوا بالوعظ وأعلامهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والسر والشكر والتوكل والرهبة واليقين والإخلاص والصدق و نظائره ، وهم معرورون يطمنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليهم فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منعكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا يبعك عنه عوام المسلمين ، وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويطمنون أنهم ماتت حروبهم في علم المحنة إلا أنهم محسبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم محضون وما دفعوا على حمايا عيوب النفس إلا وهم عنها مرثون ولولأنه مقرّب عند الله لما عرفه معنى العرب والبعد وعلم لسلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله ، فالمسكين

بهذه الظنون يرى أنه من الخائف وهو آمن من مكر الله . و يرى أنه من الرّحيم وهو من المعترّين المصيّعين ، و يرى أنه من الرّاضين بقضاء الله عزّ وجلّ وهو من الساحطين ، و يرى أنه من المنوكلين على الله وهو من المتكّلين على العزّ و الحياء و المال و الأساب ، و يرى أنه من المحلّصين وهو من المرّائين ، بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ، ويصف الرّياء ، و يذكره وهو يراني يذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه محلّص لمّا اهتدى إلى دقائق الرّياء ، و يصف الرّهبانيّة الدّنيا لشدة حرصه على الدّنيا وقوّة دعوته فيها ، وهو يظهر لدّعاء إلى الله وهو منه فارّ ، و يحوّف بالله وهو منه آمن ، و يدّكر بالله وهو له داس ، و يقرب إلى الله وهو منه متباعد ، و يبحث على الإخلاص وهو غير محلّص ، و يدّمّ لصعاب المذمومة وهو بها متبصّف ، و يصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشدّهم حرصاً ، لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس إلى الله تعالى لصاف عليه الأرض بما حبّ^(١) و يرغم أنّ عرضه لإصلاح الخلق ولو طهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه و صلحو ، على يديه ملأت عمّا و حسداً ، ولو أئتمى أحدٌ من المتردّين إليه على بعض أقرانه لكان أنفص خلق الله إليه ، وهؤلاء أعظم الناس عزّاً ، وأبعدهم عن التّسبّ و الرّجوع إلى السّداد لأنّ المرعب في الأخلق المحمودّة والمفزع عن المذمومة هو العلم بعوائلها وقوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينعمه . وشعله حبّ دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج و كيف سبيل تجويفه نفسه وإتّما المحوّف ما يتلوّه على عباد الله ويحافون وهو ليس بخائف نعم لوطن^(٢) نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودّة يمكن أن يدلّ على طريق الامتحان والتّحرية وهو أنه يدّعي مثلاً حبّ الله تعالى فما الذي تركه من محابّ الدّنيا لأجله ؟ و يدّعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ؟ و يدّعي

(١) أي ما تمت والرحب . سعة الكل ومنه رغبة المسعد ، ورغبة العادانست ،

واستعير لدواسع الجوف فعل رحب النطق ، ولواسع الصدر كما استعير الصيق لفضه قال

الله تعالى : « وصات عليهم الأرض ما رحمت » ويقال رحيب الضياء لمن كثرت غاشيته

وقولهم مرحباً و أهلاً أي وجب مكاناً رحباً . (قاله الراعي في معرّاته) .

الرُّهُد؟ وما لذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى؟ ويدعي الأس بالله، فمضى طيب له الخلوة؟ ومتى استوحش من مشاهدة الحلق؟ لا يليرى قلبه يمتلي بالخلوة إذا أحققه المريدون وتراه يستوحش إذا خلل الله تعالى، فهل رأيت عماً يستوحش من محبته ويستروح منه إلى غيره؟ الأ كياس يمتحنون أنفسهم في هذه الصفات ويطلبونها بالحكمة ولا يصنعون منها بالترويق بل بموثق من الله غليظ، والمعتزون يحسبون بأنفسهم الطيوس، وإذا كشف العطاء عنهم في الآخرة ينصحبون، بل يطرحون في الآخرة في النار فيندلجوا أقتبهم ويدورهم أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر^(١) لأنهم يأملون بالخير ولا يأنونه ويسبون عن الشر، يأنونه، وإتاما وقع العروق لهؤلاء لأنهم يصدقون من قلوبهم شيئاً صعباً من أصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والحقوق منه والرضا بفعله، ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل لعالمية في هذه المعاني فطبقوا أنفسهم ما قدروا على وصف ربك وما رزقهم الله علمه وما تقع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها وذهب عنهم^(٢) أن الأصول للكلام، والكلام للمعرفة، وحرمان اللسان والمعرفة للعلم، وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة، فلم يمارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والحقوق بل في القدرة على الوصف، بل ربما زاد أمه وقل خوفه وظهر إلى لخلق ميله، وصعب في قلبه حب الله تعالى، وإتاما مثله مثل مريض يصف المرض ويصف دواءه بمصاحته ويصف الصحة والشفاء، وغيره من المرضى لا يفكر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصافه، هؤلاء يعارقه في صفة المرض والاتصاف به، وإتاما يعارقه في الوصف والعلم بالطب فطنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالحقوق والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها، ومن التيس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور، فهذه حالة الوعاط الذين لا عيب في كلامهم، بل منهاج وعظم منهاج وعط القرآن

(١) تقدم غير مرة في هذا الكتاب.

(٢) ذهب عنهم أي حتى هم يدركوا

و الأخبار .

و فرقة أخرى منهم عدلوا عن امتهان الواجب في الوعد و عطاء أهل هذا الرمان كافة إلا من عصمه الله على الدور في بعض أطراف البلاد إن كان و لمسا معرفة فاشتعلوا بالعامات و الشطح^(١) و تلبق كلمات خارجة عن قیون الشرع و العقل طلباً للاغراب ، و طائفة شععوا بطیارب السکت و تسجیع الألفاظ و تلبقها فأكثر همهم في الاسجاع و الاستشهاد بأشعار الوصال و العراي و عرصهم أن یسکث في مجلسهم الرغبات و التواحد و لو على أعراض فسدت هؤلاء شياطين الإفساد ضلوا و أصلوا عن سواء السبيل فأبوا الأولی و إن لم یصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غیرهم و صححوا كلامهم و عظیمهم ، و أمّا هؤلاء فإتیم یصدون عن السبیل و یحرقون الحلق إلى العرور بالله بلعظ الرضا ، فیریدهم کلامهم حرأة على المعاصي و دعه في الدنيا لاسیما إذا کان الواعظ متریناً بالنسب و الحیل و المر کفایتة تشهد همتهم من قرنه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنیا فما یفسده هذا المعروراً کثیر مما یصلحه بل لا یصلح أصلاً و یضل حلقاً کثیراً فلا یجعی و حه کونه معروراً

و فرقة أخرى منهم قبعوا بحفظ کلام الرضا و أحادیثهم في دم الدنيا و هم یحفظون الکلمات على وحبها و یؤدونها من غیر إحاطة بمعانیها فبعضهم یفعل ذلك

(١) « طامات » می اصطلاح المراد ، و المتصوفة می المعرف التي تصدر عن لسان

السالك می أول سلوکه و می رسائل حواشی عداقه الانصاری ما لفظه

« طامات سخی » باشد ، ما مفهوم یا کاسی ، ما معنوم و عبارت از داشتن یا بشن و بداشتن است ، که حق از آن عاجز باشد و عمل در آن معجز باشد و مؤاد در آن معسر گردد و تمسک در آن متعسر گردد ، یا سخی باشد در هان می شرح و بیان ، شامد آنکه مارا باشد یا از آن معنی آگه باشد ، و سخی باشد که از وحشی صادر شود و گویند نه حاضر باشد « اه و الشطحة » الفرجة عن الاحکام المقررة و می اصطلاح المتصوفة الشطحات عبارة عن کلمات تصدر منهم می حالة القیونة و غلبة شهود الحق تعالی عليهم بحيث لا یسرعون حیث حیر الحق کقول بعضهم « یا الحق » و دلیس فی الجبة غیر الله ، قال می التاج ، می مادة بهم « لازم الخطوة و کانت له أحوال و شطحات » .

على المسابر و بعضهم في المحاريب و بعضهم في الأسوار مع الجلوس و كل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوقيّة والحديثيّة إذ حفظ كلام الرّهّاد وأهل الدّين دونهم - فقد أفلح وبال العرس وصار معهوداً له وأمين من عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره و باطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام الرّهّاد من أهل الدّين يكفيه و عرود هؤلاء أظهر من عرود من قبلهم

و فرقة أخرى استغرقوا أوقانهم في علم الحديث أغني في سماعه و جمع الرّوايات الكثيرة منها و طلب الأسانيد العربية العالية ، و همّة أحدهم أن يدور في البلاد يرى الشيوخ ليقول . أنا أروي عن فلان وقد لعبت فلاناً و معي من الأسانيد ما ليس مع غيره . و غرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الأسفار فأنهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنّة فعلمهم قاصر وليس معهم إلا العمل و يظنون أن ذلك يكفيهم و منها أنهم إذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بما فيها وقد يفهم بعضهم أيضاً فلا يعملون بها و منها أنهم ينزّكون العلم الذي هو فرس عينهم وهو معرفة معالجة القلوب و يشتغلون بكثرة الاسنادات و طلب الأسانيد العالية ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك و منها هو الذي أكث عليه أهل الرّهّاء أيضاً أنهم لا يعومون بشرط السماع فإن السماع بمحرّده و إن لم تكن له فائدة و لكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التعمّم بعد الإثبات و العمل بعد التعمّم ، فالأوّل السماع ثم التعمّم ثم الحفظ ثم العمل ثم الشرّ^(١) . و هؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبيّ يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبيّ يلعب ثم يكتب اسم الصبيّ في السماع فإذا كرر بعدد يسمع منه و لياليع الذي يحضر دتما يفعل ولا يسمع ولا يسعى ولا يضبط و ربّما يشتغل بالحديث

(١) في الكافي ج ١ ص ٤٨ عن أبي عبد الله ، عن آتائه عليهم السلام قال : جاء رجل

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال - يا رسول الله ما العلم ؟ قال - الإحصاء ، قال -

ثم مه ؟ قال : الاستماع ، قال - ثم مه ؟ قال - الحفظ ، قال - ثم مه ؟ قال : العمل به ،

قال - ثم مه يا رسول الله ؟ قال - نشره .

أو نسخ والشيوخ الذي يقرأ عليه لو صحف أو غير ما يعرف عليه لم يشعر و لم يعرفه
وكل ذلك جهل و غرور إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله ﷺ فيحفظه
كما يسمعه و يرويه كما حفظ فتكون الرأيه عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن
عن الرأيه عن سماعه من : رسول الله ﷺ سمعته من الصحابة أو التابعين و صار سماعه
عن الرأيه كسماع من يسمع من رسول الله ﷺ وهو أن تصي وتحمض وتروي كما
حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غير غيرك منه حرفاً أو أخطأ
علمت خطأ ، و لحفظك طريقان أحدهما أن تحفظ بالقلب و تستدime بالدكر و
التكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال و الثاني أن تكتب كما
تسمع و تصحح المكتوب و تحفظ كتابك حتى لا تصل إليه يد من يغيره و يكون
حفظك للكتاب معك و في حرارتك فيه لو امتدت إليه يدغيرك ربما غيرته وإذا لم
تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محموطاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مدكراً لما
سمعته و تأمن فيه من التعبير والنحرif فإذا لم تحفظ لالعلب ولا بالكتاب و جرى
على سمعك صواب عمل و فارق المجلس الذي فرأت فيه ثم رأيت سحبه لذلك الشيخ
و حوِّرت أن يكون ما فيه معبراً أو يفارق حرف منه من الدسحة التي سمعته لم يجر
لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فإياك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت
شيئاً يحالف ما فيه ولو في كلمة ، فإذا لم يكن معك حفظ بعلث ولا نسخة صحيحة
استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال تعالى : ولا تنف
ما ليس لك به علم ،^(١) وقول الشيوخ كلهم في هذا الرأيه ما سمعنا ما في هذا الكتاب
إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كتب صريح وأقل شروط السماع أن يجري الجميع
على سمعك مع نوع من الحفظ يشعر بالتعغير ، و لو حاد أن يكتب سماع الصبي و
الفاول والنائم الذي يدسح لحار أن يكتب سماع الصبي في المهد و سماع المحبون
ثم إذا بلغ الصبي و أفاق المحبون يسمع عليه و لا خلاف في عدم جوازه و لو حاد
ذلك لحار أن يكتب سماع الحين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في المهد

لأنه لا يفهم ولا يحفظ ، فالصبي الذي يلعب ، العاقل المشغول بالنسج عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ ، و هل للسماع مسند إلا قول رسول الله ﷺ « نصّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّأها كما سمعها »^(١) وكف يؤدّي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذا هو أفحش أنواع الغرور ، قد يلي به أهل الرّمس و هو احتياط أهل الرّمس لم يحدوا شيواً إلا ، الذين سمعوا في الصا على هذا بوجه مع العلة إلا أن للمحدثين في ذلك حاشاً وقولاً ، فحاش منس كمن أن يشدّوا ذلك فيقلّ من يجتمع لذلك في خلقهم فبعض حاشهم وتعلّ أبصاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عذبوا ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس بشرك إلا أن يقرع سمعه بدمعة وإن كان لا يدري ما يحري وصحة السماع لا تعرف من قول لمحدثين لأنّه ليس من علمهم بل من علم علماء أصول الفقه وما ذكرناه معطوع به في قوانين أصول الفقه ، فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا معرودين في إحصائهم على الفعل وفي إفاء أعمارهم في جمع لبرآيات والأسماء وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأحبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى ربّما يكفيه الحديث الواحد عمرأ كما روي عن بعض الشيوخ أنه حصر مجلس السماع فكان أوّل حديث روي قوله ﷺ « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعسه »^(٢) فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره فهكذا كان سماع الأكيّاس الذين يحدرون الغرور .

وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واعتزّوا به ورعوا أنفسهم قد عمر لهم وأتمم من علماء الأئمة إيقوام الدّين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأبى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثالهم كمن يعني جميع العمر في تعلّم الخطّ وتصحيح

(١) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٢٣٦ من حديث أس و تحت رقم ٢٣٠ من حديث

ديد بن حارث وغيره .

(٢) أخرجه الترمذی وابن مالك وقد تقدم .

الحروف وتحسينها ويرعى أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها
و تصحيحها و لو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ
كيف ما كان والباقي زياده على الكفاية ، وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة
العرب كلغة الترك والمضيق عمره في معرفة لغة العرب كالمضيق عمره في معرفة لغة
الترك والهند وإنما فادقتها لأجل درود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم العريين
في الأحاديث والكتابات ومن النحو ما يتعلق بالكتابات والسنن وأما التعمق فيه
إلى درجات لا تنهاه فمضول مستغنى عنه ، ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة
المعاني الشرعية والعمل بها فهو أيضاً معرور ، بل مثاله مثال من صيغ العمر في
تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو عرور إذ المقصود من الحروف
المعاني وإتقان الحروف طرق وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجين
ليريل ما بهن الصغراء فيضيع أوقاته في تحسين القدح الذي يحفظ فيه السكنجين
فهو من الجهال المعرورين ، وكذلك عرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءة و
التدقيق في مخارج الحروف ، هما تعمقوا فيها وتحردوا لها وعرضوا عليها أكثر مما
يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي مرسى عين القلب الأقصى هو العمل والتدقيق فوقه هو
معرفة العلم وهو كالقشر للعمل ، وكذلك بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع
الألحان وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة
إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم
بمخارج الحروف ، والقانون بهذه الدرجات كلهم معرورون إلا من اتخذ هذه
الدرجات منازل فلم يعرّج عليها إلا بقدر حاجته فيحاورها إلى ما ورائها حتى وصل
إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وحواجه ورحى عمره في حمل النعم
عليه ، وتصحيح الأعمال وتصعبتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدم
من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومسايل بالإضافة
إليه وكل من لم يلمع المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد
وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع أعترّ بها أربابها ، فأما علم الطب والحساب

والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم يبالون المعرفة بها من حيث أنها علوم و كان الغرور فيها أقل من الغرور بعلوم الشرع ، لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محموداً و لكن المحمود منه بعينه هو المنهى والناقي محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن ظنه مقصوداً و عرج إليه فقد اعتر به

وفرقه أخرى عظم غرورهم في فن العفة و ظنوا أن حكم العبد بيه و بين الله تعالى ينفع حكمه في مجلس القضاء هو صعدوا الحيل في دفع الحقوق و أساؤوا تأويل الألفاظ المسهمة و اعتروا بالطواهر و أخطأوا فيها و هذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه و الخطأ في الفتوى بما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فشير إلى أمثلة له فمن ذلك فتواهم بأن المرأة مهما أترأت الروح من الصداق يرى الزوج بيه و بين الله تعالى و ذلك خطأ من الروح فديسي إلى الروح و حقيقة حيث يضيق عليها الأمور سوء الحلق فنضطر إلى طلب الخلاص فنرى الزوج لتخلص منه و هو إبراء من غير طيبة نفس و قد قال تعالى و فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً^(١) و طيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس كالإنسان يريد الحمامة بقلبه و لكن تكرهها نفسه ، فإتما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لا عن ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين صردين احتارت أهوبها فهذه مصدرة على التحفيق بالإكراه الباطن نعم العاصي في الدنيا لا يطلع على القلوب و الأغراض فيطر إلى الإبراء الظاهر و إتيا لم بكرة بسبب ظاهر والإكراه الباطن ليس يطلع الحلق عليه و لكن مهما تصدق القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوباً ولا مفيداً في تحصيل الإبراء و كذلك لا يحل مال الإنسان أن يؤخذ إلا بطيبة النفس منه فلو طلب من إنسان مالاً على ملاء من الناس فاستحي من الناس أن لا يعطيه و كان يود أن يكون سؤاله في حلوة حتى لا يعطيه و لكن خاف لم مدمة الناس ، و خاف ألم تسليم المال و ردده عنه بينهما فاحتار أهون الأثنين و

هو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة ، إذ معنى المصادرة ، بيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب بذل المال فاحتار أهول الألمين والسؤال في مظنة الحياة ، والرّيا ، صرب للقلب بالسوط ، ولا فرق بين صرب البطن و صرب الطاهر عند الله ، فإنّ الطاهر عند الله طاهر ، وإنّما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بظاهر قوله « وهت » لأنّه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشرّ لسانه أو لشرّ سعيه فهو حرام عليه وكذلك كلّ ما يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ، إذ طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهمة وغيره إلّا إذا خلا الإيسر و احتياله حتى تسعث الدّواعي من ذات نفسه لا أن يضطرّ دواعيه إلى الحرّكة بالحيل والإلزام ومن ذلك هبة الرّحل مال الرّكوة في آخر الحول من روحته وانتهائه مالها إسقاط الرّكاة والعقبة يقول سقطت الرّكاة فإن أراد به أن مطالبة السلطان و الساعي قد سقطت عنه فقد صدق فإنّ مطمح بطرهم ظاهر الملك وقد زال ، وإنّ ظنّ أنّه يسلم في العيامة ويكون كمن لم يملك المال ، أو كمن ناع بحاجته إلى اسبيع لا على هذا القصد ، فما أعظم جهله بعبق الدّين و سرّ الرّكاه ، فإنّ سرّ الرّكاه تطهير القلب عن رذيلة الحبل فإنّ الحبل مهلك ، قال رحمهم الله « ثلاث مهلكات شحّ مطاع ، وإنّما صار شحّه مطاعاً بما فعله وفعله لم يكن مطاعاً فقد تمّ هلاكه بما ينظر أن فيه خلاصه فإنّ الله مطلع على قلبه وحسنه المال وحرصه عليه وإنّه بلغ على المال أن استنط الحيل حتى يسدّ على نفسه طريق الخلاص من الحبل بالحيل و العرور . ومن ذلك إماحة الله تعالى ما من المصالح للعقبة وغيره بفقد الحاجة ، و العقباء المعرورون لا يمiron بين الأمميّ و الفضول و الشهوات وبين الحاجات بل كلّ ما لا تتمّ دعوتهم إلّا به يروونه حاجة و هو محص العرور ، بل الدنيا خلقت للحاجة إليها في العادة و سلوك طريق الله ، فكأنّ ما تناوله العبد للاستعانة على الدّين و العبادة فهو حاجته ، وما عدا ذلك فهو فصوله و شهوته ، ولو دهنا نصف غرور العقباء في أمثال هذا الملائف مجلّداب و الغرر التنبيه على أمثلة تعرف الأجاس دون الاستيعاب ، فإنّ ذلك يطول .

الصف الثاني أرباب العادة و العمل و المعرورون منهم فرق كثيرة

فمنهم من عروره في الصلاة و منهم في تلاوة القرآن و منهم في الحج و منهم في الصوم و منهم في العرو و منهم في الرهد و كذلك كل مشغول بمسح من مباح العمل فليس حالياً من عرور إلا الأكاس و قليل ما هم ، و منهم فرقة أهملوا العرائص و اشتغلوا بالعصائل و النواهل و ربما تعمقوا في الفصائل حتى حرقوا إلى العدور و السرف كالآدي تعلب عليه الوسوسة في الوصو فيبالغ فيه ولا يرضي الماء المحكوم بظهوره في فتوى الشرع و يقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في الحاجة وإذا آل الأمر إلى الأكل الحلال قدر الاحتمالات العريضة بعيدة و ربما أكل الحرام المحصر ، ولو اقبل هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة ، ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صفة الماء و ذلك مهيء عنه ^(١) ، و قد يطول الأمر حتى يضيّع الصلاة و يحرقها عن وقتها و إن لم يحرقها عن وقتها أيضاً فهو معرور لما فانه من فصيلة أول الوقت و إن لم يفقه فهو معرور لإسرافه في الماء و إن لم يسرف فهو معرور لتضييعه العمر الآدي هو أعم الأشياء فيماله ممدوحة إلا أن الشيطان يصدأ اخلق عن الله بطرق شتى و لا يقدر على صد العباد إلا بما يجهل إليهم أنه عبادة فيعتد بهم عن الله بمثل ذلك .

وفرقه أخرى علت عليها الوسوسة في بية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعمد بتمته صحيحه بل يشوش عليه حتى تقويه الجماعة و يحرق الصلاة عن الوقت و إن تم تكبيره فيكون في قلبه معد برد في صحة بيته و قد يوسوس في التكبير حتى قد يعبرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ، ثم يفعلون في جميع الصلاة و لا يحضرون قلوبهم و يعترفون بدلت و يظنون أنهم إذا أتعوا أنفسهم في تصحيح النيّة في أول الصلاة و تمسكوا عن العادة بهذا الجهد و الاحتياط فهم على خير عند ربهم .

وفرقه أخرى تعلب عليها الوسوسة في إحراج حروف العاتحة و سائر الأذكار من محارحها ، فلا يزال يحتاط في التشديدات و العرق بين الصاد و الظاء و تصحيح

مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهتم به غيره ولا يتفكر فيما هو داهلاً عن معنى القرآن والاتعاط به وصرف الهم إلى فهم أسرارها . وهذا من أفصح أنواع العرور ، فإنه لم يكلف الحلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا لما حثرت به عدتهم في الكلام ، ومثل هؤلاء مثال من حل رسالة إلى مجلس سلطان فأمر أن يؤد بها على وجهها فأخذ يؤدّي الرسالة ويتأق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى ، وهو في ذلك غافل عن معصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس ، فما أحرأه بأن نعام عليه السياسة فيرد إلى دار المحاسن ويحكم عليه بعقد العمل وفرقة أخرى اعترضوا بقراءة القرآن فيهدونه هداً^(١) ، وربما يحنمون في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يحري به وقلبه يتردد في توديه الأمانى إذ لا يتفكر في معاني القرآن ليسر حريروا حره ، ويشعظ بموعظه ، ويعف عن أوامره وبواهبه ، ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة ، فهو معرور يظن أن المقصود من إيراد القرآن الهمهمة به مع العطف عنه ، ومثاله مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والبواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه ، فهو مستمر على خلاف ما أمر به مولاه إلا أنه مكرّر^٢ للكتاب بمعتمه وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ، ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو معرور ، نعم تلاوته إنما يراد بكيلا ينسى بعد ولحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والاستعانة بمعانيه ، وقد يكون له صوت طيب فهو يفرّقه وينتد به ويعتبر باستلذاده ويظن أن ذلك لذّة مباحة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذّة في صوته ولوردد الحادة يشعر أو كلام آخر لا لذّة به ذلك الاستلذاد فهو معرور إذ لم يتفقد قلبه ويعرف أن لذّة تكلام الله من حيث نظمه ومعانيه أو بصوته

(١) قال الزمخشري في الأساس : هذه هداً أسرع قطعه ، وسكين حدود ، ومن

لعمار هذا القرآن وهو بهذه هداً إذا أسرع فيه وتناه ، ومنه قول روضة : « صرنا هداً ديك وطننا وحضنا » .

وفرقة منهم اغترؤوا بالصوم وربما صاموا الدهر و صاموا الأيام الشريعة وهم فيها لا يحفظون أنفسهم عن العسة وحواطرهم عن الرّياء و يطوبهم عن الحرام عند الإفطار و أنفسهم من الهديان بأنواع العصول طول النهار و هو مع ذلك يظنّ بعسه الخير يهمل الفرس و يطلب العقل . ثم لا يقوم بحقه و ذلك عاة العرور

وفرقة أخرى اغترؤوا بالحب فبحرحون إلى الحب من غير خروج عن المظالم و قصه ، لديون ، واسترصار ، لوالدين ، وطلب الرّاء الحلال ، و قد يفعلون ذلك بعد سقوط حقه الإسلام و يصنعون في الطريق الصلاة والعرائس و يعجزون عن طهارة الثوب و البدن و ينعرو صون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحدرون في الطريق عن الرّوت و الخصام . و ربما جمع بعضهم الحرام و أبعه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرّياء فيعصي الله في كسب الحرام أولاً و في إتقائه بالرّياء ثانياً فإلهوا أحدهم من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحصر البيت بقلب ملوث بر دائل الأخلاق و دمائم الصفات لم يقدم تطهير قلبه على حصول ربّه ، وهو مع ذلك يظنّ أنّه على خير من ربّه وهو مغرور .

وفرقة أخرى أحدث في طريق الحسة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسكر على الناس و يثمرهم بالخير و يمسى نفسه فإدا أمرهم بالخير عيب و طلب الرّئاسة والعروة و الجاه ، وإدا باشر هو بنفسه مكرراً و ردّ عليه عيب ، وقال أنا المحتسب فكيف ينكر عليّ . وقد يجمع الناس إلى مسجده . و من تأخّر عنه أغلظ القول عليه و إنّما عرصه الرّياء و الرّئاسة ولو قام بنهضة المسجد غيره لجرّد عليه (١) بل منهم من يؤدّر لله ولو حاه غيره فأدّن في وقت غيبته قامت عليه القيامة ، و قال : لم احد حقّي و رحمني على مرستي ، و كذلك قد يتغلّد إمامه مسجد و يظنّ أنّه على خير و ربما عرصه أن يفال : إنّه إمام المسجد ولو تقدّم غيره ولو كان أروع منه وأعلم ثقل عليه

وفرقة أخرى حاووا بمكة والمدينة واغترؤوا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم

(١) أي غضب عليه .

يطهر واطاهرهم وباطنهم ، قلوبهم معلقة ببلادهم ملتصقة إلى قول من يعرفه أن فلان محاور بمكة تراه يتحدث و يقول قد حاور بمكة كذا وكذا سمع أن كذا ذلك فيصيح برك صريح ، يتحدث و أحب أن يعرفه الناس بذلك ، ثم إنه يحاور و يمدح طمعه إلى أوساح أموال الناس فإذا جمع من ذلك شيئاً شح عليه وأمسكه ولم تسمح نفسه تلقمه يصدق به على فقير فيطهر فيه الرية والنحل و الطمع و جملة من المهلكات كان عنها معرول لو برك المخاورة ولكن حب المجد و أن يقال إنه من المخاورين ألومه المخاورة ولكن مع التصنع بهذه الرذائل وهو أيضاً معرور ، وما من عمل من الأعمال ولا عمادة من العمادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مدخل آفاتها و اعتمد عليها بعير معرفة فهو معرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتاب إحياء العلوم فيعرف مدخل العرور في الصلاة من كتاب الصلاة ، وفي الحج والركاة وسائر الفرائض من الكتب التي رتبناها فيها ، و إنما العرور لأن الإيشاء إلى مجامع ماسبق في الكتب .

وفرة أخرى ترهنت وبيع من اللبس و لطعم بالدون و من المسكن بالمسجد و بنت أمها أدركت ربه الزهاد وهو مع ذلك اعني الرئاسة و الجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمحرر الزهد فقد برك أهول الأمور ربه ، بأعظم المهلكين في الجاه أعظم من اهل ، ولو برك الجاه وأحد المال كان إلى السلامة أقرب وهذا معرور إذ طرأ أنه من الزهاد في الدنيا ، وهو لم يعرف معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذتها الرئاسة ، وإن الرابع فيها لاندأ أن يكون مافقاً وحسوداً ومتكسراً و مراتباً و متصفاً بجميع حداث الأخلاق ، نعم وقد يترك الرئاسة و يؤثر الخلوة و العزلة وهو مع ذلك معرور ، يتناول بذلك على الأغنياء و يحش معهم الكلام و يطر إليهم بعين الاستحقر و يحوسبهم أكثر مما يحولهم ويعجب بعمله ويتصف بحمله من حداث العلوب و هو لا يدري و إنما يعطي المال فلا يأخذه حبه من أن يقال بطل زهده ، ولو قبل له إنه حلال فحده في الطاهر وردة في لاطن لم تسمح به نفسه خوفاً من دم لابس فهو راعب في حمد الله وهو من الذئاب أبواب الدنيا

و يرى نفسه أنه راقد في الدنيا وهو معرور و مع ذلك فرمّا لا يحلو عن توقير الأعياء و تقديمهم على الفقراء والميل إلى المرئيين له و المثمين عليه و البقرة عن المائلين إلى غيره من الرماة و كل ذلك خدعة و عرور من الشيطان و في العباد من يشدّد على نفسه في أعمال الخوارج حتى يصلي في اليوم و الليلة مثلاً ألف ركعة و يختم القرآن فيه وهو مع ذلك لا يحظر له مراعاة القلب و تفقده و تطهيره من الرّياء والكبر والعجب وسائر المهلكات ، فلا ينبغي أن دلّس نفسك وإن علم ذلك فلا يطنّ بنفسه ذلك و إن طنّ بنفسه ذلك فرمّا نوهتم أنه معذور له بعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب ، وإن نوهتم فيطنّ أن العبادات الطاهرة تترجّح بها كفة حسناته وهيبات و درّه من ذي نفوى وخلق و حدم من خلق الأكياس أفضل من أمثال الحمال عملاً بالحوارج ثم لا يحلو هذا المعرور مع سوء خلقه مع الناس و خشونته و تلوث باطنه بالرّياء و حبّ النساء فإذا قيل له أنت من أدتاد لأرض و أدلياء الله وأحسانه فرح فرحاً شديداً و صدّق به و راده ذلك عروراً و طرأ أن تزكبة الناس له دليل على كونه مرصداً عند الله ولا ينبغي أن دلّس لجهل الناس بحسائث باطنه

و لفرقة أخرى حرص على التواضع ولم يعلم اعتددها بالعرائض يرى أحدهم يفرح بصلاة الليل وسائر الرّواتب ولا يحذر للعريضة لذّة ولا يشدّد حرصه على المصدرة بها في أوّل الوقت ويسى قوله وَيُخَوِّضُ فِيهِ يَمُرُّ بِهِ عَنْ رَبِّهِ عَرًّا وَحَلًّا مانقراً بالمقترّون إليّ بمثل أداء ما افترضت عليهم^(١) وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور ، بل قد ينعبس على الإنسان فرض أحدهما يعوب و الآخر لا يعوب ، أو نفل أحدهما يضيق وقته و الآخر يتسع وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه فهو معرور ، و نظائر ذلك أكثر من أن تحصى ، فإنّ المعصية ظاهرة و الطاعة ظاهرة و إنما العزم تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم العرائض كلّها على التواضع ، و تقديم فروس الأعيان على فروس الكفايات ، و تقديم فرض كفايه لافئمه به على ما قام به غيره ، و تقديم الأهم من فروس الأعيان على ما دونه ، و تقديم ما يعوت على ما لا يعوت ،

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة .

و هذا كما يجب أن يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد ، سئل رسول الله ﷺ
 فقيل له : من أمرك ؟ قال أمك ، ثم قال : ثم من ؟ قال أمك ، قال : ثم من ؟
 قال أمك ، قال : ثم من ؟ قال أبوك ، قال : ثم من ؟ قال أباك ثم أباك ، (١)
 فيسعى أن يبدأ في أصله بالأول والأول هو : يتوباً فلا حرج ، فإن استوبا
 فلا تقى والأول هو : كذلك من لا يفي ماله بقعة الواسدين والحق و ربما يحج فهو
 معرور بن يسعى أن يقدم حجتهم على الحق وهذا من تقديم من أهم على من
 هو دونه و كذلك إذا كان على العبد ميعاد دخل وقت الجمعة والجمعة نفوت بالاشتغال
 بالوفاء بالوعد والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو في نفسه طاعة ، و كذلك
 نصب ثوبه بالحاسة فيعطى العول على أوبىه وأهله سببه ولحاسة محدورة وإيدأؤدها
 محدور ، فالحد من لأدى أهم من الحد من الحاسة ، أمثلة تقابل المحدورات
 والطاعات لا تنحصر ، و من ترك الترتيب في جميع ذلك فهو معرور ، و هذا عرور
 في غاية العموم لأن المعرور فيه في ضاعة إلا أنه لا يقطن بصيرورة الطاعة معصية
 حيث ترك بها طاعة واحدة هي أهم منها ، و من حملته الاشتغال بالمددب و الخلاف
 من العقبة في حق من يعنى عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة و لاطمة المتعلقة
 بالحوارج والمتعلقة بالعلب لأن مقصود المقصود معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوارحهم
 ومعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرئاسة والجاه ولدانة لمساهمة
 والمهر للأقارب والتقدم عليهم يعنى عليه حتى يعرض به مع نفسه و يطن أنه
 مشغول بهم ديمه

الصفة الثالثة المتصوفة وما أغلب العرور عليهم والمعترون منهم فرق كثيرة ،
 و معرفةهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمته اعتزوا بالبرّي والمطلق والهيئة وساعدوا
 لصداق من الصوفية في ربهم و هيئتهم و في ألقاطهم و في آدابهم و مراسمهم و
 اصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع و الرقص و الطهارة و الصلاة والحلوس

(١) أخرجه الترمذي ج ٨ ص ٩٦ عن شهر بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده و قال

مى لاب عن أبي هريرة و أبي السرداء و عداثة بن عمر و عائنة

على السّحادات مع إطراو الرّأس وإدخاله في الجيب كالمفتكّر وفي تمسّ الصّعداء
وفي جمع الصّوت في الحديث إلى غير ذلك من الشّمائيل والهيئات .

أقول: و أيّ فصل و كرامه للصادق من الصّوفيّة حتّى يكون للمنشبهين
بهم فصل و غرور ؟ فإنّ أكثرهم من أهل الدّع من السّماع والرّقص و الحهر من
القول في الدّعاء و غير ذلك .

قال فلمّا تكلموا هذه الأمور و تشبهوا بهم فيها طوّوا أنفسهم أيضاً صوفيّة
و لم يتعنوا أنفسهم قطّ في المحاهدة و الرّياضة و مراقبه القلب و تطهير اللّسان
و الظاهر من الآثام الحقيّة و الحلّة و كلّ ذلك من أوائل مآزل النّصوّف و لو
فرغوا عن جميعها لما حار لهم أن يعدّوا أنفسهم من الصّوفيّة كيف و لم يحوموا
قطّ حولها و لم يسوموا أنفسهم شيئاً منها . بل يتكالبون على الحرام والشّبهات
و أموال السّلاطين ، و يسامسون في الرّعيف و العلى و الحنة ، و يتحاسدون على
الفقر و الفطير ، و يمرّق بعضهم أعراس بعض مهمل حاله في شيء من عرصه و
هؤلاء غرورهم ظاهر ، و مثالبهم مثال امرأة عجور سمعت أن الشّجعان والأبطال من
المقاتلين يثبت أسماؤهم في الدّايوان و يقطع كلّ واحد منهم قطراً من أقطار المملكة
فتأقت بعضها إلى أن يقطع لها مملكة فليست درعاً ووصف على رأسها مِعْرَافاً ، و تعلّمت
من دحر الأبطال أبحاثاً و عوّدت إيراد تلك الأبواب بنعمائهم حتّى تيسّرت عليها
و تعلّمت كيميّة تخترهم في الميدان و كيف تحريكهم الأيدي و تلقّف جميع
شمائلهم في الرّئيّ والمسطق و الحركات و السّكنات ثمّ توجّهت إلى المعسكر ليثبت
سماها في ديوان الشّجعان فلمّا وصل إلى المعسكر أنقذت إلى ديوان العرض و
أمّرت بأنّ تحرّج عن المعفر و الدّرع و ينظر إلى ما تحته و تمسّح بالمباردة مع
بعض الشّجعان ليعرف قدر عائتها في الشّجاعة ، فلمّا حرّجت عن المعفر و الدّرع فاذا
هي عجورة ضعيفة رمة لا تطيق حمل الدّرع و المعفر فقبل لها أحثت للاستهزاء
بالمملك و استحماق أهل حضرته بالنّيليس عليه ؟ حدوها فألقوها إلى قدّام العيل
لسمحها ، فألقيت إلى العيل ، و هكذا يكون حال المدّعين للنّصوّف في القيامة إذا

كشف عنهم العطاء و عرضوا على القاضي الأكر الذي لا ينظر إلى الزَّيِّ والمرقع بل إلى سرِّ القلب .

وفرقه أخرى زادت على هؤلاء في الغرور إذ شقَّ عليها الاقتداء بهم في بدادة الثياب والرَّصاء بالدُّور وأرادت أن تتظاهر بالتصوِّف ولم تجد بداً من التريسي بزيهم فتركت الحرَّ والبرسم وطلت لمرقععات النفيسة والعوط الرقيقة والسحجات المصعقة ولبست من الثياب ما هو أرفع قمة من الحرِّ والأبرسم ، فطن أحدهم مع ذلك أنه متصوِّف بمحرِّد لون الثوب وكونه مرقعاً وسيأتيهم إنما لو نوا الثياب لثلاً يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة ابوسح و إنما لبسوا المرقع إذ كانت ثيابهم مخزقة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الحديد ، فأنما تقطيع العوط الرقيقة قطعة قطعة و حياطة المرقعات منها فمن أين يشه ما اعتدوه هؤلاء ، أظهر حماقة من كافة المعرورين فإنهم يتعممون بنفس الثياب ولديدهم الأفعمة ، و يطلبون رعد العيش و يأكلون أموال السلاطين ، ولا يحتسبون لمعاصي لطاهرة فصلاً عن الساطنة ، وهم مع ذلك يطنون بأنفسهم الخير وشرُّ هؤلاء إنما يتعدى إلى الخلق إذ يهاك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم بعد عقيدته في أهل التصوِّف كافة إذ يطن أن جميعهم كانوا من حسه فيطيل اللسان في المصدقين منهم و كل ذلك من شؤم المنتشئين و شرُّهم .

وفرقه أخرى ادَّعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومحاوره لمفاهيم المحمودة والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألعاط لأنه تلتف من ألعاط الطامعات كلمات فهو يردُّدها و يطن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين ، فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصاف العلماء بعين الإزدراء فصلاً عن العوام ، حتى أن الملاح ليرك فلاحته والحائك يترك حياكنه ويلزمهم ألياماً معدودة و يتلفَّع منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يردُّدها كأنه يتكلم عن الوسي ، ويحصر عن سرِّ الأسرار و يستحضر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد إنهم أحرار منعون ، ويقول في العلماء

إنهم بالحديث عن الله محجوبون ، و يدَّعي لنفسه أتدلوصل إلى الحق وأنه من المقرَّبين ، وهو عند الله من الفقار الخائفين ، وعند أبواب القلوب من الحمقى الجاهلين ، ولم يحكم قطُّ علماً ولم يهدِّب حُلماً ، ولم يرتب عملاً ، ولم يراقب قلباً سوى اتساع الهوى وتلفف الهديان وجمعته

وفرقه الأخرى وقفت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسوَّوْا بين الحلال والحرام ، ومعظمهم يرجع أن الله مستغن عن عملي فلمْ أتعِب نفسي ، وبعضهم يقول قد كلِّموا الناس تطهروا القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا و ذلك محالٌ وقد كلِّموا ما لا يمكن وإدما يعتزُّ به من لم يحترَّب وأما نحن فقد حرَّنا و أدركنا أن ذلك محالٌ ولا يعلم إلا حقُّ أن الناس لم يكلموا قلع الشهوة والعصب من أصلهما من كلِّموا تأديبهما بحيث يتقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع و بعضهم يقول الأعمال بالحوارج لا درن لها وإنما الطريق إلى القلوب وقلوبنا والهة إلى حب الله ، و واصله إلى معرفه الله ، وإنما يحوسر في الدنيا بأنداس و قلوبنا عاكفة في الجسد والرُّبوبيَّة فمحور مع لشهوات بالطواهر لا بالقلوب ، ويرغمون أنفسهم قدس رقوا عن رسة العوام واسمعوا عن تهديد النفس بالأعمال المديبة وبن الشهوات لا يصدُّهم عن طريق الله تعالى لغوهم فيها ويرغمون در حتمهم على در حد لا نباء ^{بالتكاليف} إذا كان يصدُّهم عن طريق الله تعالى حصته واحدة حتى كانوا يسكرون عليها ويسوِّجون سجن متوالية وأصاف غرور أهل الإباحة من انتمشي بالصوفيَّة لأخصى ، و كلُّ ذلك بناء على أعلط و سواس يحدِّثهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ، ومن غير اقتداء شيخ متع في الدين والعلم الصالح للافتداء ، وإحصاء أصنافهم يطول وفرقة أخرى حذرت حدُّ هؤلاء وأحسب الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصارت أحدهم يدَّعي المقامات من الرُّشد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشرائطها وعلاماتها وآفاتِها ، فمسيهم من يدَّعي الواحد والحب لله تعالى ويرغم أنه بالله مائة ، ولعله قد تحيَّل في الله تعالى خيالاً بعي بدعه و كفر فمدَّعي حب الله قبل معرفته ، ثم إدَّعاه لا يحلوا عن مقارفة

ما يكره الله و عن إيثار هوى نفسه على غيره من الناس من بعض الأمور حسنة
من الخلق ولو جلا بدركهم حسنة من بعض الناس كذا في بعض
الجنس . بعضهم رتبهم يصل إلى الله و الله تعالى يرحمهم الوادي من غير راد
لصحة دعوى التوكل و ليس بدركي أن ذلك بدعة به تفعل عن السلف و الصحابة
و قد كانوا أعرف بالتوكل منه فما و موافقاً لتوكل الحسنة بالنسبة و برك الزاد
بل كانوا يأخذون الرأ و هم متوكلون على الله تعالى لا على الرأ و هذا مما يترك
الرأ و هو متوكل على سبب من الأسباب . أثبت به و ما من مقام من المقامات
المسحيات إلا وفيه غرور و قد اعتز به قوم و قد ذكرنا مداخل الآفات في أربع المسحات
من الكتاب .

و فرقة أخرى صفت على نفسها في أمر العون حتى طلبت منه الحلال
الحاصل و أهملوا بقية العلوب و الجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة . و منهم
من أهمل الحلال في مطعمه و ملبسه و مسكنه و أخذ بعمق في غير ذلك و لم يدرك
أنه لم يرض من هذه طلب الحلال فقط . لا حتى يشار إلى أن العمل دون
طلب الحلال بل لا يرضيه إلا بعد جميع الطاعات . فلهذا فمن ظن أن بعض
هذه الأمور يكفها و يتحبه فهو مغرور .

و فرقة أخرى ادعوا أحسن الخلق و التواضع و السماحة قصدوا الخدمة للصوفية
فجمعوا قوماً و تكلموا بخدمتهم و اتحدوا ذات شبكة للرئاسة و جمع المال و رتبته
عرصهم الشكر و هم يظهرون أن عرصهم لخدمة و التواضع . عرصهم الاستماع و هم
يظهرون أن عرصهم الإذعان . عرصهم الاستماع و هم يظهرون أن عرصهم لخدمة
و التسمية . ثم إنهم يجمعون من الحرم و المشاهير و يجمعون عليهم ليكنوا أناسهم و يمشرون
بالخدمة اسمهم . و بعضهم يأخذ أموال السلاطين و يعق عليهم و بعضهم يأخذها ليعق
في طريق الحج على الصوفية و يرغم أن عرصه المرء . إلا اتفاق و باعث جميعهم الرأيا
و السعة و أية ذلك إهمالهم لجميع أمر الله عليهم ظاهر أو باطناً و رضاهم بأحد
الحرم و الاتفاق منه . مثال من يقع الحرم في طريق الحج لا راد الحريم كمن

يعمر مساجد الله فيطسها بالعذرة ويرغم أن قصده العماره

وفرقه أخرى منهم اشتعلوا بالمجاهدة و تهديب الأخلاق و تطهير النفس من عيوبها و صاروا يتعمقون فيها فاتحدوا بالبحث عن عيوب النفس و معرفة حجبها علماً و حرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالمحصى عن عيوب النفس باستدراط دقيق الكلام في آفاتنا فيقولون هذا في النفس عيبٌ و العقله عن كونه عيباً عيبٌ و الالتفات إلى كونه عيباً عيبٌ و يشعرون فيه بكلمات مسلسلّة تصيغ الاوقات في بلعيقها و من جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب و تحرير علم علاجها كان كمن شتعل بالتفتيش عن عوائق الحجّ و آفاته ولم يسلك طريق الحجّ فذلك لايفنيه .

وفرقه أخرى جاوروا هذه الرتبة و اسدأوا سلوك الطريق و امتنحت لهم أبواب المعرفة فكلمّا تشتموا من مبادئ المعرفة رائحه معجنوا منها و فرحوا بها ، و أعجبتهم غراتها فتقيّد بقلوبهم بالالتفات إليها و التفتّح فيها و في كهيّة انفتاح بابها عليهم و اسداده على غيرهم ، و كلّ ذلك عرورٌ لأنّ عجائب طريق الله ليس له نهاية ، فلو وقف مع كلّ أتعجونه و تقيّد بها قصرّت خطاه و حرم عن الوصول إلى المقصد ، و كان مثله مثال من قصد ملكاً فرأى على باب مبداه روضة فيها أرهار و أنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلاً فوقف ينظر إليها و يشعّب حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك .

وفرقه أخرى جاوروا هؤلاء . ولم يلتفتوا إلى ما يعيب عليهم من الأوار في الطريق و إلى ما ينسّر لهم من العطايا الجريئة ولم يعرفوا على العرج بها و الالتفات إليها حادّين في السير حتى قدربوا فواصلوا إلى حدّ القربة إلى الله تعالى و ظنوا أنّهم قد وصلوا إلى الله فوقعوا و غلطوا فإنّ الله سعي حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجب من تلك الحجب في الطريق إلّا و يظنّ أنّه قد وصل و إليه الإشارة بقول إبراهيم صلوات الله عليه إذ قال الله تعالى إحضاراً عنه - و فلما حنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، ^(١) و لبس المعنى به هذه الأحصام المضئّة فإنّه كان

براه في اصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليس بواحدة . والجهال يعلمون أن الكوكب ليس به مثل إبراهيم لايعرف الكوكب الذي لايعرف السوادية ولكن يعرف به أنه نور من الأنوار التي هي من حبس الله عز وجل وهي على طريق السالك ولا تتصور الوصول إلى الله إلا بالوصول إلى هذه الحبس وهي حبس من النور بعضها أعظم من بعض وأصغر البيران الكوكب وتستعمله لقطه ، وأعظمها الشمس وسهم رتبة القمر فلم يرل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السماوات حيث قال عز وجل « و كذلك يرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض » (١) يصل إلى نور بعد نور وينتقل إليه في أول ما كان يلمعه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمر فيترقى إليه ويقول قد وصل فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحبس الأقرب الذي لا وصول إلا بعده ، فعاد هذا أكثر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير حال عن الهوى في حضيض النفس والاحتياط عن رزوه لكمال قال « لا أحب إلا قلبي » أي وحسب وحبي للذي فطر السماوات والأرض حبيفاً وما أنا من المشركن « و سالك هذا الطريق قد يعثر في الوقوف على بعض هذه الحبس ، وقد يعثر بالحجاب الأول وأول الحبس بين الله وبين العبد هو نفسه فإنه أيضاً أمر ربي وهو نور من أنوار الله أعني سر القلب الذي تنجلي فيه جميعه الحق كله حتى أنه ليتسع لحملة العالم ويحيط به وتنجلي فيه صورة الكل ، وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه ، وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فإذا تنجلي نوره واكتشف فيه جمال القلب بعد إشراق نور الله تعالى عليه ربه التفت صاحب القلب إلى القلب يرى من جماله العائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدشة فيقول أنا الحق فإني لم يتضح له ما وراء ذلك اغترته وورث عليه وذلك ، وكان قد اعترى كوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فصلاً عن الشمس فهو معرود وهذا محل الالتباس إذ المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يترأى في المرآة بالمرآة ، فيظهر أنه لون المرآة وكما

يلتبس ما في الرُّحاح بالرُّحاح كما قيل

رقُّ الرُّحاح ورقب الخمر ٥ فشبها فشاكل الأمر

فكأنما حمر ولا قدح ٥ • وكأنما قدح ولا حمر

وبهذه العر نظر المصاري إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلاً فيه
فعلطوا فيه كمن يرى كوكباً في المرآة أو في الماء فيعدُّ اليديل إليه ليأخذه وهو معرور .
وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله لا تحصى في محكمات ولا تستقصى إلا بعد شرح
جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصه في ذكره ولعلَّ القدر الذي ذكرناه أيضاً كان
الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه
لا يسمع سماعه بل ربما يسمر به إذ يورث ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم
ولكن في ذكره فائدة وهو إخراج من الغرور الذي هو فيه إذ ربما يصدق بأن
الأمر أعظم مما يظنه ومما يتحمله بذهنه المحتصر وحياله القاصر وحذله المرحوف
ويصدق أيضاً بما يحكي له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله تعالى ، ومن عظم
غروره ربما أصرَّ مكدِّباً بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل والله أعلم .

الصف الرابع أرباب الأموال والمعترون منهم في كثرة

وعرفة منهم يحرصون على ثناء المساحد والمدارس والرباطات والعاطر وما
يظهر للباس كافة ويكتسبون أساعيمهم بالآحر عليها ليتحلَّد كرههم ويبقى بعد الطون
أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المعزة بذلك وقد اغترُّوا فيه من وجهين
أحدهما أنهم يبتوبوا من أموال اكتسبوها من ظلم والهب و لرشى والجهات
المحظورة فهم قد تعرَّضوا اسخط الله في كسبهم و تعرَّضوا لخطيئة في إيقاعها و كان
الواحد عليهم لامتناع عن كسبها فإذا عصوا الله تعالى بكسبها كان الواحد عليهم
التوبة والرجوع إلى الله تعالى وردَّها إلى ملاكها إمَّا بأعياها أو ردَّ بدلها عند حجر ،
فإن عجزوا عن الملاك فكان الواحد ردَّها إلى الورثة ، فإن لم يبق للمظلوم وراث
فالواحد صرَّ فيها إلى أهم المصلح ، و ربما يكون الأهم التفرقة على المساكين
وهم لا يفعلون ذلك حننه من أن لا يظهر ذلك للباس فيسبون الأئمة بالآحر وعرضهم

من بناءها الرّيا، وحلب النّاء، وحرصهم على بقائها لمفاد أسعائهم بها لالبقاء الخير
والوجه الثاني أنّهم يظنّون بأنفسهم الإخلاص، وقصد الخير في الاتفاق على الرّيا،
ولو كلّف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضوع، الذي يقع عليه
الشقّ عليه ذلك ولم تسمح به نفسه، والله تعالى مطلع على كتمانهم أو لم يكتب
ولو لا أنّه يريد به وجه الناس لاوجه الله لم اقتصر إلى ذلك

وفرقه أخرى ربّما اكتسب الأموال من الحلال وافقت على المساح، وهي
أيضاً مفروضة من وجهين أحدهما الرّيا، وطلب النّاء، وبه ربّما يكون في حوزة
أوفي يلد، وفير وصرف المال إليه، هم وأفضل من الصرف إلى المساحدين، ودينهم، أو
يحتجّ عليه الصرف إلى المساحدين ليظهر ذلك بين الناس، والثاني أنّه يصرف إلى خرفة
المسجد، وتزيينه بالقش التي هي مهيّأ عنها، و شاعلة لقلوب المصلّين، وتنتطع
أعيانهم، والمنعصود من الصلاة الحشوع، وحضور القلب، وذلك يفسد قلوب المصلّين
ويحبط ثوابهم بذلك، وبإل ذلك كلّهم يرجع إليه وهو مع ذلك يعتزّ به ويرى أنّه
من الحيرات، ويعدّ ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو بذلك تعرّض لسخط الله وهو نفس
أنّه مطيع لله ويمثل لأمره، وقد شوّش قلوب عباد الله بما رحرر من المسجد،
وربّما شوقهم به إلى رحرر الدّنيا، وبشبهون مثل ذلك في بيوتهم، ويشتملون
بطله، وبإل ذلك كلّهم في رفته، إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى
قيل، دخل رحلان مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال: مثلي لا يدحر بياب الله،
فكنه الملك عدا الله صدقاً، فهدا يدعي أن يعظم المساحدين، هو أن يرى تلويث
المسجد بنفسه حناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو برحرر
الدّنيا منة على الله تعالى.

وقال الحواريون للمسيح عليه السلام: أنظر إلى هذا المسجد ما أحسنه

(١) روى الراوندى في لب الباب كما هي مستدرک الوسائل ج ١ ص ٢٢٨ عن النبي
صلى الله عليه وآله أنه قال: « لا تزعموا مساجدكم كما زعمت اليهود والنصارى
سبحم » .

وقال أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً فوقاً على حجر إلا أهلكه بدعوى أهله ، إن الله لا يعبد بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تمسككم شئاً ، وإن أحب الأشياء إلى الله العلوب الصالحة ، ما يعمر الله الأرض ، وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك .

وقال أبو الدرداء ، قال رسول الله ﷺ : إذا رجعتم مساجدكم و حلبيتم مصاحبكم فادعوا ربكم ، ^(١) روي أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يسي مسجداً المدينة أثناء حربه لعل فقال : الله سمعته أذرع طولاً في السماء لا تر حرقه ولا تمقشه ^(٢) ، فمرور هذا من حيث أنه رأى المسكر معروفاً و اتكل عليه

• وفرقة أخرى يجمعون الأموال في الصدقات ، و على الفقراء ، و المساكين و يظلمون به المحافل الجامعة ، و من الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ، و يكرهون التصدق في السر ، و يرون إحقاق الفقير لما يأخذ منهم حياءه عليهم و كفراناً ، و ربما يحرصون على إيقاع المال في الحرج فيبحثون مره بعد أخرى ، و ربما ينزكون حرامهم حائعين ، و لذلك قل ابن مسعود في آخر الرمان يكثر الخراج فلا سبب يهون عليهم السر و يستطعمهم في الرزق و يرجعون محرومين مسلوبين يهوي بأحدهم بغيره بين القمار والرمان وحاراً مأسوراً إلى حسنة لا يؤسده ، و روى أبو بصير الثمار أن رجلاً جاء يودع بشر بن الحارث وقال : عرمت على الحرج فقام بشر فقال له : كم أعددت للنفقة ؟ فقال : ألقى درهم ، قال : فأني شيء تنبغي بحجك رهة أو اشتياقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضات الله ؟ قال : ابتغاء مرضات الله قال : فإن أصبت رضا الله وأنت في منزلك و تنفق ألقى درهم و تكون على يقين من مرضاة الله أنفعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فادعها عشرة أنفس عديون يعصي دينه و فقير يلم شعته و معمل تعي عياله و مرتبي يديم فقره ، و إن قوي قلبك أن تعطيها واحداً

(١) أخرجه الحكم لم يرد في النوادر من حديث أبي الدرداء سدد ضعيف كما

في لجامع الصغير .

(٢) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

فافعل فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة الهمم وكشف الضر وإعانة
الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ، ثم فأخرجها كما أمر بك وإلا فقل
لنا ما في قلبك فقل . يا أبا نصر سعي أقوى في قلبي فتسّم بشر وأقل عليه فقال
له : المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطراً
فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه أن لا يقل إلا عمل المستغفر
وفرقة أخرى من أرباب الأموال يحفظون الأموال ويسكونها بحكم النحل
ثم يشتغلون بالعبادات المديبة لئلا يحتاج فيها إلى بقاء كصيام النهار وقام الليل
والختم المقرآن وهم معرورون لأن النحل المهلك قد استولى على باطنهم ، وهم
محتاجون إلى قمعه بأخراج المال ، فقد اشتغلوا بطلب فوائدهم مستغنون عنها ، ومثاله
مثال من دخل في ثوبه حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السككحين
ليسكن به الصغراء ، ومن فتنه الحبة فمضى يحتاج إلى السككحين ؟

وفرقة أخرى عليهم النحل فلا يسمح بنفسهم إلا بداء الركاة فقط ثم إنهم
يخرجون من المال الحديث الردي الذي يرعون عنه ويطلبون من الفقراء من
يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستعمل للاستسحار في خدمه
أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكار
ثم يستظهر بحشمته ليأكل بذلك عنه مرة فيقوم بحاجاته ، وكل ذلك مفسدات
للنية ومحطات للعمل وصاحبه معرور ويطن أنه يطيع الله تعالى وهو حارٍ إذ طلب
بعبادة الله عوضاً من غيره وهذا وأمثاله من غرور أرباب الأموال أيضاً لا تحصى وإنما
ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أحاسن العرور

وفرقة أخرى من عوام الخلق وأرباب الأموال أو الفقراء اغترؤا بحضور
مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يعينهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويطلبون
أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاط آخر وهم معرورون لأن
فضل مجلس الذكر لكونه مرغباً في الخير فإن لم يبتج الرغبة فلا خير فيه والرجة
محمودة لحملها على العمل فإن ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراى لغيره

فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا قسمة له ، وربما يعثر أحدكم بما يسمعه من الواعظ من فصل حصو المجلس و فضل النكاح ، و ربما دخلته رقعة كرقعة النساء فيبكي و ربما سمع كلاماً مخوفاً فلا يريد على أن يصفق بيده ويقول يا سلام سلم أو يعود بالله أو سبحانه لله و يطرأ أنه قد أتى بالحير كله وهو معرور ، وإنما مثاله مثال آخر يصح ، الذي يحضر مجلس الأطماء و يسمع ما يحري أو الحائض الذي يحضر عند من يصف له لأطعمه اللديده لشبهة ثم يصرف وذلك لا يعني عنه من مرصه و جوعه شيئاً فكان السماع و منه الطاعات دون العمل بها لا يعني من الله شيئاً و كل وعظ لم يعثر بمثله صعباً غيراً بغير أفعالك حتى تفعل على الله تعالى إقبالاً قوياً أو صعباً و يعرف عن الدنيا و ذلك الوعظ زيادة حخته علمت فإذا رأيت وسيلة لك كمت معروراً

﴿ فصل ﴾

فإن قلت فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص عنه أحد ولا يمكن الاختيار عنه ؟ هذا يوجب اليأس إذا لا يهوي أحد من البشر على الخلد من حجاب هذه الآفات ؟

فأقول لا يسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه و استعظم الأمر فيه و استوعر لطريق و إذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل و استنشط بدقيق النظر حفايا الطرق في الوصول إلى العرم حتى أن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير يخلق في حواصله ، مع بعده عنه فأمر له ، و أراد أن يستصعد الجوت من أعماق البحار فأصعده و أراد أن يستخرج الذهب و الفضة من تحت الجبال فأخرجه ، و أراد أن يفتن الوحوش لمطلقة في الراري و الصحاري فاقتنصها ، و أراد أن يستسحر السباع و لعيله و عظيم الحيوانات فاستسحرها ، و أراد أن يأخذ الأفاعي و الحيات و يبعث بها فأحدها و استسحر الثريد ، و أراد أن يتخذ الدجاج الملوؤ المنفوش من ورق الموب فاتمده ، و أراد أن يعرف مقادير الكواكب و طولها و عرضها فاستخرج بدقيق

الهندسة وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستقسط الجبل وإعداد الآلات وسحر
العرس للركوب والكلب للصيد وسحر المري لأقتناس الطيور ، و هيأ السكة
لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي . كل ذلك لأتمه أهمته أمر
دسائمه و ذلك معين له على دنياه . فلو أهمته أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد و
هو تعويم قلمه فمحور عن تعويم قلبه و نجاحه و فاش هذا محال و من ذا الذي يقد
عليه ، و ليس ذلك محال ولو أصبح وهمته هذا الهم الواحد احتال له ، بل هو كما
يقال « لو صح صم الهوى أرشدت للحبل » فهذا شيء لم يعجز عنه السالك الصالحون
و من اتبعهم بأحسن فلا يعجز عنه أيضاً من صدقت إرادته و قويت همته و لا
يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استقسط حيل الدُّب و نظم أساسها
وإن قلت قد قرب الأمر فيه بعد أن أكثر في ذكر مداحل العرور فم
ينجو العبد من العرور ؟

فاعلم أنه ينجو عنه ثلاثة أمور : بالعمل والعلم و المعرفة فهذه ثلاثة أمور
لا بد منها أما العمل فأعني بالعطية العريضة والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان
حقائق الأشياء فالعطية والكس فطره والحمق و لملاذه فطره و السبيل لا يعد على
التحفظ عن العرور فصفا العمل و دكا ، المهم لا بد منه في صل العطية ، و هذا إذا
لم يعطر عليه الإنسان فاكتمانه غير ممكن نعم إذا حصل أصده أمكن تعويمه بالممارسة
فأساس السعادات كلها العقل و الكفاية

قال رسول الله ﷺ : تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشناتاً إن أر حبل
لبنوي علمهما و برهما و صومهما و صلاتهما و لكنهما يتفاوذا في العقل كالذرة
في حب أحد و ما قسم الله لحلقه حظاً هو أفضل من العقل واليقين ،^(١)

و عن أبي الدرداء أنه قيل يا رسول الله أرأيبت الرجل يصوم النهار و يقوم
الليل و يحج و يعتمر و يتصدق و يعزو في سبيل الله و يعود المرص و يشيع لحد ثر

(١) دل نراي أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الامور من رواية طائوس

مرسلاً و في أول قصة واساده صعب وروى نحوه من حديث أبي حمزة وهو صمد أيضاً

و يعين الضعيف ما تعلم من ربه عبد الله تعالى يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ
« إنما يحرق على قدر عقله » (١)

و قد أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا حيراً ، فقال ﷺ : و كيف
عقله ؟ فقالوا يا رسول الله . نقول من عبادته وفصله وحلفه فقال كيف عقله فإن
الأحق يصيب حقيقته أعظم من فحور العاهر وإنما يعرف الناس يوم القيامة على قدر
عقولهم (٢).

و قال أبو الدرداء . « كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة
سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرحوه وإن قالوا غير ذلك قال : لن يبلغ
ذلك » (٣) قال : و ذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله ؟ قالوا ليس بشيء .
قال : لن يبلغ صاحبكم حيث تطنون » (٤)

أقول : و قد سلما أحاديثاً من طريق أهل البيت عليه السلام في ذلك في كتاب العقل
من ربيع العبادات .

قال والدك : و شدة عريرة العقل معه من الله تعالى في أصل العطرة فإن
وتت بلادة و حماقة فلا تدارك لها

لكنني المعرفة (٥) . و أعني بها أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ، و يعرف
ربه ، و يعرف الدنيا ، و يعرف الآخرة ، فيعرف نفسه بالسودية والدل و يكونه
غريباً في هذا العالم و أجنبياً من هذه الشهوات المهيمنة و هي مضرة له و إنما
الموافق له طبعاً هو معرفة الله و النظر إلى وجهه فقط . و لا ينصور أن يعرف
هذا عالم يعرف نفسه و لم يعرف ربه وليستعز على هذا بما ذكرناه في كتاب المحنة (٦)

(١) أخرجه الخطيب في التارخ و في أساء من روى عن مالك من حديث ابن عمر
و صححه و قال العراقي لم أره من حديث أبي الدرداء

(٢) تقدم في أبواب العلم عن داود بن السجبر . و في الكافي عن الصادق عليه السلام مثله .

(٣) و (٤) روى الطبراني في مسنده الكبير عن أبي الدرداء قال « كان رسول

الله صلى الله عليه وآله إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإن قالوا حسن قال
أرجو له ، و إن قالوا غير ذلك قال . لا يبلغ صاحبكم حيث تطنون » و في مروان بن

سالم متروك كما في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٨ (٥) كذا (٦) كذا و لم يجرى به

و في كتاب شرح عجائب القلب و كذب التفكير و كتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس و وصف حلال الله تعالى فيحصل به تثبيت على الجملة و كمال المعرفة و . فإن هـ من علوم المكاشفة و لم يطر في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة ، و كما معرفة الدنيا و الآخرة . فيستعين عليه ما ذكره في كتاب دم الدنيا و في كتاب ذكر الموت لينبئ له أن لا اسمه للدنيا إلى الآخرة . فإذا عرف نفسه و ربه و عرف الدنيا و الآخرة . ثار من قلبه بمعرفة الله تعالى حب لله بمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها و بمعرفة الدُّب الرغبة عنها فيصير أهمُّ موره ما يوصله إلى الله تعالى و سعة في الآخرة . و . علقت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها . فإن أكل مثلاً أو اشتغل بمصاها الحاجة كان قصده من الاستعانة على سلوك طريق الآخرة و صحت نيته و اندفع عنه كل عرور محدود مشدود . فحادث لأغراض و البروع إلى الدُّب و النجاه و المال . فإن ذلك هو المفسد للنية و ما دامت الدنيا أحب إليه من الآخرة . و هوى نفسه أحب إليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من العرور . فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله و بنفسه الصادقة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث و هو العلم أعني العلم بكيفية سلوك الطريق إلى الله و العلم بما يفر به من الله تعالى و ما يمتد به . والعلم بصفات لطريق و عقباته و عوائله و جميع ذلك قد أودعها كتب إحياء علوم الدُّب فيعرف من ربيع العبادات شروطها و براعبها و آفانها فيتقيا . و من ربيع العادات أسرار المعاش و ما هو مصطبر إليه فيما أحده بآداب لشرح و ما هو مستعين عنه فيعرض عنه . و من ربيع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله . فإن المانع من الله الصفات المدمومة في الخلق فيعلم المدموم و يعلم طريق علاجه . و يعرف من ربيع المحميات الصفات المحموده التي لا بد وأن توصع خلعاً عن المدمومة بعد مجتوفاً . أحاط بجميع ذلك أمكنه الحد من الأنواع التي أشرنا إليها من العرور . وأصل ذلك كله أن يقلب حب الله على قلبه و يسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة و تصح فيه النية و لا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها .

في قلب فإد فعل جميع ذلك فما الذي يحاف عليه ؟ فأقول يحاف عليه
 أجدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الحلو و نشر العلم و دعوه الناس إلى ما عرفه
 بن الله عز وجل فإب المرید المخلص إذا فرغ من تهذيب الأخلاق و راقب
 قلب حتى صفه عن جميع الكدورات و استوى على الصراخ المستقيم و صعب
 ما يب في عيه و تركها و انقطع طعمه عن الحلو فلم ينتعت إليهم ولم يبق له إلاهم
 أحد هو الله تعالى و التلذذ بذكره و مصاحاته و الشوق إلى لقائه و قد عجز الشيطان
 عن إغوائه إذ يأتيه من حبه الدنيا و شهوات النفس فلا يطعمه و يأتيه من جهة الدين
 و يدعوه إلى الرحمة على خلق الله و الشفقة عليهم و على دينهم بالصالح بهم و الدعاة
 إلى الله ، فيطر العبد برحمته إلى العبد وراهم حماري في أمرهم سكارى في دينهم
 صمًا عميًا قد سولى عليهم المرس و هم لا يشعرون و فقدوا الطبيب و أشرفوا على
 العطب فعملت على قلبه الرحمة لهم و قد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم و يبين
 لهم سلالهم و يرشدهم إلى سعدتهم و هو بعدد على ذكرها من غير تعب و مؤونة و
 لروم غرامه ، و كان مثله كرحل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه و قد كان لذلك يسهر
 ليله و يعلق بهاره لا يأكل و لا يشرب و لا يتحرك و لا ينصرف لشدة صربان الألم
 فوجد له دواء عموأ سموا من غير ثمن و لا تعب و لا مرارة في تناوله فاستعمله فبرأ
 و صح فطاب يومه بالليل بعد طول سهره و هدا بالنهار بعد شدة القلق ، و طاب
 عشه بعد نهاية الكدر و أصاب لداه العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير
 من المسلمين و إدا بهم تلك العلّة نعيمها و قد طال سهرهم ، و اشتد قلمهم ، و ارتفع
 إلى السماء أبنهم ، فتدكر أن دواهم هو الذي يعرفه و يتقدر على شعائهم بأسهل
 ما يكون و في أسرع زمان يعدر ، فحدثه الرحمة و الرقة ، و لم يجد فسحة من
 نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم ، فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى
 الطريق و شفي من أمراض القلوب شاهد الحلق ، و قد مرصت قلوبهم ، و أعصل
 دواهم ، و قرب هلاكهم و شقاؤهم ، و سهل عليه دواؤهم ، فاسعث من ذات نفسه
 عزم جازم في الاشتغال بصحتهم و حرّضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد محال

الغشة ، فلما اشتعل به وجد الشيطان محالاً للفتنة فدعاه إلى الرئاسة دعاء حمياً
أحمى من ديب السمل لا يشعر به المرید ، فلم يرل ذلك الدّيب في قلبه حتى دعاه
إلى التصنع و التّريس للحلق بنحس الألفاظ و السمات و الحركات و التصنع في
الرّئي و الهيئات ، فأقبل لناس إليه يعظمونه و يحلّونه و يوقروه و يوقراً يزيد
على يوقير الملوك إذا رأوه شافياً لأدوئهم بمحص الشفعة و الرّحمة من غير طمع
فصار أحبّ إليهم من آدئهم و أمّاتهم و أفرامهم فأثروه بأبد بهم و أموالهم فصاروا
له خولاً كالخدم و العبيد ، فخدموه و قدّموه في المحافل و حكموه على الملوك و
السلّاطين ، فعند ذلك انتشر الطمع و ارتاح النفس و دانت لدّة يالها من لدّة ،
و أصابت من الدّنيا شهوة يستحقّر معها كلّ شهوة ، و كان قد ترك لدّتيه فوقع في
أعظم لدّاتها ، و عند ذلك وجد الشيطان فرسه و امتدّب إلى قلبه يده فهو يستعمله
في كلّ ما يحفظ عليه تلك اللدّة ، : أماراة أسرار الطمع و : كون النفس إلى الشيطان
أنّه لو أخطأ فردّ عليه من يدي الحلق عصب ، فإد أنكر على نفسه ما وجد من
العصب نادى لشيطان يحبل إليه أن ذلك عصب لله لأنّه إذا لم يحسن اعتقاد المریدين
فيه أعطوا عن طريق الله فوقع في العرور ، فردّما أخرجته ذلك إلى الوقعة في من
ردّ عليه فوقع في العبه المحظورة بعد تركه الحلال المتسع و وقع في الكبر الذي
هو تمرّد عن قبول الحقّ و الشكر عليه بعد أن كان يجدر من طوارق الخطرات و
كذلك إذا سعه الصّحك أو فتر عن بعض الأوراد حرّعت النفس أن يطلّعوا عليه
فيسقط قبوله أتمتع ذلك باستعفاء و تنفّس الصعداء ، و ربّما راد في الأعمال و الأوراد
من أحلّهم و الشيطان يحبل إليه أنك ربّما تفعل ذلك كيلا يعثر رأيهم عن طريق
الله ، فيتركون الطريق بتركك لها ، و ربّما ذلك حذعة و غرور بل هر حرع من
النفس حيلة قوت الرئاسة ، و لذلك لا تأبى نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من
أقاربه بل ربّما يحبّ ذلك و يسبّش به و لو ظهر من أقاربه من مالّت القلوب إلى
قبوله و زاد أثر كلامه في القبول على كلامه شيء ذلك عليه ، ولو لا أن النفس قد
استشرت و استلذّت الرئاسة لكان يعتمد ذلك إذ مثاله مثال من يرى جماعة من إخوانه

قد وقعوا في بئر وتعطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء برقع الحصر من رأس البئر وشق عليه فحاه من أعانه على ذلك حتى تستر عليه أو كفاء ذلك ونجاء نفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة إذ عرصة خلاص إخوانه من الشر فإن كان عرصة الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاء فرح بذلك ولم ينقل عليه أرايت لو اهندوا جميعهم بأنفسهم لما كان يسمى أن ينقل عليه ذلك إن كان عرصة هدايتهم فإذا اهندوا بعيره فلم يشعل عليه ، ومهما وحد ذلك في نفسه دعاء الشيطان إلى جميع كائنات القلوب و فواحش الحوارح وأهلكه فعود بالله من ريع القلوب بعد الهدى ومن إغواج النفس بعد الاستواء .

فإن قلت . فمضى يصح له أن يشعل بصح الناس ؟ فأقول . إذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى و كان يود لو وحد من يعينه أو لو اهندوا بأنفسهم و انقطع بالكلفة طمعه عن ثنائهم و عن أموالهم ، فاستوى عبده محمد و دهم ، فلم يبال بنفهم إذا كان الله يحمد و لم يعرج بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ، و نظر إليهم كما ينظر إلى السادات و إلى البهائم ، أما إلى السادات فمن حيث أنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيراً من نفسه لحيله بالحاجة ، و أما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب الممرلة في قلوبهم ، فإنه لا يبالي كيف تراه البهائم . فلا يترتب لها ولا ينصع بل راعي الماشية إنما عرصة رعاية الماشية و دفع الدئب عنها دون نظر الماشية إليه بمعن الحمد و الثناء ، فعالم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال بأصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يعسد نفسه بأصلاحهم فيكون كالشمع الذي يصيب ، لعيره و يحترق في نفسه فإن قلت . فلو ترك الوعظ الوعظ إلا عند ميل هذه الدوحة لخلت الدنيا من الوعظ و حربت القلوب .

فأقول . وقد قال رسول الله ﷺ « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ^(١) ولو

(١) أخرجه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسل كما في الجامع الصغير

لم يحث الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعاشي وهلكت القلوب والأبدن جميعاً إلا أنه عليه السلام علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكاً لا يسرع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقليين الذين لا تحرب الدنيا بتركهم فلم يترك الصبح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفاً من أن يترك نفسه بالشهوات التي سلطت على الناس وكذلك لا ترال ألسنة الوعاط مطلعة بحب الرئاسة ولا يدعونها يقول من يقول إن الوعظ لحب الرئاسة حرام كما لا يدع الحلق الشراب والزنى والسرفه والرياء والظلم وسائر المعاصي يقول الله و يقول رسوله أن ذلك حرام ، فانظر إلى نفسك وكن قارع القلب عن حديث الناس فإن الله يصلح خلقاً كثيراً بإفساد شخص واحد وأشخاص ، ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، (١) ، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل العاجز وأقوام لا خلاق لهم في الآخرة (٢) ، فإثما يخشى أن يفسد باب طريق الاعتباط فأثما أن تحرس ألسنة الوعاط ووراءهم باعث الرئاسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبداً

فإن قلت فإن علم المرید هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصيح أو نصيح وراعى شرط الصديق ولا خلاص فيه فما الذي يحاف عليه ؟ وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحائل الاعتراض ؟

فاعلم أنه بقي عليه أعظمها وهو أن الشيطان يقول له فداً عجزتني وأفلتت مني بدكائك وكمال عقلك ، وقد قدرت على حمله من الأولياء والكرماء وما قدرت عليك ، فما أصبرك وما أعظم عهد الله محلتك إذ قواك على قهري ومكثك من التعتصن لجميع مداخل عروري فيصمى إليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكرم فالعجب أعظم من كل دتب ، فلدنك قال الشيطان يا ابن آدم إذا طست أتك بعلمك تحلست مني فصحبك قد وقعت في حائلي

في قلبه فلو لم يعجب نفسه إذ علم أن ذلك من الله تعالى لأمسه وإن مثله لا يعوى على دفع الشيطان عنه لا سويهم الله ومعونه ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقوال القليل في دافع على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يفو عليه بنفسه بل بالله فما الذي يحاف عليه بعد نفي العجب؟

أقول يحاف عليه العرور بفضل الله وثقته بكرمه والأمن من مكروهه حتى يطمئن به على هذه الويرة في المستقبل ولا يحاف من العثرة والاعتلال، فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يفارقه الخوف من مكروهه، ومن أمن مكروه الله فهو حاسر خذلاً بل سميلاً أن يكون مشاهداً لحملة ذلك من فضل الله، ثم خائفاً على نفسه أن يكون قدسب عنه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا ورتنا، وسوء خلقه و التماس إلى غيرته وهو عاقل عنه ويكون خائفاً أن يسلب حاله في كل طريقة غير أمن من مكروه الله لا عاقل عن خط الحاتمة، وهذا خطر لا يخفى عنه و خوف لانهاة منه إلا بعد مجاورته الصراط، ولذلك لما طهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت سرع وكان قد بقي له نفس فعال له أقبلت مني بالان وفعل لا بعد ولذلك قيل التس كلهم هلكي إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلا المحلصون، والمحلصون على خطر عظيم، فإذن العرور هالك والمحلص العرور من العرور على خطر، ولذلك لا يفارق الخوف والحدرد قلوب الأولياء، أئداً، سأل الله تعالى حسن الحاتمة فإن الأمور بحوائثها

أقول ولعنتم الكتاب كلام الصادق عليه السلام على ما روي عنه في كتاب مصباح الشريعة^(١) قال عليه الصلوة والسلام «العرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة معصون لأنه باع الأفضل بالأدنى ولا يعجب من نفسك حيث رتبها اعتررت بمالك وصحة جسمك أن لعلك تميتي، ورتبها اعتررت بطول عمرك وأولادك وأصهارك لعلك تنحوبهم ورتبها اعتررت بحملك وميتك وأصابتك مأمولك وهواك، فطنبت أنك صادق ومصيب، ورتبها اعتررت بما ترى من الدم على تفصيرك في العادة و

لعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك ، وربما أقعب نفسك على العادة متكلماً
 والله يريد الإخلاص ، وربما افتحرت بعلمك وتعدت ، وأنت عاقل عن مصيرك
 ما في عيب الله ، وربما نوهمت أباك تدعوته وأنت تدعو سواه ، وربما حسب أنك
 ناصح للحلق وأنت تريد لهم لنفسك وأن يميلوا إليك ، وربما دعت نفسك وأنت تمسكها
 على الحقيقة ، وأعلم أنك لم تخرج من طلمات الغرور ، ولن تمسي إلا تصدق الإجابة
 إلى الله والإحسان له ومعرفة غيوب ، حولك من حيث لا يوافق العقل والعلم ، لا
 يحتمله الدين والشريعة وسن العروة ، ثم يهدي وإن كنت أصاب ما
 فيه ، فما أحد أشقى بعلمك منك وأصعب عمراً فأنت حسره يوم اعيامه .

هذا آخر الكاظم في كتاب ذم الغرور وبتمامه ثم ربح امهلكات من امهلكة
 البيضاء في تهذيب الأحياء .
 و يتلوه إن شاء الله تعالى في ربيع امهلكات كتاب لنويه ، واحمد الله أولاً
 و آخرأ و طهرأ و ططأ

﴿ فهرست ما في هذا المجلد ﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٣	بيان المواعظ في ذمّ الدنيا
٩	بيان سمة الدنيا بالأمثلة
١٨	بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٧	بيان ماهية الدنيا في نفسها .
٣٩	كتاب ذم المال
٤٠	بيان ذمّ المال وكراهة حبّه .
٤٤	بيان مدح المال و الجمع بينه و بين الذم .
٤٦	بيان تفصيل آفات المال و فوائده .
٥٠	بيان ذمّ الحرص و الطمع .
٥٤	بيان علاج الحرص و الطمع .
٥٩	بيان فضيلة السخاء
٦٥	حكايات الأسحيا .
٧٧	حكايات البخلاء .
٧٩	بيان الأيثار و فضيلته .
٨٢	بيان حدّ السخاء و البخل و حقيقتهما .
٨٦	بيان علاج البخل .
٩٠	بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله

رقم الصفحة	الموضوع
٩١	بيان ذمّ الفنى ومدح الفقر .
١٠٦	كتاب ذمّ الجاه و الرياء
١٠٨	بيان ذمّ الشهرة وانتشار الصيت .
١٠٩	بيان فضيلة الحصول
١١٢	بيان ذمّ حبّ الجاه .
١١٣	بيان معنى الجاه وحقيقته .
١١٥	بيان سبب كون الجاه محبوباً بالطبع .
١٢١	بيان الكمال الحقيقي و الكمال الوهمي الذي لا حقيقة له .
١٢٤	بيان ما يحمّد من حبّ الجاه وما يذمّ .
١٢٦	بيان السبب في حبّ المدح والثناء .
١٢٨	بيان علاج حبّ الجاه
١٣١	بيان وجه العلاج لحبّ المدح و كراهة الذمّ
١٣٣	بيان علاج كراهة الذمّ .
١٣٥	بيان اختلاف أحوال الناس في المدح و الذمّ
١٣٨	طلب الجاه والمنزلة بالعبادات و هو الرّياء .
١٣٩	بيان ذمّ الرياء .
١٤٨	بيان حقيقة الرياء وما يرمى به .
١٥٢	فصل في أرّ الرّياء هل هو حرام أو مكروه أو مباح
١٥٥	بيان درجات الرياء
١٨٢	بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات .
١٨٥	بيان الرخصة في كتمان الذنوب و كراهة اطلاع الناس عليها

الموضوع	رقم الصفحة
بيان ترك العادات خوفاً من الرب، و دخول الآفات	١٩٠
فصل في سؤال والحواب عنه .	١٩٨
بيان ما يصح من نشاط العبد للمعبود و ما لا يصح	٢٠٠
بيان ما سعي للمريد أن يلزم قلبه قبل العمل و بعده و فيه	٢٠٥
كتاب دم ، تكبر و المعجب	٢١١
بيان دم الكبر .	٢١٢
بيان دم الاحتيال و إظهار آثار الكبر في المشي و حر الثياب .	٢١٨
بيان فضيلة التواضع	٢١٩
فصل في نقل الآثار .	٢٢٦
بيان حقيقة الكبر و آفته	٢٢٨
بيان المنكسر عليه و أقسامه و درجته و ثمرات الكبر فيه	٢٣١
بيان ما به التكبر .	٢٣٥
بيان النواحي على المنكسر و أسانه المهيبة له	٢٤٥
بيان أخلاق المتواضع و معامع ما يظهر فيه أثر التواضع و المنكسر	٢٤٦
بيان الطريق في معالجة الكبر و اكتساب التواضع	٢٥٢
بيان غاية الرياضة في خلق التواضع .	٢٧١
في العجب و ذمّه و آفته .	٢٧٢
الشطر الثاني من الكتاب في العجب	٢٧٢
بيان آفات العجب	٢٧٥
بيان حقيقة العجب و الأدلال و حذرها .	٢٧٦
بيان علاج العجب على الجملة .	٢٧٧
بيان أقسام ما به العجب و تفصيل علاجه .	٢٨٢

الموضوع	رقم الصفحة
كتاب دم الغرور	٢٩٠
بيان دم الغرور وحقيقته وأمثله .	٢٩١
بيان أصناف المفترّين .	٣٠٩
الصف الأول أهل العلم والمعتزّون منهم فرق .	٣٠٩
الصف الثاني أرباب العادة والعمل والمعتزّون منهم فرق كثيرة .	٣٣٢
الصف الثالث متصوّفه والمفترّون منهم فرق كثيرة	٣٣٧
الصف الرابع أرباب الأموال والمفترّون منهم فرق .	٣٤٤
فصل في سؤال و جواب .	٣٣٨



﴿مصادر التعليق والتصحيح﴾

- ١ - الاتفاق للسيوطي .
- ٢ - لاجعاج للطبرسي
- ٣ - احياء علوم الدين للغزالي .
- ٤ - الاحتصاص للشبح البعيد الطعة الاولى .
- ٥ - الارشاد > > ١٣٧٧ .
- ٦ - آداب المعلمين للمحقق الطوسي .
- ٧ - لاستنباط لشبح الطوسي ط لصف
- ٨ - الاستفانة لاحمد بن موسى القمي .
- ٩ - لاستنباط لاسعد الربامش لاصانة .
- ١٠ - اسد القابة لابن اثير العزوي .
- ١١ - أسرار الصلاة للشهيد الثاني .
- ١٢ - لاصانة لاسعد العفلاي ط ١٣٥٩
- ١٣ - اعتقادات الصدوق .
- ١٤ - اعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ط ١٣٧٩
- ١٥ - الامالي للشيخ الصدوق .
- ١٦ - الامالي للشيخ الطوسي .
- ١٧ - الامالي للشيخ الميرد .
- ١٨ - الامامة والسياسة لابن قتيبة ط ١٣٧٧ .
- ١٩ - الانساب للبلاذري .
- ٢٠ - بحار الانوار للمطلي .
- ٢١ - بصائر الدرجات للصدار الطبع المعجزي
- ٢٢ - البيان والتمريف لابن حمزة الحسيني ط العلب .
- ٢٣ - التاج الجامع الاصول .
- ٢٤ - تاريخ الخطيب طبع مصر .
- ٢٥ - تاريخ الغلفاء للسيوطي .
- ٢٦ - تاريخ الامم والملوك للطبري .
- ٢٧ - تاريخ النحبي .
- ٢٨ - تحف العقول لابن شعبة ط ١٣٧٩ .
- ٢٩ - التذكرة لسطاس جوزي الطبع المعجزي
- ٣٠ - الترغيب والترهيب للسندري ط ١٣٧٣
- ٣١ - تفسير علي بن ابراهيم القمي ط ١٣١٣ .
- ٣٢ - التفسير الكبير لغير الدين الرازي .
- ٣٣ - التوحيد للصدوق ط ١٣٢١
- ٣٤ - تفسير الانوار للبيضاوي .
- ٣٥ - التهذيب للشيخ الطوسي ط ١٣١٧ .
- ٣٦ - تيسير الوصول لاسماعيل الدمشقي .
- ٣٧ - ثواب الاعمال للصدوق ط ١٣٧٥ .
- ٣٨ - جامع الاخبار .
- ٣٩ - جامع الرواة للارديسي .
- ٤٠ - الجامع الصغير للسيوطي .
- ٤١ - الجفرينات والاشمئيات الطبع المعجزي
- ٤٢ - حلية الاولياء لابي عيم
- ٤٣ - الخصال للصدوق الطعة الاولى .
- ٤٤ - الخصائص للنسائي طبع النعف .
- ٤٥ - الخرائج والخراج .
- ٤٦ - النو الشور للسيوطي

- ٤٧ - دلائل النبوة لابي نعيم
٤٨ - رجال النجاشي .
٤٩ - الرجال لنعشى
٥٠ - الرسالة المعراجية لابي مينا .
٥١ - روصات العجائب للنخواسارى الطيبة الثانية .
٥٢ - روضة الواعظين للفتال الشافعى
٥٣ - السرائر لاس ادرسى
٥٤ - مرعيات .
٥٥ - سعة البحار للحدث القمى .
٥٦ - السنن الكبرى لابي بكر أحمد بن الحسين البهتي .
٥٧ - السنن لابي عبد الرحمن أحمد بن شبيب النابى .
٥٨ - السنن لابي عداة محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى .
٥٩ - السنن لابي محمد عداة بن عبد الرحمن ابن الدارمى .
٦٠ - السنن لبيان بن الاشعث السجستانى .
٦١ - السيرة النبوية لابن هشام .
٦٢ - الشافى للبيهق الشرف المرتضى .
٦٣ - شرح اجلاء العلوم للزبيدى .
٦٤ - شرح السج لاس أبى الحداد .
٦٥ - شرح السج لابن مشم السجاسى .
٦٦ - الشافى للترمذى .
٦٧ - الصحاح للجوهري .
٦٨ - الصحيح لابي الحسين مسلم بن الصحاح القشبرى
- ٦٩ - الصحيح لاس عيسى محمد بن عيسى الترمذى الطيبة الاولى .
٧٠ - الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخارى طبع محمد على صبيح .
٧١ - صحيفة الرضا عليه السلام .
٧٢ - المواعيق المعروفة لبهتي .
٧٣ - طبقات لابن سعد طبع لندن .
٧٤ - الطوائف لابن طاووس .
٧٥ - عدة لداعى لاس بهد اعلى
٧٦ - طباق الاعمال للصدوق ط ١٣٧٥ .
٧٧ - طلل الشرائع للصدوق ط ١٣١١ .
٧٨ - علم البقيى للشؤلف (البيضا)
٧٩ - عيون اشعار الرضا عليه السلام للصدوق .
٨٠ - عيون الاحبار لابن قتيبة .
٨١ - التذير للعلامة لامبى طبع طهران
٨٢ - التمهيد للمسمى
٨٣ - الفقيه (من لا يحضره الفقيه) ط ١٣٧٦ .
٨٤ - الفهرست للمشيخ الطوسى .
٨٥ - قاموس المحيط للفيروز آبادى .
٨٦ - قرب الاستاد للعميرى الطبع المعبرى .
٨٧ - الكشاف عن ألقاب نهج البلاغة فى شروحه للسيد جوات المصطفى .
٨٨ - الكافى للكلينى الطبع العروفى الحديث .
٨٩ - الكافى الشافى للسقلاى بهامش تصدير الكشاف .
٩٠ - الكشاف للزمخشري .
٩١ - كشف المصحة لابن طاووس .

- ٩٢ - كشف الغة لعلی بن عیسی الاربلی .
 ٩٣ - کمال الدین للشیخ ، لصدوق .
 ٩٤ - کنز لعمال لعلی مثنی .
 ٩٥ - کنز العرف للکراجکی .
 ٩٦ - کنوز الحقائق لعبد الرؤوف المناوی .
 ٩٧ - الکلی والالقاء للحدث القلی .
 ٩٨ - البحار النویة للشرف الرضی .
 ٩٩ - مجمع الیان للطبرسی .
 ١٠٠ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للبهیسی .
 ١٠١ - المعاصن لاحمد بن محمد بن خالد البرقی .
 ١٠٢ - المحلی لابن حزم .
 ١٠٣ - المختصر (مختصر بیان العلم) لاحمد
 عمر المصنعي البیرونی طبع بمصر .
 ١٠٤ - مرآة العقول لبحرلی .
 ١٠٥ - مرصع الاطلاع لعبد المؤمن
 البغدادی .
 ١٠٦ - مروح الذهب للسمودی الططعة
 الثالثة .
 ١٠٧ - مستدرک لابن الیبع الحاکم
 المیشایوری .
 ١٠٨ - مستدرک الوسائل للموری .
 ١٠٩ - المستدرک لابی حواء .
 ١١٠ - المستدرک لابی عبدالله أحمد بن حنبل .
 ١١١ - المستدرک لابی داود الطیالسی .
 ١١٢ - مشکاة المصابیح لولی الدین محمد
 بن عبدالله الخطیب النیریزی .
 ١١٣ - مصابح السنة لابی محمد العینی .
 ابن مسعود الفراء البعوی .
 ١١٤ - مصباح الشریعة .
 ١١٥ - مصباح النیر للفیومی .
 ١١٦ - مطالب الرسول لابن طلحة .
 ١١٧ - معالم التنزیل للبعوی .
 ١١٨ - معانی الاخیار للصدوق ط ١٣٧٩ .
 ١١٩ - المعارف للدهنوری .
 ١٢٠ - المغنی عن الاسعار للمراقی برمز (م)
 ١٢١ - معارج الفلاح للشیخ المہامی طبع بمصر .
 ١٢٢ - مفردات القرآن للراغب .
 ١٢٣ - مقابیس اللغة لاحمد بن فارس .
 ١٢٤ - مکالم الاخلاق للطبرسی ط ١٣٧٦ .
 ١٢٥ - المساقب للخوازمی .
 ١٢٦ - منقب کثر العمال به مش المسد
 ١٢٧ - منی الیرید للشهید الثاني .
 ١٢٨ - الموعظ الدینی للفطلائی .
 ١٢٩ - الموضوعات لمولی علی القاری .
 ١٣٠ - النوادر فی جمع الاحادیث للفیض .
 ١٣١ - النهاية لابن الاثیر الجوزی .
 ١٣٢ - نوح الالعة .
 ١٣٣ - نيل الاوطار للنوکانی .
 ١٣٤ - نظم درالسطین للرددی .
 ١٣٥ - وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي .
 ١٣٦ - الوافي لمولانا الغفر .
 ١٣٧ - الهداية للصدوق .

هذه المصادر هي التي نقلت عنها ملا واسطة وهي غيرها من المصادر المنقولة عنها

مع الواسطة وهي كثيرة كما هو المشاهد في الكتاب .





32101 048393852